بهجة المجالس وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
بن عبد البر النمري القرطبي
٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

تحقيق
محمد مرسي الخولي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

حينما قدّمت هذا الكتاب إلى جمهرة القراء ، كان كل ما وقر في ذهني منه أنه كتاب أدب كبير ، يتضمن الكثير من الكلمات الحكيمة والشعر الفاضل الذي يحمل كلاهما التجربة والعبرة ، وأنه من تأليف حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر القرطبي ، صاحب كتابي « التمهيد لما في الموطأ من الكتب و الأسانيد » ، « والإستيعاب في طبقات الأصحاب» (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، و كلاهما من الكتب الشهيرة المعتبرة ، وكتابه هذا في الأدب لن يقل عنهما قيمة واعتباراً بالقطع .

هذا ولقد ذكرت في مقدمتي للكتاب أنه يحوي قدراً طيباً من النصوص الأندلسية ، كما أنه يحوي جملة وافرة من شعر عدد من الشعراء يكفي لإخراج ديوان لكل منهم ، وهذا كل ما كنت قد قدرته لقيمة الكتاب وقتئذ .

والواقع أنني فوجئت بعد صدوره أنني لم أقدر الكتاب حق قدره ، وذلك لأن جمهرة الباحثين والعلماء قد رحبوا بالكتاب ،وانبروا للإستفادة منه ، والإعتداد به مرجعاً من المراجع المهمة في الشعر العربي ، فكان أن استخرجوا منه دواوين لبعض الشعراء ، مثل ديوان شعر محمود الوراق ،

وديوان منصور الفقيه ، وروجع عليه ديوان شعر أبي العتاهية الذي صنعه في الأصل ابن عبد البر وسماه « الإهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال » ، ومن الطريف أن يكون كل هؤلاء الشعراء مــن الشعراء المشارقة الذين وجدوا من عناية عالم سحيق الدار منهم ما لم يجدوه من علماء بخلادهم في جمع شعرهم والحفاظ عليه وتدوينه .

على أن هناك ملاحظة تلاحظ على ما جمعه ابن عبد البرمن هــذا الشعر ، وهي أنه كله من الشعر العفيف ، الذي يمتلىء بالمثل الصالح والحكمة النافعة والقول الشريف ، ولا يمكنك مهما حاولت أن تعثر فيه على لفظ فاضح أو قول سفيف ، وذلك هو طابع ابن عبد البر في اختياراته ، وإذن فإنه يمكن أن يكون قد ضاع لهؤلاء الشعراء الذين جمع شعرهم شعر كثير مما لم يقع تحت شرطه ، وهو مما يعد من ناحية الأدب ثروة فنية وإنسانية ، ولكنها لم تكن كذلك في نظر ذلك المحدث الجليل حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر ، وحسب الأدب أن يكون الرجل قد احتفظ له بقدر عظيم من شعر هؤلاء لولاه هو لضاع ولعفى عليه الزمن .

ثمة فائدة أخرى حققها الكتاب للباحثين ، وهي احتفاظه بشعر عدد من الشعراء المقلين في الجاهلية والإسلام وفي المشرق والمغرب ، وهذا الشعر قد استفاد به جمهرة الأساتذة الذين تصدوا لجمع شعر الشعراء ممن ليس لهم دواوين ، وقد كثرت هذه الظاهرة وبخاصة لدى الإخوة العراقيين ، وهي ظاهرة طيبة تجمع الشعر المتفرق المتناثر في بطون الكتب لشاعر من الشعراء ثم تخرجه كله في ديوان تسميه شعر فلان ، ولا شك أن الشعر المجموع في صعيد واحد يؤدي خدمة كبيرة للباحث في دراسة الشاعر أو تخريج أبياته .

ولقد أدى ابن عبد البر خدمة جليلة لتلك الأعمال باحتفاظه بأشعار

ربما كان هو الوحيد الذي احتفظ بها ، ولهذا فقد استفاد منه معظم هؤلاء الباحثين ، وقلما تجد شعراً مجموعاً إلا ووجدت في مراجعه كتاب ابن عبر البر هذا .

أما الشعر الأندلسي في الكتاب فقد جمعه كله الدكتور إحسان عباس في كتابه عصر سيادة قرطبة .

وأخيراً فلقد كنت كتبت مقدمتي للطبعة الأولى للكتاب مستحدثاً فيه ترجمة لمؤلفه فيها الكثير من الإستنتاجات حين لم تسعفني المصادر بترجمة وافية لحياته .

ويبدو أن ما ذكرته من استنتاجات قد أدى بأحد الإخوة الباحثين إلى تتبع هذه الإستنتاجات وتبيين مدى ما فيها من دقة وصحة ، وذلك في رسالة أعدها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بعنوان « الحافظ ابن عبد البر مؤرخاً » وما زالت هذه الرسالة قيد العمل وهي بلا شك قد تضيف إلى الترجمة جديداً .

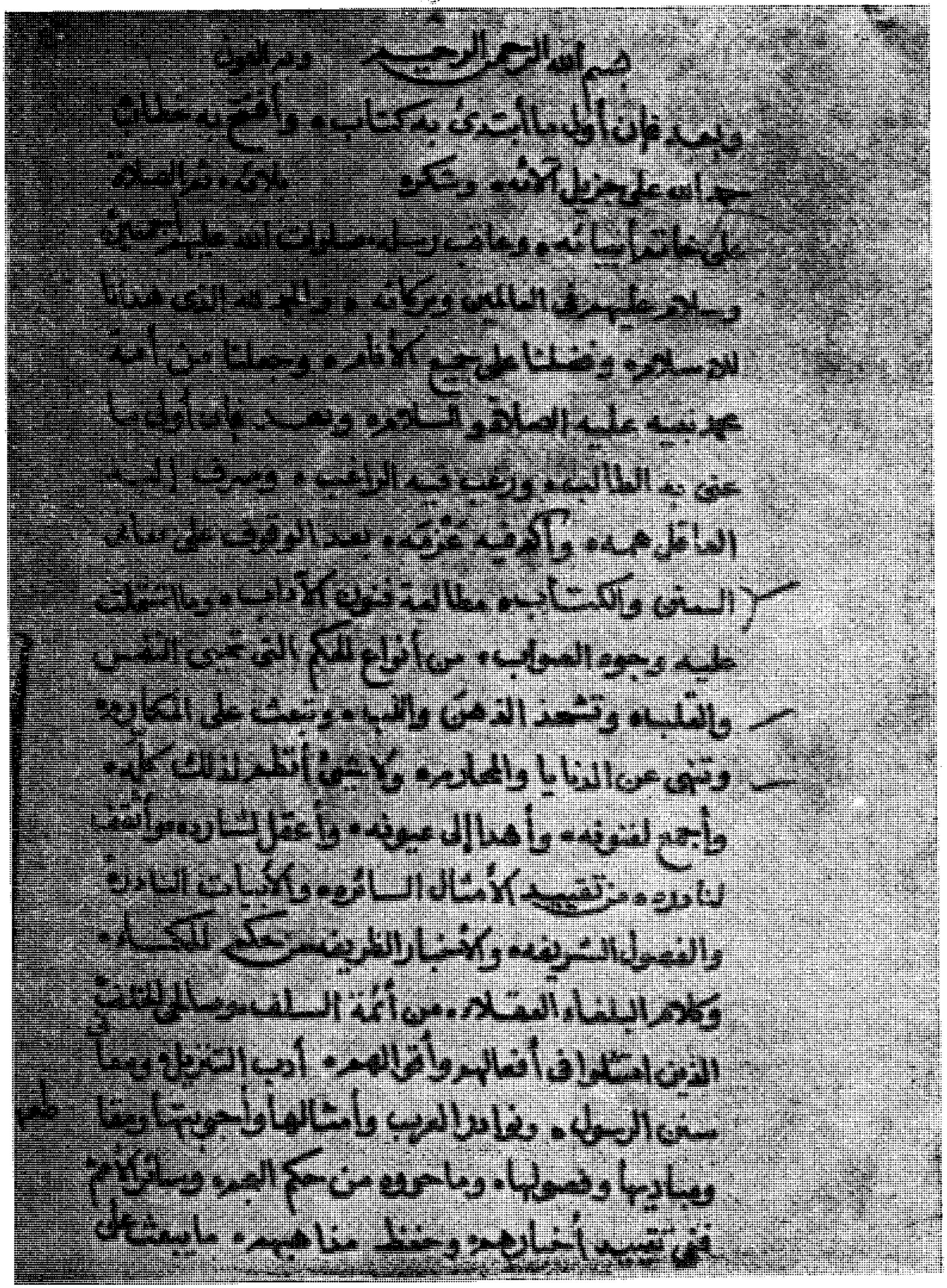
وما زالت الإستفادة من الكتاب مستمرة هنا وهناك ، وأنا أعتقد أن ذلك نتيجة لما بذله فيه مؤلفه من جهد ، وما عسى أن يكون قد صاحب فيه محققه من توفيق .

ونحن نسأل أن يظل الكتاب نبعاً ثراً للإفادة ، وأن يوفقنا الله لخدمة تراث العربية والإسلام بمنه وفضله ، فهو سبحانه أجل مأمول وأكرم مسئول .

وكتب

القاهرة في ٧/ ٢/ ١٩٨١ — د . محمد مرسي الخولي

وكيل معهد المخطوطات العربية

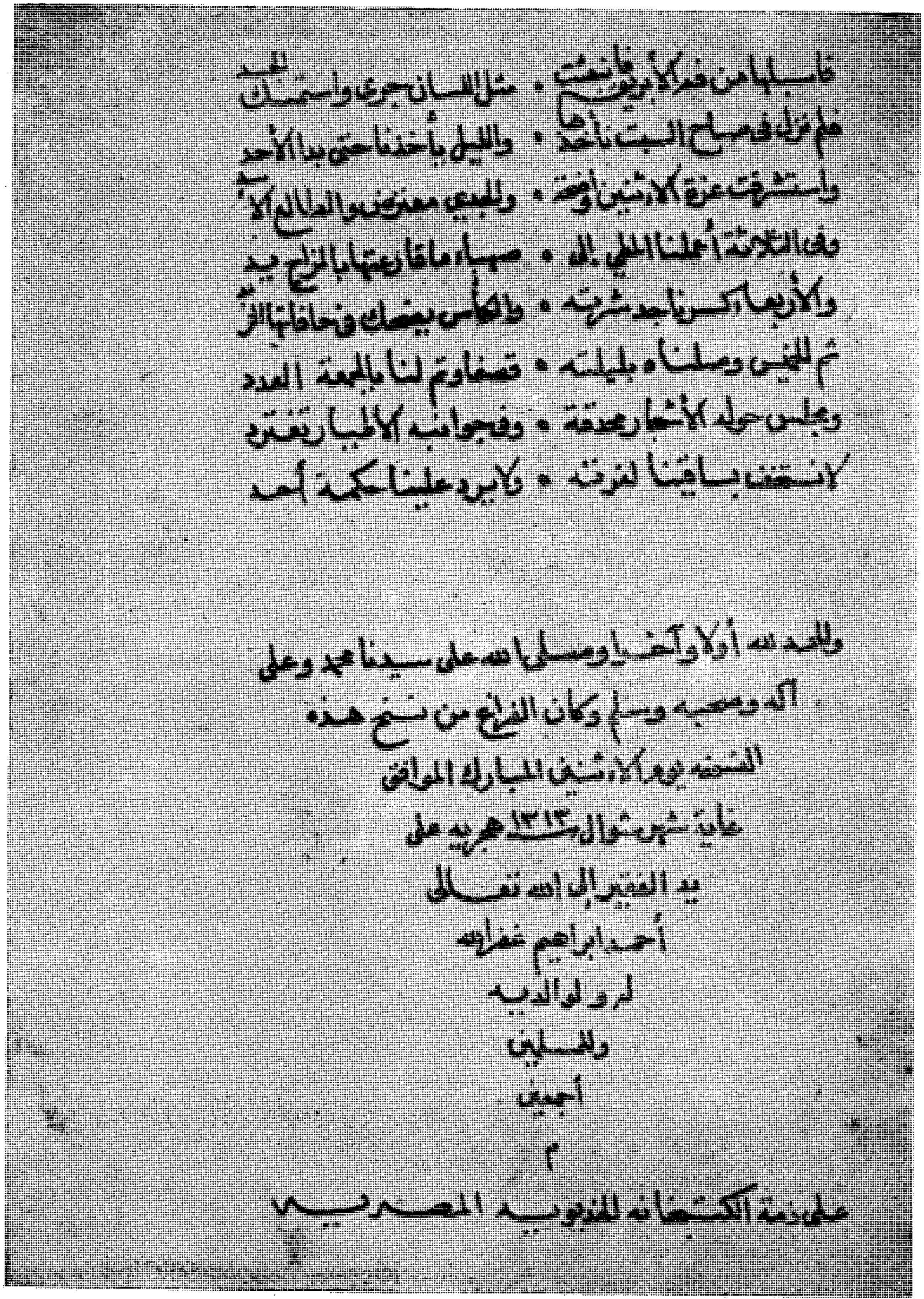


بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

وبعد فإن أولى ما ابتدئ به كتاب، وافتتح به خطاب،
حمد الله على جزيل آلائه، وشكره ... بلائه، ثم الصلاة
على خاتم أنبيائه، وصاحب رسله، صلوات الله عليهم أجمعين
وسلامه عليهم في العالمين وبركاته، والحمد لله الذي هدانا
للإسلام، وفضلنا على جميع الأنام، وجعلنا من أمة
محمد نبيه عليه الصلاة والسلام، وبعد فإن أولى ما
عني به الطالبون، ورغب فيه الراغبون، وصرف إليه
العاقل همه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني
السنن والكتاب، مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت
عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس
والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم،
وتنهى عن الدنايا والمحارم، ولا شيء أنظم لذلك كله،
وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأثقف
لنادره، من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة،
والفصول الشريفة، والأخبار الظريفة، من حكم الحكماء،
وكلام البلغاء العقلاء، من أئمة السلف وصالحي الخلف،
الذين استعملوا في أفعالهم وأقوالهم، أدب التنزيل و[illegible]
سنن الرسول، ونوادر العرب وأمثالها وأجوبتها و[illegible]
ومباديها وفصولها، وما روي من حكم العجم وسائر الأمم
في تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب

(معهد المخطوطات ٩٨ أدب)



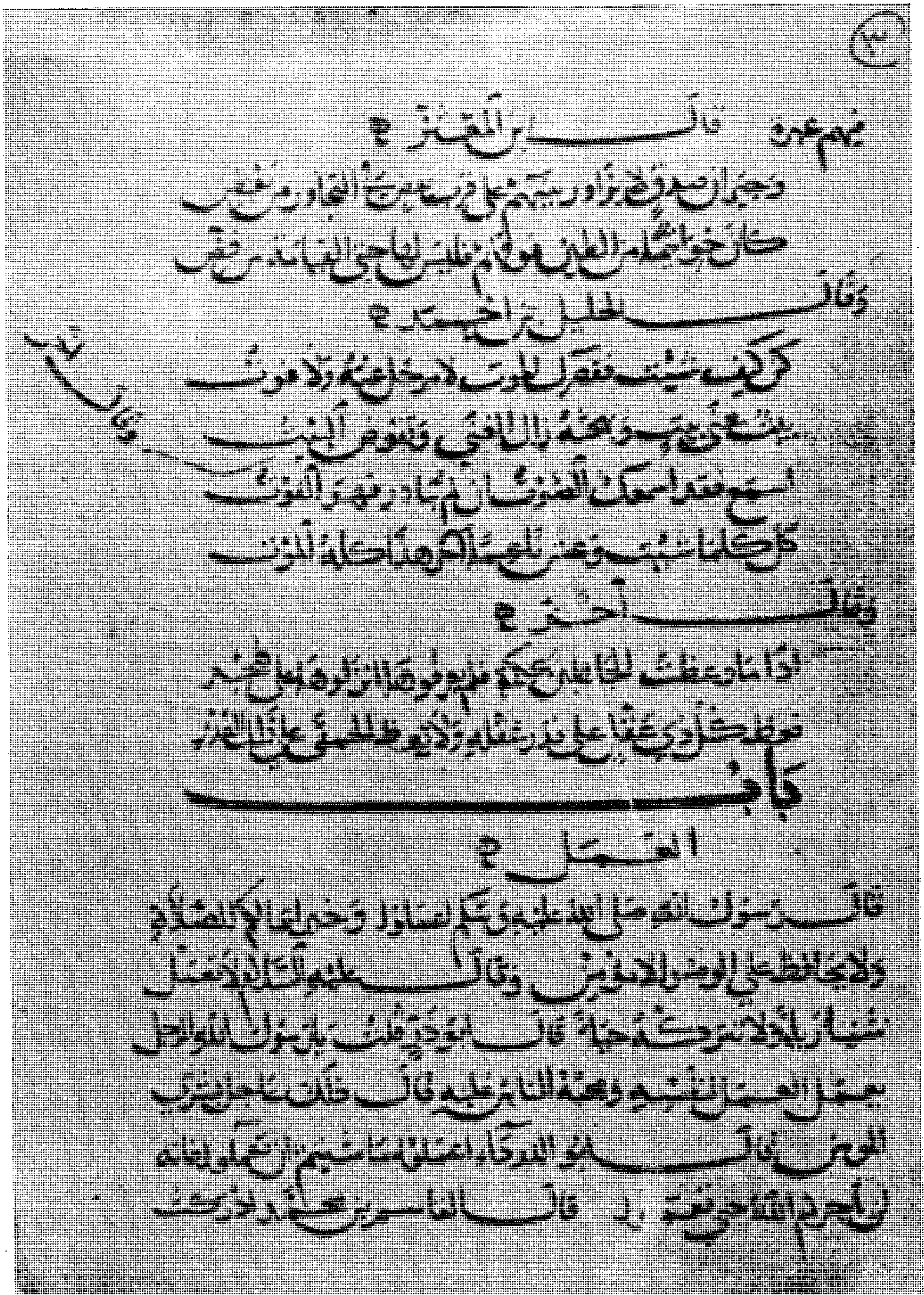
فناسبها من فمه الأبريق فانبعثت • مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
ثم نزل في صباح السبت نأخذها • والليل يأخذنا حتى بدا الأحد
واستشرقت غرة الاثنين واضحة • وللصبي معترضين والطالع الأسعد
وفي الثلاثاء أعملنا المطي بها • صهباء ما قارنتها بالمزج يد
والأربعاء كسرنا حد شرته • والكأس يضحك في حافاتها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته • فصغارتم لنا بالجمعة العدد
ومجلس حوله الأشجار محدقة • وفي جوانبه الأطيار تغترد
لا تنقضي باقيا لفرقته • ولا يرد علينا حكمه أحد

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من نسخ هذه
النسخه يوم الاثنين المبارك الموافق
غاية شهر شوال سنة ١٣١٣ هجريه على
يد الفقير إلى الله تعالى
أحمد ابراهيم غفر الله
له ولوالديه
وللمسلمين
أجمعين
م

على ذمة الكتبخانه الخديويه المصريه

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب ١٣٦٦ أدب

(معهد المخطوطات رقم ٩٨ أدب)



٣

فيهم عجز — قال ابن المعتز

وجيران صدق لا تزاور بينهم … على قرب بعض في المحلة من بعض

كأن خواتيما من الطين فوقهم … فليس لها حتى القيامة من فض

وقال الخليل بن أحمد

كن كيف شئت فقصرك الموت … لا مرحل عنه ولا فوت

بينا غنى بيت وبهجته … زال الغنى وتقوض البيت

اسمع فقد أسمعك الصوت … إن لم تبادر فهو الفوت

كل كلما شئت وعش ناعما … آخر هذا كله الموت

وقال آخر

إذا ما [illegible] الجاهلين [illegible] … [illegible]

[illegible] كل ذي عقل على [illegible] … ولا [illegible] للحمق [illegible] العذر

باب

العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن وقال عليه السلام [illegible] شيئا [illegible] حياة قال أبو ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لنفسه ويحبه الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن قال أبو الدرداء اعملوا [illegible] إن تعملوا [illegible] لا يحرم الله [illegible] قال القاسم بن محمد أدركت

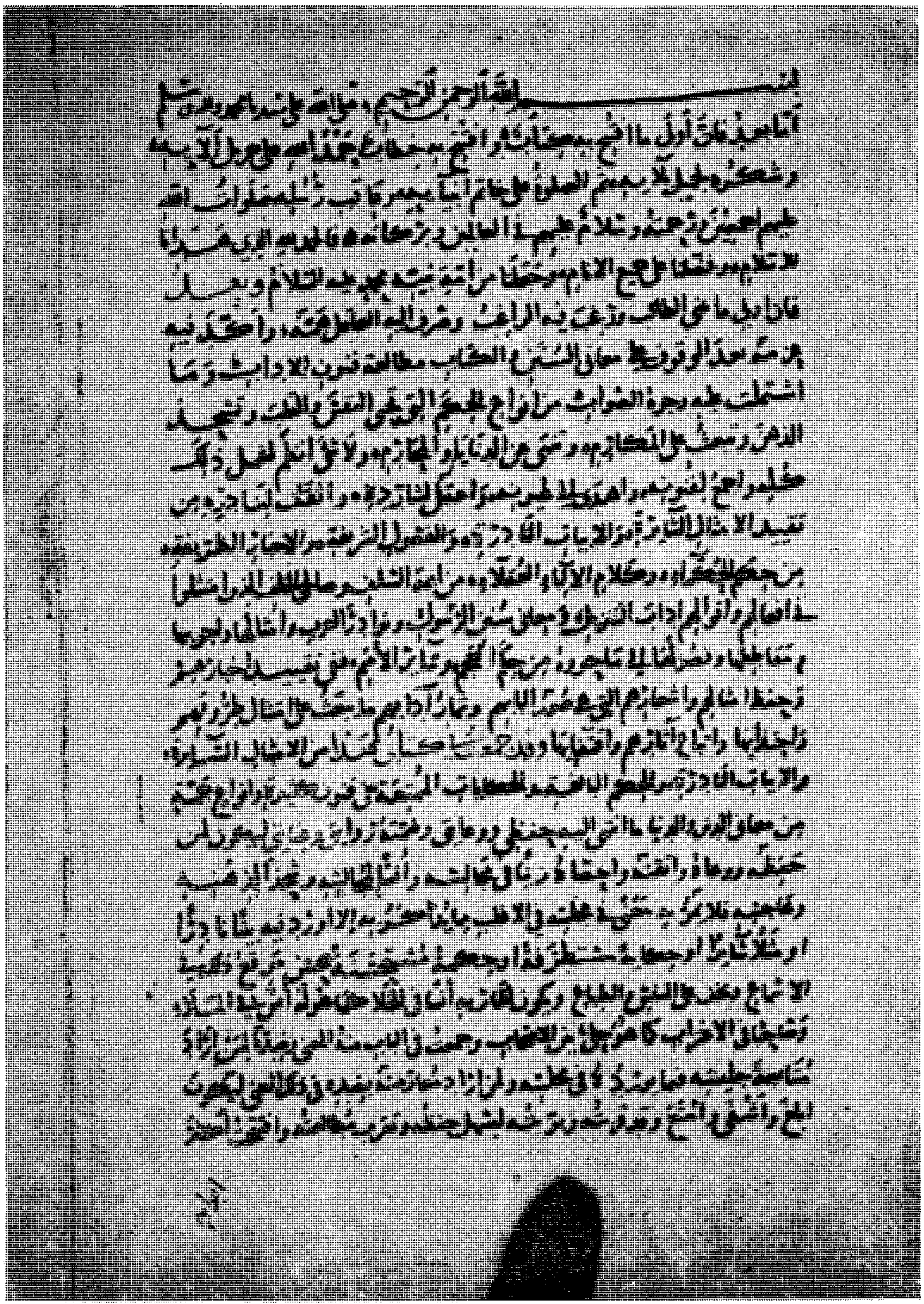
الصفحة رقم ١١١ من نسخة دار الكتب ٤٣٥ أدب

(معهد المخطوطات ٩٩ أدب)



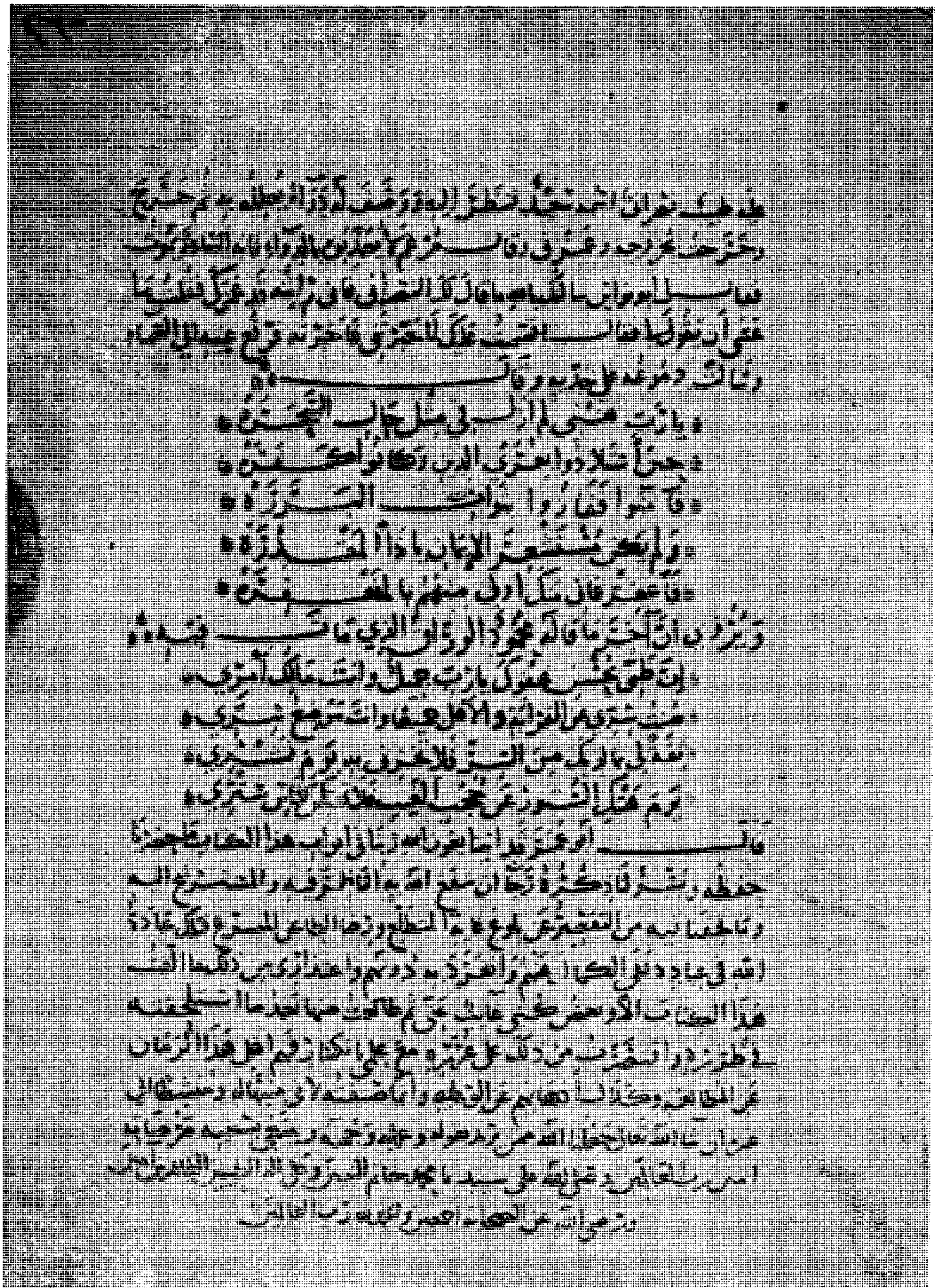
صفحة العنوان من نسخة مراد ملا رقم ١٤٨٧

(معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)



الصفحة الأولى من نسخة مراد ملا رقم ١٤٨٧

(معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)



الصفحة الأخيرة من نسخة مراد ملا ١٤٨٧

(معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الاول
مِن القسم الاول

تحقيق

محمد مرسي الخولي

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسى كبير ، اشتهر فى تاريخ الأدب الأندلسى كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلا موسوعى الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق فى إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرهما ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يُعَدُّ ما طبع منها مراجع ممتازة فى أيدى الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو فى رأيه يلى فى المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذى أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته فى ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيــــه ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئا قليلا ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله فى صحبة العلم ، والعيش فى رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع فى كتابه نتيجة لهذا كل مختار منتقى من مأثور الأدب نظماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة فى مجالس العلماء فى عصره . من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتى كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يندثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهيا لمن يأتى بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من المميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستميح القارئ عذراً فى أن أسجل فى هذه العجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تمتع بها مؤلفاته بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب[1] ، واضطرارهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبديت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفقت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة مواده وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تتناسب ومكانته .

---

(١) انظر مثلا التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى التحقيق والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب المطولة عامة.

لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته فى متناول يدى بحكم عملى فى معهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة قررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركا أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أتت بأسرع مما كنت أتوقع ، إذ لم تكد إدارة التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدَوا إلى الكتاب يداً من الجميل لا تنسى .

ثم كان من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان يشير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ، ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شبوح ، وسعيد إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يجزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب مجيب .

المحقق

مقدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ — ٤٦٣ هـ

٩٧٨ — ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر فى عدد وافر من الكتب ، ولكنها فى الحقيقة ترجمة واحدة مكررة فى هذه الكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه الترجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبق لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلا من المعلومات التى يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت فى الحقيقه حياة علمية هادئة ، لم يتورط صاحبها فى مشاكل السياسة ، ولم تكن له أبحاث فى الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات الطوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريبا كما قلنا — يُصَعّب المهمة التى نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذى عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — فى نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما خلفوه لنا من أخبار .

---

(١) ترجم له فى : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بغية الملتمس ٤٧٤ ، الصلة ١ / ٦٤٠ — ٦٤٢ بروكلمان ملحق ١ / ٦٢٨ الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٢ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦ / ٦٤ ، مطمح الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣ / ٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٤٣ جمهرة الأنساب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٣ / ٦٦ ، إلى جانب بعض الكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شابا مكتملا ، إذ مات فى عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر فى قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عمن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدى جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيرا من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، فى بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية فى ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب . إذ فى تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ هـ — حدث ما يسمى فى تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتى كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة فى ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هى السبب الذى دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشىء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التى مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة[1] ، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى الملقب بالمهدى[2] ، أن يتخلص من الدولة العامرية ، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد ، وفعلا نجح المهدى نجاحاً مؤقتاً ، وقتـــل عبد الرحمن بن أبى عمر الملقب بشنجول ، والذى ادعى أنه ولى عهد الخليفة هشام المؤيد ، ثم تسلم المهدى السلطة ، ولـكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموى آخر هو سليمان المستعين[3] الذى تزعم البربر ، وقصد أن ينتزع الخلافة من المهدى ، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرقيها فى (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال ، واستبسالهم فى الذود عنها ، إلا أنها سقطت فى أيدى البربر ، الذين أجروا فيها على الفور مذبحة رهيبة ، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء .

لـكن المهدى أبى أن يستسلم لهذه النتيجة ، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجة وعساكر الثغور ، وعاد إلى مهاجمة قرطبة ، وفعلا تمـكن من الاستيلاء عليها بعـــد شدائد وأهوال ، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه ، فيختاف عليه جنده ، ثم يتخلصون منه بالقتل ، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين ، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر .

إلى هنا ويمـكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور ، فقد تم لسليمان تحقيق أطماعه شخصيا بتولى الخلافة ، ثم تحقيق آمال الـكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحـكم .

لـكن سليمان فى الحقيقة لم تـكن فيه صفة واحدة من صفات الـكفاءة التى كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين ، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو . ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشـكل لم يسبق له مثيل .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات ، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حيان[4] ، بأنها :

---

(١) أنقل هنا بتصرف عن كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

(٢) ترجمته فى : جذوة المقتبس ١٨ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٤٠ ، البيان المغرب ٣/٥٠ .

(٣) هو سليمان بن الحـكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ١٩ ، الذخيرة ١/١/٢٤ .

(٤) هو حيان من خلف بن حسين بن حيان الأندلسى ، صاحب كتاب « المقتبس فى تاريخ الأندلس » ترجمته فى جذوة المقتبس ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/١٦٨ .

كانت كلهاشداداً نـكدات ، صعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة لم يعدم فيها حيف ، ولافورق خوف ، ولا تم سرور ، ولافقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن وحلول المخافة[1] » .

ومن الطبيعى أن يعيش الناس هذه السنوات فى هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئـذ أنهم استفتوا شيوخ المالـكية فى تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم فى الظلام فى طرق المسجد فربما آذوهم إيذاء شديداً[2] .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفى أن نلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشـكوال حتى نجد فيه الـكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا فى الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمربن عبد البر ، الذى اضطر تحت هول مارآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرتع صباه ، خصوصاً وقد أثر فى نفسه قتل أستاذه الـكبير وصديقه المعظم : أبى الوليد بن الفرضى مظلوماً فى بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجـل علمه ومـكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته[3] .

تجوله فى بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبه مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه فى خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التى خلفها وراءه فرصة للتفـكير أو الاختيار .

---

(١) الذخيرة ١/١ ، ٢٥ .

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٣/٦٧ .

(٣) انظر قصة استشهاد هـذا العالم فى جذوة المقتبس : ٢٣٨ ، بغية الملتمس ٣٢١ ، وفيات الأعيان ١/٢٦٨ .

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها — بعد انفراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبى عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقلاقل وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أودَرْءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك — والحالة هذه — مكان يمكن أن يلجأ اليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر فى هذه الفترة يجول فى بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلا جولته الاضطرارية هذه فى الاستماع إلى علماء هذ البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أتيحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقى عن أساتذته ، وقد لقى من هؤلاء كثيرين يذكرهم الحميدى فى ترجمته فى جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتى تعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات — كانت فترة غنية حقا بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التى يحياها ، ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التى ملأت رقعة الأندلس ، فلم ير دولة هى أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التى تقع فى أقصى شرق الأندلس ، والتى يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامرى .

صاحب دانية : مجاهد العامرى (1) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال فى جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

---

(1) اعتمدنا فيما كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بغية الملتمس ٤٥٧ ، البيان المغرب ١٥٥/٣ ، مقدمة التحقيق لكتاب المحكم لابن سيده .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ أو ٤٠٧ هـ .

وحين استقرت به الحال فى الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سردانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قصبة بلاده ، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجرىء الذى أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة فى وحشية وعنف حتى أفلتتها من يده فى موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدى أعدائه فنجا هو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع افتداءهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى فى الغزو ، بل اتجه بكليته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويذكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف فى علوم القرآن : قراءته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتهاله وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف فى دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب(١) إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبى عمرو الدانى(٢) وابن سيده(٣) وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف فى علوم القرآن خاصة ويشاركون فى فنون أخرى من العلم ، يجملون بها ملكه ويشرّفون دولته ، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .(٤)

(١) انظر ترجمته فى : جذوة المقتبس ١١٤ ، بغية الملتمس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن رشيق القيروانى صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الدانى ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته فى نفح الطيب ٣٨٦/١ ، معجم الأدباء ٣٦/٥ .

(٣) على بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المخصص والمحكم ، ترجمته فى بغية الملتمس ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ٣٤٢/١ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قويا من نفس أبي عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلقي بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذى حلم به مستقراً وملاذاً .

ابن عبد البر فى دانية :

تعد الفترة التى قضاها أبو عمر فى دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التى اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التى كتبها[1] فى فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهى رسالة كتبت نحو سنة ٤١٢ هـ . على ما كان يتمتع به أبو عمر فى ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانه ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم فى فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها منها : كتابه المسمى الكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتابه فى الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبى عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهى كما قلنا التى قامت عليها أساساً شهرة أبى عمر فى كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبة العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسماع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة فى دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعته بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد أبى بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته يتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف فى القراءات أربع كتب لا بأس من من ذكرها وهى :

(١) انظر هذه الرسالة فى نفح الطيب ٧٦٧/٢ ، تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القرآن .

٢ — الاكتفاء فى القراءة .

٣ — الإنصاف فيما فى بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء فى الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت فى عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس(١) . ولما كانت هذه البلاد فى غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتعبير أدق فارق دانية . وهى كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته . فكيف فارقها وهى على حد قول ابن سعيد : « الأفق الدانى الذى ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه(٢) » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب فى ذلك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث فى دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطرا ، ولعل السبب فى ذلك يرجع فى المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامرى فى عام ٤٣٦ هـ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة على بن مجاهد(٣) ، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح فى بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلا على ابن سيده العالم اللغوى الضرير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور فى دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة التجيبى الأندلسى ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ هـ وكان من أعاظم ملوك الطوائف ، عالماً بالأدب . انظر ترجمته فى البيان المغرب ٣/٢٢٠ ، الوافى بالوفيات ٣/٣٢٣ .

(٢) المغرب ٢/٤٠٧ .

(٣) ترجمته فى البيان المغرب ٣/١٥٧ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولكن هذا الأمر فى الواقع مجرد فرض ، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبى عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولكننا نحسب نحاول استنتاج الأسباب التى دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره فى أقصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها ، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف فى الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبى عمر خاصة فإن التجربة المريرة التى عاشها فى قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره فى هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدّر فى نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب [1] على حين تقوم فى بطليوس دولة فى طور التكوين يتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل فى بطليوس استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التى قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبى عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فيه زمناً طويلاً ؛ استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلا فى بلاد شرق الأندلس التى أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ [2] بالغاً من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

---

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ فى يد المقتدر بن هود ، واضطر على بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى سرقسطة وأقام بها إلى أن توفى سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدى فى الجذوة وتابعه صاحب البغية ، أن ابن عبد البر توفى سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد فى كل المراجع الأخرى سنة وفاته التى ذكرناها بالتحديد ، ولعل خطأ الحميدى راجع إلى أنه كان فى بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغنى وفاته سنة ٤٦٠ ، أقول : ثم إن الخطيب البغدادى الذى توفى هو وأبو عمر فى سنة واحدة ، توفى سنة ٤٦٣ بلا خلاف .

ومن المصادفات الغريبة أن يموت فى نفس العام الخطيب البغـــدادى ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقـول الناس : مات حافظا المشرق والمغرب فى سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب فى طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مـكاناً آمناً وملاذاً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقى فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مـكافأته ، وهو فى هذه الناحية يـكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ويذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيتاً حجة ثبتاً ، ولعل ذلك من صفات يؤدى إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتحرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى فى مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الـكريم ، وليس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولـكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسالمة والموادعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الـكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومـكانته .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجها إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة

فى دانية ، فى رعاية أميرها مجاهد العامرى وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه فى مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده فى مقدمة كتابيه « المحكم » و « المخصص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم فى رسالته التى أشرنا إليها قبل « فى فضل علماء الأندلس » على مبلغ الحرص الشديد لدى مجاهد فى هذه الناحية ، يقول ابن حزم : وها هنا قصة لاينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى ، حدثنى أن أبا الجيش مجاهداً العامرى ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبى غالب [1] — أيام غلبته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور « مما ألفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهـــد » فرد الدنانير ، وأبى من ذلك . ولم يفتح فى ذلك باباً ألبتة ، وقال : « والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم نَرَ له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والهامة منها بصفة خاصة فى دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لا نعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — ممـــا يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبى عمر فما لم يفعله فى الكبيرة لم يفعله فى الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التى طبعت وهى : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، والإنباه على قبائل الرواة ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لانرى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

---

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن التيانى ، أبو غالب المرسى ، ترجمته فى الجذوة ١٧٢ البغية ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور فى الخبر فهو كتابه « الموعب » فى اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله، كذلك وقره العلم وكرمه، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة، فكان مهاباً حتى بين أيدى الطغاة والجبابرة.

ولقد حدث أن وصل ابن لأبى عمر وهو المعروف بأبى محمد بن عبد البر [1] إلى مرتبة الوزارة فى إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد [2]، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل فى حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رءوس أعدائه وأوراقها آذانهم، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبى محمد بن عبد البر، وأمر بإلقائه فى غياهب سجنه.

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول: « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار فى أمره من مستقره بشرق الأندلس، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته: ابنى يا معتضد، ابنى يا معتضد. فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام، ومكنوفين بالاحترام » [3].

ولا شك أن ذلك العفو السريع، ما كان لينتزع من بين فكى المعتضد، لولا هيبة العلم ووقار الورع، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لهما، والاستسلام العاجل لأمرهما.

شيوخه:

امتازت ثقافة أبى عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها، ويبدو هذا واضحاً فى مؤلفاته العديدة التى تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً فى الإحاطة بموضوعه، وطرق جوانبه المتعددة فى سهولة ويسر.

---

(١) ترجمته فى الجذوة ٢٤٩.

(٢) ترجمته فى البيان المغرب ٣/٢٠٤، وفيات الأعيان ٢/٢٨، شذرات الذهب ١/٣١٦، جذوة المقتبس ٢٧٧.

(٣) إعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١.

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبى عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل فى التلقى عن العلماء والدأب الذى لا يكل فى القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة فى حياة ابن عبد البر ، وهى أنه لم يرحل إلى المشرق فى طلب العلم كعادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعوض مااعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من رحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفى النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدى عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات المشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشراً بالنسبة إليه ، كان فى الحقيقة خيراً وبركة ، إذ أنه حرص على تقييد ماتلقاه وإثباته فى مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبى عمر ، يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

١ — الشيوخ الذين تلقى عنهم فى نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر فى تحديد اتجاهه العلمى فى المستقبل .

٢ — الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصة صفة الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فنهم :

١ — عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضى ، أبو الوليد القاضى ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظاً متقناً ، عالماً ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة فى بلاد المشرق فى طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه فى التاريخ ، وكتابه المؤتلف والمختلف فى أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى فى الفقه ، وكتاب المنبه لذوى الفطن على غــوائل الفتن لأبى الحسن القابسى[١] .

٢ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرى الطلمنكى ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إماما فى القراءات ، وثقة فى الرواية . رحل إلى للشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبى عمر فى القراءات والحديث[٢] .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المـكوى الإشبيلى ، كان فقيهاً معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمعهو وأبو مروان المعيطى الفقيه كتاباً ضخماً فى أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه[٣] .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البيانى[٤] ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاته شىء مما قرىء عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ فى السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح، وكتابى المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة[٥] .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهـل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ[٦] .

---

(١) الجذوة ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦

(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .

(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مكثر مصنف ، وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفى سنة ٣٤٠ هـ الجذوة ٣١٢ .

(٥) الجذوة ٢٧٦ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائها ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميرى فى سبعة أجزاء[(١)].

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتى البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضى منذر بن سعيد البلوطى وسمع منه تواليفه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسالته إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير[(٢)].

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضى الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلا يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل ، كتاب المتهجدين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره فى الرقائق والزهد[(٣)].

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذيل المذيل لأبى جعفر بن جرير الطبرى[(٤)].

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا أبى الوليد بن الفرضى وغيره ، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له[(٥)].

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم فى مطلع حياته ،

---

(١) الجذوة ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٦٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم فى منهج تفكيرهم ، واكتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، وهى العلوم التى قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثانى الذى أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم فى الحقيقة لايقلون أهمية عمن ذكرنا فى مـــدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأقليشى . له رحلة إلى بغداد وغيرها. ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبى القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث على بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منثوراً كثيراً ، وكتب عنى رحمه الله(١) .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشى العامرى ، ولد فى مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبى عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبى إسحاق بن شعبان فى مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه فى الأشربة ، وبكتابه فى النساء عن أبى إسحـــاق سماعاً عنه(٢) .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجى ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبى داود ، عن أبى بكر الآجرى من علماء مكة وهما من تأليفه(٣) .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنى البزاز ، سمع بالأندلس ، ورحل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى(٤) .

---

(١) الجذوة : ١٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهوري العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً[١] .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمدانى الوهرانى ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها[٢] .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القَنَازعى أبو المطرِّف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر[٣] .

٨ — عبدالرحمن بن يحيى بن محمد ، أبو زيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب[٤] .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبغ ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً فى النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق[٥] .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر[٦] .

هؤلاء قليل من كثير من قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلا كافياً على اجتهاد أبى عمر ودأبه فى طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التى خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا فى الحقيقة لا نرى مثله فى الحرص على العلم والاستكثار منه ، فى كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر[٧] .

---

(١) الجذوة : ٢٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .
(٤) المصدر نفسة ٢٦١ .
(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .
(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأسد ص ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبو عمر — رحمه الله — موفقاً فى التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »[1] والواقع أن هذا صحيح تماما ، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبتاً فيما يلى :

١ — التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، موسوعة فى فقه الحديث ، تقع فى عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبى عمر ، لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فؤادى من ثلاثين حجة ... وصاقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطت لهم فيه من كلام نبيهم ... لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به ... إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم[2]

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاؤه المخطوطة فى معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب فى طبقات الأصحاب ، صنفه فى أسماء المذكورين فى الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، فى اثنى عشر مجلداً ، وقد طبع فى حيدر أباد الدكن فى مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

---

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٥ .
(٢) انظر رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلس ، وانظر ووفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله. وهو في الآداب الشرعية والتاريخ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء، طبع مرتين، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم «مختصر جامع بيان العلم» في جزء واحد اختصره أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي الأزهري بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية في جزئين في (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة.

٤ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ[١].

٥ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم، طبع بمطبعة القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة.

٦ — الإنباه على قبائل الرواة، نشره القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة.

٧ — القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم، رسالة صغيرة في الأنساب، طبعها حسام القدسي سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين، ودرسها كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن نولدكه أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير في الأنساب[٢].

٨ — الدرر في اختصار المغازي والسير، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام، ويوجد مخطوطا في دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف.

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء، ذكره الحميدي في الجذوة، والضبي في البغية.

١٠ — الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً، ذكره الحميدي وابن خير الإشبيلي والضبي، ويوجد مخطوطاً في الفاتيكان والمدينة.

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدي والضبي.

١٢ — الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار. توجد منه أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية.

---

(١) ذكر هذا الكتاب في بروكلمان باسم: الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف، وهو بهذا الاسم أيضاً في كشف الظنون.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ١/٢٧٣

١٣ — رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة فى دار الكتب .

١٤ — شرح زهديات أبى العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ، منها نسخة فى معهد المخطوطات .

١٥ — نزهة المستمعين وروضة الخائفين ، مخطوطة فى الفاتيكان .

١٦ — الشواهد فى إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبى .

١٧ — التقصى لما فى الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره الحميدى والضبى .

١٨ — العقل والعقلاء ، وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره الحميدى والضبى وابن فرحون .

١٩ — أسماء المعروفين بالكنى ، سبعة أجزاء .

٢٠ — البستان فى الأخدان .

٢١ — الأجوبة الموعبة فى الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٢ — اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .

٢٣ — الإشراف فى الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٤ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد(١) ذكره الحميدى والضبى .

٢٥ — الاكتفا فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره . الحميدى والضبى .

---

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوفى المنتجيلى ، أبو عمر ، ألف فى تاريخ الرجال كتابا كبيراً جمع فيه كل ما أمكنه من أقوال الناس فى أهل العدالة والتجريح ، هو هذا الذى اختصره أبو عمر . الجذوة ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون ، وابن خلكان .

٢٧ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٩ — فهرست شيوخه .

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس . وأنس المجالس ، هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

بهجة المجالس وأنس المجالس (١) :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً في خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه ، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة فى علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل ، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد ، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته فى الأدب ، مجموعة ليست فى كتيب صغير ، بل فى مجلدين كبيرين ، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : فى حلبة الأدب فارس ، وكفاك دليلا كتابه بهجة المجالس (٢) .

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلا من الأمثلة التى ضربها لنا العلماء المسلمون فى استغلال كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم ، واعتبار أنفسهم جنوداً فى ميدانه ، يجب عليهم أن يقدموا كل مافى جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته .

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه ، ولكنه على مايبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التى قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض فى طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله ، ولمن يأتى بعده من أجيال العربية .

---

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع فى كتاب بعنوان جواهر الحكماء ألحق بالمجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة .

(٢) المغرب ٢/٤٠٨ .

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب فى حد ذاتها قربة إلى الله ، وهى أولى مايجب أن يعنى به الطالب بعد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهى : « تبعث على المكارم وتنهى عن الدنايا والمحارم » .

ثانياً : أن فى جمع « نوادر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاطعها . ومبادئها وفصولها مايبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها فى مجالسه . وأنس لمجالسه . وشحذ لذهنه وهاجسه »[1] .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التى على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وتزجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسمرهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لاتعقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم من كل ماقيل فى هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليهما أنه يذكر فى الباب الواحد منه المعنى وضده: « ليكون أبلغ

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلى بعد .

وأشفى وأمتع[1] » وهو من هذه الناحية يكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاها من عدد ضخم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهى تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبين والحيوان ، وكتاب أبى حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق، وحماسة أبى تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها فى عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبرى وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمام الوضوح بحيث تحتاج إلى أيسر الجهد لمعرفة مواضعها فى الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب فى معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلى :

١ — أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندى الرمادى ، وأبى القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد فى أية مصادر أخرى .

٢ — أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرها فى المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصرى الموطن[2] . الذى كان شعره مشهوراً فى الأندلس فى ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديوانا ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوئها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أورده فى الكتاب للشاعر البغدادى محمود الوراق .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده فى أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبى العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد فى الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبى بكر العرزمى وكشاجم والناشىء الأكبر وخالد بن يزيد الكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبى الفرج الببغاء ، والحسن البصرى وغيرهم .

٣ — أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التى وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسى فى هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واضحتان :

الأولى : غلبة الثقافة المشرقية عليه والثانية: طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح فى كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية[١] ويمكن أن يقدم كتابنا فى هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف فى الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مأثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التى يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلى :

أولا : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التى لاتجرح الحياء ، ونادراً ما تجد فى كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانيا : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكملة الشواهد التى وردت فى الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا فى تعليقاتنا فى الهوامش على أمثلة من هذا .

---

(١) انظر كتاب تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التى وردت فى الكتب وشهرت بين الناس ، كنقده لما روى عن مجىء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فندب لمغالبتهما قيس بن سعد الأنصارى ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طوالا بين الرجال فإنه خلع سراويله فى مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومى فلما لبسها لم تبلغ ثندوته ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومى إما أن يقعد هو ويقيمه الرومى أو يقعد الرومى ويقيمه هو ، فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيمه الرومى ... إلى آخر ما ورد فى هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها فى رأيه منكرة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكنقده لما ورد فى كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبنى آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعابات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مفرقاً فى مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقدات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التى لا يقبلها عقل فى كتابه ، وغالبا ما يكون ذلك فى القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودى الذى كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرنى من جعلت خراب بنى إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف بختنصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأى مصحف هذا الذى كان موجوداً على عهد بختنصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر فى كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يعد شيئاً بالنسبة لما ورد فى الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد فى كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبرى لنرى أى قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة فى ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموغلة فى القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التى عثرت عليها للكتاب أولا نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهى ملفقة من نسختين :

(ا) القسم الأول : يحتوى على الجزءين الأول والثانى ، بدار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً فى دار الكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربى حسن إلا أنها أصبحت فى حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها فى النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما تلف منها نترك مكانه خالياً ، وبقى هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية فى مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه فى نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تعسر قراءته فى النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثانى : ويحتوى على الجزءين الثالث والرابع من الكتاب فى مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملا فى مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويعد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بعض الصفحات فى أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهى نسخة مراد ملا باستانبول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائنية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبى العباس على بن رسول الغسانى ملك اليمن ، وهى أربعة أجزاء فى مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف فى بعض الألفاظ والجمل التى عسرت عليه قراءتها فى النص بألفاظ وجمل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرنا عليها أخيراً ولم نتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهى نسخة مغربية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ . فى مجلد واحد يقع فى حوالى أربعمائة ورقة . وقد أمكننا بالعثور عليها تصحيح ألفاظ كثيرة فى القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسختى دار الكتب ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها وبين نسخة دار الكتب القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكمل من نسخة رواق المغاربة ففيها أبيات كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست فى النسخة الثانية ، مما يرجح أن الناسخ اختصر بعضها ربما لطول الكتاب وضخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص المختار رغبة منا فى أن يظهر الكتاب فى أقصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا ففيما يتعلق بالقسم الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلى :

أولا : نسخة رواق المغاربة لأنها فى هذا القسم أتم وأكمل النسخ ، فضلا عن صحة كلماتها وأمانة نقلها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التى ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عليها إلا تصرف الناسخ فى بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفيما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلى :

أولا : نسخة دار الكتب القيمة « أ » بعد أن رتبنا ما حدث فى أوراقها الأولى من خلط وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلا عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة فى الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا فى تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلى :

١ — معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ — ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخريجها .

٣ — كان المصنف يذكر فى أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً فى تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخريجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التى قصد إليها المؤلف وتثقله بما هو خارج عن موضوعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التى تحتاج إلى شرح أو بيان أو التى لم تذكر بتمامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ — ضبط الأعلام الواردة فى النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ — ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد فى تخريجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ — ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها فى الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحرص على ذكر المرجع فى الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ — قمنا بعمل فهارس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التى يود الاطلاع عليها .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فحسبى أنى قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

ديسمبر ١٩٦٢

محمد مرسى الخولى

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وسلّم[١] .

أما بعد : فإن أولى[٢] ما ابتدئ[٣] به كِتاب ، وافتُتح به خطابٌ ، حمدُ اللهِ على جزيل آلائه ، وشكره لجميل[٤] بلائه ، ثم الصّلاة على خاتِم أنبيائه وعاقِبِ رسله ، صلوات اللهِ عليهم أجمعين ، وسلامٌ عليهِم فى العالمين وبركاته . والحمد[٥] للهِ الذى هدانا للإسلام ، وفضّلنا على جميع الأنام ، وجعَلنا من أمّةِ محمّد نبيّه عليه الصّلاة والسّلام[٦] .

وبعدُ : فإنّ أولى ما عُنِى به الطالب ، ورَغِب فيه الرّاغب ، وصَرَف إليه العاقل همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معانى السّنن والكتاب ، مطالعةُ فنون الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحِكم التى تحيي النفسَ والقلب ، وتشحَذُ الذهَن واللُّب ، وتبعثُ على المكارم ، وتَنْهى عن الدنايا والمحارم ، ولا شىء أنظم لشمل[٧] ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والفصول الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلغاء[٨] العقلاء : من أئمة

---

(١) ب : وبه العون بدلا من هذه الجملة .
(٢) ب : أول .
(٣) ب : أفتتح .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : فالحمد .
(٦) ب : ساقط من م .
(٧) ب : ساقط من ب .
(٨) ا : الأدباء .

السّلف ، وصالحي الخلف ، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم ، آدابَ[١] التنزيل ، ومعاني سُنَن الرسول ، ونوادر العربِ وأمثالها ، وأجوبتها ومقاطعها ، ومباديها وفصُولها ، وما حَوَوْه من حكم العجم ، وسائر الأمم ، ففي تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يبعث على امتثال طرقهم[٢] واحتذائها ، واتباع آثارهم واقتفائها .

وقد جمعتُ في كتابي هذا من الأمثال السّائرة ، والأبيات النادرة ، والحِكم البالغة ، والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معاني الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظي ورعايتي ، وضمته روايتي وعنايتي ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زيناً في مجالسه ، وأنساً لمجَالسه ، وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمرّ به معنى في الأغلب[٣] مما يذاكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلا سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمةً مُسْتحسنة ، يحسنُ موقع ذلك في الأسماع ، ويخِفّ على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء ، كما هو زين له في الملاء ، وصاحباً في الاغتراب ، كما هو حَلْيٌ بين الأصحاب .

وجمعتُ في الباب به منه المعنى وضِدّه لمن أراد متابعةَ جليسه فيما يُورده في مجلسه ولمن أراد معارضَتَهُ بضدّه في ذلك المعنى بعينه ، ليكونَ أبلغَ وأشفى وأمتع .

وقد قرّبته ، وبوّبته ليسهلَ حفظه ، وتَقْرُب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلّى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره ، وتيمناً بآثاره .

---

(١) ب : أدب .

(٢) ا : طروقهم .

(٣) ب : الا غلب .

وإلى الله أبتهلُ فى حسن العون[1] و[2] التأييد لما يحبّ ، والتسديد ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلَّم أنه قال : « ما أهدى المرءُ المسلمُ لأخيه هديةً أفضلُ من كلمة واحدة ، يزيده اللهُ بها هدًى ، ويصرفه بها عن ردى » .

ويروى عن عيسى الخياط ، عن الشَّعْبِي ، قال : لو أنّ رجلا سافر من أقصى الشّام إلى أقصى اليمن ليسمعَ كلمةً ينتفعُ بها فيما يُسْتَقْبل من عُمره ، ما رأيتُ أنّ سفرهَ قد ضاع[2] .

قال محمّدُ بن سَلاّم الجُمحى ، عن ابن جُعْدُبة[3] ، قال : ما أبرم عمرُ بن الخطاب أمرًا قطّ إلاّ تمثّل فيه ببيتِ شِعر .

وقال محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس رضى الله تعالى عنه[4] : كفاك من علِم الأدب أن ترويَ الشّاهدَ والمثلَ .

وقال أبو الزِّناد: ما رأيت أحدًا أروى للشّعر من عروة بن الزبير . فقيل[5] له: ما أرواك للشّعر ! قال : وما روايتى من روايةِ عائشة له ، ما كان ينزل بها شىء إلاّ أنشدت فيه شعراً .

وروى عن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما أنّه قال : العلمُ أكثر من أن يحصى، فخذوا أرواحه ، ودعوا ظروفه .

---

(١) ب : العواقب . (٢) ساقط من ب .

(٣) ا : جعرفة والصحيح ما أثبتناه ، فهو يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى ، أبو الحكم المدنى نزيل البصرة ، محدث ثقة ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣٥٢/١١ .

(٤) ساقط من ب . (٥) ب : وقيل .

ولقد أحسن القائلُ ، وقيل إنه منصور الفقيه[١] :

قَالُوا: خذ الْعَيْنَ مِنْ كُلٍّ فَقلْتُ لَهم : في الْعَيْن فَضْلٌ ، ولـكِنْ نَاظِرُ العَيْن
حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٌ ورُبَّما لم تجدْ فى الأَلْفِ حَرْفَيْن[٢]

وروى عن مُخَلَّد بن يزيد ، عن جابر بن مَعْدان قال : كلّ حكمة لم ينزل فيها كتاب ، ولم يُبعث بها نبيٌّ ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إنَّ مِنَ الشِّعْر حِكْمَة » .

روى ابن نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : خذ الحكمة ممّن سمعتها ، فإنّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن الرمية قد تجيء من غير رامٍ[٣] .

---

(١) منصور بن إسماعيل التميمى ، فقيه شافعى ضرير ، أغلب شعره فى الحكم والأمثال ، توفى بمصر سنة ٣٠٦ هـ ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/١٢٥ ، شذرات الذهب ٢/٢٤٩ معجم الأدباء ٧/١٨٥ — ١٨٩ .
(٢) جامع بيان العلم ١/١٠٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٦٠ .
(٣) ساقطة من ب .

بابَ أدَب المُجالسة ، وحَقّ(١) الجليس الصّالح(٢)

أخبرنا عبدُاللهِ بنُ محمدِ بن يوسف ، وأحمدُ بن عبد الله بن عمر(٣) ، وخلفُ بن سَعيد بن أحمد ، وسعيدُ بن سيّد ، ومحمد بن عبدالله بن حَكَم ، وأحمدُ بن عبدالله ابن(٣) محمدّ بن عليّ ، واللفظُ لسعيد بن سيّد ، قالوا : حدثنا محمّد بن عُمر بن لَبَانَة ، وسليمان بن عبد السّلام ، قالا : حدثنا محمّد بن أحمد العَتِبيّ ، عن أبي المُصعب(٤) الزّهرى ، عن عبد العزيزِ بن أبي حازم ، وحدّثنا عبد الوارث بن سُفيان ، قال : حدثنا قاسمُ بن أصبغ ، قال : حدّثنا بكرُ بنُ حمّاد ، قال : حدّثنا مُسَدّد : حدثنا أبو عُوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال : « مَنْ قَامَ من مَجْلِسه ، ثم رَجَعَ فهو أحقُّ به » .

ورواه حمّاد بن سَلَمة ، عن سُهَيل ، بإسناده: مثله .

وحدثنا سعيدُ بن نصر ، وعبدُ الوارث بنُ سفيان ، وأحمدُ بن محمّد ، وأحمد بن قاسم قالوا : حدّثنا قاسم ، قال : حدثنا ابن وضّاح ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ مَسْعود ، قال : حدّثنا يَحيي القطّان ، عن محمد بن عَجْلاَن ، عن سَعيد المَقْبُريّ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

---

(١) في ب : وحسن .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ساقطة من ب
(٤) في ب : الصعب وهو تحريف واضح .

« إذا أتى أحدُكم المجلسَ فليُسَلِّم ، وإذا قام فليُسَلِّم ، فليست الأولى بأحقّ[١] من الأُخرى » .

وحدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن، قال: حدثنا أبو بكر محمدُ بن بكر بن دَاسَة قال: حدّثنا أبو داود سليمانُ بن الأشعث ، قال: حدثنا عبد الله بن مَسْلمة القَعْنَبي[٢]، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن أبي المولى[٣] عن عبد الرحمن[٤] بن أَبي عُمَرَة الأَنصَاري عن أبي سَعيد الخُدْرِيّ[٤]؛ قال : سمعت[٥] رسولَ الله عليه وسلم ، يقول :

« لا يُقِيمَن أحدُكم أخاه من مَجْلسه ثم يجلس فيه » .

قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ من مجلسه ، من غير أن يُقيمه لم يجلسْ فيه .

ومن حديث أبي بَكَرة[٦] عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : مِثْله .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المجالسُ بالأَمَانَةِ ، وإنما يَتَجَالَسُ الرَّجُلان بأمانةِ الله — عزّ وجلّ — فإذا تفرّقا فليَسْتُر كُلٌّ منهما حديثَ صاحبه » .

وقال أبو البَخْتَري[٧]: كانوا يكرهون أن يقومَ الرجلُ للرّجل من مجلسه، ولكن ليُوَسِّعْ له .

---

(١) في ب : أحق .

(٢) في ب : العفبى، وهو خطأ ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى ، ثقة ، من أهل المدينة سكن البصرة ، يروى عن أبي سعيد ، ومالك من أنس ، وسليمان بن بلال ، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ . اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٧٥ .

(٣) ساقط في ا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) في ب : قال .

(٦) أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفى ، صحابى مشهور ، من أهل الطائف، وإنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبى صلى الله عليه وسلم . توفى بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٧٩٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائى بالولاء ، من فقهاء الكوفة . ثقة فى الحديث، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، فقتل سنة ٨٢ هـ. شذرات الذهب ١/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤/٧٢ .

ومن حديث سعيد المَقْبرى ، عن أبى هُريرة ، عن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « لا يُوَسَّعُ فِي المجَالِسَ إلاّ لثلاثةٍ : لذى عِلمٍ لِعِلْمه ، ولذى سِنٍ لِسِنّه ، أو لذى سُلْطَان لسُلطَانه » .

ومن حديث جابر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « المجَالِسُ بالأمانَةِ إلاّ ثَلاَثة : مجلسٌ سُفِكَ فيه دَمٌ حَرَامٌ ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه فَرْجٌ حرام[1] ، ومجلسٌ اسْتُحلّ فيه مالٌ حَرَام بغير حقّه » .

[2]ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظّى ، عن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« لِكلِّ شيءٍ شَرَفٌ ، وإنّ شَرَفَ المَجَالِسِ ، ما اسْتُقْبِل به القِبْلَة »[2] .

وروى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« إذا جلس إليك رجلٌ ، فلا تقومنّ حتى تستأذنَه » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « إذا قام الرّجلُ من مجلسه ، فهو أحقُّ به حتّى ينصرفَ إليه ، ما لم يودِّعُ[3] جُلَسَاءَهُ بالسَّلاَم » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « لا يُفَرِّقُ واحدٌ منكم بين اثنَين مُتَجَالِسَيْن إلاّ بإذْنِهما ، ولكنْ تَفَسَّحوا وأوْسِعُوا » .

وقال[3] أنسُ بنُ مالكٍ : ما أخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْه وسلَّم رُكْبَتَيْه

---

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما .　　(٢) ساقط من م.

(٣) ساقط من ب .

ولا قدَمَيه بين يَدَىْ جليسٍ له قطُّ ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتّى يكون هو الّذى يَدَعُها .

وقال ابن شهاب : كانَ رجل يجالسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لايزال يتناول عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الشىء ، وكأنّ ذلك آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا نزع أحدُكم عن أخيه شيئاً فلْيُره إيّاه » .

وحدث الحسن البصرىّ : أنّ رجلا تناول عن رأس عمرَ بنِ الخطّابِ شيئاً فتركه مرتين ، ثم تناول الثالثة ، فأخذ عمرُ بيده ، فقال : أرنى ما أخذتَ ؟ وإذا هو لم يأخذ شيئاً !! فقال : انظُروا إلى هذا ، قد صنع هذا ثلاثَ مراتٍ يُرِيِى أنّه يأخذُ من رأسى شيئاً ولا يأخذه ، فإذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيه شيئاً فلْيُرِه إيّاه .

قال الحسنُ : [1]نهاهم أميرُ المؤمنينَ عن المَلَق .

وقال الحسنُ[1] : لو أنّ إنساناً أخذ من رأسى شيئاً ، قلت : صَرَفَ الله عنك السّوء .

وكان محمّدُ بن سيرين : إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسِه شيئاً ، قال : لاعَدِمتَ نافعاً .

ورُوِى عن عُمر بن الخطّاب أنه قال : إذا أخذَ أحدٌ عنك شيئاً ، فقل : أخذتَ بيدك خيراً .

---

(١) ساقط من ب .

وقد روى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال لأبى أيّوب الأنصارىّ — وقد نزع عنه أذًى — : « نَزَعَ اللهُ عنك ما تكرَهُ يا أبا أيّوب » .

قال عمرُ بن الخطّاب : بحسبُ[1] المرءِ من العِىّ[2] أن يؤذى جليسَه بما لا يعنيه وأن يَجِدَ على النّاس فيما تأتيه[3] ،[4] وأن يَظهرَ له من النّاس ما يَخفَى عليه من نفسه .

وعن عمر رضى الله عنه قال : إن مما يُصَفّى ودادَ أخيك ، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيتَه ، وأن تدعوَهُ بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسِّعَ له فى المجلس[4] .

قال أبو أيّوب الأنصارىّ : من أراد أن يكثُرَ علمُه ، فليجالسْ غيرَ عشيرته .

روى سفيانُ بنُ عُيَيْنة ، عن مالك بن مِغْوَل ، قال : قال عيسى صلّى الله عليه وسلّم : جالسوا من تُذكّركُم باللهِ رؤيتُه ، ويزيدُ فى علمكم مَنْطقُه ، ويُرَغّبكُم فى الآخرة عملُه .

قال المدائنى : أوصى يحيى بنُ خالد ابنَه ، فقال : يا بُنَىّ إذا حدّثك جليسُك حديثًا ، فأَقبِل عليه وأَصْغِ إليه ، ولا تَقُل قد سمعتُه[5] وإن كنتَ أحفظَ له ، وكأنك لم تسمَعْه إلاّ منه ، فإنّ ذلك يكسِبُك المحبةَ والمَيْلَ إليك .

وعن عبد الملك بن عُمير ، قال : قال سعيد بن العاص[6] : لجليسى علىّ ثلاثُ خصال : إذا دَنَا رَحّبتُ به ، وإذا جلس وسّعتُ له ، وإذا حدث أقبلتُ عليه .

---

(١) فى ب : حسب . (٢) فى ب ، م : الغنى . والعى هنا : الجهل
(٣) فى عيون الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتى .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : سمعته . (٦) ب : العاصى .

وذكر ابن مِقْسَم(١) ، قال : سمعت المبرِّد يقول : الاستماعُ بالعين ، فإذا رأيتَ عين من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحْسن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخٌ فى الله فأكرمه فإنّما يُكرِم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لِصَديقٍ قصده(٢) ، وأنشد :

لَئِنْ قُمْتُ مَا فِى ذَاكَ مِنْهَا غَضَاضَةٌ ... عَلَيَّ وَإِنِّى لِلْكِرَامِ مُذَلَّلُ
عَلَى أَنَّهَا مِنِّى لِغَيْرِكَ هُجْنَةٌ(٣) ... وَلَكِنَّهَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ تَجَمُّلُ

ولغيره فى هذا المعنى :

إِذَا مَا تَبَدَّى لَنَا طَالِعًا ... حَلَلْنَا الْحُبَا(٤) وَابْتَدَرْنَا الْقِيَامَا
فَلَا تُنْكِرَنَّ قِيَامِى إِلَيْهِ ... فَإِنَّ الْكَرِيمَ يُجِلُّ الْكِرَامَا(٥)

ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم » .

قال ابنُ وهب(٦) : سمعتُ مالكاً يقول : إذا كان الرجلُ عند رجلٍ جالساً ،

---

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم العطار ، عالم بالعربية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفى سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/٢٠١ معجم الأدباء ٦/٤٩٦ .

(٢) ا ، ب : لنصر بن قصره .

(٣) الهجنة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود التزمت والوقار .

(٥) المحاسن والمساوئ للبيهقى ١/١١٢ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهداً ، مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٧١ ، الوفيات ١/٢٤٩ .

فجاءه[١] طالبَ حاجةٍ ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه[٢] .

قال عمرو بن العاص : لا أملُّ جليسي ما فهم عنّي ، وإنما المَلاَلُ لدناءة الرّجال .

قال الشَّعْبيّ في قومٍ ذَكَرَهم : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تنابُذًا[٣] في مجلس ، ولا أحسَنَ فهماً من مُحَدِّث .

روى الأصمعيُّ عن العَلاَء بن جَرِير عن أبيه ، قال : قال الأحنفُ بن قيس : لو جلس إليّ مائةٌ لأحببتُ أن ألتمسَ رضَى كلٍّ واحدٍ منهم .

وقال عبد الله بن عبّاس : أعزُّ الناس عليَّ جليسي الذي يتخطّى النّاسَ إليّ ، أَمَا والله إنّ الذُّباب يقعُ عليه[٥] فيشقّ عليّ .

قال كُشَاجِم[٤] :

وجليسٍ لي أخي ثِقَةٍ ... كأن حديثه خَبَرَه
يَسُرُّكَ حُسْنُ ظَاهِرِه ... وتَحْمَدُ منه مُخْتَصَرَه
ويَسْتُرُ عَيْبَ صَاحِبِهِ ... ويَسْتُرُ أَنَّه سَتَرَه

وقال آخر[٥] :

جليسٌ لِي لَهُ أَدَبُ ... رِعَايَةُ مِثْلِهِ تَجِبُ

---

(١) ا ، ب : فجاء   (٢) ساقط من ب .

(٣) معنى التنابذهنا تحيز كل فريق لرأيه، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة في البيان ٢/٣٧ .

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل غير ذلك . توفي كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٣/٣٧ ، الأعلام ٨/٤٣ ، وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٤/١٢٦ .

(٥) ساقط من ب .

لو انتقِدَتْ خَلاَئِقُهُ لِبُهْرِجَ[١] عندهَا الذَّهَبُ[٢]

وعن ابن عبّاس ، أنه قال : إنّى لأكره أن يطأَ الرجلُ بِسَاطِى ثلاثاً فلا يرى عليه أثَرى .

وعنه أيضا[٣] رضى الله عنه ، أنه سُئل : مَنْ أكرمُ الناسِ عليك ؟ قال : جليسى حتّى يفارقنى .

قال معاويةُ لعَرَابَةَ الأوْسى : بأىّ شىءٍ استحقَقْتَ أن يقول فيك الشَّمَّاخُ[٤] :

رأيتُ عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ

فقال عَرَابة : سَماعُ هذا من غيرى أولى بك وبى يا أميرَ المؤمنين ، فقال : عزمتُ عليك لتخبرَنّى . فقال : بإكرامى جليسى ، ومحاماتى على[٥] صديقى .

فقال معاوية : لقد استحققت[٦] .

قال علىٌّ بن الُحسَين : ما جلس إلىّ أحدٌ قط ، إلاّ عرفتُ له فضلَه حتى يقوم .

قال أبو عُبَادة[٧] : ما جلس رجل بين يدىّ ، إلا مُثّل لى أنى جالس بين يديه .

---

(١) ب : ليمرح . والبهرج : الباطل أو الردىء .

(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥/٥٠ .

(٣) ب : وعن ابن عباس .

(٤) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقه لبيد والنابغة ، توفى سنة ٢٢ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بعرابة وهو يسوق أبعرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتهزأ بى ؟ فقال : خذ عافاك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ١/٢٧٧ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨ ، وفيات الأعيان ٥/١١٦ .

(٥) ب : عن .

(٦) ب : استحقيت .

(٧) أبوعبادة : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عبادة الزرقى المدنى ، انظر ترجمه فى تهذيب التهذيب ٨/٢١٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبي حازم ، أنه قال : وطِّن نفسك على[1] الجليس السوء ، فإنه لايكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم

قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غيرَ حقّهما ، رجل وُسِّع له فى مجلس ضَيِّق فتربّع وتفتح[2] ، ورجلٌ أُهْدِيت إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً .

وقال مِسْعَرُ بنُ كِدَام : رحم الله من أهدى إلىّ عيوبى فى ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة فى الملأ تقريع .

[3]قال الأحنف : لأن أُدْعى من بُعْدٍ أحبّ إلىّ من أَن أُقْصى عن قُرْب .

وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ماجلست مجلساً قطّ، أُخاف أن أُقام منه لغيرى[3]

وقال البَعِيثُ بن حُرَيْث[4] :

وإنّ مكانى فى النَّدِيّ ومَجْلِسِى ... لَهُ الموضعُ الأقْصَى إذا لم أُقرَّبِ[5]
وَلستُ وإن قُرِّبْتُ يوماً ببَائِعٍ ... خَلَاقِى ولا دِينِى ابتغاءَ التّحَبُّبِ
وَيعتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً[6] ... وَيَمْنَعُنِى مِنْ ذَاكَ دِينِى ومَنْصِبِى

جلس رجل[7] إلى الحَسَن بنِ علىّ رضى الله عنه ، فقال : جلستَ إلينَا على حين قيام ، أفتأذن ؟!

---

(١) ب : عن . (٢) ب : وانتفخ . (٣) زيادة فى ب .

(٤) ب : المغيث بن حريب ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى المؤتلف والمختلف ٥٦ ، وانظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٢٧٦ ، حماسة أبى تمام ١/١٤٨ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٧٩ .

(٥) فى ا : وإن مكانى فى الثراء...الخ ، وفى عيون الأخبار : فإن مسيرى فى البلاد ومنزلى لبا لمنزل الأقصى ... الخ وفى العقد : هو لمنزل .

(٦) فى العقد : وقد عده قوم تجارة رابح . (٧) ب : رجال .

كان يقال : إيّاكَ وكلَّ جليسٍ لا تصيب منه خيرًا .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَل ، أنه قال : إيّاكَ وكلّ جليس لا يفيدُكَ علمًا .

(١) كان يقال : من سرّه أن يَعْظُمَ حِلْمُــه ، وينفعُه علمه(١) ، فليُقِلّ من مجالسته من كان بين ظَهْرَانِيه .

وقال الحسن البصريّ : انتقُوا الإخوانَ ، والأصحابَ ، والمَجَالِس .

وروى هشامُ بنُ عروة ، عن محمّد بن المُنْــكَدِر ، قال : كان يقال : خياركم ألينكم مناكب في الصلاة ، وركنًا في المجالس، الموطَّئُون أكْنَافًا، الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفُون.

تباعد كعبُ الأحبار يومًا في مجلس عمر بن الخطاب ، فأنــكر ذلك عليه ، فقال: يا أمير المؤمنين ! إنّ في حكمةِ لُقمان ووصيته لابنه : إذا جلستَ إلى ذى سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجل ، فلعلّه يأتيه مَنْ هو آثر عنده منك فينحّيك فيكون نقصًا عليك .

وكان يقال: الجليسُ الصّالح خيرٌ من الوحْدَة،والوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السُّوء .

(٢)وعن جعفر بن سليمان الضُّبَعِيّ ، قال: رأيتُ مع مالك بن دينار كلبًا ، فقلت له: ما هذا ؟ قال : هذا خيرٌ من الجليس السوء(٢) .

قال زِيَادٌ : إنه ليعجبنى من الرجال من إذا أتى مجلسًا أن يعرف أين يكون مجلسَه ، وإنى لآتى المجلسَ ، فأدعُ مالى مخافةَ أن أُدْفَع عمّا ليس لى .

وكان الأحنفُ إذا أتاه رجلٌ أوسع له ، فإن لم يكن له سَعَة أراه كأنّه يُوسع له .

---

(١) ساقط من ا .　(٢) ساقط من ب .

طرح أبو قِلاَبَةَ(١) لجليس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث : « لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شُبرمة(٢) لابنه : يا بنيّ ! إياك وطولَ المجالسة ، فإنّ الأُسْدَ إنما يُجترئ عليها من أدام النظر إليها .

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير(٣) لابنه : يا بنيّ لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ النّاس على السّباع ، أكثرهم لها مُعَاينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ ابنُ المعتزّ قوله(٤) :

رأيت حياةَ المرءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... فإنْ مَاتَ أَغْلَتْـهُ المَنَايـَا الطَّوَائِحُ

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوبَ الجديدَ ابتذالُه ... كذا تُخْلِقُ المَرْءَ العُيُونُ اللَّوَامِحُ

(٥)ومن سوءِ الأدب في المجالسة : أن تقطعَ على جليسك حديثَه ، أو تَبْدُرَه إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً ، تُتِمُّ له البيتَ الذي بدأ به ، تريه أنك أحفظُ له منه . فهذا غايةٌ في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعْه قط إلاّ منه(٥) .

قيل لدَاوُدَ الطَّائِيّ(٦) : لم تركتَ مجالسةَ النّاس ؟ قال : ما بَقِيَ إلاّ كبيرٌ يتحفّظُ عليك ، أو صغيرٌ لا يُوَقِّرُكَ .

---

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو ، أبو قلابة الجرمي ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤ ، شذرات الذهب ١/١٢٦ .

(٢) ابن شبرمة : عبدالله بن شبرمة الضبي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر المنصور ، وكان عفيفاً صارماً عاقلا جوادا ، ثقة قليل الحديث ، توفي سنة ١٤٤ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢١٥ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ .

(٣) ب : الأشتر .

(٤) ورد البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فابدل كما ، وانظرهما معا في التمثيل والمحاضرة ١٦٧ .

(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفي سنة ١٦٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٨/٣٤٧ ، وفيات الأعيان ١/١٧٧ .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى : لا تجالسْ عدوَّك ، فإنه يحفظُ عليك سقطاتِك ويُماريك في صَوَابك .

قالت الخنساء :

إنّ الجليسَ يقولُ القَوْلَ تَحْسَبُهُ خيراً وهَيْهَاتَ فانْظُرْ مابهِ[١] الْتَمَسا

كان يقال : رأسُ التّواضع ، الرّضا بالدُّون من المجلس . وهذا يُروى عن ابن مسعود أنّه قال : إنّ من التواضع أن تَرْضى بالدُّون من المجلس ، وأن تبدأ بالسّلام مَنْ لَقيت .

قال إبراهيمُ النَّخَعِيّ : إنّ الرجلَ ليجلِسُ مع القومِ فيتكلّمُ بالكلام ، يريدُ الله به ، فتصيبُه الرَّحْمَةَ فتعمُّ من حوله ،[٢]وإنّ الرجل يَجْلسُ مع القوم فيتكلّمُ بالكلام يُسْخطُ الله به ، فتصيبُه السَّخْطَةُ فتعمُّ مَن حوله[٢] .

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً في مجلسه ، فرفعَ رَأسَه إلى السّماء ثم طأطأه[٣] ثم رفعه فسُئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاءِ قومٌ كانوا يذكرون الله فنزلتْ عليهم السّكينة ، وغَشِيتهم الرّحْمَة ، وحفّتهم الملائكة كالقُبّة ، فلما دنت منهم تكلّم رجلٌ منهم[٥] بباطلٍ فرُفِعت عنهم ، ثم تلا :﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمئذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ[٤] ﴾ » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام[٥] ، أنه قال : « ما جلسَ قومٌ

---

(١) في ب : ماله ، ولم أعثر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .
(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

مجلساً يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون السُّنَن ، ويتعلمون العلمَ ويتدارسونه بينهم ، إلاّ حفّت بهم الملائكة ، ونزلتْ عليهم السّكينة ، وغشيتهم الرحمةُ ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده . فقيل له : يارسولَ الله ! الرّجلُ يجلسُ إليهم وليس منهم ، ولا شأنهُ شأنهم ، أتأخُذه الرحمةُ معهم ؟ قال : نعم ، هم القومُ لا يَشْقى جليسُهُم » .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ويقال إنها له :

إنْ صَحِبْنَا المُلوكَ تَاهُوا وَعَقُّوا ... واسْتَخَفُّوا كِبْرًا بِحَقِّ الجَلِيسِ

أَوْ صَحِبْنَا التِّجَارَ صِرْنَا إلَى البُؤْ ... سِ وعُدْنَا إلَى عِـدَادِ الفُلُوسِ

فَلَزِمْنَا البُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ العِلْـ ... ـمَ وَنَمْلَا بِهِ بُطُونَ الطُّرُوسِ[1]

كان يقال : ذَوُو المروءة والدّين ، إذا أحرزوا القوتَ لزموا البيوت . أُنشد أبو عبدالله بن الأعرابيّ — صاحب الغريب[2]— :

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونُون غيباً وَمَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا[3] مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَامَضَى ... وعَقْلاً وَتَأْدِيباً ورَأْياً مُسَدَّدَا

بلا فِتْنَةٍ تُخْشَى ولا سُوءِ عِشْرَةٍ ... ولا نَتَّقِي مِنْهُمْ لِسَاناً ولا يَدَا

فإن قلتَ أمواتٌ فلستَ بكاذبٍ ... وإن قلتَ أحياءٌ فَلستَ مُفَنَّدَا[4]

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابى مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

---

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات فى جامع البيان العلم ٢/٢٠٣ .

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى ، أبو عبد الله ، راوية علامة باللغة من أهل الكوفة، لم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٩ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ، تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) ويروى : يعيرونا .

(٤) جامع بيان العلم ٢/٢٠٢ ، معجم الأدباء ١٨/١٩٥ .

مع الأبيات فى آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولمحمد بن بشير فى هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ فى البيتِ مسروراً تحدِّثنى ... عَنْ عِلْمِ مَاغَابَ عَنِّى فِى الورَى الكُتُبُ
فَرْدًا تُخَبِّرُنى المَوْتَى وتَنْطِق[1] لِى ... فَلَيْسَ لِى فى أُنَاسٍ غَيْرَهُمْ أَرَبُ
لِلّهِ مِنْ جُلَسَاءٍ لاَ جَلِيسُهُمْ ... ولاَ خَلِيطُهُمُ للسُّوءِ مُرْتَقِبُ
لا بَادِرَاتُ الأَذَى يَخْشَى رَفِيقُهُمُ ... ولاَ يُلاَقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ[2]
أَبْقَوْا لنا حِكَماً تَبْقَى مَنَافِعُهَا ... أُخْرَى اللَّيَالِى على الأَيَّامِ وانْشَعَبُوا[3]
إن شئتَ من مُحْكَمِ الآثارِ يرفعُهَا ... إلى النَّبِىِّ ثِقَاتٌ خِيرَةٌ نُجُبُ
أو شِئْتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بأَوَّلِهِمْ ... فى الجاهِلِيَّةِ تُنْبِينِى بها العَرَبُ
أو شئْتَ من سِيرِ الأَمْلاكِ من عَجَمٍ ... تُنْبِى وتُخْبِرُ كيفَ الرَّأْىُ والأَدَبُ
حتّى كأَنِّى قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمُ ... وقَدْ مَضَتْ دُونَهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حِقَبُ
مَا مَاتَ قومٌ إِذَا أَبْقَوْا لنـا أدبًا ... وعِلْمَ دينٍ ولا بَانُوا ولا ذَهَبُوا[4]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « كفارةُ ما يكون فى المجلسِ من اللَّغط[5] أن تقول : سبحانَكَ اللّهُمّ وبحمدك ، لا إله إلاّ أنت ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك » .

وفى حديث آخر :

---

(١) ا : وتنظر .
(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة فى الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلاطته .
(٣) ب : والشعب ، وانشعب: تفرق وتبدد .
(٤) انظر الأبيات فى جامع بيان العلم ٢٠٣/٢ .
(٥) اللغط : الجلبة والصياح .

« كفّارة ما يكونُ فى المجلس ألاّ تقُومَ حتّى تقول : سُبحانك اللَّهُمّ وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرُك وأتوبُ إليك ، يارَبّ تُبْ علىّ واغفرْ لى ، فإن كان مجلسَ لَغْوٍ[١] كان كفّارته ، وإن كان مجلسَ ذكرٍ كان كالطّابع عليه » .

وقال حسّان بن عطيّة : ما من قوم كانوا فى مجلس لغوٍ ختموه بالاستغفار إلاّ كُتِب لهم مجلسُهم ذلك استغفاراً[٢] كله .

وروى عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن ، فى قول الله عز وجل : ﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِ ربِّكَ حِينَ تَقُومُ[٣] ﴾ ، منهم[٤] مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحي بن جَعْدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غُفر له ما كان منه[٥] فى المجلس .

وقال عطاء : إن كنتَ أحسنتَ ازددْتَ إحساناً ، وإن كان غيرُ ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقولُ حين تقومُ : سبحان الله وبحمده من كلّ مكانٍ ومن كلّ مجلس .

---

(١) « لغط » فى ب .
(٢) فى ا : استغفار
(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .
(٤) فى ب زعم .
(٥) ساقط من ب .

بابُ حَمْدِ اللّسَانِ وفَضْلِ البيان

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « إنّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من رضوان الله ما يظنّ أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله[1] له بها رضوانَه إلى يومِ القيامة حتّى يلقاه ...[2] » الحديث .

قال مُعَاذ : قلت يا رسول الله ! أيُّ الأعمال أفضل ؟

قال : « لا يزالُ لِسَانك رَطْباً من ذكر الله » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « أفضلُ الصَّدَقةِ صدقة اللسان ، تَدْفَعُ بها الكريهة ، وتَحْقِنُ بها الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند ذى سُلْطانٍ جائر » .

قال أبو عِنَبَة الخَوْلانى رحمه الله : رُبّ كلمةٍ خير من إعطاء المال . وقال أبانُ ابن سُلَيم : كلمة حكمة لك من أخيك ، خير لك من مالٍ يعطيك؛ لأنّ المال يُطغيك ، والكلمة تهديك .

قالوا : خير الكلام ما دلّ على هدًى ، أو نهى عن ردًى .

ذُكِرَ عند الأحنف بن قيس : الصمتُ والكلامُ ، فقال قومٌ : الصمتُ أفضل[3] فقال الأحنف : الكلام أفضل[3] لأن الصمتَ لا يعدو صاحبه ، والكلامُ ينتفعُ به من سمعه ، وهذا كرةُ الرّجال تلقيحٌ لعقولها .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) سترد بقية الحديث فى باب تال ص٧٩ ،وقد أخرج ابن ماجة نحوه مطولا فى سننه ص ١٣١٣ حديث ٣٩٦٩ - ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : « رحم اللهُ عبداً تكلّم بخيرٍ فغَنِمَ ، أو سكت فسَلِم » .

قال سَعِيدُ بنُ جُبَيْر : رأيتُ ابن عبّاس رضى الله عنه فى الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول : يا لسانُ قل خيراً تغنمْ ، أو اسكتْ تَسْلَم .

وقالوا : السُّكوت سلامة ، والكلامُ بالخير غنيمة ، ومن غنم أفضل ممن سلَم .

قال أعرابيّ : من فضل اللّسان ، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائِر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمتُ نومٌ والنُّطق يقظة .

قال خالدُ بنُ صَفْوان : ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة مُمَثَّلَة ، أو بهيمة مرْسَلَة[١] ، أو ضَالّةٌ مهملة .

كان يقال : الألْسُن خَدَمُ القَرائِح .

قال ربيعةُ الرأى[٢] : السّاكِت بين النائم والأخرس .

قالوا : إنما المرءُ بأصْغَرَيه : لسانِه وقلبِه .

كان يقال : اللسانُ تُرجمان الفُؤاد ، واللسَانُ حيّةُ الفم .

كان يقال : يجد البليغُ من ألم السّكوت ما يجد العيىُّ من ألم الكلام .

وقالوا : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه .

---

(١) فى ب : مهملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التيميين ، كان من أجود الناس رأيا وعلما ومنطقا ولهذا لقب ربيعة الرأى ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣/٢٥٨ ، الوفيات ١/١٨٣ ، تاريخ بغداد ٨/٤٢٠ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانى وسَيْفِى صَارِمَان كِلاَهُما   وَيَبْلغُ مالا يَبْلُغُ السَّيفُ مِذْوَدِى(١)

وقال جرير :

ولَيْسَ لِسَيْفِى فى العِظَامِ بَقِيَّةٌ   ولاالسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيا(٢)

وقال الخليل بن أحمد :

أىُّ شىءٍ من اللّبَاسِ عَلَى ذِى السَّـــرْوِ أَبْهَى من اللَّسَانِ البَهِىِّ(٣)

قال ابن سيرين : لا شىء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان ، ولا شىء أزين على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وكَائِنْ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ(٤) لَكَ مُعْجَبٍ   زيادُته أو نقصُهُ فى التَّـكَلُّمِ
لسانُ الفَتَى نصفٌ ، ونصفٌ فُؤَادُه   فلم يبقَ إلاّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ(٥)

---

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت فى ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطرة الأولى فى ب : لسانى وسيفى صارمان كلاهما أيضاً ، وأحسب أنه تكرير من الناسخ لشطرة البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروءة فى شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى سترد بعد فى عيون الأخبار ١/١٠٠ ، جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

(٤) فى ا : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين فى البيان ١/١٨١ إلى الأعور الشنى ، ونسبا فى هامش التحقيق أنهما لزهير فى معلقته ، ولكنى لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معلقة زهير فى شرح ديوانه لثعلب ط دار الكتب ١٩٤٤ وفيه أصح روايات المعلقة . نعم وجدتهما منسوبين له فى جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفى المعلقات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفى ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطى على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخطفى جد جرير ، وفى حماسة البحترى ورد البيتان مرتين نسبهما فى الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجعفرى مع ورود الشطر الأول هكذا : وكائن فتى من معجب لك حسنه ، ونسبهما فى الثانية ص ٣٦٧ إلى زهير ، وفى فصل المقال ٢٨٤ تردد فى نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعى ، وبين الأعور الشنى .

قال أبو العتاهية[١]:

ولِلناسِ خوضٌ فى الكلامِ وألْسُنٌ   وأقْرَبُها من كلّ خيرٍ صَدُوقُهَا[٢]

وروى ابنُ عمر قال: قدم رجلان من المشرق خطبا،فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا». فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر[٣] من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن، وقد أوضحنا هذا فى كتاب التمهيد، والحمد لله.

وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال: هذا — والله — السحرُ الحلال.

وقال علىّ بن العبّاس الرومى:

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلاَلُ لَوَ أنَّه   لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتحَرِّزِ[٤]

فى أبيات قد ذكرتها فى موضعها من هذا الكتاب.

وقال الحسن: الرجال ثلاثة، رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

وكان يقال: فى اللسان عشر خصال: أداةٌ يظهرُها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل به القضاء، وناطقٌ يردّ به الجواب، وشافعٌ تقضى به الحاجات، وواصفٌ تعرف به الأشياء، وواعظٌ ينهى به عن القبيح، ومُعَزٍّ تسكنُ

---

(١) ديوانه ١٢٢.   (٢) ساقط من ب.

(٣) ب: الأكثرون.

(٤) المتحرز: المتوقى والمتحصن، وانظر البيت فى ديوانه ٤٠٩، الأمالى ١/ ٨٤، نهاية الأرب ٢/ ٧١.

به الأحزان ، وملاطفُ تذهب به الضغينة ، وموثقٌ يُلهى الأسماع .

ونظر معاوية إلى ابن عبّاس رضى الله عنهما ، فأتبعه بصره ثم قال متمثلا :

إذا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ مُصِيبٍ وَلَمْ يَثْنِ اللسَانَ[1] عَلَى هُجْرِ
يُصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتحى وَيَنْظُرُ فِى أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ[2]

ولحسان بن ثابت فى ابن عبّاس :

إذا قال لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ بِمُنطَلَقَاتٍ لا تَرَى بَيْنَها فَصْلاَ
شَفَى وكَفَى مَا فِى النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ لِذِى إِرْبَةٍ فِى القَوْلِ جِدًّا ولا هَزْلاَ[3]

فى أبيات قد ذكرتها فى باب ابن عباس من كتاب « الصحابة » .

كان يقال : الجمالُ فى اللسان .

قيل لأعرابى : ما الجمالُ ؟ قال : طولُ الجسم ، وضخَمُ الهَامَة ، ورُحْبُ الشِّدْقِ ، وبُعْدُ الصَّوْت .

قال حبيبُ :

لِسَانُ المَرْءِ مِنْ خَدَمِ الفُؤَادِ[4]

---

(١) ا : الرجال

(٢) فى العقد ٢/٢٧٠ : « ولم يقف ... لعيى » مكان لقائل مصيب ، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٨ . والهجر : القبيح من الكلام .

(٣) ديوانه ٧٤ ، العقد الفريد ٢/٦٦٧ ، عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٦ ، وفيها : بملتقطات . والملتقطات : المتخيرات .

(٤) عجز بيت لحبيب بن أوس الطائى أبى تمام وصدره : وبما كانت الحكماء قالت : ديوانه ٨٠ .

وقال آخرُ :

والقَوْلُ يَنفُذُ مَالاَ تَنفُذ الإِبَرُ[(١)]

[(٣)]قال امرؤُ القيس[(٢)] :

وجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرحِ اليَدِ[(٣)]

قال ابن أبى حازم :

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَـةِ السِّنَانِ   لِذِى الحِجا وَخْزَةُ اللِّسَانِ[(٤)]

---

(١) عجزبيت للأخطل ، وصدره :* حتى أقروا وهم منى على مضض * ديوانه ١/١٠٥ ، البيان ١/١٥٨ ، ١٧٠ ، العقد ٢/٤٤٥ .

(٢) عجزبيت وصدره :*ولو عن نثا غيره جاءنى* والنثا :الحديث المنتشر،وانظر ديوانه ١٨٥ العقدالفريد ٢/٤٤٥ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٨٤ وفيه : وخزة السنان .

باب ذَمّ[1] العِيّ وحَشْو الكَلَام

قال أبو هُريرة : لا خيرَ في فُضُول الكلام .

وقال عَطَاء : كانوا يكرهون فضولَ الكلام .

وقال : بتَرْكِ الفُضُول تكمُلُ العُقول .

[2]وقال : فضول الكلام ما ليس في دين ولا دُنيا مباحاً[2] .

وقال : الصَّمْت صِيَانَةُ اللِّسان ، وسترُ العيّ .

وقالوا : العيّ الناطق أعْيَا من العي الساكت .

وقالوا : أحسنُ الكلام ما كان قليلُه يُغنيكَ عن كثيرِه ، وما ظهر معناهُ في لفظه .

وروى[1] عن عبدالله بن عُمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدَعَوَاتٍ . فقال : اللّهم اهْدِنا وعافنا وارْزُقنا . فقال له رجلٌ . لو زِدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعوذُ باللهِ من الإسهاب .

وقال شُقَيْق بن مَاتِع[3] : [4] من كثر كلامه كثرت خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بَنِيَّ إذا دخلتم على السلطان فأقلّوا الكلام .

قال ابن هُبَيْرة : مامن شيء إلاّ وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً ، إلاّ فضولُ الكلام .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من م .

(٣) ا : سبعى بن ناصح ، ب : شقى بن مانع ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/٣٦٠ .

(٤) من هنا وتنقص نسخة ب نقصاً كبيراً ، إذ سقط منها بقية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوْجز فى كلامه ، واقتصر على فصاحته ، فإن الله يكرهُ كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب[1] فقال :

خيرُ الكَلاَمِ قَليلٌ عَلَى كَثيرٍ دَليلُ
والعِيُّ مَعْنىً قَصيرٌ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ

وقال أبو العتاهية[2] :

الصَّمْتُ أَلْيَقُ بالفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
لاَ خَيْرَ فِي حَشْوِ الكَلاَ مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إلى عُيُونِهِ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدْ لِحَذْفِ فُضولِ الكَلاَمِ إِذَا مَا نَأَيْتَ وعِنْدَ التَّدَانِي
ولاَ تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الكَلاَمِ الْـ قَليلُ الحُرُوفِ الكَثِيرُ المَعَانِي

قال بعضُ قضاة عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لِمَ عزلتنى ؟ قال : بلغنى أنّ كلامَك مع الخَصْمين أكثرُ من كلام الخَصْمين .

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب، المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والى خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعراً أديباً ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢/٢٢٩ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيتين فى معجم الأدباء ٢/٢٢٨ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ١/٢٢٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفى حماسة البحترى ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثانى قبل الأول وهما :

لاتكثرن حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت احسن بالفتى من منطق فى غير حينه

وتسبهما لصالح بن عبد القدوس .

تكلّم ربيعةُ الرأى يوماً فأكثر الكلام ، فأعجبته نفسُه ، وإلى جنبه أعرابىّ فقال له : يا أعرابى ! ما تعدّون البلاغة فقال : قلة الكلام . قال : ما تعدون العىّ فيكم ؟ فقال : ما كنتَ فيهِ منذ اليوم .

وأنشد الخُشَنى(١) — رحمه الله — :

وما العِىُّ إلاَّ مَنْطِقٌ مُتَتَابِعٌ سَوَاءٌ عَلَيْهِ حَقُّ أَمْرٍ وبَاطِلُهْ(٢)

قالت العرب : لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق .

قال النَّمرُ بنُ تَوْلِبٍ(٣) :

أَعِذْنِىَ رَبِّ مِنْ حَصْرٍ وَعِىٍّ ومِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُهَا عِلاَجَا
ومِنْ حَاجَاتِ نَفْسِىَ فاعْصِمَنِّى فإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا(٤)

وقال آخر :

عَجِبْتُ لإِدْلاَلِ العَيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتِ الَّذى قَدْ كَانَ بالحَقِّ أَعْلَمَا
وَفِى الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيِّ وإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ المَرءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا(٥)

---

(١) الخشنى : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلا متجولا فى طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بغية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزنى ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر مخضرم ، يسمى الكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١٠٥ ، اللباب ٣/٢٣٨

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتان فى البيان ١/٢٢٦ ، مجموعة المعانى ١٦٩ إلى حذيفة الحطفى جد جرير ، وفى العقد الفريد ٢/٢٦٦ إلى الحسن بن جعفر ونسبا فى حماسة البحترى ٣٦٧ إلى مالك بن سلمة العبسى ، ووردا فى عيون الأخبار ٢/١٧٥ ، معجم الأدباء ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزراء العى بدلا من إدلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلاّ(١)] إذا ثنيته قَصُر إلاّ الكلام ، فإنك كلّما ثنيتَه طال .

قالوا : أعْيا العِيِّ بلاغة بعيّ ، وأقبحُ اللَّحْنِ لحنٌ بإعراب .

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول : كثرةُ الكلام لاتوجد إلاّ فى النّساء والضعفاء .

ذمّ أعرابىّ رجلا ، فقال : هو من يتَامَى المجالس ، أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نفسه .

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

بابٌ فى اجتناب اللّحن ، وتعلُّم الإعراب وذمّ الغريب فى الخطاب

كتب عمرُ إلى أبى موسى : أمّا بعد ، فتفقّهوا فى السُّنّةِ ، وتعلَّموا العربية

ورُوى عنه رحمه الله أنه قال : رحم اللهُ امرأً أصلح من لسانه .

وقال علىّ بنُ محمّد العَلَوىّ[1] :

رأيتُ لِسانَ المَرْءِ رائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوانَهُ فانْظُرْ بِماذا تُعَنْوِنُ

وَلاَ تَعْدُ إِصْلاَحَ اللّسَانِ فإنّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ

ويُعْجِبُنِى زِىُّ الفَتَى وجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَىَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ

كان عبدالله بن عمر يضربُ ولده على اللّحن .

قال شعْبة : مثل الذى يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البُرْنسِ لا رأس له .

قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه لحنًا — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أَوَدَهُ ، ويَزِين بها مَشْهَدَه ، ويَفُلَّ بها حُجج خصمه بمسكتات حُكمه ، ويملك مجلسَ سلطانه بظاهر بيانه . أَوَ يَسُرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدَّهْرَ أسيرَ كلمته ، قاتل الله الذى يقول :

---

(١) كذا وردت نسبته فى الأصل . والصحيح أنه على بن محمد بن العبرتانى نسبة إلى قرية عبرتا من نواحى النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والبسامى، توفى سنة ٣٠٢هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢/٦٣ ، اللباب ١/١٢١ ، وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٥/١٥١ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣/١٣٨ وفيها : وافد عقله مكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الفُــؤَادِ لِسَانَهُ ... إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الفَمِ(١)
وكَائِنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّــكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد :

لاَ يكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ ... لاَّ وَلاَ ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الغَبِيِّ
لا يكونُ الألَدُّ ذو المَقْوَلِ المُرْ ... هَفِ عِنْدَ القِيَاسِ مِثْلَ العَيِيِّ
أيُّ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى ذِي السَّــرْوِ أَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ البَهِيِّ
يَنْظِمُ الحجةَ السَّنِيَّةَ فِي السِّلْ ... كِ مِنَ القَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الهَدِيِّ
وتَرَى اللَّحْنَ بالحَسِيبِ أَخِي الهَيْ ... أَةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى المَشْرَفِيِّ
فاطْلُبِ النَّحْوَ للحِجَاجِ وللشِّعْ ... رِ مُقِيماً والمُسْنَدِ المَرْوِيِّ
والخِطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْ ... قَوْلِ تُزْهَى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ
وارْفُضِ القَوْلَ مِنْ طَغَامٍ جَفَوْا عَنْ ... هُ فَقَادُوا بَعْضَهُ للنَّسِيِّ(٢)
قِيمَةُ المَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ المَرْ ... ءُ قَضَاءً مِنَ الإمَامِ عَلِيِّ

قال ثعلب : سمعت محمدَ بنَ سلاَّمٍ يقول : ما أحدث الناسُ مروءةً أفضل من طلب النّحو .

قال عبدالله بن المبُارَك ، اللحنُ فى الكلام أقبحُ من آثار الجِدْرِىّ فى الوجه

---

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى ٣٦٧ وحده برواية أخرى هى :

وإن لسان المرء مفتاح قلبه ... إذا هو أبدى ما يجن من الفم

وقد نسبه لصالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التطيق السابق على البيتين بعده فى ص ٥٦ .

(٢) الألد : الخصم الذى لايحيد عن خصومته أورأيه ، والهدى : العروس . والطغام : الأوغاد أو الحمق وانظر الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

وقال عبد الملك : اللحنُ هَجنة بالشريف .

قال ابن شُبرمة : إذا سرّك أن تَعْظُمَ في عين من كنتَ في عينه صغيراً ، ويصغر في عينك من كان فيها كبيرًا فتعلّم العربية ، فإنها تُجَرِّيك[1] وتدنيك من السّلطان.

قال الشاعر :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

والنَّحْوُ مِثْلُ المِلْحِ إنْ أَلْقَيْتَهُ ... فِي كلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ

وإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ[2]

رأى أبو الأسود الدُّؤَلِي أعدالا[3] للتجار مكتوبًا عليها : لأبو فلان !! فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون .

قال رجل للحسن البصريّ : يا أبو سعيد ! فقال : كَسْبُ الدَّوانيق شَغَلَكَ أن تقول : يا أبا سعيد .

مر خالدُ بنُ صَفْوَانٍ بقوم من الموالى يتكلّمون في العربية ، فقال : لئن تكلمتم فيها لأنتم أولُ من أفسدها .

وقالوا : العربيةُ تزيدُ في المُرُوءة .

وقالوا : من أحبّ أن يجد في نفسه الكِبْرَ فليتعلم النحو .

---

(١) في عيون الأخبار٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضا في المصون لأبي أحمد العسكري ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات في الكامل ١ /٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهراني ، وورد البيت الثالث في جامع بيان العلم١ /٥٨ منسوبا إلى أبي حاطب من غير تعيين ، وانظرها في عيون الأخبار ١ /١٧٥، معجم الأدباء : ١/٢٦٧ ، والبيتين الأول والثالث في التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) العدل: نصف حمل الدابة .

وقال أبو شِمْر[١] : قارئ النحو إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله ، والمقت من الناس .

وقال الخليلُ يوماً : لا يصلُ أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه ، إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار إذًا ما لا يُحتاجُ إليه يُحتَاجُ إليه .

وروى عنه فى هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يَحْتَاجُ إليه إلا بما لا يُحتاجُ إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يَحْتَاجُ إليه .

وروى أن هذه القصة ، عَرَضَتْ للخليل مع أبى الُهذَيْل[٢] وروى أنها عرضت لأبى عُبَيْدَةَ مع النّظَّام[٣] ، والذى تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى .

وقال المأمونى[٤] :

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ ... وأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فى الصَّيْدِ

إنَّ ذَوِى النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ ... مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ

يضربُ عبدُ الله زَيْدًا وَمَا ... يُرِيدُ عبدُ اللهِ من زَيْدِ

(١) الضبعى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/٣٦٦ ، وفيات الأعيان ١/٤٨٠ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٦/٩٧ ، اللباب ٣/٢٣٠ .

(٤) عبد السلام بن الحسين المأمونى ، شاعر رقيق يتصل نسبه بالمأمون العباسى ، توفى سنة ٣٨٣ هـ ، انظر فوات الوفيات ١/٢٧٣ ، يتيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٨٢ منسوبة إلى بعض الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت يا حماد فى الصيد ... أرانباً تؤخذ بالأيدى

كتب غسّانُ بن رفيع — المعروف بدَمَاذ[1] — إلى أبي عثمان النحوى المازنى :

تَفكَّرْتُ فى النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْـتُ وَأَتعبْتُ نفسِى [به] وَالبَدَنْ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ[2] ذَا فَطِنْ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْهِ العَفَاءُ لِلْفَاءِ يا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتَهُ[3] مِنَ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُعِنْ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَالُ : لَسْتُ بِآتِيكَ أَوْ تَأْتِيَنْ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هٰذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بِإِضْمَارِ أَنْ

وروينا عن أبى حاتم السِّجستانى رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر[4] :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ وَبِهِ فى كلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى مَرَّ فى الْمَنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاه كلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ ما فَعَلَ الإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعْ

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا فى بقية الأصول كما ورد فى عيون الأخبار ، والصحيح أنه يدعى رفيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالى القالى ٢/١٨٦ ، العقد الفريد ٢/٤٨٩ .

(٢) فى ا : بظاهره .

(٣) فى ب : إلى جنبه ، وكذلك فى عيون الأخبار والعقد الفريد .

(٤) قائلها الكسائى ، انظر ترجمته والأبيات فى معجم الأدباء ١٣/١٩١ .

يَخْفِضُ الصَّوْتَ إذَا يَقْرَؤُهُ   وَهْوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيما اتُّبِعْ
وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ عِلْماً بِهِ   إنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فى الْحَرْفِ رَجَعْ
نَاظِراً فِيهِ وفى إعرابِهِ   فإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ
أَهُما فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ   لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كالْبِدَعْ
وَكَذَاكَ الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ فَخُذْ   مِنْهُ مَا شِئْتَ وَمَا شِئْتَ فَدَعْ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر فى النحو ، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قد كانَ أَخْذُهُمُ فى النَّحْوِ يُعْجِبُنِى   حَتَّى تَعَاطَوْا كلامَ الزِّنْجِ وَالرُّومِ
لَمَّا سَمِعْتُ كلاماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ   كأنَّهُ زَجَلُ الغِرْبَانِ وَالْبُومِ
تَرَكْتُ نَحْوَهُم وَاللهُ يَعْصِمِنِى   مِنَ التَّقَحُّمِ فى تِلْكَ الْجَرَاثِيمِ [(١)]

وقال عَمَّارُ الْكَلْبِيّ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ   قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هٰذَا الَّذِى ابْتَدَعوا
إنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْراً يَكُونُ لَهَا   مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ فَهٰذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ   وَذَاكَ نَصْبٌ وَهٰذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ فَاجْتَهَدُوا   وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمُ   وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بالإيجَازِ تَنْقَطِعُ

---

(١) البيتان الأول والثانى فى معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثانى فيه : بفعل نفعل لاطاب من كلم .

مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا ... مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غُذُوا ... بِمَا غُذِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَتَّسِعُ
فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفُوهُ بِهِ ... كَأَنَّنِي وَهُمُ فِي قَوْلِهِ شَرَعُ[1]
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى الإِعْرَابِ قَدْ طُبِعُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَا مُعَايَنَةً ... وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
إِنِّي رُبِيتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا ... نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ
وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخِنْزِيرُ تُرْبَتَهَا ... لَكِنْ بِهَا الرِّيمُ وَالرِّئْبَالُ وَالضُّبُعُ[2]

وقال أبو هفان[3] :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى ... وَأَنْ تَلْبَسَ قُوهِيَّا[4]
وَأَنْ تُصْبِحَ ذَا مَالٍ ... فَكُنْ عِلْجًا نَبِيطِيَّا[5]
وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى ... وَأَنْ تُصْبِحَ مَقْلِيَّا
فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَخْمٍ ... وَكُنْ مَعْ ذَاكَ نَحْوِيَّا

---

(١) شرع : سواء .
(٢) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١١/ ٢٢٨ ، أوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .
(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمى، كان شاعراً عالما راوية، من أهل البصرة ، وسكن بغداد. قال السيوطى فى بغية الرواة ، كان مقترا ضيق الحال ، يلبس مالا يكاد يستر جسده . توفى سنة ٢٥٧ هـ. انظر اللباب ٣/١٩٤ ، تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٠ .
(٤) القوهى : الثوب الأبيض.
(٥) العلج : الرجل من كفار العجم ، والنبيط والنبط والأنباط : جيل من الفرس ، كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين كانوا يستنبطون المياه الجوفية لاستعمالها فى الزراعة .

بابُ اختِلافِ عِبارَتِهِمْ عَن البلاغة

قال المُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في غير عجز ، والإطناب في غير خَطَل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في استحكام الحجج ، والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالدُ بن صَفْوان لرجل كثر كلامه : إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بخِفَّة اللسان ، ولا كثرة الهَذَيَان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالّة .

وقيل لِبِشْر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقرُّب من المعنى ، والتباعدُ عن حَشْو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفَصْل من الوصل ، وفرق ما بين المُشْتَرك والمُفرَد وفصلُ ما بين المقيّد والمُطْلَق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الرّوم : ما البلاغة ؟ قال: حسنُ الاقتصاد عند البديهة ،والغزارةُ يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبَصَرُ بالحجة ، وانتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبي سفيان صُحَارًا العبدىّ ؟ ما البلاغة عندكم ؟ ، قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطئ . فقال معاوية . وكذلك تقول ؟! قال : أقلني يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطئ ولا تبطئ .

وقد روى مثل هذا المعنى للحَجّاج مع ابن القَبَعْثَرَى . فالله أعلم .

وقالوا : أبلغُ النّاس أحسنُهم بديهة ، وأمثلُهم لفظاً .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظَرُفَتْ معَانيه ، وشَرُفَتْ مبَانيه ، والتذَّت به آذان سامعيه .

بابُ مَنْ خَطَبَ فأُرْتِجَ[1] عليه

قال الحرّ بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابْنه : وإياك والخُطَب فإنّها مِشْوَارٌ كثير العِثَار .

صعد عثمان بن عفّان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أُرْتِج عليه ، فقال: أمّا بعد ، فإنَّ أولَ كُلِّ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أب[2] حيٌّ لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفّان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه . فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال .

وروى فى هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أنّ عثمان لمّا بويع ، قام فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم أُرتج عليه، فقال : وَلِينا كم وعَدَلْنا فيكم ، وعدلُنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم، فإن أعِشْ يأتكم الكلام على وجْهه .

وروى أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأُرتج عليه ، فقال : يأهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع[3] ، ثم نزل .

وأُرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحنُ إلى الفضل فى الرأى ،أحوجَ منا إلى الفضل فى المنطق .

---

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من ا ، ب .

(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو العالى الصوت ،أو الذى لايرتج عليه فى كلامه .

وأرتج على معن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب بيده ثم قال : فتى حرب لا فتى منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فَحُصر ، فشقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : أيّها الأمير ! إنك إن أقمتَ عامّةَ من ترى أصابهم أكثر مما أصابك .

صعد عليّ بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أُرتج على خالد بن عبدالله القَسْرىّ على منبر الكوفة ، فقال: إن هذا الكلام يجىء أحيانًا وَيعزُبُ أحيانا ، ويَسْهُل عند مجيئه ، ويَعْسُر عند عُزوبه طلبه ، وربما طُلب[1] فأَبى ، وكُوبِر فعصى[2] ، فالتأنّى لمجيئه أيسَر من التعاطى لأبيّه وهو يخلج[3] من الجرىء جنانه ، وينقطع من الذّرِب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتّسع[4] ، ولا يكسره النطق إذا امتنع ، وسأعود فأَقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زيادٌ للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال الحمد لله ، أُرتج عليه ، فقال : قد والله هممتُ ألاّ أحضر اليوم ، فقالت لى امرأتى : نشدتك الله إن تركت الجمعةَ وفَضْلَها ، فأطعتها ، فوقفتُ هذا الموقف ، فاشهدوا أنها طالق . فقالوا له : انزل قبحك الله . وأُنزل إنزالا عنيفًا . وقد قيل : إن هذه القصة لوازع اليشكرى ، وفى ذلك قال الشاعر :

وما ضَرَّنِى أَلاَّ أَقومَ بِخُطْبَةٍ ... ومَا رَغْبَتِى فِى مِثْلِ مَا قَالَ وَازِعُ[5]

---

(١) فى ا : طلبه ، وما أثبتناه موافق لما فى عيون الأخبار ٢٥٧/١ .

(٢) فى العيون : فعسا ، ومعناها : عسر وشق .

(٣) فى عيون الأخبار ٢٥٧/١ : وقد يختلط .

(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يبطره ذلك ولايكسره .

(٥) البيان والتبيين ٢٨٠/٢ ، وفيه : ومارغبتى فى ذا الذى قال وازع .

وذكر القَهْرَمِيّ عن أبيه قال : قام القُلاَخُ بن حَزْنٍ[1] يوم عيد خطيباً ، فقال : الحمد لله الذى خلق السّموات والأرض فى ستّة أشهر . فقيل له : إنّما خلقها فى ستة أيام فقال : أقيلونى ، فوالله لقد ظننتُ أنّى أقللتُ ، وكنت أريدُ أن أقول فى ستّ سنين .

صعد رَوْحُ بنُ حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعَهم وشقّوا أبصارهم ، قال : نكّسوا رُءوسَكم ، وغُضّوا أبصارَكم ، فإنّ أول كلّ مركب صعب ، وإذا يسّر الله فتح قفل يُسِّر .

خطب مُصْعَبُ بن حَيّان خطبة نكاحٍ فحُصر ، فقال : لقّنُوا موتاكم شهادةَ ألاّ إلهَ إلا الله ، فقالت أمّ الجارية : عجلّ اللهُ موتك ، ألهذا دعوناك ؟!

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعدْ المنبر فتكلم ، فقام . فلّما صعد المنبر حُصر ، فقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء . وبقى ساكتاً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناسِ بوجهه ، وقعت عَيْنُه على رجلٍ أصلع وحُصر ، فقال : اللّهم العن هذه الصّلعة .

صعد عتّابُ بنُ ورقاء منبر أصبهان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبخلاء ، ادخلوا سوقَ الغنم فمن أخذ شاة فهى له وثمنها علىّ . وقد روى أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة ، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذى قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبَالة وجهه شيخ أصلع

---

(١) فى الأصل القلاح ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السعدى أبو خراش ، من شعراء بنى أمية . انظر مشتبه النسبة للذهبى ٢/٥١٣ .

فقال : أمَّا بعدُ يا أصلع ، فوالله ما غلَّطنى غيرُك ، علىَّ به ، فأُتى به فضربه أسواطًا .

وصعد آخر المنبر فقال : إن الله لا يرضى لعباده المعاصى ، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقةً لا تساوى مائتين وخمسين درهما ، فسمّى مُقَوِّم الناقة .

وهذا هو عبدالله بن أبى ثور عامل ابن الزبير على المدينة .

ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال: ثم عزَل ابنُ الزّبير عبيدة بنَ الزبير ، واستعمل عبدَ الله بن أبى ثَوْرٍ حليف بنى عبد مناف ، فلقَّبه أهلُ المدينة مُقوّم ناقة الله ، وغلتِ الأسعارُ فتشاءَمُوا به ، فعَزَله ابن الزبير .

صعد أعرابىٌّ المنبر فقال : أقولُ لكم ما قال العبد الصّالح : ﴿مَا أُريكم إلاّ مَا أَرَى وما أَهْدِيكم إلاَّ سَبيلَ الرَّشادِ﴾[1] ، فقالوا له : هذا فرعونُ . فقال : قد والله أحْسَنَ القول .

قال بُزُرْجُمِهْر : هيبةُ الزَّلل تورث حَصْرًا ، وهيبةُ العاقبة تورث جُبْنًا .

---

(١) سورة غافر الآية ٢٩ .

بابُ حَمْدِ الصَّمْت وذَمِّ المنطِق

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .

ورُوينا عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ، أنه قال : يا رسول الله ! فيم النّجاة ؟ فقال : « يا عقبة ! أمسك عليك لسانَك ، ولْيَسَعْكَ بيتُك ، وابكِ على خطيئتِك » .

وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقل خيراً أو ليَصْمُت » .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ : « ويلٌ لمن يحدِّثُ الناسَ فيكذِبُ ليضحكَهُم ، ويلٌ له ، ثم ويلٌ له » .

وعن عيسى عليه السلام ، أنه قال : لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بغير ذكر الله فتَفْتِنوا قلوبكم .

وبَلَغَنا أنَّ داودَ عليه السلام لَقِي لقمانَ بعد ما كَبِرَتْ سنُّه ، فقال : ما بقى من عقلك ؟ فقال : لا أنطقُ فيما لا يعنيني ، ولا أتكلَّفُ ما كُفيته .

وقال ابن مسعود : أنذركم فضولَ الكلام .

وعن ابن مسعود وسَلْمَانَ الفارسْى ، قالا : أكثرُ النّاس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى الباطل .

وعن عَطاء : فضولُ الكلام ما عدا تلاوةَ القرآن ، والقولَ بالسنة عند الحاجة ، والأمرَ بالمعروف ، والنهىَ عن المنكر ، وأن تَنْطق فى أمر لا بدَّ لك منه فى معيشتك ،

أَمَا يَسْتحيي أحدُكم أن لو نُشِرَتْ عليه صحيفتُه التي أملاها صَدْر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دُنياه ، ثم تلا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ(١) ﴾ و ﴿ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد(٢) ﴾ .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البرُّ ثلاثةٌ : المنطقُ والنظرُ والصَّمت ، فمن كان منطقُه في غير ذكر فقد لغَا ، ومن كان نظرُه في غير اعتبارٍ فقد سَهَا ، ومن كان صمتُه في غير تفكّر فقد لَهاَ » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ مِمَّنْ لَيسَ يَدْرِي ... مَا هَوَانٌ مِنْ كَرَامَهْ
إِنَّ لِلنُّصْحِ وَلِلْغِشِّ ... عَلَى العَيْنِ عَلَامَهْ
لَيْسَ يَخْفَى الحُبُّ والبُغْـ ... ـضُ وإِنْ رُمْتَ اكْتِتَامَهْ
لَيْسَ فِي أَخْذِكَ بالفَضْـ ... ـلِ وبالحِلْمِ نَدَامَهْ
وجَوَاب الجَاهِلِ الصَّمْـ ... ـتُ وفِي الصَّمْتِ سَلَامَهْ

وعن الأصمعيّ قال ، قال أعرابيّ : السّكوتُ صيانةٌ للّسان وسترٌ للعيّ .

وقال أعرابيّ في رجل رماه بالعِيّ : رأيت عثراتِ النّاس في أرجلهم ، وعثرةَ فلان بين فكّيه .

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة ق : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن الرَّجل ليتكلّمُ بالكلمة من سُخْطِ الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سُخْطه إلى يوم القيامة[١] » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إن الله يكرهُ لكم قيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال » .

وذكر الأصمعيّ قال ، قال أعرابيٌّ : الكلمة أسيرةٌ في وَثاقِ الرَّجل ، فإذا تكلّم بها كان أسيراً في وَثاقِها .

قيل لبكرِ بنِ عبدالله المُزَنِيّ : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إنّ لساني سبعٌ ، إن تركتُه أكلني .

وأنشد الخُشَنيّ :

لِسَانُ الفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ ... فإنْ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهوَ آكِلُهْ[٢]

وقال الراجز :

القَوْلُ لاَ تَمْلِكُهُ إذَا نَمَا ... كالسَّهْمِ لاَ يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَا

وقال آخر :

فدَاوَيْتُهُ بالحِلْمِ والمَرْءُ قَادِرٌ ... عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ[٣]

قال هُبَيرة بن أبي وَهْب :

---

(١) راجع أول الحديث في ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزني ، كما في لباب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شذاته بدل مراقب ، والشذاة الجرأة والحدة ، ويزع : يكف . والغرب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ٣/١٩٧ بغير نسبة ، وقد نسبت في حماسة البحتري ٢٨٢ لمعن بن أوس المزني ، ووردت الشطرة الأولى فيه : فبادرت منه النأى والمرء قادر . ويقال فلان يرأب الثأى أى يصلح الفساد ، وانظره في العقد الفريد ٢/٢٧٦ .

وإنَّ مَقالَ المرْءِ في غيرِ كُنْهِهِ ... لكالنَّبلِ تهْوِي لَيْسَ فيها نِصالُها[1]

قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجا ... مَنْ قَالَ بالخَيْرِ غَنِمْ[2]

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردِّ ما لم أَقُلْ ، أقدر مني على ردّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحبّ إليّ من أن أندم على ماقلت ، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، فاذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعْه .

قال طَرَفَةُ بن العبد :

وإنَّ لِسانَ المرْءِ ما لَمْ تكُنْ لَهُ ... حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَليلُ[3]

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ السُّكوت فإنْ لم يكُن ... مِنَ القَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهْ

فرُبَّمَا فَارَقَتْ بالّذي ... تقولُ أَمَاكِنَهَا الأَلْسِنَهْ

وقال آخر :

أَيُّهَا المَرْءُ لاَ تَقُولَنَّ قَوْلاً ... لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ

واخْزِنِ القَوْلَ؛إنّ في الصَّمْتِ حُكْما ... وإذَا أَنْتَ قُلتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

---

(١) البيان ٣/١٩٧ ، الأمالي ١/٧٢ ، حماسة البحترى ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١/١٣٩ .

(٣) ديوانه٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة المعانى ٧٠ ، حماسة أبي تمام ٢/٧٤ ، والحصاة : الرأى والعقل .

وإذا النَّاسُ أكْثَرُوا فى حديثٍ ليْسَ مِمَّا يَزِينُهُمْ فَالْهُ عَنْهُ(١)

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلَاحِ(٢) :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بالفتَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ
والقولُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

قال ابن مِقْسَم ، سمعت جَحْظة يقول : سمعت المأمونَ يقول : السَّخَافَة كَثْرةُ الـكلام ، وصُحْبة الأنذال .

أنشد ابن المبارك(٣) أخًا له كان يصحبه :

واغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللّـ ـهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحَا
وإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ البَا طِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحَا
إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْ قِ وإِنْ كُنْتَ بِالكَلاَمِ فَصِيحَا

وقال أبو العتاهية(٤) :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الدَّهْرِ ذُخْرًا تَنِيلُهُ وَشَرُّ كَلَامِ القَائِلِينَ فُضُولُهُ
عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَاتَرَى وبِالصَّمْتِ إلاّ عَنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ

---

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والتبيين ١/٢٧٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلى من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ،مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغانى ١٣/١١٥ ، خزانة الأدب ٢/٢٣،وانظر البيتين فى البيان ١/٢٠، وفيه : أحسن بالفتى ، لباب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس توفى سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢٩٥ ، تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية الشطر الأول فيه : ألا إن أبقى الذخر خير تنيله .

وله :

وحَسْبُكَ مِمَّنْ إنْ نَوَى الخَيْرَ قَالَهُ ... وإنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبْهُ فِعلهُ(١)

كان يقال : العافيةُ عشرةُ أجزاء ، تسعةٌ منها فى الصمت ، وجزء فى الهرب من النّاس .

كان يقال: من طَوَّل صَمْتَه، اجْتَلَب من الهيبةِ ما ينفعه، ومن الوَحْشة مالاَ يَضرّه .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن من شِرَارِ النَّاسِ الذين يُكْرَمُون اتّقاءَ ألسنتهم » .

وقال الشاعر :

صَمتُّ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا ... وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أُبْقِ للصُّلْحِ مَوْضِعا(٢)

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إذَا سَأَلُوا وإنْ ... قَالُوا : عَـيِيٌّ أَو جَبَانُ

فالعِيُّ لَيْسَ بِقَاتِلٍ ... وَلرُبَّمَا قَتَلَ اللِّسَانُ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امْرُؤُ القَيْس(٣) :

إذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ... فلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ٥/١٣٣ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ صَمْتَكَ أَلْفَ عَامٍ لَأَصْلَحُ مِنْ كَلَامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكْ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابُهُ لِذَوِى الْعُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال : ها إنّ ذا[1] أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشُّؤم فى اللّسان، ووالله ما على وجه الأرض شىء أحقّ بطول سجن من اللّسان .

أخذه الشاعر[2] فقال :

وَمَا شَىْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

كان يقال : اللّسانُ سَبع عقور .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثاً مُغِيرَا[3]

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «وهل يَكُبُّ النَّاسَ فى النَّار على وجوههم إلاّ حصائدُ ألسنتهم » .

قال الله عزّ وجل : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[4]﴾ ، وقال :

---

(١) ب : هذا .

(٢) هو الحسين بن محمد التجيبى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .

(٣) عيون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .

(٤) سورة ق آية : ١٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ ، كِرَامًا كاتبين ، يَعْلَمُونَ ما تفْعَلُونَ ﴾[1] .

ورُوِى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنَّه قال : « إن الله عند لسانِ كلِّ قائل ، فلينظر كلُّ امرئ ما يقول » .

قال عمَّار الكلبي :

وَقُلِ الحقَّ وَإلاَّ فَاصْمُتَنْ ... إنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمْ

إنَّ طُولَ الصَّمْتِ زَيْنٌ لِلْفَتَى ... مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عِيٌّ وَبَكَمْ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم اللهُ امرءاً أمسك فَضْلَ لسانه ، وبذل فضل ماله ، وعلم أن كلامه مُحْصِيٌّ عليه » .

قال الأَصْبَحِىُّ : منْ كثُر كلامُه كثرت خطاياه .

وقال أبو الدَّرْدَاء : مِنْ فقهِ الرَّجُلِ قلَّةُ كلامه فيما لا يَعْنيه .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصُّحُفُ من عندنا ، لأقللنا الكلام .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلاَ تَلمِ ... مَنْ أَقْعَدَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِلَمْ يَقُمِ

حَصَرٌ[2] يُقَصِّرُ بِي عَن كلِّ مَرْتَبَةٍ ... وَمَا تُقَصِّرُ عَن نَيْلٍ لهَا هِمَمِى

إنْ عَابَنِي عَائِبٌ بِالصَّمتِ قُلتُ لَهُ ... حَبْسُ الْفَتَى نُطْقَهُ خَيرٌ مِنَ النَّدَمِ

وقال مَعْقِرُ بنُ حِمَارٍ البارقى :

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) الحصر بالتحريك : العى فى المنطق .

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعرِضه وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ(١)

وقال آخر :

وَالقَوْلُ يَنفُذُ مَالاَ تَنفُذُ الإِبَرُ(٢)

لما خرج يُونُسُ عليه السلام من بطن الحوت ، أطال الصمت ، فقيل له : ألا تتكلم ؟ فقال : الكلامُ صيَّرنى فى بطن الْحوت .

قال عمرُ بن عبد العزيز : المحظوظُ التَّقِيّ يلجم لسانه ، أخَذه الحسن بن هانىء فقال :

إنَّمَا العَاقِلُ مَن أَلْ جَمَ فَاهُ بِلِجَامْ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمتِ خَيرٌ لَكَ مِن دَاءِ الكَلامْ(٣)

سئل عمرُ بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلةِ عثمان ، فقال : تلك دماء كفّ الله عنها يدى ، فأنا أكره أن أغمِسَ فيها لسانى .

وقال يزيدُ بنُ أبى حُبَيْب : المتكلم ينتظرُ اللعنة ، والْمُتَصَنِّتُ ينتظر الرحمة .

ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خُلق دَنِىّ ، ولسان بَذِىّ .

وقالوا : البَذَاء من النفاق .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكاً يقول : لا خير فى كثرة الكَلَام ، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبداً يتكلمون، لا يصمتون .

(١) الحيوان ٣/٦١،ونسب فى معجم الشعراء ٤١١ ، الأغانى ١٠/١٦٧ إلى المتوكل الليثى .

(٢) نصف بيت للأخطل ، وقد سبق فى ص ٥٩ .

(٣) ديوانه ١٩٤ ، البيان ٢/٧٩ ، ٢/١٩٩،لباب الآداب ٢٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثانى فيها جميعا ، وانظر وفيات الأعيان ٢/١٢٩ ، ١٣٠ ، مجموعة المعانى ٧٠ .

وقال الحسنُ : لسانُ العاقل من وراءِ قلبه ، فإذا أراد أن يتكلَّمَ فكَّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلبُ الجاهلِ من وراء لسانه .

قال نصر بن أحمد[1] :

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ ... وَكُلُّ امْرِىءٍ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحٍ أَبْوَابَ شَرٍّ لِنَفْسِهِ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ ... فَذَاكَ لِسَانٌ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلَّمًا ... فَدَبِّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جَنَاح[2] :

أَقْلِلْ كلامكَ وَاسْتَعِذْ من شَرِّهِ ... إِنَّ الْبَلَاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غَيِّهِ ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكِّلْ فُؤَادَكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ ... إِنَّ الْكَلَامَ عَلَيْكُمَا مَوْزُونُ
فَزِنَاهُ وَلْيَكُ مُحْكَمًا فِي قِلَّةٍ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

---

(١) نصر بن أحمد الخبز أرزى البصرى، شاعر غزل ظريف ، كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة فى دكان، وينشد فيه أشعاره فى الغزل ، مات سنة ٣٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣ /٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٥/١٨ ، الأعلام ٨/٣٣٧ ، وانظر الأبيات من قصيدة طويلة فى تاريخ بغداد : ٢٩٧/١٣ ، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١/١٣٨ .

(٢) اللخمى ، شاعر دمشقى من الحكماء ، أدرك التابعين ، انظر الأعلام ٣/٢٧٤ ولم يذكر فيه شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته ، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر ذكر فى لباب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هامش ص ٢٨ أنه يحتمل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ، وأنه أخفى نفسه بهذا الاسم فى بعض الأوقات خوف الطلب ، وساق على ذلك دليلا حريا بالتقدير ، فليرجع إليه ، وانظر البيت الأول فى جامع بيان العلم ١/١٣٧ منسوبا إلى عبد الله بن طاهر .

قال اللَّاحقي[١] :

اخفِضِ الصَّوْتَ إنْ نَطَقْتَ بِلَيلٍ ... وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلَامِ

قال آخر :

أَرَى الصَّمتَ خَيْرًا مِنْ كلامٍ بِمأْثَمٍ ... فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمْ وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلِ

وَلَا تَكُ فِى حَقِّ الإِخَاءِ مُفَرِّطًا ... وإنْ أَنْتَ أَبْغَضْتَ البَغِيضَ فَأَجْمِلِ

وَلَا تَعْجَلَنْ يَوْمًا بِشَرٍّ تُرِيدُهُ ... وَإِذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بِالْخَيْرِ فَاعْجَلِ

أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ ... وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ[٢]

وقال آخر :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ ... إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ[٣]

وقال الحكماء : إذا تمَّ العقل نقَص الكلَام ، فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق عَلَى العقل هُجنة[٤] .

وقال عمرو بن العاص : زَلّة الرِّجْل عظم يُجْبَر ، وزَلّة اللسان لا تبقى ولا تذر .

وقال أعرابى :

عَثَرَاتُ اللِّسَانِ لاَ تُسْتَقَالُ ... وَبِأَيْدِى الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

---

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشى ، شاعر مكثر من أهل البصرة ، اتصل بالبرامكة وخص بمدحهم ، ونظم لهم كليلة ودمنة شعرا ، انظر خزانة الأدب ٣/٤٥٨ ، الأعلام ١/٢٠ ، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٤١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول فى حماسة البحترى ٣٦٤ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير فيها أيضا ٢٥٠ منسوبا إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآدب ٣٢٦ . (٤) الهجنة : العيب والنقص .

فَاجْعَلِ العَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالاً فَشِرَادُ اللِّسَانِ دَاءٌ عُضَالُ
إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبْقٍ عَلَى العِرْ ضِ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ

وقال غيره :

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجْلُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ (١)
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهلِ (٢)

وقال منصور الفقيه :

وَاخْرَسْ إِذَا خَفِيَتْ أُمُو رُ الحَقِّ عَنْكَ عَنِ الإِجَابَهْ
فَأَقَلُّ مَا يُجْزَى الْفَتَى بِسُكُوتِهِ عِزُّ المَهَابَهْ

وقال محمود الوراق :

وَلَفْظُكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعٍ وَلاَ تَكْذِبْ مُقَدِّمَةٌ لِفَعْلِكْ (٣)
فَزِنْهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزْنًا وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نُبْلِكْ

وقال آخر :

وَمن لَّا يَمْلِكُ الشَّفَتَيْنِ يَسْخُو بِسُوءِ اللَّفْظِ من قِيلٍ وَقَالِ

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٨٠ غير منسوبين ، ونسبهما فى العقد الفريد ٢/٤٧٣ إلى جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانظرهما فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢ من غير نسبة .

(٣) ا : فتغذيه لعقلك ، ب : فتعدمه لعقلك .

كَان يُونُس بنُ عبدالأعلى ينشدُ هذه الأبيات :

قَدْ أَفْلَحَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ　　كلاَمُ واعِى الكَلاَمِ قُوتُ
مَا كلُّ قَوْلٍ لهُ جَوَابٌ　　جَوَابُ ما تَكْرَهُ السكُوتُ
يَا عَجَبًا لِامْرِئٍ ظَلُومٍ　　مُسْتَيْقِنٍ أَنَّه يَمُوتُ(١)

(١) نسبت هذه الأبيات فى الأغانى ٣/ ١٧٠ إلى محمد بن أبى العتاهية، وهى أيضا فى ديوان والده ص١٤، وانظرها فى عيون الأخبار ١/ ١٧٩ ، لباب الآداب ٢٧٦ .

بابٌ مِن مُزْدَوَجِ الكَلام

الزوجةُ أحد الكاسِبَيْن ، وقيل إصلاح المال أحد الكاسبَيْن .

قلةُ العِيال أحدُ اليَسارَيْن .

القلمُ أحدُ اللِّسانَيْن .

الشيْبُ أحدُ المَوْتَيْنِ (١) .

اليأسُ أَحدُ النُّجْحَيْنِ . ويقال : تعجيلُ اليأس (٢) أَحد الظَّفَرَيْنِ .

حُسْنُ التَّقدير أَحدُ الكَسْبَيْنِ .

اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ (٣) .

كثرةُ العِيَالِ أَحَدُ الفقْرَيْنِ .

المالُ أَحدُ الجاهَيْنِ (٤) .

(٥) الدُّعاءُ للسَّائِلِ أَحدُ العطاءَيْنِ (٥) ، وقيل : الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصَّدَقتَيْن .

العجيزةُ (٦) أحد الوَجْهَيْنِ (٦) . وقيل : الشَّعْر أَحَدُ الوَجْهَيْنِ .

---

(١) فى ب : الميتتين .
(٢) فى ب : البأس .
(٣) فى ب : اللحمين .
(٤) فى ب : الجهالتين.
(٥) ساقط من ا .
(٦) ساقط من ا .

الشَّحم إحدَى الحُسْنَيَيْنِ .

البياضُ أحدُ الجمالَيْنِ .

المَرَقُ أَحدُ اللَّحْمَيْنِ .

مَلْكُ المعجِين أحدُ الرَّيْعَيْنِ(١) . قال عمرُ بن الخطاب : املكوا العَجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعين .

المبلِّغُ أحدُ الشَّاتِمَيْنِ .

السَّامعُ للغِيبة أحدُ المُغْتابَيْنِ .

الرَّاوِية للهِجاء أحدُ الهَجَّائَيْنِ .

فصلٌ منه (٢)

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه : « حافظ على العَصْرَين » .

والعصران : الصبح والظهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى البَرْدَيْن دخل الجنة » .

البَرْدَان : الغداة والعشى .

وقال بعضهم : الأَبْرَدَان : الغَدَاة والعشىّ .

الأَيْهَمان : السّيل والحريق .

(١) الريع : فضل كل شيء وزيادته ، والملك والإملاك : إحكام العجن وإجادته ، والمراد بالريعين زيادة الدقيق عند الطحن على كيل الحنطة ؛ وعند الخبز على الدقيق.

(٢) ساقط من ب .

الأحْمَرَان : الذَّهب والزَّعفران .

الأسْوَدان : التّمرُ والمـاء .

الأطيبان : الأكلُ والجماع .

الأجْوَفان : الفمُ والفرج .

الأصْغران : القلبُ واللسان .

الأكبران : الهِمَّةُ واللُّب .

الأصْمَعَان : الفَهْمُ الذكى والرأىُ الحازم .

الجديدان : اللَّيل والنَّهار ، وكذلك المَلَوَان ، وكذلك العَصْران ، قال حُمَيْدُ ابن ثَوْر الهلالى[1] :

وَلَنْ يَلْبَثَ العَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيلَةً ... إِذا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا[2]

وقال أبو بكر[3] بن دريد :

إنَّ الجَدِيدَيْنِ إذَا مَا استَوْلَيَا ... عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَى

[4] وقال سليمان بن بطّال[5] :

وتَقَلُّبُ المَلَوَيْنِ بَينَهُمَا الرَّدَى ... إنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا يَجِيءُ بِهِ فَذَا

(١) ساقط من ا .
(٢) ديوانه ٨ : الأمالى ١/١٣٨ ، ٢/٨٧ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولايلبث .
(٣) فى ب : محمد ، وهو على أى حال أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، من أئمة اللغة والأدب كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ترجمته فى معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .
(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدراً كبيراً ، إلى جزء كبير من باب الأدب التالى .
(٥) البطليوسى ، فقيه مقدم ، وشاعر محسن الشعر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٠٦ .

العمران : أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — هذا قول الأكثر .

كما قالوا : المكّتان : مكّةُ والمدينة .

والقمران : الشَّمسُ والقَمر .

قال الفَرزدق :

أَخَذْنَا بآفاقِ السَّماء عَليْكُمَا لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ[1]

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة فى قول قيس بن زُهير .

جَزَانى الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سُوءٍ وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَهْ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابنى محمد بن وهب من بنى عبس بن بغيض ، وقال أبو عبيدة: الزهدمان : زَهْدَمٌ وَكرْدَم.

قال أبو عُمر : الحجة فى هذا قول الله عزّ وجلّ : « ولِأَبَوَيْهِ »[2] ، فالأبوان الأب والأم .

وقد قال قتادة : العُمَران : عمرُ بنُ الخطاب ، وعمرُ بن عبد العزيز . والأول أشهر وأكثر .

---

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمالى ١/٨٤ .

(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة[1]

لما أمر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يومَ بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط[2] ، فقال له : من للصِّبية يا محمد ؟ قال : النَّار .

قال الأعمشُ : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاص قال لعَدِيّ بن حاتم : متى فقئت عينك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طُعنت فى استك وأنت مولٍّ يوم صفين .

شهد أعرابىّ بشهادة عند معاوية[3] على شىء ، فقال : كذبت. فقال : الكاذب والله مزمل فى ثيابك . فتبسم معاوية[3] وقال : هذا جزاء من عجل .

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر ، فقال له معاوية[4] : أما إنى قد ارتبت فيك فى جودة وصف الشراب ، فقال : وأنا قد ارتبت بك فى معرفته .

قال تميم بن نصر بن سَيَّار لأعرابى : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أمَا من طعامك وشرابك فلا .

قال عبد الملك بن مروان لبثينة : ما رجا منك جميل ؟ قالت : ما رجت منك الأمَّةُ حين ملكتك أمرها .

---

(١) هذا الباب كله زيادة فى م ، ولم يرد فى النسختين ا ، ب .

(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنية أبيه « أبومعيط » ، كان شديد الأذى للرسول وللمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسر يوم بدر ، وأمر الرسول بقتله ثم صلب، الأعلام ٥/٢٦.

(٣) ساقط من م ، والتكملة من الأجوبة المسكتة لابن أبى عون مخطوطة رقم٨ أدب — معهد المخطوطات .

(٤) هذا خطأ ، فالمعروف أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ ، وابن الرقاع ولد نحو سنة ٩٠ هـ ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرقاع والوليد بن عبد الملك ، وهو الخليفة الذى كان يقرب الشاعر ويعجب به .

وفى عيون الأخبار ٢/٢٦٧. أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابى صف الخمر. فلما وصفها قال له : ويحك يا أعرابى ، لقد اتهمك عندى حسن صفتك لها ، فقال: يا أميرالمؤمنين ! واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها . وفى الأغانى ٦/١٢٧ : دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد ... الخ .

قيل لبعضهم : صحبت الأميرَ فلانا إلى اليمن ، فما ولاّك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابى : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السِّلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة الملمس ، ضئيلة الظل .

دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور : كبرت سنُّك يا معن ؟ قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك مع ذلك لجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هى لك يا أمير المؤمنين .

دخل عدىّ بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله : يا عدىّ متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ، وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهدىّ لجرير بن زَيْد : يا جرير ! إنى لأُعِدُّك لأمر . قال جرير : إن الله قد أعدَّ لك منّى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السَّماك له : ما أحسن كلَامك إلا أنك تردده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه[1] .

قال الحسنُ لابن سيرين : تعبرُ الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين : وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

---

(١) فى الأجوبة المسكتة أنها قالت له : فإلى أن يفهمه العيى يكون قد ثقل على سمع الذكى .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النومُ . فقال : بل أهلكتم اليقظة .

مرت أمَة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليُضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقمت مقام الخِزى . فقال : بل من مقام الخزى فررت .

قال رجلٌ لعمرو بن العاص : لأتفرغَنَّ لك . فقال : حينئذ تقع فى الشغل .

لقى الحسن الفرزدق فى حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفخار . قال : إذا استوحش فى الطريق .

قيل للأَصمعى : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذى أريده لا يواتينى ، والذى يواتينى لا أريده ، أنا كالِمسنّ أشحذ ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذى يواتينى لا أريده ، والذى أريده لا يواتينى .

قال ابن مناذر :

لَا تَقُلْ شِعْراً وَلَا تَهْمُمْ بِهِ   وإذا ما قلتَ شِعْرًا فأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس . قال : وما تنكرُ أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بنى عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقده أيأسنى من المصائب بعده[1] .

---

(١) فى الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقده أمننى المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيتموه كريم الجدّين ، ضحوكاً إذا أقبل ، كسوباً إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة فى مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبى طالب : ما أبين الشبق فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم يا بنى عبد شمس أبين(١) .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ » « ...وَمن لا يتّق الشَّتْمَ يُشْتَمِ(٢) »

قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم . فقال ابن عباس : وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم(١) .

قال معاوية لعقيل بن أبى طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : فى النار ، مفترشاً عمتك حمّالة الحطب . وكانت أم جميل امرأة أبى لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضى : يا شريك ! آية فى الكتاب ليس لك ولا لقومك

---

(١) فى عيون الأخبار أن الخبرين كانا بين معاوية وابن عباس، وفى العقد وردا موافقين لما هنا .
(٢) هذا البيت ملفق من بيتين من معلقة زهير ، وهما :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لايكرم نفسه لايكرم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لايتق الشتم يشتم

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(١) ، فقال : آية أخرى ليس لى ولا لقومى فيها شيء . قال : وما هى ؟ قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾(٢) .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَيْرا(٣) : أيسرك أن تخرا الغالية(٤) ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلى فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك ، وتعمل لسانك فى قومك .

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قريش يشرب الخمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر . فقال : لا أومن به حتى يبرئ الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة فى زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيراً أم شراً ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا شرًّا منك . قال : لكنى والله ما رأيت بعدكم شرا منكم ، والله يا أهل الكوفة ، إن حبكم لصلف ، وإن بغضكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص : أى رجل أنت لو كانت أمك من عز

---

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل ، وقد ورد اسمه فى الوزراء والكتاب : أبو الحرث جمير ، وأورد نادرة أخرى له فى ص ٢٤٢ ، وسماه فى عيون الأخبار مرة حمير ٢/٢٣٥ ، ومرة جميز ٣/٢٢٩ ، ولكنى لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش ؟ قال عمرو : أحمد الله إليك ، لقد عرضتُ قبائل العرب على نفسى أيّهم أعنى من أيهم تكون أمّى فى طول ليلتين ، فما خطرت عبد القيس على بالى .

جُعل لرجل ألفُ درهم عَلَى أن يسأل عمرو بن العاص ، وهو على المنبر ، عن أمه، فسأله . فقال : هى سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بنى عنزة ، ثم أحد بنى جِلاَّن(١) ، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهُ بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبدالله بن جُدْعَان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت وأنجبت . فإن كان لك جُعل فخذه .

فاخر رجل من ولد أبى البَخْتَرِىِّ بن هِشَاَم(٢) رجلا من ولد الزبير ، فقال : أنا ابن عقير الملائكة . قال ابن الزبير : فنعم العاقر وبئس المعقور . فقال : أنا ابن شداد البطحاء . قال : شدها أبوك بسلحه ، وشدها أبى برمحه .

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من على ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم ، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رجل ، فاستوص به خيراً .

ظفر الحجاج بأَصحاب ابن الأشعث ، فجلس يضرب أعناقهم ، فأُتى فى آخرهم برجل من تميم ، فقال له : يا حجاج ! لئن كنا أسأنا فى الدنيا(٣) ، فما أحسنت فى العقوبة . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجِيَف ، ما كان فيهم من يحسن هذا ؟ وأمر بتخلية سبيل من بقى .

---

(١) فى الأصل : من بنى عزة ثم أحد بنى حلاب ، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٥/٢ ، واللباب ١/٢٦١.

(٢) اسمه العاص أو العاصى بن هشام بن الحارث بن عبد العزى، أبو البخترى ، لم يعرف عنه أنه آذى النبى بل صحبه فى بدء الدعوة ، ولكنه حضر بدر مع المشركين ، ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتله ولكنه قتل ، انظر خبر مقتله فى التاج ٣/٣٣ ، وسيرة ابن هشام ٢/٥٠ (الأعلام ٤/١١) .

(٣) كذا بالأصل ، والصحيح أنها الذنب لا الدنيا ، كما يقتضيها المقام ، وكما ورد فى كثير من المراجع .

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبدالله بن عمر : أساءتْك ولايتنا أم سرتك ؟ قال : ساءتنى لك ، وسرتنى للمسلمين .

عاتب أعرابى أباه فقال : إن عظيم حقك على ، لا يُذهب صغيرحقى عليك ، والذى تمتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنّا سواء ، ولكن لا يحل لك الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَبت ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كَأَنك أردت أن يقال : يوم البغلة كما قيل يوم الجمل ؟! قالت : رحمك الله ، ذاك يوم نُسى . قال : لا يوم أذكَر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبى سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى نقول : إنك تقبل ، وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى نقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال : أتقدم إذا كان التقدم غُنما ، وأتأخر إذا كان التأَخر عزماً .

سأَل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبدالله بن صَفْوَان ضرسه ، فأَتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال : وجع الضرس . فقال : أما علمتَ ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه الكسر . قال : إنما يطيع إبليسَ أولياؤه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا آلمنى وزكاماً أضرّبى . فقال : أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسُد على شىء من الأمراض

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :

أيَحْسُدُني إبليسُ دَاءَيْنِ أصْبَحَا بجِسْمِي جميعاً دُمَّلاً . وزُكاماً
فليتَهُمَا كانَا بهِ وأَزِيدُهُ رَخَاوَةَ فَحْلٍ ما يُطيقُ قِيَاماَ[١]

قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعْوَنة العامريّ من أهل الشام : ألا تحمدون الله بأنا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟! قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو متهم ؟ فقال : والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة .

عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل معه سيف رديء ، فقال له : ويحك ما هذا السيف ؟! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها مأمورة[٢] . قال : هذا مما لا يقطع شيئاً .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الريق سبَّحت في بطنه ، فقال ابن سيرين : لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أُكِل أن يصلي الوتر والتراويح .

قيل لابن السَّمَّاك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي[٣] .

---

(١) البيتان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الراغب ٢٠٦/١.

(٢) اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار حين أراد كل منهم الأخذ بزمام ناقته وإنزاله عنده ؛ فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا : يسمر مظلوم ولا ينتصف ظالم ولا يشفى ، وفيها اضطراب ظاهر ، وقد أثبتنا ما ورد في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون .

قال معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحمق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا[١] ﴾ أما كان جمع الشمل خيرًا لهم ؟ فقال اليمانى : قومك أحمق منهم ، حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٢] ﴾ ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هـذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشى : ما يجب على المؤمن فى حق الله ؟ قال : التعظيمُ له والشكرُ لنعَمِهِ ، قال : فما يجب عليه فى حق السلطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما يجب عليه فى حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد فى العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما يجب عليه فى حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه فى حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعونة .

قال بعض الجِلّةِ لأعرابى من بنى تميم يمازحه : يا أعرابىّ ! من الذى يقول :

تميمٌ ببطنِ اللُّؤْمِ أهْدَى من القَطاَ ... ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المكارِمِ ضَلَّت[٣]

فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذى يقول :

أَعَضّ اللهُ من يَهْجُو تميمًا ... ومن يَرْوِى لها أبداً هِجَاءَا
ببطنِ عَجُوزَةٍ وبإستِ أُخْرَى ... وأَدْخَلَ رَأْسَهُ من حَيْثُ جَاءَا

دخل طفيلىّ دار قوم بغير إذن ، فاشتدّ عليه صاحبُ الدار فى القول ، فأغلظ له الطفيلى فى الجواب ، وقال له : والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٣٢ .
(٣) أمالى القالى ٢/١١٧ ، وفيه: بطرق اللؤم. بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .

قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعرى ! أفكانت أمك أتت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبى أتاها ، ونزل فى بنى دارم .

قال المُثَقّبُ العَبْدِيّ :

وكلْمةِ حاسدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... سمعتُ فقلتُ مُرِّى فانْفِذِينِى[1]
وعَابُوهَا عَلَىَّ ولَمْ تَعِبْنِى ... ولم يَعْرَقْ لهَا يوماً جَبِينِى
وما مِنْ شِيَمَتِى شَتْمُ ابن عَمِّى ... ولا أنا مخلفٌ مَنْ يَرْتجِينِى
وذُو الوَجْهَين يَلْقَانِى طَلِيقاً ... وليسَ إذا تغيَّبَ يأتَلِينِى
بَصُرْت بعيبِهِ فكَفَفْتُ عَنْهُ ... محافظةً عَلَى حَسَبِى وَدِينِى

قال رجلٌ من بنى عِجْل لأبى الرَّوْحاَء الشاعر ، بهمذان : ممن الرجل ؟ قال : من العجم . قال العجلى : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من العرب ، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامى :

وإذا الفَاحِشُ لاَقَى فاحِشاً ... فَبِهذَا وَافَقَ الشَّنُّ الطبَقْ
إنما الفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ ... كغُرَابِ البَيْنِ ماَ شاَءَ نَعَقْ

---

(١) انفذينى : أى جاوزينى .

أَوْ حِمَارِ السُّوءِ إِنْ أَمْسَكْتَهُ   رمحَ الناسَ وإِنْ جاعَ نَهَقْ
أَو غُلاَمِ السُّوءِ إِنْ جَوَّعْتَه   سَرَقَ الجَارَ وإِنْ يَشْبَعْ[1] فَسَقْ

قال رجل لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! فقال له شريح : هل ضرك ذلك ؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها فى نفسك .

قيل لمزيد — وهو يحمل شيئا تحت إبطه — : يا مزيد ! ما هـذا الذى تحت حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إنى قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابى : أتهمز[2] الفارة ؟ قال : إنما يهمزها السنور .

قال حمزة للكسائى : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلنى .

سأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدى المأمون ، فقال : ما سنك ؟ قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم تَعُدَّ ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم أتى عليك؟ قال : لو أتى على شىء لأهلـكنى . فضحك المأمون . فقيل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من عمرك

لقى رجل رجلا راكبا ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلى .

وهب المفضل الضبى لبعض جيرانه أضحية ، فلقيه بعد النحر ، فقال : كيف

---

(١) فى الأصل . شبع ، ولا يستقيم معها الوزن .
(٢) من معانى الهمز : الضغط والدفع والضرب والعض .

وجدت أضحيتك ؟ فقال : ما وجدت لها دماً . أراد قول الشاعر :

ولو ذُبِحَ الضَّبِّيُّ بالسَّيْفِ لم تَجِدْ مِنَ اللُّؤْمِ للضَّبِّيِّ لحماً ولا دَمَا[١]

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرِّقاع الشاعر ، فخرجت بنت له ، فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أباك لنخزيه ونفضحه . فقالت :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلْدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ[٢]

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة ، فقال ابن شبرمة — وكان كوفيا — : لنا أحلام ملوك المدائن ، وسخاء أهل السواد ، وظرف أهل الحيرة ، ولكم سفه السند ، وبخل الخزر ، وحمق أهل غسان .

قال الربيع الحاجب لشريك القاضى بحضرة المهدى : بلغنى أنك اختنت[٣] أمير المؤمنين . فقال شريك : لا تقل ذلك ، لو كنت اختنته[٣] لكان قد أتاك نصيبك .

قال مؤدب يزيدبن عبد الملك يوماً له : لحنت. فقال : الجواد يعثر . قال المؤدب : إى والله ، ويُضرب حتى يستقيم . فقال : نعم ، وربما كسر أنف سائسه .

وقف أعرابى على قوم فقال : رحم الله من لم تمج أذنه كلامى ، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرءًا أمر بخير . فقيل له : من أنت ؟ فقال : اللهم اغفر ، سوء الاكتساب يمنعنى من الانتساب .

---

(١) الكامل ٨٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/٢ .

(٢) الكامل ٢٤٢/٢ : والقرن : الكفء فى الشجاعة وغيرها .

(٣) فى الأصل ختنت ... ختنته ولامعنى لها ، وما أثبتناه أقرب إلى ماورد فى عيون الأخبار ٢١٣/٢ ففيها: بلغنى أنك خنت .

سمع إياس بن معاوية — رحمه الله — يهوديا يقول : ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أوَكل ما تأكله تحدثه ؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غذاء . قال : فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء .

جمع المأمون بين العَتَّابى وبين أبى قُرَّة النصرانى ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتابى لأبى قرة : أسألك أم تسألنى ؟ فقال : سلنى . قال : ما تقول فى المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتابى : إن (من) تجىء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخلُّ من الحلو[١] على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكنى لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتابى: إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزّأته ، والبارى لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعاً إلى مالانهاية ، وهذا لا يجوز على البارى عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فساداً ، والبارى لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذى لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبى عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ماعيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيُّما أحسن ، دار أمير

---

(١) فى الأصل : والحل من الحل الخ ، وبالاضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والحل من الحلة — والحلة من أسماء الخمر ، انظر حلبة الكميت ٦ .

المؤمنين أم دار أبيك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبى أحسن .

سمع سِوارٌ القاضى الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : أهلكنى حب الشرف ، فقال : اتق الله تشرُف .

قال مالكُ بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فَتَيان ، فقالا : إن أبانا توفى فترك مالا عند عمنا حُمَيْد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : ياحميد ! أنت القائل :

حميدُ الّذى أَمَجٌ دَارُهُ أخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ
أَتَانِى المَشِيبُ عَلَى شُرْبِهَا وكَانَ كَرِيمًا فَمَا يَنْزِعُ [١]

فقال : نعم . قال : أما إذ أقررت ، فأنى سأجلدك [٢] ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيهات ، أين يُذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول : « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ [٣] » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم قال : ويحك ياحميد ، كان أبوك صالحًا ، وأنت رجلُ سُوء . قال : أصلحك الله ، وأنت رجل صالح ، وكان أبوك رجل سُوء ، وما كلُّ الناس يشبه أباه ، فقال : إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاءِ توفى أبوهم منذ كذا وكذا ، وأنا أنفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك . قال : ما كان ليعود إلىّ وقد خرج من عندى .

---

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١/١٤٨ ، والأمج : شدة الحر والعطش .
(٢) فى الأصل : فأين سأجدك .
(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف ما الشيء الملفَّف في البِجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ من تَميمٍ فَسَرَّكَ أن يَعيشَ فَجِئْ بِزَادِ
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ أو الشيءِ المُلَفَّفِ في البِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ في الآفاقِ حِرْصاً ليأْكُلَ رَأْسَ لُقْمانَ بنِ عادِ (١)

والشيء الملفف في البجاد : وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ، فقال : الشيء الملفف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً كانت تعيَّر بأكل السخينة . وهي حَساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر .

---

(١) الأبيات لأبي مهوش الفقعسي ، أو لأبي الهوس الأسدي ، انظر الكامل ١/١٠٠ ، وورد فيه شطر البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثاني في عيون الأخبار ٢/٢٠٣ والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بَابُ الادَب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولدَه خيرًا من أدب حَسَن » وفى رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يَغيظَ عَدُوَّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدّب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم فى الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر[1] :

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ ... أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاء
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالأَوْ ... رَاقِ فِى يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاء
تِلْكَ تَفْنَى وَالدِّينُ وَالأدب الصَّـ ... ـالِحُ لاَ تَفْنَيَانِ حَتَّى الْبَقَاء
إنْ تَأَدَّبْتَ يا بُنَىَّ صَغِيرًا ... كُنْتَ يَوْمًا تعدُّ فى الكُبَرَاء
وإذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ أُلْفِيـ ... ـتَ كَبِيرًا فِى زُمْرَةِ الْغَوْغَاء
لَيْسَ عِطْفُ الْقَضِيبِ إنْ كَانَ رَطْـ ... ـبًا وإِذَا كانَ يَابِسًا بِسَوَاء

(١) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ١/٨٤ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها الخشنى لإبراهيم بن داود البغدادى عن قصيدة أولها :

يابنى اقترب من الفقهاء ... وتعلم تكن من العلماء

ووردت الأبيات الثلاثة الأولى فى معجم الأدباء ١٠/١٣١ منسوبة إلى الحسين بن على بن محمد المعروف بابن قم الزبيدى ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٥٣٠ هـ ، أى بعد وفاة المصنف بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضرْبُ الوالد للولد كالسّمادِ للزرع(١).

قال بعضُ الحكماءِ : لا أدب إلاّ بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربةُ عِلْم ، والأدبُ عَوْن ، وتركُه مضرّة بالعقل .

كان يقالُ : العون لمن لا عون له الأدبُ .

قال الأحنف : الأدبُ نورُ العقل ، كما أنّ النارَ فى الظلمة نورُ البصر .

قال الأَصمَعىّ : ما مطيةٌ أبلغَ دركًا وهى وادعة من الأدب .

قال بُزُرْجمهر : أرفعُ منازل الشَّرف لأهله العلمُ والأدب .

وقيل : من قعد به حَسَبُه نهض به أدبه .

وقال ابن أبى دُؤاد لرجل تخطّى أعناقَ الرّجال إليه : إنّ الأدبَ المترادف خير من النَّسَب المتلاحف(٢) .

كان يقالُ : الأدبُ من الآباء ، والصّلاح من الله(٣) .

كان يقالُ : مَنْ أدّب ابنه صغيرًا قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاجُ لابن القِرِّيَّة : ما الأدبُ ؟ قال : تجرُّع الغُصّة حتى تمكن الفُرصة .

ووصف أَعرابىٌّ الأدب فى مجلس مُعْتمر بن سُليمان ، فقال : الأدبُ أدبُ الدّين ، وهو داعيةٌ إلى التوفيق ، وسببٌ إلى السعادة ، وزادٌ من التقوى ، وهو أن تَعْلَمَ

---

(١) ينتهى إلى هنا نقص النسخة ب .

(٢) فى ب : الملاحف ، والمتلاحف : الذى يحيط بالمرء من جهتيه ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من ا .

شرائعَ الإسلام ، وأداءَ الفرائض ، وأن تأخذَ لنفسك بحظّها من النافلة ، وتزيدَ ذلك بصحّة النية ، وإخلاص النفس[1] ، وحبّ الخير ، منافساً فيه ، مبغضاً للشرّ نازعًا عنه ، ويكون طلبُك للخير ، رغبةً فى ثوابه ، ومجانبتُك للشرّ رهبةً من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب ، ذلك إذا اعتزلتَ ركوب[2] الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابىّ : الأديبُ من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل ، ولم يتورط فى هفوة ، وكان أدبُه زُلفى الى الحُظْوة فى دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه[3] :

لَيْسَ الأَدِيبُ أَخَا الرِّوَا … يَةِ لِلنَّوَادِرِ والغَرِيبْ
ولِشِعْرِ شَيْخِ المُحْدَثِيـــنَ أَبِي نُوَاسٍ أَو حَبِيبْ
بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ والمُرُو … ءَةِ والعَفَافِ هُوَ الأَدِيبْ[4]

كان يقال : من لم يَصْلح على أدب الله لم يَصْلح على اختياره لنفسه .

الحطيئة :

إِذَا نَـكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعِظِ الفَتَى … عَنِ الجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَعِظْهُ أَنَامِلُهْ

---

(١) فى ب وإصلاح اليقين .

(٢) فى ب : الذنوب .

(٣) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/٧ غير منسوبة لقائل وقد نسبها فى معجم الأدباء ١١/١٩٨ الى سعد بن محمد الأزدى المعروف بالوحيد البغدادى والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٤) فى ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ تُؤَدِّبْهُ رَوْعَاتُ الرَّدَى وَزَلازِلُهْ
فَدَعْ عَنْكَ مَالاَ تَسْتَطِيعُ وَلاَ تُطِعْ هَوَاكَ وَلاَ يَذْهَبْ بِحَقِّكَ بَاطِلُه(١)

وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ

وقال مُحَمَّدُ بنُ جَعْفر : الأدب رياسة ، والحزم كياسة ، والغَضَبُ نار ، والصَّخَب(٢) عارٌ .

قال ابن القِرِّيَّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفِعتم(٣) ، وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شَبِيبُ بنُ شَيْبَة : اطلبوا الأدبَ فإنّه عونٌ على المروءة ، وزيادةٌ فى العقل ، وصاحبٌ فى الغُرْبة ، وحِلْيةٌ فى المجالس .

قال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾(٤) ، قال : أدّبوهم وعلّموهم .

قال الشاعر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الغُلاَمِ المُؤَدِّبُ وَلاَ يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ(٥)

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوان الحطيئة ، ولا توجد فيما نسب إليه من شعر فى آخر الديوان ، وقد وردت فى معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبارك اليزيدى النحوى .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقتم .

(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٣/١ .

وقال آخر :

إنَّ الحَدَاثَةَ لَا تُقَصِّـــرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذِهْنَا
لَـكِنْ تُزَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًّا(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنِ انْتِهَابًا وَلَمْ يُقْسَمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينِ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينِ(٢)

قال مُصْعَبُ بنُ عبد الله الزُّبَيْرى : قال لى رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا فى غُرْبة ، ولم يقصروا عن مَكْرُمة : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعَالِم فبالناس حاجة إلى علمه ، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعطَ رباطة(٣) الجأش ، وجُرأة الصدر ، فلا يفوتنك العلم وقراءة الـكتب ، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك ، تزدادُ بها فى أدَبك وعلمك .

قال سَابق البَرْبَرِيّ(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الـكِبْرَةِ الأَدَبُ

---

(١) جامع بيان العلم ١/٨٥ .

(٢) ورد البيتان فى جامع بيان العلم ١/٨٣ بغير نسبة ، وقد نسبا فى معجم الأدباء ١٠/١٥٥ إلى الحسين بن محمد الرافقى المعروف بالخالع ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

(٣) فى ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربرى ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربرى لقب له ، ولم يكن من البربر ، سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستنشده من شعره ، فينشده مواعظه ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر اللباب ١/١٠٧ ، خزانة البغدادى ٤/١٦٤ ، الأعلام ٣/١١١ .

إِنَّ الْغُصُون إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ   وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الخشُبُ[١]

قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَّبك ؟ قال : ما أدَّبَني أحدٌ ، رأيتُ جهل الجاهل فاجتنبته .

قال بعضُ الحكماء : أفضل ما يُوَرِّث الآباءُ الأبناءَ : الثناءُ الحسن ، والأدبُ النافع ، والإخوان الصالحون ، وأنشدوا :

وَيَعْدَمُ عاقِلٌ أدَبًا فيَجْفُو   وتَنْسِبُهُ إلى غِلَظِ الطِّبَاعِ
وَمَنْزِلَةُ التَّأَدُّبِ مِنْ أَدِيبٍ   بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ مِنَ الشُّجَاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بَنِيّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوّلون عليه ؟ فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ، وقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تركا غاية لمختار . فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بنيّ مِنَ التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم ؟ فقالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدّهماء والرعية ، قال : فعليكم إذاً بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رَأَستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

---

(٣) ورد البيتان في جامع بيان العلم ٨٣/١ ، منسوبين لسابق ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثاني فقط في حماسة البحتري ٣٧٣ منسوباً له ، ووردا في البيان والتبيين ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويح القُلُوب وتَنْبِيهها[1]

قال عبدُ الله بنُ مَسْعود : كان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم يتخوَّلُنا[2] بالموعظة مخافة السّآمة علينا .

وكان عليُّ بن أبى طالب يقول : إنّ هذه القلوبَ تَملّ كما تَملّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائفَ الحكمة .

وقال عليٌّ رضى اللهُ عنه : نبّه بالتفكّر قلبَك ، وجافِ عن النوم جنبَك ، واتق الله ربّك .

قال أبو الدّرْداء : إنى لأستَجِمُّ قلبى بشىءٍ من اللّهو ، ليكون أقْوى لى[3] على الحقّ .

قال عبدالله بن مَسْعود : أريحوا القلوب ، فإن القَلْبَ إذا أُكْرِه عَمِىَ .

وقال أيضاً : إنّ للقُلوب شهوةً وإقبالا ، وفترة وإدباراً ، فخذوها عند شَهَواتها وإقبالها ، وذَرُوها عند فَتْرتها وإدبارها .

كان يقالُ : الملالةُ تَفْسخ المودّة ، وتُوَلّدُ البِغْضَة ، وتنغّصُ اللّذة .

قال أرسطوطاليس : ينبغى للرّجل أن يُعطىَ نفسَه لذّتها فى النهار ليكونَ ذلك عوناً لها على سائر يومه .

---

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

فى صحف إبراهيم عليه السّلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاثُ ساعات : ساعةٌ يناجى فيها ربّه ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه ، وساعةٌ يخلّى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويَجْمُل ، فإنّ هذه الساعةَ عونٌ له على سائر السّاعات .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله تعالى ، وتجالسوا عليه ، وإذا مَلِلْتُمْ فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل .

وقال بعضُ الحكماء من السَّلف : القلوبُ تحتاج إلى قُوتِها من الحكمة كما تحتاجُ الأبدانُ إلى قُوتِهَا من الغِذاء .

دخل عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز على أبيه ، وهو فى نوْم الضّحى ، فقال : يا أبت إنّك لنائم ، وإنّ أصحاب الحوائج لراكدون ببابك . فقال : يا بُنيَّ إن نفسى مطيّتى ، وإن حملتُ عليها فوق الجهد قطعتُها .

قال الحسنُ البَصْرىُّ رضى الله عنه : حادثُوا هذه القلوبَ ، فإنّها سريعة الدُّثور ، وأفزِعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة[1] ، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية .

وقال غيره من العلماء : حَادثوا هذه القُلوب فإنّها تصدأ كما يَصْدأ الحديدُ .

وقد رُوى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « إنّ هذه القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديد» . قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : «تلاوةُ القرآن » .

كان يقال : الفكرةُ مرآةُ المؤمن ، تُريه حُسْنَه من قبيحه .

كان يقال : التفكرُ نورٌ ، والغفلةُ ظلْمة .

---

(١) محادثة القلوب : جلاؤها ، والدثور : النسيان ، والطلعة : كثيرة التطلع إلى الشىء

بابُ قولِهم في وَصْف العَيْش وما تَتَمَنَّاه النَّفْس

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: « من أصبحَ منكم آمناً في سِرْبه ، معافىً في جِسْمه ، مَعَهُ قوتُ يومه ، فكأنّما حِيزَت له الدُّنيا » .

كان عمرُ بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :

الْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... والعَيْشُ شُحٌّ وإِشْفَاقٌ وتأْمِيلُ[1]

قال أبو يَعْلَى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمدُ بن حرب الزِّيادي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زيادٌ لجلسائه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأميرُ وجلساؤه. فقال : ما صنعتم شيئاً ، إنّ لأعوادِ المنابر هَيْبة ، وإنّ لقَرْعِ لجامِ البَريد لفَزْعَة ، ولكن أغبطُ النّاس عندي : رجل له دَارٌ لا يَجرِي عليه كِراؤُها ، وله زوجة صالحة ، قد رضيَتْه ورضيَها فهما راضيان بعيشهما ، لا يَعرفنا ولا نعرفه ، فإنّه إن عرَفنا وعرفناه أتعبنا ليلَه ونهاره ، وأفسدنا دينَه ودُنياه .

قال عمرُ : لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوتَ سنة ، ثم يجعلُ الباقي في الكُرَاع[2] والسّلاح في سبيل الله .

وقال سلمانُ : إذا أحرَزَتْ النفس قوتَها اطمأنت .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا تمنّى أحدُكم فليكثرْ ، فإنّما يسأل ربّه » .

---

(١) البيت في المفضليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨١ ، مجموعة المعاني ٧٥ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس فى هذا معارضة لقول الله : ﴿ ولا تَتَمَنَّوْا مَافَضَّلَ اللهُ به بعضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ[١] ﴾ لأن معنى هـذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيـه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمنى المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهيتم عن الأمانىّ ، ودُلِلْتُم على ما هو خير منها[٢] لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا فى كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنينّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقومُ السّاعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مُسْلِم[٣] العُقَيْلى: ما بقى من لذاتك ؟ قال: جليس يقصر به طول ليلى ، وزائر اشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهى به طول السهر[٤] ودابة أشتهى من أجلها طول السفر .

قال مَسْلَمَة بن عبد الملك : العيشُ فى ثلاثٍ : سَعَةِ المنزل ، وموافقةِ المرأة ، وكثرةِ الخَدَم .

قال عَبَايةُ الجُعْفِىّ : ما يَسرُّنى بنصيبى من التمنى حُمْرُ النَّعَم .

قال عبدُ الرحمن بن أم الحكم : لذةُ العيش فى زحف الأحرار إلى طعامك ،

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ب : أسلم ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر قصة حدثت له مع أبى جعفر المنصور فى صدد قتل أبى مسلم الخراسانى ، فى البيان ٣/٣٢٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبةُ بنُ مُسلم لوكيع بن أبى سُود : ما السُّرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوسٌ على السّرير ، والسّلام عليك أيّها الأمير .

قيل لأمّ البنين : ما أحسنُ شيءٍ رأيتِ ؟ قالت : نِعَمُ اللهِ مقبلةً علىّ[1] .

سأل قتيبةُ رجلاً : ما السّرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمرُ بن عبد العزيز — رحمه اللهُ — : لذّة العيش ظفرُكَ بمن تحبّ بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحقٌّ وافق هوًى .

قيل لأبى حازم : ما اللّذة ؟ قال : الموافقةُ ، ولا أَنِيسَ كالصاحب المُوَاتى .

وروى الرِّياشى عن الأصمعى قال : قال شَبِيبُ بنُ شَيْبة[2] : عيشُ الدنيا فى ثلاث : محادثةُ الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالْتفات سُخْفٌ ، ومجالسة الحمقى تورث النّوْك[3] ، وكثرة المُنَى تُخْلِقُ العقل ، وتُفسدُ الدين ، وتَنْفى القناعة .

قال أبو العتاهية :

---

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى ، الخطيب الذى بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان ، وهو الذى عناه أبو نخيلة السعدى الراجز بقوله :

إذا غدت سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبت من كثرتها وطيبها

توفى شبيب حوالى سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٠٧ ، البيان ١/٦٢ .

(٣) النوك : الغفلة والحمق .

اللهُ أصدقُ والآمالُ كاذِبةٌ وجُلُّ هٰذى المُنى فى القَلْبِ وَسْوَاسُ(١)

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعى ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من الغشيان ، وتمنِّيك الشىء أوفر حظاً للّذةِ من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِك(٢) وجبت فيه حقوق ، وخاف مالكه عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائنى قال : قيل لامرئ القَيْس : ما أطيبُ عَيْشِ الدّنيا ؟ فقال : بيضاء رُعْبُوبة ، بالطّيب مَشْبُوبة ، باللحم مَكْرُوبة(٣) .

وسُئِل الأعشى : أىّ العيشُ ألذّ ؟ فقال : صَهْبَاء صافِية ، تَمْزجها سَاقِية ، من صَوْب غادية .

وسُئِل طَرَفَة ، فقال : مَطْعَمٌ شهىّ ، وملبس زَهِىّ ، ومَرْكب وَطِىّ .

وقال غيرُه :

أطيبُ الطّيّباتِ قتْلُ الأعَادى وَاخْتيَالٌ عَلَى مُتُونِ الجِيَادِ
وأيادٍ حَبَوْتُهُنّ كَرِيمًا إنَّ عِنْدَ الكَرِيم تَزْكُو الأَيَادِى(٤)

لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أُمنيَّته ، وضاقت مقدرتُه ، وبعدت همّتُه .

---

(١) ديوانه ١٣٢ .
(٢) ا : هلك .
(٣) الرعبوبة : الحسنة البياض الرطبة المكاسر ، والمشبوبة : الظاهرة الحسن المشرقة اللون ، وباللحم مكروبة : أى مفتولة الأعضاء غير مترهلة .
(٤) عيون الأخبار ٣/٢٠٨ ، المحاسن والمساوئ ١/٢٢٢ .

قيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة : أىّ الأمور أمتع ؟ فقال : ممازحة حبيب ، ومحادثة خدين[١]، وأمانٍ[٢] تقطع بها أيامَك . وفى رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، أنه قيل له : أىُّ شىءٍ أكثر إمتاعاً ؟ قال : المنى .

قال بعض الأعراب ، ويروى لأبى بكر العَرْزَمى[٣] :

مُنًى إنْ تَكُنْ حَقًّا تكُنْ أحْسَنَ المنَى وإلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا
أَمانىُّ مِنْ سَلْمَى عِذَابٌ كَأَنَّمَا سَقَتْكَ بِهَا سَلْمَى عَلَى ظَمَإٍ بَرْدَا[٤]

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام ، عند الكعبة ، فقال عبد الله : أحب ألا أموت حتى تجىء إلىّ الأموال وأكون خليفة .

وقال مصعب : أحب أن ألِيَ العراقين — يعنى الكوفة والبصرة — وأُزَوَّج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة .

وقال عروة : لكنى أسأل الله الجنة . فصار عبدالله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة .

كان المتمنى بالكوفة إذا تمنّى يقول : أتمنى أن يكون لى فِقهُ أبى حنيفة ،

---

(١) ب : صديق .

(٢) ب : أمانى .

(٣) فى م : الخوارزمى ، والعرزمى هو محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان الفزارى ، شاعر حضرمى ، عاش فى الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها ، أكثر شعره آداب وأمثال ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩/٣٢٢ ، اللباب ٢/١٣٢ ، الأعلام ٧/١٣٥ .

(٤) ويروى: أمانى من سعدى رواء ، وقد نسب البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/١٥٩ لرجل من بنى الحارث ولم يعينه ، ووردا فى عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نوادر القالى ١٠٢ ، زهر الآداب ٢/٥٨ ، معجم الأدباء ١٦/٢٣٠ بغير نسبة .

وحفظ سفيان ، وورع مِسْعَرِ بن كِدَام[١] ، وجواب شَرِيك[٢].

قال الأصمعيّ : قال لى بن أبي الزناد : المنى والحُلُم أخوان .

قال مالك بن أسماء[٣] :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى أَنيقًا وبُسْتَانًا من النَّوْرِ حَالِيَا

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ المَكَانِ وحُسْنُهُ مُنًى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ الأَمَانِيَا

قال سَلْمٌ الخاسر[٤] :

لولا مُنَى العَاشِقِينَ مَاتُوا أَسًى وبَعْضُ المُنَى غُرُورُ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غمًّا وفَازَ باللَّذَةِ الجَسُورُ

وقال منصور الفقيه :

لَوْ أَنَّ لَيْتًا نَفَعَتْ مَعْ تَرْكِ ما يَنْفَعُنِى

مَا كَانَ لِي قَوْلٌ سِوَى يَالَيْتَنِى لَمْ أَكُنِ

---

(١) ابن ظهير الهلالى العامرى الكوفى ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفى سنة ١٥٢ هـ ، انظر فى ترجمته : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، حلية الأولياء ٢٠٩/٧ (الأعلام ١٠٩/٨).

(٢) شريك بن الحارث النخعى الكوفى ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاه أبوجعفر المنصور على الكوفة سنة ١٥٣ هـ وتوفى بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، البداية والنهاية ١٧١/١٠ . (الأعلام ٢٣٩/٣) .

(٣) مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى ، أبو الحسن ، شاعر غزل ظريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتولى له خوارزم وأصبهان ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٢٦٢/١ ، وقد نسبا فى الوزراء والكتاب ٤٥ إلى عبد الله بن أبى فروة ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢٣٥/١ إلى أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجن ظريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٣٦/٩ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ ، وانظر الأبيات فى الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٧٨/٣ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ .

وقال آخر :

ذَهَبَ البَرْدُ وآبَا فاسْتَوى العَيْشُ وطَابَا

وقال آخر :

وَلِى من تَمَنِّى النَّفسِ دُنْيَا عَرِيضَةٌ وَمُصْطَبَحٌ يَغْدُو عَلَىَّ وَيطرُقُ
تُمَلِّكُنِى الأَمْوَالَ لَافقْرَ بعْدَهَا وَعِرْسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتطَلَّقُ
فقدتُ المُنَى لا نَحْنُ نَلْهُو عن المُنَى لتجربةٍ مِنَّا ولا هىَ تَصْدُقُ

[1]وقال آخر :

وأكثرُ أَفْعَالِ الليالى إساءةٌ وأكثرُ ما تَلْقَى الأمانى كَوَاذِبَا[1]

وأنشد نفطويه :

الدَّهْرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا المُنَى بِعِدَاتِهَا وَتَغُرُّنَا الآمالُ
وَإذَا المنيَّة أَقبَلَتْ لم تَثْنِها خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ ولا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إنَّ القَنَـاعَةَ وَالعَفَا فَ ليُغْنِيَان عن الغِنَى
فإِذَا صَبَرْتَ عَلَى المُنَى فاشْكُرْ فَقَدْ نِلْتَ المُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب[2] :

صَلاَحُ أَمْرِى والَّذِى أَبْتَغِى هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمٰنِ فى قُدْرَتِهِ

---

(١) ساقط من ا .

(٢) السلمى الإلبيرى القرطبى ، عالم الأندلس وفقيهها فى عصره ، توفى سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٦٣ ، بغية الملتمس ٣٦٤ .

أَلْفٌ مِنَ البِيْضِ وأَقلِلْ بِهـــا   لِعَالِمٍ أزْرَى عَلَى بُغْيَـــتِهِ
زِرْيَابُ قَدْ يأْخُذُهَا جُمْلَةً   وَصَنْعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنْعَتِهِ(١)

قال آخر :

مُسيئَاتُ أَيَّامِ الزَّمان كثيرةٌ   ومُحْسِنَةُ الأيامِ في الدَّهْرِ أَعْلَامُ
وعَيْشُكَ فيما تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي   قَصيرٌ وإنْ طَالَتْ ليالٍ وأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إنَّه   مَضَى مِثلَ مَامَرَّتْ بِعَيْنِكَ أَحْلَامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى   فَلَذَّ لنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا(٢)

وقال آخر :

مَنْ رَاقَبَ المَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمانِيهِ   وَلَمْ يَكُنْ طَالبًا مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ(٣)

قيل لرَقَبَةَ بن مَصْقَلَة : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مُؤنس ؟ قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل .

قال لبيد بن أبي ربيعة :

وَاكْذِبِ النَّفسَ إذَا حَدَّثْتَهَا   إنَّ صِدْقَ النَّفسِ يُزْرِي بالأمَلْ(٤)

---

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، ألف من الحمر ... ، لعالم أوفى ، قد يأخذها دفعة . انظر جذوة المقتبس ٢٦٣ ، نفح الطيب ٢/٢١٥ .
(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، معجم الأدباء : ٢٠/١٠٩

وقال آخر :

رُبَّ من بَاتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ حَالَ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهْ

قال يزيد على المنبر : ثلاث يخلِقْنَ العقل ، وفيها دليلٌ على الضعف : سرعةُ الجواب ، وطولُ المنى ، والاستغراقُ في الضحك .

وقال الأحنفُ بنُ قيس : كثرةُ الأماني من غُرُور الشيطان .

قال حبيب(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعُ عَزْمِهِ وهُمُومِهِ رَوْضَ الأَمَانِي لَمْ يَزُلْ مَهْزُولاَ

وقال آخرُ :

إذا تمنيتُ بتُّ اللَّيْلَ مغتبطاً إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليس(٢)

وقال آخرُ :

إِذَا حَدَّثَتْكَ النَّفسَ أَنكَ قَادِرٌ عَلَى ماحَوَتْ أَيْدِي الرِّجَال فَكَذِّبِ

فإِنْ أنتَ لم تَفْعَلْ وَمَالَ بِكَ الهوَى إلى بَعْض ما مَنَّتْكَ يَوْمًا فجرِّبِ(٣)

قال أبو العتاهية :

إنما الفقرُ فضُولُ التَّمنِّي فانسَهَا واسْتَوْهِبِ الله ذِكْرَا(٤)

قيل لسُليمان بن عبد الملك : ما اللّذةُ ؟ قال : جليس ممتع أضعُ بيني وبينه التّحفُّظ .

---

(١) ديوانه بشرح التبريزي ١/٦٧ .

(٢) نسب البيت في التمثيل والمحاضرة ١١٣ إلى أبي بكر الخالدي ، وورد في عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نهاية الأرب ٣/١٠٣ بغير نسبة .

(٣) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكميت بن زيد الأسدي ونسبها القالي في النوادر ٤٩ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوص ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده في نفقات زواجه ثم لم يفعل ، فقال البيتين .

(٤) لم أعثر عليه في الديوان ، ولعله مما حفظه المصنف من شعره ، ولم يره جامع الديوان .

قال الحَجاجُ بن يُوسف لخُرَيْم – وهو خُرَيم بن خَليفة بن سنان بن أبى حارثة المُرّى – ما العيشُ ؟ قال : الأمنُ ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفعُ بعيش . قال : زِدنى . قال : والشّبابُ ، فإنى رأيتُ الشّيخ لا ينتفعُ بعيش . قال : زِدنى . قال : والصّحة ؛ فإنى رأيتُ السّقيم لا ينتفع بعيشٍ . قال زِدْنى . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابىّ :

وما العَيْشُ إلاّ فِى الخُمُولِ مع الغِنَى　　وعافِيةٍ تَغْدُو بِهاَ وتَرُوحُ

وقال آخر :

إنّ الفَتَى يُصْبِحُ للأَسْقَامِ　　كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسِّهامِ
أخطَأَ رَامٍ وأصابَ رَامِ　　يَقُولُ : إنىِّ مُدْرِكٌ أَمَامِى
فى قابل ما فاتَنِى فى العامِ[1]

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كُفِى همَّ الدنيا ، ولم يهتم بالآخرة .

---

(١) الرجز لأبى النجم الفضل بن قدامة بن عبيد العجلى ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى فى زهر الآداب ١٣/٤ ، وقد ورد فى معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هى :

المرء كالحالم فى المنام　　يقول أنا مدرك أمامى
فى قابل مافاتنى فى العام　　والمرء يدنيه من الحمام
مر الليالى السود والأيام　　إن الفتى يصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام　　أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تَمَنَّ الْمُنَى فَتَغْتَرَّ جَهْلاً   طَالَمَا اغْتَرَّ بِالْمُنَى الْجُهَلَاءُ

قال آخر [١] :

لَيْتَ شِعْرِى وَأَيْنَ مِنِّى لَيْتُ   إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوًّا عَنَاءُ

(١) فى ا ، ب : قال الحارث بن حلزة ولم أعثر عليه فى معلقته : آذنتنا ببينها أسماء ، وقد نسب فى الشعر والشعراء ٢٦٣ إلى أبى زبيد الطائى .

باب اختلاف الهمم في أنواع المال

عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « خيرُ المال عينٌ ساهرةٌ لعين نائمة » .

وروى عنه عليه السّلام أنه كان يأمرُ الأغنياء باتّخاذ الغنم ، ويأمرُ المساكين باتّخاذ الدَّجَاج .

قال مالكُ بن أَنَس[1] — رحمه اللهُ — : لما خرج مروانُ من المدينة مرّ بماله بذى خُشُب[2] ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أُسْرِجَت عليه المناطق .

قيل لابنة الخس : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى . قيل فمائة من الإبل؟ قالت : مُنًى .

وأما قول امرئ القيس[3] :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارٌ ... كأنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِيُّ

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فتملأ بيتنا إِقْطًا وسَمْنًا ... وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبنا ، وأكثر سمنا وزبداً .

---

(١) ا ، ب : أسد .

(٢) فى ا : خشيب ، وهوخطأ ، وذوخشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، انظر معجم البلدان ٣٧٢/٧ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ٣٢٣/١ .

قال المُسْتَوْرِد : الذَّهَب والوَرِق حَجَران ، إن تركتَهما لم يزيدا ، وإن أخذتَ منهما نَفِدَا ، والحيوانُ كالبقل[١] إن أصابته الشمس ذوى[٢] ، ولكن المالَ الأرضُ والماء .

قال ابن شهاب الزهريّ - رحمه الله - يخاطب أخاه عبدالله[٣] :

تَتَبَّعْ خَبَايَا الأَرْضِ وادْعُ مَلِيكَها ... لَعَلَّكَ يَوْماً أنْ تُجَابَ فَتُرْزَقَا[٣]

وروى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والعشر فى السَّابِيَاء[٤] » .

لما بلغ عمرَ بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمروا الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها فى وجهها .

ولما بلغه أن عُتْبَةَ بنَ غَزْوَان وأصحابه بنوا باللَّبِن كتب إليهم : وقد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم فعرّضوا الحيطان ، وارفعوا السَّمك ، وقاربوا بين الخشب .

باع رجل رجلا أرضاً ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتَها شديدة المئونة قليلة المعونة - يعنى الأرض - . فقال المبتاع : والله لقد أخذتَها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق[٥] - يعنى الدراهم .

---

(١) فى ا : والبقل

(٢) فى ا : قوى .

(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .

(٤) السابياء : الجلدة الرقيقة التى تحيط بالجنين وهو فى بطن أمه ، والمقصود بها فى الحديث نتاج الإبل والماشية . أنظر النهاية ٢/٣٣١

(٥) ب : التفريق .

قالوا : إذا بَعُدَ المال[١] عن موضع ربّه[٢] قلت فوائده .

قال الشاعر :

سَأَبغيكَ مالاً بالمَدِينة إنَّنِي أرى عَازِبَ الأَمْوَالِ قَلّتْ فَوَائِدُهْ[٣]

أوصى سهلُ بنُ حُنَيْف ، أحدَ بنى عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمُّه أنصارية فقال له : إنك أحبّ إخوتك إلىّ ، وإنى موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على مصلح ، ولا مال مع الْخُرْق[٤] ، واعلم أن خير المال العقل[٥] ، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جمال[٦] ، واعلم أن الماشية إنما هى مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعتها انتفعت بها ، وإلا لم ترزأكَ شيئاً . قال : فحفظت نصيحته ، فكانت لى أنفع مما ورثت[٧]

ذُكر النخلُ والزّرعُ عند بعض الأشراف العقلاء ، فقال : شَرَيْنا النخل من فضول غلات الزرع ، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل .

قال اللّيثُ بنُ سَعْد : لما افتُتِحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه ، وقال : من هـــذا جمعنا هذه

---

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه

(٣) عيون الأخبار ١/٢٥١ ، البيان ٢/٤٠٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : الخزيق ، الخزق : الحمق والغفلة .

(٥) ب : العقد .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبى .

الأموال ، نُصيب الزيتون ، فيأتينا أهل البحر والبر ، والصحراء والرمل ، يبتاعون منا الزيتون ، فمن ثَمَّ كثرت أموالنا .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن العاص : « هل لك يا عمرو أن أبعثك فى جيشٍ يُسلّمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبة صالحة » .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلّم من حديث المِقْدَادِ بن مَعْدِى كرب ، وهو حديث صحيح ، أنه قال صلّى الله عليه وسلّم : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده ، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده » .

وكان داود عليه السلام يعمل القِفافَ الُخوص ، وقيل كان نوح نجاراً ، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلَّم .

وأجمع العلماء أنّ أشرفَ الكَسْب : الغنائمُ ، وما أوجف الله عليه[1] بالخيل والرِّكاب، إذا سلم من الغُلول . وقد سمّى الله الجهادَ تجارة مُنْجيَة من عذابٍ أليم .

قال[2] بعضُ لصوص هَمْدان[3] :

---

(١) ساقط من ب .

(٢) فى ب : قالت .

(٣) وردت الأبيات فى الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم فى عيون الأخبار ١/٢٣٧ ، العقد الفريد ٣/٣٩١ ، ووردت منسوبة لعمرو بن براقة الهمدانى : فى الأغانى ٢١/١١٣ ، المؤتلف ٦٦ ، ٥٧ ، فى قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمدانى ، لا ابنه مالك بن حريم ، كما قد يتبادر إلى الذهن من نسبتها إليه فى عيون الأخبار ، وأصل القصة أن حريما أغار على إبل لعمرو فذهب بها فجاء عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها ، فأخبرها الخبر ، وأنه يريد الإغارة على حريم ، فنهته عن ذلك وحذرته العاقبة ، فلم يبال بقولها ، وأغار على حريم فاستاق كل شىء له ، ولم يستطع حريم أن ينال منه منالا ، وقال فى ذلك قصيدته التى منها هذه الأبيات وأولها :

تقول سليمى لاتعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم

ومنها : كأن حريماً إذ رجا أن أردها ويذهب مالى يابنة القيل حالم

وانظر البيتين الثانى والثالث فى البيان والتبيين ٣/١٥٩ ، الامالى ٢/١٢٢ ، العقد ٣/٣٩٩ ، والثالث فى حماسة البحترى ٢٠ .

وَمَنْ يَطْلُبِ المَالَ المُمَنَّعَ بالقَنَا ... يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخْتَرِمْهُ المَخَارِمُ

مَتَى تجمعِ القَلْبَ الذكِيَّ وصَارِمًا ... وأنفًا حَمِيًّا تجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

وكنت إذا قوم غَزَوْنى غَزَوْتُهُمْ ... فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدَانَ ظالِمُ (٣)

بابُ التِّجَارَة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الكسب عَمَلُ اليد ، وكلُّ بيع مَبْرور » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الكَسْب كسبُ الصَّانع إذا صحّ[1] » .

وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجّار إلاّ من بَرَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشّهداء يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجار ! إن بيعكم هذا يشوبه الحَلِفُ ، فشُوبُوه بالصّدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكر مَلْعون » .

أو قال « ... مَذْمُوم[2] » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « تسعةُ أعشار الرِّزْق في التجارة ، والعُشْر في السَّابِيَاء » .

وقال عليه السّلام : « اللّهم بارك لأمّتي في بُكُورِها » .

وروى عنه عليه السّلام أنه قال : « مِنْ أشْراطِ السّاعة ، أن يُرفع العِلْمُ ، ويقبضَ المال ، ويظهرَ القلمُ ، وتكثرَ التجار[3] » .

---

(١) ا : صنع، وفي مجمع الزوائد ٤/٦١ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر التجريد في فتح الباري ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٤/٢٠٥٦ .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « من استَقَاله أخوه المسلمُ فى بيعٍ باعه منه فأقاله أقالَه الله من عثرته يومَ القيامة » .

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : فَرّقوا بين المَنَايَا ، واجْعلوا الرَّأسَ رَأسَيْن(١) .

وقال عمرُ : بع الحيَوانَ أحسنَ ما يكونُ فى عينك .

وقال ابنُ شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابىّ وهو يبيع مُسَوَّمَـةً(٢) فقال : « عليك بأولِ سَوْمَـة ، أو بأول سَوْم ، فإن الرِّبحَ مع السَّماح » .

قيل للزبير رحمه اللهُ : بم بلغتَ هذا المال ؟ قال : إنى لم أُرِدْ ربحًا ، ولم أشْتر عيبًا .

كان يقالُ : الأسْواقُ موائدُ لله فى الأرض ، فمن أَتَاها أصاب منها .

قال خالدُ بن صفوان : فى التِّجَارِ لؤمُ الطبائع ، وعِيّ اللّسان ، وموتُ القلب ، وسوءِ الأدب ، وقِصَرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابىٌّ جملا ، فنَدِم عليه فى شرائه ، فجعل يُصَعِّد النظرَ فيه ويصوّبه ليجد ما يتوسّل به إلى ردّه ، فقال البائعُ : مَنْ طلب عيبًا وجده .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية ،وقال : فرقوا بين المنية، بدل المنايا . . . الخ ، وقال فى تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا فى الثمن ، واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى الآخر ، فكأنكم فرقتم بين المنية .

(٢) ق ب : شيئا ، والمسومة : السامة تباع بالمساومة فى ثمنها .

يقال : الغَبْن في شيئين ، في الرَّداءة[١] أو الغَلَاء ، فإذا استجدتَ فقد سلمت من أحدهما .

قال الراجزُ :

ما أرْخَصَ الغَالِي إذَا كانَ حَسَنْ .

وقال محمود الورَّاق :

وإذا غَلَا شيءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غَلَا[٢]

قال معاوية — رحمه الله[٣] — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ، ضمان[٤] نفس ، ومئونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب[٥] رضى الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً ، فإن لم توافق كرماً ، وافقت[٦] لحماً .

ودخل مالكُ بنُ دينار السوق فجلس الى قوم يحدثهم ، فقال : كيفَ سُوقكم ؟ قالوا : كاسدة . قال : غششتم[٧] . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال : كذبتم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

---

(١) فى ب : الردىء .
(٢) البيت فى نهاية الأرب ٣ /٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ /٢٢٥ ، المستطرف ١ /١٢١ ، ٢ /٧٩ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) فى ا : ضمن .
(٥) ساقط من ب .
(٦) فى ب : واقعت .
(٧) فى ب : غشيتم .

كان عبدالله بنُ مَسْعود يقول : عجباً للتاجرِ كيف يَسْلم ؟ إن باعَ مَدَح ، وإن اشترى ذَمّ .

قال سعيدُ بنُ المُسَيّب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة لهُ إلاّ النّداء لغير صلاة محترساً بالليل و براحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيلِ بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم(١) . (٢ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل ٢) .

قال ابنُ عباس : من اشترى مالا يحتاج اليه يُوشِكُ أن يبيعَ ما يحتاج إليه .

قال المغيرةُ بن حَبْنَاء :

وما كلُّ حينٍ يَصْدُقُ المَرْءَ ظَنُّهُ   وَلاَ كلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَة يربَحُ

ولابن شهاب الزُّهري :

ألا كلُّ مَنْ يُهْدَى لَهُ البَيْعُ يُرْزَقُ   وَقَدْ يُصْلِحُ المالَ اليَسيرَ المُوَفَّقُ(٣)

ولمنصور الفقيه :

بُنَيَّتِي لا تَجْزَعِي واصْبِرِي   عساكِ بِصَبْرِكِ أن تَظْفَري
فَلو نَالَ يوماً أَبُوكِ الغِنَى   كَسَاكِ الدَّبِيقِيَّ والتُّسْتَرِي(٤)
ولكنْ أَبوكِ ابْتُلِي بالعُلومِ   فَما إنْ يَبِيعُ وَلا يَشْتَري

---

(١) في ب : وذويهم .
(٢) زيادة من م .
(٣) ب : الترفق .
(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدبيقي : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة دبيق بمصر . والتستري : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

بابٌ الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجل : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [1] الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [2] .

سمع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ حبيبَةَ تقول : اللَّهم مَتِّعْني بزوجي رسول الله ، وبأبي أبي سُفيان ، وبأخِي معاوية ، فقال لها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « دَعَوْتِ اللهَ لآجالٍ مَعْلومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَة » .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : « أَبَى الله أن يجعلَ أرْزَاقَ عباده المؤمنين إلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُون » .

وقال عليه السلام : « اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصدقة » .

وقال عليه السلام : « ولا يَحْمِلَنَّكُمُ استبطاء [3] الرِّزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنهُ لاَ يُنَالُ ما عنده بما يكره ، اتقوا اللهَ وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حلَّ ، ودَعوا ما حرُم » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لا تُكْثِرْ هَمَّكَ يا عبد الله ، ما يقدَّرْ يَكُنْ ، وما تُرْزَقْ يَأْتِكَ » [4] .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٢) سورة النحل : ٧١ .
(٣) في ا : غبط .
(٤) في ب : يكون ، يأتيك .

قال الشاعر :

فإنَّكَ مَا يُقَــدِرْ لكَ اللهُ تَلْقَهُ　　كِفاحًا وَتَجلبْهُ عَلَيْكَ الجوَالِبُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدس نَفَثْ فى رُوعِىْ ، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

أنشد ابنُ أبى الدنيا[1] :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِى بحيلةٍ　　فقد كَذَّبَتْه نفسُــه وَهْو آثِمُ

يَفُوتُ الغِنَى من لا يَنَامُ عن السُّرَى　　وآخرُ يأتى رزقَهُ وَهْوَ نائِمُ

فما الفقرُ فى ضعفِ احتيالٍ ولا الغِنَى　　بكدٍّ وللأرزاق فى النَّاس قاسِمُ

سأصبرُ إنْ دَهْرٌ أناخ بكلكلٍ　　وأرضَى بحكم الله مالَهُ[2] حاكمُ

لقد عشتُ فى ضيقٍ من الدَّهرِ مُدَّةً　　وفى سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّىَ سالِمُ

وقال جعفرُ بنُ محمَّد : إنى لأمْلَق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروةُ بنُ الزبير[3] : العاقلُ من إذا رُزِق مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدرى لعله يكون آخرَ رزْقه .

ومما يُروى لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ فى صَخْرَةٍ فى البَحْرِ رَاسِيَةٍ　　صَمَّاءَ مَلْمُومَةٍ مُلْسٍ نَوَاحِيها

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى الأموى بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة فى الزهد والرقائق ، توفى فى بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦/١٢ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ا : فالله .

(٣) فى ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللهُ لانْفَلَقَتْ ... حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ كُلُّ ما فيها
أَوْ كانَ تَحْتَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا
حَتَّى تُؤَدِّى الَّذِى فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ ... إِنْ هِى أَتَتْهُ وَإِلاَّ سَوْفَ يَأْتِيهَا

وأنشد ابنُ الأعرابى :

الْحَمْدُ لِلهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ ... وَلاَ الْعَطَايَا لِذِى[1] عَقْلٍ وَلاَ أَدَبِ
إِن قَدَّرَ اللهُ شَيْئًا أَنتَ طَالِبُهُ ... يَوْمًا وَجَدْتَ[2] إِلَيْهِ أَقرَبَ السبَبِ
وَإِنْ أَبَى اللهُ مَا تَهْوَى فَلاَ طَلَبٌ ... يُجْدِى عَلَيكَ وَلَوْ حَاوَلْتَ مِن كَثَبِ
وقد أقول لِنَفْسِى وَهْىَ ضَيِّقَةٌ ... وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالعَجَبِ
صَبْرًا عَلَى ضَيِّقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لهَا ... فَتْحًا وَمَا الصَّبْرُ إِلاَّ عِنْدَ ذِى الْأَدَبِ
سَيَفْتَحُ اللهُ أَبواب الْعَطَاءِ بِمَا ... فِيهِ لِنَفْسِكَ رَاحَاتٌ من التَّعَبِ
وَلَوْ يَكونُ كلاَمِى حِينَ أَنْشُرُهُ[3] ... مِنَ اللُّجَيْنِ لَكانَ الصَّمْتُ من ذَهَبِ

وقيل لِعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كيف يحاسبُ اللهُ العباد على كثرتهم ؟ قال : كما قسَّمَ بينهم[4] أرزاقهم .

ولسُرَيْج بن يونس المحدث[5] :

يا طالبَ الرِّزْقِ فى الآفاق مُجْتَهِدًا ... أتعَبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

(١) فى ب : على .
(٢) فى ا : رجوت .
(٣) فى ب : أنشده .
(٤) فى ب : فيهم .
(٥) فى الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه سريج بن يونس بن ابراهيم البغدادى ، أبو الحارث العابد محدث ثقة ، توفى سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٤٥٧ .

تَسْعَى لرزق كفاكَ اللهُ مُؤْنَتَهُ ... أَقْصِرْ فرزقك لا يأتى به الطَّلَبُ
كم من سَخِيفٍ ضَعِيفِ العَقْلِ نعرفه ... له الولاية والأرزاقُ والذَّهَبُ
ومن حَصِيفٍ[١] له عقلٌ ومعرفةٌ ... بَادِى الخَصَاصَةِ لم يُعْرَف له نَشَبُ[٢]
فاسترزقِ اللهَ ممّا فى خَزَائِنِهِ ... فاللهُ يرزق لا عقْلٌ ولاَ حَسَبُ

وقال آخر:

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تَقَلُّبِهِ ... مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ[٣]
وكم ضعيفٍ ضعيفِ الرأى تبصرُهُ ... كأَنه من خليج البحر يغترفُ

أنشد أبو حاتم عن الأصمعى:

يا أيُّها المضْمِرُ هَمًّا لا تُهَمّ ... إنَّكَ إنْ تُقْدَرْ لك الُحمَّى تُحَمْ
ولو علوت شاهقاً من العَلَمْ ... كيفَ تَوَقِّيكَ وقد جَفَّ القَلَمْ[٤]

قالوا: المقادير تبطل التقدير، وتَنْقُضُ التدبير.

قال الشاعر:

إذا عَقَدَ القَضَاءُ عليْكَ عقْداً ... فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إلاَّ القَضَاءُ[٥]

وقال ابن المعتز:

يا مُكلَّ العِيسِ فى دَءُومَةٍ ... يَتْبَعُ الآمال كالبَاغِى المُضِلّ

---

(١) ا: خصيب.
(٢) ب: نسب.
(٣) فى ا: ينحرف.
(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١٤٧/١.
(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٩، ومعجم الأدباء ٧٢/٥.

إنَّ مفتاح الذى تَطْلُبهُ بِيَدِ الْمِقْدارِ[١] فاصبرْ واتَّكِلْ
فَرَغَ اللهُ من الرزق ومن مُدَّة العُمْرِ ومن وقت الأجَلْ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدْتُ إلى الله فى وفده لِأَلْتَمِسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِه
إذا ما قَضَى اللهُ أمرًا مَضَى ولم يَقْوَ حَىٌّ عَلَى رَدِّهِ[٢]

قال المُفَضَّل الضَّبِّي : قيل لأعرابىّ : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاجّ . قلت : فإذا صدروا ؟ فبكى ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش[٣] . ثم قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ ضِـيقَةٌ فَتَفَرَّجُ وإلاَّ جَدِيدٌ ناضِرٌ ثم يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فى الدُّنْيا كَسَفْرٍ[٤] تتابعوا على مَنْهَجٍ ثم استقلّوا فأَدْلَجُوا

فقال البَرْبرى[٥] :

يا أيُّهَا الظَّاعِنُ فِى حَظِّهِ إنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ المُقِيمْ
كَمْ مِنْ لَبِيبٍ عاقِلٍ قُلَّبٍ مُصَحَّحِ الجِسْمِ مُقِلٌّ عَدِيمْ
وَمِنْ جهُولٍ مُكْثَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمْ

(١) فى ا : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .
(٢) ديوانه ٦٨ .
(٣) فى ب : لوكنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ١٤٥/٣ حيث ساق القصة بصورة أخرى .
(٤) فى ب : كسفن .
(٥) فى ب : اليزيدى ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حظكَ يأتيك وإن لم ترِمْ ... ما ضرَّ منْ يُرْزَق ألاَّ يَريم[١]

كان يقال : بكّرُوا فى طلب الرزق ، فإن النَّجاح فى التبكير .

قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فلينظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق الحلال والحرام ، ولـكنْ ليقُل اللّهم ارزقنى ما ينفعنى ولا يضرنى .

قالوا : الرزق رزقان رزْق لا يأتيك إلا بالتسبّب ، ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً .[٢]

قال عُرْوة بن أُذَيْنَة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح[٣] :

إنِّى لأَعلَمُ وَالْأَقْدارُ نافِذَةٌ[٤] ... أَنَّ الَّذى هُوَ رِزْقِى سَوْفَ يأْتينِى
أَسْعَى إليه فيُعيينِى تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أتانى لا يُعَنِّينِى

وقال آخر :

توَكَّلْ عَلَى الرَّحْمٰنِ فِى كُلِّ حَاجَةٍ ... ولا تؤثِرنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبْ[٥]
أَلم تَرَ أَنَّ اللّهَ قَالَ لِمَرْيَم ... إليك فهزِّى الجذع يَسَّاقَط الرُّطَبْ
ولو شاء أن تجنيه من غيرِ هَزِّهَا ... جنته ولـكن كلُّ شىءٍ له سَبَبْ[٦]

(١) ساقط من ا .
(٢) ب : صفوا .
(٣) زيادة فى ب فقط ولم أعثر على مايرجح هذا الرأى فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغانى ٢٣٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافى بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .
(٤) فى م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خلق ، وفى الوفيات : وما الإشراف ، وفى عيون الأخبار : وما الإسراف فى طمع ، وفى العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .
(٥) ساقط من ا .
(٦) البيتان الثانى والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك الجذع .

وقال آخر :

مَا يُغْلِقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أحدٍ ... إلّا سَيَفْتَحُ دُونَ[1] البابِ أبْوَابَا

وقال بَكْرُ بْنُ حَمَّاد[2] :

النَّاسُ حَرْصَى عَلَى الدُّنْيَا وقَدْ فَسَدَتْ ... فَصَفْوُهَا لَكَ مَمْزُوجٌ بِتَكْدِيرِ

فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيهَا لا تساعِدُهُ ... وعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقصِيرِ

لم يُدْرِكُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَمَا قُسِمَتْ ... وإنما أدركوها بالمقاديرِ

لَوْ كانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ ... طَارَ البُزَاةُ بِأَرزاقَ العَصَافِيرِ

وقال آخر :

قد يُرْزَق المَرْءُ لم تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ

وإنني واجِدٌ فى النَّاسِ وَاحِدَةً ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عن ذَوِى الأَدَبِ[3]

ولعلى بن هشام[4] :

المرءُ يَسعَى ويَسعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُه ... وَرُبَّمَا اختَلَفَا فى السَّعْيِ والطَلَبِ

حتَّى إذا قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ جَمْعَهُمَا ... للاتِّفاقِ أَتاكَ الرزق عن كَثَبِ

وقال آخر :

يَخيبُ الفَتَى مِنْ حيثُ يُرْزَقُ غَيْره ... ويُعْطَى الفَتَى من حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُه[5]

(١) م : بعد .

(٢) ق : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتى ، أبو عبد الرحمن التاهرتى ، شاعر ، محدث فقيه ، وفى تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفى بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٢/٣١ ، البيان المغرب ١/١٥٣ ، (الأعلام ٢/٣٧) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدى ، عيون الأخبار ٢/١٩٠ ، الأغانى ٥/٢١٦ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سريا كريما بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفى سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ٤/١٦ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ١/٢١٤ ، البيان والتبيين ٢/٢٤٠ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلا .

قال الغزّال[١] :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلاَلِ لاَ يَقِر نَهَارُهُ ولَيْلُهُ عَلَى سَفَرْ
فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وأوقات المطر وما له فى ذاك نزرٌ محتقرْ
إنَّ الحَلاَلَ وَحدَه لاَ يَخْتَمِرْ أين ترى مالاً حلالاً قد ثمرْ
ما إن رأينا صافياً منه كَثُر

قال الناشيء[٢] :

إِذَا الْمَرْءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كلَّ شَهْوَةٍ لِصِحَّةِ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ

وقال آخر :

إِنَّ الحَرَامَ غزيرَةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدتُ حالبةَ الحلالِ نَزُورَا[٣]

قال أكثم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وهكَذَا[٤] آجَالُنَا فَمَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَحْوَالُنَا

---

(١) يحيى بن الحكم الجياني ، كان يسمى الغزال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأى وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفى سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية الملتمس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشيء الأنبارى ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومى والبحترى ، ولكنه أغرب فى شعره إغرابا شديدا فسقط فى بغداد ، فجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢٧٧/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٨٤/٣ ، وفيه : مصوا بدل نزورا ، والمصور بطيئة خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن .

(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فأَتَّقِي أَنْ أَضِيعا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لاَ يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَاجعلْ سُكُوتَكَ للّـــهِ وَنجْوَاكَ جَمِيعاَ
وَكلٌ بُؤْسَى وَنُعْمَى سَيَفْنَيَانِ سَرِيعا[(١)]

وقال آخر :

يا رُبَّمَا جَاءَنِى مَالاَ أُؤَمِّلُهُ وَرُبَّمَا خابَ مَأْمولٌ وَمُنْتَظَرُ
لو زاد فى الرزق حرصٌ أَوْ مُطَالَبَةٌ ما كان من قد يطيلُ الكدّ يفتقرُ

ولأبي يعقوب إسْحَاقَ بن حسَّان الخُرَيْمى[(٢)] :

أَقِـــلِّى عَلَىَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَلَمْ يُؤْتَ مِن حِرْصٍ عَلَى الْمَالِ طَالِبُهْ
فواللهِ ما قصَّرتُ فى وجه مَطْلَبٍ أرى أن فِيهِ مَطْلَبًا فأُطالِبُـهْ
ولـكنْ لهذا الرزق وقتٌ مُوَقَّتٌ يُقسّمه بين البَرِيَّةِ وَاهِبُهْ
وأسهَرَنى طول التَّفـكُّرِ إنَّنى عَجِبْتُ لِأَمْرٍ ما تُقَضَّى عَجَائِبُهْ
أَرَى فَاجِراً يُدْعَى جَلِيداً لِظُلْمِه ولو كُلِّفَ التَّقْوَى لـكَلَّتْ مَضاربُهْ[(٣)]
وَعَفًّا يسمَّى عاجِــــزاً لِعفَافِهِ ولولا التُّقَى ما أعجــزته مَذاهِبُهْ
وأحمقَ مَصْنوعًا لَهُ فى أموره يُسوِّده إخـــــوانه وأقاربُهْ

---

(١) فى ب : سكونك ... والحراك ، وسينسيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبوحاتم السجستانى بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصغد ، ثم اتصل بعثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرى فنسب إليه ،توفى سنة ٢١٤هـ . تاريخ بغداد ٣٢٦/٦ ،طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦/٤ .

(٣) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

إلى عاجز يدعى جليدا لطابه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذى يليه فى معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبى بكر العرزمى .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فى الأمورِ ولا تُقَى ... ولا نَائِلٍ جَزْلٍ تُعَدّ مَوَاهِبُهْ

فليس لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطأه الغنى ... ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسِبُهْ

ولكنَّه قَبْضُ الإلٰهِ وَبسطُهُ ... فمن ذا يجاريه ومن ذا يُغَالِبُهْ

أنشدنى خلف بن قاسم ، قال : أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيْدَلاَنِيّ ، قال : أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش :

قَدْ يُرْزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما ... شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبَا[1]

ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المطيةِ والرَّ ... حْلِ ومن لا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

وقال محمود الوراق :

قيامَةُ من مات فى موته ... وإخْمَالِ ماشَاعَ[2] من صَوْتِهِ

ترى المرءَ يجزعُ من فوت ما ... لعلَّ السَّلامة فى فَوْتِهِ

ويفنَى ولم تفنَ آمالُهُ ... وإعمال سوف إلى لَيْتِهِ

وكَمْ أزعج الحِرص من راغبٍ ... إلى الصِّين[3] والرِّزْقُ فى بَيْتِهِ

ولأبى الأسود الدؤلى أو العَرْزَمى :

وعَجِبْتُ للدُّنْيَا[4] وَحِرفَةِ أَهلِهَا ... وَالرِّزْقُ فيما بَيْنَهُمْ مَقْسومُ

---

(١) فى ا : وما يشد نسعا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبدل الأسدى ، انظر حماسة أبى تمام ٢/ ٥٠ ، معجم الأدباء ١٠/ ٢٣٩ . والعنس : الناقة القوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) فى ا : إلى الضيق .

(٤) ا : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبى الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى ... مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِيَ أَنَّهُ ... رِزْقٌ مُوَافٍ(١) وَقْتُهُ مَعْلُومُ

وقال آخر:

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا ... كَمْ رَأَيْنَا مِن أَحْمَقٍ مَرْزُوقِ
وأصيل من الرجال نبيلٍ(٢) ... سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كل طَرِيق

وقال آخر:

الرِّزْقُ يَأْتِي قَدَرًا عَلَى مَهَلْ(٣) ... والمرءُ مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقال آخر:

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ والآفاتِ وَالْهَلَكَهْ ... لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ
مَن غَيْرُ(٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا ... وَمَنْ أدار على أرجائِهَا فَلَكَهْ
أما ترى البَحْرَ والصَّيَّادُ تَضْرِبُهُ ... أمواجُهُ ونُجُومُ اللَّيلِ مُشْتَبِكَهْ
يَجُرُّ أَذْيَالَهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ ... وعَقْلُهُ بين عَيْنَيْ كَلْكَلِ السَّمَكَهْ
حَتَّى إذا رَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا ... والْحُوت قَدْ شَكَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
أَتَى إليك بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ ... فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَهْ
لُطْفًا مِنَ اللهِ يُعطى ذَا بِحِيلَتِهِ ... هَذَا يَصِيدُ وهذا يَأْكُلُ السَّمَكَهْ

---

(١) فى ا . سواء : وفى الديوان ، والكامل المحروم بدل العاجز.
(٢) ساقط من ب .
(٣) فى ب : الرزق يأتى مقدوراً على عجل ، وانظر البيت فى البيان والتبيين ٣/ ٢٨٠ .
(٤) ب : من عند .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّى بِغَيْرِ ما يَعنِينِي وَطِلَابِى فَوْقَ الَّذِى يَكْفِينِي
ولو أنى كففت لم أبغ رزقى كان رزقى هو الذى يبغينى
أَحْمَدُ اللهَ ذا المعارج شكراً ما عَلَيهَا إِلاَّ ضَعِيفُ اليَقِينِ[١]

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضَائِرٌ ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ مَنْفَعهْ
إذا كانَتِ الأرزاقُ فى القربِ والنَّوى عَلَيكَ سواءً فاغتنم لَذَّةَ الدَّعَهْ
وإنْ ضِقْتَ فاصْبِرْ يكشِفِ اللهُ ما تَرَى فيَا رُبَّ ضِيقٍ فى جوانِبه سَعَهْ[٢]

وقال آخر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فإِنَّ الأمْرَ مَقْدُورُ وكلُّ شىءٍ من الأشياء مَسْطُورُ
والرِّزْقُ والخَلْقُ والآجالُ قَدْ قسِمَتْ وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا المقادِيرُ
فَلَيسَ يَقْدِرُ مَرْءٌ صَرْفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدابِيرُ
كَم مَنْ رَأَيناهُ ذَا مَالٍ وذَا سَعَةٍ وذا غَضَارَةِ عَيْشٍ وَهْوَ مَحْبُورُ
لا يَعرِفُ اللهَ جَهْلاً خاطِئًا حُمُقًا لَوْلَا[٣] غِنَاهُ لَعافَتْهُ الخَنَازِيرُ
لم يَرْكَبِ الهَوْلَ فى قفْرٍ وَلا لُجَجٍ وَلاَ تَكَلَّفَ أمْرًا فِيهِ تَغْيِيرُ
لَكِنْ أتَاهُ الغِنَى حتَّى أنَاخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنه فِيهِ تَفْكِيرُ[٤]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلى ...
(٢) الأبيات لعلى بن الجهم . انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ .
(٣) فى ب : لو .
(٤) فى ب : وماتقدم فيه منه تفكير .

وآخرٌ رَجُلٌ نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ ... عَلَّامةٌ بأمورِ النَّاسِ نِحْرِيرُ[١]
قد جال في الأرضِ[٢] حتَّى لم يدَعْ أُفُقًا ... شرقًا وغرْبًا وما في ذاكَ تقصيرُ
وقد تكمَّلَتِ الآدابُ واجْتَمعت ... فيهِ العُلُومُ وما تحوى القماطيرُ[٣]
ولم تَفُتْهُ من الأشياء واحِدَةٌ ... يَحْظَى بِهَا رَجلٌ إلاَّ الدَّنَانِيرُ

كان يقال : إذا لم يُرزق الإنسانُ ببلدة فلْيتحوَّل إلى أخرى .

قال ابنُ القاسم : سمعتُ مالكاً يقول : بلغنى أنَّ عمرَ بن الخطاب قال : مَنْ كانَ له رُزقٌ فى شىء فلْيَلزمه .

قال وقال مالك : سمعتُ أهل مكَّة يقولون : ما من أهل بيت فيهم اسم محمَّدٍ إلا رزقوا ورُزق خيراً .

قال العَكّى[٤] :

يَا رُبّ فِتْيَانٍ ذَوِى[٥] غُرْبَةٍ ... أَبنَاءِ أسْفَارٍ مُقِلِّينَا
مَا أَدرَكُوا فى طُولِ تطوَافِهِمْ ... خفضاً من العيش وَلاَ لِينَا
وَسَهَّلَ اللهُ بتوفيقه ... ما أَمَّلُوهُ للمقيمينَا
وَإذا الأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ ... يَقْسِمُهَا اللهُ فيعطينَا

ولسهل الورَّاق :

---

(١) ساقط من ب .
(٢) فى ا : قد جدل الأرض .
(٣) فى ا : القناطير .
(٤) ساقط من م ، ولم أعثر له على ترجمة .
(٥) ب : ولى .

أرى اثنين فى الدنيا وَشَتَّانَ مَا هُمَا ... وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ عَجِيبٌ شؤونه

أَخُو حَرَكَاتٍ[1] فى المكاسب مُعْدَمٍ[2] ... عَلَى أنَّهُ فيهــا قليلٌ سُــكُونُهُ

وآخر مُثْرٍ ذو سُــكُونٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى رزقه ذَاكَ السُّكُونُ يُعِينُهُ

أَلاَ رُبَّمَا يَأْسَى اللبيبُ لِمــا يَرَى ... وَيكمدُ حتَّى تستهـــــلّ جُفُونُه

كريمٌ جفاه دهرُه فَهْوَ ضــائِعٌ ... وَلاَ رَيْبَ إلاَّ أَنَّ دهرا يخونُهُ

وَوَغدٌ لئيمُ الطَّبْع تحوى يمينــه ... مكاسب ما خفت بهنَّ يمينهُ

فَذَاكَ عَلَى إقتـــارِهِ ذُو تجمّل ... وَذَا مقرفٌ جَعْدُ البَنَانِ ضَنِينُهُ[3]

إِذَا غاصَ فِي ذَا مُفْكِرٌ طاش عقلُهُ ... وَلم يَدْرِ ما أســبابه وَفنونُهُ

جُدودٌ وفيها للمفكر عِبْرَةٌ ... طويلٌ بهــا وَسْوَاسُهُ وَشُجُونُهُ

ولولا اعتصامُ المرءِ بالعلمِ إنه ... نجــاةٌ لأَهْلِيهِ لساءَتْ ظنونُهُ

وَما كانَ رَبِّى ـ عزَّ رَبِّى ـ بجائرٍ ... وَلـكنَّه علم عجيبٌ يَصُــونُهُ

شَهِدْتُ بأن الله عدلٌ قضاؤه ... وإنى بدين الموقنين أدِينُــه

وَقال آخر :

وَقَد يَحْرِمُ اللهُ الفَتَى وهْوَ عَاقِلٌ ... وَيُعطى الفَتَى مالاً وَلَيسَ بذِى عَقْلِ

وذلك عدلٌ مِنْ حكومَةِ رَبِّنَا ... يجودُ وَيُعْطى وَهْو ذو النائل الْجَزْلِ[4]

---

(١) فى ا : فواجد خير .

(٢) فى ب : مقدر .

(٣) فى ا : صفينه ، والمقرف :

(٤) ساقط من ا .

وقال آخر :

لَا تَعْذُلِي لَمْ أُقَصِّرْ وَيْكِ فِي الطَّلَبِ ... أَيَّ البِلَادِ وَأَيَّ الأَرضِ لم أَجُبِ

هذَا وفيّ خلالٌ كُلُّهَا سَبَبٌ ... إلى الغِنَى غيْرَ أَن الرِّزقَ لم يُجِبِ[1]

واللهَ أَحْمَدُ فى رِزْقِى فما صَرَفَتْ ... عَنِّى المكاسِبَ إلاّ حِرْفَةُ الأَدَبِ

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ :

وآيَسنى عِلْمِي بِأَلاّ تَقَدُّمِي ... مُفِيدِى وَلاَ مُزْرٍ عَلَيَّ تَأَخُّرِى

ولَوْ فَاتَنِى[2] المَقْدورُ مما أَرُومُه ... بِسعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الذى لمْ يُقَدَّرِ[3]

---

(١) ساقط من ا.

(٢) ق ا : يأتنى ، وقد أثبتنا ما ف ب لموافقته رواية الديوان .

(٣) ديوانه ٢/٥ .

باب الحِرْصِ والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة .

كان يقال : شدة الحرص من سبل المتالف(1) .

وقال الأحنف : آفة الحرص الحرمان ، ولا ينال الحريص إلاّ حَظّه .

كان الحسن البَصْرِيّ يقول : ما بَعُدَ أملٌ إلاّ مُلَّ عَمَل .

كان يقال : من أطالَ الأمل أماتَ العمل .

قال بعضُ الحكماء : الإنسانُ لا ينفكُّ من الأمل ، فإنْ فاته الأملُ قَوِى على المنى.

قال : والأمل يقع بسبب ، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه .

من كلام الحكماء : الرزقُ مَقْسوم ، والحريصُ محرومٌ ، والحسودُ مغمومٌ ، والبخيلُ مَذْموم .

قال الخليلُ بنُ أحمد :

الحِرْصُ مِنْ شَرِّ أذاةِ الفَتَى ... لا خَيْرَ في الحِرْصِ عَلَى حالِ
مَنْ بَاتَ مُحْتَاجًا إلى أَهْلِهِ ... هانَ عَلَى ابْنِ العَمِّ والْخالِ(2)

وقال غيره : الحرصُ(3) مَفْسَدَة ، والبخلُ مَبْغضة ، والعَجَلة خطأ ، والرفق يُمْن ، والبذاء(4) شؤم .

---

(1) في ا : المثالب

(2) انظر البيتين في عيون الأخبار ٣/١٧٨

(3) في ب : الرزق .

(4) في ا : الهزء .

وقال آخر :

أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحرِيصُ الْمُعَنَّى ... لَكَ رِزْقٌ وسَوف تَسْتَوْفيهِ
فاسأل اللهَ وحده ودع النَّا ... س وأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
لا ينالُ الحريصُ شيئاً فيكفيـ ... ـهِ وإنْ كانَ فَوْقَ ما يَكْفِيهِ[1]

وقال محمود الوراق :

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِيها إذا كنتَ قانِعاً ... وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الكثيرُ مَعَ الحِرْصِ
وإن اعتقادَ الهَمِّ للخيرِ جامعٌ ... وَقِلَّةُ هَمِّ المَرْءِ تَدْعُو إلى النَّغْصِ[2]

وقال أيضاً :

لا تحمَدَنَّ أَخَا حِرْصٍ عَلَى سَعَةٍ ... وانظر إليه بعين الماقِتِ القَالِي
إنَّ الحريصَ لمشغول بِشِقْوَتِهِ ... عن السُّرُورِ بما يحوى من المالِ[3]

وقال محمود الوراق أيضاً :

عَلاَمَ يشق الحريص فى طَلَبِ الرِّزْ ... قِ بِطولِ الرَّوَاحِ والدَّلَجِ
يا قارِعَ البَابِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ ... قد أَدْمَنَ القرع ثم لم يَلِجِ
وربَّ مُسْتَوْلِجٍ عَلَى مَهَلٍ ... لم يَشْقَ من قَرْعِهِ ولم يهج
فاطوِ عَلَى الهمِّ كَشْحَ مُصْطَبِرٍ[4] ... فآخر الهمِّ أَولُ الفَرَجِ

---

(١) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ١٧٨/٣
(٢) فى ب : الحرص ، وانظرها فى العقد ٢٠٦/٣ ، وفيه النقص مكان النغض .
(٣) للبيتان فى جامع بيان العلم وفضله ١٦٩/١ .
(٤) طوى كشحه على الشيء : أضمره وستره

وقال آخر :

يا أيها النَّاسُ كان لى أَمَلٌ أعْجَلَنى عَنْ بلوغه الأجلُ

فلْيتَّق اللهَ رَبَّهُ رَجُـــلٌ أمكنه فى حياته العَمَلُ(١)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل :

وَبَالِغُ أمرِ كانَ يَأْمُلُ دُونَهُ ومُخْتَلَجٍ من دون ما كانَ يأْمُلُ(٢)

وكان يتمثل أيضاً :

لا يَغُرَّنْكَ عِشاءٌ سَاكِنٌ قَدْ يُوافى بالمنيَّاتِ السَّحَرْ(٣)

كان المأمون يعجبه قول أبى العتاهية :

تَعَالَى اللهُ يا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ(٤)

أخذه أبو الفتح الملقب بِكُشاجم فقال :

بالحرصِ فى الرِّزْق يذِلُّ الفَتَى وفى القُنُوعِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ

قال أبو عمر : وشعر أبى العتاهية الذى فيه هذا البيت الذى أعجب المأمون :

نَعَى نَفْسِي إلىَّ مِنَ اللَّيَالِي تَصَرُّفُهُنَّ حَالاً بَعْدَ حالِ

فَما لِي لَسْتُ مَشْغُولاً بِنَفْسِى وَمالِي لا أَخَافُ المَوْتَ مَالِي

لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّى غَيْرُ بَاقٍ ولـكِنِّى أَرَانِي لا أُبَالِي

---

(١) البيتان فى معجم الأدباء ٢٥٩/٤ .

(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمدانى ، انظر حماسة البحترى ٣٤٦ ، وانظره فى لباب الآداب ٣١٢ ، معجم الأدباء ٤٢/١٩ ، بغير نسبة .

(٣) لباب الآداب ٣١٢ ، عيون الأخبار ١١٨/١ ، البيان والتبيين ١٨٨/٣ .

(٤) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو   أَذَلَّ الحِرْصُ أَعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عفوًا   أَلَيْسَ مَصيرُ ذاكَ إلى زَوالِ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى   وَشيكاً ما تُغَيِّرُهُ اللَّيالِي[1]

قال: فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبي العتاهية، قال[2]:

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ   يُزَهِّدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيده صادقاً   أَضْحَى وَأَمْسَى بيتُه المسجدُ
إن رفض الدنيا فما بالُهُ   يكتنز المال ويسترفدُ
يخافُ أن تَنْفَدَ أرزاقُه   والرزقُ عند الله لا ينفدُ
الرزقُ مَقْسُومٌ على من ترى   يَسْعَى له الأبيض والأسودُ

ولأبي العتاهية شعر في عروض شعره هذا وقافيته أوله[3]:

أَتَدْرِي أَيَّ ذلٍّ فِي السُّؤَالِ   وَفِي بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ

شعر حسن جيد في معناه قد ذكره في باب القناعة من هذا الكتاب.

قال زياد بن أبي سفيان: اثنان[4] يتعجلان النَّصَب ولا يظفران بالبُغية: الحريص في حرصه، ومعلِّم البليد ينبو عنه فهمه.

---

(١) انظر الأبيات في ديوانه ٢٠٥ . ٢٠٦ .

(٢) انظر الأبيات في جامع بيان العلم ١٩٤/١ ، ومعجم الأدباء ، ٢٣٩/١١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ ، الأغاني ٩٠/٢١ .

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، البيان والتبيين ٢١٨/١ .

(٤) ساقط من ا .

قال داوُد الطائى : يا ابن آدم ارتحلك[1] الحرصُ فأنساك أجلك ، و نصب لك أملك ، ورب حريص محروم ، وواجد مذموم .

قال مسلم بن قتيبة : فى إفراط الحرص مذلّة قبل إدراك الطلبة .

كانوا يقولون : أول دناءة الحرص ، تأميل البخل .

قال محمود الوراق :

أَرَاكَ يَزِيدُكَ الإِثْرَاءُ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ لاَ تَمُوتُ
فَهلْ لَكَ غَايَةٌ إِنْ صِرْتَ يَوْمًا إِلَيْهَا قُلْتَ حَسْبِي قَدْ رَضِيتُ

وقال آخر :

الحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَّ بِمَنْ تَرَى إلاَّ قَلِيلاَ
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْـ ـتَ الحِرْصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلاَ
فَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحْـ ـذَرْ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلا
فَلَرُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلَا[2]

وقال آخر :

كَمْ إلى كَمْ أَنْتَ لِلْحِرْ صِ وللآمالِ عَبْدُ
لَيْسَ يُجْدِى الحِرصُ والشُّغْـ ـلُ إِذَا لَمْ يكُ جَدُّ

(١) ارتحله : حط عليه رحله ليركبه أو يحمل عليه .
(٢) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم وفضله ٢/١٦٩ غير منسوبة لقائل، وهى لأبى العتاهية ديوانه ٢١٧ .

مَا لِمَا قد قَدَّر اللَّـ ـــــــهُ من الأمرِ مَردُّ(١)

وقال محمود الوراق :

لَا يَنْفَعُ الجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ والحَذَرُ   خُطَّ الكِتَابُ فَلَا وِرْدٌ وَلَا صَدَرُ
تَسْتَعجِلُ النَّفْسُ آمالاً لِتَبلُغَهَا   كَأَنَّهَا لَا تَرَى مَا يَصنَعُ القَدَرُ

وقال آخر :

كُلُّنَا نَأْمُلُ مَدًّا فى الأَجَلْ   وَالمَنَايَا هُنَّ آفاتُ الأَملِ(٢)

وقال آخر :

لَقَد غَرَّتِ الدُّنيَا رِجالاً فَأَصبَحُوا   بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَها مُتَحَوَّلُ
فَساخِطُ أَمرٍ لا يُبَدَّلُ غَيْرَهُ   وَرَاضٍ بِعَيشٍ غَيْرَهُ سَيُبدَّلُ
وَبالغ أَمرٍ كانَ يأمل غَيره(٣)   وَمُخْتَلَجٍ من دون ما كان يأمل(٤)

وقال محمود الوراق :

الحِرصُ عَوْنٌ للزَّمانِ على الفتى   وَالصَّبْرُ نِعمَ العَوْنُ للأَزْمانِ
لَا تَخْضَعَنَّ فإِنَّ دَهرَكَ إنْ رأى   مِنْكَ الخُضُوعَ أَمَدَّهُ بِهَوَانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « احرص على ما ينفعك ولا تعجز ، فإنه

---

(١) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ١/١٧٠ ، وقد ورد البيت الأول هكذا :

كم أنت للحرص والأمانى عبد

وقد وردت فى العقد ٣/٢٠٧ منسوبة لابن أبى حازم .

(٢) البيان والتبيين ٣/١٨٨ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) الأبيات لمحمد بن المستنير النحوى البصرى ، المعروف بقطرب ، انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ ، وفيه : فساخط عيش ، ومصطلم مكان مختلج ، ووردت أيضا فى العقد الفريد ٣/١٧٥ بدون نسبة ، وفيه مخترم بدله مختلج والألفاظ الثلاثة معناها واحد ، وهو المختطف بالموت فجأة .

غلبك أمر فقل : قَدَرُ الله وماشاء فعل ، وإياكَ واللَّو ، فإنَّ اللَّوَّ يفتح عمل الشيطان».

ولأبي عبد اللهِ الصُّوري :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا   وَهِمَّةُ الإِنْسَانِ مَا يَجْمَعُ
قَنَعْتُ بِالْقُوتِ فنِلْتُ المُنَى   وَالفَاضِلُ العَاقِلُ مَنْ يَقْنَعُ
وَلَمْ أُنَافِسْ فِي طِلَابِ الغِنَى   عِلْماً بِأَنَّ الحِرص لا يَنْفَعُ

ولبَكْرِ بن حَمَّاد :

النَّاسُ حَرْصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ   فَصَفْوُهَا لَكَ ممزوج بِتَكْدِيرِ (١)

في أبيات ذكرتها في باب «ذكر الدُّنيا» من هذا الكتاب .

---

(١) انظر ص ١٤٣ .

بابُ الطَّمَعِ واليأس

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يستعيذُ بالله من طَمَعٍ فى غيْرِ مَطْمَعٍ ، ومن طَمَعٍ يقود[1] إلى طبع .

قال عمرُ بن الخطاب : ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع .

وفى حديث آخر أن عُمَر أو ابن الزبير قال[2] لكعب : ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه ؟ قال : الطمع ، وطلب الحاجات إلى الناس .

وقال كعب : الصَّفا[3] الزَّلَّال الذى لا تثبت عليه أقدام العلماء : الطمع .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فى اليأس الغنى ، وفى الطمع الفقر ، وفى العزلة راحة من خلطاء[4] السوء .

قال عَمْرُو بن عُبَيْد : فى المؤمن ثلاثُ خلال : يسمعُ الكلمة التى تؤذيه فيضربُ عنها صفحاً كأن لم يسمعها ، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه ، ويقطعُ أسبابَ الطمع من الخلق .

قال أبو العتاهية[5] :

أَطَعْتُ مَطَامِعِى فاستَعْبَدَتْنِى ... وَلَوْ أَنِّى قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرّا

---

(١) ا : يعود .

(٢) فى ب أن عمر وابن الزبير قالا .

(٣) ساقط من ا .

(٤) فى ب : خطا .

(٥) ديوانه ٩٥ .

ولإسحاق الموصلى :

اللُّؤْمُ وَالذُّلُّ وَالضَّرَاعَةُ وَالفَا قَةُ فِى أَصْلِ أُذْنِ مَنْ طَمعا

قال ابن المبارك رضى الله عنه : ما الذلُّ إلاّ فى الطمع .

وقال غيره : وَيْحَ من غرّه الطمع ، وتمادى به الوَلَع .

وقال أبو العتاهية(١) :

أَذَلَّ الحِرْصُ وَالطَّمَعُ الرِّقَابَا

وله أيضاً :

إِنَّ المَطامِعَ مَا عَلِمْتَ مَذَلَّةٌ لِلطَّامِعِينَ وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ(٢)

وقال محمود الوراق :

وَمَا زِلت أَسْمَعُ أَنَّ النُّفُوسَ مَصَارِعُها بَيْنَ أَيْدِى الطَّمَعْ

وقال بعض الحكماء : قلوبُ الجهّال تُسْتَعْبَدُ بالأطماع ، وتُسْتَرَقُّ بالمنى ، وتُنَالُ(٣) بالخدائع .

قال محمد بن أبى حازم :

جَعَلْتُ غَنِيمَةَ الأَطْمَاعِ يَأْسًا فَآوَتْنى إِلَى كَنَفٍ وَدِيعِ(٤)

---

(١) ديوانه ١٣ وعجز البيت * وقد يعفو الكريم إذا استرابا *

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) فى ب : وتملك .

(٤) ورد البيت فى ب هكذا :

جعلت عقيبة الأطماع يأساً فآوانى الى كهف وديع

فَتِلْكَ مَطِيَّةُ الإِقْبالِ غُفْلاً بِلاَ رَحْلٍ يُشَدُّ وَلاَ نُسُوعِ

وقال آخر :

اليأْسُ عَمَّا بِأَيْدِي الناسِ مَكْرُمَةٌ وَالرِّزْقُ يصحب والأرزاقُ تَتَّسِعُ
لاَ تَجْزَعَنَّ عَلَى ما فَاتَ مَطْلَبُهُ ها قد جزعت فماذا ينفع الجزَعُ
إنَّ السَّعَادَةَ يَأْسٌ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ بعضُ المرادِ وَإِنَّ الشِّقْوَةَ الطمعُ(١)

أتى رجلٌ إلى خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْرِيّ ، فقال : أتكلم بجرأة اليأس ، أم بهيبة الأمل ؟ قال بل بهيبةِ الأمل. فسأله حاجةً ، فقضاها .

وقال الهَمْدانيّ :

فَلاَ الحِرصُ يُغْنِيني وَلَا اليأْسُ مَانِعِي نَصيبِي مِنَ الشَّيءِ الَّذِي أنَا آمُلُه(٢)

وقال محمود الوراق :

حَدَّثْتُ باليأْسِ عَنْكَ النَّفسَ فانْصَرَفَتْ واليأْسُ أَحْمَدُ مَرْجُوٍّ مِنَ الطَّمَعِ
فَكُنْ على ثِقَةٍ أَنِّي على ثِقَةٍ أَلاَّ أُعَلِّلَ نَفْسِي مِنكَ بالخُدَعِ(٣)
مَحَوْتُ ذِكْرَكَ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ أُذُنِي وَمِنْ لِسانِي فَصِلْ إنْ شِئْتَ أَوْ فَدَعِ
إنَّ الَّذِي بِبِلاَدِ الصِّينِ أَقْرَبُ لِي وَسَاءَ مُنْتَجَعًا لَوْ رُمْتُ مُنْتَجَعِي
إِذَا تَبَاعَدَ قَلْبِي عَنْكَ مُنْصَرِفًا فَلَيْسَ يُدْنيكَ مِنِّي(٤) أَنْ تَكُونَ مَعِي

(١) الأبيات في لباب الآداب ٣١٨ ، وفيه : إن ظفرت به بعض المرار .
(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمداني، انظر حماسة البحتري ٢٠٠ ، وفيه : أنا نأمله ، وانظر عيون الأخبار ٢٤٣/٣ .
(٣) في ا : ألا أعلل بعد اليوم بالخدع .
(٤) في ا : إلا .

وقال آخر :

وَلاَ تُلْبِثُ الأَطْماعُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ... مِنَ الدِّينِ شَيْءٌ انْ[1] تَمِيلَ بِهِ النَّفْسُ

كان بشرُ بن الحارث[2] ينشد هذه الأبيات كثيرًا متمثلاً بها :

الْمَرْءُ يُزْرِى بِلُبِّهِ طَمَعُهْ ... وَالدَّهْرُ فَاعْلَمْ كَثِيرَةٌ خُدَعُهْ

والنَّاسُ إِخْوَانُ كُلِّ ذِي نَشَبٍ ... قَدْ جَاعَ عَبْدٌ إِلَيْهِمُ ضَرَعُهْ

وكُلُّ مَنْ كانَ مُسْلِماً وَرِعاً ... يَشْغَلُهُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَرَعُهْ

كَما المَرِيضُ السَّقِيمُ يَشْغَلُهُ ... عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهْ

وقال آخر :

اللهَ أَحْمَدُ شاكِرًا ... فَبَلاَؤُهُ حَسَنٌ جَمِيلُ

أصبحت مسروراً مُعاً ... فًى بَيْنَ أَنْعُمِهِ أجُولُ

خلوًا منَ الأَحزانِ خِفٌّ م ... الظهر يُغنِينِى القليلُ

وَنَفَيْتُ بِالْيَأْسِ الْمُنَى ... عَنِّى فَطَابَ لِيَ الْمَقِيلُ

والنَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَنْ ... خَفَّتْ مَؤُونَتُهُ خَلِيلُ[3]

---

(١) فى ب : أو .

(٢) بشر بن الحارث المروزى ، المعروف بالحافى ، من كبار الصالحين ، ومن ثقات رجال الحديث ، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٦٧/٧ ، روضات الجنات ١٢٣/١ ، (الأعلام ٢٦/٢)

(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ٦٨/١٦ ، بغير نسبة .

باب ذمّ السؤال ، وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً ، فقال عمر : يا رسول الله ! أعطه من هو أفقر مني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذه فتموله أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه ، ولا سائل له[1] فخذه ، وما لا فلا[1] تتْبعه نفسك » .

قال سالم : فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يردّ شيئاً أُعْطيه .

قال ثَوْبَانُ : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تسألوا الناس » قال : فما سألتُ أحداً شيئاً بعدها ، فكان سوطه يسقط من يده ، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه .

ومن حديث مالك،أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه ، فقال له : « لم رددْته » ؟ فقال : يارسول الله ! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألاّ يأخذ[2] من أحد شيئاً ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إنما ذلك عن المسألة ، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك » . فقال عمر : والذى نفسى بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلاّ أخذته .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) فى ا : أن خيراً لأحد أن يأخذ .

قال أبو الدَّرْدَاء : إنّ أحدَكم يقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أنَّ الله لايخلق له ديناراً ولا درهماً ؛ وإنما يرزقُ بعضكم من بعض ، فإذا أُعطىَ أحدكم شيئًا فليقبلْه، فإنْ كان غِنيا فلْيَضعْه فى أهل الحاجة من إخوانه ، وإن كان إليه فقيراً فليستَعِنْ به على حاجته ، ولا يردّ على الله رزقَه الذى رزقه .

قال عبد الله بن عُمر : ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبلَه ، فإن كان غنيا عاد به على أخيه ، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه اللهُ له .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « من سأَل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جَمْر جهنم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « للسائل خدوشٌ أو كُدُوحٌ يَكْدَحُ بها الرّجلُ وجهه إلاّ أن[1] يسأَل ذا سُلْطان » .

وروى عنه عليه السلام ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : « إذا دَخَلَ السّائلُ بغير إذنٍ فلا تُطْعموه» .

وقال عليه السلام : « مَنْ كان لا بدّ سائلا فليسأَل الصّالحين ، أو ذا سلطان ، أو فى أمر لا يجد منه بدًّا » .

وقد أشبعنا هـذا الباب وأوضحنا معانيه فى كتاب « التمهيد » والحمد لله .

رفع الواقدىُّ — رحمه الله — إلى المأمون رقعة ، فوقع فيها المأمون : إنك رجلٌ فيك خَلّتان : سخاء وحياء ، فأَما السخاء فهو الذى أطلق ما فى يديك ، وأما الحياء فهو الذى منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه[2] ، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف .

---

(١) فى ا : إذا بدلا من : إلا أن .
(٢) فى ب : فيه .

درهم[١]. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتنى وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرى ، عن أنَس ، أن رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، قال للزُّبير «يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، ينزل اللهُ للعباد أرزاقهم عَلَى قَدْر نفقاتهم ، فمن كَثَّر كُثِّرَ له ، ومن قَلَّلَ قُلِّلَ له » . قال الواقديّ : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياى له أعجب إلىّ من الجائزة .

قال أبو العتاهية[٢] :

إذَا مَا المَرْءُ صِرْتَ إلى سُؤَالِهْ فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهْ
وَمَنْ عَرَفَ المَحامِدَ جَدَّ فيهاَ وحَنَّ إلى المَكارِمِ باحْتِيالِهْ[٣]
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مَحْمَدَةً[٤] بِمالٍ وَلَوْ كانَتْ تُحِيطُ بِكُلِّ مَالِهْ
عِيَالُ اللهِ أَكْرَمُهُمْ عليهِ أَبَرُّهُم المَكارِمَ فِى عِيَالِهْ

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفُّفُ المَرْءِ عَنْ سُؤَالِهْ وَكَسْبُهُ الْحِلَّ باحْتِيَالِهْ
وَسَعْيُهُ فِى صَلاحِ عَيْشٍ لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيالِهْ
مُرُوءَةٌ وَبَالِغٌ بِهَا[٥] مَن يَبْلُغُهَا مُنْتَهى كَمالِهْ

---

(١) فى لباب الآداب ٨٣ أنها مائة ألف درهم .
(٢) ديوانه ٢٣٠ .
(٣) فى الديوان : إلى المحامد باحتياله .
(٤) فى ب : ولم تشغله .
(٥) فى ب : ومنها .

ومن يَصُنْ وَجْهَهُ يَزِنْهُ صِيَانَةَ الْوَجْهِ مِنْ جَمالِهْ
رِضَى الفَتَى بالقضاء عِزٌّ وذِلَّةُ الوَجْهِ فِي ابْتِذَالِهْ

ولأبي دُلَف العجلي (١) :

بَلوْتُ مرَارَةَ الأَشْيَاءِ طرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَالِ
وَلمْ أَرَ فِي الخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلا (٢) وأَصْعَبَ مِنْ مُمَادَاةِ الرِّجالِ (٣)

وقال أعرابي :

عَلَامَ سُؤَالُ النَّاسِ وَالرِّزْقُ واسِعٌ وأَنْتَ صَحِيحٌ لم تَخُنْكَ الأصابعُ
وَفِي العَيْشِ (٤) أَوْطَارٌ وَفِي الأرضِ مَذْهَبٌ عرِيضٌ وَبَابُ الرِّزْقِ فِي الأرضِ وَاسِعُ
فَكُن طَالبًا لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِق الغِنَى وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَاللهُ صانِعُ

وحج هارون الرشيدُ ، فأَرسل إلى سفيان بن عيينة فأَمره أن يحدث بنيه ، فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سأَلنى الناس فامتنعت عليهم ، ولكنى أجلس لبنيك وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سأَلناك الجلوس لنا فأَبيت علينا ، فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستملى : أنصتهم لى . فصاح المستملى : صَه صَه . فسكت الناس ، فأَخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثنى الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شىء

(١) فى ا : وقال آخر .
(٢) فى ا : هما .
(٣) البيتان لأبى العتاهية كما فى ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذقت مرارة ... الخ ، ونسبت للأفوه الأودى فى عيون الأخبار ١١٣/٢ .
(٤) فى ا : وللعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاك الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله ، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء[1].

أشخص المنصور سِوَارًا القاضيَ[2] من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه ، فمر بواسط ، وفيها يحي بن سعيد الأنصاري[3] يتولى القضاء ، فدُلَّ[4] عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفيني من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ[5] قدم عليه ، وكلمه فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم . قال : هيه . قال : يحي بن سعيد تعفيه من القضاء . قال : قد أعفيته . فلما انحدر سِوَار مرّ بواسط ، فقال ليحي بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيرًا عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست[6] مائة درهم في كلّ شهر .

كأنه أراد أن يعرّض ولا يحقّق .

كان الحسن البصريّ رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمقُ أو مُرَاءٍ ، وقد ذكرنا مَنْ رأى[7] قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم ، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب « التمهيد » والحمد لله .

---

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري ، من أهل البصرة ولي قضاءها لأبي جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه، له أخبار مشهورة في العدل والورع توفي سنة ١٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٤/٢٦٩، تاريخ بغداد ٩/٢١٠.

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري، من أكابر أهل الحديث ولي قضاء المدينة في زمن بني أمية ، ثم رحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتوفي بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ، تاريخ بغداد ١٤/١٠١ .

(٤) ب : فنزل .

(٥) ب : إذا .

(٦) ا : السنة .

(٧) ساقط من ا .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير(١) : إذا كانت لأحدكم إلىّ حاجة فليرفعها فى رقعة ولا يواجهنى بها ، فإنى أكره أن أرى فى وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما اعْتَاضَ باذلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الغِنَى بِسُؤَالِ
وإذا السُّؤَالُ مع النوَالِ وزنْتَه رَجَحَ السُّؤَالُ وخفَّ كلُّ نوال(٢)

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ نَصَبْتَ(٣) لِيَ الْمُنَى أَنّ الخصَاصَةَ لاَ تُدَاوَى بِالْمُنَى
فَلَئِنْ وَفَيْتَ لَأَنْهضَنَّ بِشُكْرِكُمْ وَلَئِنْ أَبَيْتَ لأحملنَّ على القضا

فأنجز له عبدالله بن طاهر عِدَته .

قال الحسن بن عُبَيْد البغدادى :

صُنِ الوَجْهَ الّذِى إنْ لَمْ تَصُنْهُ بَقِيتَ وَأَنْتَ فى الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وعِشْ حُرًّا ولاَ يَحْمِلْكَ ضُرٌّ عَلَى مَرْعىً لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْىُ إلاَّ الصَّبْرَ حَتّى يُدِيلَ اليُسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلُ(٤)
أَلَيْسَ لِكلِّ آفِلَةٍ طُلُوعٌ بَلَى ولِكُلِّ طَالِعَةٍ أُفُولُ

---

(١) الحرشى العامرى ، زاهد من كبار التابعين ، ومحدث ثقة ، له كلمات فى الحكم مأثورة ، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة ، توفى سنة ٨٧هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لى يصيب .

(٤) ب : يزيل اليسر من عسر مزيل .

وكان أَبَانُ بنُ عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلادٌ وَلَا اسْتَطْرَفْتُ من نَشَبٍ وَمَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللهِ من أَحَدِ
إِنِّى لَأُكرم وَجْهِى أن أُوَجِّهَهُ عِنْدَ السُّؤَال لغير الوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ القَنَاعَةِ والإيمان يَمْنَعُنِى من التَّعَرُّضِ للمَنَّانَةِ النَّكِدِ
رضيت باللهِ فى[1] يَوْمِى وفى غدِهِ واللهُ أكرمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَدْرِى أَىَّ ذُلٍّ فى السُّؤَالِ وَفِى بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّنَزُّه مَنْ رَعَاهُ وَيَسْتَغْنِى العَفِيفُ بغيرِ مالِ
إذا كان السُّؤال بِبَذْلِ وَجْهِى فَلَا قُرِّبْتُ من ذاك النَّوالِ
مَعَاذَ اللهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ يكون الفَضْلُ فيه عَلَيَّ لَالِى[2]

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلاً مَا رَحِمُوهُ[3]

ولأبى دلف أو لعبد الله بن طاهر :

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بِرِّنَا قلاًّ وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِلِ[4]

---

(١) ب : من .

(٢) ديوانه ٢٢٦ .

(٣) ديوانه : ٢٩٥ ، وفيه : ماوصلوه .

(٤) ونسب البيت فى العقد الفريد ١/٢٨٧ إلى الحسن بن وهب ، وانظره فى عيون الأخبار ١/٣٢٤ .

وقال عبدُ الصمد بن المُعَذَّل(١) ، فى حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة ، قالت له امرأته: لو أتيتَه فسألته، فقال :

تُـكَلِّفُنِى إذلالَ نَفْسِى لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أن أُهَانَ لِتُـكْرَمَا
تقول : سَلِ المعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ فقلتُ : سليه ربَّ يَحْيَى بنِ أَكْثَمَا(٢)

وقال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد :

أقول لمأفون البديهة طائر مَعَ الْحِرْصِ لم يغنم ولم يَتَمَوَّلِ
سَلِ الناسَ إنِّى سائِلُ اللهِ وحْدَهُ وصائِنُ عِرْضِى عن فُلَانٍ وعَن فُلِ(٣)

قال حبيب :

ومَا أُبَالِى وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِى ماءَ وَجْهِى أَمْ حقَنْتَ دَمِى(٤)

قال محمود الوراق :

يا أيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْـلِهِ رزقًا لَهُ جُرْتَ عَنِ الحِـكْمَهْ
لاَ تَطْلُبِ الرِّزْقَ إلَى طَالِبٍ مِثْلِكَ مُحْتَاجٍ إلَى الرَّحْمَهْ
وارغب إلَى اللهِ الذى لم يَزَلْ فى يده النعمـة والنِّقْمَهْ(٥)

وقال يونس(٦) :

---

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ فى البصرة ، وكان هجاء شديد العارضة . توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/٢٧٧ ، الموشح للمرزبانى ٣٤٦ (الأعلام ٤/١٣٤) .

(٢) البيتان فى وفيات الأعيان ٦/٦٢ ، الكامل ١/٢٣٣ .

(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/٣٣٠ .

(٤) ديوانه ١٤٥ ، العقد الفريد ٥/٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .

(٥) ساقط من ب .

(٦) الأرجح أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة ومحدثها ، وكان يتكسب من بيع الخز ، وقد نعته الذهبى نه أحد أعلام الهدى ، توفى سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبى ٥/٣١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢ (الأعلام ٩/٣٤٦) .

إنّ الوُقوفَ عَلَى الأَبْوَابِ حِرْمان والعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الإنسَانَ إنسان
حتى م تأمُل مَخْلُوقاً وتقصـــــده إن كان عندك بالرحمن إيمانُ
عَطَاؤُهُ لَكَ إِنْ أَعْطاكَهُ ضِيعَةٌ(١) فَكَيْفَ إنْ كانَ بَعْدَ المَطْلِ حِرْمانُ
ثِق بالذى هو يُعْطى ذا ويمنع ذا فى كلِّ يوم له فى خَلْقِهِ شانُ

(٢) قال محمود الوراق :

إنَّ السُّؤَالَ — فعدِّ عنه — قَلِيلُهُ ثَمَنٌ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مالِ
والحال تَقْعُدُ بالكريم فما ترى فيه لِعِزَّتِهِ تَغَيُّرَ حالِ (٢)

وقال أيضاً :

شَادَ المُلُوكُ قُصُورَهُمْ وتَحَصَّنُوا مِنْ كلِّ طالِبِ حاجَةٍ أَوْ رَاغِبِ
غَالَوْا بِأَبْوَابِ الحَدِيدِ تَمَنُّعاً قَدْ بَالَغوا فِى قُبْحِ وَجْهِ الحاجبِ(٣)
فَاطْلُبْ إلَى مَلِكِ المُلوكِ وَلاَ تَكُنْ بَادِى الضَّرَاعَةِ طالِباً منْ طَالِبِ

وقال النمر بن تولب :

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِى مالِهِ وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فَاغْضَبِ(٤)

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لَا يَخِيبُ(٥)

---

(١) فى ا : إن أعطاك ضيعة . (٢) ساقط من ب .
(٣) فى ب : لمنعها وتانقوا ، وفى العقد الفريد ١/٨٦ : لعزها وتنوقوا بمعنى بالغوا أيضاً .
(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن الشجرى ١٦ .
(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ٣/١٨٨ ، العقد الفريد ٤/٢٤٨ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى ... وَإلى الَّذِي يَهَبُ الرَّغائِبَ فَارْغَبِ (١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إنْ كُنْتَ مَادِحًا ... لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالعِرْضُ وَافِرُ (٢)

وقال سَلْمٌ الخاسر :

وَفَتًى خَلَا مِنْ مَالِهِ ... وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خالِ

أَعْطاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَكَفاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ (٣)

قال قيسُ بنُ عاصِم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابيٌّ على داود بن مزْيَد المهلّبي ، فقال : إنى لم أصُنْ وجهى عن مسألتك ، فصُنْ وجهك عن ردِّى ، وَضَعْنى من كرمك بحيث وضعتك من أملى فيك . قال : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من قدرك . قال : والله لئن جاوزتَ قدرى فما بلغتْ قدرَك .

قال أبو الفرج الببغاء :

ما الذُّلُّ إلاَّ تَحَمُّلُ المِنَنِ ... فَكُنْ عَزِيزًا إنْ شِئْتَ أوْ فَهُنِ (٤)

(١) انظر مراجع البيت فى هامش رقم ٤ فى الصفحة السابقة .

(٢) ديوانه ٣٨ ، وتردد فى نسبتها فى العقد ٢٧٨/١ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .

(٣) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٢٤١/١١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣١٣/٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها فى فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلمى ، وورد البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٣١ بدون نسبة .

(٤) يتيمة الدهر ٢٢٩/١ ، نهاية الأرب ١٠٦/٣ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الكِلاَبِ طَلَبْتَ عظْماً لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بالمُحَالِ[١]

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ نَائِلاً تَرْتَجِيهِ مِنْ يَدَىْ مَنْ[٢] تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
أَىُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الفَضْلِ مِنْ بَعْـــدِ تَقَاضِيهِ وَابْتِذَالِ الوُجُوهِ
إنمَا الفَضْلُ وَالسَّمَاحُ لِمَنْ يُعْـ طِيكَ عَفْوًا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ
أَيُّهَا الدَّائِبُ الحَرِيصُ المُعَنَّى[٣] لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ
فَسَلِ اللهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّا سَ وَأَسْخِطْهُمُ بِمَا يُرْضِيهِ
لَنْ تَرَى مُعْطِياً لِمَا مَنَعَ اللَّـــهُ وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلاً فَخَالِلْ مِثْلَ حَسانَ بنِ سَعدِ[٤]
فَتًى لَا يَرْزَأُ الإِخْوَانَ شَيْئًا وَيَرْزَؤُهُ الخَلِيلُ بِغَيْرِ كَدِّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الأَعْرَابِ شَيْئًا حَمِدْتُ اللهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِى[٥]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ .
(٢) فى ب : ما .
(٣) فى ب : تأبد .
(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفرزدق فى مدح حسان بن سعد الأسدى من أهل الكوفة وكان والى البحرين، وبنى لبنى أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفرزدق ١٥٣ .
(٥) انظر البيت فى عيون الأخبار ٣/١٣٤ بدون نسبة، وقد نسب فى الكامل ١/٢٠٨ إلى أبى فرعون العدوى .

وقال أعرابي :

إنَّ المَسائلَ للرِّجالِ مَذلَّةٌ تَفنى مَنافِعُها ويَخْلُدُ عارُها

وقال آخر :

وكائنْ رأينا مِنْ فَتًى مُتجمِّلٍ يَظَلُّ ويُمْسي لَيْسَ يَملِكُ دِرْهَما
يَبيتُ يُراعي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حالِهِ ويُصْبحُ يُلْقَى(١) ضاحِكاً مُتَبسِّما
ولا يَسأَلُ المُثرينَ ما في رِحالِهِمْ ولَوْ ماتَ هُزْلاً عِفَّةً وتَكرُّما
ولا يَسْأَلَنْ مَنْ كانَ يَسأَل مَرَّةً(٢) وإنْ كَثُرَتْ أموالُهُ وتَدَرْهَما

وقال ربيعة الرَّقّي :

ولا تَسأَلِ الناسَ ما يَملِكونَ ولكِنْ سَلِ اللهَ واسْتَكْفِهِ
ولا تَخْضَعَنَّ إلى سِفْلَةٍ(٣) وإنْ كانَتْ الأَرضُ في كَفِّهِ
فإنَّ اللَّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ كَريمًا يَذودُكَ عن عُرْفِهِ
ويَرجِعُ مَحْصُولُ أخْلاقِهِ إلى أصلِهِ وإلى صِنْفِهِ
وكلُّ مُقِلٍّ وذي ثَروَةٍ فإنَّ المَنيَّةَ مِن(٤) خَلْفِهِ

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ العُرْفَ إنْ سَأَلْتَ كَريمًا لَمْ يَزَلْ يَعرِفُ الغِنَى واليَسارا

---

(١) في ا : منها .
(٢) في ا : ولاسائل من قد كان سيل مرة .
(٣) في ب : سفيه .
(٤) في ب : في .

فَقَليلُ الشَّريفِ يُكْسِبُ مَجْدًا   وَكَثيرُ الوَضيعِ يُكْسِبُ عارَا
وإذا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ   فَالْقَ بالذُّلِّ إنْ لَقيتَ الكِبارَا
لَيْسَ إجْلالُكَ الكَبيرَ بِذُلٍّ   إنَّما الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصِّغارَا

وقال أيضاً :

يا أيها المتعبُ بُزْلَ الجمالْ   وطالبَ الحاجاتِ مِنْ ذِي النَّوالْ
لا تَحْسَبَنّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى   فَإِنَّما المَوْتُ سُؤالُ الرِّجالْ
كِلاهُما مَوْتٌ ولكِنّ ذا   أَشَدُّ مِنْ ذاكَ لِذُلِّ السُّؤالْ(١)

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق :

بَخِلْتُ ولَيْسَ البُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً   وَلكِنْ رَأَيْتُ الفَقْرَ شَرَّ سَبِيل
لَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ مِنَ البُخْلِ لِلْفَتَى   ولَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤالِ بَخِيلِ
فَلا تَسْأَلَنْ مَنْ كانَ يَسْأَلُ مَرَّةً   فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤالِ سَئُولِ
لَعَمْرُكَ ما شَيْءٌ لِوَجْهِكَ قِيمَةٌ   فَلا تَلْقَ إنْسانًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ(٢)

وقال ابن المعتز :

يا رُبَّ جُودٍ جَرّ فَقْرَ امْرِئٍ   فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقامَ الذَّلِيلْ
فَاشْدُدْ عُرَى مالِكَ واسْتَبْقِهِ   فالبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤالِ البَخِيلْ(٣)

---

(١) انظر البيتين الثاني والثالث فقط في لباب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديد القوي .
(٢) الأبيات في لباب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثاني فيه : لموت الفتى خير من الموت للفتى والموت خير... الخ
(٣) البيتان في زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابي لص :

وإِنِّى لَأَسْتَحْـيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُرَى أَطُوفُ بِحَبْلٍ لَيْسَ فِيهِ بَعِير
وأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ[1] بَعِيرَهُ وبُعْرَانُ رَبِّى فِى الْبِلَادِ كَثِيرُ[2]

وفى التمهيد أبيات فى هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها[3] ها هنا .

(١) فى ا : اللقيم .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٣٧ ،غير منسوبين ، وهما للأحيمر السعدى كما فى المؤتلف والمختلف ١٦.
(٣) فى ب : لمن ادكرها .

بابُ انتِظَارِ الفرَجِ (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتظار الفرج بالصبر (٢) عبادة » .

ويروى لأبى محجن الثقفى :

عَسَى فَرَجٌ يأْتِى بِهِ (٣) اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كلَّ يَوْمٍ فِى خليقَتِهِ أَمْرُ

عَسَى مَا تَرَى ألاَّ يَدُومَ وأَنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

إِذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فإنَّهُ ... قَضَى اللهُ أنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ (٤)

وقال الأضبط بن قُرَيع :

لِكلِّ ضِيقٍ مِن الأُمُورِ سَعَهْ ... والمُسْىُ والصُّبْحُ لاَ بَقاءَ (٥) مَعَهْ (٦)

وقال آخر :

كُنْ عَن هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَكِلِ الأُمُورَ إِلَى القَضَا

وَابْشِرْ بِخَيْرٍ (٧) عاجِلٍ ... تَنْسَى بِهِ ما قَدْ مَضَى

فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ ... لَكَ فِى عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

(٨) كان يقال : كن لما لا ترجُو أرْجَى منك لما تَرْجو .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ب : من .

(٤) التمثيل والمحاضرة : ١٠ ، لباب الآداب ٦٣ .

(٥) فى ب : والعشى . وفى ا : لافلاح .

(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٢٢٦ ، والشطر الأول فيه : لكل ضيق من الهموم سعة ، وانظره فى البيان ٣/٣٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٠ ، أمالى القالى ١/٧٠ .

(٧) فى ب : ببشر .

(٨) يبدأ من هنا نقص يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب .

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الأَمْرِ أَرْجَى ... مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجِ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا ... مِنْ ضِيَاءٍ رَآهُ وَاللَّيْلُ دَاجِ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّـ ... ـهَ وَنَاجَاهُ وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِ
وَكَذَا الأَمْرُ كُلَّمَا ضَاقَ بِالنَّا ... سِ أَتَى اللهُ فِيهِ سَاعَةً بِالانْفِرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عُسْرٌ لِمُنْتَظِرِ الْفَرَجْ *

وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ... وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلٰكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ(١)

وقال آخر :

رَوِّحْ فُؤَادَكَ بِالرِّضَا ... تَرْجِعْ إِلَى رَوْحٍ رَطِيبْ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ ... الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبْ(٢)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ ... وَلَا كُلُّ مَسْعًى فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنْفَعَهْ

---

(١) البيان والتبيين ١/١٨٩، المختار من شعر بشار ٢١١، وفيه إن العسر بدل الصبر فى الشطرة الأولى .
(٢) لباب الآداب ٢٤٧ ، مجموعة المعانى ٦٢ .

إِذا كَانَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءً فَاغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَهْ
وَإِنْ ضِقْتَ فَاصْبِرْ يُفَرِّجِ اللهُ مَا تَرَى أَلَا رُبَّ ضِيقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَهْ (١)

وقال آخر:

رُبَّمَا خِيرَ لِامْرِئٍ وَهْوَ لِلأَمْرِ كَارِهْ
رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ حَيْثُ تَأْتِي المَكَارِهْ (٢)

وقال أحمد بن محمود ، وقيل إنها لأحمد بن صالح :

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ الْخُطُوبُ وضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ واطْمَأَنَّتْ وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
ولَمْ تَرَ لانْفِرَاجِ الضِّيْقِ وَجْهًا وقَدْ أَعْيَى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وكلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ
وَمَوْلَانَا الإِلَهُ فَخَيْرُ مَوْلًى لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ (٣)

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا يَدرِي الْفَتَى كَيفَ يَتَّقِي نَوَائِبَ هٰذَا الدَّهْرِ أَم كَيفَ يَحْذَرُ
يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَيَخَافُهُ ومَالاَ يَرَى مِمَّا يَقِي اللهُ أَكْبَرُ (٤)

---

(١) الأبيات لعلى بن الجهم، وقد سبقت فى ص ١٤٨

(٢) فصل المقال ٣١٦ ، لباب الآداب ١١٠ ، بدون نسبة .

(٣) وردت الأبيات عدا الأخير منسوبة إلى ابن السكيت فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢، وانظرها فى أمالى القالى ٢٧/٣٠٣ ، ٣٠٤ ، لباب الآداب ٣٦١ ، مع اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية .

(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٠٦٤ .

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الحَادِثَاتُ بَلَغْنَ المَدَى ... وَكَادَتْ لَهُنَّ تَذُوبُ الْمُهَجْ
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَفَا ... فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجْ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْغَمِرًا ... بِالضِّيقِ فِي لُجَجٍ تَهْوِي إِلَى لُجَجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ ... بِاللهِ إِلَّا أَتَاهُ اللهُ بِالْفَرَجِ
لا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا ضِقْتَ مِنْ فَرَجٍ ... يَأْتِي بِهِ اللهُ فِي الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ
وَإِنْ تَضَايَقَ بَابٌ عَنْكَ مُرْتَتِجٌ ... فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ بَابًا غَيْرَ مُرْتَتِجِ (١)

قال أبو العتاهية فى نفيع حاجب موسى الهادى :

مَا تَرَى عِنْدَ نُفَيْعٍ مَنْفَعَهْ ... فَسَلِ الرَّحْمنَ رِزْقًا فِي دَعَهْ
إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلَهُ ... فَسَيُغْنِي اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَهْ (٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ذَوُو دَرَجٍ ... وَالمَالُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلِجِ
مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ... فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجِ
قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الهَادِي بِرَقْدَتِهِ ... وَقَدْ يَخِيبُ أَبُو الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ
خَيْرُ المَذَاهِبِ فِي الحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا ... وَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الفَرَجِ (٣)

---

(١) مجموعة المعانى ١٣ ، المحاسن والمساوىء ٢/٢١٦ .
(٢) البيتان فى ديوانه ٢٠١ .
(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأَصْبِرُ للزَّمَانِ وإنْ رَمَانِي ... بِأَحْدَاثٍ تضيقُ بِهاَ الصُّدُورُ
وأَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا ... يَدُورُ بِهِ القَضَاءُ المُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابُ ... نَعَمْ وَتَهُونُ الأُمُورُ الصِّعَابُ
وَيَتَّسِعُ الحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا ... تَضِيقُ المَذَاهِبُ فِيهاَ الرِّحَابُ
مَعَ الهمِّ يُسْرَانِ هَوِّنْ عَلَيْكَ ... فَلاَ الهمُّ يُجْدِي وَلاَ الاِكْتِئَابُ
فَكَمْ ضِقْتَ ذَرْعًا بِمَا هِبْتَهُ ... فَلَمْ يُرَ مِنْ ذَاكَ قَدرٌ يُهَابُ
وكَمْ بَرَدٍ خِفْتَهُ مِنْ سَحَابٍ ... فَعُوفِيتَ وانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
ورِزْقٌ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ... وَلاَ أَرَّقَ العَيْنَ مِنْهُ الطِّلاَبُ
وَنَاءٍ عَنِ الأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ ... أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسٍ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ البَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا ... عَلاَهُ مِنَ المَوْجِ طَامٍ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ ... فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّيَ حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلٍ عَلَى مَنْ رَجَاهُ ... وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلاَ تَأْسَ يَوْمًا عَلَى فَائِتٍ ... وعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا واحْتِسَابُ
فَلاَ بُدَّ مِنْ كَوْنِ مَا خُطَّ فِي ... كِتَابِكَ تُحْبَى بِهِ أو تُصَابُ
فَمَنْ حَائِلٌ دُونَ مَا فِي الكِتَابِ ... وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الكِتَابُ

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير[1] :

إنّ الأُمُورَ إذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فالصَّبْرُ يفتُقُ مِنْهَا كلَّ مَا ارْتَتَجَا

لاَ تَيْأَسَنَّ وإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال محمد بن حازم الباهلي :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الأَمْرِ يَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الهَمِّ يَنْدَفِعُ

فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ إذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ

إنَّ البَلاَءَ وإنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْسَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ ... وَيَدْنُو الأمْرُ بالقَدَرِ المَسُوقِ

فَلاَ تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إنْ تَدَانَى ... ولاَ تَيْأَسْ مِنَ الأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا ... قَدَرٌ وأَبْعَدَهَا إذَا لَمْ تُقْدَرِ[2]

وقال آخر :

إنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ ... وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَنَكَدْ

---

(١) محمد بن يسير الرياشي البصري ، شاعر محسن ، توفى سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات في سمط اللآلي ٤٠ ، وانظرها في العقد الفريد ١/ ٢٨٠ .

(٢) البيت في حماسة البحتري ٢٤٦ ، منسوبا إلى عبد الله بن يزيد الهلالي ، ونسب في معجم الأدباء ٩/ ٩٤ إلى ... الله الأصبهاني ، المعروف بلغدة أو لكذة ، وانظره في عيون الأخبار ٢/ ١٢٣ ، لباب الآداب ...

فَلَعَلَّ اللهَ يَقْضِى فَرَجًا فِى غدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدْ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكْ حَسَنًا أَمْسِ وَسَوَّى أَوَدَكْ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِى كَانَ بِالأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكْ

قال العبسى : خرجت حاجاً فضاق صدرى ، فجعلت أقول :

أَرَى المَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى الذُّلِّ لَهُ أَصْلَحْ

فإذا هاتف من ورائى يقول :

يَا أَيُّهَا المَرْءُ الَّذِى يَرَى الهَمَّ بِهِ بَرَّحْ
إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ فَفَكِّرْ فِى أَلَمْ نَشْرَحْ(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارُ وقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
فَلاَ تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِى دَهْرٍ طَوِيلِ
وَلاَ تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالجَمِيلِ

ذكر الطحاوى قال : حدثنا أحمد بن أبى عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، قال : حدثنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجّاج أبى على بعض أعماله فنقم عليه ، فتوارى أبى عنه فى بادية قومه وأنا معه ، فبينا أنا فى سَحر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول :

---

(١) انظر الخبر والأبيات فى زهر الآداب ٣/١٣٢ .

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ   إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِقْ فِي الْأُمُورِ ذَرْعًا فَقَدْ   يُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـ   ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ(1)

قال : فقلت: ماذاك ؟ قال: مات الحجاج .فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة . .

قال العَطَوى(2) :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرَجُ   يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تَنْتَهِجُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَقْدُورَ غَايَتِهَا   جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عَنْ ظَلْمَائِهَا السُّرُجُ
فَاصْبِرْ، وَدُمْ، وَاقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعَتْ   مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَالْمُغْرَى بِهِ يَلِجُ
يُقَدِّرُ اللهُ فَارْجُ اللهَ وَارْضَ بِهِ   فَفِي إِرَادَتِهِ الْغَمَّاءُ تَنْفَرِجُ

وقال هلال بن العلاء الرَّقِّي :

هَوِّنْ عَلَيْكَ مَصَائِرَ الدُّ   نْيَا تَكُنْ سُبُلًا فِجَاجًا
لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ   يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجًا

---

(١) نسبت البيت الثالث فى البيان والتبيين ٢/٣٤١ إلىأمية بن أبىالصلت مع اختلاف فى روايته ، وكذلك ورد منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٣٥٤ ، ونسبها فى معجم الأدباء ١/١٨٦، ١١/١٥٧ إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، وفى لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد فى معجم الشعراء ٢٤٣ منسوبا لعمير الحنفى ، وانظره فى المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبى عطية ، أبو عبد الرحمن العطوى ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزليا يعد من المتكلمين الحذاق ، توفى نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سمط اللآلى ١٤٠ ، المرزبانى ٤٣٢ ، (الأعلام ٧/٦١) .

وقال آخر :

كلوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الإلٰهِ وَأبْشِرُوا فإِنَّ عَلَى الرَّحْمٰنِ رِزْقَكُمُ غَدَا[١]

وقال منصور الفقيه :

يَا مَن يَخَافُ أَنْ يَكُو نَ مَا يَخَافُ سَرْمَدَا
أَمَا سَمِعْتَ قَولَهُمْ إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدَا[٢]

وقال أبو العتاهية :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالغِيَرُ وَأَمْرُ اللهِ مُنْتَظَرُ
أَتيْأَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا فأَيْنَ اللهُ وَالْقَدَرُ[٣]

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفي ب : من رزق الله وانتشروا .
(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .
(٣) ديوانه ٢٣٨ .

بابُ الجَدِّ والحَدِّ[1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانِعَ لما أعطى الله ، ولا مُعْطِىَ لما مَنَع ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منه الجَدّ » .

قال أكثَم بن صيفى : جَدُّك لا كدُّك .

قال أشجع السُّلمى :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كائِنٌ فَلْيَجْهَدِ الْمُتَقَلِّبُ الْمُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكانَ لذلك أهلا ، وأشقى الناس : من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا ، ولم يثقْ بأحد لسُوء ظنه ، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدُّؤَلِى :

الْمَرءُ يُحْمَدُ سَعْيُهُ مِنْ جَدِّهِ حَتَّى يُزَيَّنَ بِالَّذِى لَمْ يَعْمَلِ
وَتَرَى الشَّقِىَّ إذَا تَكامَلَ حَدُّه يُرْمَى وَيُقْذَفُ بِالَّذِى لم يَفْعَلِ[2]

أنشد ابن الأعرابى :

الْجَدُّ أَنْهَضُ بالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ فانْهَضْ بِجَدٍّ فِى الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

---

(١) الجد : البخت والحظوة والرزق ، والحد : المنع والدفع .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسبا فى حماسة البحترى ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس، وفيها ورد الشطر الأول : المرء يسعى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده فى البيت الثانى ، وانظر الثانى فى عيون الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يقرف بدل يقذف .

فَلَقَدْ يجَدُّ المرْءُ وَهْوَ مُقَصِّرٌ ... ويَجِدُّ ثم يُحَدُّ غيرَ مقصِّرِ (١)

وقال يزيدُ بنُ محمد المُهَلَّبِيّ :

وَإِذَ جُدِدْتَ فكلُّ شيءٍ نَافِعٌ ... وإذا حُدِدْتَ فكلُّ شيءٍ ضائِرُ

وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ في الوَغَى ... وَالسَّيْفُ في يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ (٢)

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِي ، واسمه إسحاق بن حَسَّان :

لاَ تَنْظُرَنّ إِلَى عَقْلٍ وَلاَ أَدَبٍ ... (٣ إن الجدود قَرِينَاتُ الْحَمَاقَاتِ ٣)

وقال خِرَاشُ بنُ زُهَير :

وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصَّخْرَ جَدُّها ... إذا أوهن النَّاسَ الجدودُ العَوَاثِرُ (٤)

وقال الحارثُ بن حِلِّزَة :

عِشْ بِخَيْرٍ لَا يَضِرْ ... كَ النَّوْكُ مَا لَاقَيْتَ جَدَّا

وَالنَّوْكُ خَيْرٌ فِي ظِلَا ... لِ الرِّزْقِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا (٥)

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أَنْوَكَ حَالَفَتْهُ ... مَقَادِيرٌ يُسَاعِدُهَا الصَّوَابُ

---

(١) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٠ إلى عبدالله بن يزيد الهلالى ، وكذلك ورد البيت الأول منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٢٤٦ ، وهما فى لباب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :

ويخيب جد المرء غير مقصر

(٢) الكامل ٢/٢٠ ، ووردا فى العقد الفريد ٢/١٢٩ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ا ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/١٢٤ ، الأمالى ٢/٩٥ .

(٤) زيادة فى م .

(٥) الأغانى ١١/٥٠ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البحترى ٢٤٥ ، وفيها :

فانعم بجدك لايضرك النوك إن أعطيت جدا

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وأَجْرٍ ذَهَابٌ لاَ يُقَالُ لَهُ ذَهَابُ(١)

قيل لزياد : ما الحظّ ؟ قال : من طال عمره ، ورأى فى عـــدوه ما يسره فهو ذو حظ .

وكان يقال : لا حظَّ إلا ما أشخص عنك ما تـكره ، وجلب إليك ما تحب .

قال محمد بن أبي حازم الباهلى :

لاَ تَعْجَبنّ لأَحْمَقٍ نَالَ الغِنَى مِنْ غيْرِ كَدِّهْ

وَلِعاَقِلٍ مَا يَسْتَقِلُّ (م) فـكُلُّهُمْ يَسْعَى بِجَدِّهْ(٢)

وقال امرؤ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِمْ وَبِالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ العِقَابُ(٣)

وقال عبدُ العزيز بن زُرَارَة الكلابىّ :

ومَا لُبُّ اللَّبِيبِ بِغَيْرِ حَظٍّ بِأَغْنَى فِي المَعِيشَةِ مِنْ فَتِيلِ

رَأَيْتُ الحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظُ مِنَ العُقُولِ(٤)

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن :

---

(١) الأول فى عيون الأخبار ١/٣٢٩ ، وهما فى البيان ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ وفيه : فعش فى جد أنوك .

(٢) فصل المقال ٢٣٠ ، وفيه : نال العلا .. ولعاقل مايستتب .

(٣) ساقط من ا ، والرواية فى ب : ببنى على ؟ وهى خطأ ، وانظره فى الديوان ٥٠ ، الأغانى ٨/٦٧ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، العقد الفريد ٣/١١٧ .

وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للايقاع ببنى أسد فأوقع بإخوتهم بنى كنانة ، وهو يحسبهم أعداءه ، فقال البيت .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٤٢ .

وإنَّ امْرَءًا يُمْسِي ويُصْبِحُ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ[١]

وقال أعرابىّ :

وإنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ[٢]

ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ المَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ يُسَاعِدُه السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ
وَقَدْ يَعْجِزُ المَرْءُ ذُو الإِحْتِيَال إِذَا اللهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

وَلَيْسَ رِزْقُ الفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ لَـكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وَأَقْسَامِ
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الُمجِيدُ وَقَدْ يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي[٣]

ولرجل من بنى قريع أو للمَعْلوط ، وقيل : إنها لحاتم الطائى :

مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدُ
وَلَيْسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الفَتَى ولَكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ
وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ
ومُعْطَى ثَرَاءَ المَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ وَمَحْرُومِ جَمْعِ المَالِ وَهْوَ جَلِيدُ[٤]

---

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة بيتين آخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد فى الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره فى نهاية الأرب ٣/٦٩ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسبه أبو تمام فى الحماسة٢/١٣ لرجل من بنى قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصقيل العقيلى ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقتل فى سبيل الله ، انظر الأمالى ١/٦١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٣/٤٨٤ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط فى عيون الأخبار ١/٢٤٦ ، زهر الآداب ٢/١٨٥ ، وانظر الآبيات الثلاثة الأولى فى حماسة أبى تمام ٣/١٣ ، ١٤ والبيتين الأولين فى حماسة البحترى ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليد مكان بليد .

وقال حبيب الطائى :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالَةَ أُمُّهَا وَلُودٌ وأُمُّ العِلْمِ جذَّاء حائِلُ (١)

وله أيضاً :

فَإِنِّىَ مَا حُورِفْتُ فِى طَلَبِ الغِنَى وَلَـكِنَّكُمْ حُورِفْتُمُ فِى المَكارِمِ (٢)

احتاج أبو الأسود الدؤلى إلى جار له يستقرضُ منه ، وكان حسنَ الظَّنِّ به ، فاعتلَّ عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلاَ تَطْمَعَنْ فِى مَالِ جارٍ لِقُرْبِهِ فَـكُلُّ قَرِيبٍ لاَ يُنَالُ بَعِيدُ

وَفَوِّضْ إِلَى اللهِ الأُمُورَ فإِنَّمَا تَرُوحُ بأَرْزَاقٍ عَلَيْكَ جُدُودُ

وَلاَ تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يَأْسًا فَإِنَّما يَعِيشُ بِجَدٍّ عاجِزٌ وَبَلِيدُ (٣)

وفى نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تجشَّم جسيمَ الهَوْل فى طلب المجد فَنَيْلُ الغِنَى بينَ التَّجَشُّمِ وَالْـكَدِّ (٤)

(٥ وَدَعْ قولَ ذِى جَهْلٍ يَرَى الْعَجْزَ رَاحَةً : ذَرِ الـكَدَّ فيما رمته المنع بالجِدِّ (٥)

وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلَّبًا وبالجَدِّ يَسْعَى المَرْءُ لَا بِالتَّطَلُّبِ (٦)

---

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ١٢٤/٢ . والجذاء : التى لاثدى لها ، والحائل : الناقة لم تلقح سنة أو سنوات.

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ٣٧/١٢ على خلاف فى الترتيب ، وانظرها فى ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جليد مكان بليد .

(٤) ا : فى طلب الغنى ، ولا تقعدن بين الخ .

(٥) البيت ساقط من م ، وفى ب : واسع مكان المنع .

(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو فى الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به أهلا للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معى الجَد فقد كنت أنتفع بثمرة العلم ، والآن إذ ولّى عنى الجَدّ، فقد أنتفع بثمرة الصبر .

قال سابق البَرْبرى(١) :

والنَّاسُ فى طَلَبِ المَعَاشِ وَإِنَّمَا ... بالجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
وَلَوَ أنَّهُمْ رُزِقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ ... أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ
ما النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ ... قدْ ماتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ(٢)

وقال البحترى :

أَلَا لَيْتَ المَقَادِرَ لَمْ تَقَدَّرْ ... ولَمْ تَكُنِ الأَحَاظِى وَالجُدُودُ
فَتَعْلَمَ أَيُّنا يَغْدُو وَيُمْسِى ... لَهُ هذى المَوَاكِبُ وَالعَبِيدُ(٣)

وقال حبيب الطائى :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهْوَ جَاهِلٌ ... وَيُكْدِى الفَتَى فِى دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ(٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ العِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا ... يُحْبِطُكَ الجَهْلُ إِذَا الجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ورد البيتان الأول والثالث فى معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .
(٣) ديوانه ١٧٢/١ ، فأنظر أينا يضحى ويمسى .
(٤) شرح الديوان ١٨٧/١ .

بالجَدِّ أجْدَى عَلَى امْرِئٍ طَلَبُه   وَمَنْ يَطلْ حِرْصُهُ يَطُلْ تَعَبُهْ

وقال آخر :

عِشْ بجَدٍّ وَكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ   سِيَّ نُوكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَلِيدِ
عِشْ بِجَدٍّ وَلا يَضُرَّكَ نَوْكٌ   إنَّما عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالجُدُودِ[١]

هبنقة القيسى اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وهو الذى شرد[٢] له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين ، فقيل له : لم هذا ؟ قالَ : فأين فرحة الوجدان ؟ !

وأنشدنى محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إلَى دُنْيَا تَمَلَّكَهَا   قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلٍ وَلَا أدَبِ
وَلَا تَقُلْ إنَّنِى أبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا   مِنَ الإِدَارَةِ فِى مَرٍّ ومُنْقَلَبِ
فَبِالجُدُودِ هُمُ نَالُوا الَّذِى مَلَكُوا   لَا بِالْعُقُولِ ولَا بِالعِلْمِ وَالحَسَبِ
وأيْسَرَ الجَدُّ نَحْوِى كلَّ مُمْتَنِعٍ   عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْبَغْىِ وَالطَّلَبِ
وإنْ تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ الَّذِينَ مَضَوْا   رَأيْتَ مِنْ ذَا وَهٰذَا أَعْجَبَ العَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدى :

---

(١) فى ب ، م : هاشم بن الوليد ، وفى عيون الأخبار ٢٤٢/١ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن البيتين ليحيى بن المبارك اليزيدى النحوى فى هجاء شيبة بن الوليد أحد أكابر قواد المهدى ، وكان اليزيدى يناظر الكسائى بين يدى المهدى ، فانتصر عليه ، وكان شيبة حاضرا ، فهاتر اليزيدى ، فأسرها فى نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات التى منها :

شيب ياشيب ياهنى بنى القعـ   ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

انظر البيان هامش ٢٧١/٢ ، الأغانى ٧٧/١٨ ، ٢٨/٢٠ ، نهاية الأرب ١٢٩/٢ ، حماسة البحترى ٢٤٦ .

(٢) فى ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ المَرْءُ لَمْ تَتْعَبْ رَواحِلُهُ ... وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِن تَعَبِ
مَعْ أَنَّنِي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وخَلَّةٍ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي ... الرِّزْقُ والنَّوْكُ[1] مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أَوْلَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الجَرَبِ[2]

وقال آخر:

مَا ازْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسَرُّ بِهِ ... إِلَّا تَزَيَّدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شُومُ
إِنَّ المُقَدَّمَ فِي حِـــذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهْوَ مَحْرُومُ[3]

وقال بكر بن النطاح:

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الغِنَى مُتَعَذِّرٌ ... عَلَيَّ وَأَنِّي بِالْمَكَارِمِ مُغْرَمُ
فَوَاللهِ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ ... وَلَـكِنَّنِي أَسْعَى إِلَيْهَا فَأُحْرَمُ

وقال آخر:

لَيْسَ عَنْ حِيلَةِ الرِّجَالِ أَصَابُوا الْ ... مَالَ بَلْ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدُود
مِنْهُمُ الْعَاجِزُ الْمُرَجَّى لَهُ الرِّ ... زْقُ ومِنْهُمْ مُحَارَفٌ مَجْدُودُ

قال بشار بن برد:

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الـكَدِّ ... صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجِدِّ[4]

---

(١) فى ب: النول.
(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ٢/١٢٩، وقد سبق البيتان الأولان فى ص١٤٣.
(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدونى وهما فى نهاية الأرب ٣/٨٧، وانظر عيون الأخبار ٢/١٢٤.
(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة: ياطلل الحى بذات الصمد، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦، البيان ١/٢٦٣.

وقال البحتري :

وَآيَسَنِي عِلْمِي بِأَلَّا تَقَدُّمِي   مُفِيدي ولا مُزْرٍ عَلَيَّ تَأَخُّرِي
وَلَوْ فَاتَنِي المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ   بِسَعْيِ لَأَدْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ (١)

وقال الصابي :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٌ   وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ   جَرَتْ لَهُمَا الأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّق
فَحَيْثُ يَكُونُ النَّوْكُ فَالرِّزْقُ واسِعٌ   وحَيْثُ يَكُونُ الحِذْقُ فالرِّزْقُ ضَيِّقُ (٢)

(١) ديوانه ٢/٥ .
(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٢ / ٨٥ ، يتيمة الدهر ٢/٢٦٧ .

بابُ المال حمداً وذمًّا[1]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « قلبُ الشَّيخ شابٌّ فى حب اثنتين : طول الحياة وكثرة المال » .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « نِعْمَ المال الصَّالح للرجل الصالح » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الدِّينار والدِّرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم » .

[2] وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لكلّ أمة فِتْنَة ، وفتنةُ أمتى المال » .
وقال أيضاً : إنَّ أحْسَابَ أهل الدُّنْيا التى إليها ينتمون : المال » [2] .

وقال عليه السلام : « ما ذِئبان جائعان أُرْسِلا فى حظيرة غَنم بأفسد لها من حب المال ، والشَّرَف لدين المؤمن » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يا بَنِيَّ عليكم بالمال واصطناعه ، فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم .

قال الحسن البصرى : لكل أمة وثن يعبدونه ، وصنمُ هذه الأمة الدينار والدرهم .

وقال الحسن : إذا أردت[3] أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله ، فانظر فيم أنفقه ، فإن الخبيث يُنفق فى السرف .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط من ب .
(٣) فى ا : أزمت .

قال أبو ذَرّ : أموال الناس تشبه الناس . وعن أبى ذر أيضاً : إنما مالك لك ، أو للوارث ، أو للجائحة(١) ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكثم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .

قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه ، ويؤدّى به أمانته ، ويصل به رَحِمَه .

قالوا للمسيح : ياروح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال : إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكِنَّ التَّقِىَّ هُوَ السَّعِيدُ(٢)

وأنشد ابن الأعرابى(٣) :

المالُ يَغْشَى رِجالًا لا طَبَاخَ لَهُمْ ... كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالِى

وهذا البيت فى شعر لعمار الكلبي أوله :

قِفْ بالعُوَيْرِ عَلَى أَبْلاءِ أَطْلَالِ ... كأَنَّهَا حُلَلٌ أوْ خَطُّ تِمْثَالِ

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... ورُبَّمَا سَادَ جِبْسُ القَوْمِ بِالمَالِ

(١) فى ا ، م : للحاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البحترى من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن المخارق الشيبانى فى حماسة البحترى ٢٤٨ ، وانظره فى لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التى سترد بعد وردت كلها فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣٠٠ ، ٣٠١ على خلاف فى الترتيب منسوبة لحسان بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له فى اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضا فى شعر لحية بن خلف الطائى ، وانظره فى عيون الأخبار ١/٢٤٧ .

ومعنى الدندن : السود من الكلأ لقدمه ويبسه ، ويروي : ويقتدى بلئام الأصل أنذال مكان وربما ساد .. الخ .

وفيه يقول :

أُصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ ... لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي المَالِ

أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُه ... وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

الجبس : اللئيم . وقوله : لا طباخ لهم : أى لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد العدوانى :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا المالُ فَاحْمَدْ فُضُولَهُ ... ولا تُهْلِكَنْهُ فِي الضَّلَالِ فَتَنْدَمِ

إِذَا جَلَّ خَطْبٌ صُلْتَ بِالمالِ حَيْثُمَا ... تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرْضٍ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

وَهَابَكَ أَقْوَامٌ وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُمُ ... بِنَفْعٍ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُحْمَدْ وَيُكْرَمِ

وَيُعْطَى الَّذِي يَبْغِي وَإِنْ كَانَ بَاخِلاً ... بما فِي يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ ودِرْهَمِ

وقال لبيد:

وَمَا البِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ من التُّقَى ... وما المالُ إِلَّا مُضْمَرَاتُ وَدَائِعِ (١)

وقال حاتم الطائى (٢) :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أَمَاوِيَّ إِنَّ المالَ غَادٍ ورَائِحٌ ... وَيَبْقَى مِنَ المالِ الأَحَادِيثُ والذِّكْرُ

وقال الشماخ :

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ (٣)

---

(١) الشعر والشعراء ٢٣٦ ، الأغانى ١٥/٢٧٣ .

(٢) ديوانه ٣٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ١٩٩ ، معجم الأدباء ٥/٣٦٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ ، حماسة البحترى ٣٤٤ ، وفيها : لحفظ المال يصلحه فيغنى .

وقال المتلمس :

لَحِفْظُ المالِ أيسَرُ مِنْ بغاه   وَضَرْبُكَ فِي البِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
قَلِيلُ المالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى   ولا يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ(١)

وقال آخر :

واطْلُبِ المالَ بِحِرْصٍ   وَاسرِعِ المَشْيَ إِلَيْهِ
كلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا   سَلَّمَ الناسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا   فُقِدَ البِرُّ لَدَيْهِ(٢)
وَثِيَابُ المَرْءِ أَعْوَانٌ(٣)   لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ(٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ   وضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِماً   أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلَهُ   بَنُوهُ ولَمْ يَغْضَبْ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَم يَحْزَنُوا لَهُ   وَإِنْ عاشَ لم يَسْرُرْ صَدِيقاً بَقَاؤُهُ(٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد فى الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة .

---

(١) الأغانى ٢١/١٣٦ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٣/٦٤ ، المحاسن والمساوئ ٢/١٤٦ ، العقد ٣/١٤٠ .
(٢) فى ب : زهدوا فيما لديه .
(٣) فى ا : حلوان له .
(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعانى ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .
(٥) ورد البيت الأول فقط فى التمثيل والمحاضرة غير منسوب لقائل ، وورد فى لباب الآداب ٢٨٥ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن مناذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فِينَا ... لَنَا حَسَبٌ وَلِلثَّقَفِيِّ مالُ(١)

وقال المَغْلوط :

وَمَا سَوَّدَ المَالُ الدَّنِيءَ وَلاَ دَنَا ... لِذَاكَ وَلَكِنَّ الكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا ... مِنَ المَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره فأنشدوهما لعروة(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... شَكَا الفَقْرَ أَوْ لاَمَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا

وصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنَ كَلًّا وأَوْشَكَتْ ... صِلاَتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكَّرَا(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... وَهَى(٤) نَعْلَهُ أَوْ بَاعَ فِي السُّوقِ خُفَّهُ

وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى مَالِ جَارِهِ ... إِذَا مَا رَآهُ خَالِيًا أَنْ يَلُفَّهُ

---

(١) عيون الأخبار ١/٣٤٦ ، وفيها : رضينا قسمة الرحمن ... الخ . ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤٧ .

(٢) البيتان فى ديوان عروة ٨ ، وفى نهاية الأرب ٣/٦٥ ، حماسة أبى تمام ١/١٨٤، ١٥٨ ، الأمالى ٢/٢٣٤ ، ونسبهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/٢٣٨ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .

(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

(٤) فى ب ، م : رهن ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

والمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ المَالِ يُكْتَسَبُ[١]

قال إبراهيم النخعى : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلى الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي ... أُحبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ
سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي ... وَأُوثِرُ[٢] نَفْسِي عَلَى الوَارِثِ[٣]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ ... ويَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي لِبُخْلٍ ... ومَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي[٤]

وقال أعرابى :

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبْغِ إِلَّا لِبَاسَهُ ... وَمَطْعَمَهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي صَرْفَ الزَّمَانِ[٥] ولَمْ أَكُنْ ... لِأَهْرُبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسِي ... وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
فَذَرْنِي أُجَوِّلْ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ[٦]

---

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٢ ، وصدر البيت : يمضى أخوك فلا تلقى له خلفاً .

(٢) فى ب : وآثر .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٠ بدون نسبة .

(٤) عيون الأخبار ١/٣٤٠ ، حماسة أبى تمام ٢/٣٥ ، ٣٦ .

(٥) فى ا : خوف المنايا .

(٦) الأبيات لأعرابى كان يمنعه أبوه من التصرف إشفاقاً عليه فرد عليه بها انظر عيون الأخبار ١/٢٣٨ ، أمالى القالى ٢/١٣٦ وفيها : لعلنى أسر صديقا .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إذا أَمْسَكْتَهُ ... فإِذَا أنفقْتَهُ فَالمَالُ لَكْ[١]

وقال قيسُ بن عاصم :

سَأُودِعُ مَالِي الحَمْدَ وَالأَجْرَ كُلَّهُ ... فَلاَ أجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ الحَمْدُ دَائِمُ

فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنَّنِي ... عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمُ

كان يقال : شر مالك ما لزمك إثمُ مكسبه ، وحُرِمْت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهابُ[٢]

وقال آخر :

وَحِفْظُكَ مَالاً قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ ... أَشَدُّ مِنَ المَالِ الَّذِى أَنْتَ طَالِبُهْ

قال جعفر بن محمد رحمهما الله[٣] : من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هَاكَ الدّليلَ لِمَنْ أَرَا ... دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالِ

وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوَطِّـ ... دْهُ العَشَائِرُ بِالْقِتَالِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٨١ ، العقد الفريد ٣/١٠٧ .

(٢) سبق مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) فى ا : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةً مِنْ غَيْرِ سُلْـ ... طَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ ... فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الْـ ... ـمَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالِ (١)

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ رَغِيبَةً ... إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ ... وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ (٢)

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ ... تُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهْوَ لَبِيبُ (٣)

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ (٤)

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ ... قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

وقال أمية بن أبي الصلت:

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالَ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ ... وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ ... مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

---

(١) في م: ها أنا بدل هاك، وفي طاعة الله ذي الجلال بدل في عز طاعة الخ.
(٢) عيون الأخبار ١/٢٣٨. وفيها غنيمة بدل رغيبة، والعيال بدل النساء، وقبوح بدل فضوح.
(٣) أنشده ابن الأعرابي في عيون الأخبار ٣/٢٤٠.
(٤) ديوانه ١٠٠، نهاية الأرب ٣/٦٩، معجم الأدباء ٢٠/١٠.

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الحُقوقِ وَلَمْ يُضِعْ ... بِهِ الذُّخْرُ زَادًا لِلَّتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ المالِ ذَاخِرًا ... لِأَوْلَادِ سُوءٍ حَيْثُ جَاءُوا وَأَرْضَعُوا(١)

وقال كُثَيِّر :

إِذَا المالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ ... صَنِيعَةُ نُعْمَى أَوْ خَلِيلٌ تُوَامِقُهْ
بَخِلْتَ وَبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ ... فَلَمْ يَفتلتكَ المالَ إِلَّا حَقَائِقُهْ(٢)

وقال محمود الوراق :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المالِ أَرْفَعَ لِلنَّذْلِ
وَلَمْ أَرَ عِزًّا لِامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ ... وَلَمْ أَرَ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ
وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى الْفَتَى ... إِذَا عاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ(٣)

وقال آخر :

الْفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ ... وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المالُ(٤)

وقال محمود الوراق :

أَرَى دَهْرَنَا فِيهِ عَجَائِبُ جَمَّةٌ ... إِذَا اسْتُعْرِضَتْ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ
أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَسُودُ بِمَالِهِ ... وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلٌ هُناكَ وَلَا فَصْلُ

---

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تقوى أو صديق ، زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، وفيه : فلم يعتملك ، الـكامل ١/٢٠٦ ، ويفتلتك أى يقطع منك

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٩١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، الـكامل ١/١٨٤ ، والبيت الثانى فى البيان ١/٢٤٦ .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٣٩ بدون نسبة .

وَآخَرَ مَنْسُوبًا إلَى الرَّأْيِ خَامِلاً ... وَأَنْوَكَ مَخْبُولاً له الجَاهُ والنُّبْلُ
وَمَا الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ ... وَلَٰكِنَّ ذَا المالِ الكَثِيرِ لَهُ الْفَضْلُ
فَشَرِّفْ ذَوِي الأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمُ فِعْلُ (١)

ومما ينسب إلى محمود ، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوى :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَجَّ الرِّيَاءُ بِهِ ... فِي الْأَمْرِ بِالْبَذْلِ واذْكُرْ ذِلَّةَ العَدَمِ
وَمُتْ عَلَى الدِّرْهَمِ الْمَنْقُوشِ مَوْتَ فَتًى ... رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الْكَرَمِ
وَعَدِّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَـــذَا وَقَوْلِهِمُ ... الذِّكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النِّعَمِ
لَوْلَا غِنَاكَ لَكُنْتَ الْكَلْبَ عِنْدَهُمُ ... فَإِنْ أَبَيْتَ فَجَرِّبْ وَاشْقَ بِالنَّدَمِ (٢)

وقال أبو العتاهية :

وَالنَّاسُ (٣) حيثُ يَكُونُ المَالُ وَالجَاهُ (٤)

---

(١) الأبيات ماعدا الأول فى العقد الفريد ٣/٣٠ ، وفيه : يبر لماله مكان يسود بماله فى البيت الثانى .
(٢) وردت الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٢٩١ ، منسوبة إلى أبى على المحمودى .
(٣) ب : والمال .
(٤) لم أعثر عليه فى ديوانه المطبوع .

بابُ جَامِعِ القَوْلِ في الغِنَى والفَقْر

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم : « ارْضَ بما قسم اللهُ لك تَكنْ أَغْنَى النَّاس ، واعملْ بما افْتَرَض اللهُ عليك تكنْ أعْبَدَ النَّاسِ ، واجتنبْ ما حَرَّمَ اللهُ عليك تكن أوْرَعَ النّاس » .

وقال عليه السلام : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغِنَى غِنى النَّفْس » .

وفى الحديث المرفوع : « الفقرُ أزين للمؤمن من العِذَارِ[1] على خدِّ الفرس » .

وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المحمود فى ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفايةٌ وتبصرة وشفاءٌ لما فى الصدور فى موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوسُ بن حَارثة : خيرُ الغِنَى القناعة ، وشرُّ الفقر الضَّراعة[2] .

قال فضَيْلُ بن عِيَاض : إنما الفقر والغنى بعد العَرْضِ على الله .

أنشدنا الرياشى :

ما شِقْوَةُ المرءِ بالإقْتَارِ تُقْتِرُهُ ... وَلا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بإِكْثَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الذى فى النَّارِ مَنْزِلُهُ ... وَالفَوزُ فَوزُ الذى يَنْجُو منَ النَّارِ[3]

قال جعفرُ بن محمد : العز والغنى يجولان فى الأرض ، فإذا أصابا موضعاً يدخله التَوَكُّلُ أوْطَناه .

---

(١) العذار : ماسال على خد الفرس من اللجام .

(٢) ب : الخضوع .

(٣) البيتان لصخر بن حبناء كما فى الكامل ١/٦٢ ، ٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغنى ، والعفافُ زينةُ الفقر .

وقالوا : حقٌّ الله واجب فى الغنى والفقر ، ففي الغنى العطفُ والشكر ، وفى الفقر العفافُ والصَّبر .

كان يقال : سوء حَمْل الغنى يُورث مَقْتًا ، وسوء حمل الفاقة يَضَعُ شرفًا .

كان يقال : الغنى[1] فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى .

أنشدنا الرياشي :

وَبَيْنَا الفَتَى فِى الفَقْرِ إِذْ صَارَ فِى الغِنَى ... وَبَيْنَا الفَتَى فِى البؤْسِ إِذْ صَارَ فِى الخَفْضِ
كَذَاكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالفَتَى ... فَتُبْرِمُ أَحْيَانًا وَتُسْرِعُ فِى النَّقْضِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ ... أُنَاسًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتَا
فَمَا عَادُوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ ... وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرُمَةٍ بُيُوتَا
كَذَاكَ المَالُ يُنْطِقُ كُلَّ عِيٍّ[2] ... وَيَتْرُكُ كُلَّ ذِى حَسَبٍ صَمُوتَا

[3] وقال آخر :

نَطَقْتَ مُذِ اسْتَفَدْتَ المَالَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ
وَشَجَّعَكَ الَّذِى قَدْ كَانَ قِدْمًا ... يُسَمِّيكَ الجَبَانَ ابْنَ الجَبَانِ[3]

---

(١) ا : العز .
(٢) ب : غث .
(٣) ساقط من ا .

وقال محمود الوراق

الفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الغِنَى ... وَفِي غِنَى النَّفْسِ الغِنَى الأَكْبَرُ(١)

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل فى الأمثال :

يَقولُونَ يَسْتَغْنِى وَوَاللهِ مَا الغِنَى ... مِنَ المالِ إلَّا مَا يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي(٢)

ولمحمود الوراق أيضاً :

صَاحِبُ اليُسْرِ يَرْقُبُ العُسْرَ وَالمُعْـ ... ـسِرُ فِي دَهْرِهِ يرَاقِبُ يُسْرَا

لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللهِ حَقٌّ ... إِنَّمَا حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ طَرًّا

لَا يُحَـابِى(٣) الْغَنِيَّ فِيمَا أَتَاهُ ... لَا وَلَا يَظْلِمُ الذِى ماتَ فَقْرًا(٤)

يَمْنَعُ اللهُ عَبْدَهُ نَظَرًا مِنْـ ... ـهُ وَيُسْنِى لَهُ العَطِيَّةَ مَكْرًا

لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنَقِّصُ ذَا الفَقْـ ... ـرِ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الغِنَى المالَ قَسْرَا

قال عبد الله بن الأهتم : من ولد فى الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالةُ مع السّخاء ، والبطر مع الغِناء .

كان يقال : لا تَدْعُ على ولدك بالموت ، فإنّه يُورث الفقر .

قال أعرابىٌّ من باهلة :

سَأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ(٥) حَتَّى يَكُفَّنِى ... غِنَى المالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الحَدَثَانِ

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الحطيئة من شعره ، انظر زيادات الديوان ٣٢٠ .

(٣) ا : لم يحاب ، ب : لايخاف .

(٤) ا : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أقصى ما عنده من سير .

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... عَلَى الحُرِّ بالإِقْلَالِ[١] وَسْمُ هَوَانِ
كأَنَّ الغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الغِنَى ... بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ[٢]

وقال يحيى بن حكم الغزال،[٣] وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره[٣]:

إذا كُنْتَ ذَا ثَرْوَةٍ مِنْ غِنىً ... فَأَنتَ المُسَوَّدُ فِي العَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ ... تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ[٤]

وللغزال أيضاً:

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدِّرَرْ ... فَمَرَّةً حُلْوٌ وَأَحْيَانًا مقِرْ[٥]
وَعَلْقَماً حِيناً وَأَحْيَانًا صَبِرْ ... وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَهُ الدَّهْرُ كَدَرْ
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الفَقْرِ أَمَرّ ... أَلَا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرّ
مَخَافَةَ الفَقْرِ إِلَى نَارِ سَقَرْ

وقال آخر:

لعَمْرُكَ إِنَّ القَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الفَقْرِ ... لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ وَعَادَ إِلَى عُسْر

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ

---

(١) ب: على المرء ذى العلياء.

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧، عيون الأخبار ١/٢٣٩، البيان ٢/٢٣٨، الكامل ١/١٨٤، زهر الآداب ٤/٥٦، وفيه: وإن الفتى فى أهله يرزق الغنى بغير لسان ... الخ، العقد الفريد ٣/٢٩.

(٣) ساقط من ب.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٢، ونسبها لابن المعتز ولا توجد فى ديوانه.

(٥) المقر: الحامض أو المر.

وَأحقَرُهُمْ وَأهوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ ... وَإنْ أمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخِيرُ

يُبَاعِدُهُ الخَلِيلُ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

وَتَلْقَى ذَا الغِنَى وَلَهُ جَلاَلٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالعَيْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ(١)

وقال آخر :

رَأيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وَأكْثَرْتُ الغَرَامَةَ(٢) وَدَّعُونِي

فَلَمَّا أنْ غَنِيتُ وَثَابَ وَفْرِي ... إذَا هُمُ ـ لاَ أبَالَكَ ـ رَاجِعُونِي(٣)

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنيُّ من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوىء الفقير ، إذا كان جواداً قالوا : مبذر ، وإن كان لسِناً قالوا : مهذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن كان حليما صموتاً ، قالوا : عيّ بليد ، وكل شيء هو للغنيّ مدح هو للفقير ذم .

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إنَّ المَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَتَى ... سَنِيًّا وَإنَّ الْفَقْرَ بِالمَرْءِ قَدْ يُزْرِي

فَمَا(٤) رَفَعَ النَّفْسَ الدَّنِيئَةَ كَالْغِنَى ... وَلاَوَضَعَ النَّفْسَ الكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ(٥)

(١) يروى : وأبعدهم وأهونهم ،وإن أمسى له حسب ،ويقصيه الندى، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب، انظر الأبيات في ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/٦ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملامة .

(٣) البيان والتبيين ٢٩٩/٣ .

(٤) ا : ولا .

(٥) المستطرف ٥٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِى[١]

وللمغيرة بن حَبْنَاء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزْرِى بِالرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى ... وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ

وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٢]

وقال أبو العتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى ... فَكُلُّ غَنِىٍّ فِى الْعُيُونِ جَلِيلُ

[٣]إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَّبَتْ ... إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ[٣]

وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنىً زَيَّنَ الْفَتَى ... عَشِيَّةَ يَقْرِى أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ[٤]

وقال الصَّلَتَان العَبْدِى[٥] :

إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى ... أَرُونِى السَّرِىَّ أَرَوْكَ الْغَنِى

وقال ابنُ سعدان[٦] :

---

(١) ديوانه ١٢٣ ،نهاية الأرب ٣/٩١ ، زهر الآداب ٤/٣٥ .
(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ١/٢٣٦ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .
(٣) ساقط من ا .
(٤) ديوانه ٢٢١ ، العقد الفريد ٣/٣٠ ، والبيتان الأول والثالث فى حماسة أبى تمام ٢/٢٨٥ .
(٥) قثم بن خبية العبدى ، شاعر حكيم ، توفى نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر فى ترجمته وأشعاره : سمط اللآلى ٥٣١ ، ٧٦٦ ، والمؤتلف ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ٦/٢٩)، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٢٤١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .
(٦) هو محمد بن سعدان الكوفى ، محدث فقيه عالم بالقراءات ، توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٥/٣٢٤ ، بغية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٧/٨) .

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتَمِسِ الرِّضَا ... فإِنَّكَ لا تَدْرِى أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِى
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا ... يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْس

وقال بكر بن أُذينة :

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِي النَّفْسِ نَعْرِفُهُ ... وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرُ النَّفْسِ مِسْكِينُ

وقال محمود الوراق :

لَبِسْتُ صُروفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وناشِئًا ... وَجَرَّبْتُ حَالَيْهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى ... ولَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

ولمحمود الوراق :

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلاَ تَزْدَجِرْ ... عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرْ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ[1] ... عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرْ
أَنَّكَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى ... وَلَسْتَ تَعْصِي اللهَ كَيْ تَفْتَقِرْ[2]

وفى رواية أخرى :

أَنَّكَ تَعْصِي اللهَ تَرْجُو الغِنَى ... وَلَسْتَ تَعْصِى اللهَ كَيْ تَفْتَقِرْ

وقال آخر :

وَلاتَعِدِينِى الْفَقْرَ يا أُمَّ مَالِكٍ ... فَإِنَّ الغِنَى لِلْمُنْفِقِينَ[3] قَرِيبُ

---

(١) ب : فعله .
(٢) عيون الأخبار ١/٢٤٩ العقد الفريد ٣/٢٠٩ والبيتان الثانى والثالث فى محاضرات الأدباء ١/٢٤٧ .
(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله يا ابنَ آدمَ أَنْفِقْ أُنفِقْ عَلَيْكَ » .

وقال بعض الحكماء فى ذم الغنى : طالبُ الغِنى طويل العَناء ، دائم النَّصب ، كثير التعب ، قليل منه حَظُّهُ ، خَسِيس منه نصيبه ، شديد من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، ويفغر[١] عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه ، يضعف عن[٢] منها ، وبين أكفاء وأعداء ينالونه[٣] ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولاد يملّونه[٤] ويودون موته ، ونوائب تعتريه وتحزنه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وإِذَا الجَهُولُ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًا ... أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ المُحْتَالِ[٥]

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَسْمَجَ النُّسْكَ بِسَأَّلِ[٦] ... وأَقْبَحَ البُخْلَ بِذِى المَالِ
مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ ... هَانَ عَلَى ابْنِ العَمِّ والخَالِ
[٧]مَا وَقَعَ الإِنْسَانُ فِى وَرْطَةٍ ... أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الحَالِ[٧]

قيل لبعض الحكماء : ما بالنا نجد مَنْ يطلبُ المالَ من العلماء أكثرَ ممن

(١) ا : ويعض .
(٢) ب : عقت على .
(٣) : يغتابونه .
(٤) ب : وولد يذمونه .
(٥) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٤٧ .
(٦) ا : بتسآل .
(٧) زيادة من ب .

يطلبُ العلمَ من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفةِ العُلماءِ بمنافع المال ، وجَهْل ذوى الأموال بمنافع العلم .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ ... وأَنَّ الغِنَى فِيهِ العُلاَ والتَّجَمُّلُ

قال أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح :

اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ ... إِنَّ الغَنِىَّ مَنِ[1] اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ

والْبَسْ عَدُوَّكَ فِى رِفْقٍ وَفِى دَعَةٍ ... لِبَاسَ ذِى إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاس

(١) ب : الذى . والبيتان فى لباب الآداب ٣٥٦ والثانى منهما فى حماسة البحترى ٩ ، وفيها : أطوار ذى لربة .. الخ . والإربة بالكسر : الدهاء والمكر .

بابُ الدَّيْن

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : يارسول الله ، أرأيتَ إن قتِلْتُ فى سبيل الله مقبلا غيرَ مُدْبِر ، أيكفّر اللهُ عنّى خطاياى ؟ قال : « نعم . إلاّ الدَّيْن ، بذلك أخبرنى جبريلُ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « صاحبُ الدَّيْن محبوسٌ عن الجنة بِدَيْنه » .

وقال عليه السلام — بعد (1) أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين (1) — : « من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك دَيْنًا فعلىّ » .

كان يقال : لا همّ إلاّ همّ الدَّيْن ، ولا وجعَ إلاّ وجع العين . وقد روى هذا القول عن النبي صلّى الله عليه وسلم من وجه ضعيف .

قال عمرُ بن الخطاب : إياكم والدَّين ، فإنّ أوله همٌّ وآخره حرب .

قال جعفر بن محمد : المستدينُ تاجر الله فى الأرض .

قال عمر بن عبد العزيز : الدَّيْنِ وقْرٌ طالما حمله الكرام .

قال عمرو بن العاص : من كثر صديقه كثر دَيْنه .

قيل لمحمد بن المُنْكَدِر : أتحجُّ وعليك الدين ؟ قال : الحج أقضى للدين . يريد الدعاء فيه ، والله أعلم .

كان يقال : الدَّيْن رِقّ ، فلينظرْ أحدكم أين يضع رقّه .

كان يقال : الأذلة أربعة : النمّامُ ، والكذّابُ ، والفقيرُ ، والمديان .

---

(1) ساقط من ب .

كان يقال : حُرِّيّة المسلم كرامتُه ، وذُلُّه دَيْنُه ، وعذابه سوء خلقه .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعَيْنة[(١)] ، فإذا حَلت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح ، فيقف على غرمائه فيقول :

بَنُو عَمِّنَا أَدُّوا الدَّرَاهِمَ إِنَّمَا ... يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ[(٢)]

وقال آخر :

فَمَا شَأْنُ دَيْنِي إِذْ يَحُلُّ عَلَيْكُمُ ... أَرَى النَّاسَ يَقْضُونَ الدُّيُونَ ولاَ يُقْضَى

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الدَّيْنُ نَقْدًا وَبَعْضُهُ ... لَعَرضٍ فَمَا أَدَّيْتِ نَقْدًا ولاَ عَرْضَا

ولكِنَّمَا هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْكُمُ ... أَمَانِيُّ مَا لاَقَتْ سَمَاءً ولاَ أَرْضَا

فَلَوْ كُنْتِ تَنْوِينَ القَضَاءَ لِدَيْنِنَا ... لَأَنْسَأْتِ[(٣)] لِي بَعْضًا وَعَجَّلْتِ لِي بَعْضَا[(٤)]

قال أبو عثمان المازني : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون بني عامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وإِنَّمَا ... تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ ... شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ[(٥)]

---

(١) العينة : أى تعيين وقت لاستقضاء الدين .

(٢) انظر الخبر والبيت فى عيون الأخبار ١/٢٥٦ .

(٣) ب،م: لأنسأتكم .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٢٩ .

(٥) نسب البيتان فى نهاية الأرب ٨/٢٢ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالى القالى ١/١٦٩ إلى البعيث المجاشعى ، وهما فى محاضرات الأدباء ١/٩٦ ، والأول فى حماسة البحترى ٢٠٢ بغير نسبة، وتريع : ترجع إلى سابق عهدها .

وقال آخر أنشده ابن الزبير :

أَلاَ لَيْتَ النَّهَارَ يَعُودُ لَيْلاً فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِى بِالهُمُومِ
حَوَائِجُ مَا نُطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلاَ دَفْعًا وَرَوْعَاتُ[1] الغَرِيمِ

كان يقال : الدَّيْن همٌّ بالليل وذل بالنهار ، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل فى عنقه دينًا .

وقال آخر :

إِنَّ القَضَاءَ سَيَأْتِى دُونَهُ زَمَنٌ فَاطْوِ الصَّحِيفَةَ واحْفَظْهَا مِنَ الفَارِ[2]

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِى دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَه وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا[3]

أنشدنا الصولى لسليمان بن وهب متمثلا :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِى عَلَيْهِمَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَا لَقَدْ قَضَيَانِى
خَلِيلَىَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا وأَمَّا عَنِ الأُخْرَى فَلاَ تَسَلاَنِى[4]

---

(١) ب : روغات .

(٢) البيت لأعرابى يدعى أبا النباش العقيلى ، أخذ مالا من تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة ، ولما ظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استعداده لدفعه فى مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه فى دروبها أسرع بالفرار وأعجزهم هربا ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر فى حماسة البحترى ٤١٦، ٤١٧، عيون الأخبار ١/٢٥٥ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٥ ، عيون الأخبار ٤/٩٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٢/١٤٧ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ[1] ﴾ وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[2] ﴾ .

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما عَالَ مَنِ اقْتصد » .

كان يقال : ثلاثٌ من حقائق الإيمان : الاقتصادُ فى الإنفاق ، والإنصافُ من نفسك ، والابتداء بالسلام .

كتب بعضُ الصالحين إلى بعض إخوانه : كل مارده[3] العقل ، وناله الفضل لجميلٌ حَسَن .

قال عبدالله بن عباس : الهَدْىُ الصّالح ، والسَّمْتُ الحسن ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ الرفق فى الأمر كله » .

وقال عليه السلام : « ما كان الرفق قط فى شىء إلاّ زانه ، ومن حُرم الرفق حرم الخير » .

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ا: ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « ما أراد الله بأهل بيت خيرًا إلا أدخل عليهم الرفق، ولا أراد بهم شرًّا إلاّ أدخل عليهم الخُرْق(١) » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء .

قال المتلمّس :

وإصْلاَحُ القَلِيلِ يَزِيدُ فيهِ ... وَلاَ يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق يمن ، والخُرْق شؤم » .

سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هي السكون عما الحركة فيه ، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون في يحي بن خالد :

عَدُوُّ تِلاَدِ المَالِ فِيمَا يَنُوبُهُ ... مَنُوعٌ(٣) إِذَا مَامَنْعُهُ كَانَ أَحْزَمَا(٣)

وقال آخر(٤) :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ... نَجَاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلاَ صَعْبَا(٥)

وقال آخر :

---

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف في الأمور .

(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٦١/٣ . العقد الفريد ١٤٠/٣ .

(٣) ساقط في ب ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٣٠١/٣ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) البيت لأبي عيينة المهلبي ، انظر التمثيل والمحاضرة ٤٢٩ . البيان ٢٥٤/١ ، فصل المقال ٢٠٤ .

لَا تَذهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا ... لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطَا
وَكُنْ[1] مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطَا

قال أعرابي للحسن : يا أبا سعيد ! علمني ديناً وَسُوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سَقُوطاً . قال له الحسن : أحسنت[2] ، خير الأمور أوسطها .

قال محمود الوراق :

إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مُعَوَّلٍ[3] ... فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مُعَوَّلَا
وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُنُوعِ مَنُوطَةً ... بِعُرَى الْغِنَى فَجَعَلْتُهَا لِي مَعْقِلَا
فَإِذَا نَبَا بِيَ مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى ... جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنْزِلَا
وإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ ... فَيَكُونُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا[4]

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصي ابنه :

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا ... وَخِفْتَ مِنَ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مالِ
فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلاً ... يَفُوتُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالِ
وَذُبَّ عَنِ الدَّرَاهِمِ كُلَّ حِينٍ ... وَكَثِّرْهَا وَقَلِّلْ فِي العِيَالِ
وَقُلْ فِي كل شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ ... مِنَ الأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيءُ غالِ
فَتَرْكُ المالِ للأَعْدَاءِ خَيْرٌ ... لِرَبِّ المالِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ

(١) ب : تكن . والأبيات في البيان ١/٢٠٤ .
(٢) ب : حسبت .
(٣) ا : مغبة .
(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٣/٨٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، المستطرف ١/١٢١ ، ٢/٧٩ .

روينا عن نصر بن على الجهضمى ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرفق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى فى الرفق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفْقِ فِى لِينِهِ ‌ ‌ ‌ أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنْ بِالرِّفْقِ فِى أَمْرِهِ ‌ ‌ ‌ قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرَفُّقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ ‌ ‌ ‌ وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرَفُّقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِى حَاجَةٍ ‌ ‌ ‌ لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِى يَتَرَفَّقُ[(١)]

---

(١) ورد البيتان فى معجم الأدباء ١٢/٨ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :

المرء يجمع والزمان يفرق ‌ ‌ ‌ ويظل يرقع والخطوب تمزق

وقد سبقت فى كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السَّفَرِ والاغْتِرابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ(١) من سفره فليعجِّلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضُهم فى هذا الحديث « السفر قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَة(٢) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الحاجَّ ولا تشيّعوهم .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : « سافروا تصِحّوا وتغنموا » .

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربَةٍ إلا قيس له من مَسْقط رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره فى الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلَّم ، قال : « موتُ الغريب شَهادةٌ » .

ومن حديث أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مات غريباً مات شَهيداً » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العبادُ عبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فأينما وجدتَ الخيرَ فأقم واتق الله » .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال: من سعادة

---

(١) النهمة : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة فى الشئ .

(٢) الدلجة : السير من أول الليل .

المرء أن تكونَ زوجته موافقة ، وَأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين، ورزقه فى بلده الذى فيه أهله .

مكتوبٌ فى التوراة : ابن آدم ! أَحْدِث سَفرًا أُحْدِث لك رزقاً .

قالت العربُ : من أجْدَب انتجع[١] .

قيل لأعرابىّ . أين منزِلُك ؟ قال : بحيث ينزل الغيْث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفَر عن الظَّفر .

قال البحترى :

وإذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُـلَّةَ مُعْدِمٍ　　　فَالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوَى وتَغَرَّبِ[٢]

وقال زهير :

ومَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ　　　وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ[٣]

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَ يَزَلْ يَرَى　　　مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

وتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وإنْ يُسِئْ　　　يَكُنْ مَاأَسَاءَ النَّارَ فِى رَأْسِ كَبْكَبَا[٤]

(١) الانتجاع : طلب الـكلأ فى موضعه .

(٢) ديوانه ١/٢٠ .

(٣) شرح ديوانه ٥٠ ، حماسة البحترى ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية فى عيون الأخبار ٣/٩١ محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٦ ، التمثيل والمحاضرة حماسة البحترى ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت فى ديوانه ١١٣ برواية أخرى هى :

متى يغترب عن قومه لايجدله　　　على من رهط حواليه مغضبا
ويحطم بظام لايزال يرى له　　　مصارع مظلوم مجراً ومسحباً
وتدفن ... الخ

ومجرا ومسحبا : مصدران ميميان من الجروالسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر :

إِنَّ الغَرِيبَ بِأَرْضٍ لاَ عَشِيرَ بِهاَ ... كَبَائِعِ الرِّيحِ لاَ يُعْطَى بِهِ ثَمَنَا

وقال سابق :

لاَ أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ ... إِنَّ الغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ[1]

وقال آخر :

فَلَمْ أَرَ عِزَّ المَرْءِ إِلاَّ عَشِيرَةً ... وَلَمْ أَرَ ذُلاًّ مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأَهْلِ[2]

وقال آخر :

إِنِّي الغَرِيبُ فَمَا أُلاَمُ عَلَى البُكَا ... إِنَّ البُكَا حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبِ

وقال آخر :

يُجَازَى بِالَّذِى تَجِدُ القُلُوبُ ... وَيَأْنَسُ بِابْنِ بَلْدَتِهِ الغَرِيبُ

وَصَادَفَنِي غَرِيبٌ فَالْتَقَيْنَا ... وَكُلُّ مُسَاعِدٍ فَهُوَ القَرِيبُ

وقال آخر :

تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أُؤَمِّلُ ثَرْوَةً ... فَلَمْ أُعْطَ آمَالِي وَطَالَ التَّغَرُّبُ

فَمَا لِلْفَتَى الُمحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ ... وَلاَ لِجُدُودٍ جَدَّهَا اللهُ مَذْهَبُ

وقال كعب بن زهير :

فَقَرِّى فِي بِلاَدِكِ إِنَّ قَوْماً ... مَتَى يَدَعُوا بِلاَدَهُمُ يَهُونُوا[3]

---

(١) البيت لصالح بن عبدالقدوس من قصيدته المشهورةالتى مرت الإشارة إليها ، انظر معجم الأدباء١٢/٨٠.

(٢) يروى الشطر الأول : فلم أر عزا لامرىء كعشيرة ، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣، البيان ١/٢٤٦ ، الكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق ، وقد سبق مع أبيات أخرى فى **ص ٢٠٣**

(٣) ديوانه ٢١٧ .

وقال آخر :

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَزْدَادُ الغِنَى سَفَرًا   بَلِ المُقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ(١)

قالوا : ترك الوطن أحد اليسارين(٢) .

قال الشاعر :

ومَا المَوْتُ إلاَّ رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا   مِنَ المَنْزِلِ الفَانِي إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي(٣)

وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الإِقْتَارِ(٤) خَيْرٌ   مِنَ العَيْشِ المُوَسَّعِ فِي اغْتِرَابِ(٥)

(٦)وقال آخر :

ومَهْمَهٍ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبَحُ   يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حِينَ يُصْبِحُ

كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا   اللَّيْلُ أخْفَى والنَّهَارُ أفْضَحُ(٦)

قالوا : إذا كنت فى غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وأنشدوا :

إِنَّ الغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةُ مُذْنِبٍ   وَخُضُوعُ مِدْيَانٍ وَذُلُّ مُرِيبِ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٥/٤٣٩ . والخسف : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على مايكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ا : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة فى ب ، و لم أعثر إلا على الشطر الأخير فى البيان ٢/١٦٤ ، وقبله: إنك يا ابن جعفر لاتفلح ... الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًا[١] لَسْتَ مِنْهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

وقال آخر :

إِنَّ الغَرِيبَ وإِنْ أَقَامَ بِبَلْدَةٍ يُهْدَى إِلَيْهِ خَرَاجُهَا لَغَرِيبُ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسِي الهَمَّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ فَيَارَبِّ قَرِّبْ دَارَ كُلِّ غَرِيبِ

قالوا : الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه ، ونفد شربه[٢].

قال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمُ غَرِيباً فَلَا يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ
فَإِنَّ ابنَ أُختِ القوم مُصْغًى[٣] إناؤُه إذا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بأَبٍ جَلْد

قالت العرب : ليس بينك وبين بلاد نسب ، خير البلاد ما حملك .

[٤]وقال آخر :

لَيْسَ الفَتَى بِفَتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الأَرْضِ آثَارُ[٤]

---

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت فى البيان ٢/٢٢٣ إلى خالد بن نضلة الأسدى ، ونسب فى الكامل ١/٢٨٤ إلى أعرابى من بنى سعد يدعى خنوص ، وورد فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/٢٩٢ ، حماسة أبى تمام ١/١٤١ بغير نسبة .

(٢) زيادة فى ب .

(٣) مصغى إناوه : منقوص حقه ، وقد نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٢٠٦ إلى غسان بن وعلة ، ووردت منسوبة للنمر فى عيون الأخبار ٣/٨٩ ، الشعر والشعراء ٢٦٩ .

(٤) ساقط من ا . وانظره فى الشعر والشعراء ٣٢ .

وقال آخر :

سَلِ اللهَ الإِيَابَ مِنَ المَغِيبِ فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبِ
وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ وَلاَ تَيْأَسْ مِنَ الفَرَجِ القَرِيبِ

قال بعض العقلاء : أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة ألف رجل فى المساجد، وفى غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسِ الغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا(١)

قال خالد بن صفوان : فى السفر ثلاثة معان : الأول الغرم ، الثانى القدرة ، والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَامَضَى القَرْنُ الَّذِى أَنْتَ فِيهِمُ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ(٢)

وقال لبيد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْرِيكَ إِلاَّ تَظَنِّيًا(٣) إِذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِى الطَّوَارِقُ بِالحَصَى وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

وقال على بن الجهم :

يَارَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي البَلَدِ النَّا زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

---

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب فى الأغانى ١٩/ ٧٨ إلى أبى عطاء السندى ، ونسب فى لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد فى عيون الأخبار ١/ ٢٤٣ بغيرنسبة .

(٢) البيت لأبى محمد التيمى ، انظر البيان ٣/ ١٨٩ ، محاضرات الأدباء ٢/ ١٤٩ ، الأغانى ١٨/ ١١٩ ، زهر الآداب ٣/ ٢٢١ .

(٣) ب : تطببا ، والبيتان فى ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ٢/ ١٠٤ .

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلاَ انْتَفَعَا
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللهِ كُلُّ مَا صَنَعَا[١]

أراد أعرابى السفر فقال لامرأته — وقيل إنه الحطيئة —:

عُدِّى السِّنِينَ لِغَيْبَتِى وَتَصَبَّرِى وَذَرِى الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته[٢] :

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ[٣]

فأقام وترك سفره.

قال امرؤ القيس :

وقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيَابِ[٤]

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

طَرِبْتَ إِلَى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ المَزَارِ
وَكلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ[٥]

وقال جرير :

وَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ العَصَا وَمَاتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ[٦]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٧٧ ، الأغانى ٩/١١٢ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، المختار من شعر بشار(البيتان الأول والثانى)٢٥١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، ونسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .

(٢) ساقط من ا .

(٣) البيتان فى المستطرف ١/٥٣ ، عيون الأخبار ١/١٤١ .

(٤) زيادة من ب ، ويروى ، وقد نقبت . ديوانه ١٢ ، الكامل ١/٢٢٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٥ .

(٥) معجم الأدباء ٦/٢٥ ، الأمالى ١/٥٥ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث ، عيون الأخبار ١/١٤١ .

(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر :

مُررْتُ بِجَعْفَرٍ والقُرْبِ مِنْهُ ... كَمَا سُرَّ الْمُسَافِرُ بالإيَابِ

وَكُنْتُ بِقُرْبِهِ إذْ حَلَّ أَرْضِى ... أَمِيرًا بالسَّكِينَةِ والصَّوابِ

كَمَمْطُورٍ بِبَلْدَتِهِ فَأَضْحَى ... غَنِيًّا عَنْ مُطَالَبَةِ السَّحَابِ(١)

وقال آخر ، وحكى صاحب البيان أنه لمُضَرِّس الأسدى(٢) :

مُقِلٌّ رَأَى الإِقْلَالَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ ... يَجُوبُ بِلَادَ اللهِ حَتَّى تَموَّلَا

إذَا جَابَ أَرْضًا أَوَ ظَلَامًا رَمَتْ بِهِ ... مَهَامِهَ أُخْرَى عِيْسُهُ مُتَقَلْقِلَا

وَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةٌ ... وَلَكِنْ مَضَى قُدْمًا وَمَا كَانَ مُبْسَلَا

فَلَمَّا أَفَادَ المَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ ... لِمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمِّلَا(٣)

وقال آخر ، وهو الأحمر بن سالم المزنى :

فألقت عَصَاهَا واستقرّ بِهَا النَّوَى ... كما قرَّ عيناً بالإِيَابِ المُسَافِرُ(٤)

وقال آخر :

إذَا نَحْنُ أُبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا

فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الغَنِيمَةِ إنَّهَا ... تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا(٥)

---

(١) نسبت الأبيات فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبى عيينة المهلبى ، وفى زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى. وانظرها فى عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيان ٣٨/٣ ، ونسبت فى المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل، ونسب فى المؤتلف ٩٢ لمعقر بن حمار البارقى وفى المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحمر بن سالم المرادى، وفى نهاية الأرب ٥٩/٥ تردد فى نسبته بين معقر بن حمار، والطرماح بن حكيم ، ونسب فى محاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبى عيينة المهلبى .

(٥) نسب البيتان فى الكامل ٢٠٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، ووردا فى عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة .

وقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا
وَمَا تَدْرِينَ أَيُّ الأَمْرِ خَيْرٌ أَمَا تَهْوِينَ أَمْ مَا تَكْرَهِينَا[1]

قال عوف بن محلِّم[2] : عادلت عبدالله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرّيّ في السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة ، فقال عبد الله : أحسن والله أبو كبير[3] في قوله :

أَلاَ يَا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ[2]

ثم قال : يا عوف ! أجزها . فقلت : شيخ كبير ، وحُملت على البديهة ، وهي معارضة أبي كبير[3] ، ثم انفتح لي شيء ، فقلت :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فتريحُ
لَقَدْ طَلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ رَكَائِبِي فَهَلْ أَرَيَنَّ البَيْنَ وَهْوَ طَلِيحُ
وَأَرَّقَنِي بالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ القَرِيحِ يَنُوحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذْرِ عَبْرَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ[4]

(١) عيون الأخبار ١٤٢/١ ، البيان ٢٨٨/٢ .

(٢) الخزاعي بالولاء أبو المنهال ،أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالي بني أمية أو شيبان ، انتقل إلى العراق فاختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ، فبقي معه ثلاثين سنة ، ولما مات قربه ابنه عبد الله وجعل له منزلته عند أبيه ، توفي سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته في فوات الوفيات ١١٨/٢ ، إرشاد الأريب ٩٥/٦ (الأعلام ٢٧٨/٥) .

(٣) ب : أبو كثير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلي ،شاعر فحل ، قيل أدرك الاسلام وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ٢٥٧ ، ولإرشاد الأريب ٢٢٦/٤ (الأعلام ١٧/٤) ، وانظر البيت في ديوان الهذليين ٩٨/١ .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٢٦٤/٢ ، معجم الأدباء ١٤٢/١٤ ، العقد الفريد ٤١٤/٥ ، الأمالي ١٢٢/١ .

وذكر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحوّل إلى أخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : «الأرضُ أرض الله ، والعبادُ عبادُ الله ، فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليتق الله وليُقِم» .

قال عبدالله بن أبي الشّيص :

أَظُنُّ(١) الدَّهْرَ قَدْ آلَى فَبَرَّا ... بِأَلَّا يُكْسِبَ الأَمْوَالَ حُرَّا

لَقَدْ قَعَدَ الزَّمَانُ بِكُلِّ حُرٍّ ... وَنَقَّضَ مِنْ قُوَاهُ المُسْتَمِرَّا

كَأَنَّ صَفَائِحَ الأَحْرَارِ أَرْدَتْ ... أَبَاهُ فَحَارَبَ الاحْرَارَ طُرَّا

فَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي شَرَفٍ رَكُوبًا ... لِأَعْنَاقِ الدُّجَى بَرًّا وَبَحْرَا

فَهَتَّكَ جَيْبَ دِرْعِ اللَّيْلِ عَنْهُ ... إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرَّا

يُرَاقِبُ لِلْغِنَى وَجْهًا ضَحُوكًا ... وَوَجْهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفَهِرَّا

فَيَكْسَبُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ كَسْبًا ... يَحُلُّ بِهِ المَحَلَّ المُشْمَخِرَّا

وَمَنْ جَعَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَعُودًا ... أَضَاءَ لَهُ الدُّجَى خَيْرًا وشَرًّا(٢)

وقال آخر :

لاَ تَصْحَبَنَّ رَفِيقًا لَسْتَ تَأْمَنُهُ ... شَرُّ الرَّفِيقِ رَفِيقٌ غَيْرُ مَأْمُونِ

أنشد نفطويه :

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ لاَ تَقْعُدْ بِمَعْجَزَةٍ ... فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْزٍ بِمَعْذُورِ

---

(١) ب : أرى .

(٢) انظر محاضرات الأدباء ٢٤٥/١ ، عيون الأخبار ١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

إنْ لَمْ تنَلْ فِي مَقَامٍ مَا تُطَالِبُهُ ... فَأَبْلِ عُذْرًا بِإِدْلاَجٍ وَتَهْجِيرِ
أَنْ يَبْلُغَ المَرْءُ بِالإِحْجَامِ هِمَّتَهُ ... حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْبِيرِ[1]

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ
إِذَا غِبْتَ عَنَّا وَخَلَّفْتَنَا ... فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمْ[2]

وقال آخر :

وَقَالَتْ وعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً ... أَيَا أَمَلِي خَبِّرْ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَدْرِى مُسَافِرٌ ... إِذَا أَضْمَرَتْهُ الأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ[3]

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ ... وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
وَنَازِحُ الدَّارِ لاَ أَنْفَكُّ مُغْتَرِبًا ... عَنِ الأَحِبَّةِ لاَ يَدْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا ... لاَ يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ ... إِنَّ القُنُوعَ الغِنَى لاَ كَثْرَةُ المَالِ[4]

---

(١) الأبيات فى الأمالى ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغرير مكان بتغيير .

(٢) ورد البيتان فى معجم الأدباء ١١٣/٧ ، العقد الفريد ٢/٢٠١ ، هكذا !

تقول ابنتى يوم جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا إذا أضمرتك البـلا ... د نجفى وتقطع منا الرحم

وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان للكميت بن زيد الأسدى ، انظر المؤتلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، ٢٠٩ ؛ وفيه الشطر الثانى من البيت الأول: وطول شغل بإدبار وإقبال .

أنشد الأصمعي لحاجب الفيل اليشكري :

لَمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّي مُزْمِعٌ ... بِتَرَحُّلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمُوَدِّعَ
وَرَأَتْ رِكَابِي قُرِّبَتْ لِرِحَالِهَا ... قَالَتْ وَغَرْبُ العَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ
أَبَتَا أَتَتْرُكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهًا ... فِي الأَرْضِ تَخْفِضُكَ البِلَادُ وَتَرْفَعُ
فَيَضِيعُ صِبْيَتُكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ ... بِمُضِيمَةٍ فِي المِصْرِ لَمْ يَتَرَعْرَعُوا
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ ... وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
إِنَّا سَنَرْضَى مَا أَقَمْتَ بِعَيْشِنَا ... مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعُ وَنَشْبَعُ
وَاللهُ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ ... وَكَفَى[1] بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ
إِنَّا إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ ... مِمَّا تَخَلَّفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيُعْرِضُ جَارُنَا ... وَقَرِيبُنَا الأَدْنَى يَعِزُّ وَيَقْطَعُ
وَنَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشْكُ مَنِيَّةٍ ... فَيُصِيبَنَا الأَمْرُ الجَلِيلُ المُفْظِعُ
فَنَصِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يُرْفَعُ بَيْتُنَا ... وَيُذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنُضَيَّعُ
هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى ... فَمَتَى تَؤُوبُ إِلَى الصِّغَارِ وَتَرْجِعُ
فَخُنِقْتُ مِنْ قَوْلِ الصِّغَارِ بِعَبْرَةٍ ... كَادَ الفُؤَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
وَأَجَبْتُهَا صَبْرًا بُنَيَّةُ[2] وَاعْلَمِي ... أَنْ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وقال الغزّال :

---

(١) ا : ويفى .
(٢) ب : صبراً ابنتى ، ا : بنتى صبراً ، ولا يستقيم مع كليهما الوزن ، وما أثبتناه أقرب إلى رواية ب .

وَكَمْ ظَاعِنٍ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَيْسَ آيِبًا ... فَآبَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرُ
وَإِنَّ الَّذِى أَعْظَمْتِهِ مِنْ تَغَرُّبِى ... عَلَىَّ — وَإِنْ أَعْظَمْتِ ذَاكَ — يَسِيرُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا يُدْرِكُ الْعُصْمَ عَدْوُهَا ... فَيُنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْــهُ تَطِيرُ
وَعَلَّى أَمْضِى[1] ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِمًا ... وَيَهْــلِكُ بَعْدِى آمِنُونَ حُضُورُ
جَعَلْتُ أُرَجِّيهَا إِيَابِى وَمَنْ غَدَا ... عَلَى مِثْلِ حَالِى لَا يَكَادُ يَحُورُ
وَكَيْفَ أُبَالِى وَالزَّمَانُ قَدِ انْقَضَى ... وَعَظْمِى مَهِيضٌ وَالْمَــكَانُ شَطِيرُ
وَإِنِّى وَإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّى تَجَــلُّدًا ... [2]لَذُو كَبِدٍ حَرَّى عَلَيْكِ حَسِيرُ[2]

وقال آخر :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ ... وَتَرْمِى النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا
فَأَكْرِمْ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعًا ... كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا[3]

وقال الراجز[4] :

إِنَّ فِرَاخًا كَفِرَاخِ الْأَوْكُرِ ... بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ
تَرَكْتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ ... عَجْزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالتَّشَمُّرِ
ذِكْرِى لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ السُّــكَّرِ ... وَوَجْدُهُمْ بِى مِثْلُ وَجْدِ الْأَعْوَرِ
بِعَيْنِهِ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ[5]

(١) ا : علمى سأمضى .
(٢) ساقط فى ب .
(٣) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٠/١٣٧ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .
(٤) ب : آخر .
(٥) ورد الشطران السادس والسابع فقط فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٣ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلى : أى اكتسبت لهم ، وتشمّر الشجرُ إذا أورق .

قال أبو الفتح البُسْتِيّ :

لَئِنْ تَنَقَّلتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ   وَصِرْتُ بَعْدَ ثُوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَالحُرُّ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى   والشَّمسُ فِي كلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ[1]

وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أَنِّى مُقِيمٌ بِبَلدَةٍ   وأَنتِ بأُخْرَى مَا إِلَيكِ سَبيلُ

خرج الشافعى الفقيه رضى اللهُ عنه فى بعض أسفاره ، فضمَّه الليلُ إلى مسجدٍ ، فبات فيه ، وإذا فى المسجدِ قوم عَوَامّ يتحدثون بضروب من الخَنَا وهُجْرِ المنطق ، فتمثل :

وَأَنْزَلَنِى طُولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ   إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ امْرءًا لا أُشَاكِلُه[2]

قال شَرِيك : كان يقال : إن أنجى النَّاسِ من البَلَايَا والفتَن ، من انتقل من بلدٍ إلى بلد .

قيل لبعضهم : أىُّ سفرٍ أطول ؟ فقال : من كان فى طلبِ صاحبٍ يرضاه ، أو دِرْهم حلالٍ يكسبه .

قال حاتمُ الطَّأئى :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ البُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ   عُمَاةً عَنِ الأَخْبَارِ خُرْقَ المَكَاسِبِ[3]

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ .

(٢) البيت المعيطى (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى) ، انظر البيان والتبيين ٢٠٤/٢ ، ٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، وفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلى :

كَم المُقَامُ وكَمْ تعتَافُكَ العِلَلُ ... مَاضَاقَتِ الأرْضُ فِي الدُّنيَا وَلاَ السُّبُلُ
فارحلْ فإنّ بلادَ اللهِ ما خُلِقَتْ ... إلا ليُسْلِكَ منها السَّهْلُ والجَبَلُ
إن ضاقَ لى بلدٌ يَمَّمْتُ لى بلدًا ... وإن نَبَا منزلٌ بى ، كانَ لى بَدَلُ
وإن تغيَّر لِي عن وُدِّه رَجُــلٌ ... أَصْفَى المودَّة لِي مِنْ بَعْدِه رَجُلُ
لم يقطعِ اللهُ لى من صاحبٍ أملا ... إلاّ تجَدَّدَ لى مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ
اللهُ قد عَوَّدَ الحُسْنَى فما بَرِحَتْ ... منهُ لَنَــاَ نِعَمٌ تَتْرى وتَتَّصِلُ
يُمْسِي ويُصْبحُ بى عُمْرٌ أُدَافِعهُ ... برزقِ رَبِّى حتّى يَنْفَدَ الأَجَلُ[1]

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ المُقَامَ عَلَى[2] الإقتِصَادِ ... قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةً لِلعِبَادِ[3]
[4] وَعَجْزٌ بِذِى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ ... بِهِ عَيْشُهُ وُسع هذِى البِلاَدِ [4]
وَمَا غَرُبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائدٍ ... وَلاَ سِيَّماَ حَسَنُ الإرْتِيَادِ
إِذَا مَا الأَدِيبُ ارْتَضَى بالخمُولِ ... فَلاحَظَّ[5] فِي الأَدَبِ المُسْتَفَادِ
وَفِي الإِضْطِرَابِ وفِي الإغْتِرَابِ ... مَنَالُ المُنَى وبُلُوغُ المُرَادِ
وَشَرُّ الضَّرَاغِمِ ضِرْغَامَةٌ ... طَوَى شِبْلُهُ وَهْوَ فى الغِيلِ هَادِ

(١) المحاسن والمساوئ ٢/٣ .
(٢) ا : المعيشة فى .
(٣) ب : لذة فى العباد .
(٤) زيادة من ب .
(٥) ب : فما الحظ .

وإنْ صَارِمٌ قَرَّ فِي(١) غِمْدِهِ ... حَوَى غَيْرُهُ الفَضْلَ(٢) يَوْمَ الجِلادِ
وَلَوْ يَسْتَوِي بالنُّهُوضِ القُعُودُ ... لَمَا ذَكَرَ اللهُ فَضْلَ الجِهَادِ
إذَا النَّارُ ضَاقَ بِهَا زَنْدُهَا ... فَفُسْحَتُهَا فِي فِرَاقِ الزِّنَادِ
فَدَعْ مَوْطِنًا واغْدُ مُسْتَرْزِقًا ... كَذَا الرِّزْقُ غَادٍ إلَى كُلِّ غَادِ
وَلاَ تُفْنِ عُمْرَكَ خَوْفَ الفِرَاقِ ... لِبِيضٍ مِلاَحٍ وَسُمْرٍ خِرَادِ
يُطِلْنَ البُكَا عِنْدَ شَحْطِ النَّوى ... وَيَأْسَيْنَ كُلَّ الأَسَى فِي البِعَادِ(٣)
فَكَمْ تَرْحَةٍ مِنْ أَسَى فُرْقَةٍ(٤) ... تَعُودُ سُرُورًا بِحُسْنِ المَعَادِ
إلَى كَمْ تَحَمَّلُ ضِيقَ المَعَاشِ ... وتَصْبِرُ والصَّبْرُ صَعْبُ القِيَادِ
عَلَى حَالَةٍ فَوْتُهَا(٥) خَيْرُهَا ... وضِيقُ المَعِيشَةِ سُقْمُ الفُؤَادِ
بِلاَ حَاسِدٍ لِي وَلاَ حَامِدٍ ... قَلِيلَةِ خَيْرٍ كَمَاءِ الثِّمَادِ
فَلاَ شَرَّ مِنِّي يَخَافُ العَدُوُّ ... وَلاَ خَيْرَ يَرْجُوهُ أَهْلُ الوِدَادِ
جُبِ الأَرْضَ شَرْقًا وَجُبْ غَرْبَهَا ... إلَى كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَوَادِ
عَسَاكَ تَنَالُ الغِنَى أَوْ تَمُوتُ ... وَعُذْرُكَ فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ بَادِ
فإنْ يَكُنِ الفَقْرُ حَتْمًا عَلَيْكَ ... فَكَابِدْهُ فِي غَيْرِ نَادِيكَ نَادِ
فَلَلْمَوتُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَرَاكَ ... بِعَيْنِ الخَسَاسَةِ عَيْنُ الأَعَادِي

---

(١) ا : فرمن .
(٢) ا : الحظ .
(٣) ب : العياد .
(٤) ب : ترحة .
(٥) ب : فوقها .

فَإِنْ لَمْ تَنَلْ مَطْلَبًا رُمْتَهُ ... فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الإجْتِهَادِ[١]

وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وإنْ أَبْدَى تَجَلُّدَه ... إلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ[٢] الوَطَنَا

وقال عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذى غَيْبَةٍ يَؤُوبُ ... وغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ[٣]

---

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحترى فى معجم الأدباء ١/٧٧، ولكنها لا توجد فى ديوانه أيضا.

(٢) ب : الفرقة .

(٣) الكامل ١/٢٦٧ ، عيون الأخبار ٣/١١٨ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه » قالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء[1] لِمَا لا يطيق » .

قال أَوْسُ بن حَجَر :

أُقِيمُ بِدَارِ الحزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا ... وأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلاَ[2]

وقال المتلمّس :

إِنَّ الهَوَانَ حِمَارُ البَيْتِ يَأْلَفُه ... والحُرُّ يُنكِرُهُ والفِيلُ والأَسَدُ

ولاَ يُقِيمُ بِدَارِ الذُّلِّ يَأْلَفُهَا ... إِلاَّ الذَّلِيلاَنِ عَيْرُ الحَيِّ والوَتِدُ

هَذَا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذَا يُشَجُّ فَمَا يَأْوِى لَهُ أَحَدُ[3]

وقال مالك بن الرَّيب :

فإِنْ تُنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إِلَيْكُمْ وإِلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعَادِ

فَفِي الأَرْضِ عَنْ دَارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وَكُلُّ بِلاَدٍ أُوطِنَتْ كَبِلاَدِى[4]

---

(١) ساقط من ا .

(٢) عيون الأخبار ١/ ٣٤ ، حماسة البحترى ١٧٩ .

(٣) يروى : حمار الأهل يعرفه ، والحرينكره والرسلة الأجد ، ويروى الجسرة الأجد ، ويروى البيت الثانى : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ، وفى البيت الثالث يروي معقول مكان مربوط ، وفلا يبكى مكان فا يأوى .

ومعنى الرسلة الأجد : الناقة الموثقة الخلق القوية الأعضاء والجسرة : الجمل الماضى أو الطويل، فا يأوى : ما يرق . والأبيات فى ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحترى ١٩ ، نهاية الأرب ٣/٦١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .

(٤) ينسب البيتان أيضا للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا فى حماسة البحترى ١٨٠ لرجل من تميم ولم يعينه . وانظرهما فى الكامل ١/٣٠١ ، ٣٠٢ محاضرات الأدباء ١/٢٣٧ ، ويروى مكان الشطر الأول من البيت الثانى : وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب .

وقال المغيرةُ بنُ حَبْنَاء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يوْمًا نَبَتْ بِهِ ... تَحوَّلَ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّتْ مَرَائِرُهْ
وَلَا أَنْزِلُ الدَّارَ[1] المُقِيمَ بِهَا الْأَذَى ... وَلَا أَرْأَمُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ نَزَلْتَهَا ... فَبِعْهَا بِدَارٍ أَو بِجَارٍ تُجَاوِرُهْ[2]

أنشد أبو عُبَيد عن الأَصْمعى :

إِذَا كُنتَ فِي دَارٍ يُهِينُكَ أَهْلُهَا ... وَلَمْ تَكُ مَكْبُولاً بِهَا فَتَحَوَّلِ[3]

وقال الزبير[4] بن عبد المطلب :

وَلَا أُقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُدُّ بِهَا ... صَوْتِي إِذَا مَا اعْتَرَتْنِي سَوْرَةُ الغضَبِ[5]

وقال آخر :

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِلٍّ تُفَارِقُهُ ... إِنَّ الْأَقَاصِيَ قَدْ تَدْنُو فَتَأْتَلِفُ
فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ ... فِيهَا مَجَالٌ لِذِي لُبٍّ وَمُنْصَرَفُ

وقال قيس بن الخطيم[6] :

وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ ... يَعِيشُ بها الْفَتَى إِلَّا بَلَاءُ[7]

---

(١) ب : الأرض .
(٢) المرائر: جمع مريرة وهى العزيمة ، أرأم الشىء : أحبه وآلفه .
(٣) ورد البيت فى معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة المحمق واسمه يزيد بن ثروان ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .
(٤) ب: الزهر .
(٥) البيت فى عيون الأخبار ١/٢٩٢ .
(٦) ا : آخر .
(٧) ب : بهان ، وقد ورد البيت له أيضاً فى حماسة البحترى ١٧٩ ، ولا يوجد فى ديوانه ، وورد فى محاضرات الراغب ٢/٢٧٢ غير منسوب لقائل .

(١) وقال المغيرة بن حَبْنَاء :

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ   وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْأَذَى مُتَرَحْرَحُ (١)

وقال معْنُ بن أوس :

وَفِي النَّاس إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ   وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقِلَى مُتَحَوَّلُ (٢)

(٣) وقال عبد الصمد بن المعذل ، ويروى لغيره :

إِذَا وَطَنٌ رَابَنِي   فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنْ (٣)

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَّى كَثِيرًا مِنْ لُبَانَتِهِ   وَلِلْمَضَايِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرَجِ
مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ   فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجِ (٤)

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هِمَمٌ تَقَاذَفَتِ الْخُطُوبُ بِهَا   فَهَرَعْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدِ (٥)

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَرْحَلُ *

وقال حبيب بن أوس الطائى :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ   لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

---

(١) ساقط من ب ، والمترحرح : الواسع الفسيح

(٢) زهر الآداب ٣/٢٣٢ ، المستطرف ٢/٤٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٣ .

(٣) ساقط من ا وانظره فى نهاية الأرب ٣/٨٧ ، التمثيل والمحاضرة ٨٨ ، منسوبا إليه .

(٤) البيتان في ديوانه ٦١ .

(٥) ب،م : فنزعن، ولم أجده فى ديوان أبى العتاهية.

فَإِنِّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً   إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ(١)

وقال ابن المعتز :

رَأيتُ حيَاةَ المَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ   فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَايَا الطَّوَائِحُ

كما يُخْلِقُ الثوبَ الجديد ابتذالُه   كذا تخلق المرءَ العيونُ اللَّوَامِحُ(٢)

وقال أبو الفتح البستى :

وَطُولُ مُقامِ الماءِ فِى مُسْتَقَرِّهِ   يُغَيِّرُهُ لَونًا وَرِيحًا وَمَطْعَمَا(٣)

وقال أبو الفتح الشذونى(٤) :

إذَا ما الْحُرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ   فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِى هَرَبٍ جُنَاحُ

وَقَدْ هُنَّا بِأَرْضِكُمُ وَصِرْنَا   لَقًى(٥) فِى الْأَرْضِ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نبَا بِى مَنْزِلٌ لا يُرْتَضَى   جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلَا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا   فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّحْوِيلا

لَيْسَ الْمُقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا   فِى مَنْزِلٍ يَدَعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا(٦)

---

(١) ديوانه ٥١ .

(٢) البيت الثانى فقط فى الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب، وانظرهما معاً فى التمثيل والمحاضرة ١٠٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٤/٣٢٤ ، نهاية الأرب ٣/١١١ .

(٤) ب : التعفون الشذونى ، ا : اليعقوبى ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) اللقى : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكُنْتُ إذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ ... تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
(١)وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلَـكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ(١)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتَ رِحْلَةً ... فَدَعْهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتَ مَعَادُ(٢)

وقال آخر :

خَلِّطْ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيطُ ... وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومٌ(٣) وَمَغْبُوطُ
وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا ... فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطُ
وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضًى ... فَإِنَّ رِزْقَكَ عِنْدَ اللهِ مَخْطُوطُ

وقال جواس(٤) الكلبي :

وَإِذَا العِلْجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي ... لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنَ الطَّرِيقِ
وَكَفَانِي جَفَاءَ مَنْ يَزْدَرِينِي ... قَطْعِيَ الْخَرْقَ بِالْمَرُوحِ الحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا ... فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

---

(١) سبق البيتان الأولان ، والثالث ساقط من ب .
(٢) البيان والتبيين ٢/٢٨٩ .
(٣) ب : مرحوم .
(٤) ا : خداش ،ب، م فى حواش ، والصحيح أنه جواس الكلبي انظر المؤتلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول فقط فى البيان والتبيين ١/٣٥٨ والخرق : الفلاة والأرض الواسعة، والمروح الحروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلْدَةٍ   فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمُقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ   وَالْعَجْزُ أَضْعَفُ(١) حِيلَةِ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم الغزال :

وإِنَّ مُقَامِي شِطْرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلٍ   أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
(٢)وقد يهرُب الإنسان من خيفة الردى   فيدركه ما خاف حيث يسيرُ(٢)

وقال المتنبي :

إذا لَمْ أجِدْ فِي بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ   فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ(٣)

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى   هَوَانَهُ أَقْبَحَ مَا قَدْ رَأَى
اهْرُبْ عَنِ الذُّلِّ وَعَجِّلْ فَمَا   أَقْرَبَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَآ
لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ   لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَآ

وَلِي حين رَحَلْت من إشبيلية(٤) :

وَقَائِلَةٍ مَالِي أَرَاكَ مُرَحَّلاً   فَقُلْتُ لَهَا : صَهْ وَاسْمَعِي الْقَوْلَ مُجْمَلاَ
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ   وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلاَ

---

(١) في ا : آفة ، وانظر الأبيات في لباب الآداب ٢٩٤ .
(٢) ساقط في ا ، ب .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ ، يتيمة الدهر ١/٥٤ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريده .
(٤) في ا ، ب : وللفقيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحُقَّ لِجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ(١) جَارُهُ ... وَلاَ لاَءَمَتْهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلا

بُلِيتُ بِخَفْضٍ(٢) وَالْمُقَامُ بِبَلْدَةٍ ... طَوِيلاً لَعَمْرِى مُخْلِقٌ يُورِثُ البِلاَ

إذا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمُ ... وَلَمْ يَنْأَ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلاَ

وَلَمْ تُضْرَبُ الْأَمْثالُ إلاَّ لِعَالِمٍ ... وَلاَ عُوتِبَ الإِنْسَانُ إلاَّ لِيَعْقِلاَ

وقال ابن أبى حازم ، أو ابن بسام :

وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

لاَ يَلْبَثُ الحُرُّ فِي مَكانٍ ... يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى هَوَانِ

الحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ ... عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمانِ

(٣)وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكَنَّى ... وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانِ(٣)

فَاسْتَرْزِقِ اللهَ وَاسْتَعِنْهُ ... فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ(٤)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضَتْنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ(٥) مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدُّ

وقال حبيب :

لاَ يَمْنَعَنَّكَ خفْضَ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ(٦) ... نُزوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ

---

(١) ب : أن يوافق .

(٢) ب : بحمص .

(٣) زيادة فى ب .

(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبى حازم فى عيون الأخبار ٣/١٨٤ على خلاف فى الترتيب ، ونسبت إلى الحسين بن عبد الله بن أبى حصينة المعرى فى معجم الأدباء ١٠/١١٣ .

(٥) ب : وسرت ولى .

(٦) ب : نطلبه ، وكذلك فى عيون الأخبار ١/٢٣٤ . وفيها أيضاً : نزاع بدل نزوع .

تَلْقَى بِكلِّ بِلَادٍ إِنْ نَزَلْتَ بِهَا أَهْلاً بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ[(١)]

وقال ابن أبى حُبَيْش :

يَا نَازِلاً بِبَطَلْيَوْسٍ إِذَا ظَفِرَتْ يَوْمًا يَدَاكَ بِيَوْمِ الْبَيْنِ فَاسْتَبِقِ
وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا الْ مَرْضَى وَعَجِّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ
إِنَّ الْمُقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا وَلَا يُعَادُ أَخُو الشَّكْوَى مِنَ الْحُمُقِ

---

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشطر الثانى من البيت الأول فى العقد الفريد ٣/٢٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا فى ديوان أبى تمام ، وقد وردا بغير نسبة فى حماسته ١/١٠٤ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ونسبا فى معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولى .

باب التَّوْدِيع والفِرَاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فى مسيره إلى العمرة ، فقال : « يا أَخي لا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه ، فإنَّ الله جاعل[1] له فى دعائهم بركة » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتم عملك .

قال الشعبى : السُّنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه ، وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم وَيغتنم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجّاج رجلا خارجاً إلى الحج ، فقال له : أما إنَّكَ إن لم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلاً ، ولا السّفه شرفاً ؛ سَلِم حَجُّك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلا ، فقال :

وَنَحْنُ نُنَادِى أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِرَاقُ حَيَاةٍ لاَ فِرَاقُ مَمَاتِ[2]

وقال إبراهيم الموصلى[3] :

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَجَدَّ رَحِيلُ و يُشْفَ من أهلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ

(١) ب : عاجل .
(٢) زيادة من ا .
(٣) فى الأغانى ٣/١٤ ، طبعة الساسى ، أنها لابنه إسحق ، يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصعبى بعد إيقاعه بالخرمية ، وفيها يقول :

تفرد إسحاق بنصح أميره فليس له عند الأنام عديل
يفرج عنه الشك صدق عزيمة وأب به يعلو الرجال أصيل

ونسبت لإسحاق أيضا فى المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمُدَّتْ أَكُفٌّ لِلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ ... وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلفِرَاقِ تَسِيلُ

[١]وَلاَ بُدَّ لِلإِلْفَيْنِ مِنْ ذَمِّ لَوْعَةٍ[٢] ... إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ

فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ ... أَوَانِسُ لاَ يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ

غَدَاةَ جَعَلْتَ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتَهُ ... وأَعْوَلْتَ لَوْأَجْدَى عَلَيْكَ[٣] عَوِيلُ

وقال محمد بن مِقْسَم، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم:

فِرَاقُ الأَحِبَّةِ دَاءٌ دَخِيلُ ... ويَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفْسٍ رَحِيلُ

سَمِعْتُ بِبَيْنِكَ فَاعْتَادَنِي ... غَلِيلٌ بِقَلْبِي وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أَهَذَا وَلَمْ يَكُ يَوْمُ الفِرَاقِ ... فَإِنْ كَانَ لاَ كَانَ زَادَ الغَلِيلُ

وأَيْقَنْتُ أَنِّي بِهِ تَالِفٌ ... ومَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلُ

حَيَاةُ الخَلِيلِ حُضُورُ الخَلِيلِ ... وَيَفْنَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الخَلِيلُ

وقال آخر:

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ البَيْنِ حُزْنًا ... والأُخْرَى بالبُكَا بَخِلَتْ عَلَيْنَا

فَجَازَيْتُ التِي جَادَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ أَقْرَرْتُهَا بالوَصْلِ عَيْنَا

وجَازَيتُ التِي بَخِلَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَقَيْنَا

وقال الزبير بن بكار: شيعني إسحقُ بن إبراهيم وقال:

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من نسخة ب.

(٢) فى الأغانى: ولا بد للألاف من فيض عبرة.

(٣) فى الأغانى: على.

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الحَياةِ ... وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيَمْ
عَلَيكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ ... أُفَارِقُ مِنكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمْ[١]

وقال آخر:

وَدَّعَ أَحْبابَهُ فَمَا وقَفُوا ... وَلاَ عَلَى ذِى صَبابَةٍ عَطَفُوا
كَمْ كَبِدٍ قَطَعُوا بِبَيْنِهِمُ ... وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمُ تَلِفُ[٢]
كَأَنَّهُمْ لم يُجَاوِرُوكَ وَلَمْ[٣] ... تَعْرِفْهُمْ والوِصَالُ مُؤْتَلِفُ[٤]

وقال آخر:

لَمْ أَنْسَ يَومَ الرَّحِيلِ مَوْقِفَهَا ... وَطَرْفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَولَهَا والرِّكَابُ وَاقِفَةٌ ... تَرَكْتَنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الفِرَاقِ وَإِنْ كَا ... نَ أَخُو الوَجْدِ وَالِهاً كَلِفَا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ المُشَيِّعِ لِلْقَلْ ... بِ يُرِيدُ الرُّجُوعَ مُنْصَرِفَا

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ ... وَكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ
لَئِنْ رَجَعَتْ عَنْكَ أَجْسَامُنَا ... لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الأَنْفُسُ[٥]

---

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعبل الخزاعي فى زهر الآدب ٤/١٠٦ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٥/٤١٣ ، عيون الأخبار ٣/٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧ وفيها جميعا : وداعك مثل وداع الربيع .

(٢) تلف : تغزر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نهاية الأرب ٢/٢٤٦ .

(٥) ورد البيتان فى العقد الفريد ٥/٤٠٩ منسوبين إلى أبى الطيامير ، وانظرهما فى نهاية الأرب ٢/٢٤٦ ، والمبلس : الساكت على ما فى نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الفِرَاقَ فَإِنِّى أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ(١)

وقال آخر :

صَاحَ الغُرَابُ بِوَشْكِ البَيْنِ فَارْتَحَلُوا وَقَرَّبُوا العِيسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
وَغَادَرُوا القَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ
وَفِى الجَوَانِحِ نَارُ الحُبِّ تَقْذِفُهَا أَيْدِى النَّوَى بِزِنَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّمَى الإِبِلُ
وقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السُّجْفِ نَاظِرَهَا تَرْنُو إِلَىَّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ
وَيْحِى مِنَ البَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِى وَبِهِمْ مِنْ نَازِلِ البَيْنِ حَلَّ البَيْنُ وارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَىْ نُوَدِّعَهُمْ يَا رَاحِلَ العِيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ يَا لَيْتَ شِعْرِى لِطُولِ البَيْنِ مَا فَعَلُوا(٢)

أنشدنى أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدنى أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن أحمد الصَّيْدلانى ، قال : أنشدنا أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل الأخفش :

---

(١) محاضرات الادباء ٢/٢٧ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبى حفص الشطرنجى .
(٢) المستطرف ٢/٤٩ ، نهاية الأرب ٢/١٩١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقْياً ورَعْياً وإيـانَا وَمَغْفِرَةً   لِلْباكِيات عَلَيْنا حِينَ نَرْتَحِلُ
يُبْكى عَلَيْنَا ولا نَبْكِي عَلَى أحَدٍ   أنحنُ أغْلَظُ أكْباداً أمِ الإبلُ(١)

وقال آخر :

أحُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ فى أىِّ هَوْدَجٍ   وَفِي أىِّ خِدْرٍ مِنْ خُدُورِكُمُ قَلْبِي(٢)
أأبْقَى نَحِيلَ الجِسْمِ فِي أرْضِ غُرْبَةٍ   وحَادِيكُمُ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرَّكْبِ(٣)

(٥ وقال عمر بن أبى ربيعة :

هَاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ   لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا
عَلَى بِغَـالٍ شُحَّجٍ(٤)   قَدْ ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْــدٌ لَيْتَنِي   مَا عُمِّـرَتْ أعْمَـرُ
حَتَّى إذَا مَا جَاءَهَا   حَتْفٌ أتَانِي القَدَرُ ٥)

وقال آخر :

أيَا عَجَباً(٦) مِمَّنْ يُوَدِّعُ إلْفَهُ   يَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الفِرَاقِ فَيُسْرِعُ(٧)
هَمَمْتُ بِتَوْدِيعِ الحَبِيبِ فَلَمْ أطِقْ(٨)   فَوَدَّعْتُهُ بالقَلْبِ والعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه إقواء .
(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من ب .
(٣) ورد البيتان فى المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ ، منسوبين إلى شاب خرج يودع الحاج ، ولم يعينه .
(٤) الشحيج : صوت البغال .
(٥) زيادة من ب وانظر الأبيات فى ديوانه ١٠٢ ، الأغانى ١/١٨٧ .
(٦) ا : أياعجبى .
(٧) ب : فيشرع .
(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَهَا طَرْفِي فقَالَتْ لَهُ بالدَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ

وقال حبيب :

مَا اليَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي ولاَ الثَّانِي البَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وأَحْزَانِي
حَسْبُ الفِرَاقَ بأَنَّ الدَّهْرَ سَاعَدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بجُثْمَانِي
ومَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بمَا صَنَعَتْ حَتَّى تُشَافِهَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانِ[1]

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفَرْجَلاً فَتَطَيَّرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرَا
خَوْفَ الفِرَاقِ لأَنَّ شِطْرَ هِجَائِهِ[2] سَفَرٌ وحَقَّ لَهُ بأَنْ يَتَطَيَّرَا

وقال آخر :

أُقِيمُ وتظْعَنِينَ وأَنْتِ رُوحِي وهَلْ جَسَدٌ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحِ
لِئِنْ كَانَ الفِرَاقُ غَدًا فَإِنِّي سَأُحْمَلُ لاَ أَشُكُّ إِلَى ضَرِيحِي
تَعَالَيْ بَعْدَ فُرْقَتِنَا لِنَبْكِي فإِنِّي نَائِحٌ أَبَدًا فَنُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْـ ـدَ اللهِ إِلاَّ الإِبِلُ
والنَّاسُ يَلْحَوْنَ[3] غُرَا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

(١) انظر الأبيات فى شرح الديوان ٢/٣٠٨ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .
(٢) ا : شطرهمابه ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين فى العقد ٢/٣٠٢ .
(٣) ب . قد لاموا .

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ البَيْنِ تُطْوَى(١) الرِّحَلُ
وَلاَ إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا(٢)
وَمَا غُرَابُ البَيْنِ إِلاَّ (م) نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ(٣)

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشِّيص.

وقال العلوي علي بن محمد:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ لِلْمَوْتِ لَوْ فُقِدَ الفِرَاقُ سَبِيلاَ
يَا سَاعَةَ البَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا وَاصَلْتِ سَاعَاتِ القِيَامَةِ طُولاَ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه:

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كِدْتُ مِنْ قَبْلِ الفِرَاقِ أَلِيحُ(٤)
أَرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ(٥)

وقال حبيب:

يَوْمُ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلاَ لَمْ تُبْقِ لِي جَلَدًا وَلاَ مَعْقُولاَ
لَوْ جَاءَ(٦) مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ

---

(١) ب: تمطى.

(٢) ب. احتملوا.

(٣) انظر الأبيات كلها في زهر الآداب ٢/١٧٠ الشعر والشعراء ٨٢١، والبيتين الثاني والخامس في التمثيل والمحاضرة ٣٦٩، والأول والثالث في الكامل ٢/٣، وفيه: ما فرق الألاف ... والبائس المسكين ما تطوى.

(٤) ب م: أنيح. ومعنى أليح: أهلك.

(٥) انظرهما في العقد الفريد ٦/٢٦، الأمالي ٢/١٦٠.

(٦) ب: حار.

قَالُوا الرَّحِيلُ(١) فَمَا شَكَكْتُ بأَنَّهَا ... نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلاَ(٢)

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف ، فرأيت اختصاره ، قال الحارث بن وَعْلة ؛ وتُنسب إلى العتّابي كُلْثوم بن عمرو ، وهي أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءُ الْحِذَارِ والإِشْفَاقِ ... وشآبِيبِ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ

غُرَّ مَنْ ظَنَّ أَنْ يَفُوتَ الْمَنَايَا ... وعُرَاهَا قَلاَئِدُ الأَعْنَاقِ

ويَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمُرَّا ... تٍ مِنَ العَيْشِ مُصَرَّاتِ(٣) الْمَذَاقِ

كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتِّعَا باتفاقِ(٤) ... ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لافْتِرَاقِ

قُلْتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ واللَّيْلُ مُلْقٍ ... سُودَ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ

ابْقَيَا مَا بَقِيتُمَا سَوْفَ يُرْمَى ... بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ

هَوِّنِي ذَا عَلَيْكِ واقْنَيْ حَيَاءً ... لَسْتِ تَبْقَيْنَ لِي ولَسْتُ بِبَاقِ

أَيُّنَا قَدَّمَتْ حِمَامُ المَنَايَا ... فَالَّذِي أَخَّرَتْ سَرِيعُ اللَّحَاقِ

(٥ لا يَدُومُ البَقَاءُ لِلْخَلْقِ لَـ ... كِنَّ دوامَ البقاءِ لِلْخَلاَّقِ ٥)

إنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلاَقٍ ... بَعْدَ مَا قَدْ تَرَيْنَ كَانَ التَّلاَقِي(٦)

وقال آخر ، وهو نفطويه :

---

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٢/٦٦ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٨ .

(٣) مصرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) ساقط من ب .

(٦) انظر الأبيات فى زهر الآداب ٣/٤١ ، والبيتين هونى وما بعده فى معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّماءَ عَلَيْهِمَا ... عَيْنَاىَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ [١]

وقال الغزال :

وَإِن رَجَائِى فِى الْإِيَابِ إِلَيْكُمُ ... وَإِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ العَزَاءَ قَصِيرُ
وَإِنْ كُنْتِ تَبْغِينَ الوَدَاعَ فَبَالِغِى ... فَدُونَكِ أَحْوَالٌ أَرَى وَشُهُورُ

وقال آخر :

لَيْسَ الفِرَاقُ وَإِنْ جَزِعْتَ بِضَائِرٍ ... مَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا الأَخْلَاقُ
إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَنَا ... فَسَنَلْتَقِى وَسَيُحْفَظُ الْمِيثَاقُ
والدَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ مُفَارِقٍ ... وَلِكُلِّ مُلْتَقِيَيْنِ مِنهُ فِرَاقُ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافاً مُخَضَّبَةً ... لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ
وَوَدَّعَتْنِى وَمَا هَمَّتْ وَلَا نَطَقَتْ ... وَإِنَّمَا وَدَّعَتْ وَحْياً بِعَيْنَيْنِ
بَلَى لَقَدْ أَوْمَأَتْ نَحْوِى بِإِصْبَعِهَا ... إِيمَاءَةً خَتَلَتْ [٢] عَنْهَا الرَّقِيبَيْنِ

وقال آخر :

أَتَذْكُرُ إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى ... بِعُودِ بَشَامَةٍ سُقِىَ الْبَشَامُ [٣]

---

(١) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ منسوبين إلى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب المستطرف ١/١٩٨ ٢/٤٠ إلى أبى العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا فى التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ غير منسوبين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوى ٢/٧٩ .

(٣) البيت لجرير ، ديوانه ٥١٢ وفيه وفى الأغانى ٦٥/٢ ،نهاية الأرب ٤/٢٧٦ ، أتنسى ، وبفرع بشامة ، وفى اللسان : أتذكر كما هنا .

(١)يريد : تشير إلينا بمسواكها مودعة(١) .

وقال أبو عَوَانة(٢) : كنت أجالس أبا العتاهيـة فأراد الخروج إلى مكة فودعنى وقال :

إنْ نَعِشْ نَجْتَمِع وَإلاَّ فَمَا أَشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الأَنَامِ(٣)

قالت أعرابية لابن لها ، وقد ودعته وهو يريد سفراً : امض مصاحباً مكلوءاً ، لا أشمت الله بك عدوًّا ، ولا أرى محبيك فيك سوءاً .

ودع أعرابى رجلا ، فقال كَبَتَ الله لك كل عدوّ إلا نفسك ، وجعل خير عملك ، ما ولى أجلك .

بيت قديم :

وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ وَجَدتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الاحبَابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ(٤)

قال محمد بن عبد السلام الخُشَنى :

كأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ إذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلاقِ
كَأَن لَم تُؤَرِّق بِالْعِرَاقَيْنِ مُقْلَتِي وَلَم تَمْرِ كَفُّ الشَّوْقِ مَاءَ مَآقِ(٥)
وَلَمْ أَزُرِ الأَعرَابَ فِى خَبْتِ أَرْضِهِمْ(٦) بِذَاتِ اللِّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ

---

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ا : أبو عربة ، والصحيح ما أثبتنا ، فو أبو عوانة الوضاح بن خالد اليشكرى ، من حفاظ الحديث الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٦٠ ، تهذيب التهذيب ١١/١١٦ .

(٣) لم يرد البيت فى ديوان أبى العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السامى فى تاريخ بغداد ٢/٣٨٤ .

(٤) البيت لقيس بن ذريح الليثى ، أنظره فى الحماسة لأبى تمام ٢/٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٣/٥٠٠ وفيه: وكل ملمات .

(٥) ب ولم كف بالشوق ، ا : ولم تركف ، وتمر معناها تمسح .

(٦) م : عقر خبتهم ، ب : أرض خبتهم ، والخبت : المتسع الفسيح من الأرض.

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْبِيدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى ... بِكَأْسٍ سَقَانِيهَا الفِرَاقُ دِهَاقِ[1]

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ إِلَّا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ ... خَلِيلاً إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ ... تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا[2]

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .[3]

(١) انظر الأبيات للخشنى أيضا فى جذوة المقتبس ٦٤ ، ونسبها فى نفح الطيب ٢٢١/٢ إلى محمد بن عيسى ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها فى الأزاهر ساق .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ١٢٢/٢ .

(٣) ساقط من ا .

باب الزيارة والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخًا له فى الله ، أو عاده ، خاض الرحمة حتى يرجع وقال اللهّ عز وجلّ له : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنّة منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال[1] حاكيًا عن الله عز وجل : « وجبت محبتى للمتزاورين فىّ والمتحابين فىّ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبى هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا » . أخذه الشاعر فقال :

إذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا ... وإنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا[2]

أنشدنى أبو عثمان سعيد بن سيد[3] ، لعبد الملك بن جهور الوزير :

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ وكَانَ بَرًّا ... إِذَا زُرْتَ الحَبِيبَ فَزُرْهُ غِبًّا

وأَقْلِلْ زَوْرَ مَنْ تَهْوَاهُ تَزْدَدْ ... إِذَا مَازُرْتَهُ مِقَةً وَحُبًّا

ولعلى بن أبى طالب الكاتب[4] :

إنِّى رَأَيْتُكَ لِى مُحِبًّا ... وإِلَىَّ حِينَ أَغِيبُ صَبَّا

فَهَجَرْتُ لاَ لِمَلاَلَةٍ ... حَدَثَتْ وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبَا

إلاَّ لِقَوْلِ نَبِيِّنَا ... زُورُوا عَلَى الأَيَّامِ غِبَّا

ولِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِبًّا (م) مِنْكُمُ يَزْدَادُ حُبَّا

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا ، وانظر البيت فى معجم الأدباء ١٦/١٥ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط فى ب .

قال خارجة بن زيد النحوى : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالسًا بالأرض ، فألقى إلىّ وسادة ، فقلت له : إنى قد رضيت لنفسى ما رضيتَ لنفسك . فقال : إنى لا[١] أرضى لك فى بيتى ما أرضى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمَر ، فلعل الرجل فى بيته شىء يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لاَ تَجْعَلَنْ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا   أَحْبَبْتَهُ وَهَوِيتَهُ رَبَّا
وَصِلِ الخَلِيلَ إِذَا شُغِفْتَ بِهِ   واطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبَّا
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ   لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبَا
لِكَنْ يَمَلُّكَ[٢] ثُمَّ تَدْعُو باسْمِهِ   فَيَقُولُ : هَا ، وطَالَمَا لَبَّى[٣]

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلاَلِ الزِّيَارَةِ إِنَّهـا   تكونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الهَجْرِ مَسْلَكَا
فإِنِّى رَأيتُ الغَيْثَ يُسأَمُ دَائِمًا   ويُسْأَلُ بالأَيْدِى إِذَا هُوَ أَمْسَكَا[٤]

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرًا ، فوقف ببابنا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لكى يملك .

(٣) لم أعثر على هذه الأبيات فيما طبع من ديوانه ، ولا فى المختار من شعره للخالديين ، ورواية م لهذا البيت:

لابل يملك عند رؤيته   ويقول أف وطالما كبا

(٤) محاضرات الأدباء ١٢١/١، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوبين ، ونسبا لناصر بن أحمد الخوى ، فى معجم الأدباء ٢١١/١٩ . ولابن حموش القيسى المقرى فى وفيات الأعيان ٣٦٤/٤.

قال ابن المعتز[١] :

وَقْفَةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَهْ[٢]

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَاقَفَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ[٣]

كان يقال : امْشِ ميلا وعُدْ عليلا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزُر فى الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان فيمن قبلكم رجل يزور أخًا لَهُ فى الله بقرية أخرى ، فأرصد[٤] الله على مدرجه[٥] ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لى فى الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تُرَبِّيها[٦] ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبنى فى الله فأحببته فيه[٧] . قال : فإنى رسول الله إليك ، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنتُ نَهيتُكم عن زيارة القبور ، ثم أُذِنَ لى فيها فزُورُوها فإنها تذكّر الآخرة ، ولا تقولوا هُجْراً » .

---

(١) ب : ابن المغيرة .
(٢) صدره * قف لنا فى الطريق ان لم تزرنا * ديوانه ١٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ١٠١ .
(٣) البيان والتبيين ٢/٢٠٠،٣/٤٠٢ ، عيون الأخبار ٣/٢٤ ، وفيه :وحظك لقية ، محاضرات الأدباء٢/١٥ .
(٤) ب : فأرسل .
(٥) المدرج : المسلك والطريق .
(٦) ب : تربها .
(٧) ب، م : إلا أنه أخى فى الله أحبه فيه .

كان سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ يقول : لا تُعْمِل الأقدام في الزيارة إلاّ إلى أقدارها ، وينشــد :

فَضَعِ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لاَ يُزْرِي بِهَا ... كَرَمُ المَزُورِ وَلاَ يُعَابُ الزَّائِرُ(١)

وقال العباس بن الأحنف :

يُقَرِّبُ الشَّوقُ دَارًا وَهْيَ نَازِحَةٌ ... مَنْ عَالَجَ الشَّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

أَزُورُكُمْ لاَ أُكَافِئُكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ ... إِنَّ المُحِبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارَا(٢)

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلكِنَّ ذَا الهَوَى ... إِذَا لَمْ يُزَرْ لاَ بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

أَزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُ كُلَّمَا ... أَتَيْتُ عَدُوًّا بالبَنَانِ يُشِيرُ(٣)

وقال آخر :

فَإِنِّي لَزَوَّارٌ لِمَنْ لاَ يَزُورُنِي ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وُدِّهِ بِمُرِيبِ

وَمُسْتَقْرِبٌ دَارَ الحَبِيبِ وإِنْ نَأَتْ ... وَمَا دَارُ مَنْ أَبْغَضْتَهُ بِقَرِيبِ(٤)

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الإِخْوَانِ قُرْبًا ... إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الوُدِّ القُلُوبُ

وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الإِلْمَامَ إِلاَّ ... ضَنِينٌ فِي مَوَدَّتِهِ مُرِيبُ(٥)

---

(١) عيون الأخبار ٣/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٧ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف فى ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ١/٣٠٥ ، ٢/١٥ .

(٣) البيتان فى الأغاني ١٢/١١٥ ، والأول فى الكامل ١/٣٣٣ .

(٤) ا : إذا لم يكن لى فى وجوه مريب ، والبيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٥ منسوبين إلى ابن حجاج .

(٥) فى ا : ظنين يجود به مريب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

دَنَتْ بِأُنَاسٍ مِنْ تَنَاءٍ زِيَارَةٌ وَشَطَّ بِلَيْلَى عَن دُنُوٍّ[1] مَزَارُهَا
وَإِنَّ مُقِيمَاتٍ[2] بِمُنْقَطَعِ اللِّوَى لَأَقْرَبُ مِن لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا[3]

وأما قول قرم بن مالك :

عَلاَمَ أُوَايِمُ البُخَلاَءَ فِيهَا فَأَقْعُدُ لاَ أَزُورُ وَلاَ أُزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتأول من ذهب هذا المذهب فى قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة . وقال آخرون فى قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَا لِيَ هَشُّهُ وَقَابَلَنِي مِنْهُ البَشَاشَةُ والبِشْرُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌّ وبَشٌّ تَرَكْتُهُ وَلَوْكَانَ فى اللُّقْيَا الوِلاَيَةُ واليُسْرُ
وحَقُّ الَّذِى يَنْتَابُ دَارِىَ زَائِرًا طَعَامٌ وبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بِشْرُ

---

(١) ا : عن تناء .
(٢) ا : وإن مقيماً حيث .
(٣) محاضرات الأدباء ٢/٣١ ، وفيات الأعيان ١/٢٥ ، نهاية الأرب ٣/٨٩ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، زهر الآداب ٤/١٥٦ وفيه : تدانت بقوم عن .

باب العِيَادَة أيضاً[1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « عائدُ المريض فى مَخْرَفَةِ[2] الجنة ».

وقال عليه السلام: « عائدُ المريض يخوض الرحمة، فإذا قعد عنده غمرته ».

قال مالك: أو نحو هذا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مِنْ حقِّ المُسْلِم على المُسْلِم أن يُسَلِّم عليه إذا لَقِيَه، ويَعُودَه إذا مَرِض، ويُشَمِّتَه إذا عَطِس، ويُشَيِّعَ جنازتَه إذا مات، ويُجيبَهُ لطعامه إذا دَعَاه ».

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أفضلُ العيادة أخَفُّها ».

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة، قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن[3] الحجاج — يعنى ابن أَرْطَاة — عن المِنْهال عن عَبْد الله بن الحارث، عن ابن عبّاس، قال: « من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته، فقال: أسأل اللهَ العظيم، رَبَّ العرش العَظِيم أن يَشْفِيَكَ، سبع مرات، شُفِى ».

قال الشاعر:

إنْ كُنْتُ فِى تَرْكِ العِيَادَةِ تَارِكًا   حَظِّى فَإِنِّى فِى الدُّعَاءِ لَجَاهِدُ
ولَرُبَّمَا تَرَكَ العِيَادَةَ مُشْفِقٌ   وأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الحَاسِدُ[4]

---

(١) ساقط فى ب.

(٢) المخرفة: البستان، والسكة بين صفين من نخل يخترف المخترف من أيهما شاء.

(٣) ب: ابن.

(٤) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٥، منسوبين إلى الخوارزمى، ووردا من غير نسبة فى عيون الأخبار ٣/٤٦.

وقال آخر :

إذَا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نَعُودُكُمُ ... وتُذْنِبُونَ فنأتِيكُمْ فنَعْتَذِرُ(١)

وقال عبد الله بن مصعب الزبيري :

مَالِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَائِدٌ ... مِنكُمْ ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ(٢)

فسُمي عائد الكلب .

ولجعفر بن حَذَار الكاتب :

إنَّ العِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ(٣) ... واقْعُدْ قَلِيلاً كَلَحْظِ العَيْنِ بالعَيْنِ

لا تُبْرِمَنَّ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ ... يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآلٌ بِحَرْفَيْنِ(٤)

وللشافعي الفقيه رضي الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه ، فلمسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِيَّ وَشَجَّعُونِي ... وَغَرَّهُمُ فُتُورُ حُمَى(٥) جَبِينِي

تَعَزَّوْا بالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ ... فَضَجُّوا بالبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي

فَلَمْ أَدَعِ الأَنِينَ لِقِلِّ سُقْمِي ... وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الأَنِينِ

---

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ١/٢٢٦ ، ٢/٣٣٢ .

(٢) الكامل ١/٣٢٢ ، المستطرف ٢/٣٣٢ ، عيون الأخبار ٣/٥٢ .

(٣) ب : يوم بيومين ، وفي محاضرات الأدباء والمستطرف: حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ١/٢٠٩ ، والمستطرف ٢/٣٣٢ ، العقد الفريد ٢/٤٥٠ ، وقد ورد فيه البيت **الأول** :

عيادة المرء يوم بين يومين ... وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

وفيه : مساءلة مكان عيادته في البيت الثاني .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والعرق .

سَأَصْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي ... وَإِلَّا فَهْوَ آتٍ بَعْدَ حِينِ
وإنْ أَسْلَمْ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ ... ومَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُوءُنِي[١]

قال المدائني : سقط عبد الله بن شُبْرُمة القاضي عن دابته ، فوُثِئَتْ[٢] رجله ، فدخل عليه يحيى بن نوفل[٣] الشاعر عائداً له ومادحاً ، وكان جاره ، فأنشده :

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانَا الخَبِيرُ ... وَدَسَّ أَحَادِيثَهُ هَيْنَمَهْ[٤]
لَكَ الوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَاتَقُولُ؟ ... أَبِنْ لِي وَعَدِّ عَنِ الْجَمْجَمَهْ[٥]
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضِي القُضَا ... ةِ مُنْفَكَّةٌ رِجْلُهُ مُؤْلَمَهْ
فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ البِلَادُ ... وخِفْتُ المُجَلِّلَةَ المُعْظَمَهْ
فَغَزْوَانُ حُرٌّ وَأُمُّ الوَلِيدِ ... إِنِ اللهُ عافَى[٦] أَبَا شُبْرُمَهْ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا ... ومَا عِتْقُ عَبْدٍ لَهُ أو أَمَهْ[٧]

قال : وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل ، يعرف ما[٨] في منزله ، فلما خرج تبعه ، فقال له : يا أبا مَعْمر[٩] ! رحمك الله مَنْ غَزْوَانُ وأمّ الوليد ؟ قال : سِنَّوْرَان في البيت ، فاستر عليّ .

---

(١) الأبيات الثلاثة الأول في معجم الأدباء ١/١٩٧ ، والرواية للبيت الأول فيه . أقول لصاحبي وسليماني : الخ .
(٢) وثئت : انفكت ، أو أصابها وجع من غير كسر .
(٣) الحميري اليماني ، كان شاعراً هجاء ، وكان مع ذلك ظريفا ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٧١٧ — ٧٢١ ، رغبة الآمل ١/١٣٣ ، ٤/١٨٣ ، ٥/١٤٦ .
(٤) الهينمة : الصوت الخفي .
(٥) الجمجمة : الكلام الذي لا يبين .
(٦) ب : عفا .
(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٣/٤٨ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .
(٨) ا : من .
(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بابُ الحِجَاب

قال رسولُ اللهِ صلىَّ اللهُ عليه وسلَّم : «مَنْ وَلِيَ من أمورِ النَّاسِ شيئاً فاحْتَجَبَ عن حاجَتِهم ، احتجبَ اللهُ عنه يوم القيامة وعن حاجته ، وخَلَّتِهِ وَفَاقته » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ رفع حاجةَ ضعيفٍ إلى ذى سُلطان لا يستطيع رَفْعَهَا ، ثبّت اللهُ قدميه على الصِّراط يوم القيامة » .

حجب معاويةُ أبا الدّرداء يوماً ، وحبسه عند بابه ، فقيل له : يا أبا الدرداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : من يأت أبواب السلطان يَقُم ويَقْعد .

قال عبدُ العزيز بن زُرَارَة الكلابى :

دخلتُ عَلَى معاويةَ[1] بن صَخْر ... عَلَى حِينٍ يئستُ من الدّخولِ
ومانلتُ الدُّخُول عليه حتّى ... حَلَلْتُ محلّةَ الرّجل الذّليلِ
وأغْضَيْتُ الجفون على قَذَاها ... ولم أَنْظُرْ إلى قالٍ وقيلِ
فأدركتُ الّذى أمّلتُ منه ... بمُكْثٍ والخطاَ زادُ العَجُولِ[2]

حُجب أعرابىٌّ عند باب سُلطان فقال :

أُهِينُ لهم نَفْسِى لأكرمَهَا بهم ... ولن يُكْرِمَ النّفسَ الّذى لا يُهِينُهَا[3]

---

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبية للبكري ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك إذ ، وفى البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) فى هامش البيان علق الأستاذ السندوبى على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد رؤى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسى، فقيل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره فى العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثنى أبو القاسم خلفُ بن قاسم رحمه اللهُ ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عُبَيْد الله الصَّيْدَلاَنى ، قال : حدثنا علىُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : أنشدنى بعض أصحابنا :

فى كلِّ يومٍ لى بِبَابِكَ وَقْفةٌ أَطْوى إليها سائرَ الأَبْوابِ
فإذا جلستَ وغبتُ عنك فإنّه ذنبٌ عقوبتُه عَلَى البوّابِ[1]

استأذن أبو سُفيانُ على عثمانَ رضى الله عنه ، فأبطأ إذنه ، فقيل حَجَبَك أمير المؤمنين؟ فقال : لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حَجَب .

قال معاويةُ لحُضَين بنِ المُنْذِر : يا أبا ساسان ! كأنك لاتحسن[2] أذنك . فأنشأ يقول :

كلُّ خفيف الرّأى يمشى مُشَمِّرًا إذا فتح البوابُ بابك إِصْبَعَا
ونحنُ الجلوسُ الماكثُون رزانةً وحِلماً إلى أنْ يُفْتَح البابُ أجمعا[3]

قال زياد لحاجبه : يا عَجْلان ! إنّى ولّيتك ما وراء بابى ، وعَزَلْتُك عن أربعة : طارقِ ليل فشرٌ[4] ما جاء به ، وخبرِ رسولِ صاحبِ الثغر فإنّه إن تأخر ساعة أبطل عمل سَنَة ، وهذا المنادى للصّلاة ، وصاحبِ الطعام فإنّ الطّعامَ إذا أُعيد عليه التّسخين فسد .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٩١ ، المستطرف ١/١١٥ .
(٢) ساقط من ا .
(٣) البيان ٣/٢١٧ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسعى ، الماكثون توقرا . وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ ، المستطرف ١/١٣ ، العقد ١/٧٩ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناساً يسرعون تبادرا .
(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز — حين ولاّه مصر — : يا بنيّ ! مُرْ حاجبَك يخبرْك مَنْ حضر بابك كلّ يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وآنِسْ من دخل عليك بالحديث فينبسطَ إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أَسحس عليك الأمر ، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تَقُمْ على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذنْ له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً وخفّفه أُوصِلْه لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب فى السطر الأول : الأملُ والضرورة[١] أقدمانى عليك[٢] ، وفى السطر الثانى : [٣]ليس مع العَدَم صبر على الطلب . وفى السطر الثالث[٣] : الرجوعُ بلا فائدة شماتةُ الأعداء ، وفى السطر الرابع : إما نَعَم مثمرة ، وإما لا موئسة . فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم[٤] ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمر السُّلَمِى[٥] ، فى باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن مَنْصُورِ ... عَلاَمَاتٌ من البَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وحَسْبُ البا ... ب فَضْلا كَثْرةُ الأهْلِ[٦]

---

(١) ب : القدرة .

(٢) ا : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببدرة .

(٥) ب : السليمى .

(٦) عيون الأخبار ٩٠/١ ، الكامل ١٠١/١ وفيه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ٢٥٦/١ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقطُ الطَّيرُ حيث يُنْتَثرُ الحَبُّ (م) وَتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَمَاءِ[١]

وقال حبيب :

إنّ السّماءَ تُرَجَّى حِينَ تُحْتَجَبُ[٢]

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ والمَشْرَبُ[٣] العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ[٤]

وقال عبيد الله بن عكراش :

وإنّى لَأَرْثى للكريم إذا غدَا عَلَى طمعٍ عنـد اللَّئيم يُطَالبُـهْ
وأَرْثى له من وقفةٍ عندَ بابه كَمَرْثيَتِي للطِّرْفِ والعلجُ راكبُـهْ[٥]

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

[٦]إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فَضْلُ الجوادِ عَلَى البَخِيلِ

فأجابه عبد الله بن طاهر[٦] :

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بالحِجَابِ[٧]

---

(١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١/١٨٢ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ١/٩١ ، ٣/٢٦ ، نهاية الأرب ٣/٧٧.
(٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا . انظر ديوانه ٤٢ .
(٣) ب : والمشرع وكذلك فى عيون الأخبار ، وفى المحاضرات : والمنهل .
(٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١/١٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، معجم الأدباء ٦/٢٢٦ ، عيون الأخبار ١/٩٠ .
(٥) البيان والتبيين ٣/٢٠١ ، عيون الأخبار ١/٨٩ ، والطرف : الجواد الكريم .
(٦) زيادة من ب .
(٧) البيت والذى سبقه فى المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ ، المستطرف ١/١١٣ ، عيون الأخبار ١/٨٩ . محاضرات الأدباء ١/١٠٣ ، العقد الفريد ١/٨٦ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، فى البيتين .

وقال البحترى :

أَتَيْتُكَ لِلتَّسْلِيمِ لا أَنَّنِي امْرُؤٌ طلبْتُ بإتْيانيك أَسْبَابَ نَائِلِكْ
فألفيت بَوَّابًا ببابك مُغْرمًا بهدمِ الّذى أوطأْتَهُ من فضائِلِكْ
وقد قيل قِدْمًا حاجبُ المرءِ عاملٌ عَلَى عِرْضه فاحذرْ جناية عاملِكْ
وكن عالمًا أن لستُ من بعدُ راجعًا إليك ولو كَان الهُدَى من رسائِلِكْ[١]

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يا عُمَرَ بنَ عُمَرَ بن الخطّابْ إن وقوفَ الحرِّ عند الأبوابْ
يدفعه البوَّابُ بعد البوابْ يَعْدِلُ عند الحرّ قَلعَ الأَنْيَابْ[٢]

قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عنى أحداً إذا أخذت مجلسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عيّ يكره أن يُطّلع عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال :

إذا اعتَصَم الوالى بإغلاقِ بابه وردّ ذَوِى الحاجاتِ دُون حِجَابِهِ
ظننتُ به إحدى ثلاثٍ وربّما نزعتُ بظنٍّ واقعٍ بصَوَابِهِ
فقلتُ به مسٌّ[٣] من العِيِّ قاطعٌ ففى إذنه للنّاس إظهارُ مَابِهِ
فإن لم يَكُ عِيُّ اللسان فغالبٌ من البُخْل يَحْمِى[٤] ماله عن طِلاَبِهِ

---

(١) لم أعثر عليها فى الديوان ، ووردت فى العقد ٨٧/١ بدون نسبة .
(٢) نسب البيتان فى المؤتلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمى .
(٣) ا : شىء .
(٤) ب : يحصى .

فإن لم يكن هٰذا ولاذا قَرِيبةٌ يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بَابِهِ[١]

وله أيضاً :

لولا مُقَارَفةُ الرِّيَبْ ما كنتَ مِمَّنْ يَحْتَجِبْ
أَوْ لاَ فَعِيٌّ فيك أو بُخْلٌ عَلَى أهْلِ الطَّلَبْ
فاكشِفْ لَنَا وَجْه العِتَا بِ ولا تُبَالِ مَنْ عَتَبْ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى فى أقل نظم ، فقال :

وَطُولُ الحجاب مُخَبِّرٌ عن عِيٍّ صاحبه وبُخْلِهْ
فإذا الفتى لم يَسْتَبِن هـذا تبيّن ضَعْفَ عقلِهْ

وأرفع من[٢] هذا قول زهير :

السِّتر دون الفاحشاتِ وما يلْقاكَ دُونَ الخيْرِ من سِتْرْ[٣]

قصد إبراهيم بن المهدى يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إنى أتيتك للسّلام ولم أنْقُلْ إِلَيْكَ لحاجةٍ رجْلِي
فحُجِبتُ دُونَكَ مرّتين وَقد تشتدّ واحدةٌ عَلَى مِثْلِي

---

(١) عيون الأخبار ٨٤/١ ، المحاسن والمساوئ ١٢٦/١ .

(٢) ب : مانى .

(٣) ا : ومايلقى دون خير من مستر ، وقد أثبتنا رواية ب لموافقتها مختلف الروايات ، وانظره فى ديوانه ٩٥، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ١٢٨/٣ ، نهاية الأرب ٥٩/٣، الأمالى ٩١/١ .

وقال آخر :

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنَه ... وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ

فلو كنتَ بوّابَ الجنَان تركتُها ... وحوّلتُ رجلى مُسْرعاً نحو مَالكِ[1]

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادام إذْنُه ... كمَهْدِى به حتّى يَخفَّ قليلاَ

وما خابَ من لم يأته مُتَعَمِّدا ... ولا فازَ مَنْ قد نال منه وُصُولاَ

[2]وما جُعِلَتْ أرزاقُنا بيد امرىءٍ ... حَمَى بَابه من أن يُنالَ دُخُولاَ[2]

إذا لم أجدْ يوماً إلى الإذنِ سُلَّماً ... وجدتُ إلى تَرْكِ المجىءِ سَبِيلاَ[3]

وقال آخر:

على أىِّ بابٍ أطْلُبُ الإذْنَ بَعْدَمَا ... حُجِبتُ عن البابِ الذى أنا حَاجِبُه[4]

وفى معنى هذا قول الفرزدق :

وكان يجيرُ النّاسَ من سيفِ مالكِ ... فأصبح يَبْغِى نَفْسَه من يُجيرُهَا[5]

---

(١) المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ ، المستطرف ١/١٤ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) اضطرب فى نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطرابا كبيراً ، فقد نسبها المرزبانى فى معجم الشعراء ٤٣١ أولا إلى السديرى أبى نبقة واسمه محمد بن هشام بن أبى خيصة ، ثم نسبها مرة ثانية فى ص٤٤٨ إلى محمد بن أبى عمران ، ووافقه الراغب فى المحاضرات ١/١٠٢ ، ونسبت فى المستطرف ١/١١٤ ، إلى أبى تمام ولا توجد فى ديوانه ، ونسبت فى وفيات الأعيان ٢/٢٧٦ إلى أبى العميثل عبد الله بن خايد ، وانظرها فى العقد ١/٨٦ ، ٨٩ بدون نسبة .

(٤) البيت للتوت اليمامى عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتويت انظر البيان ٢/٤٠٠ وانظره فى معجم الأدباء ٣/٢٥٨ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٢/٣٤٠ .

وقال آخر :

ولست بمتّخذٍ صَاحِبًا يقيمُ على بَابِهِ حَاجِبَا
ويُلْزِمُ إخوانَه حَقَّهُ وليس يَرَى حَقَّهُم وَاجِبَا[١]

وقال أبو تمام :

هَشٌّ إذَا نَزَل الوفودُ ببابِهِ سَهْلُ الحجابِ مُهَذَّبُ الخُدَّامِ
وإذا رأيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ لم تدرِ أيُّهما أخو الأَرْحَامِ[٢]

وقال أبو العتاهية فى عمرو بن مسعدة :

مَالَكَ قد حُلْتَ عن وفائِكْ[٣] واسـ تَبْدلْتَ يا عمرُو شيمةً كَدِرَهْ
[٤]مالِىَ فى حاجةٍ إليْكَ سِوَى تسهيلُ إِذْنِى فإنها عَسِرَهْ[٤]
إنّى إذا البابُ تاه صَاحِبُهُ[٣] لَمْ يَكُ عندى لتركه نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحِسَابِ ولا يومَ تكونُ السَّمَاءُ مُنْفطِرَهْ
لكن لِدُنْيَا تكونُ بَهْجَتُهَا[٣] سريعةَ الإنْقِضَاءِ مُنْشَمِرَهْ
قد كانَ وجْهِى لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فاليومَ أَضْحَى بابًا[٣] من النكِرَهْ[٥]

---

(١) عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٢) يروى البيت الأول : سهل الغناء إذا حللت ببابه طاق اليدين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو فى البيت الثانى ، والبيتان ليسا لأبى تمام بل وردا فى حماسته فقط ، وقد نسبهما هو نفسه لمحمد بن بشير الخارجى فى الحماسة ١/٢٤٠ ، ٣٤١ ، ووردا مرتين فى معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا فى الأولى لأبى البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ، وفى الثانية لمحمد بن بشير الخارجى ، وقد نسبا فى البيان والتبيين ١/١٧٩ ، والعقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الأخبار ١/٨٩ إلى ابن هرمة ، وانظرهما فى : محاضرات الأدباء ٢/٢ المحاسن والمساوىء ١/١٢٤ من غير نسبة .

(٣) رواية الديوان للكلمات التى عليها نفس الرقم بالترتيب : إخائك ... حاجبه ... كالظل ... حرفا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مِسْهَر إلى أبى جعفر محمد بن عَبْدِكان ، وكان قد حُجِب على بابه :

إنى أتيتُكَ للسَّلامِ أمسِ فلَمْ ... تأذنْ علَيْك لِيَ الأَستارُ والحُجُبُ
وقد علمتَ بأنى لَمْ أرِدْ وَلاَ ... واللهِ ماردّ إلاّ الحديثُ والأدبُ[1]

فأجابه محمد بن عبدكان :

لو كنتَ كافأتَ بالحُسْنَى لقلتَ كما ... قال ابنُ أوْسٍ ففى أشْعَارِه أدَبُ
لَيسَ الحجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً ... إنّ السَّماءَ تُرَجّى حينَ تُحْتَجَبُ

وقال منصور الفقيه :

إن الحِجَابَ عَذَابٌ ... ولَيْسَ لِي بالعَذَابِ
كَلاَّ[2] فلا تَعْذِلُونى ... عَلَى اتّصَالِ اجْتِنَابِى

وله أيضاً :

إذا كان لابدَّ من حَجْبَةٍ ... ومِنْ حَاجِبٍ فاجْعَلُوه رَفِيقَا
يخاطبُ من جَاءهُ بالجميلِ ... فيأتِى صديقاً ويَمْضِى صَدِيقَا

---

(١) فى العقد١/١٨٠ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله مارد إلا: الحديث والعلم والأدب .

(٢) ب : إذاً .

بابُ المُصافَحَةِ وتَقبيلُ اليَدِ والفَمِ

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : « تَصافَحُوا يذهب الغِلّ[١] » .

وقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إذا الْتَقى المُسلِمانِ وتَصافحا تحاتَتْ ذنوبهما كما يَتَحاتُّ[٢] الشَّجر » .

كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إذا صافح رجلاً لم ينزَعْ يدَه من يده حتى يكونَ الرّجلُ هو الذى ينزَعُ يدَه من يده .

قال أبو مخلد : المصافَحة تجلبُ المحبة .

كان يقال : تحيةُ المؤمنين المصافحةُ والسَّلام .

قال الشّاعر :

قد يَمكُثُ النّاسُ دَهرًا لَيسَ بَيْنَهُمُ وُدٌّ فيزرَعُهُ التَّسليمُ واللُّطفُ

لما حضر رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم بنى قريظة ، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرحٍ أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عليه ، قال للأنصار : « قوموا إلى سَيّدكم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سرّهُ أن يمثُلَ له الرجالُ قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرمَ القاصد إليه إذا كان كريم قوم ، أو عالمهم ، أو من يستحقّ البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم .

---

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المُسَيّب البغدادى ، جار(١) ابن الرومى :

أقومُ ومَا بِي أنْ أقومَ مَذَلّةً عَلَيّ وإنّى للكرامِ مُذَلَّلُ
على أنَّها مِنّى لَغْيرِكَ هُجْنَةٌ ولكنّها بَيْنِي وَبينَكَ تَجْمُلُ(٢)

كان يقال : تقبيل(٣) اليد إحدى السجدتين .

تناول أبوعبيدة بن الجراح يد عمر ليقبِّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال : مارضيت منك بتلك فكيف بهذه ! !

دخل عَقَّالُ بنُ شَبَّةَ على هِشَامِ بن عبد الملك ، فأراد أن يُقَبِّل يده فقبضها ، وقال : مه . فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هَلُوع ، ومن العجم إلا خَضُوع .

قال الحَسَن : قُبْلة يدِ الإمام العَدْل طاعة .

كان يقال : قبلةُ الرّجل زوجتَه الفَمُ ، وقبلةُ الوالد ولدَه الرأس ، وقبلة الأمِّ الولدَ الخدُّ ، وقبلةُ الأخت الأخ العُنُق .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : قبلة الوالد عبادة ، وقبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الرجل أخاه دِين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان ، وزناؤهما النظر ، والفم

---

(١) ب قال ، ا : خال .

(٢) محاضرات الأدباء ٢/١٧ ، ولم ينسبه ، وقد بحثت فى ديوان ابن الرومى لاحتمال كونهما له ، فلم أعثر عليهما فيه وقد سبقا فى ص ٤٤ .

(٣) ساقط فى ب.

يزنى ، وزناؤه القبل[١] ، واليد تزنى ، وزناؤها اللمس ، ويُصَدِّق ذلك كله الفرج أو يكذبه » .

قال الهَيْثَمُ بن عَدِيّ ، قال لى صالحُ بنُ حَيّان : مَنْ أفقهُ الشّعراء ؟ فقلت : اختلاف فى ذلك . فقال : أفقهُ الشعراء وَضَّاحَ اليمن[٢] ، حيث يقول :

إذا قلتُ هاتِى ناولينى تَبَسّمَتْ وقالت: معاذَ الله مِنْ فِعْلِ ماحَرُمْ

فما نَوَّلَتْ حتّى تَضَرّعتُ عِنْدَهَا وأعلمتُها ماأرخَصَ اللهُ فى اللَّمَمْ[٣]

(١) ا : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق الغزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، لتغزله فى زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغانى ٦/٣٠ — ٤٤ .

(٣) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦/٦٦ .

بابُ الرَّسُول

ذكر ابن الأنبارى ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال : الرَّسُول والرَّسِيل والرّسالة سواء .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لقد كَذَبَ الواشُونَ مابُحْتُ عندهُم … بسرٍّ ولا أَرْسَلْتُهمْ برَسُولِ[1]

[2]ويروى برسيل[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتم[3] إلىّ بريداً ، أو بعثتم رسولا ، فليكن حَسَن الوجه ، حَسَن الاسم ، وإذا سألتم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصّالح يجيء بالخبر الصالح ، والرجل السّوء يأتى بالخبر السّوء » .

أنشد أبو حازم القاضى ببغداد :

وأتانا عن النبيِّ حديثاَ … ن[4] إليهِ كِلاَهُماَ يُسْنَدَانْ[4]

واحِدٌ فى الحاجاتِ يَأْمُرُنا أَنْ … نَبْتَغِى مِنْ ذَوى الوُجُوهِ الحِسَان

ثم فى الفَألِ حُبُّهُ حُسْنَ الاسْـ … ـمِ وهٰذان فيك مُجْتَمِعان

ومعاذَ الإلٰهِ أن يُلْفَيا فِيـ … ـكَ كما جَاءَ عنه[5] لا يَصْدُقَان

(١) البيت لكثير ديوانه ٩٢ ، الأمالى ٢/٦٣ ، وفيهما : بليلى ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أبردتم .

(٤) ساقط من ب ، وفى ا : كلاهما عن النبى يسندان ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) فى ا : عدلا .

كان عبدَ الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال : إن كذبه يشكك فى صدقه ، وشرَّه يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ماينده ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرُو بنُ العاص : ثلاثةٌ دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدى ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رسولى إلى الثُّريّا فإنِّى ضقتُ ذَرْعاً بهجرِهَا(١) والكِتَابِ
هى مكنونةٌ تَحَيَّرَ منها فى أديم الخدَّيْن ماء الشّبابِ
أَبْرَزُوها مِثْلَ المَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خمسٍ كواعبٍ أَتْرَابِ
ثم قالوا : تحبها ؟ قلتُ : بَهْرًا عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتّرابِ(٢)

قال له ابن أبي عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة حتى أتى مكة ، فصادف الثريا فى الطواف . فقالت له : ياابن أبي عتيق ! ماجاء بك، وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : أبيات لعمر . فقالت : أنشدنى . فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أمانتك ، فقد أديت . قال : فضرب راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس:

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ

(١) ب : بحبها .
(٢) ديوانه ٣٦ .

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ[1]

سمع الخليلُ بنُ أحمد رجلاً يُنْشد بيت صالح هذا :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأَرْسِلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ

فقال : هو الدِّرهم .

[[2] وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأقوامُ فِي حاجةٍ أَمْضَى ولا أَنفَعُ مِنْ دِرْهَمِ
يأتيك عَفْوًا بالّذِي تَشْتَهِي نِعْمَ رَسُولُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ[3]

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا :

إذا ما كنتَ متّخذًا رسولاً فلا تُرْسِل سِوَى حُرٍّ نبيلِ
فإن النُّجْحَ في الحاجاتِ يأتِي لِطَالبها على قَدْرِ الرَّسُولِ

وقال الراجز :

ما مُرْسَلٌ أنجحُ فيما نَعْلَمُ مِنْ طَبَقٍ يُهدَى وهذا الدِّرْهَمُ[4]

وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ في حاجةٍ رسولاً يُكْنَى أَبَا دِرْهَمٍ فتَمَّتْ
ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهَا لم تَحْظَ نَفْسِي بما تَمَنَّتْ

---

(١) انظرهما في الموشح للمرزباني ١٦ ، وقد ورد البيت الأول في حماسة البحتري ١٩٨ منسوبا إلى عبدالله معاوية الجعفري .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير في نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٤٠ . عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

بابُ الهَدِيّة

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : « الهديةُ رزقٌ من رزق الله ، فمن أهدى إليه شيءٌ فليقبلْه ولا يردّه ، وليكافئْ عليه » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلّم : تهادوا فإنّ الهدية تُذهِبُ السّخيمة[1] ، وتزيل وَحْرَ[2] الصدور ، ولا تحقرن جارة لجارتها ، ولوفِرْسِنْ شاة[3] » ، وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل منها .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « لو أُهْدِى إلىّ ذراع لقبلت ، ولو دُعيتُ لِكُراع لأجبت » .

قال رجل لأبى ذر : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، وحمل خفيف .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه : نعم الشيء الهديةُ أمام الحاجة .

وقد حدثنا ابنُ صاعِد،قال : حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ، حدثنا أبو عتّاب الدّلاّل ، حدثنا عثمانُ بنُ عبد الرحمن ، حدثنى الزُّهْرى ، عن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعَه عن أم سلمة ، عن النبى صلّى اللهُ عليه وسلم، قال: « الهدية تُذْهِب السّخِيمَة». قيل : وما السَّخيمة ؟ قال : « الإحْنَة تكون فى الصُّدُور » .

وعن الهيثمُ بن عَدِىّ ، قال : كان يقالُ : ماارتُضِىَ الغَضْبَان ، ولا استُعطف السُّلطان ، ولا سُلَّبِتِ الشَّحْناء ، ولا دُفِعَتِ المغارم، ولا تُوُقِّىَ المحذور،ولا استُعمل المهجورُ ، بمثل الهَدِية والبِرّ .

---

(١) السخيمة : الحقد والعداوة .

(٢) الوحر : الحقد .

(٣) فى الأصل : فرث وفرسن شاة : ظلفها . النهاية ٣/٤٢٩ .

قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم : « من أهْدِيَتْ إليه هَدية فجلساؤُه شركاؤُه فيها » .

قال أبو إسحاق الصَّابى :

روِيت فِي السُّنَّةِ المشْهُورةِ البَرَكَهْ ... أنّ الهدِيَّةَ فِي الجُلاَّسِ مُشْتَرَكَهْ[1]

كان يزيدُ بنُ قيس الأرْحَبِيّ ، والياً لعلى رضى الله عنه ، فأهدى إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما وترك ابن الحنفية ، فضرب علىّ رحمه الله على جنب ابن الحنفيه ،وقال :

وما شَرُّ الثّلاثةِ أمَّ عَمْرٍو ... بصَاحِبِكِ الّذى لَمْ تُصْبِحِينَا[2]

روى عن النبي صلى اللهُ عليه وسلّم أنه قال للقرابات:« تزاورُوا ولا تجَاوَرُوا، وَتَهادَوْا فإن الهدّية تثبت المروءة ، وتَسْتَلُّ السَّخِيمة » .

أصبح عند علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف ، فأنكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيرزوا لنا إذاً كل يوم .

قال أبو عُمر : كان هذا منه رضىالله عنه — إن صَحّ —قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظَ عنه من رواية الثقات أنه كان لايقبلهدية نيروز ولا مهرجان ، وأنه كان يأخذُ ما أهدَى إليه عمالُه فيضعهُ فى بيت المال — مال المسلمين .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبه الثعالبى فيها إلى الصاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة ، انظره فى جمهرة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة ٥٤ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

قال يونسُ بن عبيد : أتيت ابن][1] سيرين يوماً ، ومعى خبيص[2] ، فقلت : قولوا له: يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدايا النّاسِ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ تُوَلِّدُ فى قُلُوبِهِمُ الوِصَالاَ
وتَزْرَعُ فى الضّمير هَوىً ووُدًّا ويَكْسُوهُمْ إذَا حَضَرُوا جَمَالاَ[3]

قال أبو عَوانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندى بطة سمينة ، أفتكون عندى فى الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائى ؟ ! ابعثْ بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إنّ الهَدَايا لَهَا حَظٌّ إذا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الإبْنِ[4] عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقال آخر :

ما مِنْ صَدِيقٍ وإنْ أَبْدَى مَوَدّتَه يَوْمًا بأَنْجَحَ فى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إذا تَلَثّمَ بالمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَم يَخْشَ صولةَ[5] بَوابٍ ولا غَلَقِ
لا تكذبَنّ فإنّ النَّاسَ قد خُلِقُوا لرغبةٍ يُكرِمُونَ النَّاسَ أو فَرَقِ

(١) إلى هنا ينتهى النقص من نسخة ب .
(٢) نوع من الأطعمه يصنع من التمر والسمن .
(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدى الحسين بن على المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، فى معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، وقد وردا فى ديوان أبى العتاهية ٣٤٢ .
(٤) ب : الأمن .
(٥) ب : سطوة .

أمَّا الفَعَالُ فعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُه   والقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحاً عَلَى الطُّرَقِ[١]

وقال آخر :

أهدى إليه حَبِيبُه أُتْرُجَّةً   فبَكَى وأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرِ

خَوْفَ التَّبَدُّلِ والتَّلَوُّنِ إنَّها   لَوْنَان بَاطِنُها خِلَافُ الظَّاهِرِ[٢]

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل ، وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتَلْبَسَها   تَمْشِي بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ

لو كان يَحْسُن أن أُشَرِّكَها   خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَها خَدِّي[٣]

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنَا إليكَ أَكْرَمَكَ اللَّـــهُ بشَيْءٍ فكُنْ لَهُ ذَا قَبُولِ

لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّكَ الغَمْـ   ـرِ ولا نَيْلِكَ الكَثِيرِ الجَزِيلِ

واغْتَفِرْ قِلَّةَ الهَدِيَّةِ مِنِّي   إنْ جَهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلِ[٤]

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلي وليمة ، فأهدى إليه إخوانه هدايا ، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان[٥] مطيب ، وكتب إليه رقعة :

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٩٩ ، عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٢) البيتان لكلثوم بن عمرو العتابى ، انظر زهر الآداب ٤/٨٧ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر العقد الفريد ٢/٣٠٢ محاضرات الأدباء ٢/٢٥٩ .

(٣) البيتان فى الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ ، البيان ٣/١٢٢ ، العقد الفريد ٦/٢٨٣ وشراك النعل : سيوره التى يشدبها .

(٤) لم أعثر على هذه الأبيات فى الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا فى العقد الفريد ٦/٢٨٥ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ .

(٥) الأشنان بضم الهزة وكسرها : نبات جلاء منق تغسل به الأيدى والأسنان .

فداك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزْتُ السَّابقين إلى برِّك ، وكَرِهْتُ أن تطوى صحيفة البرّ ولاحظّ لى فيها ، فوجّهتُ إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، جرابُ ملح وجراب أشنان ، هدية من يحتشم(١) إلى من لايغتنم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدِيَّتِى تَقْصُرُ عن هِمَّتِى ... وهِمَّتِى تَعْلُو عَلَى مَالِى
وخَالِصُ الوُدِّ ومَحْضُ الهَوَى ... أَحْسَنُ مَا يُهدِيهِ أَمْثَالِى(٢)

بعث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل(٣) :

بعثت إِلَيْنَا بأُضْحِيَّةٍ ... وكنتَ حرِيًّا بأَنْ تَفْعَلاَ
ولكنَّهَا خَرَجَتْ غَثَّةً ... كأنكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلاَ(٤)
فإِنْ قَبِلَ اللهُ قُرْبَانَها ... فَسُبْحَانَ رَبِّكَ ما أعْدَلاَ

قال قَتَادَة : يُعرف سخف الرجل فى سخف هديته . قال ذلك فى نعل أهديت إليه .

ولى فى هذا :

سَخَافَةُ المَرْءِ تُدْرَى فِى هَدِيَّتِهِ ... والنَّوْكُ واللُّؤْمُ فيها(٥) يَظْهَرانِ مَعَا
إِنّ اللئيمَ إذا أهدى هَدِيَّتَهُ ... أَبْدَى نَذَالَتَهُ فيها لمن سَمِعَا

---

(١) ب : من لايحتشم .
(٢) ورد البيتان منسوبين إلى محمد بن مهدى العكبرى فى معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف فى بعض ألفاظها فى العقد الفريد ٢/٢٨٤ .
(٣) الأبيات له فى عيون الأخبار ٣/٤٣ .
(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسمسم ، لاتأكله إلا المعزى .
(٥) زيادة من ا .

ولخلف الأحمر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلٍ ومَطْلِ (١)
هُمُ (٢) جَمَعُوا النِّعَالَ وأَحْرَزُوها ... وسَدُّوا دُونَهَا (٢) بَاباً بِقُفْلِ
إذا أهديتُ فاكهةً وشَاةً ... وعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ
ومِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ ... وعَشْرٌ من رديءِ الْمُقْلِ خَشْلِ (٣)
فإن أهديتُ ذاكَ لتَحْمِلُونِي ... على نعلٍ فدَقَّ اللهُ رِجْلِي
أناسٌ يَأْنَفُونَ (٢) لهم رُوَاءٌ ... تَغِيمُ (٢) سماؤُهم من غَيْرِ وَبْلِ
إذا انْتَسَبُوا ففرعٌ من قريشٍ ... ولَكِنَّ الفِعَالَ فعَالُ عُكْلِ (٤)

وقال آخر فى جار له أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً :

عَبَّاسُ ما وَجْهُك بالهشِّ ... ولا أُبَرِّئُكَ من الغِشِّ
لم تُهْدِ لِي نَعْلاً ولا مُقْلَةً ... كأنَّمَا جِئتَ من الْحُشِّ (٥)

ولمنصور الفقيه — يداعب صديقاً يكنى أبا نصر ، ويسمى فتحاً، قدم من الحج — شعرٌ حسنُ النظم مليح المعنى ، رأيت إيراده لحسنه :

سألتُ الحجيجَ وقد أقبلُوا ... يَؤُمُّونَ مِصرَ مِنَ أرْضِ الْحَرَمْ
فقلتُ لهم — بعد إينَاسِهِمْ — : ... أَفَتْحٌ بِمَكَّةَ أَمْ قد قَدِمْ ؟

---

(١) ا : من مطل وبخل .
(٢) ب : تائهون .
(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والخشل منه : رديئه أو يابسه .
(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى فى البيان ٣/١١٢ ، محاضرات الأدباء ١/١٦٣ . وانظرها جميعاً فى عيون الأخبار ٣/٣٨ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .
(٥) الحش مثلثة الحاء : المخرج الذى يقضون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحَّـــلَ من قَبْلِنَا لعَشْرِ لَيَالٍ توالتْ حُـرُمْ
فقلت : بحُرْمةِ من زُرْتُمُ ؟ أحقًّا تَقُولُون ؟ قالوا : نَعَمْ
فأَقبلتُ فى صَرْخَةٍ مِنْهُم وقَلْبِيَ مِمَّـا بِهِ يَضْطَرِمْ
أُعَـــدِّدُ آلاءَهُ والجُفُونُ مَسَافِيحُ بالدَّمْعِ والدَّمْعُ دَمْ
فصادفنى صَالِحٌ عَبْدُهُ(١) فقال(٢) فدَيتُكْ لِمْ تَلْتَدِمْ ؟
وماذا دَعَاكَ إلى ما أرى فقلتُ : الحِذَارُ عَلَى ذِى الكرمْ
أبى(٣) نَصْرٍ البَحْرُ من جُودِهِ إذا المُزْنُ ضَنَّتْ بَصْوبِ الدِّيَمْ
فقال : أَلَمْ يَأْتِ من جُمْعَةٍ فقلتُ : كَذبتَ فأَيْنَ الأَدَمْ ؟
وأين القِفَافُ الحِسَانُ القُدُودِ وأَقداحُ جَيْشَانَ تلك السَّلَمْ(٤)
(٥وأينَ النِّعَالُ وأين الفِرَاءُ وأين البُرُودُ وأين البُرُمْ ٥)
وأينَ القَدِيدُ قَدِيدُ الظِّبَاءِ وأين المُلَوَّزُ مِثْلُ النَعَمْ(٦)
فقال : وحقِّكَ ما جاءَنا بشىءٍ سِوَى نفسه فاغْتَنِمْ
قدومَ صديقكِ واسْتَهْدِه حديثَ الوُفُودِ وفودِ الأُمَمْ
إلى البيتِ يُشْهِدْكَ أَخْبَارَهُ عجائبَ عُرْبِهِمُ والعَجَمْ
فقلتُ : ألا ليتَ أَخْبَارَه وناقِلَهَا خَلْفَ قافٍ ولَمْ

(١) ب : عنده .
(٢) ب : فقلت .
(٣) ساقط من ب
(٤) ب : وأتراح حسان تلك الشيم ، وأقداح جيشان أقداح منتظمة دقيقة تصنع فى بلدة جيشان باليمن.
(٥) زيادة فى م .
(٦) ب : الملون مثل النعم .

والخلف بن خليفة الأقطع من بنى قيس بن ثعلبة فى جار له غاب ثم قدم، ولم يُهدِ له، وكانت بينهما مصافاة :

أتانا أخٌ من غيبةٍ غابَ أشهُرًا ۞ وكنتُ إذا ماغابَ أنشُدُهُ الرَّكْبا
فجاءَ بمعروفٍ كثيرٍ فدَسَّهُ ۞ كما دَسَّ راعِى السَّوءِ فى حِضْنِهِ الوَطْبا[١]
فقلتُ له : هل جئتنى بهديَّةٍ ۞ فقال : بِنَفْسى . قلتُ : آثِرْ بها الكَلْبا
هى النَّفسُ لا آسَى عليها وإنْ نأتْ ۞ ولا أتمنَّى الدَّهْر يوماً لها قُرْبا
إذا هِىَ أوْفَتْ من ثمانينَ قامةً ۞ فلا السَّهلَ لقَّاها الإلهُ ولا الرَّحْبا[٢]

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه فى يوم نيروز وردة وسهما وديناراً ودرهماً، وكتب إليه :

لازلت كالوَرْدِ نَضيرَ المِيسَمِ ۞ ونافِذًا مثْلَ نُفُوذِ الأسْهُمِ
فى عِزِّ دِينارٍ ونُجْحِ درْهَمِ[٣]

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابى إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان اصطرلاباً على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه :

أهدى إليك بنُو الحاجاتِ واحتَشَدُوا ۞ فى مِهْرَجانٍ عظيمٍ أنتَ تُعْليهِ
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى ۞ سُمُوَّ قدرِكَ عن شيءٍ تُساميهِ

---

(١) ى ١ : الرطبا ، وهو تصحيف ، والوطب : سقاء اللبن يصنع من جلد الجذع فما فوقه .
(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٩ مع خلاف فى ألفاظ الرواية .
(٣) محاضرات الأدباء ١/١٩٤ .

[(١) لم يرضَ بالأرضِ يُهْدِيها إليكَ فقدْ ... أهْدَى لك الفَلَكَ الأَعْلَى بما فيهِ(٢)

وأهدى شمس المعالى إلى عضد الدولة سبعةَ أقلام ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنَا إليكَ سَبْعَةَ أَقْلا ... مٍ لها فِي البَهاءِ حَظٌّ عَظِيمُ

مرهفاتٍ كأنّها ألسُنُ الحَيَّـــاتِ قَدْ جازَ حدَّها التّقويمُ

وتفاءلتُ أن ستَحْوِى الأَقالِيـ ... مَ بها كلُّ واحدٍ إقليمُ(٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم فهى رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت فى ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفقأ عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إذا أتتِ الهديةُ بابَ قومٍ ... تطايرَتِ الأمانةُ من كُوَاهَا

---

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تعليه ، وعلو مكان سمو ، انظرها فى : المستطرف ٦٨/٢ ، معجم الأدباء٣٤/٢ ،زهر الآداب ٦٣/٢ .

(٣) الأبيات لشمس المعالى واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات فى معجم الأدباء ٢٢٥/١٦ .

بَابُ الَجارِ

قالت عائشة : يارسولَ اللهِ ! إن لى جَارين فإلى أيِّهِماَ أُهْدِى؟ قال: « إلى أقرَبهما إليك باباً » .

وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم : « لايؤمنُ جارٌ حتى يأمن جارُه بوائِقَهُ »

وقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « مازالَ جبريلُ يوُصِينى بالجارحتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثُهُ » .

كان داودُ عليه السلام يقول : اللّهم إنى أعوذ بك من جار سوءٍ ، عينهُ ترعانى ، وقلبُه لاينسانى .

مكتوب فى التوراة : إنّ أحسدَ النّاس لعالمٍ وأنعاه عليه قرابتُه وجيرانه .

وقال عِكْرمة : أزهدُ النّاسِ فى عالم جيرانُه .

قال رجل لسعيدِ بن العَاص : واللهِ إنّى لأحبُّك . فقال له : ولم لاتحبنّى ولستَ بجار لى ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ فى الجيران ، والعداوةُ فى الأقارب .

روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجى ، قال : حدثنى محمد بنُ الفضل المكّى ، قال : حدثنى أبى عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مَرَّ مالك بن أنسٍ بقَينة تغنى شعر مسلم :

أنت أختِي وأنتِ حُرْمَةُ جَارِى وحقيقٌ علىَّ حفظ الجِوَارِ
إنَّ للجارِ إنْ تغيبَ غيبًا حافظًا لِلمَغِيبِ والأسْرَارِ
ما أُبالى أَكانَ للبابِ سترٌ مسبل أم بَقِى بغير سِتَارِ

فقال مالك : علموا أهليكم هذا ونحوه .

وعن مالك ، أيضاً ، قال مالك بن أنس ، قال أبو حازم : كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم ، فإن قلتم : لا . فبيننَا وبينكم قولُ شاعرهم :

نارى ونارُ الْجارِ واحدةٌ وإليه قَبْلِى تنْزِلُ القِدْرُ
ما ضرَّ جَارًا لى أُجَاوِرُهُ ألاّ يكونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ
أَعْمى إذا ما جَارَتِى بَرَزَتْ حتّى يُوَارِىَ جَارَتِى الخِدْرُ[1]

قال أبو عُمر : هذا الشاعرُ مسكين الدارمىّ[2] .

وقال آخر :

أقولُ لجارى إذْ أَتَانى معاتبًا مُدلاّ بحقٍّ أو مُدِلا بباطلِ
إذا لم يَصْلْ خَيْرى وأنتَ مُجاورى إليك فما شرِّى إليك بواصِلِ[3]

قال الأصمعى : ومن أحسن ماقيل فى حسن الْجوار :

جاورتُ شيْبَانَ فَاحْلَوْلَى جِوَارُهُمُ إن الكرامَ خيارُ النّاسِ للجارِ

---

(١) الأبيات لمسكين الدارمى فى معجم الأدباء ١١/١٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٢ ، الشعر والشعراء ٥٣٠ ، لباب الآداب ٢٧٥ وفيها : ألايكون لبابه .

(٢) يفهم من هذا أن مسكينا كان من شعراء الجاهلية ، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامى توفى سنة ٨٩ هـ وله أخبار مع معاوية وكان مقربا إلى زياد بن أبيه ، انظر معجم الأدباء ٤/٢٠٤ ، الشعر والشعراء ٢١٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٣٦٥ من غير نسبة ، وفيه : إن بدل إذا ، ويدل مكان مدلا .

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخـــذه الشاعر فقال :

يقولونُ قبلَ الدّار جارٌ مجاورٌ وقبل الطَّريق النّهْجِ أُنسُ رفيقِ (١)

وقال آخر :

اطلبْ لنفسِكَ جيرانًا تُجاوِرُهمُ لا تَصْلُحُ الدّارُ حتّى يصلُحَ الجارُ

وقال آخر :

(٢)يلومونني أنْ بعتُ بالرُّخْصِ مَنْزِلِي ولمْ يعرفُوا جارًا هناكَ يُنَغِّصُ (٢)

فقلتُ لهم كُفّوا المَلاَمَ فإنّها بجيرانها تغلُو الدِّيَار وتَرْخُصُ (٣)

قال الحسنُ البَصْرى رحمه الله : إلى جنبِ كلِّ مؤمن ، منافقٌ يؤذيه .

وقال بَشّارُ بن بِشْر المجاشعي :

وإنى لعفٌّ عن زيارةِ جَارَتِي وإنّى لَمَشْنُوءٌ(٤) لديّ اغتيَابُها

إذا غابَ عنّى بعلها(٥ لم أكن لها ٥) زَؤورًا ولم تأنسْ إلىّ كِلاَبُها

ولم أكُ(٦) طَلاّبًا أحاديث سِرِّها ولا عَالمًا(٧) من أى جنسٍ ثيابُها(٨)

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان فى فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ا : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عاراً .

(٨) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨٣ مع اختلاف فى بعض الألفاظ

قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك .

قال علّى للعباس رضى الله عنهما : ما بقى من كرم أخلاقك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران .

كان يقال : ليس من حسن الجوار ترك[١] الأذى ، ولكنه الصبر على[٢] الأذى .

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه :

يا سائلى عن حُسَيْنٍ[٣] وقد مضى أَشْكَالَهْ
أقل ما فى حُسَيْنٍ[٣] كفُّ الأذى واحْتِمَالُهْ

قال الحطيئة[٤] :

لَعَمْرُكَ ما المجاورُ فى كليبٍ بمُقْصًى فِى الجوارِ ولا مُضَاعِ
هُمُ صَنَعُوا لجارِهِمُ وليستْ يدُ الْخَرْقَاءِ مثلَ يَدِ الصَّنَاعِ
ويَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ويَأْكُلُ جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ[٥]

وقال الحسن بن عرفطة :

ولم أرَ مثلَ الجَهْلِ يدعو إلى الرَّدَى ولا مثلَ جارِ السُّوءِ يُكرهُ جَانِبُهْ

---

(١) ب : كف .

(٢) ب : احتمال .

(٣) ب : حسن .

(٤) ديوانه ٦٢ ، وقد ورد الشطر الأول فيه : وليس الجار جار بنى كليب ، وانظر الأبيات فى الكامل ٢/١٩ .

(٥) قال فى الكامل : أنف القصاع : يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شىء ، يقال : روضة أنف إذا لم ترع ، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شىء قبل .

وقال آخر :

لا يأمنُ الجارُ شَرًّا فى جِوارِهِمُ ... ولا محالةَ من شَتْمٍ وألقابِ[(١)]

ومثل هذا قول الآخر :

أجِلُّ العَشِيرَةَ إمّا حَضَرْتُ ... ولا أتَعَلَّمُ أَلْقَابَها[(٢)]

وقال حاتم الطائى ، ويروى لغيره :

أيا ابنةَ عَبْدِ اللهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

إذا ما عملتِ الزّادَ فالتَمِسِى لَهُ ... أكيلاً فإنِّى لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِى

بعيدًا قَصِيًّا أو قَرِيبًا فإنّنى ... أخافُ مَذَمّاتِ الأَحاديثِ من بَعْدِى

وكيف يُسيغُ المرءُ زادًا وجارُهُ ... خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصَةِ والجَهْدِ[(٣)]

وقال غيره :

سُقياً ورَعْياً لأقْوَامٍ نزلتُ بهم ... كأنّ دارَ اغْتِرَابِى عندَهُمْ وَطَنِى

إذا تأملتُ منْ أخْلاقِهِمْ خُلُقاً ... علمتُ أنّهُمُ من حِلْيةِ الزَّمَنِ

وقال ابن حبناء :

إذا مارفيقى لم يكُنْ خلفَ ناقتِى ... له مركبٌ فَضْلٌ فلا حَمَلتْ رِجْلِى

---

(١) ورد البيت فى الحماسة لأبى تمام ٢/١٩٩ منسوبا إلى حريث بن عناب وفيها الشطر الأول : لا يرتجى الجار خيرا فى بيوتهم .

(٢) ورد البيت فى معجم الشعراء ٣٥٣ لكناز بن صريم الحرمى ، وفيه الشطر الأول : ولكن أطاوع ساداتها .

(٣) يروى : صنعت مكان عملت ، ويروى الشطر الأول من البيت الثالث : أخا طارقا أو جار بيت فإننى ، وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير فى ديوان حاتم ٩ ، ونسبت له فى عيون الأخبار ٣/٢٦٣ ، وفى حماسة أبى تمام ١/٢٩٢ لم تنسب ، وعقب عليها التبريزى بأنها لحاتم يخاطب بها امرأته ، ووردت منسوبة لقيس بن عاصم المنقرى فى الأغانى ١٢/١٥٠ ، الكامل ١/٣٤٥ .

ولم يكُ من زادِي له نصفُ مِزوَدِي فلا كنتُ ذَا زادٍ ولا كنتُ ذا رَحْلِ
شريكَيْنِ فيما نَحْنُ فيه وقد أَرَى علىَّ له فَضْلاً بما نَال مِنْ فَضْلِى

ويروى لحاتم الطائى .

تذاكر أهل البَصْرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندى[1] وهما :

نزلتُ على آلِ المهلَّبِ شاتِياً غريباً عن الأوطانِ فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بِى إكرامُهمْ وافتقادُهمْ وبِرُّهُمُ حتّى حَسِبْتُهُمُ أهْلِى[2]

(١) أبو الهندى ورد اسمه فى الأغانى ٢١/١٧٧ ، وفى فوات الوفيات ٢/٢٤٠ ، غالب بن عبد القدوس ابن شبث بن ربعى الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الآمل ٦/١٦٢ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب، مات سنة ١٨٠ هـ تقريبا .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢/٢٢٢ ، عيون الأخبار ١/٢٦١ ، منسوبين إلى بكير بن الأخنس ، ووردا فى الأمالى ١/٤١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٣٩ ، الحماسة ١/١٣٥ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى : وإلطافهم بدل برهم .

بابُ الضَّيْف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضّيف حقٌّ واجب » .

وقد أوضحنا فى كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره فى الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؟ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، ومازاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يثوى غيره حتى يخرجه » .

قيل الأوزاعى : رجل قدَّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون ، وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

قال أبو ذؤيب :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعَمْتُ نَازِلَهُم ... خُبْزَ الشَّعِير وعِندى البُرُّ مَكْنُوزُ[1]

قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث، ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لى : أنفق من عندك .

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أى أبيات العرب فى الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :

لقد علمتْ عِرْسِى فلاَنَةَ أَنَّنِى ... طويلُ سَنَا نَارِى بعيدُ خُمُودُهَا

---

(١) نسب فى البيان ١/ ٣٤ وفى ديوان الهذليين ١٥/٢ المتنخل الهذلى (مالك بن عويمر) وفيهما : قرف الحتى بدلا من خبز الشعير ، وقرف الحتى : سويق قشر الدوم .

إذا حلَّ ضيفى بالفَلاَةِ ولم أجد ... سوى مَنْبَتِ الأطنابِ شَبَّ وَقودُهَا[١]

وقالوا : أحسن شيء فى الضيافة قول مسكين الدارمىّ :

طعامى طعامُ الضَّيْفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ ... ولم يُلهِنِى عنه غَزَالٌ مُقَنَّعُ

أحدِّثُه إنّ الحديثَ من القِرَى ... وتعلمُ نَفسى أنّه سوف يَهْجَعُ[٢]

[٣]وقال العلوى صاحب الزنج[٣] :

يستأنسُ الضَّيْفُ فى أبياتنا أبدًا ... فلَيْسَ يَعْلَمُ خلقٌ أيُّنا الضَّيْفُ

والخالد عَيْنَيْن ، وإنما قيل له خالد عينين[٤] لأنه كان ينزل أرضا بالبحرين : يقال لها عَيْنَيْن :

أيها الموقدان شُبَّا سَنَاهَا ... إنّ للضَّيْفِ طَارِفى وتِلاَدِى

وقال عوف بن الأحوص[٥] .

ومستنبحٌ يغْشَى الغَدَاةَ وَدُونَه ... من اللَّيْل بَابَا ظُلْمةٍ وسُتُورُهَا

رفعتُ له نارى فلمّا اهتدى لها ... زجرتُ كلابى أن يَهِرَّ عَقُورُهَا

فلا تسألينى واسألى عن خليقتى ... إذا رَدَّ عَافِى القدْرِ من يَسْتَعِيرُهَا

---

(١) انظرهما فى الحماسة ٤٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان فى ديوان عروة بن الورد ٢٢ ، والشطر الأول هناك : فراشى فراش الضيف والبيت بيته ، ووردا فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣١٤ وتردد فى نسبتهما بين مسكين الدارمى ، وعتبة بن بجير ، والرواية هناك لحافى لحاف الضيف والبيت بيته .. الخ ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٢/١٩٣ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالى فى الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته فى معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبى تمام ٢/٣٠٩ ، وانظر الأبيات كلها فى المرجع الأول، والبيتين الأولين فى الثانى والرواية هناك : يبغى المبيت مكان يغشى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات فى الأغانى ١٢/٢٧٨ منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَىْ أن قِدْرِى لا تزَالُ كَأَنَّهَا ... لدَى الفَرِثِ المَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

وقال حسان بن ثابت :

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لايسأَلون عن السَّوَادِ الْمُقْبِلِ(١)

وقال أبو الطمحان القينى :

وقد عَرَفتْ كلابُهُمُ ثِيَابِى ... كأنّى منهمُ ونسيتُ أَهْلِى(٢)

وقال المَرَّارُ الحملى(٣) :

أَلِفَ النَّاسَ فما يَهْجُمُهُمْ(٤) ... من عَسِيفٍ(٥) يَبْتَغِى الخيرَ وَحُرّ

وقال امرؤ القيس :

أعرفُ الحقّ ولا أجهَلُه ... وكلابى أُنُسٌ غَيْرُ عُقُرْ

ما يُرى كَلْبِىَ إلا آيِسًا ... إن رأى خابطَ ليلٍ لم يَهِرْ(٦)

وقال حاتم الطائى :

إذا ما بَخِيلُ النّاسِ هَرّتْ كِلابُهُ ... وشقّ على الضَّيْفِ الغَرِيبِ عَقُورُهَا

فإن كلابى قد أُقِرَّتْ وعُوِّدَت ... قليلٌ على من يعتريها هَرِيرُهَا(٧)

---

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٢٤.

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء في سمط اللآلى ٢٣١ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : يهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والعبد يستعان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الضيف الضعيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتريني بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الخريمى :

أُضاحكُ ضيفى قبل إنزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عندى والمَحَلُّ جديبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثُرَ(١) القِرَى ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيبُ(٢)

وللشماخ فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب(٣) :

إنك يا ابْنَ جعفرٍ خيرُ الفَتَى وخيرُهُمْ لطَارِقٍ إذا أَتَى
وربَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحىَّ سُرًى صَادَفَ زادًا وحديثًا ما اشْتَهَى
إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى(٤)

وقال سهل الوراق :

وضيفَكَ قابِلْهُ ببِرِّكَ(٥) وليَكُن له منك أبْكارُ الحديثِ وعُونُهُ(٥)

وقال آخر :

سلى الطارق المعْتَرَّ يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتانى بين نارى ومَجْزَرِى
أأبْسُطُ وَجْهِى ؟ إنَّه أوَّلُ القِرَى وأبْذُلُ مَعْرُوفى لَهُ دُونَ مُنْكَرِى(٦)

---

(١) ب : يكثروا .
(٢) البيتان فى البيان ١/٢٨ مجموعة المعانى ٢٨ ،المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٢٣٩ .
(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، عاش فى البصرة والكوفة والشام، وكان كريما يسمى بحر الجود ، توفى سنة ٨٠ هـ ،انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢، فوات الوفيات ١/٢٠٩ (الأعلام ٤/٢٠٤) .
(٤) رواية البيان والتبيين ١/٢٦ : نعم الفتى .. ونعم مأوى طارق، وجارضيف طرق .. الخ ، وفى حماسة أبى تمام ٢/٣٢٨ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم اللحاف بعد ذاك فى الذرى . أى فى الكنف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٣١٢ .
(٥) ب : ببشرك ، م : عوانه .
(٦) يروى الشطر الأول : سلى الجائع الغرثان يا أم منذر ، ويروى : قدرى بدل نارى ، وأيسفر مكان أأبسط ، والبيتان لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩، الحماسة ٢/٢٤٦، ونسبا فى البيان والتبيين ١/٢٦ إلى حاتم الطائى-

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بِئْسَ عَمْرُ اللهِ قَوْمًا طُرِقُوا فَقَرَوا أَضْيَافَهُمْ لَحْمًا وَحِرْ

فإنه أراد لحمًا دبت عليه الوَحَرَةُ ، وهى دُوَيبَّة كالعَظَايَةِ خضراء إذا اجتمعت تلتصق بالأرض : الجمع : وَحْر ، ومنه قيل وَحْرُ الصدر ، كما قيل للحقد ضبّ ، ذهبوا به إلى لزوقه بالصّدر التزاق الوَحَرَة بالأرض ، يقال : لحم وَحِر ، إذا دبّت عليه الوَحرة . ولبن قَئِر إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بنى فَقْعَس ، وهو الحارث بن يَزيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُ أبيك الخير إنى لخادمٌ لضيفى وإنى إن ركبتُ لفارسُ[1]

وقال المُقَنّع الكِنْدِى[2] :

وإنى لعبدُ الضّيفِ ما دام نازلاً وما شِيمَةٌ لِى غيرَهَا تُشْبِهُ العَبْدَا[3]

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيَافِ خُرْسًا يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ[4]

---

(١) ورد البيت فى حماسة أبى تمام ١/٢٩٦ منسوبا إلى الهذلول بن كعب العنبرى ، وكان قد تزوج امرأة من بنى بهدلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجى ، وقال فى الهامش : قال المبرد إنها لأعرابى سعدى ، وأول الأبيات التى منها هذا :

تقول وصكت نحرها بيمينها أبعلى هـذا بالرحى المتقاعس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبى شمر الكندى ، شاعر من حضرموت ، اشتهر فى العصر الأموى ، وكان مقنعا طول حياته ، وزعموا أنه كان جميلا فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفى حوالى سنة ٧٠ هـ ، انظر فى ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافى بالوفيات ٣/١٧٩ (الأعلام ٧/٢١١) .

(٣) يروى ثاويا مكان نازلا ، وانظر البيت فيما سبق ، وفى عيون الأخبار ١/٢٦٦ ، حماسة أبى تمام ٢/٢٤ الأمالى ١/٢٨١ .

(٤) العقد الفريد ٦/١٨٨ بدون نسبة .

وقال حَمّادُ عَجْرَد :

وجدتُ أَبَا الصَّلْتِ ذَا خِبْرَةٍ ... بِمَا يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفَاسِدَهْ
تَخَوَّف تخمة أضــيافِهِ ... فعلّمهم أَكلة وَاحِــدَهْ[(١)]

وقال عَمْرُو بن الأهْتَم التَّميمى المِنْقرى من أشرافهم ، وكان شاعراً محسناً ، يقال : كأن شعره حللٌ منشَّرة ، وله صحبة[(٢)] :

ذريني فإنَّ الشُّحَّ يا أُم مالكٍ ... لِصالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذريني وحَظِّي في هوايَ فإنَّني ... على الحسب العالى الرفيع شفيقُ
ومُسْتَنْبِحٍ[(٣)] بعد الهدوء أجبتُهُ ... وقد حانَ من سارِى الشتاء طُرُوقُ
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... فهذا مَبيتٌ صَالِحٌ وصَدِيقُ
أضفت ولم أفْحِشْ عليه ، ولم أقل : ... — لِأَحْرِمَهُ — إنَّ الفناء[(٤)] يضيقُ
لَعَمْرُكَ ما ضاقت بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... ولكن أخلَاقَ الرجال تَضيقُ[(٥)]

وقال آخر :

وَطَرِيدِ ليل سَاقَهُ سَغَبٌ ... وَهْنًا إِلَيَّ وَقَادَهُ بَرْدُ

---

(١) يروى : حريث ، وحبيش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، العقد الفريد ٦/١٨٨ .

(٢) انظر ترجمته فى الإصابة الترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٣) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفتى .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين فى الشعر والشعراء ٦١٦ ، وفيه : يا أم هيثم بدل مالك ، وانظر الأول والخامس فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير فى المستطرف ١/٤٠ وقد سبق فى جملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أَوْسعتُ جُهْدَ بشَاشَةٍ وقِرًى ... وعلى الكريمِ لضيفهِ الجَهْدُ

ثُمَّ اغْتَدَى ورداؤه نِعَمٌ ... أَسْدَيْتُهَا وَرِدَائِيَ الحَمْدُ

وقال القاسم بن أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت :

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ ... رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيانِ[١]

(٩) نسب البيت فى لباب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جعيل ، وانظره فى الشعر والشعراء ٢٥٧، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المَعْرُوف

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة » .

قال أبو جُرَى الهُجَيْمِي[1] : يا رسولَ الله أوْصِني . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : « أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَة » .

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : «إذا طَلَبْتُمُ الْمَعْرُوفَ فَاطْلُبُوهُ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « الْمَعْرُوفُ وَالتَّغَابُنُ لِلضَّعِيف » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تمسّه النار . قالوا : وما هو يا روح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلا أوليته معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه ، [2]ولا رأيت رجلا فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه[2] .

قال زيد بن علي بن حسين : ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه . ولا كلّ

---

(١) ا : اللخمي ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جرى جابر بن سليم الهجيمي من بني أنمار بن الهجيم ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٥٤ .

(٢) ساقط من ا .

من رَغِبَ فيه يقْدِرُ عليه ، ولا كلّ من قدر عليه يؤذن له فيه ، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن ، تمت السعادة للطالب والمطلوب منه .

قال ابن عباس : المعروف أيمن زَرْع ، وأفضل كنز[١] ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عُجّل فقد هَنِئ ، وإذا صُغّر فقد عَظُمَ ، وإذا سُتِر فقد تُمِّم .

قال زهير :

وَمَنْ يجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ[٢] وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٣]

وقال آخر :

إنَّ ابْتِدَاءَ العرفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ ... والْمَجْدُ كُلُّ الْمَجْدِ فِي اسْتِتْمَامِهِ

إنَّ الهِلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى ... حُسْنًا ولَيْسَ كَحُسْنِهِ لِتَمامِهِ[٤]

أنشد الزبير بن بكّار :

أُبْلُ مَنْ شِئْتَ تَقْلِهْ ... عَنْ قَلِيــــلٍ لِفِعْلِهِ

ضَاعَ مَعْرُوفُ وَاضِعِ الـ ... مُرْفِ فى غير أَهْلِهِ[٥]

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال : التأنى للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستقصاء على الملهوف .

---

(١) ا : أمتن ورع ، و أكبر كنز .

(٢) ب : يقيه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .

(٣) شرح الديوان ٣٠ .

(٤) البيتان لأبى تمام انظر شرح ديوانه للتبريزى ٢/٢٦٧ .

(٥) البيتان لأبى العتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهِّدَنك فى المعروف كُفْرُ من كَفَر ، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه .

كان يقال : فى كل شيء سَرَفٌ إلّا فى المعروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً ... مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِه(١)

كان يقال : لا يُزَهِّدنك فى المعروف دمامةُ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك فى شكره ووفائه لا منظرِه ، وإن لم يكن أهلَه فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ(٢)

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا ... لِلّهِ أَوْ لِذَوِى الْقَرَابَةِ أَوْدَعِ(٣)

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبخّلان الناس ، لا . ولكن أَمْطِرِ المعروفَ إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا ، وإن أصاب اللئام كنت له أهلا .

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٤١ غير منسوب ، ونسبه فى معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ ، إلى أبى العيناء ، ونسب فى البيان والتبيين ٢/٢٢٩ ، إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفى حماسة أبى تمام ٢/٣٥ إلى رجل من بنى فزارة .

(٣) البيتان للهذيل الأشجعى (هذيل بن عبدالله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : فى كل شىء سَرَفٌ إلا فى ابتناء المكارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديعة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغى أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهلُ الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة فى الجهل ، والصّنيعة عند الكفور إضاعة النعمة ، فإذا هممت بشىء من هذا ، فارْتَد الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إلَّا فِى ذِى حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كما أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِى نَجِيبٍ » .

مكتوب فى التوراة : افعل إلى امْرِىءِ السُّوءِ خَيْرًا يَجْزِكَ شَرًّا

كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكئاً .

قال الشاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِى كلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لَهَا مَنْجَدٌ[1] حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ
يَوَدُّ الفَتَى فِى كلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ[2] ... إِذَا ما انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزْلُ[3]

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

---

(١) ب : مصعد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيتان لأبى يعقوب الخريمى ، انظر البيان ٢/٣٩٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، زهر الآداب ٤/٢ ٢ معجم الأدباء ١٦/٢٦٤ ، نهاية الأرب ٣/٨٤ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرْبِ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحْيِ معروفك بإماتته .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك[١] ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألاّ تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسَدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ ، فإن المنّ يفسد الصنيعة والكفر يمحوها ، والشكر يجلب النعمة[٢] .

قال الشاعر :

أفْسَدْتَ بِالْمَنّ[٣] ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ بِمَا أَسْدَى بِمَنَّانِ[٤]

وقال الحسن بن هانئ :

فَامْضِ لَا تَمْنُنْ عَلَيَّ يَدًا ... مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ[٥]

قال معاوية ليزيد : يا بنيّ ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تشتمل به مودتهم ، وتعظم فى أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .

كان يقال : حصاد من يزرع المعروف فى الدنيا ، اغتباط فى الآخرة .

---

(١) ا : باعتفاقك .
(٢) ب : والكفر يسلب النعمة .
(٣) ساقط من ب .
(٤) عيون الأخبار ١/١٧٧ ، محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ .
(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ١/٢٤٣ .

ذم أعرابى رجلا ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .

قال الزهيرى : من زرع معروفاً حصد خيراً ، ومن زرع شراً حصد ندامة .

قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ ... وزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ

وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعِ الخَيْرَ يَحْصُدْ حَصَادَهْ ... مُوَفَّرًا يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهْ

قال بشر بن أبى خازم :

وَأَيْدِى النَّدَى فى الصَّالِحِينَ فُضُولُ[1]

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[2]

وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ ... تَحَمَّلَهَا شَكُورٌ أَوْ كَفُورُ

فَفِى شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ ... وَعِنْدَ اللهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ

قال الأصمعى . سمعت أعرابيًا يقول : أسرعُ الذنوب عقوبة كُفْر المعروف .

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

---

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك فى قومى يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس فى قافية اللام بل فى قافية الضاد إذ أن الرواية هناك : قروض مكان فضول .

(٢) ديوانه ٥٤

وَما هَـــذِهِ الْأيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ ... تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ(١)

قال بزرجمهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

جمع كسرى مَرَازِبَتَه وعيونَ أصحابه ، فقال لهم : على أى شيء أنتم أشد ندامة ؟ قالوا : على وضع المعروف فى غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِى فِى كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ ... إِلَى النَّاسِ مَاجَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ(٢)

وقال آخر :

النَّاسُ مِنْ شَاكِرٍ لِلعُرْفِ مُحْتَمِلٍ ... وَمِنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِرٍ(٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلْ بَعْضَ نَائِلِهَا ... وَإِنَّمَا النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ كَالْغُرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ فِى غيرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِ الَّذِى لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ(٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ، ولا يشترى الأحرار بمعروفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرًّا تملكه .

---

(١) البيتان من غير نسبة فى عيون الأخبار ١٨١/١ ، العقد الفريد ٤٦٩/٣ .
(٢) البيت فى عيون الأخبار ١٦٣/٣ ، الأمالى ١٢٣/١ ، العقد الفريد ١٩٩/٦ .
(٣) الزمر : قليل المروءة والوفاء .
(٤) محاضرات الأدباء ٢٨٣/١ ، المستطرف ٢٤٩/١ ، مجموعة المعانى ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا[١]

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الجَمِيـ ... لُ فَفِي عُقُوبَتِهِ صَلَاحُهْ

وَقال محمود الوراق :

فَكَّرْتُ فِي المَالِ وَفِي جَمْعِهِ ... فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي

وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجُهِ الْـ ... بِرِّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ

هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ ... يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانِ

وَمِنْ فَسَادِ الْعُرفِ إِحْصَاؤُهُ ... وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَّانِ

فَانْشُرْ إِذَا أُولِيتَ عُرْفًا وَإِنْ ... أَوْلَيْتَهُ فَاسْتُرْ بِنِسْيَانِ

---

(١) ديوانه ٣٠٨ .

بابُ الشُّكرِ[1]

قال رسول الله صلّى الله عليه وَسلّم : « مَنْ أوْلَى معروفاً فلَم يجدْ إلا الثَّنا فقد شكَره ، وَمَنْ كَتَمَهُ فقد كَفَرَه » .

وَقال صلّى الله عليه وَسلّم : « من أُهْدِىَ إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاكَ الله خيْراً فقد أبلغ فى الثناء » .

سمع رسول الله صلّى الله عليه وَسلّم عائشة رضِىَ اللهُ عنها تنشد لليهودى :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِى عَلَيْكَ وَإنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : « قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ، من لم يجد إلا الدعاء وَالثناء فقد كافأ » .

وَفى رِوَايَة أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : « أنشدى شعر ابن الغَرِيض اليهودى[2] حيث قال : إن الكريم » فأنشدته :

إنَّ الْكَرِيمَ إذَا أَرَادَ وِصَالَنَا ... لَمْ يُلْفِ حَبْلِى وَاهِيًا رَثَّ الْقُوَى

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .

(٢) سيذكر المصنف بعد إيراد الأبيات أن اسمه الغريض لا ابن الغريض كما ورد فى الحديث ، والواقع أنه الاختلاف كبير فى اسم هذا اليهودى الشاعر ، والشهير أن اسمه السموءل بن الغريض بن عادياء هكذا ورد فى سمط اللآلىء ٥٩٥ ، والتبريزى ١/٥٥ ، وطبقات الشعراء ٢٢٥ ، ومن مترجميه من يسميه السموءل بن عادياء ، وهو فى المحبر ٣٤٩ : السموءل بن حيا بن عاديا الغسانى ، وكما اختلف فى اسمه اختلف فى وجوده أصلا ، انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٣/٢٦٩ ؛ ولعل هذا هو السبب فى اضطراب نسبة هذه الأبيات إليه أو إلى غيره ، وانظرها مع النص الذى ساقه المصنف فى الأغانى ٣/١١٧ ، ١١٨ ، حماسة البحترى ٣٩٨ ، والأولين فى فصل المقال ١٧٤ ، والثانى منهما فى عيون الأخبار ٣/١٦٢ .

أرْعَى أَمَانَتَهُ وَأحْفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِى فَيَأْبِى بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى
أَجْزِيهِ أَوْ أُثْنِى عَلَيْهِ فإنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أنه للغريض اليهودى ، وهو الغريض بن السموءل بن عادياء اليهودى ، من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا فى قائله ، فقيل : هو لورقةَ بن نوفل، وقيل: هو لزهير بن جناب الكلبى، وَقيل : لعامر بن المجنون[1] وَقيل : ليزيد بن عمرو بن نفيل ، وَمنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفى الأبيات غيرها أنهما للغريض اليهودى ، والله أعلم .

قال ابن أبى الدنيا : أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

لوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً أَعْلَى مِنَ الشكْرِ عِنْدَ اللهِ فِى الثَّمَنِ
إذًا مَنَحْتُكَهَا مِنِّى مُهَذَّبَةً شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ[2]

وقال آخر فى يحيى بن خالد البرمكى :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِى فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّى لَشَاكِرُ
لَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِى الْجَزِيلَ بَدِيهَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ

(١) كذا بالأصول ولعل صحته : مجنون بنى عامر .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٨٧/١٠ ، وقد نسبا فيه إلى الحسين بن على المغربى ، وورد الشطر الأول فيه : إذاً منحتكها منى مهذبة شكراً . ونسبت فى نهاية الأرب ٢٤٩/٣ إلى أبى عيينة المهلبى ، وورد فيه البيت الثانى :

أخلصتها لك من قبى مهذبة حذواً على مثل ما أوليت من حسن

فَأَرْجِعُ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي ... لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ[1]

وَمما أنشده الرياشي :

شُكْرِي لِفِعْلِكَ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ ... تَعْرِفْ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِي مِنَ الشُّكْرِ

قال رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : «ما أنعمَ الله على عبد نعمة فعلم أنها من عندالله إلا كتب الله له شكرها ، وماعلم الله منعبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ، وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يُغفر له » .

وقالرسول اللهصلّىالله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ».

وقال : « أشكرُ الناس لله عز وجل أشكرَهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير » .

وفى التفسير : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »[2] ، قالوا : الطاعات كلها شكر ، وأفضل الشكر الحمد .

وفى قوله فى نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »[3] ، وقالوا : كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثنى عليه الله بذلك .

مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ؛ فإنه لا زوال للنعم إذا شُكرت ، ولا مقام لها إذا كُفرت ، والشكر زيادة فى النعم ، وأمان من الغِيَر .

---

(١) نسب البيت الأول إلى طريح بن إسماعيل الثقفى ، ونسب الثانى إلى أبى يعقوب الخريمى فى عيون الأخبار ١٦٠/٣ . ونسبت كلها إلى طريح فى نهاية الأرب ٢٤٩/٣ ، البيان ٤٠٣/٢ .

(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِى
وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا كُنْتُ خَامِلاً ... ولكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ[١]

قال حذيفة بن اليمان : ماعَظُمَتْ نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عِظَمًا .

قال عروة بن الزّبير : من لم يعرف سوء ما يُبلَى لم يعرف خير ما يُولَى .

قال جعفر بن محمد : ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه فما يبرح حتى يزداد .

[٢]قال ابن عباس : لو قال لى فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله[٢]

قيل لسعيد بن جبير : المجوسىّ يولينى خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم .

قال أوس بن حجر ، وقيل : إنه لأبى يعقوب الخُرَيمى :

سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنِّىَ رَبُّنَا ... وَحَسْبُكِ مِنِّى أَنْ أَوَدَّ وَأَحْمَدَا[٣]

ولأبى المعافى[٤] [٥]يعقوب بن[٥] إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة فى بكار بن عبد الله الزبيرى :

إِنَّنِى أُثْنِى بِمَا أَوْلَيْتَنِى ... لَمْ يُضِعْ حُسْنَ بَلَاءٍ مَنْ شَكَرْ
إِنَّنِى وَاللهِ لَا أَكْفُرُكُمْ ... أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكٌ فِى السَّحَرْ

---

(١) انظر البيتين فى عيون الأخبار ١٦٥/١ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حزن بن زائدة بن لقيط السعدى ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٦٧/٤ ، الأمالى ٣٠/١ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ورد البيت فى الأغانى ٧/١٠ ، وعيون الأخبار ١٦٥/٣ هكذا :

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب ... وقصدك أن يثنى عليك وتحمدى

(٤) ورد الاسم فى الأصل : أبو المعالى ، والتصحيح من معجم الشعراء ٥٠٤ .

(٥) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ ماجِدٌ ... لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوِّ مَكانِ
لَمَا نَدَبَ اللهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ ... فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّها الثَّقَلَانِ[1]

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِه ... وَلَامُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ[2]

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُها ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ[3]

وقال آخر :

لَئِنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنَّنِي ... لَأَطْيَبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فلَسْتُ إلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً ... عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إلَى شُكْرِي[4]

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

---

(١) البيتان لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى زهر الآداب ٢/٣٣ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢/١٣٧ ، معجم الأدباء ١٧/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٣ .

(٢) البيتان فى أمالى القالى ١/٤٠ ، عيون الأخبار ٣/١٦١ من غير نسبة ، وقد نسبا فى معجم الشعراء ٤١٢ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وفى سمط اللآلىء ١٦٦ نسبا إلى أبى الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدثه إذ ظهر كم قميصه من تحت جبته وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب ، وفى الحماسة ٢/٢٥٣ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزى عليهما بأنهما لعمرو بن كميل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قميص ، فجعل يسعى له ويتشفع حتى ولى البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت منفرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيت فى معجم الأدباء ١٣/١١٢ منسوباً إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً فى وفيات الأعيان ٣/١٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٦ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشكُ الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إِذَا أَنَا لَمْ أَعْرِفْ[١] لِذِى الفَضْلِ فَضْلَهُ   وَلَمْ أَلُمِ الجِبَّ اللَّئِيمَ المُذَمَّمَا
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ   وَشَقَّ لِىَ اللهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا[٢]

وقال آخر :

وَالْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ[٣]

وقال آخر :

وَمَا تَخْفَى الصَّنِيعَةُ حَيْثُ كَانَتْ   وَلَا الشُّكْرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال العتابى :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى   إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ   فَتَعْلَمَ أَنِّى امْرُؤٌ شَاكِرُ[٤]

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِى ثَمَرَ الْغِنَى   حَمِدْتَ الَّذِى تَجْنِيهِ[٥] مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

(١) ب : تعرف .
(٢) نسب البيتان فى الأمالى ٢/١٥٩ إلى أبى العالية الرياحى ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس ... الخ ، وورد فى معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبين إلى أبى عمران الضرير ، وفى محاضرات الأدباء ١/١٨٤ نسبا إلى أبى العيناء ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٨٦ ، معجم الأدباء ١٨/٢٨٨ .
(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر نعمتى * وهو لعنترة العبسى ، ديوانه ٢٨ .
(٤) عيون الأخبار ٣/١٦١
(٥) ب : أجنيك .

وَإنْ يفْنَ ما أَعْطَيْتَنِي اليَوْمَ أوْ غَدًا   فَإِنَّ الَّذِي أُعْطِيكَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ

وقال آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ   إنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ

ولَا أَلُومُكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ   فالرِّزْقُ بالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفُ(١)

قال سليمان التيمىّ : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلّ شكر وإن قلّ ، ثمن لكل نوال وإن جلّ .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيتم النعمة مستبدرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا   أوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

لَا تُحْدِثَنَّ إلَيَّ عَارِفَةً   حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا(٢)

وقال البحترى :

مَنْ لاَ يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ حِبِّهِ(٣)   فَمَتَى يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ رَبِّهِ(٤)

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، نهاية الأرب ٣/٢٤٥ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما فيه لابن عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١ /١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الشعر والشعراء ٨٠ .

(٣) ا : خله .

(٤) ديوانه ١/٦٧ .

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إذا كانَ شُكْرِى نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَىَّ لَهُ فِي مِثْلِهاَ يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إلاَّ بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ
إذا سَرَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهاَ ... وَإِنْ مَسَّ بالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهاَ الأَجْرُ
وَماَ مِنْهُماَ إلاَّ لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ ... تَضِيقُ بِهاَ الأَوْهَامُ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ[(١)]

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب فى الحمد الثانى ما يجب فى الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

إذا أَنْتَ لَمْ تَزْدَدْ عَلَى كلِّ نِعْمَةٍ ... قَدْ آتاَ كَهاَ شُكْرًا فَلَسْتَ بِشاَكِرِ[(٢)]

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلبى فى هذا المعنى :

فكَيْفَ بِشُكْرِ ذى نِعَمٍ إذا ما ... شَكرتُ لَهُ فَشُكْرِى مِنْهُ نِعْمَه

قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر ! فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إذا الشَّافِعُ اسْتَقْصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ ... وَإِنْ لَمْ تَنَلْ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ[(٣)]

---

(١) المستطرف ١/٢٧٨ ، زهر الآداب ١/٨٩ .
(٢) ديوانه ٣٤ .
(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ[١] لايُرَى مُشْتَارُهُ ... يَجْنِيهِ إلاَّ مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ[٢]

وقال آخر :

دَنَوْتَ للمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَشَدُّوا دُونَهُ الأُزُرَا

وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَّى وَمَنْ صَبَرَا

لاتَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا[٣]

قال جعفر بن محمد : مامن شيء أَسَرَّ إليَّ من يدٍ أُتبِعُها أخرى ، لأنَّ مع الأواخر يُقْطَعُ لسانُ شكر الأوائل .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبى تمام ، انظر شرح ديوانه ٢/ ٤١ ، زهر الآداب ٤/ ١١٣ .

(٣) الأبيات فى الأمالى ١/ ١١٣ ، وفيه : دببت بدل دنوت ، وأنفوا بدل شدوا ، وكابدوا بدل ساوروا ، وانظر البيتين الاولين فى فصل المقال ٢٠٧ ، الحماسة لأبى تمام ٢/ ٢١٥ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل من بنى أسد ولم يعينه

بابٌ في طَلَبِ الحَاجاتِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، ويَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ما شَاءَ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اسْتَعِينُوا على قَضاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمَانِ ، فإنَّ كلَّ ذي نعمة محسود » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ للهِ عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ »

قال الشاعر :

أَنْتَ وَصْفُ النَّبِيِّ إذْ قَالَ يَوْماً   اطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : إِنِّي أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك ، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

قال يونسُ رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بالحُرِّ إِبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً   أَنْزَلْتُهَا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ بِاللهِ
فإِنْ قَضَى حاجَتِي فَاللهُ يَسَّرَهَا   هُوَ الْمُقَدِّرُهَا والآمِرُ النَّاهِي
إذا أَبَى اللهُ شَيْئًا ضَاقَ مَذْهَبُهُ   عَلَى الكَبِيرِ[1] العَرِيضِ القَدْرِ وَالجَاهِ

---

(١) ب : عن الكبير .

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا　　وَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ الَى الفَرَجِ (١)

كتب سِوَار بن عبد الله بن سِوَار القاضي الى محمد بن عبد الله بن طاهر :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ　　خَفِيفٌ مُعَنَّاهَا مُضَاعَفَةُ الأَجْرِ
فَإِنْ تَقْضِهَا فَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّنَا　　وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَفِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ
عَلَى أَنَّهُ الرَّحْمَنُ مُعْطٍ وَمَانِعٌ　　وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ الى قَدَرٍ تَجْرِي

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلْهَا تَجِدْنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا　　سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ
شَكُورٌ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا　　وَانْ لَمْ تَكُنْ فِيمَا حَوَتْهُ يَدِي شُكْرُ
فَهَذَا قَلِيلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتُهُ　　لِحَقِّكَ لَا مَنٌّ لَدَيَّ (٢) وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص : لي إليك حاجة . قال : ولي إليك حاجة يا أمير المؤمنين . قال : تهب لي الوهط (٣) . قال : هو لك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده عليّ .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ، وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير حينها ، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها ، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان .

---

(١) الديوان ٦١ .
(٢) ا : على .
(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جليلة ، انظر معجم ياقوت ٧/١١١ .

كان يقال : اذا طلب عاقل الى كريم حاجة انقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسل[١] مالا يستطاع .

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِق :

إنَّكَ إنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ ... سَاءكَ ما سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ[٢]

قال رجل الأَحنف : أتيتك فى حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذاً لا تقضى ، أمثلى يؤتى فيما لا يَرْزَأ ولا يَنْكَأ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك فى حاجة صغيرة ، قال : فاطلب لها رجلا صغيرًا .

قيل لآخر : أتيتك فى حاجة . قال : اذكُرها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها .

كان يقال : لا تستعن على حاجة بمن هى طعمته ، ولا تستعن بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخيفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثانى حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أُنَاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا ... عِنْدَ التَّأَنِّى فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا[٣]

---

(١) ب : تحمل .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦١ ، معجم الأدباء ٢/١٨٧ ، العقد الفريد ٣/٢١٢ .

(٣) البيت للقطامى ، ديوانه ١٣٦ ، العقد الفريد ١/٧٥ ، نهاية الأرب ٣/٣٩٠ ، المستطرف ١/٣٩ .

قال أبو فزارة الغاضِرِىّ : أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة ، فلكل أحد فى الله عوض من كل أحد ، وليس لأحد من الله عوض بأحد .

سأل رجل مطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير حاجة ، فقال : من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة ، فإنى أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته فى رءوس المكاييل والموازين

قال العَرْزَمى[1] ، وروى لأبى الأسود الدؤلى :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً فَأَلِحَّ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمُ[2]

وقال آخر :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخَلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ[3]

وقال أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

أَأَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ[4]

---

(١) ب : العرجى .
(٢) البيتان فى ديوان أبى الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٣ من غير نسبة .
(٣) عيون الأخبار ٣/١٣٥ .
(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أأذكر ، وخليل مكان كريم ، وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ٢/٣٤٦ ، لباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٣٨ .

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز :

أأذْكُرُ الضُّرَّ وَالبَلْوَى التِي نَزَلَتْ ... أَمْ أكْتَفِي بِالَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي (١)

وقال آخر :

كَفَاكَ مُذَكِّرًا وَجْهِي بِأَمْرِي ... وَحَسْبِي أنْ أرَاكَ وَأنْ تَرَانِي (٢)

وقال آخر :

أَرُوحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي ... وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ ... عَنَاءً وبِالْيَأْسِ الْمُصَرِّحِ نَاهِيَا (٣)

وقال آخر :

تَخَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قُوَاهَا ... فَقَدْ أَمْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاعِ

إِذَا أَرْضَعْتَهَا بِلِبَانِ أُخْرَى ... أَضَرَّتْهَا مُشَارَكَةُ الرَّضَاعِ (٤)

وقال آخر :

وَلَا تَسْتَعِينَنَّ فِي حَاجَةٍ ... بِمَنْ يَبْتَغِي حَاجَةً مِثْلَهَا

فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَّفْتَهُ ... وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا

وقال آخر :

وَإِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... حَدَثٌ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ (٥)

---

(١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره فى المحاسن والمساوىء ١/١٩٤ ، عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، المستطرف ١/١٢٨ .

(٢) عيون الأخبار ٣/١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ وفيه : كفاك مخبرا وجهى بشأنى ... وحسبك .

(٣) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ .

(٤) البيتان لطريح بن إسماعيل الثقفى كما فى أمالى القالى ٢/٧١ ، وانظرهما فى المستطرف ١/١٣٨ .

(٥) ساقط من ب ، وهو القطامى ، ديوانه ٧٢ وانظره فى عيون الأخبار ٣/٢ ، معجم الأدباء ٣/٦٢

وقال أبو العتاهية :

اقْضِ الحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْـ ... ـتَ وَكُنْ لِهَمِّ أخِيكَ فَارِجْ
فَلَخَيْرُ أيَّامِ الفَتَى ... يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الحَوَائِجْ[١]

وقال الحارثى :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلْوِيَّةٌ أسَدِيَّةٌ[٢] ... مُنَمْنَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرًى جَعْدِ
سَقَاهَا النَّدَى فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوْءُهَا ... فَنَوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكَوْكَبِ السَّعْدِ
بِأحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً ... لِحُرٍّ فَأوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرِّفْدِ[٣]

قال عمر بن أبى ربيعة :

إنَّ لِي حَاجَةً إلَيْكِ فَقَالَتْ ... بَيْنَ أُذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ[٤]

كان يقال : من بكر يوم السبت فى حاجة ، كان حقًّا على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ السُّحُورْ ... إنَّ جُلَّ[٥] النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

---

(١) ديوان أبى العتاهية ٦٢ ، ونسبا فى وفيات الأعيان ٢/٣٠٥ إلى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الخزاعى .
(٢) ب : أردية دلوية .
(٣) نسبت الأبيات فى العقد الفريد ٥/٤١٩ إلى ابن أبى الحارثى ، وفيه البيت الثانى :
سقاها الندى فى عقب جنح من الدجى ... فنوارها يهتز بالكوكب السعد
وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرفد .
(٤) ديوانه ٥٢ .
(٥) ب : حد ، ولا يوجد البيت فيا طبع من ديوانه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ فِي السَّفَرِ   وَفِي الرَّوَاحِ إِلَى الحَاجَاتِ وَالْبُكَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يُعْجِزْكَ مَطْلَبُهَا   فَالنُّجْحُ يَتْلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْقَصَرِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ   لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ[1]   وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ[2]

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا   فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ   إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ   وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا[3]

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلا حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي   تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ   وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ فِي الْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً   عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا[4]

---

(١) ب : يحاوله .

(٢) انظر الثالث والرابع في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، المستطرف ٢/٦٩ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشي في البيان ٢/٤٠٠ ، الشعر والشعراء ٨٥٥ ، ونسبت في المستطرف ٢/٧٨ إلى محمد بن بشير الخارجي وكذلك في حماسة أبي تمام ٢/٢٨ ، ٢٩ ، ووردت في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، العقد الفريد ١/٨١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا في عيون الأخبار ٣/١٧٢ ، الأمالي ٢/٢٢٢ ، ووردت منسوبة لابنه سعيد في البيان ٣/١٨٤ ، زهر الآداب ٤/٩٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٨٦ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل . قال مؤرق العجلى : سألت ربى حاجة عشرين سنة ، فما انقضت لى ولا يئستُ منها .

قال أبو العتاهية :

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ أَحْ ... يَانًا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صَعُبَتْ
مَا كُلُّ ذِى حَاجَةٍ بِمُدْرِكِهَا ... كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ
مَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْكَفَافُ مُعْتَدِلًا ... ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ[1]

وقال القطامى :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّى بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[2]

كان بنو يربوع يوصون أولادهم ، فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل فذلك أنجح لكم .

قال أبو نواس :

وَلَنْ يُدْرِكَ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ[3]

وقال أشجع السامى :

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا ... مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحْ

---

(١) الديوان ٣٨ .

(٢) ديوانه ١٣٥ ،شرح الحماسة للتبريزى ١/٣٢٨، عيون الأخبار ٣/١٢١ ، المستطرف ١/٣٩ ، ٢/٧٢، الشعر والشعراء ٧٠٤ .

(٣) لم أعثر عليه فى ديوانه ، وقد نسب إليه أيضا فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ورواية الشطر الأول : وما طالب الحاجات ممن يرومها، ونسب فى حماسة البحترى ١٨٧ إلى أبى عطاء السندى. والرواية فيه :من حيث تبتغى.

وَابْتِكَارٌ وَدَوَامٌ وَغُدُوٌّ وَرَوَاحْ
إِنْ تَكُنْ أَبْطَأَتِ الْحَا جَةُ عَنِّى وَالسَّرَاحْ
فَعَلَيَّ الْجُهْدُ فِيهَا وَعَلَى اللهِ النَّجَاحْ(١)

(٢) وقال آخر :

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِى الْحَاجَاتِ عَنْ طَلَبِهْ
فَإِذَا مَا هِبْتَ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَّلْتَ مِنْ سَبَبِهْ(٢)

وقال آخر :

طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرُ لَا تَرْضَ مَعْجَزَةً وَأَنْتَ قَدِيرُ (٣)

وقال دعبل بن على الخزاعى :

جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَامِى فَإِنَّنِى رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِى الطَّلَبِ(٤)

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ(٥)

---

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .

(٢) يروى مقطعة مكان قاطعة ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ا ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف فى بعض الألفاظ وهما :

لا ترض منزلة الذليل ولا تقم فى دار معجزة وأنت خبير
وإذا هممت فأمض همك إنما طلب الحوائج كله تغرير

انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوف يرد البيت الأخير فيما يلى .

(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .

(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا ... طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرُ[١]

اختلف أبو العتاهيـة إلى الفضل بن الربيع فى حاجة زماناً فلم يقضها له ، فكتب إليه :

أَكُلَّ طُولِ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا مَا ... جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا

لَا جَعَلَ اللهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا ... عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدَا[٢]

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَثْرَى ... وَمَا شِيَمِي مُوَافَقَةُ الثِّقَاتِ[٣]

فَقُلْتُ لَهُ عَتَبْتَ[٤] عَلَيَّ ظُلْمًا ... فِرَارًا مِنْ مَؤُونَاتِ الْعِدَاتِ

فَعُـدْ لِمَوَدَّتِي وَعَلَيَّ نَذْرٌ ... سُؤَالُكَ حَاجَةً حَتَّى[٥] الْمَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَئِنْ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ ... سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تُبْغَى الْمَكَارِمُ

مَتَى يَنْجَحُ الْغَادِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ ... وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمُ[٦]

وقال الصلتان العبدى :

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا ... وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

---

(١) انظر التعليق رقم ٣ فى الصفحة السابقة .

(٢) الديوان ٣٣٣ . (٣) فى عيون الأخبار : ومن شيمى مراقبة الثقات .

(٤) ب : عبثت .

(٥) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٤٨ غير منسوبة لقائل .

(٦) الديوان ٣٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حَاجَاتُهُ   وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِى(١)

وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقَضِى حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا   إِلى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى(٢)

وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِى الْمَرْ   ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِى الْفُؤَادِ(٣)

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فعوتب فى ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهى مرة خير من أن يصفر وجهى مراراً .

قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِى حَاجَةٍ   مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمْ
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ   يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعَمْ(٤)

وقال آخر :

إِذَا قلتَ فِى شَىْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ   فَإِنْ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلاَّ فَقُلْ لَا . تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا   لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ(٥)

وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ   حَاجَةٌ فِى الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجْ

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب ٨/١٩١ ، عيون الأخبار ٣/١٣٢ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .
(٢) زيادة فى ب ، والبيت فى ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ٣/١٣٨ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .
(٣) البيت لأبى فراس الحمدانى ، انظر اليتيمة ١/١٧٤ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .
(٥) انظر البيتين فى حماسة البحترى ٢٢٠ ، لهرم بن غنام السلولى ، والرواية هناك : واسترح وأرح بها بها لكيلا ، وانظرهما فى المستطرف : ١/٢٣٤ .

رُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقْت بِهِ ثُمَّ يَأْتِي اللهُ مِنْهُ بِالْفَرَجْ (١)

وقال آخر :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيـ ـكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَـــدْ أَحْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ (٢)

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينُ (٣)

وقال أشجع السلمى :

قَدْ خَرَجَتْ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحِجَا بِنُجْحِهَـــا وَامْتَنَعَ الْمَنْهَجُ
وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُـــلٌ وَاحِدٌ مِنِّي إِلَى حَاجَتِـــهِ أَحْوَجُ
يُرِيبُنِي أَنِّي أَرَى حَاجَـــتِي تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تَخْرُجُ
أَقُولُ إِذَا أَقْلَقَـنِي عَاذِلٌ بِكُلِّ مَا أَكْرَهُـــهُ مُلْهِجُ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ أَنَاةُ الْفَتَى وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ (٤)

---

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل القراطيسى فى الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ١/٦‏٢٨ ، عيون الأخبار ١/١٤٣ ، الأغانى ٢٠/٨٨.

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، ٢/٢٨٤ ، معجم الأدباء ١٢/٢٢٩ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ وفيه : يا أم عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات الخ .

باب السُّلْطَان والسِّيَاسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّـكُمْ رَاعٍ وَكُلُّـكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رعيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، والْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِها وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الإِمامُ العَدْل لَا تَكَاد تُرَدُّ دعْوَتهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُقْسِطُونَ يومَ القيامةِ عَلَى مَنَا بِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰن — وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمين — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاس » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَميرٍ لم يُحِطْ رَعِيَّتَهُ بالنَّصِيحَةِ لم يَرُحْ رائحةَ الْجنة » .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا يُصْلِحُ هذا الأمر إلاّ شدّةٌ فى غير عُنف ، ولين فى غير ضعف .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لن يقيم[1] أمر الناس إلا امرؤ حصيف العقدة ، بعيد الغور ، لا يطّلعُ الناس منه على غوره ، ولا يخاف فى الله لومة لائم .

وعن عمر رضى الله عنه ، قال أيضاً : لا يقيم أمر الله فى الناس إلّا رجلٌ يتكلم بلسانه كله ، يخاف الله فى الناس ، ولا يخاف الناس فى الله .

لعلىّ بن أبى طالب فى أول كتاب كتبه : أمّا بعد ، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشْتُرِى ، وبسطوا الْجور حتى اقْتُدِىَ[2] .

---

(١) ب : لم يقم .

(٢) ا : ابتدى .

قال مجّاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما : إذا كان الرأى عند من لا يُقْبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : المُلْك والدين أخَوَان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدّين أسّ (١) ، والمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن لَهُ حارس فضائع .

قال عبد الله بن المبارك :

إنَّ الجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كم يدفعُ الله بالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً ... فِى دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدنْيانا
لَوْلَا الخلافةُ لم تأمَنْ لنا سُبُلٌ ... وكانَ أضعفنا نهباً لأقوانا (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمّ أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكرمة إلا بإذنه » .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : مِنَ الملوكِ مَنْ إذَا ملك زهّده الله فيما فى يديه ، ورغبه فيما فى يد غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده ، فهو يحسُدُ على القليل ، ويتسخّط على الكثير .

---

(١) ب : رأس .
(٢) ب : نحتا لأقوانا .

ولّى علىُّ بن أبى طالب عمَّ المختارِ بن أبى عبيد عُكْبَرا[١] ، وقال له بين يدى أهلها : استوف منهم خراجهم ، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة . ثم قال له : رح إلىَّ. قال : فرحتُ إليه ، فقال لى : قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت ، وهم قومٌ خُدَعٌ ، وأنا الآن آمرك بما إن قبلتَهُ وإلا أخذك الله به دونى ، وإن بلغَنى خلافُ ما أمرْتك به عزلتُك ، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا تضربن رجلا منهم سوطاً فى طلب درهم ، ولا تُقمه[٢] فى السجن فى طلب درهم ، فإنا لم نؤمر بذلك ، ولا تستعرْ لهم دابّة[٣] يعملون عليها ، فإنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو .

قال عمرو بن العاص لابنه : يا بنىّ ! ! احفظ عنى ما أوصيك به ، إمام عَدْل خير من مطر وَبْل ، وأسدٌ حَطُوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم .

رسالة أَرْدَشير بن بَابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك ، الى الملوك الكائنين بعده : الخراج عمود الملكة بكنفه تعيش الرعية ، وتحفظُ الأطراف والبيْضة ، فاختاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة ، من ذوى العقـــل والحُنكة ، وكفّوهم بسنى[٤] الأرزاق يحسموا أنفسهم عن الارتفاق ، فما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

---

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤/١٤٢ .
(٢) ب : ولا تريد .
(٣) ب : ولا تتبعن لهم حانة ... الخ .
(٤) أ : بيسير .

ومن كلام الفرس فى هذا الباب : لا مُلْكَ إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ الْمَلِكِ الذى يأخذ أموال رعيته ويُجْحف بهم ، مثلُ من يأخذ الطّين من أصول حِيطَانه ، فيطيِّنُ به سُطوحَه فيوشك أن تقع عليه البيوت .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب الى أرسطاطاليس : العَالَمُ بستانٌ سياجُهُ الدولة ، الدولة سلطان تحيا به السُّنة ، السُّنة [1] سياسة يسوسها المَلِك ، المَلِكُ راع يعضّده الجْيش ، الجْيشُ أعوان يكنفهم المال ، المالُ رزقٌ تجمعه الرعية ، الرعيةُ عبيدٌ يتعبّدهم العدل ، العدلُ مألوفٌ وهو صلاحُ الْعَالَم .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : كان مكتوباً فى مجلس زياد الذى يجلس فيه للناس بالكوفة ، فى أربع زوايا بقلم جليل : الوالى شديدٌ فى غير عُنْف ، لَيِّنٌ فى غير ضَعْف ، العطيةُ لأربابها[2] والأرزاقُ لأوقاتها ، البعوثُ لا تُجَمَّر[3] ، المحسنُ يجازى بإحسانه ، والمسىء يؤخذ على يديه . فكان كلّما رفع رأسه قرأه .

قال قتيبةُ بن مُسْلم : مِلَاكُ الأمر فى السلطان : الشِّدة على المذنب ، واللِّين للمحسن ، وصدق القول .

قال أشجع بن عمرو السلمى :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِــدَّةٌ ... تغْشَى البَرِىءَ بفَضْلِ ذَنْبِ المُجْرِمِ [4]

(١) ساقط من ا .
(٢) ا : لأحيانها .
(٣) ب : المبعوث لا يحمد ، تحريف ، وتجمير البعث : حبسه فى أرض العدو .
(٤) البيت فى الأمالى ١٢/١ ، زهر الآداب ١٤٢/٤ ، وفيه تخشى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال : هيبة الخاصة(١) مع شدة عفتها(٢) ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف(٣) منها .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حمدتُ نَفْسى على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أَعْطِ من أتاك صادقاً بما تكره ، كما تعطّى من أتاك بما تحب ، واعلم أنه إذا أَعْطَى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه .

قيل لأنو شروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطناعنا له نسبه .

قال أبو جعفر المنصور : الذى علىّ للرعية أن أحفظ سُبُلَهم ، فينصرفون آمنين فى سبيلهم ، ولا يُصَدّون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ، وأحصّنها من عدوهم ، وأن أختار قضاتهم ، وأعزهم بالحق(٤) كيلا يصل ظلم بعضهم الى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم ، وأكف جهالهم عن حكمائهم .

كتب عبد الملك بن مروان الى الحَجّاج : صف لى الفتنة حتى كأنى أراها رأى العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك(٤) فى شعرى ، ولكنى أصفها لك بمبلغ(٥) رأيى وعلمى ، الفتنة تلقحُ بالنجوى ، وتَنْتِج(٦) بالشكوى ، فلما

---

(١) ب : الرعية .
(٢) ب : محبتها .
(٣) ب : بالانصراف .
(٤) ساقط من ا .
(٥) ا : ببليغ .
(٦) ب : وتفتح .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، فخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطهم عطايا الفُرقة ، واستعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأُخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكماء مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جِدُّه هزلَه ، وقهر لبُّه هواه ، وأعرب عن ضميره فعلُه ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية[1] : إنى أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوْصِ . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل فى سدها ، وطغيان السفلة فاعمل فى قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ،فإذا ذهب الروح فنى الجْسد .

وروى الهيْثَم بن عَدِىّ ، عن مجالد ، عن الشعبى ، قال عمر بن الخطاب : دلّونى عن رجل أستعمله ، فقد أعيانى أمر المسلمين . قالوا له : عبدالرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لى به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرَهم كان كأنّه رجل منهم ، واذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الرّبيع بن زياد الحارثى . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا فى قومه ، ولاّه معاوية خراسان ، فاستكتب الحْسن بن أبى الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتلُ معاوية

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْر بن عدى(١) ، قال : اللّهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل ، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاليس : أوصنى. قال : فانظر من كان له عبيد فأحسنَ سياستهم فولّه الجند ، ومن كانت له ضَيْعَةٌ فأحسن تدبيرها فولّه الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغِّر أمر من جاء يحاربك ، فإنك إن ظفرت لم تُحْمد ، وإن عجزت لم تُعذر .

قيل لكسرى ذى الأكتاف(٢) ، وكان ضابطاً لمملكته : بِمَ ضبطتَ مُلكك ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل فى أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ، وولّيت للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : سمعت زياداً وهو يخطبُ ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا أصبحنا لكم سَاسَة وعنكم ذَادَة ، نسوسكم بسلطان الله الذى ملّكنا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسَنّا(٣) ، ولكم العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ومَحْض وُدّنا بمناصحتكم ، ومهما قصَّرت فيه

(١) انظر خبر حجر وأصحابه فى تاريخ : الطبرى ٦/١٤١ ، الكامل لابن الأثير ٣/١٨٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٥ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ب . أحببنا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجباً عن ذى حاجة ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا مُجَمِّرًا لكم جيشاً[١] ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبّانه ، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المَذبُون[٢] ، وكهفكم الذى إليه تأوون ، فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فيشتدّ غيظكم ، ويطول حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شرًّا لكم ، نسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ .

كان يقال : ينبغى للمَلِكِ أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدُث له ، فإن له فى تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفى الأناة : انفساح الرأى وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل فى التدبير لم يقعد به إلاّ سابق قضاء لا يُملك .

ذكر المبرّد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتّبهم لمشورته فقصّروا فى الرأى . دعا الذين قد وكّلهم فى أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : يخطىء أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلاّ بتعلق قلوبهم بأرزاقهم ، فإذا اهتمّوا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أُوصيك بأربع خصال تُرضى بهن ربّك ، وتَصْلُح معهن رعيتك : لا يغرّنّك ارتقاء السهل[٣] إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن

---

(١) تجمير الجيش : حبسه فى أرض العدو .
(٢) ب : المؤدبون .
(٣) ب : السير .

وعدًا ليس فى يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بَغَتَاتٌ[١] فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتَّق العذاب .

قال زياد : كمال الرأى شدةٌ فى غير إفراط ، ولين فى غير إهمال .

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إنى أجد فى الإنجيل : لا ينبغى للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلتمس الحلم ، ولا ينبغى له أن يكون جائرًا ومن عنده يُلتمس العدل .

سألتْ بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرّفهم الزمان الذى يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استُعْمِلَ منهم الهَيِّن البرّ الخيّر[٢] .

وفى خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث فى أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث فى غير أوانه .

قال معاوية لابن الكوَّاء[٣] : صف لىَ الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تَصْلُح يَصْلُح ، وإن تَفْسد يَفسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إذا صَلحا صَلح الناس : الأمراء والعلماء » .

قال الأحنف بن قيس : كلّ ملك غدور ، وكلّ دابة شرود ، وكل امرأة خئون !

---

(١) ب : تفتات .

(٢) ب : الاين الحى .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) اليشكرى ، كان من النسابين العلماء بالأخبار والآثار ، خرج على على بعد التحكيم ، ثم كان من رءوس الخوارج الشراة الذين حاربهم المهلب . انظر تهذيب التهذيب ٤/٧٢ ، شذور الذهب ٦/٩٧ .

قال الأعور السلمي : يا معشر بني سليم ! أنذركم السلطان فإنه أصبح صَعْباً حَنُوطاً(١) يغضب كما يغضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجُنْدُبَ أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فِئَامٍ(٢) من النّاس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً(٣) . فقال : وأنتَ فاعمل به ، فما تَوَعَّدكَ اللهُ به أشدُّ مما توعدني به .

قيل لمَلِكٍ زال عنه ملكه : لِمَ زال عنك ملكُك ؟ قال : لمدافعتي عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شُبْرُمة : من أكل من حَلْوائهم انحطّ في أهوائهم .

قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل عليّ كثيرًا فأملّك ، فتثقُلَ عليّ حوائجك ، ولا تُطِل الغيبة عني فأنساك .

قال بعضُ الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .

قال ابن المعتز : أشقى النَّاسِ بالسُّلطان صاحبُه ، كما أن أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلُّ

---

(١) الحنوط : الميال إلى الشر .

(٢) ا : قيام ، وهو تحريف ، وفئام ككتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من ا .

وَمَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمُ سَخِطُوا ... جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمُ ظَنُّوكَ تَخْدَعُهُمْ ... وَاسْتَثْقَلُوكَ كَمَا يُسْتَثْقَلُ الكَلُّ
فاستغن بالله عن أَبْوَابِهِمْ أَبَدًا ... إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلُّ[1]

قالوا : السلطان كالنار ، من تباعد منها لم ينل من دفئها[2] شيئاً ، ومن تقرب منها أحرقته .

ذكر أعرابى الملوك فقال : الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه ، شاهده يظهر حبك ، وغائبه يتمنى غيرك .

قال المأمون : لو كنتُ مع العامة لم أصحب السلطان .

قال أبو قَرْدُودَة :

إِنِّى نَهَيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَه : ... لا تَأْمَنَنْ أَحْمَرَ العَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَهْ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ ... يَطِرْ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهْ[3]

وقال آخر :

إِذَا ضَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ ... بِأَنَّ ضَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمُ
وَلَا تَحْفِلْ بِضِحْكٍ مِنْ كَفِيٍّ[4] ... فَكُلُّ النَّاسِ ضِحْكُهُمُ سَقِيمُ

---

(١) انظر الأبيات فى العقد الفريد ٣/٢٠٠ ، محاضرات الادباء ١/٩٢ .

(٢) ب : حرها .

(٣) كان ابن عمار الطائى خطيب مذحج كلها . فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته ، فلم يستمع إليه ، فلما قتل رثاه ، انظر البيان ١/٢٢٨ ، ٣٤٩ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/ ٩٢ .

(٤) الكفى : النظير والمثيل .

قال العباس بن محمد للمنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ، فادْرَعْ بدرعك من شكرك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تثق بالأمير إذا غشك الوزير .

(١ ومنهم من قال : لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير ١) .

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس بالبراءة من علىّ . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رَجل فاستوص به خيرًا .

كان يقال : إذا نزلْتَ من الوالى بمنزلة الثّقة فاعزل عنه كلام الخنا والملَق ، ولا تكثرنّ له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظّمه ووقّره فى الناس .

قال الشعبىّ : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يوماً فقلت : أعده علىّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين أذن لى عليه : أنا الشعبى . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلا ، فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألته أن يكتبه[٢] . فقال : إنا نُكَتِّبُ ولا نُكَتَّبُ[٣] .

وهذا الخبر عندى غير صحيح ، لأن المحفوظ عن الشَّعبى أنه قال : ما استعدتُ حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبى .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) ب : يكتبنيه .
(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لى عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد عليَّ ما شئت : لا تُطْرِنى فى وجهى ، فأنا أعلم بنفسى ، وإياك أن تغتاب عندى أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضى الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لى أبى : إنى أرى أمير المؤمنين — يعنى عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرًّا . فقيل له : يا ابن عباس[1] كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب لهُنَىّ إذ ولاه الحمى[2] : يا هُنَى ! اضمم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصْرٍ وَالْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْـ طَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرَا
فإِذَا زَالتِ الْوِلاَيَةُ عَنْـــهُ واستوى بالرجَالِ كانَ بَصِيرَا[3]

قال المهلب لابنه : يا بنى : اخفض جناحك واشتدّ[4] فى سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

---

(١) ب : يا عباس .
(٢) هنى : مولى كان لعمر رضى الله عنه ولاه حمى النقيع التى حماها عمر لإبل الصدقة وخيل الجهاد انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .
(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٣ وفيها : قل لنصر ، التمثيل والمحاضرة ٧٠ ، .
(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازّهم رجعت عزّته ذلاّ ، السّلطانُ وَالوالدُ والعَالِم .

كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتوانى ، والفرس الجموح ، والسلطان الشديد المملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصَاقُه ، فوقع فوق البساط ، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ، والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كتب إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه عامل له : إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرَمّة . فكتب إليه عمر : حصّنْ مدينتك بالعدل ، ونقّ طريقها من الظلم .

قال معاوية بن أبى سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل(١) .

قال محمد بن كعب القُرَظى : قال لى عمر بن عبد العزيز : صف لى العدل يا ابن كعب . قلت : بخٍ بخٍ ، سألتَ عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمِثْل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادِين .

كان يقال : ليس شىء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .

قال زياد لابنه عبيد الله : يا بنىّ ! إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فادْعُ له ، واصفح صفحاً جميلا ، ولا تُرَيّن متهالكا عليه ، ولا منقبضاً عنه .

---

(١) ا : والرذل .

قال مالك : قيل لأبى الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللّهُمَّ غُفرًا . من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد .

قال معاوية : لا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربتْ عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه[1] ، وأما أنا فقد داستنى الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : سكت عن علىّ ، وأنا أقول : وأما علىّ فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إنى لأستعمل الرجل ، وأدع خيرًا منه ، وذلك أنى أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً ، وأشد جرأة ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هـذا مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاة من كان فى رعيته كأنه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن فى أيامه آمناً والمسىء خائفاً .

---

(١) ا : أصابته .

وقال بعض الحكماء: الناس يحبّون سلطانَهم على الدِّين ، والتواضع ولين الجانب ، وينقادون لشدة الطّيش .

قال أبو العتاهية :

رَضِيتُ ببعضِ الذُّلِّ خَوْفَ جميعِهِ ... وَلَيسَ لمثلِي بالملوكِ يَدَانِ
وكُنْتُ امْرَءًا أخْشَى العِتَابَ وَأَتَّقِي ... مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
وَلو أَنَّنِي عَانَدْتُ(١) صَاحِبَ قُدْرَةٍ ... لَعرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ
فهلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي ... فإنِّي امْرُؤٌ أُوفِي بكلِّ ضَمَانِ(٢)

وقال الحسن بن سهل :

فرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي ... وَزَكَاةُ جَاهِي أَنْ أُعِينَ(٣) وَأَشْفَعَا
فإِذَا مَلَكْتَ فَجُدْ وَإِنْ لم تستطع ... فاجْهَدْ بجَهْدِكَ(٤) كلّه أَنْ تَنْفَعَا(٥)

وقال آخر :

لَيْسَ فِي كلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ ... تَتَهَيَّا صَنَائِعُ الإِحْسَانِ
فإذا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا ... حَذَرًا مِنْ تعذُّرِ الإِمْكَانِ(٦)

---

(١) ا ، م : ولو قد كنت ، ب : ولو أنى عاينت ، والمثبت من الديوان .
(٢) ديوانه ٣٢٤ .
(٣) ا : أعيش .
(٤) ب : بجمدك .
(٥) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ .
(٦) المستطرف ٦٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٤٣٢، وفيها : وهلة، بدل: ساعة ، المحاسن والمساوىء ١/١٩٥.

كان زياد إذا أُتِىَ بصاحب زلة ، أخّر عقوبتـه أياماً يسـأل عن قضيته مخافة الزيادة فى العقوبة .

صعد عبدالملك المنبر ، فقال فى خطبته : يا معشر رعيتنا ! سألتمونا سيرة أبى بكر وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا فى أنفسكم سيرة رعية[١] أبى بكر وعمر ، ولـكن نسأل الله أن يعين كلاً على كلّ .

تعرَّض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أحسنت إلىَّ عام كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وهذا عندى مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندى يد ، ثم أحبهم إلىّ بعده من لى عنده يد .

قال الشعبى : دخلت يوماً على ابن هُبيرة و بين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولَأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبى . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوكُ لأصحابهم كل شىء إلا ثلاث خصال : القدح فى الملك ، و إفشاء الأسرار ، والتعرض للحُرَم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه ، عن أبى[٢] عمرو بن العلاء ، أنه دخل على سليمان بن على ، فسأله عن شىء فصرفه عنه[٣] ، فغضب سليمان بن على فخرج أبو عمرو وهو يقول :

---

(١) الـكلمة ساقطة من ا .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ا : فصدقه فصده .

أنفتُ مِنَ ٱلْعَارِ عند ٱلْمُلوكِ ... وَإِنْ أَكْرَمُونى وَإِنْ قَرَّبُوا
إِذَا مَا صَـــدَقْتُهُمُ خِفْتُهُمْ ... ويَرْضَوْنَ مِنِّي بِأَنْ يُكْذَبُوا[١]

قيل للعتابى : لم لا تخدم الأمير[٢] ؟ أو لا تكتب الأمير[٢] ؟ فقال : لأنى رأيته يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذَنْب ، فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أُعْطى فى ذلك ، أكثر من الذى آخُذُ — يريد مهجته — وركوبُ الغرر[٣] فيها معه ، والعتابى هو القائل :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... زَوَى الدَّهْرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ وَتَالِدِ
رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الكُسَى ... مُقَلَّدَةً أَجْيَـــادُهَا بِالْقَلَائِدِ
يَسُرُّكِ أَنِّي نِلتُ مَا نَالَ جَعْفَرٌ ... مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يحيى بنُ خَالِدِ
وأَنَّ أَميرَ الْمُؤْمنِينَ أَغَصَّنِي ... مُغَصَّهُمَا[٤] بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ
ذَرِينى تَجِئْنِي مَيْتَتِي مُطْمَئِنَّةً ... ولم أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعاتٍ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ[٥]

وقال الغَزَالُ :

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا ... فَحَاذِرْ صَوْلَةَ الزَّمَنِ

---

(١) انظر البيتين والقصة فى وفيات الأعيان ١٣٨/٣ .

(٢) ب : الأمين .

(٣) ب : العذر .

(٤) ب : أغصه مغتصما .

(٥) يروى : لوى الدهر، مكان: زوى ، وفى العقد : أعضنى معضهما ، ورواية الشطر الثانى للبيت الثالث فيه : (وما نال يحيى فى الحياة ابن خالد) ، وفى التمثيل والمحاضرة يروى شطر البيت الأخير : (فإن عظيمات الأمور مشوبة) ، وانظر : محاضرات الأدباء ٩٢/١ ، ١٦٣ ، نهاية الأرب ٨٣/٣ ، العقد الفريد ٢٠٨/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٣ ، زهر الآداب ٣٩/٣ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ ... بحسن الرَّأى والفِطَنِ
فَسَاعـــةَ مَا يُزاوله(١) ... رَمُلهُ النَّاسُ باللَّعَنِ
ويُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُو ... دُ(٢) مَنْسُوباً إِلَى الْأَفَنِ
وتبصرُ فِي مَطِيَّـــتِهِ ... سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
وَتَسْترخى مفاصـــلُهُ ... وتكسى كُسْوَةَ الحَزَنِ
كَأَنَّ بَشَاشَةَ السُّلْطَا ... نِ حِينَ تَزُولُ لم تـكُنِ

وقال إدريسُ بنُ مُتيم الإشْبيلى :

قَالُوا تَقَرَّبْ من السُّلْطَانِ قلْتُ لهم : ... يُعيذُنى اللهَ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتَ دنْيَا فَلَا دُنْيَا لمُمْتَحَنٍ ... أَوْ قلْتَ دِينٌ فلاَ دِيناً لِمفْتُونِ

قيل لأعرابى : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان، ولم يعرفه السلطان، وكان فى كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلى : حدثونا أن الحسن البصرى نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير (٣ ذخر لهم ٣)، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلا من كثير صرف عنهم فأتاهم، فارحموا ولا تغبطوا(٤) .

---

(١) ا : ما يرى وله .
(٢) ا : المحسود .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ب : ولا تقنطوا .

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ غَيْرُ ضَعِيفِ العقل مَجْنُونِ
لَا تَكْذِبَنْ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا ولَا دِينِ
دُنْيَاهُمُ بِالْخِزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينِ مَفْتُونِ
خَيْرُهُمُ فَاعْلَمْهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِمَأْمُونِ
لَا رَأْيَ لِي فِي نَيْلِ دُنْيَاهُمُ حَسْبِي بِأَنْ يَسْلَمَ لِي دِينِي

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال : مافي عاملك ما يُشتكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امتثل فينا أحدهما [١] وترك الآخر ، قال الله عز وجل [١] : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[٢] ، فعدل فينا ولم يحسن إلينا ، وفي العدل بغير إحسان عطب[٣] الرعية ، فقال له الأمير : صدقت ، قد وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ، وجسم متعب ، ودين منثلم .

من شارك السلطان في عز الدنيا ، شركه في ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك المَلِكُ إيناساً فزده إجلالا .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) سورة النحل آية ٩٠ .
(٣) ا : غضب .

لا تلبسن بالسلطان فى وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه فى حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

المَلِكُ حقُّ المَلِك ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب المطامع الرديئة ، والمطاعم الدنيئة .

قال مُطَرِّف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم ، وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بنى أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شيء ، كان بدء زوال ملككم ، فقال : سألتَ فاسمع ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها ، وأبرموا[١] أموراً أسروها[٢] عنا ، فظُلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا ، وقل جندنا فزالت هيبتنا[٣] ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم[٤] علينا ، وكان أكبر الأسباب فى ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدنى أبو القاسم محمد بن نصير[٥] الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللّهُ شاءَ صَلاح قَومٍ   أَتَاحَ لَهُمْ أَكابرَ مُصْلِحِينَا

(١) ب : وأرموا .
(٢) ا : أبرموها .
(٣) ب : فزادت هيبتهم .
(٤) فظافروهم .
(٥) ب : بصير .

(١ ذَوِى رَأْيٍ ومَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ ... وإعداد لما قد يحذرونا ١)
فَلمْ يَسْتَأْثِرُوا بكثيرِ جَمْعٍ ... وكانوا للمصالح مؤثِرِينا
وَيَسَّرَهُمْ لِفِعْلِ الخَيْرِ فما ... إليهمْ من أُمور المُسْلِمِينا
(٢ وَإِنْ يشأ الإلهُ فَسادَ قوْمٍ ... أتاحَ لَهُمْ أَكَابِرَ مُعتَدِينا ٢)
ذَوِى كِبْرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجُبْنٍ ... وَإهْمالٍ لما يَتَوَقَّعُونا
فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونَا ... وَلَيْسُوا فِى العَوَاقِبِ يَفْكُرُونَا
وَجَارُوا حَيْثُما أُمِرُوا بِعدلٍ ... كأنْ قدْ قِيلَ كُونُوا جَائِرِينَا

وقال الأفوه الأودى :

لَا يَصْلُحُ القومُ فوضَى لَا سَراةَ لَهُمْ ... ولَا سَرَاةَ إذَا جُهَّالُهم سَادوا
إذَا تَوَلَّى سَرَاةُ القَوْمِ أَمْرَهُمُ ... نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ القَوْمِ وَازْدَادُوا
تَلْقَى الأُمُورَ بأهلِ الرأْىِ قَد صَلُحَتْ ... وَإِنْ تَوَلَّتْ(٣) فبالأَشْرَارِ تَنْقادُ(٤)

(٥ وقال محمد بن نصر :

لَا تحقِرَنَّ امرَءًا إن كان ذَا ضعة ... فكم وضيعٍ من الأقْوَامِ قَدْ رَأَسَا
فربَّ قومٍ حَقَرْنَاهُم فلم نَرَهُم ... أهلًا لخدمتنا صاروا لَنَا رُؤَسَا ٥)

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط أيضاً من ب .
(٣) ا : بدلت .
(٤) نهاية الأرب ٣/٦٢ ، التمثيل والمحاضرة ٥١ ، مجموعة المعانى ١٦ ، العقد الفريد ١/١٠ .
(٥) ساقط من ب .

من الأمثالِ فى السُّلطَانِ وَصُحْبَته

إذا رغب الملكُ عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاحَ للخاصَّة مع فساد العامة ، ولا نظام للدَّهْماء مع دولة الغوغاء .

الحكم[1] ميزانُ الله فى الأرض .

كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ ، وأحقّهم بالسجود لله وَالتواضع له من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه[2] .

كفارةُ عملِ السلطان الإحسانُ إلى الإخوان .

لا رَحِمَ بين الملوك و بين أحد .

للمُلُوكِ بَدَوَات[3] .

المُلك عقيم .

المُلْكُ يَبْقَى على الكُفْر ، ولا يبقى على الظلم .

سُكرُ السلطان أشدُّ من سكر الشراب[4] .

السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .

جَاوِرْ ملكاً أو بحراً .

صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، يهابهُ الناس وهو لمركبه أهيب .

---

(١) ب : الحلم .

(٢) وردت هذه العبارة مضطربة جدا فى ب .

(٣) البدوات : الآراء التى تسنح فجأة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء فيختار أحزمها .

(٤) ا : الشباب.

أجرأُ الناس على الأسَد أكثرهم له رؤية .

السُّلطان كالسُّوق ما نَفَق فيها جُلب إليها .

إن كان البحرُ كثير[1] الماء فإنه بعيد المهوى .

السُّلطانُ إذا قال لعماله : هاتوا ، فقد قال : خذوا .

الناس على دين المَـلِك .

عفو المُـلُوك أبقى للملوك .

من خَدَمَ السلطان خَدَمَه الإخوان .

ثلاثة لا أمان لهم : السّـلطانُ والبحرُ والزمانُ .

من تَحَسَّى مرقة السُّلطانِ أحرقت شفتاه ولو بعد حين .

مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أبعدهم فى المرتقى أقربهم من التلف .

---

(١) ا : قليل .

باب الكُتّاب والكتابة (١)

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « نحن أُمّة أُمِّيةٌ لا نكتب ولا نحسب »(٢) .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم »(٣) . يعنى الكتابة .

قال الحسن البصرى : لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتى الحى العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفى الحديث المرفوع : « فُشُوُّ القلم ، وفشو التجار من أشراط الساعة »(٣) يعنى بقوله فشو القلم : ظهور الكتابة وكثرة الكتّاب .

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأصحاب السنن ، ونصه عند البخارى ومسلم : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ ، صحيح مسلم ٢/٧٦١ . قال ابن حجر : وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا إلا اليسير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والكواكب . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقنا السابق على هذين الحديثين فى ص ١٣٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسَجُّوها[١] من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم فى حاجة فليترب كتابه ، فالبركة فى التراب[٢] » .

وروى عن بعض أهل التفسير فى قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] . قال : كاتب حاسب .

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أُبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ، وعثمان ، وحنظلة الأسدىّ ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له فى الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها فى ثمانية عشر يوماً .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبى رافع : إذا كتبت فألن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

---

(١) سجوها أى أغلقوها .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث والذى سبقه بنصهما ، وقد أخرج ابن ماجة فى كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبى الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفى سنده أبو أحمد الدمشقى وروايته منكرة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فأرِقّوا الأقلام ، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعانى ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلاّ الكاتب .

قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : الخَطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً .

قال المأمون : الخطّ لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدوّ عنه .

قال ابن القِرِّيّة : خط القلم يُقْرأ بكل مكان ، وفى كل زمان ، ويترجم بكل لسان ، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بنُ المنذر : ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار[1] : فلان لا يخطّ . قال : تلك الزِّمانة الخفية.

قال بعض البلغاء : صورة الخط فى الإبصار سواد ، وفى الأبصار بياض ، وهذا عندى مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

---

(١) ب : يسار .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب[١] عليهم ، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللهُ عُمْرَكَ فِي صَلَاحٍ وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا فَإِنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَا
وَنَحْنُ الكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا فَهَبْنَا لِلْكِرَامِ الكَاتِبِينَا[٢]

وذكر هذا الخبر الحارث[٣] بن أبي أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، في أخبار [٣] المنصور : أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره ، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ، وذكر الأبيات الثلاثة ، فعفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصراني أيُسْتَكتب ؟ قال : لا أرى ذلك ، وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا في أمور المسلمين ![٤] ، ما يعجبني أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بني تزيوا[٥] بزيّ الكُتّاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

---

(١) في الأصول : عتب .
(٢) انظر الأبيات والقصة في الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ١/٢٢٩ .
(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكملناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري ص ١٣٦ .
(٤) إلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .
(٥) ا : تزينوا .

قدم كتاب أبى عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له : يا أبا موسى ! ادعُ كاتبك حتى يقرأ كتاب أبى عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل المسجد . قال : ولم ، أجُنُبٌ هو ؟ قال : لا . ولكنه نصرانىّ ، فصاح عليه صيحة وانتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله ، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاوروهم بعد أن جهّلهم الله ، قال أبو موسى : فعزلته وطردته .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤتمن على سر أو يوثق به فى أمر ، من دفع القرآن وكذب النبى عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له[١] ، فلما دخل[١] عليه رأى[ ] بين يديه رجلا يهودياً كاتباً ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس — : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ، قال : نعم . فأنشده :

إنَّ الَّذى شُرِّفْتَ مِنْ أَجلِهِ يَزْعُم هذا أَنَّهُ كاذِبُ[٢]

وأشار إلى اليهودىّ ، فخجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودى مسحوباً على وجهه ، وأنفذ عهداً باطّراحه وإبعاده ، وألاّ يُستعان بأحد من أهل الذمة فى شىء من أعماله .

---

(١) ا : لهم ... دخلوا ... رأوا .
(٢) المستطرف ١/١١٢ .

[1]] اسم الكتّاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم ، فسمى الديوان باسمهم .

قال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ المغيرة بن محمد يستبطىء كتبى ، فكتبت إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْىُ وُدًّا كنتَ تَعْهَدُهُ ... وَلَا تَبَدَّلْتُ بعد الذكر نِسْيَانَا
وَلَا حَمِدْتُ إخَاءَ من أَخِي ثِقَةٍ ... إلاَّ جَعَلْتُكَ فوقَ الحَمْدِ عُنْوَانَا

(1) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة ا .

بابُ الظُّلْمِ والجَوْرِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[2] .

وفى صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرنّك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منّا من ظَلَم مسلماً أو ضرَّه أو عَزَّه أو ناكَرَه[3] » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبالى حَسَّنْت جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلا ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فالله أعلم .

لمرة بن مَحْكان فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى[4] :

أَحارِ تَبَيَّنْ فى الأُمُورِ فإنَّهُ ... إذَا الأَميرُ عَدَا فِي الحُكْمِ أَوْ فَسَدَا

فَإنَّكَ مَحْلُولٌ عليكَ وَظَاعِنٌ ... فمهما تُصِبْهُ اليَوْمَ تُدْرِكْ بِهِ غَدَا

---

(١) سورة طه ، آية ١١١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ .

(٣) عزه : غلبه فى المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .

(٤) مرة بن محكان الربيعى السعدى ، سيد بنى ربيع ، كان شاعراً مقلا مجيداً ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٦٦٧ معجم الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وال من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس القصير القاع لعمله مكيالا بهذه الصفة وإلزامه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢/١٤٤ ، الأعلام ٢/١٥٨ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ ونرجو، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ
إِذَا جارحُكُم امرِئٍ مُلْحِدٍ عَلَى مُسْلِمٍ هلَكَ الْمُسْلِمُ

الظلم فى وضع كلام العرب : وضع الشىء فى غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه فى غير موضعه .

فكل مسىءٍ ظالم ، تقول العرب للمسىء المفرط فى الإساءة : هذا أظلم من حية ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخِشَاشِ والهَوَامِّ فيهرُبُ أهله عنه ، ويخلّونه لها خوفا منها .

قال مضرّس بن لقيط الفقعسى :

إِذَا قلتُ ماتَ الداءُ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ أَتى حاطِبٌ منْهم لآخر يَقْبِسُ
لعمرُكَ لو أَنّى أُخاصِمُ حَيّــةً إِلَى فقعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِى فقعَسُ
فَمالكُمُ طُلْسًا إِلَىَّ كأَنَّكُمْ ذِئابُ الغَضاَ وَالذئبُ بالَّليل أطْلَسُ[١]

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من وَرَل[٢] ، كما يقولون : أظلم

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١٧٤/١ ، البيان والتبيين ١٨٣/٢ ، الحيوان ٧١/٥ ، والبيتان الثانى والثالث فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، منسوبين إلى عامر بن لقيط الفقعسى ، وذئاب الغضا : أخبث الذئاب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .
(٢) دابة كالضب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذنب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحيّات كلّها ، ويأ كلها أ كلا ذريعاً ، وكل شدة يلقاها ذو جُحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل ، والورل ألطف بدناً من الضب ولـكنه أشد من الضب وأجود سـلاحاً ، وله شحمة ، والأعراب يستطيبون لحم ذنبه ، والورل دابة خفيفـة الرأس والحركات ذاهبًا وجائيًا ، ويمينًا وشمـالاً ، وليس شيء بعد العَظاء أ كثر تلفتًا منه ، وبُراشِن[1] الورل أقوى من بُراشن الضب ، حكى ذلك كله عمرو بن بحر[2].

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدَحِي أَسْقِيهِمُ طَرْقَ[3] مَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ
وَلو أُخَاصِمُ أفعَى نَابُها لَثِقٌ[4] أَوِ الأَسَاوِدَ من صُمِّ الأَهَاضِيبِ[5]
لَـكُنْتُمُ مَعَهَا إِلْبًا وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ
وَلو أُخَاصِمُ ذِئبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي كُلُّهُمْ يَسْعَى مع الذيبِ[6]

قال بعض الحكماء : أعجـل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم مَن لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنيّ على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة[7] .

(١) البراشن : الذي يمد نظره ويحده .
(٢) انظر الحيوان ٤/٣١٠ .
(٣) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه .
(٤) ناب لثق : رطب من امتلائه بالسم .
(٥) الأساود : جمع أسود وهي الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .
(٦) وردت الأبيات في البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، الحيوان ٤/٣١٦ ، منسوبة لحريز بن نشبة العدوي الفزاري .
(٧) إلى هنا ينتهي النقص من النسخة ا .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهليـة حرب الفِجَار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بنى عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بنى عامر بن صعصعة طالبوا أهـــل الحرم من قريش [1] وكنانة ، بجريرة البَرَّاض بن قيس فى قتله عروة الرجال ، وكان البراض خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فألزموهم [2] ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فلذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، و نُصروا بحضور النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذى قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى : كانت وقعة ذى قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَم » .

خرج الأضبط بن قُرَيْع السعدى من بنى سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بنى سعد ، فأرسلها مثلا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ا : فلزموبهم .

وقال الأشعرُ الرَّقبَان الأسدى[١] فى قصيدة له :

وَأَنتَ مَلِيخٌ كَلَحْمِ الحُوَارِ فَلَا أَنتَ حُلْوٌ وَلَا أَنتَ مُرّ
وَحَسْبُكَ فِى النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِم غَنِىٌّ مُضِرّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب ، وكان الشعبى إذا تمثل بذلك يقول : ومن ذا الذى يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب[٢] وكان قد تاب فظُلِم ، فهم بمراجعة الضلال ، فقال :

[٣] ظلمت الناس فاعترفوا بظلمى فتبتُ فأزمعوا أن يظلمونى [٣]
فلست بصابرٍ إلا قليلاً فان لم يرعَوُوا راجعت دِينى

قال زهير :

... ومن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ [٤]

أخذه ابن دُرَيد فقال :

من ظلم النَّاسَ تحَامَوْا ظُلْمَهُ وعَزَّ عَنْهُ جانبَاهُ وَاحْتَمَى

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلالة) لا عن آبائه ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة فى المؤتلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيهما برواية مختلفة ، فرواية المؤتلف للشطرة الأولى : مسيخ مليخ كلحم الحوار ، ورواية معجم الشعراء : وأنت مليخ كلحم الحوار ، وورد البيت الثانى فى معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا إلى عمرو بن ثعلبة الشيبانى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١/١٥١ ، والأول فى عيون الأخبار ٣/٢٦٩ .
والمسيخ من اللحم : الذى لا دسم فيه ، والمليخ الذى لا طعم له .
(٢) العنبرى : من شعراء العصر الأموى ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥ ، سمط اللآلى ٣٨٤ (الأعلام ٤/٣٤٠) .
(٣) ساقط من ب .
(٤) جزء بيت ، تكملته : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ... انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[١]

وله أيضاً :

ومَنْ عَرفَ الأَيَّام معْرِفَتِي بِهاَ وبالنَّاسِ روَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ[٢]

وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الإسلام فى الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة ، وأين قول المتنبى من قول محمود الوراق :

إِنِّى وَهَبْتُ لِظَالِمِى ظُلْمِى وغفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِى
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَىَّ يَدًا فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِى
رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيَّ لَهُ حُسْنًا فَعَادَ مُضاعَفَ الْجُرْمِ
وَغَدَوْتُ ذَا أجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالإِثْمِ
فَكَأَنَّمَا الإحْسَانُ كانَ له وأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِى الْحُكْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِى وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ[٣]

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ ولا تَنْتَصِرْ فالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

---

(١) ديوانه ٤٩٠ .

(٢) ديوانه ٣١٨ .

(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحسانى فعاد ، ويروى الغنم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات فى الكامل ١/ ٢٣٤ ، العقد الفريد ٢/ ٢٨٥ .

وَكِلْ إِلى اللهِ ظلوماً فَمـــا ... رَبِّى عَنِ الظَّالِمِ بالنَّائِمِ (١)

وقال آخر :

نَامَتْ جُفُونُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يدْعُو عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ (٢)

وقال آخر :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... ولَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ (٣)

وقال آخر :

فَإِنْ قُلْتُمُ إِنَّا ظَلَمْنَا فلَمْ نَكُنْ ... ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا (٤)

وقال آخر :

تَأَنَّ ولا تَعْجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا ... وكُنْ رَاحِمًا بالنَّاسِ تبْلَى بِرَاحِمِ

كان يقال : إذا دَعَتْك الضرورةُ إلى ظُلم من هو دُونك فاذكرْ قدرةَ اللهِ تعالى على عقوبتك ، فأنقصُ الناسِ عقلا من ظَلَمَ مَنْ هو دونه .

قال الشاعر :

وَنَسْتَعْدِى الأَميرَ اذَا ظُلِمْنَا ... فمَنْ يُعْدِى إِذَا ظَلَمَ الأَميرُ

إذا كان الأميرُ عليكَ خصْماً ... فلا تُكْثِرْ فَقد غَلَبَ الأميرُ (٥)

---

(١) مجموعة المعانى ٧٥ .

(٢) مجموعة المعانى ٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .

(٤) البيت للشميذر الحارثى ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٠ ، حماسة أبى تمام ٤١/١ ، عيون الأخبار ٧٢/١ .

(٥) عيون الأخبار ٧٨/١ ، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

وَالخَصْمُ لا يُرْتَجَى النَّجَاحُ له ... يَوْمًا إذَا كَانَ خَصْمُهُ القَاضِى[1]

وقال آخر:

من يكن القاضى أبَاهُ فَلْيَبِتْ ... فى رَاحةٍ مِنْ خَصْمِهِ لَا يَلْتَفِت

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، قال كعب: والذى نفسى بيده إنها لكذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف. يعنى فى التوراة.

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً، فقال: ما شاء الله! كان الوليدُ بن عُتْبَة بالشام، والحجاج بالعراق، وقُرَّة بن شريك بمصر، وعثمانُ بن حَيَّان بالحجاز، ومحمدُ بنُ يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلمًا وجَوْرا.

ولعَون بن عُبَيْد الله بن عُتْبَةَ بن مَسْعود:

وَأَوَّلُ مَا نُفَارِقُ غيرَ شَكٍّ ... نُفارِقُ مَا يَقُولُ المارِقُونَا

وقالوا: مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ ... وقد حَرُمَتْ دِماءُ المُؤْمِنِينَا

وقالوا: مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرٍ ... وَلَيْسَ المُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا[2]

وقال أبو العتاهية:

أَمَا واللهِ إنَّ الظُّلمَ لُؤْمٌ ... وما زالَ المُسِيءُ هوَ الظَّلُوم

---

(١) محاضرات الأدباء ١/ ٩٨، التمثيل والمحاضرة ١٩٣، عيون الأخبار ١/ ٧٨.

(٢) انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/ ٣٦٥.

إلى ديَّانِ يوم الدِّين نَمضِي ... وعند اللهِ تجتمع الْخُصُومُ
ستعلمُ في الحساب إذا الْتَقَيْنا ... غدًا عندَ الإلهِ مَنِ الْمَلُومُ[1]

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك.

قال الشاعر :

إذا جارَ الأميرُ وكاتباه ... وقاضي الأرض داهَنَ في القَضَاءِ
[2]فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ ... لقَاضي الأَرْضِ من قاضِي السَّماءِ[3]

---

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .
(٢) المستطرف ١/١١٩ .

بَابُ الْعَفْوِ والتَّجَاوُزِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللهُ عَبداً بعفوٍ إلَّا عزًّا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرحَمْ لَا يُرْحَم ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وقال عليه السلام : « ما نزِعَتِ الرَّحْمة إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .

وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ الله لكم » .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء » .

وفى الأثر المرفوع أنه : « يُنادِي المُنَادِي فى بعض مواقف القيامة : لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عند الله ما يُحْمَدُ له ، فلا يقوم إلَّا من عفا » .

وفى الحديث أيضاً : « إن الله عفوٌ غفور يُحبُّ العفوَ عن عباده » .

وقال صلّى الله عليه وسلَّم : « أقيلوا ذَوِى الهيئات زَلّاتهم » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل العفو عند القُدْرة ، وأفضل القصد عند الجِدَة .

قال سعيد بن المسيب : لأن يخطىء الإمام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة .

قال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة .

طلب عبدُ الملك بنُ مروان رجلا فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حَيْوَة : يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه .

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبدالله ابن على : الانتقام عدْلٌ ، والتجاوزُ فضْل ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقصُ الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبى صفرة : خيرُ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيى فى العفو ، فسَلِمَتْ لى صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئًا ألذَّ عندى من غيْظٍ أتجرعه ، ولم يعرف قيمة الأبَّهة[1] من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ .

اعتذر رجل إلى الهادى فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب علىَّ ذنبًا لم أجنه ، وردِّى عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ، ولكنى أقول :

---

(١) فى ا : الأبهة ، وفى ب : الأئمة .

فإنْ كنتَ ترجُو فِي العقوبةِ رَاحَةً فَلاَ تَزْهَدَنْ عند المعافاةِ فِي الأَجْرِ[١]

فَعفَا عنه .

قال منصورٌ الفقيه :

وقال نَبيُّنَا فيما رَوَاهُ عن الرحمٰنِ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ
مُحالٌ أن يَنَالَ العَفْوَ من لا يَمُنُّ به على أهْلِ الذُّنُوبِ[٢]

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِيئاً كالذى قُلْتَ ظَالِماً فعفوٌ جَميل كى يكونَ لكَ الفَضْلُ
فإنْ لم أكُنْ للعفوِ أهْلًا لسُوءِ ما أتيتُ بِهِ جَهْلًا فأَنْتَ لَهُ أَهْلُ[٣]

سُئل ثعلب عن معنى : فهبنى مسيئًا . قال : معناه اعددنى مسيئًا .

قال محمّدبن على بن حُسين : من كظم غيظا يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيمانًا .
وروى هذا مرفوعاً إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

ومما ينسب الى عمرو بن العاص :

وَبَعضُ انتِقَامِ المَرْءِ يُزْرِى بِعَقْلِهِ وَإِن لم يَقَعْ إلاَّ بِأَهْلِ الجَرَائِمِ
وَذِكْرُ ذنوبِ الوَغْدِ تَرْفَعُ ذِكْرَهُ فدَعْهُ صَرِيعَ النَوْمِ تَحْتَ القَوَادِمِ

---

(١) البيت فى الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٦٩ ، والعقد ٢/ ١٩ ، المستطرف ١/ ٢٢٣ .
(٢) المستطرف ١/ ٢١٣ .
(٣) البيتان للصولى ، انظر معجم الأدباء ١/ ١٨٦ ، ووردا فى العقد ٢/ ١٤٣ بغير نسبة .

وفى معنى هذا البيت الأخير ، قول ذى الرمة :

قيل لى : قد هَجَاكَ مَوْلَى زِيادٍ　　فَأَجبه ، فقلت : لَيْسَ بِكُفْوِى[١]
لستُ أهجُوه إنَّه خاملُ الذِّكْـ　　ـرِ لعَلَّ الخَسِيسَ يَعْلُو بهَجْوِى
هو كالـكَلْبِ يَنْبَحُ اللَّيْثَ رُعْبًا　　فَذَرُوه يهِرّ بعْدِى[٢] ويَعْوِى
هو من سَطْوتى وبأسِ هِجَائى　　فى أَمانٍ ما بَيْنَ حِلْمِى وعَفْوِى[٣]

كتب على بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إنْ تعفُ عَنْ عبدِكَ المُسِيءِ فَفِي　　فَضْلِكَ مَأْوَى للصَّفْحِ وَالْمِنَنِ
أَتيتُ ما أَسْتَحِقُّ من خَطَـإٍ　　فَجُدْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ[٤]

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أَعوذُ بالوُدِّ الَّذى بَيننَا　　أنْ يَفْسَدَ الأَولُ بالآخِرِ

وله أيضاً :

أَقِلْنى أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ　　يَقِيكَ وَيَطْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى[٥]

وقال آخر :

أَلَا إنَّ خيرَ العفو عَفْوٌ مُعَجَّلٌ　　وشَرٌّ[٦] العِقَابِ ما يُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ[٧]

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط من نسخة ب .
(٢) ب : بعد .
(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوانه .
(٤) إعتاب الكتاب ١٦٤ ، عيون الأخبار ٣/ ٩٩ .
(٥) البيت فى عيون الأخبار ١/ ١٠١ ، ونسبه فى نفح الطيب ٢/ ١٢٦ إلى الحاجب أبى جعفر المصحفى .
(٦) ب : وخير .
(٧) ا : ما يحاز به العذر ، وفى عيون الأخبار ١/ ١٠١ : ما يجاز به .

وقال أعرابى :

يَا رَبِّ قد حلفَ الأَقْوامُ وَاجْتَهدوا أيمانَهم أَنَّنِي من ساكِنِي النَّارِ
أَيَحلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ وَيْحَهُمُ[1] جَهْلًا بعفوِ عَظِيمِ العَفْوِ غَفَّارِ[2]

وقال آخر :

يَارَبِّ عَفوَكَ عَنْ ذِى تَوْبَةٍ وَجِلٍ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّـــارِ مَجْنُونُ
قد كان قَدَّمَ أعمالاً مُقارِبَةً[3] أيّام لَيْس لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ[4]

---

(١) ب : ويلهم .
(٢) البيتان فى البيان ٣/٣٧٩ بدون نسبة .
(٣) ا : مقارفة .
(٤) البيتان لعبيد بن أيوب العنبرى ، انظر البيان والتبيين ٣/٣٧٩ .

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصُّرَعَة[1] ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دُلَّني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .

وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبتَ قائماً فاقعُد ، وإذا غضبتَ قاعداً فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلِمْتَ فارضَ بنصرتي لك ، فإنها خيرٌ من نصرتك لنفسك[2] .

قال عيسى عليه السلام : يباعدُك من غضب الله ألا تغضب .

أنشد ثعلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفَاءَ بِكلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مِمَّا يغيظُكَ فِي ازْدِيَادِ[3]

قال سليمانُ بن داود عليهما السلام : أُعْطِينا ما أُعْطِى الناسُ وما لم يعطوا ، وعُلِّمنا ما عُلِّمَ الناس وما لم يُعَلَّموا ، فلم نَرَ شيئاً أفضل من العدلِ فى الرضا والغضب ، والقصدِ فى الغنى والفقر ، وخشيةِ اللهِ فى السرِّ والعلانية .

قال عليُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : إنما يُعْرَف الحلمُ ساعة الغضب .

---

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ا : وإذا طلبت فارض بتصرفى لك ، فإنه خير من تصرفك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١ / ١١٠ .

وعنه أيضًا : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزّ [١] الغضب بذلِّ الاعتذار .

وروى : كل العطب فى الغضب [٢] .

قيل للشعبي : لأى شيء يكون السّريع الغضب سريعَ الفيئة ، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقودًا أسرعها خموداً . وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة القرشي التيمىّ [٣] عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلهما مثل النار فى الحطب ، أسرعها وقودًا أسرعها خمودًا .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين ! إن سليمانَ أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسفَ قَدَر فغَفَر ، وقد جعلك الله من قبيل [٤] الذين يعفون ويصفحون ، فطفىء غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضى مجلس أبى جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! لا تغضب لله بما [٥] يُغضِب الله .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ا ، ب : وربما كان العطب فى الغضب .
(٣) ب : التميمى .
(٤) ب : اسل .
(٥) ب : فيما .

العرب تمدح بترك الغضب .

كان يقال : من أغضبته[١] أنكرته .

قال الشاعر :

لم أقضِ مِنْ صُحْبَةِ زيدٍ أَرَبى فَتًى إذَا نَهْنَهْتُهُ لَمْ يَغْضَبِ
أبيضُ بَسّامٌ وَإنْ لم يَعْجَبِ وَلَا يَضِنُّ[٢] بالمَتَاعِ المُحْقَبِ
مُوَكَّل النَّفْسِ بحفظِ الْغُيَّبِ أقصى رَفِيقَيْهِ لهُ كالأقْرَبِ[٣]

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ[٤]

قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه .

---

(١) ا : أبغضته .
(٢) ب : ولا يظن .
(٣) نهاية الأرب ٣/٢٣ وانظر عيون الأخبار ٣/٢٣ .
(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يَعُوده ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أرجو وأخاف ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسِي بِيَدِه ، ما اجتمعَتا فى قلب رَجُلٍ إلّا أعْطَاهُ الله خير [1] ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف » .

قال أبو الدَّرْداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مُطَرِّف بن عبد الله الشِّخِّير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مَكْرَه ، وخف الله مخافة لا تأيسنّ فيها من رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنما لى قلب ؟ فقال : يا بنى ! إن المؤمن كذى [2] قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال علىّ بن أبى طالب : خذوا عنى هذه الكلمات ، فلو رَحَّلْتُم فيها المَطِىَّ حتى أنضيتموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلّا ربّه ، ولا يخاف إلّا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه فى كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف اللهَ ورجاه ، آمَنَهُ خوفَه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه ، فقال: اللهم إنى أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائى ، وآمن خوفى عليه .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يَسار[١] : ما أدرى فيم[٢] خوف امرىء ورجاؤه إذا لم يمنعاه من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبّراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هانئ[٣] وتنسب للشافعي رضى الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللهَ وارْجُوهُ لِكلِّ عَظيمَةٍ   وَلَا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجا   وَأَبْشِرْ بعفوِ اللهِ إنْ كُنْتَ مُسْلِماَ[٤]

وفيها :

فلَما قَساَ قَلْبِي وَضاقتْ مَذَاهِبِي   جعلتُ الرَّجا مِنِّى لِعَفْوِكَ سُلَّماَ

وَله :

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ آمَنَنِي   من أَنْ أَخاَفَكَ خَوْفُكَ اللهَ[٥]

وقال العتابى :

رَحَلَ الرَّجاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِباً   حُشِدَتْ إِلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : ما .
(٣) ب : سهل ، ا : وهب
(٤) الأبيات فى معجم الأدباء ٣٠٣/١٧ منسوبة إلى الشافعى رضى الله عنه ، وهى فى ديوان أبى نواس ٦٨ .
(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ٧٠/١ وذكر أنها لأبى نواس فى استعطاف الفضل بن الربيع .

رَدَّتْ إليكَ نَدَامَتِي أَمَلِي وَثَنَا إليكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجعلتُ عَتْبَكَ عَتْبَ موعظةٍ ورجاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعرابى ، وقد أدخله البعيث فى شعره :

وإنى لأرجُو اللهَ حتّى كأنما أرى بِجميلِ(١) الظَّنِّ ما اللهُ صانِعُ(٢)

وقال منصور الفقيه :

قَطَعْتُ رجائى مِنْ بَنِى آدم طُرًّا فأصبحتُ من رِقّ الرَّجاءِ لَهُمْ حُرًّا
وَعَدَّلَ يأسِى بينهـم فأَجَلُّهُمْ - إذا ذُكروا - قَدْرًا كأَدْنَاهُمُ قَدْرَا
غَنِىٌّ لَهُمْ باللهِ لا مُتَطَاوِلًا عَلَى أحدٍ منهم وَلا قَائِلًا هُجْرَا
وكيف يعيبُ النَّاسَ بالمنعِ مؤمنٌ يَرى النَّفع مِمنْ يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضُّرَّا
عليهِ اتّكَالِى فى الشَّدَائدِ كُلِّهَا وَحَسْبِى به عند الشَّدَائِدِ لِى ذُخْرَا

أنشدنى عبدُ اللهِ بن محمد بن يوسف رحمه اللهُ لنفسه :

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وَخَائِفُ
فَمَنْ ذَا الَّذِى يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِى وَمالَكَ من فصْلِ القضاءِ مخالِفُ
فيا سيّدى لا تُخْزِنى فى صحيفتى إذَا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصَّحائفُ

---

(١) ب : الجميل .
(٢) العقد الفريد ٣/ ١٨٠ ، عيون الأخبار ١/ ٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٩ ، وقد نسب البيت فى الكامل ١/ ٢٣١ إلى محمد بن أبى وهيب ، ونسب فى زهر الآداب ٣/ ٢٥٤ لمحمد بن أبى حازم الباهلى .

وكن مُؤنِسِى فى ظلمةِ الْقَبْرِ عندما ... يَصُدُّ ذَوُو وُدِّى ويَجْفُو المُؤَالِفُ
لئن ضاقَ عنِّى عَفْوُكَ الواسِعُ الَّذى ... أُرَجِّى لإِسْرافى فإِنِّى لتالفُ[١]

وقال أبو العتاهية :

إذَا مَا اتَّقى اللهَ امرؤٌ لانَ جانِبُه[٢] ... وقَارَبَ بالإِحْسَانِ مَنْ لا يُقارِبُهْ
يَقولُ الْفَتى أَرجُو وأَرْجُو وَمَا لَه ... نزوعٌ[٣] عن الذَّنبِ الذى هو رَاكِبُهْ
ألا لَيْسَ يرجُو اللهَ من لّا يَخَافُهُ ... وليس يَخَافُ اللهَ مَنْ لا يُرَاقِبُهْ
من النَّاسِ من لا يُبْصِرُ الدَّهْرَ جَهْلَهُ ... ويَزْدَادُ فيه الضِّعْفَ حتّى يُعَاتِبُهْ
كفى بصروف الدهر علماً وحكمة ... لمن لم يَخُنْـــه علمُهُ وتجارِبُهْ
ومن لم يثق باللهِ لم يَصْفُ عَيْشُهُ ... ومن ضاق عنه الحقّ ضاقَتْ مذَاهِبُهْ[٤]

كان أبو سعيد السيرافى كثيراً ما ينشد فى مجلسه :

اسكنْ إلَى سَكَنٍ تسرُّ بِهِ ... ذهبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنفَرِدُ
تَرجُو غداً وَغَدٌ كحاملةٍ ... فى الْحَىِّ لا يَدْرُون مَا تَلِدُ[٥]

قرأت على سعيد بن نَصْر ، أن ([٦] قاسِمَ بنَ أصْبَغ حدثهم [٦]) ، قال حدثنا عبدالله ابن رَوَّاح المَدَائنىّ ، قال يزيدُ بنُ هرون ، قال : حدثنا أبو موسى التميمى ، قال :

---

(١) الأبيات فى نفح الطيب ٣/١١٢ .
(٢) ا : قلبه .
(٣) ا : فروغ . (٤) ديوانه ١٠ .
(٥) البيتان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .
(٦) ساقط من ب .

توفيت النَّوَارُ امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوهُ أهـل البصرة ، وخرج فيها الحسنُ ، فقال للفرزدق : ما أعددتَ لهذا اليوم يا أبا فراس ؟ قال : شهادةُ ألّا إله إلّا الله منذ ثمانين سنة ، فلما دُفنت قام الفرزدقُ على قبرها فقال :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ —إنْ لَمْ يُعَافِنِي— أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التهابًا وَأَضْيَقَا
إذا جاءني يومَ القيـــامة قائدٌ عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقد خاب من أولادِ آدم من مشى إلى النار مغلولَ القِلادةِ أَزْرَقَا[1]

[2] قال : فبكى وأبكى [2] .

(١) الأبيات في الديوان ٥٧٨ ، الكامل ٧١/١ ، ورواية الديوان : دارم مكان آدم ، ومشدود الخناقة بدلا من مغلول القلادة . وفي الكامل : إذا قادني مكان إذا جاءني ، وموثقاً مكان أزرقا .
(٢) ساقط من ب .

بابُ العافيَةِ والْبَلاء

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلم : « سلُوا اللهَ العافيَةَ والمعافاةَ في الدُّنْيَا والآخرة ، فإنه لم يؤتَ عبدٌ بعدَ اليقين باللهِ بأفْضلَ من المُعافاة[1] » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « مَنْ يُردِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « أشدُّ الناسِ بلاءً النبيُّون ، ثم الأمثل فالأمثل » . والأحاديثُ عنه صلّى اللهُ عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جدًّا .

قال عيسى عليه السلام : إنما النّاس مبتلًى ومعافًى ، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم ، وسلُوا الله العافية .

قال على بن الحسين : ما صاحبُ البلاءِ الذى قد طَالَ به أحقّ بالدعاءِ من المُعافَى الذى لا[2] يأمن البَلاء .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : لأن أُعافَى فأشْكُر ، أحبّ إلىَّ من أن أُبْتَلَى فأصبر ، قال مطرِّف : ونظرت في النعمة التى لا يشوبها كدر فإذا هى العافية .

قال سليمانُ التَّيْمى : إن المؤمنَ ليبتلَى ويُعَافَى ، فيكون بلاؤُه كفارةً واستعتابًا ، وإن الكافرَ ليبتلى ويعافى فيكون مثل بعيرٍ عقل ، لا يدرى فيم عُقل ولا لم أرسل .

---

(١) ا : اليقين .

(٢) ساقط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأيْتُ البَلاءَ كَقَطْرِ السَّماءِ   وَمَا تُنْبِتُ الأَرْضُ من نَامِيَهْ[(١)]
فلا تسألنَّ : إذَا مَا سَألْتَ   إِلٰهكَ شَيْئًا سِوَى العَافِيَهْ

وله أيضًا :

حفظ الْفَتَى لسانَهُ   محبةٌ فى العَافِيهْ
وَاقية من الْبَلاءِ إن   كانَ منه واقيــهْ

قال أكثم بن صيفى : العافيةُ الْمُلْكُ الخفىّ .

(٢ كان يقال : لا خير فى بدن لا ينكأ ، ولا فى مال لا يرزأ ٢) .

كان يقال : من عمل بالعافية فيمن هو دونه رِزِقها ممن هو فوقه .

قال الشاعر :

بَلاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلاءٌ   عداوةُ غيرِ ذِى حَسَبٍ وَدِينِ
يُبيحُكَ منهُ عِرِضًا لم يَصُنْهُ   ويرتعُ منكَ فِى عِرضٍ مَصُونِ[(٣)]

وقال آخر ، وهو أبو راسب :

فلوْ أَنِّى بُليتُ بِهَاشِمِىٍّ   خُؤُولَتُه بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ
صبرتُ عَلَى عَدَاوَتِهِ ولـكِنْ   تعالوا فانظروا بِمَن ابْتَلاَنِى[(٤)]

---

(١) ا : هامية .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعلى بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١٢٢/١ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١/٣ ، العقد الفريد ٢٥٠/١ ، ٣٣٩/٢ .

(٤) نسب البيتان فى المستطرف ٢٥٠/١ إلى زياد بن عبد الله ، ونسبا فى الكامل ٦١/٢ إلى دعبل بن على الخزاعى .

قال بشار بن برد :

إِنِّى وَإِنْ كانَ جَمْعُ المال يعجبنى   فليس يَعْدِلُ عندى صِحَّةَ الجَسَدِ
فى المال زَيْنٌ وفى الأولادِ مَكْرُمَةٌ   والسُّقْم يُنسيكَ ذِكْرَ المالَ والْوَلَدِ[1]

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « البلاء مُوَكَّلٌ بالقول » .

أخذه الشاعر فقال :

إِنَّ الْبَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ[2]

وقال آخر :

فإِذَا رَأَيْتَ أَخَا البليّةِ فاستعذ   باللهِ من شَرِّ البلاء النّازِلِ

قال إبراهيمُ النَّخَعِى : كانوا يكرهون أن يسألوا اللهَ العافيةَ بحضرة المبتلى .

---

(١) لم أعثر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لصالح بن عبد القدوس كما فى حماسة البحترى ١٦٨ ، وانظره فى المستطرف ١/١٠٢ ، معجم الأدباء ١٣/١٧٥ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطِّبِّ

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم : « أَنْزَلَ الدَّاء الذى أنْزَلَ الأَدْوَاء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خير ما تداويتم به الحِجَامة » .

وقال عليه السلام : « إن كان دواء يبلغ الداء فالحجامة تبلغُه » .

قال محمد بن سيرين : كنا بساباط المدائن ، فمر بى رجل ، فقيل لى : هذا حَجَمَ[1] كسرى ، فدعوته ، فقلت له : أنت حجمت كسرى ؟ قال : نعم . قلت : وكم حجمته ؟ قال : واحدة . قلت : ولم اقتصر على واحدة ؟ قال : كان يقول : آخذ من الدواء أدناه ، فإن كان نافعاً أخذت من نفعه ، وإن كان ضارًّا لم أكن استكثرت من ضرره .

روى النَزَّالُ بن سَبْرة[2] ، عن علىّ ، أنه قال : من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه كل دائه ، ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم لم ير فى جوفه شيئاً يكرهه ، واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ، ولبنها دواء ، وسمنها شفاء ، والشحم يخرج مثله من الداء . قال النزال : أظنه يريد شحم البقر . قال علىّ رضى الله عنه : وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمك يذيب البدن ، أو قال : الجسد ، ولم تستشف النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن يُذْهبان البلغم ، ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكرْ الغَدَاء ، وليخفف الرِّدَاء ،

---

(١) ب : يحجم .

(٢) ب : شبرمة ، تحريف .

وليقلّ غِشْيَان النّساء . قيل له : يا أُمير المؤمنين ! وما خفة الرِّداء ؟ قال : خفة الدَّيْن .

قال شُرَيح : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بنُ خُرَيم بن الأغَر : دع الدَّواء ما احتمل جسمُك الداء .

سئل الحارثُ بن كَلَدة طبيب العرب : ما الدواء الذى لا داء فيه ؟ قال : هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام .

قال غيره : هو أن يقدَّمَ الطعام إليك وأنت تشتهيه ، ويرفع عنك وأنت تشتهيه .

قالوا : ثلاثة تقتل : الحمَّام على الكِظَّة ، والجماع على البِطْنة ، والإكثار من أكل القديد اليابس .

كانوا يقولون : لو أمات العليلَ الداءُ أعاشه[1] الدواء .

قال الربيع بن خُثَيْم : ذكرت عادًا وثمود وأصحاب الرسّ وقرونًا بين ذلك كثيراً ، كانت فيهم الأدواء ، وكانت فيهم الأطباء ، فلا المُداوِى بقى ولا المُدَاوَى .

وقيل له فى علَّته : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ فقال : قد نظر إلى الطبيب . فقيل له : ما قال لك ؟ فقال : إنِّى فعال لما أريد .

وهذا نحو قول أبى الدرداء ، وقد قيل له : ألا ندعوك لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضنى . وقد أوردنا عن العلماء فى هذا المعنى ما فيه كفاية يكتفى بها فى كتاب « التمهيد » والحمد لله .

---

(١) ب : أقامه .

ولأبى العتاهية ، ويروى لغيره :

إنَّ الطَّبيبَ بِطبِّهِ وَدَوائِهِ لا يَستَطِيعُ دِفَاعَ مَكرُوهٍ أتَى
ما للطَّبِيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذى قد كان يبرئُ مثلَهُ فيما مَضَى[1]

كان سفيان بن عيينة ، يستحسن قول عدىّ بن زيد ، حيث يقول :

أينَ أهلُ الدِّيَارِ من قوم نُوحٍ ثمَّ عَادٌ من بَعدِهِمْ وَثَمُودُ
بَيْنَمَا هم عَلَى الأسِرَّةِ وَالأنْـ ـمَاطِ أفضتْ إلَى التُّرَابِ الجلودُ
ثمَّ لم ينقضِ الحديثُ ولـكنْ بعد ذَا الوَعْدُ كُلُّهُ والوعِيدُ
والأطِبَّاءُ كلُّهُمْ لَحِقُـــوهم ضَلَّ[2] عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ واللَّدُودُ
وصحيحٍ أضْحَى يعودُ مريضًا وَهْوَ أدْنَى للموتِ ممنْ يعودُ[3]

أخذه على بن الجهم ، فقال :

كَمْ مِنْ عَليلٍ قَدْ تخَطَّاهُ الرَّدَى فنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ[4]

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لك ظلَّ الشَّبَابِ المشيبُ ونَادَتْكَ باسمِ سِوَاكَ الخُطُوبُ

---

(١) ديوانه ١٠ ، ويروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور مكان مكروه .
(٢) ب .ظل .
(٣) الأبيات فى : العقد الفريد ١٨٨/٣ عدا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والخدود مكان الجلود ، وانظر معجم الشعراء ٢٥ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقَبْلَك داوى المريضَ الطبيبُ فعاشَ المريض ومَاتَ الطّبيبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ من يتوبُ فكيف تَرَى حالَ مَنْ لايتوبُ[١]

وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إنْ أنَا سَمَّيْـ تُ مُحْسِنًا أوْ مُصيبًا
من لّا يُعَاشِرُ إلّا مُنَجِّمًا أوْ طَبِيبًا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدى[٢] :

هل للفَتَى منْ بنَاتِ الدَّهْرِ منْ وَاقِ أمْ هلْ لَهُ من حِمَام الْمَوْتِ من رَاقِ
هَوِّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإشْفاقِ فإنَّما مالُنَـا لِلْوَارِثِ البَاقِي

وقال ابن الطَّثْرِيَّة[٣] :

وكنتُ كَذِي داءٍ تَبَغَّى لِدَائِهِ طَبِيبًا فلمَّا لَمْ يَجِدْه تَطَبَّبَا

وقال محمود الوراق :

قَد قلتُ لَمّا قال لى قائِلٌ[٤] قد صَارَ بُقْرَاطُ إلَى رَمْسِهِ
فأَيْنَ ما دَوَّنَ مِنْ كُتْبِه وَجَمْعُهُ الأحْجار مَعْ جِنْسِهِ[٥]

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلىأبى حفص الشطرنجى فى الأغانى ٧٢/١٩ ، ووردت فى عيون الأخبار ٣٢٧/٢ ، العقد الفريد ١٨٠/٣ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين فى الشعر والشعراء ٢٤٦ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢٤٤/٣ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بنى أمية ، نسبته إلى أمه من بنى «طثر» من عنز بن وائل ، قتل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته فى وفيات الأعيان ٢٩٩/٢ وسمط اللآلى ١٠٣ ، وانظر البيت فى الشعر والشعراء ٣٦٣ ، معجم الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٤) ب : قد قلت للقائل الذى قال لى .

(٥) ب : من جنسه .

لم يُغنِـــهِ إذا حُمَّ مِقْدارُهُ ولم يُساوِ الْعُشْرَ مِنْ فَلْسِهِ
هَيْهاتَ لا يَدْفَعُ عن غَيْرِه من كانَ لا يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يَا سيدًا باتَتْ الْقُلُوبُ — لِأنْ بَاتَ كما لا يُحِبُّ — مُحْتَرِقَهْ
إنّ ذَوِي الطّبِّ — لا أقولُ بِما لا يَعْلَمُ رَبِّي خلَافَه — فَسَقَهْ
فَلاَ تُشاوِرْهُمُ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى شَحِيحٍ بدِينِهِ شَفَقَهْ
وَاتْلُ من الْوَحْيِ ما اسْتَطَعْتَ ولَوْ فِي كلِّ يَوْمٍ وليلةٍ وَرَقَهْ
فَمَا يُداوِي العَلِيلُ يَرْحَمُكَ اللَّـــهُ بِمثْلِ الْقُرْآنِ والصَّدَقَهْ

جاء فى الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فَلْيَشْتَرِ به عسلاً ، ثم ليشربه بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَاذا الَّذِي أنْزَلَنِي(١) مَنْزِلِي عِلْمِي بِمَا أنْزَلَهُ مَنْزِلَهْ
إنْ كُنْتَ فِي الصِّحَّةِ ذَا رَغْبَةٍ فاعْتَضْ من الْمَجْزَرَةِ الْمُبْقَلَهْ
واستَعْمِلِ الْمَاشَ(٢) وأَشْبَاهَهُ وباعد الميل عن الْمُكْحُلَهْ
فإنَّمَا الْجَـــاهِلُ كلّ امرىء يَأْكُلُ فِي الصِّحَّة ما عَنَّ لَهْ

(١) ا : أكبر لى ، ب : ألزمنى .
(٢) الماش : حب نافع للمحموم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنـه : دخلت على الشيخ أبي الوليـد بن عباد ، عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئا[١] من حسو[١] ، فقلت له : يا سـيدى ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شيء تاقت نفسى إليـه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فانصرفت من عنده ، ثم كتبت إليه :

يَا سليلَ الـكِرَامِ منْ آلَ لَخْمٍ ... وَأَخَا الرَّأيِ والدَّهاَ وَالوَفَاء
إنَّ لى من سقام جِسْمِكَ سُقْماً ... ثابتًا فى الفؤاد والأحْشاَءِ
وبقَلْبِي مَّمَا بجِسْمِكَ ضِعْفٌ ... للذى تشتـكي من الأدْوَاء
وَبوُدِّى لو كنتُ عنكَ فداءً ... بَدَلاً عنـــد هَجْمَةِ الضَّرَاء
فاقبلِ النُّصْحَ سيِّدى وَاسْمعِ الْقوْ ... لَ فإنِّى أحْكي عن الحُـكَماَء
لا يُدَاوَى الإسْهَال بالإحْتِساَءِ[٢] ... لاَ وَلاَ بالأمْرَاقِ وَالْبَاقِلاَء
إنَّمَا الطبُّ طَرْدُكَ الضِّدَّ بالضِّ ... دِّ ودَفْعُ الأهْوَاء بالإحْتِمَاء
حَسْمُ ذَا الدَّاء ما كانَ قُوتًا ... يَأْلَفُ الطَّبْع فِي قِوَامِ الغِذَاء
وعَلَيْكَ الدُّعاَءَ فَاللهُ يَشْــفِي ... لَيس شافٍ سِوَاه منْ كلِّ داء
نعم عونُ العليلِ تَوبةَ صِدْقٍ ... وكَذَا البرُّ جالبٌ للشفاءِ
وَســـلامٌ عليك مِنِّىَ دأْبًا ... مَا جرَى الدَّمع قاطعًا للسَّماء

---

(١) ا : ساقط من ب.
(٢) ا : بالحسو لالا .

ولمنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَىَّ[1] أَمْثَا   لِيَ عَنْهُ النُّصْحَ بِدْعَهْ
لَوْ مَطَلْتَ النَّفْسَ بِالفَرُّو   جِ[2] بَعْدَ اليَوْمِ جُمْعَهْ
لَمْ تَمُتْ هَمًّا وَلَمْ تَدْ   مِمْ[3] بِكَ الحُمَّى بِسُرْعَهْ
فَاحْتَرِسْ بَعْدُ فَحَسْبُ الْ   مَرْءِ أَنْ يُخْدَعَ خِدْعَهْ

---

(١) ب : يا شريفا طب. شر ، ا : يا شريف طبى .
(٢) ب : بالقروح .
(٣) ا : تلزمك .

بابُ الطَّاعَةِ والمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] . وقيل فى تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا فى معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود فى قول الله عزّ وجل : ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[2] : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويذكر فلا يُنسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها[3] : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[4] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يقول الله عزّ وجلّ : يا ابن آدم ! ما أنصفتنى أتحبّب إليك بالنّعم ، وتتبغّض إلىّ بالمعاصى ، خيرى إليك نازلٌ ، وشرّك إلىّ صاعدٌ ، كم[5] من ملك كريم يصعد إلىّ منك بعمل قبيح » .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .
(٣) ا : ونسختها .
(٤) سورة التغابن ١٦ .
(٥) ساقط من ب .

قال الهلالىّ : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمعصية الله ، أذاقه الله ذُلاًّ بحقّ .

قال على بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجهل فى عقله ، وذل المعصية فى قلبه ، ولم يستبن موضع الخل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يَرْغب عن ذنبه ، ولا يَنْزِعُ عن حال مَعْجزةٍ ، ولا يكترث لفضل ما بين حجّة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصى إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هَاكَ(١) الدَّليلَ لمن أرا دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالْ
وأرَادَ عِزًّا لم تُوَطِّدْهُ العَشَائِر بالْقِتَالْ
ومَهَابَةً من غَيْرِ سُلْ طَانٍ وَجاهًا فِي الرِّجَالْ
فَلْيَعْتَصِمْ بدُخُــولِهِ فِي عزِّ طَاعة ذى الجلالْ
وَخُرُوجِهِ من ذلة الْ مَعاصِى لَهُ فِي كلِّ حالْ

قال الحسن : لا يغرك توطّيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت(٢) بهم خيولهم ورفرفت(٣) بهم ركابهم ، إن ذل المعصية فى قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

---

(١) ا : فأنا ، م : ها أنا .
(٢) هملجت : ذلت وانقادت .
(٣) ا : دفترت .

كان يقال : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلَّتْ آثاره ، والمعصية مقرونةٌ بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسَّتك رحمتُه ، ونالك معروفه .

كتب ابن السَّماك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة .

ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فما ضرَّ ، وأطيع فما نفع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعْصِي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تظهر حُبَّه هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَو كان حُبُّكَ صادِقًا لأَطَعْتَهُ إن الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فى كل يوم يبتديك بنعمةٍ منه وأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضيعُ(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمُلْكُ والعِزّ والمُرُوءةُ والفِطْ نَةُ(٢) والنبلُ واليَسَار مَعًا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ١/٢٣٤ ، العقد الفريد ٣/٢١٥ ، وتنسب أيضاً لذي الرمة ، زيادات الديوان ٦٧٠ .
(٢) ساقطة من ب .

مجتمعاتٌ فى طاعة العبد [١] لِلَّـ ـهِ إذَا العبدُ أعْمَلَ الوَرَعَا
واللُّؤْمُ والذُّلُّ والضَّرَاعة والْـ ـفَاقَةُ فِي أَصْلِ أُذن مَنْ طَمِعَا[١]

وقال أبو العتاهية :

أرَاكَ امْرَءًا ترجُو منَ الله عَفْوَهُ وأنتَ عَلَى ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
فحتّى مَتَى تَعْصِي ويعفُو[٢] إلى مَتَى تبَارَكَ رَبِّى إِنَّهُ لرَحِيمُ[٣]

وله أيضاً :

أَطِعِ اللهَ بِجَهْدِكْ صَادِقًا أَوْ بَعْضِ جَهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطْـ ـلُبُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكْ[٤]

---

(١) انظر البيتين الأولين فى المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .
(٢) ا : وتهفو .
(٣) ديوانه ٢٤٢ .
(٤) ديوانه ٨٦ .

بابُ الْغِيْبَةِ وَالنَّميمَـةُ

قال الله عزّ وجل : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[1] ، قال مجاهد : هو الطعّان الآكل لحوم الناس .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو فى بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ، فهو الرجل .

وقع بين سعد وخالد كلام ، فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد ، فقال سعد : مه ، إن ما بيننا لم يبلغ دِينَنَا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلتَ فى أَخِيك ما فيه مما يَكْرَه فقد اغْتَبْتَه ، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البُهْتان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

---

(١) سورة الهمزة آية ١ .
(٢) سورة الحجرات آية ١٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا غيبة فيهم : الفاسق المعلن بفسقه ، وشارب الخمر ، والسلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إنى وقعت فيك ، فاجعلني فى حلّ ، قال : لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصرى : إنى اغتبت فلانًا وإنى أريد أن أستحله ، فقال : لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته .

قال ابن عباد الصاحب :

احْذَرِ الْغِيبَةَ فهى الْـ ... فِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ
إِنَّما المُغْتَابُ كالآ ... كِلِ من لَحْمِ أَخِيهِ[1]

قال حُذَيْفَة : كفارةُ من اغتبته أن تستغفرَ له .

قال عبد الله بن المُبَارك لسُفيان بن عيينة : التوبةُ من الغيبة أن تستغفرَ لمن اغتبته ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلتَ فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذهِ مرتين .

قال عدىّ بن حاتم : الغيبةُ مَرْعَى اللئام .

قال أبو العتاهية : الصَّائِمُ فى عبادةٍ ما لم يَغْتَب .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢٣ .

قال ابن مُحَيْرِيز : ما مِنْ ذنبٍ أجدرُ أن تجدَه من الرجل — وإن أعجبك — من الغيبة .

قال أبو حاتم : أربحُ التّجارة ذكر الله ، وأخسرُ التجارةِ ذكر النّاس .

قال الفُضَيلُ بن عِيَاض : ذكرُ الناسِ دَاء ، وذكْرُ اللهِ شفاء .

سمع قتيبةُ بن مُسلمٍ رجلا يغتاب آخر ، فقال : لقد مضغتَ مضغة طالما لَفِظَها الكرام .

سمع أعرابيّ رجلا يقع فى الناس ، فقال : قد استدللتُ على عيوبك بكثرةِ ذكرك لعيوبِ النّاس ، لأنّ الطالبَ لها يطلبُها بقدْرِ ما فيه منها .

قال الشاعر :

وَيَأْخُذُ عيبَ النَّاس من عَيْبِ نَفْسِهِ ... مُرَادٌ لَعَمْرِى ما أَرَادَ قَرِيبُ[1]

وقال آخر :

وَأَجْرَأُ من رأيت بظهر غيبٍ ... على عَيْبِ الرِّجالِ أخُو العيُوبِ[2]

وقال آخر :

فكلّ عيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ ... مُشْتَمِلُ الثَّوب على عَيْبِ[3]

---

(١) البيت للمستورد الخارجى كما فى الكامل ٢/٢٦٧ ، وانظره فى التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، زهر الآداب ٣ / ٦٠ .

(٢) معجم الأدباء ١١/٢٧ . والكامل ٢/١٥١ ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، وفيها : رب عياب .. ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .

قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوُنَّ[١] عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس » .

قال الحجاج بن الفُرَافِصَة[٢] : قلت لمجاهد : الرجلُ يكون وقّاعاً فى الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلتُ : من ذا الذى تحرُم غيبتُه ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظّهر من دماء المُسلمين ، خميص[٣] البطن من أموالهم ، أخرسُ اللّسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ الغيبة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبةَ فيه .

قال رجل لعَمْرو بن عُبَيْد : إنّى لأرحمُك مما يقول النّاسُ فيك . قال : فما تسمعُنى أقول فيهم ؟ قال : ما سمعتُك تقول إلّا خيرا . قال : إيَّاهم فارحم .

قال عُتبة بن أبى سفيان لابنه[٤] عمرو : يا بُنىّ ! نزّه نفسك عن الخَنَا ، كما تنزّه لسانك عن البذَا ، فإن المستمع شريك القائل .

وهذا عندى مأخوذ من قول كَعْب بن زُهير :

إن كنتَ لا ترهبُ عن ذمّى لما تعرف من صَفْحِى عن الجاهِلِ

(١) ا : أترغبون .
(٢) ا : يوسف ، وهو تحريف .
(٣) ب : خفيف .
(٤) ب : لأبيه .

فاخْشَ سُكوتى إذ أنا مُنْصِتٌ   فيك لمَسْمُوعِ خنَا القَائلِ
فالسَّامِعُ الذَّمِّ شريكٌ له   ومُطْعِمُ المأكولِ كالآكلِ
مقالة السُّوءِ إلى أَهْلِها   أَسْرَعُ من مُنْحَدِرٍ سائلِ
ومن دعا النَّاسَ إلى ذَمِّه   ذَمُّوهُ بالْحَقِّ وبالباطلِ
فلا تَهِجْ إن كنتَ ذَا ريبةٍ   حَرْبَ أخِى التَّجْرِبةِ العَاقلِ
فإنَّ ذا العَقْلِ إذا هِجْتَهُ   هِجْتَ به ذَا حَبْلٍ حَابِلِ
يبصرُ فى عَاجِلِ شَدَّاتِهِ   عليكَ غِبَّ الضَّرَرِ الآجِلِ[1]

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فلو شئتُ أدْلَى[2] فيكما غيرُ واحد   عَلَانيةً أو قال عِنْدِىَ فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أَنْهَ عَائِبًا   ضَحِكْتُ له حتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى[3]

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تحرَّ من الطُّرْقِ أوْسَاطَهَا   وعَدِّ عن الجانبِ[4] المُشْتَبِهْ
وسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيـ   ـحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عن النُّطْقِ[5] بِهْ
فإنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ القبيـ   ـحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِه فانْتَبِهْ[6]

(١) ديوانه ١٢٤ ، العقد ٢/٤٤٤ .
(٢) ب : أذنى .
(٣) البيتان مع أبيات أخر فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .
(٤) ب : الموضع .
(٥) ا : القول .
(٦) نسبت هذه الأبيات فى معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواجى المصرى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرٍّ سماعه .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ ، أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1] .

قال عبدُ الله بن عبَّاس رضى الله عنه ، قال لى أبى : إنى أرى أميرَ المؤمنين — يعني عُمر — يُدْنيك ويقرِّبُك ، فاحفظ عنى ثلاثًا : إياك أن يجرّب عليك كِذْبَة ، وإياك أن تُفْشِيَ له سِرًّا ، وإيَّاك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : ياعبدالله ! ثلاثًا وأيّ ثلاث . فقال له رجل : يا ابنَ عباس ! كلُّ واحدةٍ خير من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عَشْرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعذّل :

قدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيـ ـبةِ هِجْرَانَ الثِّقَالِ[2]
أَلْفَتْهُ عصبة نَوْ كَى لِقيلٍ وَلِقَالٍ
ربّ من يَشْجيه ذكرى[3] وهْو لا يَجْرِى ببَالِي
قَلبُه ملآنُ من خَوْ فٍ وقَلْبى منه خَالِ[4]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة قتّات[5] » .

---

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) ب : الثقال .

(٣) ب : أمرى .

(٤) محاضرات الأدباء ١٢٢/١ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذى يسمع حديث الناس من حيث لا يعلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومُهْلك الثلاثة » قيل : وما مُهْلك الثلاثة ؟ قال : « رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانه » .

وقالوا : قبول السِّعاية شرٌ من السعاية ، لأن السعاية دَلالة والقبول إجازة .

قال يحيى بن أبي كثير : يُفْسد النَّمام والكذابُ في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة[1] .

قال سابق :

إذَ الواشِي بَغَى يوماً صديقاً فَلاَ تَدَعِ الصَّدِيقَ لقَوْلِ وَاشِ[2]

وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله : إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فحال بينك وبينه .

تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليَّ بن أبي طالب ، فقال له أبوه : مهلا يا بنيّ لا تَنَقّصه ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبنِ شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته .

كان يقال : المعرِّض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصَرَّم عَنِّي وُدَّ بكرِ بنِ وَائِلٍ وما خِلْتُ عَنِّي وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ

---

(١) ب : يوم .

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٣٣٣ .

قوارصُ تأتيني وَتحتَقِرُونَهاَ ... وقد يملأُ القَطْرُ الإناءَ فَيَفْعُمُ[١]

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تُكَاشِرُ[٢] مَن لاَقيْتَ لِي ذَا عَداوةٍ ... وأَنْتَ صَديقِي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي

بَدَا منكَ غِشٌ طالما قد كَتَمْتَهُ ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدوِي

جمعتَ وفُحْشاً غِيبَةً ونميمةً ... ثلاثَ خلالٍ لَسْت عنها بِمُرْعَوِي[٣]

وقال زياد الأعجم :

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مكاشرةً ... وإنْ أَغِبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمزَهْ

ما كنت أخشى وإن طَالَ[٤] الزمان بهِ ... حَيْفٌ عَلَى النّاسِ أَن يَغْتَابَنِي عُمَرَهْ

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تحرَّزْتُ مِمَّنْ ... يَنِمُّ بالكِتمانِ

فكيفَ لِي بِاحْتِراسٍ ... مِنْ قَائِلِ البهتانِ

وقال أيضاً :

لِي حيلةٌ فيمَن يَنِمُّ ... ولَيْسَ فِي الكَذَّابِ حِيلَهْ

من كَانَ يَخْلُقُ ما يقُو ... لُ فحِيلَتِي فيه قَليلَه[٥]

---

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقى ودها يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآتى بدل الإناء ، وانظر حماسة البحترى ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد عنى ودهم .

(٢) كاشره : ضحك إليه وباسطه .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٦١ ، عيون الأخبار ٢/١٢ ، وانظر الأغانى ١٢/٢٩٦ ، حماسة البحتري ٢٨١ ، وفيها : تصافح مكان تكاشر وستأتى الأبيات مع زيادة فيما يلى ص ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان فى المستطرف ٢/١٠ إلى محمود بن أبى الجنوب ، وهى للفقيه كما ذكر هنا ، وفى معجم الأدباء ١٩/٢٩٠ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فىَّ ما ليس فِىَّ ، (١ فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فِىّ ١) . فأوحى اللهُ تعالى إليه : يا موسى لم أجعل ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيحُ عليه السلام : لا يُحْزِنْكَ قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة[٢] عجلت عقوبتها .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : سيئاً .

بابُ البَغْى والحَسَد

قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدرُ أن يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدّخره له فى الآخرة ، من البَغْى وقطيعة الرحم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتم فلا تَبْغُوا ، وإذا ظَنَنْتُم فلا تُحَقِّقوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى اللهِ فتوكلوا » .

وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلم منهن أحد : الطِّيَرَةُ[1] والحَسَد والظَّن » . قيل : فما المخرج منهنّ يارسولَ الله؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقّق » .

روى عن مجاهد ، عن ابن عبّاس أنه قال : لَو بَغى جبلٌ على جبلٍ ، لدُكَّ الباغي منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يوماً عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ مِنْهُ أعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ الْبَغْىَ إنَّ الْبَغْىَ مُوبِقُ أَهْلِهِ ولم يَعْدِمْ الْبَاغِى من النَّاسِ مَصْرَعَا

قال عمرُ بن الخطّاب : ما كانت على أحد نعمةٌ إلّا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقومَ من القَدَح لوَجد له غامزًا .

---

(١) هي ما يتشاءم به من الفأل الرديء .

قال ابن مسعود : لا تعادُوا نعم الله عزّ وجلّ . قيل : ومن يُعادِى نعمَ الله ؟ قال : الذين يحسدُون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسنُ البَصْرى : ليس أحدٌ من خلق اللهِ إلا وقد جُعل معه الحسد ، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظّلم لم يتبعْهُ منه شىء .

وعن أنسِ بن مالك أنه مرّ على ديار خَرِبَةٍ خاوية ، قال : هذه أهلكها وأهلك أهلها البغى والحسد ، إن الحسدَ ليطفئُ نور الحسنات ، والبغى يُصَدِّق ذلك أو يُكذّبه ، فإذا حسدتُم فلا تبغوا .

قيل للحَسَن : يا أبا سعيد ! أيحسُدُ المؤمنُ ؟ قال : لا أمَّ لك ! أنسيتَ إخوةَ يوسف .

قال بعض الحكماء : البغىُ من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بَغى عليه .

وقالوا : ثلاثةٌ عائدة على فاعلها : البغى والمكر والنِّكْثُ[1] .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[4] .

---

(١) النكث بالكسر : نقض العهد .

(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيدُ بن الحَكَم :

إنَّ الأُمُورَ دقيقُهَا ... مما يَهِيجُ به[١] العَظِيمْ

وَالْبَغْيُ يصرعُ أهلَهُ ... والظُّلْمُ مرْتَعُه وَخِيم[٢]

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم : « لا حسدَ إلّا في اثنتين : رجل آتاه اللهُ مالا فهو ينفقُه في الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلّمها » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقد ذكرنا كثيرًا من الآثار المرفوعة وغيرها في الحسد عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » في كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « المؤمن النقى[٣] القلب ، ليس فيه غل ولا حسد[٤] » .

كان يقال : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكماء الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمُقاتِلة الجبن[٥] ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المُزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد .

---

(١) ا : يهاج نه .
(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/٤٢ ، حماسة البحترى ٢٠٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .
(٣) ب : المحموم .
(٤) ب : لأحد .
(٥) ب : الحمق .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والهم نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

قال عليّ بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : ما لنا ولقريش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال عليّ بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبغي ، فإنهما يعدلان الشرك .

كان يقال : أول ما عُصِى الله به في السماء والأرض[1] الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تُقُبِّل منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كانَ فِي النَّاسِ الحَسَدْ[2]

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا ... فلن تَبِيدَ وللآبَاءِ أَبْنَاءُ[3]

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١/١١٦ . وصدر البيت :

حسد حلنه من أجلها

(٣) المستطرف ١/٢٥٠ ، وفيه سن بدل جنى ، وفي مجموعة المعاني ٦٥ : أحيا ، وقد تردد في نسبتها هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربري ، ونسب في حماسة البحتري ١٨ لطريف بن ديسق التميمي .

قال أبو الدرداء : مكتوب فى التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

كان يقال : الحسد فى الجيران ، والعداوة فى الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بن الْأَشْرَس [1] فى أحمد بن خالد :

أفكِّرُ ما ذَنْبِي لَدَيْكَ فَلَا أَرَى ... عَلَيَّ سَبِيلًا غَيْرَ أَنَّكَ حاسِدُ

وَإِنا لمَوْسُومَان كلٌّ بِسِيمَةٍ ... أَقرَّ مُقِرٌّ أو أبى ذَاكَ جاحِدُ

قال بكر بن عبد الله المُزَنى : حَظُّكَ من الباغى حسن المكاشرة ، وذنبك إلى الحاسد دوام النعمة .

قال الحُسَيْن الخليع :

ما لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ ... ومَنْ كَذَّبَ الْحَقَّ إلَّا الحَجَر

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خُلُق دنىء ، ومن دناءته أنه موكّل بالأدنى فالأدنى .

قال يَزِيدُ بنُ الحكم الثَّقَفى :

تكاشِرُنى كُرْهًا كأَنَّكَ نَاصِحٌ ... وعينُكَ تُبْدِى أنَّ قَلْبَكَ لِى دَوِى [2]

بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالمَا قَدْ كَتَمْتَهُ ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَّوِى [3]

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوى كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر خسب .

(٣) ادوى : أكل الدواية ، وهى جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وأم مدوى خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمى ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته ، وأرتها أنه يقصد إلى السير فى الدو وهى الفلاة الواسعة .

لِسانُكَ مَاذِيٌّ[1] وقلبك علقم وَشرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخيرُكَ مُنْطَوِى

تَملَّأْتَ مِنْ غيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ بكَ الْغَيْظُ حَتَّى كدت بالْغَيظِ تشتَوِى

وما بَرِحَتْ نَفسٌ حَسُودٌ حُشيتَهَا تَذيبُكَ حَتَّى قيل : هل أنت مكتوى

وَقَالَ النِّطاسِيُّون إنكَ مُشعَرٌ سُلَالًا . ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى[2]

أرَاكَ إذَا لم أهْوَ أمرًا هَوِيتَهُ ولسْتَ لما أهْوَى مِنَ الأَمْرِ بالْهَوِى

وكم موْطِنٍ لَوْلَاىَ طِحْتَ كما هوَى بأجْرامِهِ من قُلّة النِّيق مُنْهَوِى[3]

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِى إنْ لَقِيتَهُ وأنْتَ عَدُوِّى لَيْسَ ذَاكَ بِمسْتَوِى[4]

وفى رواية أخرى :

تصافحُ من ألْفَيْتَ لِى ذَا عَدَاوَةٍ وأنْتَ صَدِيقِى لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِى

قال ابن المعتز :

ما عابَنِى إلاَّ الحَسُو دُ وتلك من خير المعايبْ

والخيرُ والحسَّادُ مَقْ رُونَانِ إنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبْ

وَإذَا مَلَكْتُ المَجْدَ لَمْ أمْلِكْ مَذَمَّاتِ الأَقَارِبْ

---

(١) الماذى : عسل النحل .

(٢) جوى : مريض بصدره .

(٣) طحت : طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع فى الجبل .

(٤) انظر الأبيات مع اختلاف فى روايتها فى الأغانى ١٢/٢٩٦ . وانظر بعضها فى محاضرات الأدباء ١/٦١ ، عيون الأخبار ٢/١٢ ، حماسة البحترى ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :

تود عدوى ثم تزعم أننى صديقك ليس الفعل منك بمستوى

وإذَا فَقَدْتُ الحاسِدِيـ ... نَ فقَدْتَ فِي الدُّنيَا المطايب[١]

وأنشد ابن عائشة :

خَلِيلَيَّ إنِّى للثرَيّا لحاسِدٌ ... وإنِّى عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ لَوَاجِدُ
أَيُجْمَعُ منهاَ شَمْلُهاَ وَهْيَ سَبْعَةٌ[٢] ... وأفقِدُ من أَحْبَبْتُه وهْوَ وَاحِدُ[٣]

وقَال سُوَيْدُ بن أبى كاَهِل :

كيف ترجُونَ سُقُوطِى بَعْدَما ... عَمَّمَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَعْ
بئسَ ماظَنُّوا وقَد عَرَّفْتُهمْ ... عند غاياتِ المَدَى كيفَ أَقَعْ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غيظاً صَدْرَهُ ... قد تَمَنّى لِيَ مَوْتاً لَمْ يُطَعْ
وَيَرَانِى كالشَّجاَ فِي حَلْقِهِ ... عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِرُ ما لم يَرَنِى ... فإذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انقمَعْ
لَمْ يَضِرْنِى غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِى ... فَهوَ يَزْقُو مثلَ مَا يَزْقُو الضُّوَعْ
وَيُحَيِّينِى إذَا لاَقَيْتُـــهُ ... وإذَا يَخْـلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ
قَد كَفاَنِى اللهُ ما فِي نَفْسِهِ ... وإذا ما يَكْفِ شيئاً لم يُضَـعْ[٤]

---

(١) يروى : المناقب بدل المعايب ، والمجد بدل الخير ، ومودات بدل مذمات ، والأطايب بدل المطايب .
وانظر الأبيات فى ديوانه ٢٥٦ ، المختار من شعر بشار ٦٩ ؛ محاضرات الأدباء ١/١٢٠ ، ٢١٤ .

(٢) ا : أيبقى جميعا شملها وهى ستة .

(٣) هى للمهلبى الوزير ، انظر التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ .

(٤) يروى : سقاطى ، وجلل بدل عمم وقلبه مكان صدره ، وانقمع مكان انفقم .
المزبد الذى ملأ فه الزبد من الحديث العالى ، يخطر : يتبختر . يزقو : يصيح ، الضوع : ذكر البوم .
وانظر الأبيات ما عدا الثاني فى عيون الأخبار ٢/١٠ ، الشعر والشعراء ٣٨٥ .

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى ، ويقال إنها للعَرْزَمى :

تَلْقَى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ... شَتْمَ الرِّجَالِ وعِرْضُهُ مَشْتُومُ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَه ... فالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ[1]

وقال المرَّارُ الفَقْعَسِيّ :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عنْ مَالِي وكَثْرَتِهِ ... قَدْ يَقْتُرُ المَرْءُ يَوْمًا وهْوَ مَحْمُودُ
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ من وَالِدٍ سَلَفَتْ ... وفِي أَرُومته ما ينبتُ العُودُ
مُطَالَبٌ بتراتٍ غيرِ مُدْرَكَةٍ ... مُحسَّدٌ والفَتَى ذُو اللُّبِّ مَحْسُودُ

وقال أبو الطيب :

أُعادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الحبَّ لِلفَتَى ... وَأَهْدَأُ والأَفْكارُ فِيَّ تَجُولُ
سِوَى وَجَعِ الْحُسَّاد دَاوِ فإِنَّهُ ... إذَا حَلَّ فِي قلبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ
وَلا تطمَعَنْ من حاسِدٍ فِي مودةٍ ... وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيها له وتُنِيلُ[2]

وقال لَبيدُ بن عُطَارِد بن حَاجب التَّميمى :

إنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّى غيرُ لَائِمِهِمْ ... قبلى من الناسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فدامَ لِي ولَهُمْ ما بِي وما بِهِمُ ... وماتَ أَكْثَرُنَا غَيظًا بما يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي حُلُوقِهِمُ ... لا أَرْتَقِي صُعُدًا فيها ولا أَرِدُ[3]

---

(١) ديوان أبى الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/١٢٤ ، وفيات الأعيان ٢/٤٥٥ عيون الأخبار ٢/٩ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات فى شرح حماسة أبى تمام ١/٣٨١ ، وقد نسبت فى معجم الشعراء مرة إلى الكميت بن معروف الأسدى ص ٣٤٧ ، ومرة إلى أبى بكر العرزمى ص ٤١٧ . وانظرها فى الكامل ٢/٩٨ ؛ عيون الأخبار ٢/١٠ بدون نسبة .

وقال عِمارَةُ بنُ عَقِيل بن بلال بن جَرِير :

ما ضَرَّنِي حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ذُو الفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو النُّقصانِ

وَقال مروان بن أبي حفصَة :

ما ضَرَّهُ(١) حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ذوالفضْلِ يحسُدُهُ ذَوُو التَّقصِيرِ(٢)

قال معاوية بن أبى سفيان : كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها

أخذه الشاعر فقال :

كلُّ العَداوةِ قَد تُرْجَى(٣) إماتَتُها إِلَّا عَداوَةَ مَنْ عاداكَ من حسَدِ(٤)

قال معاوية بن أبى سفيان : ليس في خلال الشر أشر من الحسد ، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

كان يقال : الحاسد إذا رأى نعمة بُهت ، وإذا رأى عثرة شمت .

قال الخليل بن أحمد : لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد .

قال محمود الوراق :

أَعْطيتُ كلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا(٥) إِلاَّ الحسُود فإِنَّهُ أَعْيَانِي

(١) ب : ماضرني .
(٢) محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .
(٣) ب : ترجو .
(٤) عيون الأخبار ١٠/٢
(٥) ا : الدنا .

لا أنَّ لِي ذَنْبًا لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ ... إلاَّ تظاهرَ نعمـةِ الرَّحْمَنِ
يَطْوِى عَلَى حَنَقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رَأَى ... عندى كمالَ غِنًى وَفَضْلَ بَيَانِ
مَا إنْ أرَى يُرْضِيهِ إلَّا ذِلَّتِي ... وذهَابُ أَمْوَالِي وقَطْعُ لِسَانِي

وقال آخر :

إن[1] يُكْثِرِ اللهُ حُسَّادًا لَهُمْ فَعَلَى ... مقدارِ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ منَ النِّعَمِ

وقال محمّد بن زياد الحارثى :

إذَ ما حَمَلتَ الشُّكْرَ فِي كلِّ نِعْمَةٍ ... يحقُّ عليكَ شُكْرُهَا واحْتِمالُهَا
فدعْ لِحَسُودٍ بعدَ ذلك خُطَّةً ... يكونُ عليه همُّهَا ووبالُهَا
لك الأَجْرُ والمَهْنَى وللحاسد الَّذِى ... يَكِيدُكَ فيهَا جُرْمُها ونكالُهَا

وقال آخر :

تَمَنَّى لِيَ الْمَوْتَ المُعَجَّلَ خَالِدٌ ... ولَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدُهْ[2]

وقال نصر بن أحمد :

كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ أغْرَى بِنَا حُسُدًا ... ونِعْمَةُ اللهِ مَقْرُونٌ بِهَا الحَسَدُ

وقال آخر :

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... ولَنْ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا[3]

---

(١) ا : لئن .
(٢) البيت لأبى بن حمام العبسى ، انظر المؤتلف والمختلف ٩١ ، حماسة أبى تمام ١/١٦٩ .
(٣) البيت للمغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

وقال آخر :

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كانَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا(١)

وقال آخر :

إنِّى نَشَأْتُ وَحُسَّادِى ذَوُو عَدَدٍ يَاذَا المَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدَا(٢)

وقال بشار العقيلى :

فاللهَ أَسْأَلُهُ إِدْوَامَ دَائِهِمُ وَأَنْ يُدِيمَ لنَا مَا يُوجِبُ الحَسَدَا(٣)

وقال أيضاً :

قَدْ أذْهَبَ الدَّاءَ حُسَّادى بِكَثْرَتِهِمْ وَلَوْ فَنُوا عَزَّ دائِى مَنْ يُدَاوِينِى
لا عِشْتُ خِلْوًا مِنَ الحُسَّادِ إِنَّهُمُ أَعَزُّ فقْدًا من اللَّائِى أَحَبُّونِى
أبْقَى لِىَ اللهُ حُسَّادِى وَغَمَّهُمُ حَتَّى يَمُوتُوا بداءِ غَيْرِ مَكْنُونِ(٤)

وقال محمود الوراق :

لا تَحْسُدَنْ أَخَاكَ وارْ عَ لَهُ عَلَى الأَيَّامِ عَهْدَه
حَسَدُ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ وأخاهُ من سُقْمِ المَوَدَّهْ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لهَا لِسَانَ حَسُودِ

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفريد ٣٣٧/١ .
(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ٢٥٤/١ .
(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .
(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١ لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ... ما كان يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ ١)

وقال أبو القاسم الداعية : أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم .

ولأحد بنى الطيفان(٢) :

وَمَوْلًى كَمَوْلَى الزِّبْرِقَانِ دُمِلْتُهُ ... كما دُمِلَتْ سَاقٌ يُهَاضُ بِهَا كَسْرُ
تراهُ كَأَنَّ اللهُ يَجْدَعُ أنفَهُ ... وعينيه إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ

وقال ابن أبى طاهر(٣) :

يا حَاسِدًا فضْلَ امرئٍ سَيِّدٍ ... أصبح قد أحسن فى فِعْلِه
لَا زِلْتَ إِلَّا باغِيًا حَاسِدًا ... لـكلِّ ذِى نُبْلٍ عَلَى نُبْلِهِ
وزاد من تَحْسُدُهُ نعمةً ... دائمةً تبقى على مِثْلِهِ
ولم يزل ذُو النَّقص من نقصِه ... يَحْسُدُ ذَا الفضل على فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمدانى ، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان :

لِمَنْ(٤) جاهَدَ الحُسَّادَ أجْرُ المجاهِدِ ... وَأعجزُ ما حاولْت إِرْضَاءُ حَاسِدِ
ولم أَرَ مثلَ اليَوْمِ أكثر حاسداً ... كَأَنَّ قلوبَ النَّاسِ فِى قلْبٍ واحِدِ(٥)

---

(١) ساقط من ا ، وهما فى ديوانه ٤٣ .
(٢) ا : أحمد بن الضيفان ، تحريف ، فالبيتان لخالد بن علقمة بن الطيفان ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٩ .
(٣) هو أحمد بن طيفور (أبى طاهر) الخراسانى ، أحد الكتاب البلغاء ، والمؤلفين المكثرين ، والمؤرخين الرواة ، وله شعر قليل . ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/٢١١ ، معجم الأدباء ٣/٨٧ .
(٤) ب : لئن .
(٥) ديوانه ٨١ .

باب السِّبَاب والمُشاتَمَةُ

قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « إيّاكم والفُحْش ، فإنّ الله لا يحبُّ الفُحْش ولا التَّفَحُّش [1] ».

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المتسابّان ما قالا ، فعَلَى البادى ما لم يَعْتَدِ المظلوم » .

قال بعضُ الحكماء : ما استبّ رَجُلان إلّا غلب ألأَمهما [2] .

قال الزِّبْرِقَانُ بنُ بَدْر : خُصْلَتان كبيرتان فى امرىء السُّوء : شدة السّبِّ ، وكثرة الّلطام [3] .

كان يقال : الغالبُ فى الشر مغلوب .

شتم رجلٌ أبا ذر ، فقال له : يا هذا [4] ؟ لا تُغْرِقَنَّ في شتمنا ودَعْ للصلح موضعا ، فإنّا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع اللهَ فيه .

قال أبو مسلم صاحب الدعوة ، عُصْبَة الأشراف تظهر بأفعالها ، وعصبة الأدنياء تظهر بألسنتها .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) ا ، ألسنهما .

(٣) ب اللظام ، ولم أعثر على معنى لها ، واللطام : ضرب صفحة الوجه ، ويحتمل أن تكون اللضام بالضاد : وهو العنف والإلحاح .

(٤) ب : ما هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحقَّ على لسان عُمَر وقلبه » .

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا لمعاوية رضى الله عنه .

سُئِل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنُون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما كان .

قال على بن أبى طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى [1] الغيب من ستر رقيق .

قال بَلْعَاء بنُ قَيْسٍ :

وأَبْغِي صوابَ الظَّنِّ أَعلَمُ أَنَّهُ ... إِذَا طاشَ ظَنُّ المرْءِ طاشَتْ مَقَادِرُهْ [2]

وقال أوسُ بن حجر :

الأَلْمَعِيُّ الذى يظنُّ بك الظنَّ (م) كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا [3]

كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :

أهابُكَ أَنْ أَدُلَّ عليكَ ظَنًّا ... لأَنَّ الظَّن مفتاحُ اليَقِين [4]

وقال آخر :

يَظُنُّ فلاَ يَعْدُو الضَّمِيرَ كَأَنَّمَا ... له فى الأمورِ الغَائِبَاتِ رَقِيبُ

(١) ساقطة من ا .

(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٤٠٣ إلى عفرس بن جبهة الكلابى ، وانظره فى مجموعة المعانى ٢١٠ ، المؤتلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٢٨ ، البيان ٣١٨/٢ ، عيون الأخبار ٣٥/٢ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ٣٨١/١ ، معجم الأدباء ١٨٢/٦ ، ١٤٢/١٠ ، نوادر القالى ٢٤ ، حماسة البحترى ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣٥/١ . بدون نسبة ، وفيها : أصونك أن أظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأيْتُ أَبَا الوَليد غَدَاةَ جَمْعٍ ... به شَيْبٌ وَما فَقَدَ الشَّبَابَا

ولـكن تحت ذاك الشَّيْبِ عَزْمٌ ... إِذَا ما ظَنَّ أَمْرَضَ أَو أَصَابَا (١)

وقال آخر :

وإِنِّى لِطَرْفِ العَيْنِ بالعَيْنِ زَاجِرٌ ... فقد كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَىَّ ضَمِيرُ (٢)

وقال عبد الله بن محمد الأُشْبُونى (٣) :

ذَكِىٌّ يرى ما فى الضمير بظنِّه ... كَأَنْ لَهُ غَيْبًا عَلَى غامِضِ السِّرِّ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بمن قَدْ عَوَّدَكْ ... حسناً أَمسُ وسوَّى أَوَدَكْ

إِنَّ رَبًّا كان يكفيك الذى ... كان بالأمسِ سيكفيك غَدَكْ (٤)

سمع أعرابى رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابى : إن الكريم إذا تولى (٥) شيئاً أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

---

(١) نسب البيتان فى الأمالى ٢/٩٤إلى مسعود بن بشر المازنى، وانظر البيان ٣/٣٨١ ، والرواية هناك : وقد فقد الشبابا ، وإذا ما ظن أعرض ، وأمرض معناها : قارب الصواب ، ومنه : إنه ليمرض فى القول إذا لم يصرح .

(٢) البيت لأبى نواس ، ديوانه ٩٩ .

(٣) ا : الأسنونى ، وهو تحريف ، والصحيح أنه منسوب إلى الأشبونة ، وهى مدينة غربى باجة على ساحل البحر ، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ١٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ .

(٥) ب : ولى .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، وبعدت همته ، وأسوأ منه حالا : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد الهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو العتاهية :

الظَّنُّ يُخْطِئُ تَارَةً وَيُصِيبُ [1]

وقال آخر :

وَإِنِّى بها فى كل حالٍ لواثقٌ ... ولكنّ سوء الظَّنِّ من شدّةِ الحُبِّ

قال المتنبي :

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظُنُونُه ... وصَدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّمِ [2]

قال ابن هَرْمَة :

وحسْبُكَ تهمةً لنصيح[3] قومٍ ... يعدُّ على أخِي غَدْرٍ جَنَاحَا

قال أبو حازم : العقلُ التَّجارب ، والحزمُ سوء الظن .

قال الحسن البصرى : لو كان الرجل يصيب ولا يخطىء ، ويحمد فى كل ما يأتى لدَاخله [4] العجب .

---

(١) عجز بيت وصدره : وجميع ما هو كائن فقريب . ديوانه ٢٠ .
(٢) ديوانه ٣٩١ ، محاضرات الأدباء١٤١/١ ١٠/٢٤ ، وقد نسب فى اليتيمة ٧٧/١ إلى أبى فراس الحمدانى.
(٣) ب : فى نصح ، والبيت فى الحماسة لأبى تمام ٢٢٤/٢ والرواية فيها :
وحسبك تهمة ببرىء قوم ... يضم على أخى سقم جناحا
(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلِّهم — فيما علمتُ — ثلاثة : العزيزُ في قوله لامرأته حين تفرّسَ فى يوسف : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[١] ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[٢] . وأبو بكر حين تفرّسَ فى عمر رضى الله عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، فى الرحبة إلى آجُرّة ، فقال : تحت هذه الآجرّة حيّة ، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ، فقال : إنّى رأيت ما بين الآجرتين نَدِيًّا من بين تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابى إلى موضع منتفخ[٣] فى أرضٍ مستوية ، فإذا رآه يتصدع فى تهيّل ، وكان تفتحه مستوياً علم أنها كمأة ، وإن خلط فى التصدع والحركة علم أنها دابّة ، فاتقى مكانها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صَدْع فى الأرض، فقال : فى هذا الصدع دابة . فنظروا فإذا فيه دابة ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن شهاب : فإنْ رأيتَ وجهه ؟ قال : فذلك[٤] حينئذ فى كتاب أقرأه .

---

(١) سورة يوسف ٢١ .
(٢) سورة القصص ٢٦ .
(٣) ب : منفتح .
(٤) ساقطة من أ .

ومر إياسُ بنُ معاوية ذات يوم بماء، فقال: أسمع صوتَ كلب غريب، قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال، بخضوع صوته وشدةِ نُباحِ غيره من الكلاب. قالوا: فإذا كلب[1] غريب مربوط، والكلابُ تنبحه.

وأما قول العماني[2]:

وَيَفْهَمُ قولَ الحُكْلِ لَوْ أَنّ ذَرّةً ... تُساوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُهَا

فالحُكْلُ: كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه، أو كلام يفهم من الجواب كله. وأما قوله: تُساوِدُ فمعناه تُسَارّ، والسِّوَادُ: السِّرار، ومنه قولُ ابنةِ الخُسِّ:[3] حملني على هذا قربُ الوِساد، وطول السِّواد.

وفي حديث ابن مسعود: تعالى أُسَاوِدْكَ، أي أسارّك.

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: خَصلتان إذا كانتا في الغلامِ رُجيت نجابته: الرَّهبةُ والحَياء.

قال غيره: إذا استثقل[4] الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعَى، وإذا فهم أدّى، كان ذلك ممن يُرجى.

قال غيره: إذا كان الغلامُ حازماً[5] في الخَلاء، قَطِيعَ اللسان في المَلاء، يبغضُ التعليم، ويواربُ المعلم، ويقدم أباه على أمه، ويؤخِّر خاله على عمه، وكُنيته أحبُّ إليه من اسمه، فإنه يُرجى خيرُه ويُنتظر عِزّه.

---

(١) ساقط من ا.

(٢) العماني: محمد بن ذؤيب العماني البصري، كان شاعراً راجزاً، وكان لطيفا داهية مقبولا لدى العظماء أوصله عبدالملك بن صالح إلى الرشيد، فأفاد منه مالا جزيلا. انظر ترجمته والبيت في البيان ١/٥٦.

(٣) اسمها هند وهي امرأة من إياد ورد عنها كثير من الأمثال، وكانت معروفة بالفصاحة. وقد قيل إنها اتصلت بعبد لها، فلما سئلت عما حملها على ذلك أجابت بذلك القول.

(٤) ب: استقل.

(٥) ب: عازبا.

وقال ابن الزيّات : إذا رأيتَ الصبي يُحب[١] عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة[٢] فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه[٣] عمر يحب الكِتاب فاغتمّ له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندى هذا ليس بشىء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبى بشيئين : الحياء ، وحبّ الكرامة ، أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبديهة ، ومعاويةُ للأناة ، والمغيرةُ للمعضلات ، وزيادٌ لصغار الأمورِ وكبارِها .

أراد يوسفُ بنُ عمر بن هبيرة أن يولّىَ بكر بن عبد الله المُزَنِىّ القضاء ، فاستعفاه ، فأبى أن يعفِيَه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أُحسن القضاء ، فإن كنتُ كاذباً فلا يحلّ لك أن تولّى الكاذبين ، وإن كنت صادقاً ، فلا يحل أن تولّى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر[٤] لابنته ، وهى تقوده فى المرعى : يا بنية انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرونُ المِعْزى . قال : ارْعَىْ . فرعت ساعة ، فقال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دهم تجرّ جِلَالهَا[٥] . قال :

(١) ب : يحب .
(٢) ب : المعرفة .
(٣) ب : أباه .
(٤) ب : البصر .
(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتصان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نعام تعلق بالأرجاء[١] من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت . ابيضت واسودت ودنت [١] فكأنها عينُ نفسٍ تطرف [١] . قال : أنجى ولا أراك ناجية .

قال الشاعر :

أَكلُّ وَميضٍ بارقةٍ كذوبُ أمَا فى الدَّهْرِ شىْءٌ لا يُرِيبُ[٢]

أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله[٣] ، فقالت والله إنى إذاً لطويل العنق . فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبلهُ[٤] .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ ما تدرى الطّوارِقُ بالحَصَى ولا زاجراتُ الطّيْرِ ما اللهُ صانِعُ[٥]

---

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، واحده ربابة ، وفى ب : تعليق بأرجله .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيت لأبى الفرج البيغاء ، انظر التمثيل والمحاضرة ١١٧ ، نهاية الأرب ٣/١٠٦ .

(٢) ب : يقبله .

(٥) يروى : الضوارب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، وقد نسب لطرفة فى جمهرة أشعار العرب .

بهجة المجالس، وأنس المجالس
وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الاول

تحقيق
محمد مرسي الخولي

باب الظَّنّ والزَّكَانَة[1]

قد تقدم فى الباب الذى قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي من الْحَقِّ شيئاً ﴾[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرىءٍ مسلم سمع[3] من أخيه كلمة أن[4] يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها فى شيء من الخير مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفع بظنه .

قال علىّ بن أبى طالب : حُسْن الظنّ بالله ألّا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنّ أحدُكم إلا وهو يُحْسن الظن بالله » .

قال الحسنُ البصرىّ : إنّ المؤمن إذا أحسن الظن أحسن العمل .

قال أبو مسلم الخولانى : اتّقوا ظنّ المؤمن ، فإن الله جعل الحقّ على لسانه وقلبه .

---

(١) الزكانة : الفهم والتفرس والظن ، أو هى ظن بمنزلة اليقين .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلما[1] ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين[2] بن على رضى الله عنهم : المراءُ رائدُ الغضب ، فأخزى[3] اللهُ عقلا يأتيك به الغضب .

قال محمّد بن على بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنْبِتُ الشّحناء فى صدور الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين[4] : ماتقول فى المراءِ ؟ قال : يفسد الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دَريئة[5] للمغالبة ، والمغالبة أمتن[6] أسباب القطيعة .

قال عبدالله بن عباس لمعاوية : هل لك فى المناظرة فيما زعمت[7] أنك خاصمت[8]

---

(١) ب : ظالما . (٢) ساقط من ا .
(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من ا .
(٥) ب : درية ، والدريئة : ما يستتر به من الصيد ليختل .
(٧) ا : رغبت . (٨) ا، ب : خصمت .

فيه أصحابى ؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشغب بك وتشغب بى ، فيبقى فى قلبك[١] ما لا ينفعك ، ويبقى فى قلبى ما يضرك[٢] .

قال إبراهيم التّيمى : إياكم والمخاصمات فى الدين ، فإنها تحبط الأعمال .

قال عمرُ بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل

قال الأوزاعىّ : إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجَدَل ، ومنعهُم العمل .

قال ابن أبى الزناد : ما أقام الجدلُ شيئاً إلاّ كَسَره جدلٌ مثله .

وقد أفردنا فى كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعى : سمعتُ أعرابيا يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت[٣] كرامته ، ومن أكثر من شىء عُرِف به .

وقال مِسْعَرُ بن كِدَام الهلالى يوصى ابنه كِداما :

إنِّى مَنَحْتُكَ يا كِدَامُ نَصيحَتِى ... فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أبٍ عَلَيكَ شَفِيقِ
أمّا المُزَاحَةُ والمِرَاءُ فَدَعْهُما ... خُلُقَانِ لَا أرْضَاهُما لِصَدِيقِ
إنِّى بَلَوْتُهُما فَلَمْ أَحْمَدْهُما ... لِمُجَاوِرٍ جَارٍ ولَا لِرَفِيقِ

---

(١) ا : ذلك
(٢) ب : ما لا يضرك .
(٣) ا : كثرت .

وَالْجَهْلُ يُزْرِى بِالْفَتَى فِى قَوْمِهِ   وعُرُوقُهُ فِى النّاسِ أَىُّ عُرُوقِ[(١)]

وقال مصعب الزبيرى :

أَأَقْعُدُ بعدما وَجَفَتْ[(٢)] عِظَامِى   وكان الموتُ أَقربَ ما يَلِيِنى

أُجَادِلُ كلَّ مُعترضٍ خَصِيمٍ   وأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِى

فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْىِ غَيْرِى   وَلَيْسَ الرَّأْىُ كَالْعِلْمِ اليَقِينِ

وما أَنَا والْخُصُومَةُ وهى لبْسٌ   تُصَرَّفُ فِى الشِّمالِ وَفِى الْيَمِينِ[(٣)]

فى أبيات قد ذكرناها بتمامها فى كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العبّاس النَّاشِىء :

وإِذَا بُليتُ بجاهلٍ مُتَحَامِلٍ   يجِدُ المُحَالَ من الأُمُورِ صَوَابَا

أوْلَيْتُهُ مِنِّى السُّكُوتَ وَرُبَّمَا   كانَ السُّكُوتُ عَلَى الجوَابِ جَوَابَا[(٤)]

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/٩٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٨ . حماسة البحترى ٢٨٩ وفيها : أكدام إنى قد محضت نصيحتى .

(٢) ا : رجفت .

(٣) انظر الأبيات فى معجم الشعراء ٤٠٢ ، البيان ٣/٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/١٠٠ .

(٤) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة[1]

قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم : « أنا زعيمٌ ببيت فى أعلى الجنة ، وبيت فى وسط الجنة ، وبيت فى ربض[2] الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للنّاس » .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : «لما أُسْرِى بى كان[3] أول ما أمرنى به ربى أن قال : إيّاك وعبادةَ الأوثان ، وشُرْبَ الخمر ، وملاحاةَ الرجال » .

قال قيسُ بنُ السّائب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذ بن جبل : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى لا تُمارين حكيماً ، ولا تجادلن لَجُوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبنَّ متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى مَنْ قصّر فى الخصة خُصم ، ومَنْ بالغ فيها أَثِم ، فَقُلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفى الحديث المرفوع : « احْذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُون ، فإنّهُ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ إلَى انْقِطَاعِ مُدتِه » .

---

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .

(٢) ب : ربط ، والربض من الجبل : ما يلى الأرض منه .

(٣) ساقطة من ا .

سب أعرابى أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكتَّ عنه ؟ فقال : ما لى علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثى :

وأرْفَعُ نَفْسِي عن نُفُوسٍ وَرُبَّمَا تَذَلَّلْتُ فِي إكْرَامِهَا لِنُفُوسِ
وَإنْ رَامَنِي يومًا خسيسٌ بجهْلِهِ أبَى اللهُ أَن أرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسِ (١)

وقال حسان بن ثابت :

ما أُبالى أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ أمْ لَحَانى بظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٢)

وقال آخر :

وقل ليزيد إن شَتَمْتَ سَرَاتَنا فَلَسْنا بِشَتَّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
ولكننا نَأْبَى الْجَوَابَ وَنَقْتَضِي بِكلِّ رَقِيقِ الشَّفرتين غَشَمْشَمِ (٣)

قال الخليل : الغشمشم : الجرىء الماضى ، قال الشاعر :

عَبْلُ الشَّوَى غَشَمْشَماً غَاشِماً (٤)

---

(١) ساقط فى ب ، وهما فى العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت فى ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، ونب التيس : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتى فى الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لعبد بن علقمة ، انظر حماسة أبى تمام ١/١٥٧ ، الأمالى للقالى ١/١١٥ عيون الأخبار ١/١٩٨. ورواية الحماسة : قل لزهير، ونمتضى مكان نقتضى، ومعناها . نأخذ السيف ونضرب به مثل العصا، ويروى: مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش.

(٤) عبل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجرىء الماضى ـ كما ذكر الخليل ، والغاشم : الظالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وتَبْطُشُ أَيْدِينَا ويَحْلُمَ رَأْيُنَا   ونَشْتِمُ بالأفعال لا بالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنبئتُ كَلْبًا تمنَّى أَنْ تُسافِهَنَا   وطَالَمَا سَافَهُونَا ثُمَّ ما ظَفِرُوا
قَدْ أُنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضَبَتِهِ   ومَا يَكادُ يَنَامُ الحَيَّةُ الذَّكَرُ(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ   فقد تَقْرِضُ العُثُّ مُلْسَ الأَدُمْ

العُثّ : دُوَيْبّة صغيرة ليس بها قوةٌ إلاّ أنَّهَا تقرضُ كل شيء .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمَنِّى لا أَبَا لَكُمُ   دَنِسُ الثِّيَابِ كَطَابِخِ الْقِدْرِ
جُعَلٌ تَمَطَّى فِي غَثَاثَتِهِ   زَمِنُ المُرُوءَةِ نَاقِصُ الشِّبْرِ(٢)

أعطى الحسن بن على شاعراً ، فقيل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي

(١) ديوانه ٢/٢٠٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثانى هذا ملفق من بيتين ، والرواية فى الديوان :
قد أنذروا حية فى رأس هضبته   وقد أتتهم به الأخبار والنذر
هنالك قالوا أنام الماء حيته   وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجعل : دويبة منتنة ، والغثاثة : الإفرازات أو القيح ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر : القصير القمىء

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك فى شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَما حَمَلَتْ أُمُّ امْرِىءٍ فِى ضُلُوعِهَا ... أَعَقَّ مِنَ الجَانِى عَلَيها هِجَائِيَا[1]

وقال آخر:

اصْحَبِ الأَخْيَارَ وأَرْغَبْ فيهمُ ... ربَّ مَنْ صَاحَبْتَهُ مثلُ الجَرَبِ
وَدَعِ النَاسَ وَلَا تَشْتُمْهُمُ ... وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَئِيماً كَالَّذِى ... يبدِّلُ الصُّفْرَ بِأَعْيانِ الذَّهَبِ[2]

وقال آخر :

مَالِى أُكَفْكِفُ من سعدٍ [وَتَشْتُمُنِى] ... وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سعدٍ لَقَدْ سكَتُوا[3]

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عن عَدُوِّهِمُ ... لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الجَهْلُ والجُبُنُ[4]

---

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : النحاس ، وانظر الأبيات فى الأمالى ٢/٢٠٤ ، لباب الآداب ٢٥ ، وفيه : إن من شاتم وغداً .. الخ .

(٣) وتشتمنى ساقط من ا ، ب ، وفى ب : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) فى العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوكم ، وقد نسب البيت فى حماسة البحترى ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب الغطفانى ، ونسب فى العقد ١/١٧٨ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كُثيِّر :

هنيئاً مريئاً غير داء مُخامرٍ لعزَّةَ من أعْرَاضِنا مَا استَحلَّتِ
أُسيئي بِنا أو أَحْسِني لا مَلُومَةً لَدينَا وَلَا مقْلِيَّةً إنْ تَقلَّتِ[1]

وقال قيس المجنون :

حَلَالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنَا وَانتقاصُنَا هنيئاً وَمَغفورًا لِلَيْلَى ذُنُوبهَا

وقال آخر :

إذَا ما شِئتَ سَبَّكَ غيْرُ قَوْمٍ[2] وإن كُنتَ المهذب واللُّبَابَا
يهابُكَ كلُّ ذِي حَسَبٍ ودِينٍ وأمَّا في الانامِ فَلَنْ تُهَابَا

وقال آخر :

مَنْ شَاتَمَ النّاسَ رَمَوْهُ بِما لم يَكُ يَعْتَدُّهُ في الحِسَابِ[3]

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَن دَعَا النــــاسَ إلى ذَمِّه ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ[4]

---

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الكامل ٢٣٥/١ ، هذا وينسب البيتان أيضا لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : عند .

(٣) نهاية الأرب ٦٨/٣ .

(٤) البيان ٣٣٩/٢ ، محاضرات الأدباء ١٨٩/١ ، نهاية الأرب ٦٨/٣ ، لباب الآداب ٣٦٠ ، وقد سبق مع أبيات أخر في ص ٤٠١ .

وقال آخر :

وَلَسْتُ مُشاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّى رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ
إِذَا جَعَلَ اللئيمُ أَبَاهُ نصبًا لِشاتِمِهِ فَدَيتُ أَبِى بِمالِي

وقال آخر :

وتَجْزَعُ نَفسُ المرءِ من شَتْمِ مَرَّةٍ وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَاكَ فَيَصْبِرُ(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَـكِنَّمَا سَبَّ الْأَميرَ المُبَلِّغُ(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عن أخٍ فهو الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكْ
ذَاكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكْ(٣)

وقال آخر :

أبا حَسَنٍ يكفيكَ ما فيك شاتمًا لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر :

وما يَقِى عنكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائفُهُم كَمِثْلِ دَفْعِكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ

---

(١) ا : ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .
(٢) البيت لعبد الصمد بن المعذل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل المقال ٩٤ .
(٣) المستطرف ١/١٠٦ ، فصل المقال ٩٤ .

فَاقْمَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَمَسُوا ... وَوَازِنِ الشَّرَّ مِثْقَالاً بِمِثْقَالِ(١)

وقال آخر :

ثَالَبَنِي عَمْــرُو وَثَالَبْتُهُ ... فَقَدْ أُثِمَ المَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الخَنَا ... كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ(٢)

---

(١) القمس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحدب ضده ، والمقصود المزاوجة بين اللين والشدة في معاملتهم .

(٢) ثالبه : لامه وعابه ، والخنا : الفحش ، والبيتان لعلى بن معاذ كما فى البيان ١/ ٣٨٠ ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١/ ١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/ ٦٧ .

بَابُ الكِبْرِ وَالعُجْب والتِّيه

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عزّ وجل : « الكبرياء ردائى ، (1 والعظمةُ إزارى 1) ، فمن نازعنى(2) (1 واحدًا منهما 1) أدخلته النار » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرَّ ثوبه خُيَلاء » ، وفى حديث آخر : « لا ينظر الله عزَّ وجلّ إلى من جرَّ ثوبَه بَطرًا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفَّهَ الحقُّ ، ويُغَمِّضَ النَّاسُ » .

قال محمّد بن علىّ بن حسين : يا عجباً من المختال الفخور الذى خُلق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدرى بعد ذلك ما يُفعل به .

قال إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلا كان يذهب بنفسه فى التيه ، فقال : يتيه(3) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

---

(1) ساقط من ا .

(2) ا : نازعنيه .

(3) ب : تيه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْـكِبْرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ ... أَبْصِرْ خَلَاءَكَ إِنَّ الْمَيْنَ تَثْرِيبُ[١]

لَوْ فَـكَّرَ النَّاسُ فيما فى بُطونِهِمُ ... ما استشعرَ الكِبْرَ[٢] شُبَّانٌ ولاشِيبُ[٣]

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ، ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الرَّجُل يَذهب بنفسه فى التّيه حتى يُكتب فى الجبّارين ، فيصيبَه ما أصابهم » .

قال مالكُ بن دينار : كيف يتيهُ من أوله نُطْفة مَذِرَة ، وآخره جيفة قَذِرَة ، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذِرَة .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نطفةٌ ... وجيفَــةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا ... يرجُو ولا تأخيرَ مَا يحْذَرُ

وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إلى غيرِهِ ... فى كل ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ[٤]

---

(١) ا : الفعر تغريب .

(٢) ب : الناس .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ وفيه : إن النّن .. الخ .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الكامل ١/٢٣٦ .

وقال منصور الفقيه :

تتيهُ وَجِسْمُكَ مِنْ نطفةٍ وَأَنْتَ وِعاءٌ لما تَعْلَمُ[1]

وله أيضاً :

قولُوا لزُوَّارِ الكُنُفْ وَالمُنشئين مِنْ نُطَفْ
يا جيفًا منَ الجِيَفْ ما لَكُمْ وللصَّلَفْ

كان يقال : لولا ثلاثٌ سَلِمَ النّاس : شحّ مُطَاع ، وهوًى مُتّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه .

قال جعفرُ بن محمد : علم اللهُ عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من[2] العُجْب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيتَ الرجل لجوجًا مماريًا فقد تمت خسَارَتُه .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤجر عليها المبتلى بها : العُجْب ، والنعمة التي لا يُحْسَد عليها : التواضعُ .

كان يقالُ : لا شيء أكلم للمحاسن من العُجْب والتيه .

قال نصرُ بن أحمد :

وَمَنْ أمِنَ الآفاتِ عُجْبًا برأيِهِ أحَاطَتْ بِهِ الآفاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ

---

(١) التمثل والمحاضرة ٤٤٥ .
(٢) ساقطة من ١.

وقال منصور الفقيه :

لَا تحلِقنَّ بتيَّاهٍ فتَحمِلَه عَلَى التَّزيُّدِ مما يُسْخِطُ اللهَ
واهجُرْهُ للهِ لا لِلنَّاسِ مبتغيًا ثوابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانِ مَنْ تَاهَا

وقال آخر :

إن عيسَى أنفُ أنفِهْ أنفُهُ ضِعْفٌ لِضِعْفِهْ
لَوْ تراهُ راكبًا وَالتِّيـــه قدْ مالَ بِعِطْفِهْ
لَرَأَيْتَ الأَنفَ فِي السَّرْ جِ وعيسَى مِثلُ رِدْفِهْ

وقال ابن السَّلمانى :

أَتيهُ عَلَى جِنِّ البلادِ وَإِنسِهَا ولو لم أَجِدْ خَلْقًا لِتِهْتُ عَلَى نَفْسِي
أتيهُ فلاَ أدْرِي مِنَ التِّيه من أنَا سِوَى مايقولُ الناسُ فِيَّ وفِي جِنْسِي[1]
فإنْ زَعَمُوا أنّى من الإنْسِ مِثْلَهم[2] فمَا لِيَ عيبٌ غَيْرَ أنى مِنَ الإِنْسِ[3]

وقال خلف الأحمر :

لنَا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلَافِ كَثِيرُ الخطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابْ
ألجُّ لجاجًا منَ الخنفساءِ وَأَزْهَى إذَا ما مَشَى من غُرَابْ[4]

(١) ا : ومن حسى .
(٢) ا : خالص .
(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ١/٢٧١ .
(٤) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٣٨٧ .

ولأبى العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

خَذَّرْتكَ الكِبْرَ لا يَعْلَقْكَ[١] مِيسَمُهُ   فإنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعْتُهُ اللهَ
يا بُؤسَ حَامِلِ رِجْسٍ لَيْسَ يَغْسِلُه   بالماء عَنْهُ إذا كَلَّمْتَهُ تَاهَا
يَرَى عليك له فَضْلاً وَمنزِلَةً   إنْ نَالَ فى العَاجِلِ السُّلْطَانَ والجَاهَا
مُثْنٍ[٢] عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بسيرَتِهِ   كَذبتَ يا صَاحِبَ الدُّنيا ومَوْلاهَا[٣]

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلْمُعْجِبِ لَمَّا   قَالَ مِثْلِى لا يُرَاجَعْ
يا قَرِيبَ العَهْدِ بالمَخْ   رَجِ لِمْ لَا تَتَوَاضَعْ[٤]

قال علىُّ بن مُحمد : إنما أهلك الناسَ العجلةُ والعُجْب ، ولو ثبّتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبى ليلى : ما رأيتُ ذَا عُجْب قطّ إلا اعترانى بعضُ دائه . يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعضُ الحكماء : من استطاع أن يمنعَ نفسه أربعًا كان جديرا ألا ينزل به مكروه : العَجَلَة ، واللجاجة ، والتوانى ، والعُجْب .

---

(١) ب : لا يعطفك .
(٢) ب : مبق .
(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ، وإنما هى فى ديوان أبى نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثانى :
يا بؤس جلد على عظم مخرقة   فيه الخروق إذا كلمته تاها .
(٤) ب : مما تواضع ، وانظرها فى محاضرات الأدباء ١/١٣١ .

وَلإبراهيم بن العَبّاس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

أبَا جَعْفرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا وأقْصِرْ قَلِيلاً عَنْ مَدَى غُلَوَائِكَا
فإنْ كُنْتَ قَدْ أُوتيتَ بِالأمْسِ رِفْعَةً فإنَّ رجائى فى غدٍ كرجائِكَا[1]

ولمنصور الفقيه :

قَدْ كنتُ أيَّام كنتُ مِثْلَكُمُ أَرَى الهلالَ الخَفِيَّ بِالْعَجَلَهْ
لَوْ مرّ بى تائِهٌ على جَمَلٍ لم أره الآن قِلَّةً[2] ولا جَمَلَهْ

(١) معجم الأدباء ١٧٢/١ .
(٢) ب : قبله ، عيون الأخبار ٢٧٣/١ وفيها فإن كنت قد أعطيت فى اليوم .

بابُ التّواضُع والإنصَاف

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله [1] إلّا رفعهُ الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضَعُوا يرفعكم الله ، واعفوا يعِزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَنْقَصَة ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « لاحَسَبَ إلاّ فى التواضع ، ولا نسبَ إلا بالتقوى ، ولا عمل إلاّ بالنية ، ولا عبادةَ إلا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ عَظُمَتْ نعمةُ الله عليه فليطلب [2] بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديم حُسْن النية ، وعُرَاها التواضعُ فى الحقّ ، والإنصافُ فى المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجة ، وثمرتها حفظ الثواب ، فى العاجلة ، والنجاةُ فى العاقبة ، وحقُّها العملُ بها ، وألاَّ تُمْنَع من مُسْتَحَقّها ، وأن تُوَقّرَ أوعيتُها لوقارها .

---

(١) ساقطة من .

(٢) ا : فليتلطف .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلاّ وفى عنقه حكمةٌ موكل بها مَلَك ، يقول الله له : إنْ تَوَاضَع عَبْدى فارفَعْه ، وإن ارتفع فضَعْه .

قال بكرُ بن عبد الله المزنى : ما أرى امرءًا إلاّ رأيت له الفضلَ علىّ ، لأنّى من نفسى على يقين ، وأنا من النّاس على شك .

قال عبد الله بن مَسْعود : إن من التواضعِ الرِّضا بالدُّون من شَرَف المجلس ، وأن تُسلِّمَ على مَنْ لَقيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحق النقمة[١] .

كان سليمان عليه السلام يجىء إلى أوضع مجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهْرَانى مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرَّاحة ، وثمرةُ التواضع المحبة .

قال لقمانُ لابنه : يا بنىّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس .

قال أبُو الدَّرْدَاء : ليس الذى يقولُ الحق ويفعَلُه بأفضل من الذى يسمعه[٢] فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَك الشريفُ تَواضَع ، وإذا نَسَك الوضيعُ تكبّر.

---

(١) ب : تمحق النعمة .

(٢) ا : يضيعه .

ولذى الرُّمّة الأَسَدِىّ :

إِذَا اصطَحَبَ الأَقوَامُ كانَ أَذَلُّهُم ... لأصحابهِ نَفسًا أَبَرَّ وَأَفضَلَا
وما الفضلُ فِي أَنْ يُؤثِرَ[1] المرءِ نَفْسَهُ ... ولكنَّ فضل المرْءِ أَنْ يَتَفضَّلَا[2]

قال سالم بن قتيبة : ما تكبّر فى ولايته[3] إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يبعده .

قال بُزُرْجمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أَحْمَدُ من الكبر مع الأدب والسخاء فَأَعْظِم بحسنةٍ سَتَرَتْ من صاحبها سيئتين ، وأَقْبِحْ بسيئةٍ غَطَّتْ من صاحبها حسنتين .

قال عبدُ الملك بن مروان : أفضلُ النَّاس من تواضع عن رفعة ، وزَهَد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

كان يقال : من حقوق الشَّرفِ أن تتواضعَ لمن هو دونك ، وتنصفَ من هو مثلك ، وتنبلَ على من هو فوقك .

قال ابن السّماك للرشيد : تَوَاضُعُكَ فى شرفك أَشْرَفُ من شرفك .

---

(١) ا : يذمم .
(٢) ورد البيتان فى ديوان أبى العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما فى ديوان ذى الرمة .
(٣) ب : ما تكبر فى ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قُضِي به حَكَمًا لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لم تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إِنْ كانَ يَعْقِل(١)

قال مالك بن الرَّيْب :

فإنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مرْوَان نَقْتَرِبْ إِليكُمْ وَإِلَّا فَأْذَنُوا بِبِعَادِ
فَفِى الأَرْضِ عنْ دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكلُّ بِلَادٍ أُوطِنَتْ كَبِلَادِى(٢)

قال العبّاسُ بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ قواطعُ فِى أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
تَرَكْنَاهُمُ لَا يَسْتَحِلُّونَ بعدَهَا لذى رحمٍ يومًا من الدَّهْرِ مَحْرَمًا(٣)

قال الحكم بن المنذر الجارود فى الإنصاف :

بنى عَمِّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَعَانِنَا(٤) فَقَدْ كانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكًى ومَجْزَعَا
وذُوقُوا كما ذُقْنَا مِنَ الحَرْبِ إِنَّنَا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الأَرْضِ مَن قَدْ تَضَعْضَعَا
وَنَادَى منَادٍ يَالَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ونَادَى بِعَبْدِ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا
فَمَا خَذَلَتْنَا الأَزْدُ إِذْ دَارَتِ الرَّحَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مُمَنَّعَا

---

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ١٨/٣ ، حماسة أبى تمام ٢/ ٤ ، حماسة البحترى ٢٨ .
(٢) سبق البيتان فى ص ٢٣٨
(٣) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٥٢ ، عيون الأخبار ٧٨/١ ، حماسة البحترى ٦٠ .
(٤) ب : من طعامنا .

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمِّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعًا[١]

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذا قلتُ أنصِفْنِي وَلَا تَظْلِمَنَّنِي رَمَى كُلَّ حَقّ أَدَّعِيهِ بِبَاطِلِ
فماطلتهُ حتَّى ارْعَوَى وَهْوَ كارِهٌ وقدْ يَرْعَوِى ذو الشَّغْبِ عندَ التجادُلِ
وإنك لم تعطف إلى الحق ظَالِماً[٢] بمثلِ خصيمٍ عاقِلٍ مُتَجَاهِلِ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد فى الإنفاق ، [والابتداء][٣] بالسلام والإنصاف من نفسك .

وفى سماع أشهب ، قال مالكٌ رضى الله عنه : ليس فى الإنسان شىء أقل من الإنصاف .

قال جعفرُ بن سعد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلافُ[٤] موكلٌ بكلّ شىء حتى القذاة فى رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردتَ أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخِ[٥] الكرام المُنْصِفِينَ وَصِلْهُمُ وَاقْطَعْ مَوَدَّةَ كلِّ منْ لَا يُنْصِفُ

---

(١) ب : فى حربهم يذهبا معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط فى حماسة أبى تمام ١/١٥١ ، منسوباً إلى المثلم بن رياح بن ظالم المرى .
(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات فى ديوانه ١٩٠ .
(٣) زيادة من ب .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : ادرج ، وانظر البيت فى البيان ٣/٢١٩ .

وقال أبو العتاهية :

إِذا مَا لم يَكُنْ لك حُسْنُ فَهْمٍ أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ فَهْمَا[1]

وقال أبو عثمان الشريشي :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَآ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ١٩/٣

بابُ الرَّأْيِ والمَشُورَة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَشاوَرَ قومٌ إلاّ هَدَاهم الله لأرْشَدِ أمُورِهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلك امرؤٌ عن مَشُورة » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشارُ مؤتمن » .

قال الحسنُ : إن اللهَ لم يأمر نبيَّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تَوَاضُعًا منه عُزِمَ له على الرَّشَد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : شاور فى أمرك من يخاف اللهَ عز وجل .

قيل لرجل من بني عبس . ما أكثر صوابكم ؟! قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بنُ الظَّرِب[1] : الرأيُ نائم والهوى يقظان ، فلذلك يغلب الهوى الرأى .

---

(١) العدوانى : كان من حكام العرب فى الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذى قيل فيه : إن العصا قرعت لذى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيغه عن الصواب لكبر سنه ، فكلموه فى ذلك فقال : اجعلوا لى أمارة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : بإجالة الفكرة يُستَدَرّ الرأيُ المصيب .

كان عليٌّ بن أبى طالب يقول : رأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُزرجمهر : حسبُ ذا الرأى ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرَّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك فى بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والعطشان حتى يَنْقَع ، والأسير حتى يُطلَق ، والمُضِلّ حتى يجد ، والراغب حتى ينجح[1] .

كان يقال : استشر عدوَّك العاقلَ ، ولا تستشر صديقَك الأحمق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزَّلَل، كما يتقى الورَع على دينه الحَرَج .

قال ابن المقفع : ثلاثةٌ لا آراء لهم : صاحبُ الخفّ الضيق ، وحاقنُ البول[2] ، وصاحبُ المرأة السّليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجةَ لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبّة ومودّة .

وقال بعضُهم : لا تترك الأمر مُقْبِلا ، وتطلبه مُدْبِرًا ، فإن ذلك من ضعف العقل[3] وقلة الرأى .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) حاقن البول : محتبسه .
(٣) ا : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخل فى رأيك بخيلا فَيُقَصِّرَ فِعْلَك ، ولا جبانًا فَيُخَوِّفَكَ مالا تخاف ، ولا حريصًا فيعدك مالا يُرجى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أنَّ قَوْمِي أَكْرَمُونِي وأتأقُوا ... سِجَالاً بِهَا أَسْقِي الَّذِين أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الأذَى ما عشتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ ... وَنَاضَلْتُ عَنْ أَعْرَاضهم من يُنَاضِلُ
ولكِنَّ قَوْمِي عَزَّهُمْ سُفَهَاؤُهُمْ ... عَلَى الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ للرأْيِ حَامِلُ[1]

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحزمُ : فى مُشَاوَرَةِ ذَوِى الرَّأى وطَاعَتِهم » .

قال المهلب : إذا كان الرأى عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخّ ذا الرأى والنصيحة ، فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة[2] ، وقيل : إنها للعجّاج الأسدى :

إذَا بَلَغَ الرَّأْيُ المَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ ... بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلا تَحْسَبِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضَةً ... فإنَّ الخَوَافِي رَافِدٌ للقوادِمِ
وأَدْنِ من القُرْبَى المُقَدِّمَ نَفْسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرءًا غَيْرَ كاتِمِ
وَما خيرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أختَها ... وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يؤيَّدْ بِقَائِمِ

---

(١) أتأقوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهى الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، وعزهم : غلبهم : وانظر الأبيات فى أمالى القالى ١/٨٣ .

(٢) ب : لغيره .

فإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدِ الهَمَّ بالمُنَى ... ولا تبْلغِ العَلْيَا بغَيْرِ المَكَارِمِ[١]

أنشدنى الأعرابى :

وَأنفعُ مَنْ شاَوَرْتَ من كان ناصحاً ... شفيقاً فأَبْصِرْ بَعْدَهاَ مَنْ تُشاَوِرُ
وليس بشافيكَ الصَّدِيقُ[٢] ورَأْيُه ... غريبٌ ولا ذُو الرَّأْيِ والصَّدْرُ واغِرُ

وقال بكر بن أذينة :

ولا أشير على مَن لّا يُشاَوِرُنى ... إِذَا طَوَى ذَاتَ يوْمٍ أَمْرَهُ دُونِى

قال أكثم بن صيفى : المشورة مادة الرأى .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبدّ ، ولا على عدوّ ، ولا على متلوّن ، ولا على لجوج ، ولا تكوننَّ أوَّل مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأى الفطير[٣] ، وخف الله فى المستشير ، فإن التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بنىَّ لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم .

---

(١) يروى : ولا تجعل الشورى ، و... فريش الخوافى تابع ، ويروى: وأدن من الشورى المكتوم لسره ، ولم يؤيد مكان يوئد ، ويروى : فإنك لا تستدرك الرأى بالمنى .

وانظر الأبيات منسوبة لبشار فى : المختار من شعر بشار ٢٠١ ، البيان والتبيين ٣/٢٧٠ ، التمثيل والمحاضرة ٧٤ ، مجموعة المعانى ١٧ ، زهر الآداب ٣/٢٣٦ ، الكامل ٢/٢٨٧ .

(٢) ا : الشفيق ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ١/٣٢ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .

(٣) ا : الخطير . والفطير : المعجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَن اجتهد رأيَه وشاور صديقَه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلتْ بى قطّ عظيمةٌ فأبرمْتُها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين (١) فإن أصبتُ كان الحظّ لى دونَهم ، وإن أخطأتُ لم أرجع على نفسى بلائمة .

قال بعضُ الأعراب :

خليلىَّ ليسَ الرأىُ فى صدرِ وَاحدٍ　　أشيرَا عَلَىَّ اليومَ ما تَرَيَانِ
أأَرْكَبُ صعبَ الأمر إنَّ ذَلُولَهُ　　بنجرانَ لا يُقْضَى بحِينِ أوَانِ (٢)

وأظن هذين البيتين من الأعرابى القائل :

لقد هزِئَتْ مِنِّى بنجرانَ إذ رَأَتْ　　مَقَامِىَ فِى الْكَبْلَيْن أمُّ أبَانِ
كَأَنْ لم تَرَ قَبْلِى أسِيرًا مكبَّلًا　　ولَا رَجُلاً يَرْمِى بِهِ الرَّجَوَانِ (٢)

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أمرانِ جليلان لا يَصْلُح أحدهما إلاّ بالتفرُّد ، ولا يصلح الآخرُ إلاَّ بالتّعاون ، المُلْكُ والرَّأى ، فإن استقام الملك بالشركاء استقام الرأى بالاستبداد ، وهذا لا يكون أبداً .

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لعطارد بن قران أحد بنى صعصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمالى ٤٤/١ ، شرح حماسة أبى تمام ٧٥/١ ، ويرمى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومثناها الرجوان ، والشيء الذى يلقى فى هذه الناحية ثم يلقى فى الناحية الأخرى شيء لا يعبأ به .

قال صالحُ بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أمْرٍ عليك الْتوَى   فَشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ
وإن ناصحٌ منك يوماً دَنَا   فَلاَ تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِهِ(١)

قال الأحنف : اضربوا الرأيَ بعضَه ببعض يتولّدُ منه الصَّواب ، وتجنّبُوا منه شدةَ الحزم ، واتّهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذمّ العاقبة .

كان يقال : خذ الأمرَ مقبلا ، فشرُّ الرأى : الدَّبَرِىّ(٢) .

قال الشاعر ، وهو القطامىّ :

وَخيرُ الأمْرِ ما استقبلتَ مِنْهُ   وليْسَ بأن تَتْبَعَهُ اتّبَاعَا(٣)

قال بعض العرب :

قَبْل الرَّمْى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقبلَ أوَانِ الرَّمْى تُمْلَا الـكَنائِنُ(٤)

وقال الفارسىّ : بادر الفرصة قبل أن تـكون غُصَّة ، وأنشد :

تَدَارُكُ الأمْرِ قَبْلَ نُهْبَتِهِ   أَبْلَغُ فِيما تُحِبّ مِنْ دَرَكِهْ

---

(١) سبق البيتان فى ص ٢٧٨
(٢) الرأى الدبرى : الذى يسنح بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى
(٣) ديوانه ٤٠ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعضُ الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبد الملك : اللحن هُجْنَةُ[1] الشريف ، والعُجْب آفة الرأى .

قال قتيبةُ بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزرجمهر : أفرَهُ الدَّواب لا غنى به عن السَّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأن أُخطِىء وقد استشرتُ أحب إلىَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبةُ بنُ مُسْلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفُرْقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطىء ، والفُرْقة لا تصيب .

قال المأمونُ : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشد فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداراةُ حاسد ، والتحببُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ فى الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر فى رأيها فضلا .

كان يقال : ما من قوم تمالئوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تبّر الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقيصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأَ الرَّأْيَ ، وحَمَل الوِزْر ، وازداد مرضاً.

قال الشاعرُ ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إِذَا الأمرُ أشْكَلَ إنفاذُهُ ... ولم تَرَ مِنْهُ سَبِيلاً فَسِيحاَ
فَشاوِرْ بِأَمْرِكَ فِي سُتْرَةٍ ... أخاكَ اللَّبِيبَ المُحِبَّ النَّصِيحاَ
فَرُبَّتَمَا فَرَّجَ(١) النَّاصِحُون ... وأَبْدُوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحاَ
وَلَا يَلْبَثُ المُسْتَشِيرُ الرِّجَالَ ... إِذَا هو شاور أن يَسْتَرِيحاَ(٢)

وقال آخر :

إنَّ اللَّبِيبَ إذا تفَرَّقَ أمْرُهُ ... فَتَقَ الأُمُورَ مُنَاظِرًا وَمُشاوِرًا(٣)
وَأَخُو الجَهَالةِ يَسْتَبِدُّ بِرأْيِهِ ... فَتَراهُ يعْتَسِفُ الأمورَ مُخَاطِرًا(٤)

وقال آخر :

وعاجزُ الرَّأْيِ مضياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حتَّى إِذَا فَاتَ أمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا(٥)

وقال آخر :

أَأَنتم أُناسٌ عِظَامٌ لَا حُلُومَ لَكُمْ ... لا تعْلَمُونَ أجاءِ الرُّشْدُ أَمْ غَابَا

---

(١) ا : كشف .
(٢) الأبيات فى لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب لقائل .
(٣) زيادة من ب .
(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ١/٩١ .
(٥) مجموعة المعانى ٢٥ ، العقد ١/٧٥ ، البيان ٢/٢٩١ ، من غير نسبة ، ونسب إلى يحيى بن زياد فى معجم الشعراء ٤٩٨ .

لا تبصِرُونَ وُجُوهَ الرَّأْيِ مُقْبِلَةً   وتبصُرونَ إذَا وَلَّيْنَ أَذْنَابَا[١]

قال أبو عُمر : الاستبدادُ مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورةُ محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلمُ أحداً رضى الاستبداد وحمده ، إلاَّ رجل واحد مفتون ، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أورجلٌ فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرّجلين فاسقٌ مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة . يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ   وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ
وَاستبدَّتْ مرَّةً وَاحِـــدةً   إنَّما العاجِزُ من لّا يَسْتَبِدْ[٢]

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبرى الأعرابى[٣] .

إذَا هَمّ أَلْقَى بَيْنَ عينيهِ عَزْمَهُ   وَنكّبَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا
ولم يستشرْ فِي رَأْيِهِ غيرَ نَفْسِهِ   ولمْ يَرْضَ إلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا[٤]

سئل الحسنُ البصرىّ ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستضيئُوا بنار المشركين » . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين فى أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) ديوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) مجموعة المعانى ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبى تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالى القالى ٢/١٧٥ ، ونسبت فى الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بنى مازن بن مالك بن عمر وبن تميم .

بابُ كتمانِ السِّر وإفشائه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « مَنْ أَسَرَّ إلى أخيه سِرًّا لم يَحِلّ له أن يُفْشِيَهُ عليه » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرّض نفسه للتُّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : يا بُنيّ ! إن أمير المؤمنين يدنيك — يعني عمرَ بن الخطاب — فاحفظْ عني ثلاثاً : لا تفشينّ له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطّلعَنّ منك على كِذْبة .

قال أكثم بن صيفي : إن سِرَّك من دمك ، فانظر أين تُريقه .

كان يقال : احفظوا أسرَارَكم كما تحفظون أبصارَكم .

وكان يقال : أكثرُ ما يتم به التدبيرُ الكتمانُ .

قال قيسُ بن الخَطيم :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ التِّلَادِ وَإِنَّنِي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالَنِي لَضَنِينُ
وَإِنْ ضَيَّعَ الإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنَّنِي كَتومٌ لأَسْرَارِ الخَلِيلِ أَمِينُ
يكونُ له عندي إذا ما ائْتُمِنْتُهُ مكانٌ بِسَوْدَاءِ الفُؤَادِ مكِينُ

إذا جَاوَزَ الإثْنَـيْن سِرٌّ فإنَّهُ ... بنشرٍ وَإفشاء الحديث قمينُ[١]

وفى مثل هذا : إن السرّ لا يسمَّى سرًّا حتى يُسره رجلٌ [واحد][٢] إلى رجل آخر .

قال الصَّلْتَانِ العَبْدى :

وسرُّكَ ما كانَ عندَ امْرِىءٍ ... وسرُّ الثَّلاثةِ غيرُ الخَفِى[٣]

وقال سابق :

فَلاَ تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كلُّ سِرٍّ ... إذا ما جاوَزَ الإثْنَـيْنِ فَاشِى[٤]

وقال آخر :

لِكلِّ امرىءٍ يَا أُمَّ عَمْرِو طبيعةٌ ... وتفضيلُ ما بين الرِّجالِ الطَّبَائِعُ

فلاَ يَسْمَعَنْ سِرِّى وَسِرَّكِ ثالثٌ ... أَلَا كلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثنيْن ضَائِعُ[٥]

وَكيف يُشِيعُ القلبُ سِرًّا وَفوْقَهُ ... حجابٌ ومافوق الحجابِ الأَضالِعُ[٦]

---

(١) يروى : بمضمون ، وبمكنون ، والعشير بدل الخليل ، وما ضمنته مكان ائتمنته ، ومقر بدل مكان ، وكنين بدل مكين ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

التلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقمين : حري خليق .

والأبيات فى الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو فى ذيل الديوان ص٨٢ ، وانظرها فى الأمالى للقالى ٢/١٧٧ ، ٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ١/٢٤٥ ، والبيت الأخير فى حماسة البحترى ٢٢٦ ، والكامل ٢/١٧ ، وقد نسبه فيه إلى جميل العذرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٣٩ ، حماسة أبى تمام ٢/٥٢ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، حماسة البحترى ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ا : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد نسبت الأبيات فى الكامل ٢/١٦ إلى جميل العذرى ، ونسبت فى معجم الشعراء ٣٢٥ إلى قيس بن حدادية الخزاعي ، وفى حماسة أبي تمام ١/٢٢٦ سماه قيس بن منقذ الخزاعى .

وذهبت طائفة إلى أن السرَّ ما أسررته فى نفسك ، ولم تبده إلى أحد .

قال عمرو بن العاص : «ما استودَعْتُ رجلا سرًّا فأفشاه فلمته ، لأنى كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إذا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نَفْسِهِ فَصدْرُ الَّذِى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ[1]

وأنشد الأصمعى قال : أنشدنى أعرابى :

لَا أَكتُمُ الأَسْرَارَ لـكِنْ أَبُثُّهَا ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَقْتُلُنِى غَمًّا
وإِنَّ سَخِيفَ الرَّأْيِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ حريبًا بكِتْمانٍ كَأَنَّ به حُمّى
وَفِى بَثِّكَ الأَسْرَارَ للقَلْبِ رَاحةٌ وتكشف بالإفشاء عن قلبكَ الْهَمّا[2]

وقال سُحَيم الفقْعَسِىّ :

لَا أَكتمُ الْأَسْرَارَ لكِنْ أُذيعُهَا ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَغْلِى عَلَى قَلْبِى
وَإِنَّ ضعيفَ العَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقَلِّبُهُ الأَسْرَارُ جنبًا إِلَى جَنْبِ[3]

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشِيَنْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نصيحٍ نَصِيحَا

---

(١) الكامل ٢/١٦ ، العقد الفريد ١/٧٧ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، المستطرف ١/٢٤٥ .
(٢) محاضرات الأدباء ١/٦٠ ، مجموعة المعانى ٧١ ، عيون الأخبار ١/٤١ .
(٣) يروى : لكن أنمها ، ولا أترك الأسرار ، ويروى : وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ . انظر الكامل ٢/١٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٣٧١ ، المستطرف ١/٢٤٦ .

فإنِّى رَأَيتُ غُوَاةَ الرِّجالِ ... لا يتركُون أديمًا صَحِيحاَ (١)

وقال رجل من بنى سعد :

إذا ما ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ ... فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إذا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِى ... وسِرِّى عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

وَإِنِّى حِينَ أَسْأَمُ حَمْلَ سِرِّى ... وَقَدْ ضَمَّنْتُه صَدْرِى (٢) سَؤُومُ

ولست محدِّثًا سِرِّى خليلاً ... ولَا عِرْسِى إذا خَطَرَتْ هُمُومُ

وَأَطْوِى السِّرَّ دُونَ النَّاسِ إنِّى ... لِمَا اسْتُودِعْتُ مِنْ سِرٍّ كَتُومُ (٣)

وقال المتنبى :

رِضَاكَ رِضَاىَ (٤) الَّذِى أُوثِرُ ... وسِرُّكَ سِرِّى فَمَا أُظْهِرُ

كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ ما تَتَّقِى ... وآمنكَ الوُدُّ مَا تَحْذَرُ

وسِرُّكُمُ فِى الحَشَا مَيِّتٌ ... إذا انْتَشَرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ (٥)

وقال حارثة بن بدر الغُدَانى :

خليلَىَّ لَوْلَا حُب زينَبِ لم أَسَلْ ... أَفِى اليَوْمِ لُقِّيتُ المَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

---

(١) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٧١ ، عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ١/٧٦ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ١٠٦ .

(٢) ا : سرى .

(٣) عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، ونسبه فيه إلى رجل من عبد شمس بن سعد .

(٤) ا : رضائى .

(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أنشر السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبى العتاهية . ووردت فى ديوانه ٩١ .

خليليَّ إنْ أُفشيتُ سرِّى إليكُما فلاَ تجْعلاَ سرِّى حَدِيثًا مُبَدَّدَا
فإنْ أَنتما أفشَيْتماهُ فلاَ رأَتْ عيونكما يومَ الحِسَابِ مُحَمَّدَا

وقال آخر :

إذا أنت لم تحفظْ لِنفسِكَ سِرَّهَا فسِرُّكَ عندَ النَّاسِ أفْشَى وَأَضْيَعُ[1]

وقال ابنُ مَيَّادَة واسمه الرَّمَّاح :

يَا خليليَّ هَجِّرَا كَىْ تَرُوحَا[2] هجْتُمَا لِلرَّوَاحِ قَلْبًا قَرِيحَا
إنْ تَرُوحَا[3] لِتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى تَجِدَانِى بسرِّ سُعْدَى شَحِيحَا
إنَّ سُعْدَى كَمُنْيَةِ المُتَمَنِّى جَمَعتْ عِفَّـةً وَوَجْهًا صَبِيحَا
كلمتنى وذَاكَ ما نلتُ منها إنَّ سُعْدَى تَرَى الكلامَ رَبِيحَا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر[4] ؟ قال : أجحد المُخْبِر . وأحلف للمُسْتَخْبِر .

أسر رجل إلى رجل سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : [4] لا . بل [4] نسيت .

قال أبو محجن الثقفى :

قَدْ أَركبُ الهَوْلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وأَكتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ[5]

---

(١) عيون الأخبار ١/ ٤٠ ، لباب الآداب ٢٤٢ . حماسة البحترى ٢٢٤ .
(٢) ا : هجرانى خروجاً .
(٣) ب : روحا .
(٤) ساقطة من ا .
(٥) ساقط من م ، وهو فى ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت فيه : وقد أجود وما مالى بذى فنع ، والفنع : عن عرض ، وانظره فى عيون الأخبار ١/ ٣٨ .

وقال مسكين الدارمى :

وإنّى امرُؤٌ مِنّى الحياءُ الّذِى ترَى　　أَعِيشُ بأَخْلَاقٍ قليلٌ خِدَاعُهَا
أُوَاخِى رِجالاً لسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ　　عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنّى جِمَاعُهَا
يَظلُّونَ شَتَّى فى البلاد وَسِرُّهُمْ　　إلَى صَخْرَةٍ أعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا(١)

وقال آخر :

وَلَو قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ ما اشْتَمَلَتْ　　مِنّى الضُّلوعُ من الأَسْرَارِ والخَبَرِ
لكنتُ أوّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ(٢)　　إذا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يوماً عَلَى خَطَرِ(٣)

قال أبو الشّيص :

ضَعِ السِّرَّ فِى صَمَّاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ　　صَلُودٍ كما عاينتَ من سَائِرِ الصَّخْرِ
ولكنَّها قلْبُ امرِىءٍ ذى حفيظةٍ　　يَرَى ضَيْعَةَ(٤) الأَسْرَارِ شرًّا من الشَّرِّ
يموتُ وما ماتَتْ كَرَائِمُ فِعْلِهِ　　فَيَبْلَى وَما يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النّساء على سِرّكم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا　　كَخَتْمِ الصَّحِيفَةِ بالخاتَمِ

(١) الأبيات فى مجموعة المعانى ٧١ ، الأمالى ٢/١٧٦ ، الحماسة ١/٤٧٣ ، وفيها البيت الثانى : وفتيان صدق .
(٢) ب : ضمائره .
(٣) لباب الآداب ٢٤١
(٤) ا : شيعة .

هَوَتْ بِىَ فِى حُبِّها نَظْرَةٌ ... هَوِىَّ الفَرَاشَةِ فِى الجَاحِمِ (١)

وقال آخر :

فإنْ تكُ لَيْلَى حَمَّلَتْنِى أَمانَةً ... فلا وأَبى لَيلَى إذاً لا أَخُونُهَا

حفظتُ لها السِّرَّ الّذِى كان بيننا ... ولا يحفظُ الأسرارَ إلا أَمينُها (٢)

كان يقال : كل شىء تكتمه عن عدوك ، فلا تُظْهِر عليه صديقك .

وقال آخر :

إذا كتم الصديقُ أخاه سِرًّا ... فما فضلُ الصَّدِيقِ عَلَى العَدُوِّ (٣)

وقال آخر :

وأبثثتُ عمراً بعضَ مافِى جوانحى ... وجَرَّعْتُهُ من مُرِّ ما أتَجَرَّعُ

ولا بدَّ من شكوى إلى ذِى حَفِيظَةٍ ... إذا جعلتْ أسْرَارُ نَفْسِى تَطَلَّعُ (٤)

وقال أبو الشيص :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّى وسِرَّكُمُ ... غَيْرِى وغيْرَكَ أَوْ طَىَّ القَرَاطِيسِ (٥)

وقال ابن وكيع :

إِذا كنتَ ذَا سِرٍّ تخَافُ مِنَ العِدَا ... عليهِ ظُهُورًا فاطْوِهِ دونَ ذِى الوُدِّ

---

(١) ا : للجاحم .

(٢) عيون الأخبار ١/٤٢ ، الأمالى للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) البيان ٣/٣٨٠ .

(٤) انظر البيتين فى محاضرات الأدباء ٢/٥٤ ، البيان والتبيين ٣/٣٨٠ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن برد ، كما فى المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) عيون الأخبار ٤٢/١ ، شرح المختار من شعر بشار ١٥٧ .

فيا رُبَّ خِلٍّ حالَ عمَّا عهدتهُ ... فظل لما قد كنتُ أودعتُه يُبْدِى

وقال شبيب بن البَرْصَاء :

وإنى لأكْمِنُ السرَّ عندى وإن أتى ... لذلك من عَهْدِ الأمانةِ حينُ[1]
كُمُونَ النَّوَى لا يَشْعُرُ النَّاسُ أنَّهُ ... ثَوَى فِي رُفاتِ الْأَرْضِ وهو دَفِينُ

وقال آخر :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضيقًا بِهِ ... وتَبغِي لسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ
وكِتمانُكَ السِّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ ... ومن لَا تَخَوَّفُهُ أحْزَمُ[2]

وقال آخر :

أُدارِى خَلِيلِى مَا اسْتَقَامَ بوُدِّهِ ... وأمْنَحُهُ وُدِّى إذا يتحَبَّبُ
ولست ببادِى صاحبى بقطيعةٍ ... ولا أنا مُبْدِى سِرَّهُ حين أغْضَبُ

ومما أنشده الرِّياشى رحمه الله :

بديهتُه قَبْلَ تدبيرِهِ ... متى رُمْتَهُ فهْوَ مُسْتَجْمِعُ
وفى كفّه للغنى مطلبٌ ... وللسِّرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ[3]

---

(١) ا : بين .

(٢) البيتان للحسين بن على بن أحمد النقيبى ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما فى لباب الآداب ٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمى ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديهته مثل تدبيره .

بابُ الحَرْبِ والشَّجَاعَةِ والجُبْنِ

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدوّ ، وإذا لقيتموهم فاثْبُتُوا » .

قال أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه فى كتابه إلى خالد بن الوليد : احرصْ على الموت تُوهبْ لك الحياة : أخذه الشاعر فقال :

تأخرتُ أَسْتبقِي الحياةَ فلم أجدْ … لِنَفْسِي حياةً مثلَ أنْ أتقَدَّمَا[1]

ومن هذا قول الخنساء :

نُهِينُ النفوسَ وهونُ النُّفو … سِ عند الكَرِيهة أوقَى لَهَا[2]

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بنى عبس : كم كنتم فى يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر فنتوا كل ونفشل ، ولم نقلّ فنذلّ . قال : فبم كنتم تظهرونّ على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبرُ بعد الناس هنيهة .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بنى ! لا تدعون أحداً إلى البِراز ، فإنه بَغْى[3] ، ولا يدعونّك أحد إليه إلا أجبته .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

---

(١) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/٦٨ إلى الحصين بن حمام المرى ، ونسبه فى الأغانى مرة إلى الحصين ١٢/٢٦٧ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ١٢/٢٨١ ، ونسب فى عيون الأخبار ١/١٢٥ إلى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٣٥ ، محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، عيون الأخبار ١/١٢٥ .

(٣) ب : نعى ، وما أثبتناه موافق لرواية العقد ، وبعدها فيه : والباغى مصروع .

النهار . قال : فمتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أَوَقَام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره !! والله إنْ كان هذا إلاّ عن ذنب أحد ثتموه بعدى[1] ، أو أحدثته بعدكم . ولقد استعملتُ يَعْلَى بن أُمَيّة على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق[2] ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فنتوا كل[3] فنفشل ، ولم نقل فنذل .

لم يكن قَبيل فى العرب [3] ألف فارس [3] إلا ثلاث قبائل : مرّة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

[3] قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، لعَمْرو بن مَعْدِى كَرِب [3] : أخبرنى عن السِّلاح . قال : سلْ عما شئت . قال : الرُّمح ، قال : أخوك وربما خانك[4] . قال : النَّبل ؟ قال : منايا تخطئ وتصيب . قال : التُّرْس ، قال : ذلك المِجَنُّ وعليه تدورُ الدوائر . قال : الدّرع ، قال : مَشْغلة[5] للرَّاجل متعبةٌ للفارس ، وإنها لحصنٌ حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أُمُّك على الثّكل . قال عمر : بل أُمُّك . قال : أخبرنى عن الحرب ، قال : مُرَّة المذاق ، إذا قَلَصَت عن ساق ، من صَبَر لها عُرف ، ومن ضعف عنها تلِف ، وهى كما قال الشاعر :

الحربُ أوّلَما تكونُ فتيَّةً[6] تسعَى بزينتها لكلِّ جهُولِ

---

(١) ب : أجرمتموه .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفى العقد ١/١١١ ، كنا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى العقد : وربما خانك فانقصف .

(٥) فى العقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة فى عيون الأخبار ١/١٢٩ وفى العقد ١/١٢١ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصرع الأول فى النهاية ٣/٤١٢ . وضبط فتية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حتَّى إذا اشتعلَتْ وشبَّ ضِرَامُها ... عادتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ خَليلِ
شمطاءَ جَزَّتْ رأسَها وتنكرتْ[1] ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ[2]

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تُلْقَح بالنجوى ، وتُنْتَج بالشكوى . أخذ نصر بن سيار[3] قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال :

وإن الحرب أوَّلُها الكلامُ

وهى أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أرى خَللَ الرَّمَادِ وميضَ نارٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ لهَا ضِرَامُ
فإن النَّارَ بالعُودَيْن تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ أوَّلُهَا الكلامُ
فقلتُ من التَّعجُّبِ ليت شِعْرِى ... أأيقاظٌ أميَّةُ أمْ نِيَامُ[4]

بلغ أبا الأغرّ[5] أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر[6] ، وقال له : يا بنى كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتق الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ، قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

---

(١) ا : تكرهت .

(٢) العقد ١/١٠٩ ، وفى هامشه أنها نسبت لامرىء القيس فى العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، وانظرها فى الشعر والشعراء ٣٣٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .

(٣) ا : سنان .

(٤) العقد الفريد ١/١١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٣٢٧ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، ونسبها لأعرابى يدعى أبا مريم فى محاضرات الأدباء ٢/٧٥ .

(٥) ب : الغر ، والصحيح ما أثبتناه كما فى العقد وغيره .

(٦) ب : الآخر .

جَلَاميدُ أمْلَاءِ الأَكُفِّ كَأَنَّهَا ... رءوس رجالٍ حُلِّقَتْ بالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا ... وكيف يُغَطِّى اللُّؤْمَ طَىُّ الْعَمَائِمِ

فإِنْ تَضرِبُونَا بالسِّيَاطِ فإِنَّنَا ... ضربناكُمُ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

وإن تحلقوا منَّا الرُّءوسَ فإِنَنا ... حلقنا رءوساً باللِّحَى والغَلَاصِمِ

وإن تمنعوا منَّا السِّلاحَ فعِنْدَنا ... سلاحٌ لنَا[1] لا يُشترى بالدَّراهِمِ

جلاميدُ أمْلَاءِ الأكفّ كأنّها ... رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالْمَواسِمِ[2]

ومن أحسن ما قيل فى الصبر على الحرب قول نَهْشَل بن حَرِّى بن ضَمْرَة :

ويومٍ كأنّ الْمُصْطَلِينَ بحرِّهِ ... وإن لَم يكن نارٌ قيامٌ على الجمْرِ

صبرنا له حتَّى تَقَضَّى وإنّما ... تُفرَّجُ أيامُ الكَرِيهَةِ بالصَّبْرِ[3]

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبى لما رأى الموتَ مُوقِناً ... مُطِلًّا كإِظْلَالِ السَّحَاب إذا اكْفَهَرّ

فقلتُ له : لا تبكِ عَيْنُك إنّمـا ... يكونُ غدًا حسنُ الثناء[4] لمن صَبَرْ

فما أخَّرَ الإحجامُ يوماً مُقَدَّمًا ... ولا عجَّلَ الإقدامُ ما أَخَّرَ القَدَرْ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لجرير ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ٣/١٢ ، العقد الفريد ١/٢١٣ ، محاضرات الأدباء ٢/٧١ ، الكامل ١/٣٤٤ ، ونسبت فى ذيل الأمالى ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوى وانظر البيت الأخير فى عيون الأخبار ١/١٣١ وفيها : علان بد أملاء .

(٣) يروى : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويروى مكان تقضى · انظر البيتين فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٣٦٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، العقد ١/١٢٥ ، الشعر والشعراء ٦١٩ ·

(٤) ب : إلينا ، والأبيات فى عيون الأخبار ١/١٢٥ .

ومن أحسن ما قيل فى النظم فى الصبر على الحرب(١) ، قول قَطَرِىّ بن الفُجاءَة التميمى الخارجى :

أقول لها وقد طارتْ شَعاعًا ... من الأبطالِ ويْحَكِ لن تُرَاعِى
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذى لكِ لم تُطاعِى
فصبرًا فى مجالِ الموتِ صبرًا ... فما نيلُ الخلودِ بمُسْتَطاعِ
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عن أخِى الْخَنْعِ اليَرَاعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ ... وداعِيهِ لأهلِ الأرضِ داعِى
ومن لم يُعْتَبَطْ يهرَمْ ويَسْقَمْ ... وتُسْلِمْهُ المَنُونَ إلى انْقطاعِ(٢)

وقال أصرم بن حميد :

حَرَامٌ عَلَى أرماحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ ... ويَنْدَقُّ قُدُمًا فى الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مسلّمةٌ أعجازُ خيلِىَ فى الوَغَى ... ودامِيةٌ لَبَّاتُهَا ونُحُورُهَا(٣)

وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعانِ والموتُ فيهما ... فيُقْتَل من ولَّى ويَسْلَمُ مَنْ ثَبَتْ

وقد ذكرتُ فى «باب الاعتذار» أحسنَ ما قيل فى النظم ، فى الاعتذار من الفرار .

---

(١) ب : فى التحريض على القتال .

(٢) الخنع : الذل والخضوع ، واليراع : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجبان ، ويعتبط : يموت شابا من غير علة ، والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٩٦ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر وفيات الأعيان ٣/٢٥٢ ، لباب الآداب ٤٢٤ ، عيون الأخبار ١/١٢٦ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروى : وتفرق منها بدل يندق قدما ، ويروى صدر البيت الثانى : محرمة أكفال خيلى على القنا ، والبيتان فى العقد الفريد ١/١١٧ ، وقد نسبا فى بجوء المعانى ٣٧ إلى أبى تمام .

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللّقاء والصّدق في ذلك ، قول عبد الشّارق بن عبد العزّى الجُهَنى :

تنادَوْا يَالَ بُهثَةَ يَوْمَ صَبْرٍ(١) فقلنا : أَحْسِنِى ضَرْبًا جُهَيْنَ
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ فجُلْنا جولةً ثم ارْعَوَيْنَا
فلما أنْ تواقَفْنَا قليلاً أنخنَا للـكَلَاكلِ فارتَمَيْنَا(٢)
ولما لم نَدَعْ قَوْسًا وسَهْمًا مشينَا نَحْوَهم ومَشَوْا إلَيْنَا
تَلألُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لأُخْرَى إذا حَجلوا بأسيافٍ رَدَيْنَا(٣)
شددْنَا شَدَّةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتـــيةٍ وقتلتُ قَيْنَا
وشدُّوا شَدَّةً أُخرى فجَرُّوا بأرجلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا
وكان أخِى جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ وكانَ القَتْلُ للفِتيان زَيْنَا
فآبُوا بالرِّمَاح مُـكَسَّرَاتٍ وأُبْنَا بالسُّيُوفِ قد انحَنَيْنَا
فباتوا بالصَّعِيد لهم أُحَاحٌ ولوخَفَّتْ لنا الْـكَلْمَى سَرَيْنَا(٤)

(١) ق ا ، م : يا لهيبة قوم صبر ، وفي حماسة أبي تمام : يا لبهثة إذ رأونا ، ورواية حماسة البحتري : يا لبهثة إذ لقونا ، فقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقينا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان ، ورواية حماسة أبي تمام لهذه الشطرة : إذا حجلوا بأسياف ردينا ، فالحجلان : تقارب الخطو كمشى المقيد ، والرديان : مشية فوق الحجلان ، وقتات قينا : أى فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الغيظ وحزازة الهم . والـكلمى : الجرحى . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١/١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة البحتري ٦١ إلى سامة بن الخجاج .

وقال المُدَيْلُ[١] العِجْلى :

إذا ما حَمَلْنَا حملةً ثَبَتُوا لَنَا ... بمُرْهَفَةٍ تفْرِى السَّوَاعِدَ من بُعْدِ
وإنْ نحنُ نازَلْناهُمُ بصوارمٍ ... رَدَوْا فى سَرَابِيلِ الحديدِ كما نَرْدِي[٢]

وقال آخر :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا ... قُدُمًا ونَلْحَقُهَا إذا لم تَلْحَقِ[٣]

وقال آخر :

إنَّ الرِّمَاحَ نَصِيرةٌ بالجَاسِرِ

وقال آخر :

وقلتُ لنفسِي إنَّما هو عامرٌ ... فلا تَرْهَبِيهِ وَانظُرِى أَيْنَ يَرْكبُ[٤]

قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءَة :

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجَامِ ... يَوْمَ الوَغَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فلقد أَرَانِى للرِّماحِ دَرِيئةً ... مِنْ عَنْ يَمِينِى مَرَّةً وَأَمَامِي
حتَّى خَضَبْتُ بما تحدَّرَ من دَمِى ... أَحنَاءَ سَرْجِى بل عِنَانَ لِجَامِي

---

(١) ب : المذيل ، وهو تحريف ، فهو العديل بن الفرخ العجلى، شاعر إسلامى أموى يلقب بالعباب من رهط أبى النجم العجلى ، انظر حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٢) فى الحماسة : مثلوا بدل ثبتوا ، وتذرى مكان تفرى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا فى سرابيل الخ : هرولوا إلينا كما نهرول إليهم . وانظر البيتين فى حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٣) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/١٠٦ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب فى الأغانى ١٥/٣٠ ، الشعر والشعراء ٣٤٢ ، الكامل ١/٦٨ إلى كعب بن مالك الأنصارى ، وانظره فى البيان ٢/٢٣ من غير نسبة .

(٤) البيت لكرز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البحترى ١٢ ، والرواية هناك : وانظرى أى مركب .

ثم انصرفتُ وَقد أصبتُ وَلم أُصَبْ ‌ ‌ ‌ جَذَعَ البَصِيرَةِ قارِحَ الإِقْدَامِ[١]

قال عمر بن الخطاب : الجُرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن أهله وولده ، والجرىء يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبى يَعْقُوب الخُرَيمى :

يَفِرُّ جبان القوم عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ ‌ ‌ ‌ وَيَحْمِى شُجَاعُ القَوْمِ مَن لّا يُنَاسِبُهْ

وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الجوادِ عَدُوُّهُ ‌ ‌ ‌ وَيُحْرَمُ معروفَ البخيلِ أَقَارِبُهْ[٢]

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءَة :

يا رُبَّ ظِلِّ عُقَابٍ قد وَقَيْتُ بِهَا ‌ ‌ ‌ مُهْرِى من الشَّمْسِ وَالأبطالُ تَجْتَلِدُ

وَربَّ يومٍ حِمًى أرْعَيْت عَقْوَتَهُ ‌ ‌ ‌ خيلى اقتساراً وَأطرافُ القَنَا قِصَدُ

وَيوم لَهْوٍ لأهلِ الخفض ظلَّ بِهِ ‌ ‌ ‌ لَهْوِى اصطلاءَ الوَغَى أو نارُهُ تَقِدُ

مُشَهَّرًا موقفي وَالحربُ كاشِفَةٌ ‌ ‌ ‌ عنها القِنَاعَ وَبحرُ الموت مُطَّرِدُ

وَربّ هاجرةٍ تَغْلى مَرَاجِلُهَا ‌ ‌ ‌ مَخَرْتُهَا بِمَطَايا غَارَةٍ تَخِدُ

تجتَابُ أودية الأفْزَاع آمنةً ‌ ‌ ‌ كأنّها أسدٌ يقتادُها أَسَدُ

فإن أمُتْ حَتْفَ أنفي لا أمُتْ كمداً ‌ ‌ ‌ على الطِّعَانِ وَقَصْرُ العاجزِ الكَمَدُ[٣]

---

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التى يتعلم عليها الطعن . والأحناء : الجوانب ، ويروى بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فتى الاستبصار ، أى وأنا على بصيرتى الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه فى الجرأة . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٣٠، والحماسة طبعة بيروت ١/٤٤ ، الأمالى للقالى ٢/١٩٠ .

(٢) فى عيون الأخبار ١/١٧٢ : عن أم رأسه ، وفى العقد الفريد ١/١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفى محاضرات الأدباء ١/١٣١ ، ٢/٥٧ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجتلد : تتقاتل ، والعقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو متكسرة من الطعان ، مخرتها : قطعتها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخد : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أى حسب . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأمالي ١/٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمن ظنّ مِمَّنْ يُلَاقِي الحُرُوبَ　　بألّا يُصاَبَ فقد ظَنَّ عَجْزَا[١]

وقال حبيب الطائى :

وَدنَوْنَا وَدَنَوْا حتَّى إذَا　　أمكنَ الضَّربُ فمن شاءَ ضَرَبْ

تركوا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا　　غمراتِ الموتِ وَاختارُوا الهرَبْ[٢]

وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، ويقال : إنها لعَمْرِو بن مَعْدِى كَرِب :

أعاذلُ إنَّما أفْنَى شبَابِى　　رُكُوبِى فى الصَّرِيخ إلى المُنَادِى

مع الفِتْيَانِ حتَّى سُلَّ جِسْمِى　　وَأقرحَ عاتِقِى حَمْلُ النّجَادِ[٣]

وقال آخر :

قوم إذا اشتَجَرَ القَنَا　　جَعَلُوا القُلُوب لهاَ مَساَلِكْ

اللَّابِسِـــــــين قُلُوبَهُمْ　　فوقَ الدُّرُوعِ لدَفعِ[٤] ذَلِكْ[٥]

ومن أحسن ما قيل فى صفة[٦] الطعن ، قول الحارث بن حِلِّزَةَ :

فردَدْناَهُمْ بضربٍ كما يَخْـ　　ـرُجُ من جرْيَةِ المَزَادِ المَاءُ

وَفعلنا بهم كما عَلِمَ اللَّـ　　ـهُ وَمَا إنْ للخائنين دِمَاءُ

(١) الديوان ١٤٦.
(٢) الديوان ١/٢١ .
(٣) ب : سل عظمى . والبيتان فى عيون الأخبار ١/١٣٣ ، العقد الفريد ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : لإجابتى الصريخ ، وانظر البيت الأول فى معجم الشعراء ٢٠٩ .
(٤) ا : لوقع .
(٥) البيتان فى أمالى القالى ١/٦٥ .
(٦) ب : صحه .

وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِى(١) :

وطعنٍ كفمِ الزِّقِّ غَــذَا وَالزِّقُّ مَلْآنُ

وقال آخر :

وَمِثلِكَ قد كسرتُ الرُّمْحَ فيه فآبَ بِدائِهِ وَشفيتُ دائِى

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء(٢) :

وقالوا : فارسُ الهيجاءِ ، قُلْنا : كذاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالـكَرِيمِ

وقال آخر :

ضممتُ إليه بالقَنَاةِ قميصَهُ فخرَّ صريعًا لليَدَيْنِ وَللفَمِ(٣)

وقال عنترة :

فشككتُ بالرُّمْحِ الطويلِ ثيابَهُ ليسَ الـكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ(٤)

وقال آخر :

صراعنا طريفاً بأرماحنا ولا تأكل الحَرْبُ إلاّ السّمِيناَ

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفى ، كان سيد بكر بنى وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبيها بفند الجبل أى القطعة منه ، مات نحو سنه ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى فى حماسة أبى تمام ١/١٦، حماسة البحترى ٧٥ وفيها : «وهى» مكان غذا ، والأمالى للقالى ١/٢٦٠ . والزق : وعاء الخمر ، وغذا : سال .

(٢) فى الحماسة أن قائلته هى بنت فروة بن مسعود من شعر قالته فى رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابنى مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذى القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرىء القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسه أبى تمام ١/٢٧١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الـكامل ٢/١٧١ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال عليُّ بنُ محمد[1] العلوى ، المعروف بالمُبَرْقع [2] ، صاحب الزَّنْج :

يَنثنى الصَّارِمُ المُهَنَّدُ وَالرُّمْـ ـحُ الرُّدَيْنِيُّ وَالشُّجاعُ الجَرِيُّ
حيثُ لا أَنْثنِي وَلا يَتَثَنَّى بِيَدِى صارمٌ وَلا سَمْهَرِيُّ
مَن رآنى فقد رَأى مَشْرَفِيًّا ماضياً[3] فى يَمِينِه مَشْرَفِيُّ
شأنِىَ الفارسُ المدجَّجُ فى النَّقْـ ـعِ إذا نَازَلَ الـكَمِىَّ الـكَمِىُّ
وَرأيتُ الفَضاءَ أضْيَقَ ما يُسْـ ـمَى به حتى كأنَّه مَطْوِىُّ
يا ابنةَ العمِّ أوقدى النَّار فى اللَّيـ ـلِ فإنِّى لـكل آتٍ أَتِىُّ[4]
أُكْرِمُ الضيفَ ما استَطَعْتُ لأنِّى مطعمِى حاضرٌ وكأسِى روىُّ
كيف لا تُزْهقُ النفوسُ لشَخْصِى حِينَ أغشى الوغى[5] وَجَدِّى عَلِىُّ
ذو التُّقَى والنُّبْلِ وَذو العِلْمِ والحِلْـ ـمِ ومن خيرِ طينة والوَصِىُّ
والَّذِى قَالَ إِنَّه اليَوْمَ مِنِّى مثلُ هارُونَ من أخيه النَّبِىُّ

وقال عبيدة بن هلال :

يَهْوِى وتَرْفَعُه الرِّماحُ كأنه شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالب ضَارِ

---

(١) فى ا : على بن أحمد وهو خطأ ، فهو على بن محمد الورزنينى العلوى ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى ، ظهر فى أيام المهتدى بالله العباسى سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله فى أيام المعتمد سنة ٢٧٠هـ أن يقتله . انظر الطبرى ١١/١٧٤ ، الأعلام ٥/١٤٠ .

(٢) زيادة فى ا فقط ، وليس هذا اللقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ا : آب أبى .

(٥) ساقطة من ب .

فيُرى صَرِيعاً وَالرّماح تنوشُه ... إن السَّرَاةَ قصـــيرة الأعمارِ

وقال مهلهل :

لَمْ يُطيقُوا أن ينزلُوا ونزلْنَا ... وأخو الحَرْبِ مَن أطَاق النُّزُولَا(١)

وقال (٢ ابن مقروم ٢) الضبي :

ودَعَوْا نَزَالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعَلَامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أنْزِلِ

وقال أعشى همدان :

أبلغ يزيدَ بنى شيبانَ مَألُكَةً ... أنَّ الكتائبَ لا يُهْزَمْنَ بالكتُبِ

إنّ الوعيدَ بظهرِ الغيب مَعْجَزَةٌ ... فإنْ أردتَ قتالَ القومِ فاقتربِ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... فى حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ(٣)

وقال آخر :

وَخارجٍ أخرجَهُ حبُّ الطَّمَعْ ... فرَّ من الموتِ وَفى الموتِ وَقَعْ

من كان يَهْوَى أهلَهُ فلا رَجَعْ(٤)

---

(١) ب : النزالا ، والبيت فى محاضرات الأدباء ٢/٥٧ .

(٢) ساقط من ا ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبى ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضر المجيدين . والبيت فى عيون الأخبار ١٢٦/١ ، حماسة أبى تمام ٢٣/١ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت فى ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١٦٩/١ ، عيون الأخبار ١٨٣/١ وفيه : من كان ينوى أهله ... الخ .

قال السموءل بن عادياء اليهودى :

يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرَهُهُ آجالُهم فتطولُ[١]

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كأنّ الجبانَ يَرَى أنه سيُقتلُ قبل انقضاءِ الأَجَلْ

وقد تُدْرِكُ الحادثاتُ الجبانَ ويسلم منها الشُّجاعُ البَطَلْ[٢]

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خُرَيْم :

إنّ للفتنةِ ميلاً بَيِّنًا فرُوَيْدَ الميلَ مِنْها يَعْتَدِلْ

فإذا كان عطاءٌ فأَقِمْ[٣] وإذا كان قتال فاعتزِلْ

إنَّما يُسْعِرها جهالُهاَ حطبَ النَّارِ فدعْها تشتَعِلْ[٤]

وقال آخر :

أضحت تشجِّعُنِى هندٌ وقد علمتْ أنّ الشَّجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ[٥]

للحرب قوم أضل الله سعيَهُمُ إذا دعتْهُمْ إلى نيرانِهـــا وَثبُوا

---

(١) حماسة أبى تمام ١/٣٨ ، البيان ٣/٢٨١ .

(٢) عيون الأخبار ١/١٦٥ .

(٣) ب : فأتهم .

(٤) الأبيات فى العقد الفريد ١/١٦٧ ، نهاية الأرب ٣/٧١ ، عيون الأخبار ١/١٦٣ ، وفيها كلها : ميطا بدل ميل وهما بمعنى ، وفى العقد فانتهز بدل أقم ، وفى عيون الأخبار فأتهم ، وهى موافقة للنسخة ب .

(٥) ساقط من ا ، وفى العيون فقلت لها إن الشجاعة ، وفيها : إلى حوباتها بدل نيرانها .

وَلستُ منهمْ ولا أُبغى فعالَهُمُ   لا القتلُ يعجبُنى منهم ولا السَّلَبُ(١)
لا وَالذى جعل الفِرْدَوْسَ جنَّته(٢)   ما يشتهى الموتَ عندى من له أربُ(٣)

وقال أبو الغمر المدنى كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِى لِسانُ العَارِ والعذلِ   فلسْتُ آنفُ من جُبْنٍ ولا فشَلِ
إنِّى بخلتُ بنفسٍ لا يُجَادُ بهـا   وَلستُ بالمالِ أفْديها من البَخلِ
هيهاتَ تأبَى لِيَ التغْرِيرَ فَلسَفَةٌ   تَرَى حُضُورَ الوَغَى من أكثر الزَّلَلِ
متى رأيتَ شجاعاً مات بالأجَلِ   ونال من لَذَّةِ الدُّنْيا مَدى الأَمَلِ
كأنَّ آجالَ شُجْعان الوَرَى خُلِقَت(٤)   فى أنفس البيضِ والخَطِّيَّةِ الذُّبُلِ(٥)

وقال أيضاً :

إنى أضنّ بنفسٍ لا يُجـاد بها   وَالجودُ بالنّفس أقْصَى غاية السَّرَفِ
ما أبعَدَ القتلَ من نفسِ الجبان وما   أحلَّه بالفَتَى الحامِي عن الشَّرَفِ(٦)

وقال أيمن بن خُرَيم :

يقول لِيَ الأميرُ وقد رآنى   تقدَّمْ حين جدَّ بنا المِرَاسُ

---

(١) ب : لا الجد يعجبنى منها ولا اللعب .
(٢) فى العقد : لا والذى منع الأبصار رؤيته ، وفى العيون : لا والذى حجت الأنصار كعبته .
(٣) الأبيات لأبى الغمر محمد بن أبى حمزة الطهوى ، انظرها فى عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد ١/١٦٦ ، مجموعة المعانى ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .
(٤) ب : جعلت .
(٥) المحاسن والمساوىء ٢/٢٤٥ .
(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إنى بخلت .. الخ .

فمالى إن أَطَعْتُك غير نفسِى ومالى غير هذا الراسِ رُاس[١]

وقال الهذلى يصف جبانا :

نَحُولُ قُشَعْرِيرَاُته[٢] دُونَ لَوْنِهِ فرائصُه من خيفةِ المَوْتِ تُرْعَدُ[٣]

وقال آخر :

وَكَتيبةٍ لَبَّسْتُهَا بكتيبةٍ حتَّى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لهَا يَدِى

فتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهُمْ من بين مُنْجَدِلٍ وآخَرَ مُسْنَدِ

ما كان ينفَعُنِى مَقَالُ نِسَائِهِمْ ـ وقُتِلْتُ دونَ رجالهم ـ لاتَبْعَدِ[٤]

وروينا أن مروان بن الحكم ، دعا أيمن بن خُرَيم إلى القتال بمرج راهط ، فقال له : إن أبى وَعمى شهداء بدر ، وَعهدا إلىَّ ألا أقاتل مسلما ، ثم أنشأ يقول :

وَلستُ بقاتلٍ رَجُلاً يُصَلِّى على سلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ

له سُلْطَانُهُ وعَلَىَّ إثْمِى معاذَ اللهِ من سَفهٍ وَطَيْشِ

أأقتلُ مسلماً فى غير جُرْمٍ فلستُ بنافِعِى ما عشتُ عَيْشِى[٥]

---

(١) فى الكامل أنهما لحبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، وقيل إنهما للأعور الشنى ، وقد وردا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٦٥ بغير نسبة ، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآنى ، ومن حياة مكان غير نفسى ، وفى محاضرات الأدباء ٢/٧٩ : بغير نصح . وفى مجموعة المعانى ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعر برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى ، ديوان الهذليين ٢/٢١٨ .

(٤) يروى : من بين منعفر الجبين ومسند ، ومن بين مقتول ، ويروى : هل كان بدل ما كان ، وهل ينفعنى أن تقول نساؤهم ... الخ . ومعنى نفضت لها يدى أى أعرضت عنها ، وتقص : تكسر ، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمى (حيان بن الحكم) كما فى حماسة أبى تمام ١/٦٥ ، عيون الأخبار ١/١٠٤ ، وانظرها أيضاً فى حماسة البحترى ٥٥ ، العقد الفريد ١/١٦٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٩ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خُرَيم مع عبد الملك بن مروان .

وَلأبى الغمر كاتب الحَسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكرِّ بالكرَّارِ ... ولا عَلَى الطِّعَانِ بالصَّبَّارِ
هانت عَلَيَّ سَبَلَاتُ العَارِ ... وما أبالى قبلوا اعْتِذَارِى
أو وَسَمُونى سِمَةَ الغَدَّارِ[١] ... أنا طليق الرَّكْضِ والفِرَارِ
فديتُ نَفْسِى منه بالإضْمارِ ... فلَوْ تَرَانِى أو تَرَى إحْضَارِى[٢]
لا أعرفُ اللَّيْلَ من النَّهَارِ ... خِلْتَنِى عَجْلَانَ ذا انْشِمارِ[٣]
طِرْفاً[٤] نجا من وَخْزَةِ البِيطَارِ ... أُحْكِمَ منه الصُّنْعُ فى المِضْمَارِ
أو عَدْوَ عَيْرٍ غَيْرَ ما عِثَارِ ... أو كَنَجاءِ النِّقْنِقِ الطَّيَّارِ[٥]

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عَلَيَّ وأنا حىّ ، أحب إلَيَّ من أن يرضى عنى وأنا ميت .

وأسلمُ بن زُرْعة هذا هو القائل[٦] ، وَقد عبأ جيشاً عظيما ليفزع به الخوارج ،

---

(١) ب : الفرار . (٢) ب : إحصار .
(٣) ب : إنسار . (٤) ب : طربا .
(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالتحريك ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس القوت بعد السمن لتهزل وتستطيع دخول السباق . والإحضار : ارتفاع الفرس فى العدو ، وانشمر : مر جاداً فى عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقنق : الظليم ، أو النافر أو الخفيف .
(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفزعوا ، وَجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتم [١] خارَ اللهُ لنا وَلكُم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مِرْدَاس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وَأسلم بن زُرْعة فى ألفين :

أَأَلْفَا مُؤْمِنٍ منكمْ زَعَمْتُمْ ... وَيَهْزِمُهُمْ رجالٌ أَرْبَعُونَا

كذبتُمْ لَيْسَ ذلكمُ كَذَاكُمْ ... وَلكنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا

هُمُ الفِئَةُ القليلةُ قد عَلِمْتُمْ ... على الفِئَةِ الكثيرةِ يُنْصَرُونَا [٢]

وَجه أبو جعفر المنصور ، رَوْحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا فى هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وَقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إنِّى أعوذُ برَوْحٍ أن يُقَرِّبَنِى ... إلى القِتَال فيَشْقَى بي [٣] بنُو أَسَدِ

إن الدُّنُوَّ من الأعْدَاءِ تَعْلَمُهُ ... مما يفرِّقُ بين الروحِ وَالجسَدِ [٤]

قال : فضحك وَأمر له بجائزة .

وَقال أبو الغَمْر :

ظلَّتْ تُشَجِّعُنِى ضَلًّا بتضْلِيلِ [٥] ... وَللشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غيرُ مَجْهُولِ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لعيسى بن فاتك الخطمى ، أحد بنى تيم الله بن ثعلبة ، كما فى الكامل ٢/١٨٥ ، وفى العقد الفريد ١/١٧٣ ورد البيت الأول : أألفا مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١/١٦٣ وفيها : بآسك أربعونا .

(٣) ب : فيسفو إلى .

(٤) البيتان فى نهاية الأرب ٤/٤٢ ، وفيه : فتخزى بى بنو أسد ، وانظر معجم الأدباء ١١/١٦٧ ؛

(٥) ب : ظلا بتظليل تحريف ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أَنْ عَذَلُونِي أَنّنِي فَشِلٌ ... فَكُلُّ هَذَا نمٌ فاغْروا بِتَعْذِيلِي

الحربُ تُعْقِبُ من يَصْلَى بِهاحَزَنًا[1] ... يُتْمَ البنِين وَإِرمالَ[2] المثاكيلِ

وَاللهِ لو أَنّ جبريلاً تكفَّلَ لِي ... بالنَّصرِ خفتُ على عِلمِي بِجِبْرِيلِ

اللهُ خلَّصَنِي منهم وَفلْسَفَتِي ... حتَّى تخلصتُ مَخضُوبَ السَّرَاويلِ[3]

وَله أيضاً :

لستُ بداءِ الحربِ بوقَّافِ ... وَلا على القِرْنِ بعطَّافِ

قد أمَّنَ اللهُ عدُوِّى فما ... يخافُ أَرْمَاحِي وَأَسْيَافِي

إذا رأيتُ الحرْبَ من فرْسَخٍ ... خَذْرَفْتُ رِجلي أيّ خِذْرَافِ[4]

---

(١) ب : جربا .

(٢) ا : آمال .

(٣) المحاسن والمساوى، ٢/١٤٤ ، ١٤٥ .

(٤) الخذروف : السريع الجرى ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوى، ٢/١٤٥ ،

باب الاعتـــذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن اعْتَذر إليه أخُوه المسلمُ فلْيَقْبَلْ عذره ، مالم يعلمْ كذبه » .

قال عمرُ بنُ الخطّاب : لا تَلُمْ أخاكَ على ما يكون العُذْرُ فى مثله .

قال الأحنفُ : إيّاكَ وما يُعتَذَر منه ، فإنه قلّما اعتذر أحدٌ فسلم من الكذب .

قال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لو أنّ رجلا شتمنى فى أذنى هذه ، واعتذر إلى فى أذنى هذه لقبلت عذره .

ومن النظم فى معناه :

قِيلَ لى قَدْ أسَا إليك فُلاَنٌ وقُعُودُ الفَتَى عَلَى الضَّيْمِ عَارُ
قلتُ : قد جَاءنَا فأحْدَثَ عُذْرًا دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الاعْتذَارُ

وقال الأحنف : إذا اعْتَذَرَ إليك معتذر ، فلتلْقَه بالبِشر .

اعتذر إلى قتيبةَ بنِ مُسْلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لايَدْعُوَنَّكَ أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعلّك لا تتخلص منه .

قال صالح بن أبى النجم :

ولَرُبَّما جَاءَ الفَتَى بِدنيَّةٍ وَوَرَاءهَا عُذْرٌ لَهُ لمْ يُفْهَمِ

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد ممطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلومُنِي النَّاسُ فِيما لَوْ أُخبِّرُهُمْ ... بِالعُذْرِ مِنِّيَ فِيهِ لَمْ يَلُومُونِي

قال البحترى :

اقْبَلْ مَعاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا ... إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيما قَالَ أَوْ فَجَرَا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا[1]

وله أيضاً :

إذا مَحَاسِنِيَ اللَّاتِى أُدِلُّ بِهـــا ... عُدَّتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟[2]

وقال محمودُ بن داود القِياسِى :

الْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّخْوِيفُ[3] والـكَذِبُ ... ولَيْسَ فى غَيْرِ ما يُرْضِيكَ لِي أَرَبُ
فإِنْ أسأتُ فَبِالنُّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ ... لَمَّا مُنِيتُ بِعَفْوٍ مَالَهُ سَبَبُ

وقال أبو على البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْباً فإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ ... جَنَيْتُ ذَنْباً فَغَيْرُ مُعْتَمِدِ
قَدْ تَطْرِفُ الْـكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا ... فلا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرَّشَدِ[4]

---

(١) البيتان فى ديوانه ١/٥٨ .
(٢) ديوانه ١/٦٣ .
(٣) ب : التحريف .
(٤) نهاية الأرب ٢/١١٥ .

وقال عليُّ بن الجَهْم :

إنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ والإعْتِذَارِ خطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلاً بِهاَ تَوَرَّطَهَا الحُــرُّ ولـكنْ سَوَابِقُ الأَقْدَارِ
ارضَ للسَّائِلِ الخُضُوعَ وللقَا رِفِ ذنباً مذلَّةَ الإعْتِذَارِ (١)

وقال آخر :

وما كنتُ أخْشى أن تُرَى لى زَلَّةٌ ولـكنْ قضاءِ اللهِ مَا عَنْهُ مَهْرَبُ
إذا اعتذرَ الجانى مَحاَ العُذْرُ ذَنْبَهُ وكلُّ امْرِىءٍ لَا يَقْبَلُ العُذْرَ مُذْنِبُ(٢)

كان يقال : مَنْ وُفِّقَ لحسن الاعتذار خَرَجَ من الذنب .

اعتذر رجلٌ إلى أبى عبيد اللهِ الوَزير الـكاتب(٣) ، فأساء الاعتذار ، فقال أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذارًا أشبه باستئناف ذنبٍ من هذا .

وللشَّافعى رضى الله عنه ، وقد قيل : إنما تمثَّل بها :

يَالَهْفَ نَفْسى عَلَى مالٍ أُفرِّقه عَلَى المُقِلِّين من أَهْلِ الْمُرُوءاتِ
إن اعتذارِى إلى مَنْ جَاء يَسْأَلُنِى ما ليسَ عِنْدِىَ من إحدى المُصِيبَاتِ

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٨٧ ، وفيه : إن بين السؤال ... الخ .

(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ٢/١٤٣ .

(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدى ، كان أوحد الناس فى عصره حذقا وخبرة وكتابة ، مات سنة ١٧٠هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنْشد للفراء مِنْ قوله :

أردتُ لكيما لا تُرى لى عَثْرَةٌ ومَنْ ذَا الذى يُعطَى الكَمالَ فيَكْمُلُ(١)

وقال محمود الوراق :

أرانى إذا ما زِدْتُ مالاً ورفعةً وخيرًا إلى خيرٍ تزيَّدْتُ فى الشَّرِّ
فكيف بشكر اللهِ إذ كنتُ إنما أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر
بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقولُ الذى يدرى من الأمر : ما أدرى؟
إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ(٢)

قال أبو بكر الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألنى أبو سليمان الشّاشىّ حاجة فاعتذرت بشغل فى تأخيرها ، فكتب إلىّ :

سَكَنَتْ نَفْسِىَ لمَّا الْـ ـتَفَّ حَبْلِى بِحَبالِكْ
إنما أطلبُ مِنْ جا هِكَ نفعاً لا بمالِكْ
لا تصيِّر شُغْلَكَ اليَوْ مَ اعتِذَارًا لِطلابِكْ(٣)
لو تفرَّغتَ من الشُّغْـ ـلِ استَوَيْنا فى المَسالِكْ(٤)

وهذا عندى مأخوذ من قول أبى العتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلُ عَاذِرٌ لك عندى إنَّما تُرْتَجَى إذا كان شُغْلُ(٥)

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلى ، انظر أمالى القالى٢/٤٣ .
(٢) الكامل ١/٣٢٨ ، زهر الآداب ١/٩٠ ، محاضرات الأدباء ١/١١٦ ، نهاية الأرب ٣/٨٥ .
(٣) ب . لا تصبر ... لمطالك .
(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٦٦ .
(٥) ديوانه ٢١٦ .

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغْل عنَّا فإنّما ... تُناطُ بك الآمالُ ما اتَّصلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عنَّا بشيءٍ وُليتَـه ... كما لم يُصغِّرْ عندنا شأنك العَزْلُ[١]

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ انَّ العِلْمَ يَنْفَعُنِى ... أنّ انطلاقِى إلى الحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لئن رحلتُ إلى الحجَّاجِ مُعْتَذِرًا ... إنّى لأحمقُ من تَجْرِى به العِيرُ[٢]

وقال آخر :

لا تَرْجُ توبةَ مذنبٍ ... خَلَطَ احْتِجَاجاً[٣] باعتذار

وقال ابن الدُّمينة :

بنفسِى ومالِى من إذا عَرَضُوا له ... ببعضِ الأذى لم يَدْرِ كيف يُجِيبُ
ولم يعتذرْ عُذْرَ البرىءِ ولم يزل ... به سكتةٌ حتَّى يُقال مُرِيبُ[٤]

وقال آخر :

فلا تَعْذِرَانى[٥] فى الإسَاءةِ إنَّه ... شِرَارُ الرِّجَالِ من يُسِىءُ ويُعْذَرُ[٦]

---

(١) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبى على البصير ، وانظرهما فى زهر الآداب ٢٠٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأُقيبل القينى ، كما فى المؤتلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره فى المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٣ ، البيان ٢١٥/١ ، حماسة أبى تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلانى .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣

وقال آخر :

وما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفْسَهُ ... وليس له من سَائِرِ النَّاس عَاذِرُ[١]

وقال آخر :

هى المقاديرُ فلُمنى أو فذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ[٢]

وقال آخر :

وعاجزُ الرأى مضياعٌ لفُرصته ... حتى إذا فات أَمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا[٣]

وقال آخر :

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قد جَرَتْ ... وما العارُ إلاَّ ما تَجُرُّ المَقَادِرُ[٤]

قال بعض الحكماء : إياكَ وما يَسْبق للقلوب إنكارُه ، وإن كان عندك اعتذارُه .

قال محمود الوراق :

أَرَانِي مَعَ الأَحْيَاء حَيًّا وأَكْثَرِى ... على الدَّهْرِ مَيْتٌ قد تَخَوَّنَهُ[٥] الدَّهْرُ

فما لم يَمُتْ[٦] منّى لما مات مَيِّتٌ ... وبعضٌ لبعضٍ قبلَ قَبْرِ البِلَى قَبْرُ

فيا رَبِّ قد أَحْسَنْتَ بدءًا وعَوْدَةً ... إلىّ فلم ينهضْ بإحْسَانِكَ الشُّكْرُ

فمن كان ذا عذرٍ لَدَيْكَ وحُجةٍ ... فعُذْرِىَ إقْرَارِى بأن لَيْسَ لِى عُذْرُ

(١) حماسة أبى تمام ٢/١٥ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المعانى ١٣ ، ٢٦ .
(٢) البيت من مزدوجة أبى العتاهية ، انظر ديوانه ٣٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، معجم الأدباء ٧/١٢٧ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .
(٣) العقد ١/ ٧٥ ، البيان والتبيين ٢/٣٩١ ، معجم الشعراء ٤٩٨ .
(٤) الأمالى ١/٣١ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .
(٥) ا : تحوفه .
(٦) ا : يهب .

وفى الأشعار فى الاعتذار من الفرار

قال الأصمعى : أحسنُ ماقيل فى الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام المخزومى :

اللهُ يَعلَمُ ما تركتُ قِتالَهم ... حتَّى عَلَوْا مُهْرِى بأَشقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ وَاحِدًا ... أُقْتَلْ ولا يُحْزِنْ عَدُوِّى مَشْهَدِى
فصددْتُ عنهم والأحِبَّةُ فِيهِمُ ... طَمَعًا لهم بعقابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ[1]

وقال خلفُ الأحمر : أحسن ما قيل فى الاعتذار فى الفرار ، قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى :

لعَمْرُكَ ما ولّيتُ ظَهْرِى مُحَمَّدًا ... وأصحابَهُ جبنًا ولا خيفة القَتْلِ
ولـكنّنى قلَّبْتُ أمرى فلم أجِدْ ... لسيفى غناء إن ضربتُ ولا نَبْلِى
وقفتُ فلما خفتُ ضَيْعَةَ موقِفِى ... رجعتُ لعَوْدٍ كالهِزَبْرِ أبى الشِّبْلِ[2]

فر ابن مطيع[3] يوم الحَرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه فى القتال ، ويقول :

---

(١) يروى : علوا فرسى ، ولا يضرر عدوى ، ويوم مرصد أى معلوم . وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ١/ ٦٤ ، عيون الأخبار ١/١٦٩ ، حماسة البحترى ٥٠ .

(٢) يروى: خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفى ، ويروى البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجد لى مقدما ... صددت كضرغام هزبر أبى الشبل

انظر حماسة البحترى ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٨ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الـكعبي القرشى ، كان على قريش يوم الحرة (حرة واقم ، انظر فى خبرها : معجم البلدان المجلد الثانى ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قتلا سنة ٧٣هـ ، انظر الإصابة ترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٦ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلى: لابأس بالـكرة بعد الفرة ، وانظر البيتين فى العقد١/١٧٥، وحماسة البحتري ٥٢، عدا الشطرة الأخيرة .

أنا الَّذِى فررتُ يَوْمَ الحَرَّه والحُرُّ لا يفرُّ إلا مَرَّهْ
فاليومُ أجْزِى فرّة بكَرّه يا حبّذا الكرّةُ بعد الفرّهْ

وقال أوس بن حجر :

أَتَوْنَا فردُّوا حَافَتَيْنَا بزَاعِقٍ[١] من الضَّرْبِ ضَرْمَ النَّارِ فى الحَطَبِ اليَبْسِ
وما بفرارِ اليَوْم عارٌ على الفَتى إذا عُرِفَتْ منه الشَّجاعةُ بالأَمْسِ[٢]

قال الأحنفُ بنُ قيس : أسرعُ النَّاس إلى الفتنة ، أقلُّهم حياءً من الفرار .

وقال آخر[٣] :

العبدُ يذنِبُ والمَوْلَى يُقَوِّمُه والعبدُ يَجْهَلُ والمَوْلَى يُعَلِّمُهُ[٤]
إنّى ندمتُ على ما كان من زللٍ وزلّةُ المرء يَمْحُوهَا تَنَدُّمُهُ

(١) ب : براعن . والزاعق : الشديد الذى لا يحتمل .
(٢) نسب البيتان فى شرح الحماسة للتبريزى ٢/٢٠٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا فى العقد ١/١٧٢ لعمرو بن معدى كرب ، ونسبهما فى محاضرات الراغب ٢/٧٨ إلى عبد الله بن غلفاء .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ب : والموتى تعلمه .

بابُ المَوَاعِيد

أثنى اللهُ عز وجل على إسماعيل عليه السَّلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ ﴾[1] ، قال كعبَ : كان لا يعدُ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظرَ رجلا وَعَده سنة كاملة .

وري أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم انتظر رجلاً وعده فى موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالمُنْتَظَر عبد الله بن أبى الحَمْساَء[2] .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وَعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وَعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله[3] .

وَقال المثنى بن حارثة الشّيبانى : لأن أموتَ عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .

قال بعضُ الحكماء : وعدُ الكريم نَقْد ، ووعدُ اللئيم تَسْويف .

---

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبى الحمساء العامرى ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٩٣/٥ .

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان، ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، ويَصْدُق في المقال ، ولولا ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسْن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنّ الحاجةَ إذا لم يتقدمْها وعدٌ تنتظر نُجْحه ، لم تتجاوب الأنفس سُرُورها ، فدَعِ الحاجةَ تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَع حسنُ موقعٍ ولطفُ مَحَل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ، لأنّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبّان سآمة ، (ونعم)اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نِيَّة وَقبح مآل.

أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي ... وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةَ المُتَهَدِّدِ
وإنّي وإنْ أوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُه ... لمخلِفُ إيعادِي ومنجزُ مَوْعِدِي(١)

وقال آخر:

لسانُكَ أحْلَى من جَنَى النَّحْلِ وَعْدُهُ ... وكَفَّاكَ بالمَعْرُوفِ أضْيَقُ من نَعْلِ
تُمَنِّي الَّذي يأتيك حتَّى إذا انتهى ... إلى أملٍ ناوَلْتَهُ طَرَفَ الحَبْلِ(٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل في العقد ٢٨٤/١ .

(٢) البيتان لصالح اللخمي ، انظر المستطرف ٢٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ ، وفيهما : أضيق من قفل .

وقال زياد الأعجم :

لله دَرُّكَ من فتى لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خيرَ في كذبِ الجوا دِ وحبَّذا صِدْقُ البخيلْ[(١)]

وقال آخر :

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخْلُ شرُّها وشرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ[(٢)]

قال ابن عيينة : وعد رجلٌ ابنَ شُبْرمة عدة فمطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخيرُ أنفعُه للنَّاس أعجَلُهُ وليس يَنفعُ خيرٌ فيه تطويلُ

ومثل هذا قول سابق :

وتأخيرُ ما يُرْجَى بلاء مُبَرّحٌ وأفضلُ ما يُرْجَى من الخيرِ عاجِلُهْ

وقال كعبُ بن زهير :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلًا وما مَوَاعيدُها إلّا الأباطيلُ[(٣)]

وقال الأشجعيّ :

وعَدْتَ وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً مواعيدَ عُرْقوبٍ أخَاهُ بيَتْرَبِ[(٤)]

قال ابن مُنبّه : هكذا قرأته على البصريين بيترب[(٥)] بالتاء ، وفتح الراء .

---

(١) عيون الأخبار ١٤٦/٣ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ٢٨٧/١ .
(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٣١ .
(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، نهاية الأرب ١٢٢/٢ .
(٤) عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، فصل المقال ١٠٢ .
(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا طَلَع نخلى[١] ، فلما طلع أتاه فقال له : إذا بَلَح ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زَهَى[٢] ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، فقال: إذا تَمِر ، فلمّا تمر جَذّه ليلا ، ولم يُعطه شيئاً ، فضربتْ به العربُ المَثل فى خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلَّل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئاً .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرةُ المواعيد ، وشدةُ الاعتذار .

قال الأصمعى : سمعتُ أعرابيا يقول : أنا والله منه فى مواعيد تُهيض العظم[٣] ، وخُلْفٍ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجليه ، وأنشد :

أمّلتُ منك نوالاً لستُ أُدرِكُهُ   متى[٤] أقولُ الّذِى أمَّلْتُ يأتِينِى
أفى حياتِى فأرجُوَهُ ويَنْفَعَنِى   أم فى مماتى فإنّ المَوْتَ يُغْنِينى[٥]

وقال الشاعر :

فلا تَعِدْ عِدَةً إلّا وفيتَ بِهاَ   ولا تكنْ مُخْلِفًا يوماً لما تَعِدُ

(١) طالع النخل : أول ما يبدو من ثمرته .
(٢) زهى : تلون بسره .
(٣) ا : تهبط العصم .
(٤) ا : من أن .
(٥) محاضرات الأدباء ١/٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنّ إذا ما لم تُرِدْ أن يتمَّ الوَعْدُ فى شىءٍ نَعَمْ
وإذا قلتَ نَعم فاصبرْ لها بنجاحِ الوَعْدِ إنّ الخُلْفَ ذَمْ[١]

وروى لعمار الكلبى ، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه اللهِ بالحقِّ وكُنْ صَادِقَ الوَعْدِ فَمَنْ يُخْلِفْ يُلَمْ

وقال آخر :

إذا قلتَ فى شىءٍ نعم فأتِمّهُ فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحُرِّ وَاجِبُ
وإِلّا فقُلْ لَا واسْتَرِحْ وَأَرِحْ بها لئلّا يقول النَّاسُ إِنَّكَ كاذبُ[٢]

وقال آخر :

إنَّ الكريمَ إذا حَبَاكَ بِمَوْعِدٍ أعطاكَهُ سَلِساً[٣] بغير مِطَالِ[٤]

وقال عمر بن أَبى ربيعة المخزومى :

ليتَ هنداً أنجزَتْنَا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنَا مما تَجِدْ
واستبدَّت مَرَّةً وَاحِدَةً إنّمَا العاجزُ من لّا يَسْتَبِدْ[٥]

---

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً فى حماسة البحترى ٢٢٢ ، وأوردهما فى العقد الفريد ٢٨٤/١ لابن أبى حازم ، وانظرهما والبيت التالى الذى نسبه المصنف لعمار الكلبى فى محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٢) محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٣) ا : أعطاك سلسلة .

(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .

(٥) سبق البيتان فى ص ٤٥٧

وقال آخر :

تمنيتُ ما أرْجُوهُ من حُسْنِ وَعْدِكُمْ ... فكنتُ كَمَنْ يَرْجُو مَنَالَ الفَرَاقِدِ

هَبُونِيَ لم أسْتَأْهِلِ الْعُرْفَ مِنْكُمُ ... أَمَا كُنْتُمُ أَهْلًا لصِدْقِ المَوَاعِدِ

وقال عباس بن الأحنف :

ما ضرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجاءَ بِبُخْلِهِ ... لو كان عللَّنِي بوعدٍ كاذبِ[(١)]

وقال آخر :

إن لم يكنْ وصلٌ لديكِ لِمَا[(٢)] ... يَشْفِي الصَّبَابَةَ فليَكُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فإنْ تَدَعِي[(٣)] نَجْدًا أَدَعْهُ وَمَنْ بِهِ ... وَإن تَسْكُنِي نَجْدًا فيَا حَبَّذَا نَجْدُ

وإن كان يومُ الوَعْدِ يومَ لقائنا ... فَلا تَعذُلِينِي أن أقولَ مَتَى الوَعْدُ[(٤)]

وقال محمد بن مُنَاذِر :

أَنِلِ المَالَ وَلا تَبْخَلْ بِهِ ... فإذَا أعْسَرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ

لا تَعِدْ شرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلا ... تُخْلِفِ الوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

---

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦، العقد الفريد ١/٢٨٥، وفيه . ماضر من شغل الفؤاد... الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تدعى .

(٤) محاضرات الأدباء ٢/١٦ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ من المَدْح

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمّتى بأمّتى أبو بكر ، وأقواهُم على دين الله عمرُ ، وأصدقُهم حياءً عثمان ، وأقضاهُم علىّ بن أبى طالب ، وأقرأهم أُبَىّ ابن كعب ، وأفرَضُهم زيد بن ثابت ، وأعلَمُهم بالحلال والحرام معاذُ بنُ جَبَل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلّتِ الغبراءُ من ذى لهجةٍ أصدقَ من أبى ذَرّ ، ولكلّ أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجَرّاح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقلّون عند الطَّمَع ، وتكثرون عند الفَزَع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ دُورِ الأَنصار دُورُ بنى عبد الأشهل ، وفى كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارنى ، واختار لى أصحاباً وأنصاراً ، وجعل لى منهم وزراءَ وأصهاراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش ، أحْنَاهُنَّ على ولدٍ فى صغره ، وأرعاهن لبعلٍ فى ذات يده » .

ذُكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفيا ، وعلى الكافر قسيا ، وعن اللذة سليا ، يتواضع حيث لا تُوهن نُصْرَته[1] ، ويعلو حين

---

(١) ب : يؤمن بقربه .

لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وثانى اثنين فى العريش ، وثانى اثنين فى القبر .

قال الشَّعبىّ : لما مات على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعْمَ أخُو الإسلام كنتَ يا أبى ، جواداً بالحق ، بخيلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضَى حينَ الرِّضا ، عفيفَ النظر ، غضيضَ الطَّرْف ، لم تكن مداحاً ولا شتاماً ، تجودُ بنفسك فى المواطن التى تبخل بها الرجال ، صبوراً على الضّراء ، مشاركاً فى النّعماء ، ولذلك ثَقُلْتَ على أكتاف قريش .

ذكر على بن أبى طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِتُه الحِلْمُ ، ويُنْطِقُه العِلْمُ .

ذكر على بن أبى طالب عند صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ العَبْدِىّ ، فقال : هو بالله عليم ، واللهُ فى عينيه عظيم .

قال معاوية لِضِرار الصُّدَائى : صف لى عليًّا . قال : اعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنّه . قال : أَمَا إذْ لا بد من صفته ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلا ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ،

طويل الفِكْرَة ، يقلب كفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين [١] ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم [٢] ، ويبكى بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غُرِّى غيرى ، أَإلىَّ تعرضْتِ ؟ أم إلىَّ تشوقت ؟ هيهات هيهات ، قد بايَنْتُكِ ثلاثاً لا رجعة لى فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذُبح واحدها فى حجرها .

سئل عبد الله بن عباس عن علىّ بن أبى طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله ، والفقه فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم ، والتبطن فى العشيرة ، والنجدة فى الحرب ، والبذل للماعون .

نظر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله لقد كنتَ ما علمتُ : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : السقيم ، والسليم ، الملدوغ وسمى بذلك تيمنا بشفائه .

وقف عليّ على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَدْرِى إذا أزْمَعْتَ أمرًا بأىِّ الأرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ[(١)]

ثم قال :

فتًى كان يُدْنِيهِ الغِنَى من صديقه إذَا مَا هُوَ استَغْنَى ويُبْعِدُه الفَقْرُ[(٢)]

وقال أبو خراش فى الذى ألقى على أبيه رداءه[(٣)] :

ولم أدْرِ من ألْقَى عليه رِدَاءَهُ ولـكنّه قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

ولأعرابى فى يحيى بن خالد :

سألتُ النَّدى هل انت حُرٌّ فقال لا ولـكنّنِي عبدٌ ليَحْيَى بنِ خَالِدِ
فقلتُ : شراءً ؟ قال : لا . بل وراثةً تَوَارَثَهَا عن والدٍ بَعْدَ وَالِدِ[(٤)]

وقال آخر :

إنّ للنَّاسِ غايةً فى المَعَالِى وَقَفُوا عِنْدَهَا وَأَنتَ تَزِيدُ
قد تناهيتَ فى المَكارمِ والمَجْـ ـدِ وحُزْتَ العُلَى فأيْنَ تُرِيدُ

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعانى ٦ ، حماسة البحترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفى ، فى رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبى تمام ١/٤٠٥ ، أمالى القالى ٢/ ٧، وقال فى الكامل ١/١٢٦ ما نصه : يقول بعضهم: إنه للأبيرد الرياحي، هذلى وورد البيت فى حماسة البحترى مرتين ٩٨ ، ٤٣٢ ونسبه فى الأولى لسلمة بن يزيد ، وفى الثانية لليلى بنت سلمة ترثى أخاها ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/٦٧ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلى ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت فى رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام فى الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ٢/١٥٨ ، الحماسة ١/٣٣٣ ، وفيه : على أنه بدل لـكنه ، وانظر البيت أيضاً فى معجم الأدباء ٣/٢٥٨ ، زهر الآداب ٣/١٥٨ .

(٤) المستطرف ١/١٩٣ ، العقد الفريد ١/٣١١ .

ولحبيب ويروى لإسحاق الموصلي :

إنْ يكنْ شيْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ فَهْوَ في دُورِ بَنِي عَبْدِ المَلِكْ
عُقِدتْ أَلْسُنُهُمْ عَنْ قَوْلِ لَا فَهِيَ لَا[1] تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكْ

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ
بِيضُ الوُجُوهِ أَعِفَّةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ من الطِّرَازِ الأَوَّلِ[2]

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك أندى من يمينه ، ولقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه[3] مأخوذ من قول حسان هذا ، وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وأنتَ الَّذِي كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدةٌ شِمالُكَ خيرٌ من يَمِينِ سِوَاكَا
بلغتَ مَدَى الجارِينَ قَبْلَكَ إذْ جَرَوْا ولم يَبْلُغِ الجارُون بعدُ مَدَاكَا[4]
لِجَدَّيْكَ لا جَدَّيْنِ أَكْرَم مِنْهُمَا هناكَ تناهَى المجـــدُ ثَمَّ هُنَاكَا

(١) ساقط من ب ، وهما لأبي تمام كما في ديوانه ١١٨ يمدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية هناك للشطر الأول : إن يكن في الأرض شيء حسن ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقالي ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الآداب ٢١٥/٤ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقال لقيط بن زرارة :[١]

وَإِنِّى مِنَ القَوْمِ الَّذِين عَرَفْتُهُمْ　　إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ
نجومُ سَمَاءٍ كلّما غارَ كَوْكَبٌ　　بدا كوكبٌ تأْوى إليهِ كَوَاكِبُهْ
أضاءتْ لهم أحسابُهم وَوجوهُهم　　دُجَى اللَّيْل حتَّى نظَّم الجِزْعَ ثاقِبُهْ

وَقال طُفَيْل الغَنَوِيّ :

نجومُ ظلامٍ كلّما غابَ كوكبٌ　　بَدَا سَاطِعًا فى حِنْدِسِ اللَّيْل كوكبُ

وَقال آخر :

دَرَارِى نُجُومٍ كلّما انقضّ كَوْكَبٌ　　بدا كوكبٌ تَرْفَضُّ[٢] عَنْهُ الكَوَاكِبُ

وَقال الخُرَيمى يمدح بنى خُرَيم من آل شَيْبان بن حارثة :

بقيّة أقوامٍ من الغُرِّ لو خَبَتْ　　لظلّتْ مَعَدٌّ فى العُلَا[٣] تتسكّعُ
إذا قمرٌ منهـــا تغوّرَ أوْ كَبَا　　بدا قمرٌ فى جانب الأفق يَلْمَعُ

وَمدح بعض بنى عمرو إخوته فقال[٤] :

خَبِّرْ ثَنَاءَ بنى عَمْـــرٍو فإنَّهُمُ　　أولُو فُضُولٍ وأَنْفَالٍ[٥] وَأخطَارِ

---

(١) الصحيح أن الأبيات لأبى الطمحان القينى (حنظلة بن الشرقى) ، انظر الكامل ١/٣١ ، وفيه : ولى من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٣ ، المستطرف ١/١٥٧ ، وانظر البيت الأخير فى حماسة أبى تمام ٢/٢٥٨ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تتكسر .

(٣) ا : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت فى الكامل ١/٤٨ قوله :

بل أيها الراكب المفنى شبيبته　　يبكى على ذات خلخال وأسوار

(٥) ب : وأثقال .

إنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوه وإنْ جَهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِجُ منهم طِيبَ أَخْبَارِ

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يُسُرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُم فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ ... مثلَ النجومِ التي يُهْدَى بِهَا السَّارِي

لا ينطِقُونَ عن العَمْيَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إن مَارَوْا بِإِكْثَارِ(١)

وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب(٢) يمدح بعض بني غَنِيّ ، وكان أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابي غنويًّا(٣)

قالت الخنساء :

أَشَمُّ أَبْلَجُ يَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ(٤)

وقال آخر :

إذا قيل أيُّ فتًى تعلمُونَ ... أَهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذَّابِلِ

---

(١) يروى : بنو كرم ، و .. تقل لاقيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثانى :

إن يسألوا الخير يعطوه وإن شهموا ... كشفت أذمار حرب غير أغمار

والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالقداح ، والعرب تتمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ، وسواس مكرمة : يروضون المكارم ويلون أمرها ، والمماراة : اللوم والعيب .

والأبيات بتمامها فى الكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها فى معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .

(٢) هو العرندس الكلابى كما فى الأمالى وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن العرندس كما فى الكامل ، يمدح بنى عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب فى هذا كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى الأمالى صفحة ٧٣ ، فهو أن فزارة كانت قد أوقعت ببنى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، وحدث بعد ذلك أن قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس ضريم بن سنان الغنوى أيضا ، فاستغاثت غنى ببنى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم ولم يجيبوهم ، فلم يزالوا متدابرين .

وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى فى استحالة نسبة البيت إلى كلابى ولكن ما الذى يمنع من أنه قالها قبل أن يحدث التدابر بين القبيلتين ؟ خاصة وأنى لم أجد اختلافا بين الرواة فى نسبتها .

(٤) الديوان ٨٠ ، التمثيل والمحاضرة ٢٥٣ .

وأَضْرَبُ للقِرْنِ فى مَفْرِقٍ[١] وأطعمُ فى الزَّمَنِ الماحِلِ
أَشارَت إليْكَ أكفُّ الوَرَى إشارةَ غَــرْقَى إلَى ساحِلِ[٢]

ومن أحسن ما قيل فى المدح أيضاً فى النظم ، قول أبى الجهم العدوى فى معاوية رضى الله عنه :

نُقَلِّبُهُ لتَخْبُرَ حالَتَيْهِ فتَخْبُرَ منهما كرماً ولِينَا
نَميلُ على جَوانِبِه كأنَّا نَميل إذا نَميلُ عَلَى أَبِينَا[٣]

وفى هذا الشأن قول زهير فى هرم بن سنان :

إنْ تَلْقَ يَوْمًا على علّاته هَرِمًا تَلْقَ السَّماحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقَا
أغرُّ أبيضُ فيّاضٌ يُفكِّكُ عَنْ أيْدِى العُقَاةِ وعن أَعْنَاقِهَا الرِّبْقَا[٤]

وقوله أيضاً :

أخو ثقة لا تُذْهِبُ الخمرُ مالَهُ ولكنّهُ قد يُذْهِبُ المالَ نائِلُهْ
تراهُ إذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ تعطيه الّذِى أَنْتَ سائِلُهْ[٥]

---

(١) ا : مضيق .
(٢) الأبيات لابن هرمة ، البيان ٣/٣٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .
(٣) يروى : إذا ملنا نميل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعانى ٤٥ ، معجم الأدباء ١/٣٢٧ ، وفى الأمالى للقالى ١/٢٤٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نميل على جوانبه ... الخ .
(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والعناة : الأسرى واحدها عان ، والربق : حبل من ليف يوضع فى عنق الأسير .
(٥) ديوانه ١٣٢ ؛ الشعر والشعراء ١٠٨ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهمْ رزق مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وعند المقلِّين السَّمَاحَةُ والبَذلُ(١)

وقول جرير :

ألستُم خَيْرَ من ركب المَطَايَا وأندَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفى :

قومٌ إذا نزل الغَرِيب بدارِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَانِ
وإذا دعوتَهُمُ ليومِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمس بالفُرْسَانِ
لا ينقُرُون الأرضَ عندَ سُؤَالِهِمْ لتطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ
بل يبسُطُونَ وجوهَهُم فترَى لهم عند اللِّقَاءِ(٣) كأحْسَنِ الأَلْوَانِ(٤)

والجيِّد من النظم لا يُحصى كثرة ، وحَسْبنا أن نأتى منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم ببهاء مورده فى المجالسة .

قال عمرُو بن أمية الضَّمْرِيّ(٥) للنجاشى ، حين وجَّهه إليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أيّها الملك ! كأنك فى الرَّأفة علينا منّا ، لم نَرْجُك قطّ لأمرٍ إلا نلناه ، ولم نَخَفْكَ قطّ على أمر إلا أمنّاه .

---

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٤/٢١٧ .
(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٤/٢١٤ .
(٣) ا : طلب العلاء .
(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول فى العقد الفريد ١/١٢٦ .
(٥) ا : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٢/٢٢٩ .

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطُّفَيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يَضل النّجم، ولا يَعْطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل.

مدح أعرابيٌّ رجلا فقال : كان يغنى فى طلب المكارم غير ضال فى مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابى جَلَد أخيه ، فقال : ما بعثته فى سواد إلّا جَلّاه ومحاه ، ولا فى بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهديّة الأعرابى قوماً ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابيٌّ رجلا فقال : كالمِسْك إن تركته عَبِق ، وَإن خبّأته عَبِق .

قال محمد بن زياد الحارثى :

تَخَالُهُمُ للحِلْمِ صُمًّا عَنِ الْخَنَا ... وخُرْساً عن الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّفَاخُرِ
ومَرْضَى إذا لَاقَوْا حَيَاءً وعِفَّةً ... وعند الحِفَاظِ كاللُّيُوثِ الكَوَاسِرِ
لهم ذلُّ إنْصَافٍ ولِينُ تَوَاضُعٍ ... بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العَشَائِرِ
كأنّ بِهِمْ وَصْمًا يَخَافُونَ عَارَهُ(١) ... وما وَصْمُهُمْ إلا اتّقَاءُ المَعَايِرِ(٢)

---

(١) ا : غارة .
(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٨ ، العقد الفريد ٢/١٨٥ ، وفيه : الخوادر مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاتقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيلَ لابْنِ مُحَمَّدٍ : ياذا النَّدى   قل لا ، وأنت مُخَلَّدٌ ما قَالَهَا
إنّ المَكَارِمَ لم تزَلْ معقُولَةً   حتَّى حَلَلْتَ براحتَيْكَ عِقَالَهَا[1]

مدح أعرابى رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأى حذق بالصواب كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد العَتَكِىّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذى لا ينبو ، وَسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل فى المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جدا ، ما ذكره أبو على البغدادى رواية عن شيوخه : أن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رآهُ هشام بن عبد الملك وَهو خليفة فى حجة حجها ، وعلىّ يطوف بالبيت وَالناس يفرجون له عند الحَجَر تعظيما له ، وَينظرون إليه مبجلين له ، فغاظ ذلك هشامًا ، فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، وَمادحًا لعلى بن حسين :

هذا الَّذِى تعرفُ البَطْحَاءُ وطْأَتَهُ   والبيتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

---

(١) البيتان لربيعة بن ثابت الرقى فى مدح العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، انظر معجم الأدباء ١١/١٣٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٧٩ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هذا التَّقِيّ النَّقِيّ الطَّاهِرُ العَلَمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائِلُهَا ... إلىٰ مكارمِ هذا يَنْتَهِى(١) الكَرَمُ
يَنْمِى(٢) إلى ذروةِ العِزّ التى قَصُرَتْ ... عن نيلِهَا عَرَبُ الإِسْلَامِ والعَجَمُ
يكاد يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مَهَابَتِهِ ... فلا يُكَلَّمُ إِلَّا حين يَبْتَسِمُ
بِكَفِّهِ خيزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ(٣) أَرْوَعَ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ
مُشْتَقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ ... طابَتْ عناصِرُهُ والخِيمُ(٤) والشِّيَمُ
ينجابُ ثوبُ الدُّجَى(٥) عن نورِ غُرَّتِهِ ... كالشَّمس ينجابُ عن إشراقِهَا الظُّلَمُ(٦)
حَمَّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُرِحُوا(٧) ... حُلْوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نِعَمُ
هذا ابنُ فاطِمَةٍ إن كنتَ جَاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا
فليس قولُك من هذا بِضَائِرِهِ ... العُرْبُ تعرفُ مَن(٨) أنكرتَ والعَجَمُ
اللهُ فَضَّلَهُ قِدْمًا وَشَرَّفَهُ ... جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِى لَوْحِهِ الْقَلَمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الأَنْبِيَاءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
سَهْلُ الخليقَةِ لا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... تَزِينُهُ خَلَّتَانِ الحِلْمُ(٩) وَالكَرَمُ
مُصَدَّقُ الْوَعْدِ(١٠) ميمونٌ نقيبتُهُ ... رَحْبُ الفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ

---

(١) ب : ينتهى .
(٢) ب : ينهى .
(٣) ا : فى كف .
(٤) ا : والجسم .
(٥) ب : الهدى .
(٦) ب : القتم .
(٧) ا : مدحوا .
(٨) ب : ما .
(٩) ا : الخلق .
(١٠) ا : الخلق أيضا .

أىُّ الْقَبَائِلِ ليست فى رِقابهم لأَوَّلية هــذا أَوْ لَهُ نِعَمُ

مَنْ يَعرِفِ اللهَ يَعرفْ أوليةَ ذَا فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأُمَمُ

وفيها أبيات لم أذكرها لأنى أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب فى الحماسة[(١)] للحر بن عبدالله الليثى[(٢)] فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب. هذا وذكر الفاكهى فى أخبار مكة[(٣)] ، قال : حدثنى أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثنى ابن عائشة ، قال : أخبرنى أبى ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلىّ بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة فى حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل مكة ، من هــذا الرجل الذى يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حُلّته ، فقالوا : هذا على بن عبيد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ولفاطمة[(٤)] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هــذه الأبيات (٥ التى ينشدها الناس ٥) .

---

(١) ورد فى الحماسة ٢/٢٦٩ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف فى الترتيب .

(٢) فى ا : السبتى ، وهو تحريف ، ولم أعثر على هذا الاسم المثبت فى النص فى الحماسة أو غيرها ، فالأبيات منسوبة فى الحماسة إلى الحزين الكنانى ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بنى عبد مناة بن كنانة وهو ليثى أيضاً كما فى اللباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للحزين البيتان السادس والسابع فى الأغانى ١٤/٧٤ ، والآمدى ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيتان فى لباب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثى فى مدح عبد العزيز بن مروان . ويبدو أن الاسمين قد تداخلا والتبسا على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثى ، ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد فى الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحزين بن عبيد الكنانى الليثى ، وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهى : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى ، كتب سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م تاريخ مكة ، نشر المستشرق فستنفلد منتخبات من الجزء الثانى منه مع تاريخ مكة المشرفة للأزرقى فى ليبزج سنة ١٨٥٩ ، انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : وفاطمة .

(٥) ساقطة من ا .

هٰذَا الَّذِى تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ   وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

فذكر هذه الأبيات ولم يتمّها ، قال الفاكهىّ : ويقال إن الرجل الذى قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علىّ بن حسين ، قال : وحدثنى أبو سعيد ، قال : [١] حدثنى الزبير ، قال [١] : قيل هذا الشعر فى قُثَم بن العباس ، قاله بعض شعراء أهل المدينة[٢] ، وزاد فى الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كم صارِخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وصارِخَةٍ   يَدْعُوكَ يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ

وأما قوله فى الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علىَّ بن عبد الله أمه زينب بنت علىّ بن أبى طالب ، وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولُ من قال : إن هذا الشّعر قيل فى علىّ بن عبيد الله بن جعفر ، أو فى محمد بن على بن حسين أصح عندى من قول من قال : إنه فى علىّ بن حسين ، لأن على بن حسين توفى سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبدالملك إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفةً عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله[٣] فى محمّد بن على بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق فى محمد ابن على بن حسين بن أبى جعفر — وإن كان له فى أبيه على بن حسين — فلم يكن هشامٌ يومئذ خليفةً كما قال أبو علىّ فى روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل فى قثم ابن العباس ، فليس بشىء ، وإنما ذاك شعر قيل فى قثم على قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو[٤] هذا .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت فى البيان ١/٣٤٨ :

كم صارخ بك من راج وراجية   فى الناس ، يا قثم الخيرات يا قثم

(٣) انظر التعليق رقم ٢ فى الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدةُ بنُ الطبيب فى قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ ورحمتُـــهُ ما شاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
تحيّةَ من أَوْلَيتَه منْكَ نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ مَزَارَكَ(١) سَلَّمَا
فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ولكنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا(٢)

وقال آخر :

كريمٌ يغُضّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَائِهِ(٣) وَيدنُو وأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وكالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ(٤)

وللخُرَيْمى :

يُلَامُ أَبُو الفَضْلِ فى جُودِهِ وهلْ يَقْدِرُ البَحْرُ أَلّا يَفِيضَا(٥)

وَقال أَبو جعفر محمد بن مناذر :

أَتانا بنو الأَمْلَاكِ من آلِ بَرْمَكٍ فيا طيبَ أَخْبارٍ وَيا حُسْنَ مَنْظَرِ
لهم رحلةٌ فى كلِّ عامٍ إلى العِدَى وأُخْرَى إلى البيتِ الحرام المُسَتَّرِ(٦)
إذا نزلُوا بطحاءَ مكَّةَ أَشْرَقَتْ بيحيَى وَبالفَضْلِ بن يَحْيَى وجَعْفَرِ

---

(١) بلادك .

(٢) نسبت الأبيات فى وفيات الأعيان ١٢٦/١ إلى أبى تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبى تمام ٣٣٤/١ ، البيان ٣٩٤/٢ ، نهاية الأرب ٢١٥/٤ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .

(٣) ا : فى كل حالة .

(٤) فى حماسة البحترى ١٦٢ : لان مسه ، وانظرهما فى حماسة أبى تمام ٢٦٥/٢ ، البيان ١٩٤/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .

(٥) محاضرات الأدباء ١٠٧/٢ .

(٦) ا : العتيق المطهر .

فَتَظْلِمُ بغدادٌ ويجلُو لنا الدُّجَى   بمكَّةَ ما حجُّوا ثلاثَةُ أقْمُرِ
فما خُلِقَتْ إلا لجودٍ أكُفُّهُمْ   وأَقْدامُهُمْ إلّا لأعْوادِ مِنْبَرِ
إذا راضَ يَحْيَى الأمرَ ذلَّت صِعَابُهُ   وناهيك من راعٍ له ومُدَبِّرِ
ترى النَّاسَ إجلالاً لهم وكأنّهم   غرانيقُ ماءٍ تحتَ بازٍ مُصَرْصِرِ[1]

وقال آخر في ابن شُبرمة القاضي :

إذا سألتَ الناسَ أينَ المكْرُمَهْ   والعِزُّ والجُرْثُومَةُ المُقَدَّمَه
وأين فارُوقُ الأُمُورِ المحْكَمَه   تَتَابَعَ النّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرُمَه[2]

وقال آخر :

ما لقينا من جودِ فَضْلِ بنِ يَحْيَى   صيّر النّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاءَ[3]

أنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنَّهُ يَوْمُ أضْحَى   عندَ عَبْدِ العَزِيزِ أو يَوْمُ فِطْرِ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وله يقول نصيب :

لعبد العزيز على قوْمه   وغيرهِمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ

---

(١) الغرانيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض، والبازى : ضرب من الصقور، ومصرصر أي يصيح صياحاً شديدا . انظر الأبيات ٣، ٤، ٥ في معجم الأدباء ١٩/٥٧ ، وكلها ما عدا الأخيرين في وفيات الأعيان ٥/٢٦٩.

(٢) البيتان ليحيى بن نوفل كما في البيان ١/٢٤٠ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر، أبو الحجناء مولى المهدي، انظره في الوزراء والكتاب ١٩٥، معجم الأدباء ٧/٢١٦، وفيات الأعيان ٣ ٢٠٤ .

فبَابُكَ(١) أَلْيَنَ أَبْوَابِهِمْ ... ودَارُكَ مأْهُولَةٌ عَامِرَهْ
وكلبُكَ آنَسُ بالمُعْتَفِينَ ... من الأُمِّ بالإِبْنَةِ الزَّائِرَهْ
وكفُّكَ حين تَرَى السَّائِلِين(٢) ... أَنْدَى من اللَّيْلَةِ(٣) المَاطِرَهْ
فمنك العطاءُ ومنّى الثَّنَاءُ ... بكلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَهْ(٤)

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين(٥) وبهاء الملوك .

ومن المدح :

له خُلُقَان لم يَدَعَا ... له مالاً ولا نَشَبَا
سخاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ ... وحِلْمٌ يَمْلِكُ الغَضَبا

وَقال آخر(٦) :

فلو كنتَ يوماً كنتَ يومَ سعادةٍ ... تُرَى شَمْسُهُ وَالمُزْنُ تَهْضِبُ بالقَطْرِ
ولو كنتَ ليلًا كنتَ ليلةَ صَيِّبٍ(٧) ... من المُشْرِقَاتِ(٨) البيضِ فى وَسَطِ الشَّهْرِ

وقال آخر :

بديهتُه وفكرته سَوَاءٌ ... إذا ما نَابَهُ الحَدَثُ الكَبِيرُ

---

(١) ا : هباتك .
(٢) ا : معتافاً فأندى .
(٣) ا : القيلة .
(٤) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٩/٢٢٩ ، الشعر والشعراء ٣٧٤ ، الأغانى ١/٣٢٣ .
(٥) ب : العابدين .
(٦) ساقط من ب .
(٧) ب : صيف .
(٨) ب : المشرفات .

وأحزَمُ ما يكون الدّهْرَ رأياً إذا عَمِيَ(١) المُشاوِرُ والمُشِيرُ
وصدرٌ فيه للهمّ اتّساعٌ إذا ضاقتْ عن الهمّ الصُّدُورُ(٢)

وقال حمزة بن بيض فى مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغتَ لعشرٍ مَضَتْ من سنِيِّ ك ما يبلغُ السّيِّدُ الأَشْيَبُ
فهمُّكَ فيها جَسِيمُ الأُمُورِ وهَمُّ لِدَاتِكَ أنْ يَلْعَبُوا(٣)

وقال ذو الرمة :

عطاءُ فتًى بَنَى وَبَنَى أَبُوهُ فأَعْرَضَ فى المَكَارِمِ وَاسْتَطَالَا(٤)

قال أبو اليقظان : ولّى الحجاجُ محمدَ بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إنّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى لمحمَّدِ بن القَاسِمِ بنِ محَمّدِ
قادَ الجيوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً يا قُرْبَ سَوْرَةِ سُؤْدُدٍ من مَوْلِدِ(٥)

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاة فارس .

---

(١) ا : غنى .
(٢) الأبيات لسلم الخاسر أو أبى نواس ، انظر مجموعة المعانى ١٧ ، الوزراء والكتاب ٢٠٣ .
(٣) نسب البيتان أيضا إلى الكميت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ٢/ ١١٠ .
(٤) ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .
(٥) الشعر لزياد الأعجم ، انظره فى محاضرات الأدباء ١/ ٧٦ ، عيون الأخبار ١/ ٢٢٩ ، المستطرف ١/ ٢٧ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسَنُوا البِنَا — وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لا أبًا لِأَبِيكُمُ — من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا[1]

وقال أبو الغُول الطُّهَوِىّ يمدح قومه :

فدتْ نَفْسِى وما ملكتْ يَمِينِى — فوارسَ صَدَّقُوا فيهم ظُنُونِى

مَعَاشِرَ لا يَمَلُّونَ المَنَايَا — إذا دارتْ رَحَى الحَرْبِ الزَّبُونِ

ولا يَجْزُونَ من حَسَنٍ بِشَرٍّ — وَلا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بِلِينِ

ولا تَبْلَى بَسالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ — صَلُوا بالحرْب حِينًا بعد حِينِ

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بِضَرْبٍ — يُؤَلِّفُ بين أَشْتَاتِ المَنُونِ

فنكَّبَ عَنْهُمُ ظُلْمَ الأعَادِى — وَدَاوَوْا بالجُنُونِ من الجُنُونِ[2]

وقال آخر :

بديهتُهُ مثلُ تَدْبِيرِهِ — مَتَى رُمْتَهُ فَهْوَ مُسْتَجْمِعُ

وفى كفه للغِنَى مَطْلَبٌ — وللسِّرِّ فى صَدْرِهِ مَوْضِعُ[3]

---

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، أمالى القالى ٢/١١٨ ، نهاية الأرب ٣/٦٩ .

(٢) يروى : فوارس مكان معاشر ، وبسىء مكان بشر فى البيت الثالث .
والزبون فى الأصل الناقة التى تزبن (تدفع) حالبها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها
والوقبى : ماء لبنى مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ١/١٧ ، ١٨ ، أمالى القالى ١/٢٦٠ .

(٣) سبق البيتان فى ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع(١) الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا .

قال النَّجاَشِيُّ الشاعر ، واسمُه قيسُ بن عَمْرو الحارثى ، (٢ من بنى الحارث ابن كعب ٢) .

إنِّى امْرُؤٌ قلَّ ما أُثْنِى على أَحدٍ حتَّى أَرَى بَعْضَ ما يأْتِى ومَا يَذَرُ
لا تحمدنَّ امْرءًا حتَّى تجُرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الخبرُ(٣)

قال علىُّ بن حُسَين: إذا قال فيك رجلٌ ما لا يعلم من الخير ، أوشك أن يقول فيك ما يعلمُ من الشَّر.

---

(١) ب : واسع . (٢) ساقط من ا .
(٣) حماسة البحترى ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثانى فى عيون الأخبار ٣/١٧٠ .

باب عيُون من الذّمّ

قالت عائشةُ رضى الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه فى البيت ؛ فقال : « ائذنوا له فبئسَ ابنُ العشيرة ، أو قال : بئسَ أخُو العشيرة ، ثم قال : إنَّ من شرارِ النَّاس من اتّقاه الناسُ لشرِّه ، أو تركه الناس لشره » . هذا حديث ابن عيينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسل .

قال الحَسَن : ذمُّ الرجل نفسَه فى العلانيه مدحٌ لها فى السرّ .

كان يقال : من أظهرَ عيبَ نفسه فقد زكّاها .

ذمّ بعضُ البلغاء رجلا ، فقال : ما الحمامُ على الإصْرار[1] ، والدَّيْن على الإقتار ، وَشدة السُّقم[2] فى الأسفار ، بآلم[3] من فلان[4] .

قيل لأعرابىّ : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالعَشْوة[5] ، وَيأكل الرِّشْوة ، وَيطيل النَّشْوة .

قال ثعلبُ : النَّشوة بالفتح : السُّكر ، وَالنِّشوة بالكسر : الريح .

---

(١) ب : الأضرار .

(٢) ا : المسلم .

(٣) ب : بألأم .

(٤) وردت العبارة فى الأمالى ٢/١٠٦ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم فى الأسفار بآلم من لقائه .

(٥) ب : بالعشيرة ، ويقضي بالعشوة أى يتخبط فى قضائه ويحكم على غير هدي .

ذمّ رجلٌ رجلا ، فقال : كان وَالله سيء الرَّوِية ، قليل التقية ، شديد السعاية ، ضعيف النكاية .

ذم خالدُ بن صفوان شبيبَ بنَ شَيْبة ، فقال : ليس له[1] صديقٌ فى السِّرِّ ، وَلا عدوٌّ فى العَلَانية .

وَذم أعرابىٌّ رجلا ، فقال : أنْتَ وَالله ممن إذا سأل ألْحف ، وَإذا سُئل سَوَّف ، وَإذا حَدَّث حَلَف ، وَإذا وَعَدَ أخْلَف ، تَنْظُر نظرَ حَسُود ، وتعرِضُ إعراض حَقُود .

قال حسان بن ثابت :

أبُوكَ - أبُوكَ وَأنْتَ ابْنُهُ ... فَبِئْسَ البُنَىُّ و بِئْسَ الأَبُ
وأُمُّكَ سَوْدَاء نُوبِيَّةٌ ... كَأَنَّ أنامِلُهَا الْعُنْظَبُ
يَبِيتُ أبُوكَ بهاَ مُعْرِسًا ... كما ساوَرَ الْمُهْرَةَ الثعلبُ[2]

وَقال أعرابىٌّ :

أكثر ما يأتى على فِيهِ الكذبْ ... وإنَّما الشَّاعِرُ مجنونٌ كَلِبْ
حيَّاكُمُ اللهُ فإنِّى منقلب[3]

مر سفيان الثَّورىّ رضى الله عنه ، بقوم فى السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

---

(١) ا : لا صديق ...
(٢) ساقط من ب ، والأبيات فى ديوانه ١٤ . والعنظب : ذكر الجراد أو الأصفر منه .
(٣) ورد البيتان الاولان من هذا الرجز والثانى قبل الأول فى عيون الأخبار ٢/٢٧ .

أمَا ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطٌ عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة الله فى الأرْزَاقِ والنّعَمِ ... يا محنة لِذَوِى الأخْطَارِ والهِمَمِ
ما نَرَاكَ أصبحتَ فى نعْمَاء ظَاهِرَةٍ ... إلّا ورَبُّكَ غضبانٌ عَلَى النّعَمِ (١)

قال بعض البلغاء : كفانى سقوطُ فلان إسقاطَه (٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلى ، فى إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسرى :

لو كنتَ ماءً كنت ماءً آسِنًا ... أو كنتَ مرْعًى لَمْ يردكَ الوُرَّدُ
أو كنتَ من شجرٍ لكنتَ إلَاءَةً ... أو كنتَ من وَرِقٍ نفَاكَ النَّاقِدُ (٣)

قال الحِرْمَازِىّ :

قُبّحتمُ آلَ فُقَيْمٍ عَدَدَا ... لو كُنْتُمُ قوْلاً لكُنْتُم فَنَدَا
أو كنتمُ ماءً لكنتُمْ زَبَدَا ... أو كنْتمُ شيئًا لكُنْتُمْ نَقَدَا
أو كنْتُمُ لحمًا لكُنْتُمْ غُدَدًا (٤)

النَّقَدُ : المَعْزُ ، وفى المثل : لهو أذل من النَّقَد .

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقد : مميز الدراهم .

(٤) الفند : الخطأ فى القول والكذب ، والغدة : كل عقدة فى الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العَرُوضى :

لو كان حَرْفاً كان لا مَعْنَى له أو كان ظرفاً لم يَكُنْ إلاَّ مَتَى[١]

وقال آخر :

لو كنتَ ماء كنتَ غَيْرَ عَذْبِ . أو كُنْتَ سَيْفًا كُنْتَ غَيْرَ عَضْبِ
أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كلبِ أو كُنْتَ عَيراً كُنْتَ غَيْرَ نَدْبِ[٢]

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرَا أو كنتَ رِيحًا كانَتِ الدَّبُورَا
أو كنتَ غيماً لم تكنْ مطِيرَا أَو كنتَ ماء لم تكنْ طَهُورَا
أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا[٣]

ومما أنشده ثعلب :

لله دَرُّكَ أَيّمَا رَجُـــلِ يَبْنِى أَبُوكَ وشَأْنُكَ الهَدْمُ
لو كنتَ تصعَدُ فى السماء كما تنحطُّ قَصَّرَ دُونَكَ النَجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتْبَعُون رجلا قد أُخذ فى ريبة ، فقال : لا[٤] مرحباً بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى الشر .

---

(١) ا : اشىء ، ب : فيه شىء بدلا من إلا متى
(٢) وردت البيت الأول فى الكامل ٥٧/٢ : لو كنت ماء لم تكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً فى محاضرات الأدباء ١٥٤/١ .
(٣) الأبيات فى محاضرات الراغب ١٥٤/١ ، الكامل ٥٧/٢ ، وتأتى الشطرة الأولى فيه فى آخرها ، والمخ الرير : الذائب أو الرقيق .
(٤) ساقطة من ب .

قال القطامى :

ألا إنّما نيرانُ قيس إذا اشْتَوَوْا لِطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الحَبَاحِبِ (١)

يقال : نارُ الحَبَاحِبِ ، ونار أبى الْحباحب ، لكل نارٍ تراها العينُ ولاحقيقة لها

قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة :

يا آلَ سفيانَ ما بالى وَبَالُكُمُ أنتم كثيرٌ وفِى الأحْلَام عُصْفُورُ

وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قوماً :

لا عَيْبَ فى القومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جسمُ البِغَالِ وأحلامُ العَصَافِيرِ (٢)

وقال آخر :

قَبُحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فحِينَ خَبَرْتُهُمْ حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لِقُبْحِ المَخْبَرِ (٣)

وقال آخر :

له صُورَةٌ تُعْمِى العُيُونَ سَمَاجَةً وإنْ تَخْتَبِرْ يَوْماً فأَقْبَحُ مَخْبَرِ

وقال محمد بن مناذر ، فى خالد بن طليق قاضى البصرة :

جُعِلَ الحَاكِمَ يا للنَّـــاسِ مِنْ آلِ طَلِيقْ

حاكِمٌ يحكم فى النَّا سِ بحكم الجَاثَلِيقْ

---

(١) البيت فى ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٧٢/٣ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والمساوئ ١٩٢/١ .

يَدَعُ الْحقَّ ويَهْوِى ... فى ثنيَّاتِ الطَّرِيقْ

أىُّ قاضٍ أنت لِلنَّقْـ ... ـصِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقْ

يا أبَا الْهَيْثم ما أنْـ ... ـتَ لهذَا بخَلِيقْ

(١ لَا ولَا أَنْتَ بِماَ حُمِّـــلْتَ مِنهُ بمُطِيقْ

حَبْلُه حَبْـــلُ غُرُورٍ ... عَقْدُهُ غَيْرُ وَثِيقْ ١)

وله فيه أيضاً :

قل لأميرِ المُؤْمِنِين الَّذِى ... فى هاَشِمٍ سِرُّهاَ واللُّبَابْ

إنْ كنتَ للسُّخْطَة عاقَبْتَنا ... بخـــالدٍ فهْوَ أشَدُّ العِقَابْ

أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الهُدَى ... وقَدْ ضَرَبَ النَّوْكُ عليْهِ الحِجاَبْ

كانَ قَضَاءُ اللهِ فِيماَ مَضَى ... مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وهَذَا عَذَابْ

يا عجبًا مِنْ خَالِدٍ كيفَ لَا ... يُخْطِىءُ فينَا مرَّةً بالصَّوَابْ (٢)

قال أبو العتاهية :

وَلَيْسَ بحاكمٍ مَنْ لَا يُباَلِى ... أَأَخْطَأَ فى الحُكُومةِ أمْ أَصَابَا(٣)

وقال آخر :

فإنْ تُصبْكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ ... لَمْ نَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْياَ وَلَا دِينِ(٤)

---

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات فى البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين فى الشعر والشعراء ٨٤٦ .

والجاثليق : كبير النصارى فى بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريرك .

(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها فى عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .

(٣) ديوانه ١٤ .

(٤) البيت لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِى عَامِرٍ لَقِيتَ جَفَاءً ونَوْكًا كَثِيرَا
نَعَامٌ تَجُودُ[١] بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نَوْكُهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وتَرَكْتَ عَارَا[٢]

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ المَكْرُمَاتِ فَنَبَّهَهُمُ[٣] قَدَرٌ لَمْ يَنَمْ
فيا قُبْحَهُمْ فى الَّذِى خُوِّلُوا ويَاحُسْنَهُمْ فى زَوَالِ النِّعَمْ[٤]

وقال آخر :

فَخَيْرٌ منكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ وخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ القُعُودُ

وقال آخر :

وما يَنْفَعُ الأَصلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذا كانَتِ النَّفْسُ مِن بَاهِلَهْ[٥]

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمُ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِمُ رِيحُ الكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا المَطَرُ

---

(١) ب : تجر
(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .
(٣) ب : فثبتهم .
(٤) البيتان لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ١/٨٦ إلى محمود الوراق .
(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١/١٦٢ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرْعٌ من قُرَيْشٍ ... ولـكنَّ الفِعَال فِعَال عُـكْلِ[١]

وقال أبو على البصير :

لَعَمْرُ أَبيكَ ما نُسِبَ المُعَلَّى ... إلى كَرَمٍ وَفى الدُّنْيا كَرِيمُ

ولـكنَّ البِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ ... وصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيمُ[٢]

وللحطيئة فى أُمّه ، لا عفا الله عنه :

تَنَحَّىْ فاقعُدِى منّى بعيداً ... أَراحَ اللهُ منك العَالَمِينَا

أَلم أُوضِحْ لكِ البَغْضاءَ منّى ... ولـكن لا إخَالُكَ تَعْقِلِينَا

أَغِرْبَالًا إذَا استُودِعْتِ سِرًّا ... وَكانُونًا عَلَى المُتَحَدِّثِينَا

جزاكِ اللهِ شَرًّا من عَجُوزٍ ... ولقَّاكِ العُقُوقَ من البَنِينَا[٣]

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر :

وَاصلتَ فى شُرْبِ الشَّمُولِ[٤] سفاهَةً ... حتّى غدوْتَ كأَنَّ أَنْفَكَ دُمَّلُ

قال أعرابىّ : أتيتُ بغـداد فإذا ثيابُ أجوادٍ على أَلْأَمِ أجْسَادٍ ، إقبالُ حظّهم إدبارُ حظوظ الـكرام ، شجرٌ فروعه عنـد أصوله ، شَغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر .

---

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى فى باب الهدية .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٣/٨٩ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٣/٨٦ ، معجم الشعراء ٣١٤ ، الـكامل ٢/٢٨٢ ، واقشعرت البلاد : أجدبت ، وصوح النبت : يبس وتشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أذمُّ بَغْدادَ وَالْمُقَامَ بها   من بَعْدِ ما خبرةٍ وَتجريبِ
ما عند أمْلاكِهَا لمرْتَغبٍ[١]   رِفْدٌ وَلا فُرْجَةٌ لمكروبِ
خَلَّوْا سَبيلَ العُلَا لِغَيْرِهِمُ   وَنَازَعُوا فِي الفسُوقِ وَالحُوب
يحتاج راجى النّوال عندهمُ   إلى ثلاث من غير تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ له   وعمرِ نوحٍ وَصَبْرِ أَيوبِ[٢]

وقال آخر :

أَما لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كانَ[٣] علماً   إذًا لَنَفَذْتَ فِي علمِ الغُيُوبِ
ومالك فى الغريب يدٌ ولكن   تعَاطيك الغَريبَ من الغَريبِ[٤]

وقال الناشيء :

لو كما تَجْهل تَدْرِى   كنتَ للهِ[٥] رَسُولَا

وقال حماد بن الزبرقان[٦] فى حمّاد عَجْرَد :

نعم الفتى لو كان يَعْرفُ ربَّه   وَيقيمُ وقتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
هَدَلتْ[٧] مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فأَنفُهُ   مثلُ القَدُومِ يَسُنُّهَا الحَدَّادُ

---

(١) ب : لمرتقب .
(٢) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .
(٣) ا : عاد .
(٤) البيتان لأبى تمام ديوانه ٢٧ .
(٥) ب : والله .
(٦) ب : الزبير .
(٧) ب : هزلت . والأبيات فى الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيضَّ مِنْ شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ　　فبياضُهُ يَوْمَ الحِسابِ سَوَادُ

وقال رَافِعُ بن إبْرَاهِيم اليَرْبُوعى :

ألستُم أقلَّ النَّاسِ تحتَ لوائِهِم　　وأكثرَهُمْ عند الذبيحَةِ والقِدْرِ
وأمْسَاهُ بالشَّيْءِ المُحَقَّرِ بَيْنَهُم　　وأعجزَهُم عند الجَسِيمِ من الأمْرِ (١)

وقال أعرابى :

العبدُ يجتنبُ الهِجَاءَ لشَيْنِهِ　　ولك الهِجَاءُ إذا هُجِيتَ جَمَالُ
لم يبقَ عارٌ فى البَرِيَّةِ كلِّها　　إلا وأخبثُ منه فيك يُقَالُ

وقال أبو عيينة (٢) :

خالدٌ لولا أَبُوه　　كان والكَلْب سَوَاءْ
لو كَما يَنْقُصُ يَزْ　　دَادُ إذًا نَالَ السَّماءْ
(٣ أنَا ما عِشْتُ عَلَيْهِ　　أَسْوَأُ النَّاسِ ثَنَاءْ
إنَّ مَنْ كان مُسِيئًا　　لحقيقٌ أنْ يُسَاءْ (٣)

وله أيضاً :

داود محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ　　عَجَبًا لذاكَ وَأَنْتُمَا من عُودِ

(١) ورد البيت الأول فى حماسة أبى تمام ٢٢٦/٢ منسوبا إلى عويف القوافى .
(٢) هو أبو عيينة بن المهلب بن أبى صفرة كان من أطبع الناس وأقربهم مأخذا فى الشعر وأقلهم تكلفا ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .
(٣) ساقط من ب ، والأبيات فى الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان فى محاضرات الأدباء ١٦٣/١ ، والثانى فى التمثيل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها فى هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والى جرجان .

ولربَّ عودٍ قد يُشقّ لمسجدٍ نصفاً وسائرُه لحُشٍّ يَهُودِ(١)

وقال الفرزدق :

أتَرْجُو(٢) كُلَيْبًا أن تَجِيءَ صِغَارُها بخيرٍ وقد أعيا عليكَ كِبارُها(٣)

وقال أبو نُواس :

لأَبِي نوحٍ رغيفٌ أبداً في حجرِ دايَهْ
بَرَّةٍ تَمْسَحُهُ الدَّهْرَ بكُمٍّ وَوِقَايَهْ(٤)
وله كاتبُ سُوءٍ خَطَّ فيه بِعِنَايَهْ
فسَيَكْفِيكَهُمُ اللـــهُ إلى آخر الآيَهْ(٥)

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلتُ عليه يوماً فغدَّاني برائحةِ الطَّعَامِ
فكان كمن سَقَى الظمآنَ آلًا وكنتُ كمن تغدّى في المَنَامِ(٦)

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قِباءً لا تدرى أقِباءٌ

(١) الحش : المسلح والمخرج الذى يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيتين فى محاضرات الأدباء ١/١٦٢ ، الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ١/٣٨ ، ٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٣/٧٢ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقباية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والمساوىء للبيهقى ١/٢٠٢ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين فى ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ .

هو أم دُوَّاج [١] ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدرى أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاطَ لى عَمْرٌو قِبَاء ليت عَيْنَيْهِ سَوَاء
[٢] قل لمن يسمع هذا أمديح أم هجاء [٢]

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بنى تميم :

أَمِنْ عَوَزِ الرِّجالِ وَهُمْ كَثِيرٌ حَبَا نصرٌ بِإمْرَتِهِ [٣] عَقِيلاَ
فلو بكتِ المنابرُ من لئيمٍ تَميمْتَ لعودِ منبره عَوِيلاَ

وقال آخر :

من دون سَيْبِك لونُ ليلٍ مُظْلِمٍ وحَفيفُ رائحَةٍ وكلبٌ مُرصَدُ
والضيفُ عندكَ مثلُ أسودَ سالِخٍ لا بل أحبُّهما إليك الأَسْوَدُ [٤]

وقال آخر :

ورِثْنَا المجدَ عن آباءِ صدقٍ أَسَأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنِيعَا
إذا الحسبُ الرفيعُ تعاوَرَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أوشكَ أن يَضِيعَا [٥]

---

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطف الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان فى العقد ٤١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بامرأته .

(٤) فى عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافجة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهى مأخوذة من أوسد الكلب بالصيد أى أغراه ، والأسود السالخ : الافعى ، ووصف بالسالخ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(٥) الكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسنُ من هذا :

لسْنَا وإن أحسَابُنا كَرُمَتْ　　يوماً عَلَى الأحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كما كانتْ أوائِلُنَا　　تَبْنِى ونفعلُ مثلَ ما فَعَلُوا[1]

وقال آخر :

إن تلقَ ريبَ المنايا أو تُرَدّفها[2]　　لم نبْكِ منكَ على دينٍ ولا حَسَبِ

وقال آخر :

وإن تُصِبْك من الأيامِ قارعةٌ　　لم أبْكِ منك على دُنْياً ولا دِينِ[3]

قيل لمسلمة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير يخرب ، وليس يُقَوِّم الخرابَ شىْء .

قال أعرابى فى سعيد بن سَلْم[4] :

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمديحُ مَهَزَّةٌ　　فكان كصفوانٍ عليه تُرَابُ
لكلّ أخِى مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ　　وليس لمدحِ الباهلىِّ ثَوَابُ[5]

---

(١) فى ا : نسير كما كانت أوائلنا تسير ، والرواية للشطرة الأولى فى نوادر القالى ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان فى الكامل ١/٩٤ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٣٩ إلى المتوكل الليثى ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٧٩ .

(٢) ب : تردقنا ، ا : تردفنا .

(٣) سبقت نسبته فى العقد ٦/١٧٦ لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة فى المصون لأبى أحمد العسكرى ٢١ ، وفيه : جائحة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، الكامل ٢/٢٣ ، عيون الأخبار ٢/٣٢ ، مع تقديم الثانى على الأول ، العقد الفريد ١/٣١١ .

قال أبو بكر السَّامرى :

يا شاعرًا يهتكُ من عَقْلِهِ أضعافَ ما يهتكُ من عِرْضِى
إذا هجانى جاءنِى شِعْرُهُ وبعضُه يضحكُ من بَعْضِ

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بابُ العَقْـــل والحُمْق

أما العقلُ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدّلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنّظم كتاباً كافيا ، ونورد هاهنا من صفات العاقِل وَالأحمق ما تَحْسُن به المذاكرة ، ويجمل إيراده في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبَنّكم إيمانُ الرجل حتى تعلموا ما عقدةُ عقله »

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسَه ، وَساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يُفْضى فيها إلى إخوانه الذين يُخْبِرونه بعيوبه ، ويَصْدُقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هـذه الساعات ، وإجمام(١) للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظعن(٢) إلا فى إحدى ثلاث : زادٌ لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شانه » .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام : أتدرى لم رزقتُ(٣) الأحمق ؟ قال : لا . قال : ليعلَمَ العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

---

(١) ا : إحكام .
(٢) ا : يظفر .
(٣) ا : خلقت .

قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم : « ثلاثٌ من حُرِمَهُنَّ فقد حُرِمَ خيرَ الدنيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلمٌ يردُّ به السفيه ، وورعٌ يَحْجِزُه عن المحارم » .

افتخر رجلان عند علىّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح فى النار ؟ ! إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خُلُق فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلاّ فالحمار خير منكما ، ولستما خيرًا من أحد .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : العاقلُ من لم يَحْرِمْه نصيبُه من الدنيا حظَّه من الآخرة .

قال علىٌّ بن أبى طالب فى وصيته لابنه : لا مالَ أعْوَذ(١) من العقل ، ولا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وِحْدة أَوْحَش من العُجْب ، ولا مظاهرةَ كالمشاورة ، ولا حَسَب كحسن الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قميناً أن يضرّه علمُه .

قال عمرُو بن العاص : ليس العاقلُ الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير(٢) الشرين .

قال العُتْبىّ : العقلُ نوعان ، فأحدهما ما تفرد الله بصنعته ، والآخر ما يستفيده

---

(١) ا : أعدد .
(٢) ا : شر .

المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلاّ بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قوّى كلٌّ منهما صاحبَه ، كما أن النار فى الظلمة نور للبصر ، وأنشد :

إذا لم يكنْ للمرءِ عقــلٌ يَزِينُهُ — مع النّاس لَمْ يَجْعلْ له مُشْفقٌ عَقْلاَ[١]

وقال آخر :

ولا خيرَ فى حُسْنِ الْجُسُوم وَطُولِها — إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ[٢]

وقال أردشير بن بابك : نموُّ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمَّا بعـد ، فإنّ العقل الْمُفْرَدَ لا يُقْوى به على أمر العامّة ، ولا يُـكتفى به فى أمر الخاصَّة ، فأَحْيِ عقلَك بعلم العلماءِ والأشرافِ من أهل التّجارب والمُرُوءات ، والسَّلام .

قال أيوبُ بنُ القِرِّيَّة : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقُ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدّينُ شريعتُه ، والحلمُ طبيعتُه ، والرأىُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُه ، إن نطق أصاب ، وإنسمع وعى ، وإن كُلّمَ أَجاب . والأحمق : إن تـكلّم عَجِل ، وَإن حدَّث وَهِل ، وَإن استُنْزِلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وَإن صحبته شانك .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : عُقولُ كلٍّ قوم على قَدْرِ زمانهم .

---

(١) ب : فايجعل له مشفقا عقلا

(٢) يروى ونبلها مكان طولها ، وقد نسب البيت فى البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفى هامش أمالى القالى ١/٣٩ أنه لهذيل بن ميسر الفزارى ، وورد فى حماسة أبى تمام ٢/١٤ لرجل من بنى فزارة ولم يعينه ، ونسب فى معجم الأدباء ١٨/٦ ، ٣ إلى أبى العيناء .

كان يقالُ : ستّ خصال تُعرَف فى الجاهل : الغَضَبُ فى غير شَىْء ، والكلامُ فى غير نفع ، والعطيّةُ فى غير موضعها ، وإفشاء السّر ، والثقةُ بكلِّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شُبْرُمَة : ما حَدُّ الحمق ؟ قال : لاحِدّ له .

سُئِل بعضُ الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيي بن خالد ، يقول : ثلاثةُ أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتابُ على مقدار عقل كاتبه ، والرسولُ على مقدارِ عقل مُرْسِله ، والهديَّة على مقدار عقل مُهـــديها .

قال ابن الأعرابى : سُمّىَ الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعونته

قال : والحُمق أيضاً الكساد ، يقال : انحَمَقَتِ[١] السُّوق إذا كسدت ، ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا يُنتفع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا فى ليالٍ مُحَمّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِر بغيمٍ أبيضَ رقيق ، فيغترُّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يغرُّك فى أَوّل مجلسه بتماتله ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبَيَّن حُمْقُه .

---

(١) ب : حمقت ، وكلاهما وارد صحيح .

وقيل للرِّجْلَة البَقْلَةُ الحمقاء ، لأنَّها تَنْبُت فى مسيل الماء ، وفى طريق الإبل ، فهى أبدًا مَدُوسة .

وفى الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعْرَف بها : يَحْلُمُ عمَّن ظلمه ، ويتواضعُ لمن هو مثله ، ويسابقُ بالبرّ من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ انتهزها ، لا يفارقه الخوف ، ولا يصحبه العنف[(١)] ، يتدبَّر ثم يتكلَّم ، فإن تكلَّم غَنِم ، وإن سكت سَلِم ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكَّبها ، وللجاهل خصالٌ يُعْرَف بها : يَظْلِمُ من خالطه ، ويتكلم بغير تَدَبُّر فيندم ، فإن تكلَّم أَثِم ، وإن سكتَ سَهَا ، وَإن عَرَضت له فتنةٌ أَرْدَتْه ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المغيرةُ بنُ شُعْبَة يوماً عُمَر بنَ الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله أفضل من أن يَخْدَع ، وأعقل من أن يُخْدَع .

فى كتاب « كليلة ودمنة » : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقلُ من يعرف عيبَ نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبُك ؟ قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : مافى إبليسَ شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصرى : صلة[(٢)] العاقل إقامةٌ لدين الله ، وهجران الأحمق قربة إلى الله ، وإكرامُ المؤمن خدمةٌ لله وتواضعٌ له .

---

(١) ب : التعنيف .
(٢) ا : ملة .

قال عبد الله بن الحسين[١] : حُمْقُ الرجل يفسد دينَه[٢] ، ولا دينَ لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادةَ الأحمق العفيف ، فكُلّم فى ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدودُ[٣] ، انظر لى ما الرِّيح ؟ فخرج ثم رجع ، فقال : هى شمالٌ يَشُوبها شىء من الجنوب . فقال : أتَرَوْنَ أن أجيزَ شهادة مثل هذا ؟ !

فقال أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنو شروان : ثقةُ الرجل برأيه ، وإقرارُه بتوفير عقله ، دليل على عقله .

قيــــل :

هل ينتهى من أول الزَّجر أحمقُ

كان يقال : إذا تمّ العقلُ نقصَ الكلام .

قال على بن أبى طالب : لا تؤاخِ الأحمق ، ولا الفاجِرَ ، أمّا الأحمقُ فمدخَلُه وَمَخْرَجُه شينٌ عليك ، وأما الفاجرُ : فيزيّنُ لك فعلَه ، ويودُّ أنك مثله .

---

(١) كذا بالأصول ، وقد ورد فى عيون الأخبار ١/١٧ أنه عبيد الله بن الحسن العنبرى .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) ا : مرود ، وسماه فى عيون الأخبار : أبا مودود .

قال سابق :

المرء يجمعُ والزَّمَانُ يُفَـرِّقُ ... ويظلُّ يرقَعُ والْخُطُوب تمزِّقُ
وَلئن يُعَادِي عاقلاً خـيرٌ له ... من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

وقال آخر :

عدوّك ذو الْعَقْل أَبقَى عَلَيْكَ ... من الصَّاحِبِ الجاهِلِ الأَحْمَقِ[1]
وذو العقل يأتى حِسَانَ الأمورِ ... ويَعْمِد للأَرْشَـدِ الأَوْفَقِ

وقال دعبل بن على الخزاعى :

عـداوةُ العاقل خـيرٌ إذا ... حُصِّلْتَهَا من خُـلَّة الأَحْمَقِ
لأنَّ ذا الْعَقْلِ إذا لم يَرِع[2] ... عن ظلمك استحيا فلم يَخْرُقِ
ولن ترى الأحمـقَ يُبْقِي على ... دينٍ ولا وُدٍّ ولا يَتَّـقِي

وقال آخر :

عداوةُ العَاقِلِ خيرٌ لِمَـنْ ... عَادَاهُ من وُدِّ امْرِئٍ جاهِلِ
بوائقُ الجاهِـلِ مَبْثُوثَةٌ ... وليس تَخْشَاها من الْعاقِلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنَّما الإنْسانُ غِمـدٌ لعقلِهِ ... ولا خيرَ فى غِمدٍ إذا لم يَـكُنْ نَصْلُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل المقال ١٦٠ .
(٢) أى يتق ويحفظ ، مضارع ورع ، وفى الديوان ١٥٧ : إذا لم يزع عن حلمه

فإن كان للإنسان عقلٌ فإنَّه ... هو النَّصْلُ والإنْسَان من بعدِهِ فَضْلُ

وقال أيضاً :

وما المرء إلاّ اثْنَان عقلٌ ومنطقٌ ... فمن فاتَهُ هذا وذاك فقد دَمَرْ
ولا سيَّما إن كانَ ممَّن نَصِيبُهُ ... من الدِّينِ والدُّنْياَ قليلٌ إذا حَضَرْ

وقال ابن الرومى :

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعاً ... إذا لم يكنْ للمرءِ عقلُ يعاتبه[1]

وقال آخر :

زعمتَ أبَا سهلٍ بأنّك جامعٌ ... فنونًا من الآداب يجمعُهَا الـكَهْلُ
فهبْك تقولُ الحـقّ أيُّ فضيلةٍ ... تـكون لذى علمٍ وليس له عَقْلُ[2]

وقال آخر :

لـكلّ امرئٍ شـكلٌ من النَّاسِ مِثْلُهُ ... فأَكْثَرُهُمْ شـكلاً أَقَلُّهُـمْ عَقْلاَ
لأَنَّ صحيحَ العَقْلِ لَيْس بواجـدٍ ... له فى طريقٍ حينَ يَسْلُـكُهَا مِثْلاَ
ولا خيرَ فى طُول السِّبالِ[3] وَعَرْضِهاَ ... إذا اللهُ لم يجعـلْ لِصَاحِبِها عَقْلاَ

---

(١) البيت فى المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .
(٢) البيتان لأبى العباس الناشىء فى أبى سهل بن نوبخت ، زهر الآداب ٣/١٨٨ .
(٣) السبال : مقدم اللحية ، وانظر الأبيات فى الـكامل ١/٣١٥ ، وفيه . وما الفضل فى طول .. الخ

وقال آخر :

قد عرفناك باختيَـــارِكَ إذ كاَ ن دليـلاً عَلَى اللَّبِيبِ اخْتِيَارُهْ(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزَّمان إذا صَحَا صَحَوْتُ وإن مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ(٢)

وقال آخر :

وأنزلني طولُ النَّوَى(٣) دارَ غُرْبَةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءًا لا أُشَاكِلُهْ
تحامقتُه حـــتّى يُقَـالَ سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لـكنتُ أُعَاقِلُهْ(٤)

وقال آخر :

تحامقْ مع الحَمْقَى إذا ما لَقِيتَهُـمْ ولا تَلْقَهُمْ بالعقل إن كُنْتَ ذا عَقْلِ
فإنِّى رأيتُ المرءَ يَشْـــقَى بعقلِهِ كما كَانَ قبل اليَوْمِ يَسْعَدُ(٥) بالعَقْلِ

وقال أبو يزيد(٦) البَسْطَامِي رحمه الله :

ياذا الذى ليس له والدٌ يَسْمَى على الأَرْضِ وَلا وَالِدَهْ

(١) العقد الفريد ٣/١
(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البيان والتبيين ١٨٩/١ .
(٣) ا : الشقا .
(٤) سبق البيت الأول وفى ص٢٣٤ انظر نسبته ومراجعه هناك ، وانظرهما أيضا فى محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، عيون الأخبار ٢٦/٣ .
(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ٢٤٧/١٩ .
(٦) ا : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة فى الزهد ، وأقوال فى الحكمة والتصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ٢١٣/٢ .

قد ماتَ من قبلِهِمُ آدَمُ   فَأَيُّ نفسٍ بعـــدَه خالِدَهْ
إن جئتَ أرضًا أهلُها كلُّهم   عورٌ فغمِّضْ عَيْنَكَ الْوَاحِدَهْ(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يكنى أبا الْعُمْرَيْن ، فقال : لو كان لك عقل كفاك أحدهما .

قال الحسنُ : هجرةُ الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصورُ الفقيه :

أجالس كلاًّ وإن لم يكن   على ما أحبُّ سوى الأَمْوَقِ
فإنِّى أُجالِسُه مـــرَّةً   وأنهضُ عنـــه فلا نَلْتَقِى
فما نعمةٌ بعد تَقْوَى الإله   بأفضلِ من هجْرَةِ الأَحْمَقِ

قال بعضُ الحكماء : ينبغى للعاقلِ أن يَتَمَسَّك بستّ خصال : أن يحفظ(٢) دينه ، ويصونَ عِرْضَه ، ويصلَ رَحِمَه ، ويحفظَ جارَه ، ويرعى حقَّ إخوانه ، ويخزُنَ عن البذاء لسانَه .

كان الحسنُ البَصْرِىّ إذا أُخبر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عَقْلُه ؟ ثم يقول : ما يتم دينُ امرئٍ حتّى يتمّ عَقْلُه .

روى أنه لما أهبط الله عزّ وجل آدَمَ إلى الأرض ، أتاه جبريلُ ، فقال : يا آدم !

---

(١) فصل المقال ١٩٨ .
(٢) ا : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضرك ثلاثَ خصالٍ لتختارَ منهنّ واحدة ، وتخلّى عن اثنتين .

قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياءُ والدينُ والعقلُ : قال آدم : إنى اخترتُ العقلَ .

قال جبريل للحياء والدين : ارتفعا فقد اختارَ العقل ، قالا : لا نرتفع . قال : ولم عصيتّما ؟ قالا : لا ، ولكنا أُمِرْنا ألاّ نفارقَ العقلَ حيثُ كان .

كان يقال : لا تعتدّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .

قال بعض الحكماء : وُكِّلَ الحرمانُ بالعقل ، والرزقُ بالْجَهْل ، ليعْتبر العاقلُ فيعلم أنّ الرزقَ ليس عن حيلة .

قيل لزُرْعَة بن ضَمْرَة : متى عَقَلْت ؟ قال : يومَ وُلِدتُ . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : مُنعتُ الثَّدى فبكيتُ ، وأعطيتُها فسكتّ .

قال الحَسَن : لأَنَا للعاقلِ المُدْبِر ، أرجَى منّى للأحمق المقبل .

قال الأوزاعى : قيل لعيسى عليه السلام يا رُوحَ الله ! أنت تبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتحيي الموتى بإذن الله ، فما دواءُ الأَحمق؟ قال : ذلك أعيانى .

قال قيس بن الخطيم :

وبعضُ الداءِ ملتمَسٌ دَوَاهُ ... وَداءُ النَّوكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ[1]

---

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاه . ليس له شفاء ... حماسة أبى تمام ٢/ ٤٠ .

وقال آخر :

جنونُك مجنونٌ ولستَ بواجـدٍ طبيبًا يُدَاوِى من جُنُونِ جُنُونِ[١]

وقال آخر :

قالوا جُننتَ بِمَنْ تَهْوَى فقلتُ لَهُمْ ما لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلاّ للْمَجَـانِـينِ

الحبُّ لا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُـهُ وإنما يُصْرَعُ المجنـون فى الحينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقل بشأن غيره[٢] .

قال زيدُ بن أَسْلم ، قال لقمان لابنه : يا بنىّ لَئِنْ يُقْصيك[٣] الحكيم خيرٌ من أن يُدْنيك[٤] الأحمق .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : خُصْلَتَان لا تَعْدِمُك [إحداهما][٥] من الأحمق ، أو قال من الجاهل : كثرةُ الالتفاتِ ، وسرعةُ الجواب .

كانوا يُعَبِّرون عن الأحمق بالجاهل، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبِّرون أيضًا عن العاقل بالحليم ، قال الشاعر :

---

(١) عيون الأخبار ٢/٤٧ .

(٢) وردت هـذه العبارة فى عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل إلخ ، وصححها فى الهامش كما ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدهنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فلا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاه
فكم من جاهلٍ أَرْدَى حليماً حين وَاخَاهُ
يقاسُ المرء بالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ(١)

قال سهلُ بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ، والغيران(٢) ، والسكران . قيل : فما تقولُ في المنعظ ؟ قال :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِي لا تُصْبِحِينَا

قال تمام بجيح : إذا قام ذكرُ الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزّيات :

ليس شيءٌ مما يدَبِّرُه العا قلُ إلاّ وفيه شيءٌ يُرِيبُهْ
فأخو العقل مُمْسِكٌ يتوقّى ويخافُ الدُّخُول فيما يَعِيبُهْ
وَأَخُو الْجَهْلِ لا يَقْدُرُ في الأمْـ ـرِ وإن أَشْكَلَتْ عليه ضُرُوبُهْ
راكبٌ رَدْعَهُ كحاطِبِ(٣) لَيْلٍ يخطئُ الأَمْرَ كلَّهُ أَوْ يُصِيبُهْ
تتأتَّى له الأمورُ عَلَى الجَهْـ ـلِ إذا ما أرادها وتُجيبُهْ

---

(١) عيون الأخبار ٣/٧٩ ، وورد البيت الثالث فيها أيضا ٣/٨ ضمن أبيات منسوبة إلى أبي العتاهية .

(٢) ب : والعريان .

(٣) ب : كخابط . وراكب الردع : من يمضي في حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : المخلط الذي يصيب مرة ويخطيء أخرى .

وأخو العَقْل بعـد يَنْتَتِجُ الرَّأْ ... ىَ فَيَرْضَى وَمَرَّةً[١] يَسْتَرِيبُه
وإذا صـيَّر البعيـدَ قريبًا ... عادَ فيهِ فازداد بُعْـدًا قريبُه
فهو الدَّهْرَ شَاخصُ الْقَلْبِ فكرًا ... ما تَقَضَّى همومُه وكُرُوبُه

وقال آخر :

ألا إنّ عقـلَ المرء عَيْنَا فُؤَادِهِ ... فإنْ لَمْ يَـكُنْ عقلٌ فلن يُبْصِرَ الْقَلْبُ

[٢] وقال آخر:

أرى زمنًا نَوْكَاهُ أسعدُ أهْـلِهِ ... ولـكنّما يَشْقَى به كلُّ عاقل
مشى فوقه رجـلاه والرأسُ تحتَه ... فـكبّ الأَعَالى بارتفاعِ الأسَافِلِ [٢]

وقال آخر :

عَـذَلُونِى عَلَى الْحَمَاقَةِ جَهْلاً ... وهى من عَقْلِهِمْ أَلَذُّ وَأَحْـلَى
لو لَقُوا مالقيتُ من حِرْفَةِ العَقْـ ... ـلِ لَسَارُوا إلى الْحَمَاقَةِ رِسْـلاَ
حُمُقِى قَائِمٌ[٣] بِقُوتِ عِيَـالِى ... وَيموتُون إنْ تَعَاقَلْتُ هُزْلاَ

قال هِشامُ بن عبد الملك : يُعْرَف حمقُ الرجل بأربع : بطولِ لِحيته ، وَشناعةِ كُنْيته و نقشِ خَاتَمِه ، و إفراطِ شَهْوَته . فدخـل عليه ذات يوم رجـلٌ طويل

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) ساقط من ا . وانظر البيت الثانى فى البيان والتبيين ١ /٢٤٦ .

(٣) ب : قائما .

الْمُثْنُون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحـدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر. قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قميصه بَدَمٍ كَذِب ﴾[1] .

وفي خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هـذه الحـكاية ، إلاَّ أنَّ في خبر معاوية ، قيل له : فما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الـكوكب الدريّ . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿ وَتفقدَ الطيرَ فقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائبِين ﴾[2]

قال يحيي بن الحكم الغَزّال :

يُعرف عقلُ المرء في أَربعٍ مِشْيَتُهُ أَوَّلُهَا وَالْحَرَكْ
وَدَوْرُ عَيْنَيْه وألفاظُهُ بعدُ عَلَيْهِنَّ يَدورُ الْفَلَكْ[3]

وقال آخر :

طلبتُ الرِّزْقَ بالْعَقْـل من الْغَرْبِ إلى الشَّرْقِ
فلم يُـكسِبْنِيَ الْعَقْـلُ سوى البعـدِ من الرِّزْقِ
فأدبرتُ عن الْعَقْـلِ وأقبلتُ عَلَى الْحُمْقِ
فلم أَتعبْ ولم أَنْصَبْ ولم أَضْرَعْ إلى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحـكماء : من الحمق التماسُ الإخـوان بغير وفاء ، والتماسُ الآخرة

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .
(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .
(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرِّياء(١) . والتماس مودة النِّساء بالغلظة ، والتماسُ العلم والفضل بالدَّعة والخفض .

سمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالى أمُدِحْتُ أم هجيت . فقال : استرحتَ من حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدنى بعض شيوخى رحمهم الله :

كم كافرٍ باللهِ أمْوَالُهُ ... تزدادُ أضعافاً على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ لَيْسَ له دِرْهَمٌ ... يزدادُ إيماناً على فَقْرِهِ
لا خيرَ فيمنْ لم يكن عاقلاً ... يمدُّ رِجْلَيْه عَلَى قَدْرِهِ

وقال آخر(٢) :

ما إن يزالُ ببغدادٍ يُزَاحِمُنَا(٣) ... على البراذين أشْبَاهُ الْبَرَاذِينِ
أعطاهم اللهُ أموالاً منزَّلَةً ... من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ من بغلةٍ شَقْرَاءَ ناجيةٍ ... أو من أتانٍ وقولٍ غيرِ مَوْزُونِ(٤)

(١) ب : بالزنا .
(٢) هو عارق بن أثال الطائى ، كما فى البيان ١/٢٣١ .
(٣) ا : نرى جثنا .
(٤) ا : ومن أثاث وقول غير مأمون ، والبغلة الناجية : السريعة ، انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/٢٣١ ، ٢٣٢ و ٣/٢١٨ .

بابٌ من أَجْوِبَةِ الْحُمْق

وَمُرَاجعةِ السُّخَفَاء ، وألفاظ النَّوْكى وَالْجُهَلاَء

استعمل معاوية رجلاً من كَلْب ، فذكر المجوسَ يوماً ، فقال : لعن اللهُ المجوسَ ينكحون أمهاتِهِم ، واللهِ لو أعطيتُ عشرةَ آلاف درهم ، ما نكحتُ أُمّي . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! أترونه لو زِيد فعل ؟ ! !

قال أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النَظَّارة يكرّ ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسُك ؟ قال : لا ، ولكنَّ اللجام لجامى .

أرسل رجلٌ من بنى عِجْل بن لُجَيْم فرساً فى الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه : يابنىّ ! بأىِّ شىء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رَمَتْنِى بَنُو عِجْـلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمُ … وَأَىُّ عبادِ اللهِ أَنْوَكُ من عِجْلِ

أَلَيْس أَبُوهم عَارَ عَيْنَ جوادِهِ … فَأَضحتْ به الأَمْثالُ تُضْرَبُ بالْجَهْلِ (1)

قال أبو كعب القاصّ فى قصصه : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى كبد حمزة ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

---

(1) انظر البيتين فى وفيات الأعيان ١/٢٨٦ ، المحاسن والمساوىء للبيهقى ٢/٢٢٦ .

وقال أيضاً فى قصصه : إن اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

وتلا فى قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[1] ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

قيل لبرذعة الموسوس : أيُّما أفضل غَيْلاَن أم مُعلّى ؟ قال : مُعَلّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مُعَلّى إلى جنازته ، فلما مات مُعَلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أَنَّه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِئ قَدَرِىّ نَاصِبِىّ رَافِضِى ، من الخوارج ، يبغضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل علىّ بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدرى على أى شىء أَحْسُدُكَ ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون فى أمر معاوية وعلىّ ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ[2] طويلة ،

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .
(٢) السبلة بالتحريك : ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن منه إلى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون فى أمر علىٍّ ومعاوية وفلان وفلان ! ! فقال له أحد القوم : وتعرف أنت مَنْ على[1] ومعاوية وفلان وفلان [1] ؟ قال : نعم ! أوليس هو أبو فاطمة ؟ قال : وَمن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبى صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية . قال : فما كان قصة علىّ ؟ قال : قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وَسلّم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال : أصلح الله الشيخ ، لقد سمعتُ فى السوق الساعة شيئًا منكرًا ، ولا ينكره أحد قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتُهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟ قال : سمعتُهم يشتمون معاوية . قال : يا أخى ليس معاوية بنبىّ . قال : فهبه نصف نبىٍّ لم يُشْتم .

قال عَمْرُو بن بَحْر : ذكرلى شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً فغضب وشتمهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكارًا شديدًا . قال : فأتيته يوما فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة وَلَعْنِهِ لهم فقال : لمكانِ الشين فى أول الكلمة ، لأنى لم أجد ذلك قطّ إلا فى مَسْخُوط ، مثل شُومٍ وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشِيصٍ وَشُحّ وَشَغَبٍ وَشِعْبٍ وَشِركٍ وشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطَرَنْج وَشَيْنٍ وَشَانِى وَشَحْطٍ وَشوصَة وَشَوْكٍ وَشَكْوَى وَشَنَآن . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظنّ أن[2] القوم يقيم الله لهم علمًا مع هذا أبدًا .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) ب : هذا .

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلَّم من صلاته فى جماعة أو وحده ، يقول : السَّلاَم على الملكين الكاتبين لأبى بكر وعمر ، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقلُ ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزًا بأَحَدَ عَشَرَ درهمًا ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفّيه وفرّق أَصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهمًا ، فلما عَيَّرُوه ، قال :

يلومونَ فى حُمْقِهِ باقِلاً ... كَأَنَّ الحماقَةَ لم تُخْلَقِ
فلا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِى عِيِّهِ ... فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بالأَحْمَقِ[١]
خروجُ اللسانِ وَفَتْحُ البَنَانِ ... أَحَبُّ إِلَيْنَا منَ الْمَنْطِقِ[٢]

ذكر الصّولى عن ابن الجوهرىّ ضروباً من العِيّ والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عواتق الأمور .

رأى معاويةُ بن مروان بن الحكم حمارَ طاحونةٍ فى عنقه جُلْجُل فى حانوت طحان، فقال له : ما بال هذا الحمار فى عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشتغل فى علاجي وطلب

---

(١) ا : بالأموق .
(٢) الأبيات فى المحاسن والمساوى ، ٢ /٢٢٧ .

معيشتى خارج الحانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوفَ الحمارِ فأحرِّكه للمشى ، فقال له معاوية : أرأيتَ إنْ وَقَفَ الحمارُ وَحَرَّكَ رأسه فتحرك الْجُلْجُل ؟ قال الطحان : وَمَنْ لحمارى بمثل عقلِ الأمير ؟ !

ومعاويةُ هذا هو الذى أمر بغلق بابَ المدينةِ إذ انفلتَ له البازى .

قال طحطاح[1] لابنه يومًا : ما الذى تشتهى ؟ قال : رَأْسَىْ كبشٍ . فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأسَ كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنث : مالكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إن الْبُرُدَ[2] لا تعرف إلا بحذف أذنابها .

دخل راكب البريد يومًا عَلَى المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟ فقال له : بعد غد ياأمير المؤمنين . فقال له المأمون : فإذًا أتيتنا[3] وبيننا وبينك مرحلتان .

مَرِضَ رجلٌ من الأعراب ، فعَادَهُ جارُه ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا أهلكنى ، وزكامًا أضرنى . قال له : فقد بَلَغَنَا أن إبليسَ لا يحسد عَلَى شيء من الأمراض إلاَّ عَلَى هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة . فأنشأ الأعرابى يقول :

---

(١) ب : سلطاح .

(٢) البرد : خيل البريد ، وكانت تقص أذنابها لتعرف فتسهل مهمتها .

(٣) ساقطة من ب .

أَيحسدُنى إبليس دَاءيْنَ أَصْبَحَا   بِرَأْسِى وَإِسْتِى دُمَّلاً وَزُكَامَا
فليتهمـــا كانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ   رَخَاوَةَ زُبٍّ لا يطيقُ قِيَامَا[1]

وقال أبو نواس :

قد أَضَرَّتْ بى[2] دَمَامِيـ   ـلُ عَلَى الظَّهْـرِ مُلِحَّهْ
لَيْتَهَا فى عَيْنِ مَنْ يَحْـ   ـسُدُهَا مَالاً وَصِحَّهْ[3]

سلم فزارة صاحب المظالم بالبَصرة على يساره فى الصلاة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان على يمينى إنسان لا أكلمه .

وقال فزارة يومًا فى مجلسه : لو غسلت يدى مائة مرة ما تنظّفت ، أو أغسلها مرتين . وفيه يقول ابن المعذّل :

وَمن المظالِمِ أن تـكو   نَ عَلَى الْمَظَالِمِ يا فَزَارَهْ[4]

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصلح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه . فقال للمدعى : هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

---

(١) البيتان لأعرابى يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ١/٢٠٦ .
(٢) ب : به .
(٣) ديوانه ١٣٤ .
(٤) البيت فى يتيمة الدهر ٢/٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قعدت . الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزانى ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه . فقال لهما : قد قبلتكما . قم يازانى ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه : أيها القاضى ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفى[1] وقذف أمى بجهلهم ، فما الذى استحللت به أنت ذلك منى ؟ فقال : والله يا ابن أخى[2] ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديْه .

مر قاض بواسط أو بحمص على السوق فى يوم رمضان ، فرأى رجلا قد صنع معزفًا ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! فى هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو وظروفَ الشرّ فقال : أصلح الله القاضى ، إنما هي مِقْلاة . قال : لعن الله الشيطان! ماحسبتها إلا مِعْزَفا ، فنهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون مقلاة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضى ! إنى أطليها بالقار ، فلا تؤثر فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّى رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحّى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له : لا تغتم ، فإن عندى ديكًا جليلا قد سمنتُه ، فإذا كان عيدُ الأضحى ذبحناه . فلما كان يومُ الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه وفشا الخبر فى الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقّوا للقاضى ، ورثوا لقلة ذات يده ،

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : يا أخى .

فأهدى إليه كلّ واحـد منهم كبشاً ، فاجتمعت فى داره أكبش كثيرة ، وهو فى المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهْـدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمّت جماعَتَهم — ما ترى . قال: ويحك! احتفظى بديكنا هذا فما فدِىَ إسحاق بن إبراهيم[1] إلاّ بكبش واحد ، وقد فُدى ديكنا بهذا العدد .

---

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف من أن المفدى هو إسماعيل بن إبراهيم وليس إسحاق .

باب الْمُلَحِ وما به النَّفس تَرْتَاحُ من مُبَاحِ الْمُزَاحِ

قال الأَصْمَعِيّ: وُصِلتُ بالعلم، وكسبت بالْمُلَح.

قال عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد: قلت لأشعب: أنت شيخ كبير، فهل رويتَ شيئًا من الحديث؟ قال: بلى! حدثني عِكْرمة عن ابن عبّاس، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة. قلت: وما هما؟ قال: نسيت أنا واحدة، ونسي عكرمة الأخرى.

كان أشعبُ الطَّمع كثيرَ الإلمام بسالم بن عبد اللهِ بن عمر، فأتاه يومًا وهو في حائط مع أهله، فمنعه البوابُ من الدُّخولِ عليه من أَجْلِ عِياله، وقال: إنَّهم يأكلون. فمال عن الباب، وتسوَّر عليهم الحائط، فلمَّا رآه سالم، قال: سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تتسوَّر. فقال له: ﴿لقد عَلِمْتَ مَالَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيد﴾[1]. فقال له: انزل يأتك من الطَّعام ما تريد.

أُخذ قومٌ في قطع، فَقُدِّمُوا لضرب أعناقهم، فقام منهم واحدٌ، وقال: اللهَ اللهَ فيَّ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه، وإنما كنت أشربُ معهم وأغنِّي لهم، فقالوا: هاتِ فغنِّ لنا، فارتجت عليه الأشعار إلّا قول الشاعر:

عن المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عن قَرِينِه ... فكلُّ قرينٍ بالْمُقَارِنِ مُقْتَدِي[2]

---

(١) سورة هود، الآية ٧٩.

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢، والبيت لعدي بن زيد العبادي كما في مجموعة المعاني ١٤، الشعر والشعراء ١٣٢ حماسة البحتري ٢٣٦، فصل المقال ٢٤٣.

فقالوا(١) : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراء خُرَاسان يتشاءم بالحُول ، فمتى رأى أَحْول ضربه بالسِّياط ، وربما ضرب بعضَهم خمسمائة سوط ، وحَدَثَ أنه ركب فى بعض الأيَّام ، فرأى أحولَ فأمر بضربه ، وكان الأحولُ جلداً ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأميرُ ! أصلحك اللهُ ، لِمَ ضربتنى ؟ قال : لأنى أتشاءم بالحُول . قال : فأينا أشدُّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتنى ولم يصبك إلاّ خير ، وأنا رأيتك فضربتنى خمسمائة سَوْط ، فأنت إذاً أشد شؤماً . فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً .

كانت فى سعيد (٢) بن فروخ بن القطان ، والد يحيي بن سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلا من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع إلى منزله .

كان إسماعيل بن يَسَار(٣) الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير (٤) حتى زامله مَرّةً فى بعض أسفاره ، فقال ليلةً فى سفره ذلك لغلامه : انظر هل اعتدل المَحْمِل ؟

---

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى الأغانى ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقط من ب .

فقال له الغلامُ : ماهو إلاّ معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلاّ السُّود منها، فلم تَنْفق ، وكان صديقاً للدارمىّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارمىّ تنسّك، وترك الشعر والغناء . فقال له : لاتهتمّ بذلك فإنّى سأنفقها لك حتى تبيع جميعَها إن شاء اللهُ تعالى ، ثم قال :

قل للمليحَةِ فى الخمارِ[1] الأَسْـوَدِ ... مَاذَا صَنَعْتِ بِزَاهِـدٍ مُتَعَبِّـدِ
[2] قَدْ كَانَ شَمرَ للصَّـلاَةِ ثِيَابَهُ ... حَتَّى عَرَضْتِ لَهُ بِبَابِ المَسْجِـدِ
رُدِّى عَلَيْهِ صِيَامَهُ وَصَـــلاَتَهُ ... لا تَقْتُلِيهِ بِحَـقّ دِينِ مُحَمَّـدِ [2]

فشاع قول الدارمىّ هذا فى الناس : وقالوا : رجع الدّارمىُّ عن نُسْـكه ، وعاد إلى فَتْـكِه[3] ، فلم يبق فى المدينة امرأةٌ ظريفة إلاّ ابْتَاعَتْ خماراً أَسـود حتى نَفِدَ ما كان منها مع العراقى ، فلما علم الدّارِمىّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجـد . والدارمىّ هذا أصله مكىّ ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بنىَ العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن على وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك[4] ، وهو القائل :

---

(١) ا : القناع .
(٢) ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٢ ، الأغانى ٣/٤٨ .
(٣) الفتك : المجون .
(٤) انظر فى ترجمته الأغانى ٣/٤٥ — ٥٠ .

ولما رَأَيتُـــك أَوْلَيْتَنى الْ قَبِيحَ وَ بَاعَـدْتَ عَنِّى الْجَمِيلاَ
تركتُ وِصَـالَكَ فى جانبٍ وَصَادَفْتُ فى النَّاسِ خِلاًّ بَدِيلاَ(١)

طُوَيْسٌ الذى تَضْرب به العربُ المثلَ فى الشُّؤم ، هو رجلٌ من أهـل المدينة مولى لبنى مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وهو أول من أظهر الخنا والمجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب الدف ، وسئل عن مولده ، فقال : ولدت يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وَخُتنت يوم قتل عمر ، وتَزَوَّجت يوم قتل عثمان ، وولد لى يوم قتـل على (٢ بن أبى طالب ٢) فيقولون فى أمثالهم السّائِرة . أشأم من طُوَيْس(٣) .

كان الشَّعبي يوماً جالساً فى مجلسه ، والناس يتناظرون فى الفقه عنده ، ومعـه شيخ يطيل السـكوت ، فقيل له يومًا(٤) : لو سألت عن مسألة تنتفعُ بها ، فقال : إنى لأجد فى قفاىَ حِـكَّةَ ، أفترى لى أن أحتجم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذى صرنا من الفقه إلى الحجامة .

مر بالشَّعبي يومًا رجل يقود حماراً ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وَرْدَان . قال : وما اسم حمارك ؟ قال : عِمْران . قال الشعبي : واخلافاه(٥) ! !

مر رجـل معه كلب بابن أبى عتيق ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وثّاب .

---

(١) البيتان فى الأغانى ٣/٤٥ . (٢) ساقط من ب .
(٣) انظر ترجمته فى الأغانى ٣/٢٧ وما بعدها .
(٤) ساقطة من ب .
(٥) يعنى أن ذلك خلاف الذى يجب ، ولو تبودلت الأسماء لانتفت الغرابة .

قال : وما اسم كَلْبك ؟ قال : عَمْـرو . فقال ابنُ أُبي عتيـق : واخلافاه ، وأنشـد :

وَلو هَيَّـــــا لَهُ اللهُ   من التَّوْفِيقِ أسْـبَابَا
لسَمَّى نَفْسَهُ عَمْـرًا   وَسَمَّى الْـكَلْبَ وَثَّابَا[1]

أنشد رجل زَبَّان[2] السَّوَّاق ، قول إسماعيل بن يَسَار :

ما ضرَّ أَهْلَكِ لو تطوَّفَ عَاشِقٌ   بِفنـاء بَيْتِـكِ أَو أَلَمَّ فَسَلَّما[3]

فبكى زَبَّان[2] ، وقال : لاشيء واللهِ ، إلا الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصـدر ، وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيـل لمدنيّ : أما تتقي اللهَ ، تؤذي جيرانك ؟! قال : فمن أوذي إذاً[4] ؟ أوذي من لا أعرفه ؟!

كان الفرزدق جالسًا في حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجـل : يا أبا سعيد ! ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طلقتُ امرأتي ، وأعتقت عبدي ، وفعلت وفعلت ولا نيَّة له في ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سَعيد : قد قلت

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٩٥ .
(٢) ا : ريان ، وانظر القصة والاختلاف في هذا الاسم أيضاً في الأغاني ٤/٤١٥ .
(٣) العقد الفريد ٣/٦٢ ، الأغاني ٤/٤١٤ .
(٤) ساقط من ا .

أنا فى ذلك . فقال : وما قلت يا أبافراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .

قال : قلتُ :

ولسْتَ بمأخوذٍ بِشَىْءٍ تَقُولُهُ   إذا لم تُعَمِّد[1] عاقدَاتِ الْعَزَائِمِ[2]

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلا أعرج ، فأمر بإسقاطه ، فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تعجبا منك لحبك آلة الهروب ، وكراهتك آلة الوقوف ، لأن معى آلة الوقوف فى الحرب وتسقطنى ، فأمر بإثباته فى خاصته ، [3] وأسنى رزقه [3] .

سمع ابن أبى عتيق يوما نُصيبًا الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أُخْلَقْ من الطَّيرِ أَنَّنِي   أُعَارُ جَنَاحَىْ طائرٍ فأَطِيرُ[4]

فقال له ابن أبى عتيق : يا ابن أخى ! قل : غَاقِ تَطِرْ . شبهه بالغراب لشدة سواده .

هاج بأبى علقمة الأعرابىّ الدمُ ، فأتوه بحجّام ، قال له : ياحجّامُ ! اشدد قصبَةَ

---

(١) ا : تحاضر .

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بشىء ، محاضرات الأدباء ١/١١٢ ، ١٣٠ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر البيت والخبر فى الأغانى ١/٣٦٤ ، مع اختلاف فى الرواية .

المِلْزَم[١] ، وأرْهف ظُبَة[٢] المشْرَط ، وأسرع الوَضْعَ ، وعجــل النَّزع ، وليكن شَرْطُك وخزاً ، وَمَصّك نهـزاً . فقام الحجام ناهضاً ، وقال : انتظر حتى يأتيَك ابنُ القِرِّيَّة فيحجمك .

قال الهيثمُ بن عدىّ : كنت يوماً بكُنَاسَة الـكوفة[٣] إذ أنا برجـل قد وقف على نخّاس الدّواب ، فقال له : اطلب لى حِماراً ليس بالصغير المحتَقَر ، ولا بالـكبير المشْتَهر ، إن خلا الطريقُ تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم فى السَّوارى ، ولا يدخل تحت البوارى ، إن أقللتُ عَلَفَه صَبر ، وإن أكثرتُ له شـكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام . فقال له النخّاس : اصبر ياعبد الله ، فإذا مُسخ القاضى حماراً ، أصبتَ حاجتك إن شاء الله تعالى .

خطب أبو القطوف إلى قوم وَلِيَّةً لهم ، فأجابوه ، وقالوا : لَهَا من الضّياع والمال كذا وكذا ، فما مَالُك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإنّ مالَها يكفينى وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالى ؟!

وقال عبدُ الملك بنُ عبد الحميد الحارثى :

يا أُخْتَ كِنْدَةَ مَافِى شِرْبَ عُثْمَانِ وَأَزْمِعِى لِبَنِى عَوْفٍ[٤] بِهِجْرَانِ

---

(١) ب : اللدم ، والملزم كمنبر : خشبتان تشد أوساطهما بحديدة .
(٢) ب : طيه ، وظبة المشرط : حده .
(٣) الـكناسة : محلة معروفة بالـكوفة ، انظر معجم البلدان لياقوت ٢/٧٢ .
(٤) ب : بنى أود .

يا أُختَ كندَةَ سِيرِى سَيْرَ سَاخِطَةٍ ... كى تَنْثَوِى مُنْتَوَى[١] غَضْبَى وَغَضْبَانِ

يا أُختَ كِنْدَةَ ليس الرِّزْق فى يَدِه ... الرِّزْقُ فى يَدِ من لَوْ شَاء أَغْنَانِى

المــــاء فى دَارِ عُثْمَانٍ لَه ثَمَنٌ ... والخبزُ فيها له شَأنٌ من الشَّانِ

عثمانُ يعلمُ أنَّ الحمدَ ذُو ثَمَنٍ ... لـكنَّه يَشْتَهِى حمدًا بِمَجَّانِ[٢]

والناسُ أكيسُ من أن يَمْدَحُوا أَحَدًا ... حـتَّى يَرَوا عِنْدَه آثَارَ إِحْسَانِ

اغسـل يديك بأُشْنَانٍ وَأَنْقِـهِمَا ... غُسْلَ الجنابةِ من مَعْـرُوفِ عُثْمَانِ

وَاسْلَحْ عَلَى كلِّ عُثْمَانٍ مَرَرْتَ بِهِ ... إلاَّ الخليفـةَ عثمانَ بنَ عَفَّانِ[٣]

وقال اللّيث الحجام :

حلقتُ بمُوسَى الْهجْرِ نَاصِيَةَ الصَّـدِّ ... وَأجريتُ مُشْطَ الصَّدِّ فى طُرَّةِ الوُدِّ

قصصتُ بمقراضِ الْقِلاَ حُجَّةَ الوَفَا ... فَجَبْهَـةُ رَأْسِ الوُدِّ مَـكْشُوفَةَ الجِلْدِ

وشعر سِبَالِ الوَصْلِ صِرْتُ مُنَتِّفًا[٤] ... ظَلُومًا[٥] بمنقاش القطيعةِ وَالصَّـدِّ

وما زلتُ مَصَّاصًا بغـيرِ إِسَاءةٍ ... بمحجمةِ الخُلْفِ القَبِيحِ دَمَ الْوَعْدِ[٦]

---

(١) ا : يستوى سفرى .
(٢) ب : لمحان .
(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس فى وفيات الأعيان ٦/٦٧ ، والسادس والسابع فى نهاية الأرب ٣/١٠٨ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، المستطرف ١/٩٨ ، عيون الأخبار ٣/١٥٩ .
(٤) ب : منقباً .
(٥) ا : طلوباً .
(٦) محاضرات الأدباء ٢/٥٦ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا أُلقى من أُصحاب البلغم ؟ ينسونُ ويلعنونى .

قال حُسَيْن المعروف بالجمل الشاعر : كان أحمد بن المدبِّر بدمشق يقصده الشعراء فمن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر رديء وكل به من يحمله إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة . قال فدخلتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فى أَبى حَسَنٍ مديحاً ... كما بالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ الوُلاَةُ
فقالوا يقبل المِدْحَاتِ لكنْ ... جوائزُه عليهنَّ الصَّلاَةُ
فقلتُ لهم : وما يُغْنِى عِيَالِى ... صَلاَتِى إنَّمَا الشأْنُ الزَّكاةُ
ليأمرْ لِى بكسْر الصَّادِ منها ... فتضحى لى الصَّلاَةُ هىَ الصِّلاَتُ[1]

قال ، فقال لى : أخذت هذا من قول أبى تمام :

هنَّ الْحَمَامُ فإن كَسَرْتَ عِيَافَةً ... من حائِهِنَّ فإنَّهنَّ حِمَامُ[2]

قال الرِّياشى : خرج الناسُ بالبَصْرَة ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ، ولم يزل يومئُ إليه حتَّى رآه غيرُه وعاينوه ، فلما كان هلال الفِطْر ، جاء الجارُ إلى ذلك الرجل ، فدقّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

---

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٢١ ، ١٢٢ زهر الآداب ٢/١٨١ .

(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب الْمُزَاح إباحةً وَ كَرَاهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنى لأَمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلاّ حقا .

قال غالب القطان : أتيت محمّدَ بن سِيرِين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لى : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت[1] إنا لله وإنا إليه راجعون ! فضحك[2] وقال : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[3] .

جاءت امرأة إلى الحَسَن ، فقالت : إِنى نذرتُ أن أهدِيَ البَصْرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تُهْدِي بَصْرتهم ، ولو تركوك ماقدرت ، كفِّرى عن يمينك .

وفى الحديث المأثور : « أنّ عيسى عليه السلام كان يَبْكى ويَضْحَك ، وكان

(١، ٢) ساقط من ب.

(٣) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يَحْيي عليه السّلام يبكي ولا يضحك ، فكان خيرُهما المسيحَ عليه السلام » .

قال خليفةُ بن زيد : كان خليفةُ الأقطَع مزاحاً ، وكان يقف عَلَى أيوب السِّخْتيانى فيمازحُه . قال حمَّاد : وجاء خليفةُ الأقطع يومًا إلىأيُّوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى [١] اسْتُحْدِثَ هذا [١] ؟! يعنى متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم[٢] العلوىّ ، قال : قال لى الحسن : خلّ بينَ الناسِ وبينَ هِلاَلهم حتى يراه معك غيرُك .

وكان شعبة يقول : سالِم العَلَوىّ يَرَى الهلال قبل الناس بليلتين .

قال الخليلُ بن أحمد : النَّاس فى سجن مالم يُمَازِحوا .

مزح الشعبي يومًا ، فقيل له : يا أباعمرو أفتمزح ؟! قالَ : إن لم يكن هذا متنا من الغمّ ، فداء[٣] داخلٌ ، وهواء[٤] خارج .

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته عَلَى شىء من دينه كانت الثريّا أقرب إليك من ذلك .

أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

---

(١) ساقط من ب ، واستحدث هذا : إشارة إلى الغلام .
(٢) ا : سلم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحا .
(٣) ب : فرا .
(٤) ب : فرا .

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدَقِ نَاشِزًا ... ولو رَضِيَتْ زُبَّ اسْتِهِ لاسْتَقَرَّتِ[١]

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئتُ أَنَّ فتاةَ كُنْتُ أخطبُهَا ... عُرْقُوبُهَا مثلُ شَهرِ الصَّوْمِ فى الطُّولِ[٢]

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مُرَّة بيت شعر غَزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض فى المُزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء العداوة المُزاح.

كان يقال : لو كان المُزاح فحلا ، ما ألقح[٣] إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيء فيجترئ عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام .

---

(١) البيت لجرير ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استه ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رمح .
(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .
(٣) ا : ما أنتج .

قال جعفر بن محمد : إياكم والمُزاح، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح ، ويقول : يسمط أحدهم أخاه بأحرّ من الخَرْدل ويضحكُه بأصلب من الجندل[1] ، ويفرغ عليه أشد من غلى المرجل ، ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعى : لا يكون المزاح إلا فى سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحْ صَدِيقَكَ[2] ما أَحبَّ مُزَاحاَ ... وَتَوقَّ مِنْه فى المزَاحِ جِمَاحاَ[3]
فلرُبَّماَ مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمِزْحَةٍ ... كانَتْ لِبَابِ[4] عَدَاوَةٍ مِفْتاحاَ[5]

وقال ابن وكيع :

لا تمزحَنَّ فإنْ مَزَحْتَ فلا يكُنْ ... مَزْحاً تُضَافُ به إلى سُوءِ الْأَدَبْ
وَاحْذَرْ مُمَازَحَةً تَعُودُ عَدَاوَةً ... إنَّ المزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الغَضَبْ[6]

ولأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لى صاحبٌ لَيْسَ يَخْلو ... لسَانُهُ عَنْ جِرَاحِ

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ا : أخاك .
(٣) ا : مزاحا .
(٤) ا : لبدء .
(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ ، فصل المقال ١٠٠ .
(٦) نسب البيتان فى معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادى .

يجيد تمـــزيقَ عِرْضِى عَلَى ســـبيل المزَاحِ[١]

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكه استُخِفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشى فى غير أَرَب ، والضحك من غير سَبَب .

قال قتيبةُ بن مُسْلم لبنيه : لاتمازحوا فيَسْتَخَفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترِقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم[٢] أكفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن على بن المعتصم :

الْكِبرُ ذلٌّ والتَّواضُعُ رِفعَةٌ وَالَمزْحُ وَالضَّحِكُ الكثِيرُ سُقُوطُ
والحِرصُ ذلٌّ وَالْقَنَاعَةُ عِزَّةٌ واليأْسُ من صُنْعِ الإلٰهِ قُنُوطُ

وقال آخر :

فإياكَ إيَّاكَ المُـــزَاحَ فإِنَّه يُجَرِّى عليك الطِّفْلَ وَالدَّنِسَ النَّذْلاَ

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٧ .

(٢) ا : فيزجرى بكم .

(١ ويذهب ماء الوجه بعد بهائه وَيُورِثُهُ من بعد عِزّته ذُلًّا ١)

وقال آخر :

ما أقبحَ الكذبَ المذمومَ صاحِبُهُ وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عند الله والنّاسِ

وقال آخر :

للجِدِّ ما خُلِقَ الإنْسانُ فَالْتَمِسْ بالجِدِّ حَظَّكَ لا بالْهَزْلِ واللَّعِبِ
لا يلبثُ الْهَزْلُ أَن يَجْنِى لِصَاحِبِه ذَمًّا ، وَيُذْهِبَ عَنْهُ بَهْجَةَ الأَدَبِ
لا خيرَ فى الهزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِه واهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلْقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فى لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لاَ يُغفَرُ
ويقولُ كنتُ مُمَازِحاً وَمُلاَعِباً هيهاتَ نَارُكَ فى الْحَشَا تَتَسَعَّرُ
أَلْهَيْتَنَا وَطَفِقْتَ تَضْحَكُ لاَهِياً عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ
أو ما علمت ومثل جهلك غالبٌ أن المزاح هو السِّباب الأكبر(٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا هَةِ فى حَدِيثِكَ وَالدُّعَابَهْ

---

(١) ساقط من ب ، ويروي البيتان بروايات أخرى ، انظر حماسة البحترى ٤٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، المستطرف ٢/٢٩٣ ، نهاية الأرب ٤/٧٤ .
(٢) العقد الفريد ٦/٣٢ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلاَ ... مِ لِأَهْلِهِ عِنْدَ الْخِطَابَهْ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلُّ مَا ... أَغْفَلْتَهُ دُونَ الإِصَابَهْ

وقد أكثر أهل الأدب فى المُزاح من النظم، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك، ورأيت الاقتصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار.

كان المأمونُ يعجبه قول القائل:

أَخُو الجِدِّ إِنْ لاَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهْ[1]

---

(١) البيت فى حماسة أبى تمام ٢/٦١، الكامل ١/٢٣٢.

بابُ مدحِ الصِّدْقِ والأمانة ، وذمِّ الكَذِبِ والخيانة

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حدَّث صَدَق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا اؤتُمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَـدَّثَ كَذَب ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وإذا اؤتُمِنَ خان » .

وقال صلّى الله عليه وسلَّم : « لا تزالُ أُمّتي بخير ما اتّخـذوا الأمانَةَ مغنماً ، والصدق مَغْرَما » .

قالت عائشة رضي الله عنها ، قلت : يا رسـول الله ! بِم يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولين كلامِه ، وصدقِ حديثه » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « أَدِّ الأمانَةَ إلى من ائتمنك ، ولا تَخُنْ من خانك » .

وقال سعدُ : كلُّ الخصال يُطبع عليها المؤمن ، إلاّ الخيانة والكذب .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : من كانت له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدَّثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهم ، وإذا وَعَـدَهم وَفَى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معونتهم .

قيل للقمان الحـكيم : ألستَ عبدَ بني فلان ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما نرى ؟ قال : تقوى الله ، وصـــدقُ الحديث ، وأداء الأمانة ، وتركُ مالا يعنيني .

قال نافعٌ : طاف ابنُ عُمر سبعاً ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرعَ ما طفتَ وصليتَ يا أبا عبد الرحمن وخرجتَ ! فقال ابن عمـر : أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ، ونحن خيرٌ منكم ، نحن نلتزمُ صـدقَ الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجازَ الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إنَّ فِي الصِّـــدْقِ الْخَلاَصَ مِنَ الدَّنَسْ
وَدَعِ الْـكَذُوبَ لِشَـأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الـكَذِبِ ، الخرَسْ][1]

وقال منصور الفقيه :

الصِّـــدْقُ أَوْلَى مَابِهِ دَانَ امْرُؤٌ فاجْعَـلْهُ دِيناَ
وَدَعِ النِّفَاقَ فَـا رَأَيْـ تُ منافقاً إلاَّ أُهِينَا

وله أيضاً :

الحمْـدُ للهِ شُكْراً فالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقِّهْ
أمسَى الصَّدُوقُ[2] كثِيرَ الـ عدوِّ من أجْـلِ صِدْقِهْ

---

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصديق .

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلٌّ ذو مُكاذَبَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ أمْسَى التَّصادُقُ لا يُسْقَى به المَاءُ[١]

قال الحسن البصرى : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة .

قال الشاعر :

إنّ الأميرَ إذا استَعَانَ بخائنٍ ‏ ‏ ‏ ‏ كان الأميرُ شَرِيكَهُ فى المَأْثَمِ

قال الفِرْيَابى[٢] : كنت عند الأوزاعى إذ جاءه رجل فقال : يا أباعمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثر الله فى المسلمين أمثالك .

قال الشاعر :

إذا أنت حَمَّلْتَ الخَئُونَ أمانةً ‏ ‏ ‏ ‏ فإنَّكَ قد أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ[٣]

---

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : القرباني ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابى ، صاحب النووى والأوزاعى ، انظر مشتبه النسبه للذهبى ٥١٤/٢ .

(٣) محاضرات الأدباء ١٤١/١ ، المستطرف ٢٧/١ .

وقال محمود الوراق :

تَصَنَّعَ كَيْ يُقَالَ له أمِينٌ ... وما معني التَّصَنُّعِ للأَمَانَه(١)

ولم يُرِدِ الإِلٰهَ به وَلٰكِنْ ... أرادَ به الطَّرِيقَ إلى الخِيَانَه(٢)

وقال آخر :

هو الذِّئْبُ أو لَلذِّئْبُ أَوْفَى أَمَانَةً ... وما مِنْهُمَا إلا أَذَلُّ خَئُونُ

استراح رجل إلى جليسٍ له فى السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل تَرْضى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لى ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إمّا ائتمنتكَ خَالِيًا ... خنتَ وإمّا قلتَ قولاً بِلاَ عِلْمِ

فأنتَ من الأمْرِ الَّذِى قلتَ بَيْنَنَا ... بمنزلةٍ بينَ الخِيَانَةِ والإِثْمِ(٣)

أنشدنى على بن إسماعيل لنفسه :

لا يُرَى إلا لِدُنْيَا ... طَالِبًا فيها دِيَانَهْ

---

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١٦٩/١ ، العقد الفريد ٢٢٦/٢ ، وفيه . تصوف كى يقال ، وما يعنى التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلولى ، انظرهما والقصة فى حماسة أبى تمام ٩/٢ ، وانظر مجموعة المعانى ٧١ ، محاضرات الأدباء ١٩٠/١ .

وإذا قيـــل أَمِينٌ قد تَحَـلّى بالأَمانَهْ
وَقَعَ التَّخْصِيـلُ مِنْـهُ بين غدْرٍ(١) وَخِيَـانَهْ

وقال آخر :

لا يخونُ الأَمِينُ شيئاً ولـكن رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَؤُون أَمِيناَ

وقال آخر :

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَعْتَدُّهُ لك ناصِحاً ومؤتمَناً بالْغَيْبِ غَـيرُ أَمِـينِ(٢)

وقال أبو يعقوب الخُرَيمي :

يا لَلرِّجَالِ لقـومٍ قد بَلَوْتُهُمُ أرى جِوَارَهُمُ إحـدى البَلِيَّاتِ
ماذا تظنُّ بقومٍ خـيرُ كَسْبِهِمُ مُصَرَّحُ السُّحْتِ سَمَّوْهُ الأمانَات

وفى الحـديث المرفوع : « الصـدق يهدى إلى البرّ ، والبرُّ يهدى إلى الجَنَّة ، والـكذبُ يهدى إلى الفُجُور ، والفُجُور يهـدى إلى النّار » .

يقال : صَدَق وبرّ ، وكذب وفجر .

قال بعض الحـكماء : من عُرِف بالصـدق جاز كذبه ، ومن عُرِف بالـكذب لم يَجُـزْ صدقه .

---

(١) ا : عذر .

(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولى ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : ألارب من تفتشه لك ناصح ومؤتمن ... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرف الكَذابُ بالكِذْبِ لم يكن لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادِقاَ
ومن آفةِ الكذّاب نسيانُ كِذْبِهِ وتلقَاهُ ذا حفظٍ إذا كان حاذِقاَ

وقال آخر:

لا يكذبُ المرء إلاَّ مِنْ مَهَانَتِهِ أو عادَةِ السُّوء أو مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ[١]

قال بعضهم : ما أرانى أُوجَر فى ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأنى أدعه اتقاء[٢] .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع[٣] .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لأكذبن كذبة يتحدث بها الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلى حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بالْحَقِّ وبِالْبَاطِلِ
مقالةُ السُّوء إلى أهْلِهَا أسْرَعُ من مُنْحَدَرٍ سائِلِ[٤]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ٢/١٠ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .
(٢) ا : إتقاء .
(٣) ا : الصدق عدو الكذب .
(٤) سبق البيتان فى ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى فى لباب الآداب ٣٦٠ ، البيان ٢/٣٢٩ ، وقد نسب بعض هذا الشعر فى المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بنى ! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور ، من أكل شيئا منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذى عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعى : قيل لكذّاب : مايحملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .

قال جميل العُذْرِى :

لحا اللهُ من لا يَنْفَعُ الوُدُّ عِنْدَهُ ... وَمَنْ حَبْلُهُ إنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْنَيْنِ لَيْسَ بدائم ... عَلَى خُلُقٍ خَوَّانُ كلِّ أمِينِ[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك».

(١) حماسة أبى تمام ١/١٢٥ ، ١٢٦ .

بابُ الحــــقِّ والباطل

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثقيلٌ ، فمن قصر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشِع بنِ نَهْشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرىء وإن قَدُم » .

وقال عليه السّلام : « رحم الله عمرَ بن الخطّاب ، تَرَكَه الحــقُّ ليس له صَـدِيق » .

لمـا استَخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمُعَيْقِيب الدَّوْسِي[1] : ما يقول النّـاس فى استخلافي عُمر ؟ قال : كَرِهَه قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضُوه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقّ يبدو كريهاً وله تـكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قَصَد إلى الحقّ اتسعت له المذاهبُ حُجة ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدرَه .

قالوا : الحـكمةُ تدعو إلى الحق ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أنّ الحجةَ تدعو إلى المذهب الصَّحيح ، والشُّبْهة تدعو إلى المذهب الفاسد .

---

(١) هو معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى الأزدى ، كان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبوبكر وعمر على بيت المال ، ومات فى خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢٥٤,١٠ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعضُ الحكماء : من جَهْلِك بالحق والباطل ، أن تريد إقامةَ الباطل بإبطال الحق .

قال أعرابىٌّ ، وقد ذُكِرَ عنده الإصلاحُ والإفساد ، فقال : لا تَمْنَعَنَّ كثيرًا من حَقٍّ ، ولا تضعنّ قليلا فى باطل ، فما حُرِّكَ حقٌّ وباطلٌ إلا كان لهما شهود .

قال بعضُ الحكماء : لا يُعَدُّ الرجل عاقلا ، حتى يَستكمل ثلاثًا : إعطاء الحق من نفسهِ فى حال الرِّضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألاّ ترى له زلّة عند ضَجَرِه . وقد تقدَّم قولُ أبى العتاهية فى باب الرّجاء والخوف :

ومن ضاقَ عَنْهُ الحقُّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهْ[١]

ولأبى العتاهية أيضًا :

الباطلُ الدَّهرَ يُلْفَى لا ضِيَاءَ لَهُ والحقُّ أَبْلَجُ فيه النُّورُ يأتَلِقُ[٢]

لمـا احتُضِرَ أبو بكر الصِّدِّيق ، أرسل إلى عمرَ ، فقال . يا عمرُ ! إن وُلِّيت على النّاس فاتق الله ، والزم الحـق ، فإنما ثَقُلت موازينُ من ثقلتْ موازينُهم يوم القيامة باتّباعهم الحقّ فى الدنيا وَثِقْـله[٣] عليهم ، وحقّ لميزان إذا وُضع فيه الحقّ غـداً أن يـكون ثقيلا ، وإنما خفتْ موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل فى الدُّنيا

---

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه . ديوانه ١٠ .
(٢) ديوانه ١٧٢ .
(٣) ب : وثقلت .

وَخِفّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزان وُضع فيه الباطلُ أن يكون خفيفًا ، واعلم أنّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار . وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا يقبلُ نافلةً حتى تؤدى الفريضة ، وأن الله — عزَّ وجل — ذكر أهلَ الجنّة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتَهُم قلتُ : إنّى لخائف ألاّ ألْحَقَ بهم ، وأنالله — عزّ وجل — ذكرَ أهلَ النار بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسَنَها ، فإذا ذكرتَهم ، قلتُ : إنى لخائف أن أكونَ مع هؤلاء ، وأن اللهَ — عزّ وجل — ذكر آية الرَّحمةِ مع آية العذاب ، ليكونَ المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنَط من رحمة الله ، فإن أنتَ حفظتَ وَصِيَّتِي ، فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبّ إليك من الموتِ وهو آتيك ، وإن ضيّعت وصيتى فلا يكونَنَّ غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمُعجِزِه .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى معاوية : أن الْزَم الحقّ ، ينزلْك الحقُّ فى منازل أهلِ الحقّ ، يوم لا يُقضى إلا بالحقّ .

أول كتاب كتبه علىُّ بن أبى طالب فى خلافته : أمَّا بعدُ ، فإنّما هَلَكَ من كان قبلكم ، أنّهم منعوا الحق حتى اشتُرِى ، وبَسَطوا الباطلَ حتى اقتُدِى .

وقال علىُّ بن أبى طالب لرجل من الخوارج : واللهِ ما عُرِفْتَ حتى ظهر الباطل .

قال وَبَرَةُ المكىّ : سمعت عن ابن عباس كلماتٍ لهى أحبُّ إلىَّ من الدُّهْم الموقَفة ، قال : لا تتكلّمنّ فيما لا يعنيك حتى ترَى له موضعاً ، فربَّ متكلم بالحقّ فى غير

موضعه قد عِيب ، ولا تمارينّ سفيهاً ولا حليماً ، فإنّ السَّفيه يؤذيك ، والحليم يَقْليك ، ولا تذكرنَّ أخاك إذا غاب عنك إلاّ بمثل ما تُحبّ أن يذكرك به إذا غبت عنه ، واعمل عملَ رجلٍ يعلمُ أنه مَجزِيٌّ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالإجرام ، فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف .

قال ابنُ مسعود : من كانَ على الحقّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده .

قال غيره : الحقّ ثقيل ، وطُلاَّبه قليل .

وقال غيره : الحقُّ كثير ، والقائلون به يَسير .

وقال غيره : الأحمقُ يغضب من الحق ، والعاقلُ يغضب من الباطل .

وكان يقال : من هَلَك فى دولة الباطل ، أكثر ممن حَيِي بالباطل[1] .

قال أنو شروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلّموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَللحقِّ بُرْهَانٌ وَللمَوْتِ فِكْرَةٌ　　　وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمُ[2]

---

(١) ب : بالحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ .

قال مالكُ بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد فى الأرض .

وقال : إن[١] لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هَلَكة .

قال سعدُ بن أبى وقاص لسَلْمَان : أوْصِنى . قال : أخلص الحقّ يخلّصك . وأظنّ هذا من قول القائل : أعزّ الحق يذلّ لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلاّ بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العَتَّابى :

وما كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِى ... وَلا كلُّ مَنْ أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُهَا

الصُّوَى : جمع صُوَّة ، وهى حجارة تجعل أعلاماً فى الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق[٢]

وقال بعض الحكماء : النعمة نَفُور[٣] ، ولقلما انقشعت نافرة فرجعت فى نصابها[٤] ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الرّاهن[٥] منها بكرم الجوار ،

---

(١) ب : ابن .
(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التى ضاق مشيها .
(٣) ب : نوار .
(٤) ب : بصائصها .
(٥) ب : الذاهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحقُّ عن نفسه ،وصدقك عن أمره[١] .

قال منصور الفقيه :

إنّ بينَ الحقِّ وَالبَا　　طِلِ فَرْقًا لا يُحِيلْ
وعَلَى نِيَّةِ ذِى القَوْ　　لِ من الْقَوْلِ دَلِيلْ
فَقلُ الْحَقَّ وَإنْ قِيـ　　لَ لَكَ الحقُّ ثَقِيلْ
فاتّقِ اللهَ إذَا　　شُووِرْتَ وانظر ماتقولْ
لا يضرنَّكَ إن قَا　　لَ من النّاسِ جَهُولْ
إن قولَ المرءِ فيما　　لم يُسَلْ عَنْه فُضُولْ

وقال الصَّلَتَان العَبْدى :

وللحقُّ بين النَّاس راضٍ وَجَازِعُ　　ولَلأَذْنَابُ فيه للرُّءوسِ تَوَابِعُ
وليس الذُّنَابَى كالْقُدَامَى وَرِيشهُ　　وما تَسْتَوِى فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لَبيد :

(١) ا : وصدقك عن غيره .

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللهَ بَاطِلُ »(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملَتْ من ناقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِهاَ   أبرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ(٢)

قال الحاتمى : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيسِ(٣) بن عانِس لا ابن حجر(٣) .

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بِهِ   وَالبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ(٤)

وأنشد ثعلب :

وإنّ أَشْعَرَ بيتٍ أنْتَ قائلُهُ   بيتٌ يقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح اللهَ عبدٌ مسلم فى نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أُعْطِى خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضًى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

---

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/٣٧٠ .

(٣) ساقط من ا ، وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته فى العينى ١/٣٠ ــ ٣٢ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/٤٤ . (الأعلام) ١/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٣/٣٠٣ من غير نسبة ونسب فى المنتخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الـكاتب :

تَرَحَّلَ ما لَيْس بالقَافِلِ   وَأَعْقَبَ ما لَيْسَ بالآفِل
فلَهفى عَلَى السَّلَفِ الرَاحِـلِ   وَلَهفِي من الْخَلَفِ النَّازِلِ
أُبـكِّى عَلَى ذَا وأبكى لِذَا   بـكاءَ الْمُوَلَّهَـةِ الثَّاكِلِ
تُبَـكِّى عَلَى ابنٍ لها قَاطِعٍ   وَتَبْـكِى عَلَى ابنٍ لها وَاصِـلِ
تَقَضَّتْ غِوَايَاتُ سُكْرِ الصِّبَا[(١)]   وردَّ التُّقَى عَنْتَ[(٢)] البَاطِلِ[(٣)]

انتهى القسم الأول

(الجزءان الأول والثانى)

بتجـزئة المؤلف

---

(١) ب : تقصت غايات شكر ، ا : تقضت غيايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات فى : الوزراء والكتاب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، يطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتا لابأس بإيراده ، وهو :

فلبست تقتر عن عبرة   لها فى الضمير وعن هامل

القسم الثانى

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجـــــزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

بابُ الحياء والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلّ دين خُلُق ، وخُلُق الإسلام الحياء » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحياءُ خَيْرٌ كلُّه » .

(٢ وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ حَيِيّ كريم ، والفاجِر خِبّ لئيم ٢) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيِيّ الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش البذيء(٣) السائل الملحف » .

قال سليمان عليه السلام : الحياء نظامُ الإيمان ، فإذا انحل النظام ذهب مافيه .

وفي التفسير : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾(٤) . قالوا : الحياء .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رزَقه الله الوقارَ فقد وسمه بسيماء الخير .

---

(١) بعد البسملة ترد في ا عبارة : رب يسر ، وفي ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا في كلا النسختين ، وورد الكلام في م متصلا .

(٢) ساقط من ا .

(٣) في ا : السيء .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .

وقالوا : من تكلّم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسنُ : أربع من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلّق[١] بواحدة منهن كان من صالحي قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضا : رأسُ مكارمِ الأخلاقِ الحياء .

قال الشاعر[٢] :

ما إنْ دعانِي الهوَى لِفاحِشَةٍ   إلاّ نهانِي الحياء والكرمُ[٣]
ولا إلى محْرَمٍ مَدَدْتُ يَدِي   ولا مشتْ بى لريبةٍ قدمُ[٤]

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إنّ مما أدركَ الناسُ من كلام النبوّة الأولى[٥] ، إذا لم تستَحْيِ فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس[٦] :

إذا لم تخشَ عاقبةَ اللَّيالى   ولم تَستحْيِ فاصنعْ ما تشاء

---

(١) فى ج : تكلم .
(٢) البيتان فى المستطرف ٢/٣٩٦ .
(٣) فى ا : وما دعانى الهوى لمعصية .
(٤) فى ا : لزلة .   (٥) ساقطة من ا ، م .
(٦) وردت الأبيات فى ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها فى التعريض بأحد بنى حميد ، ونسبت له أيضاً فى لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، العقد الفريد ٢/٤١٤ . على أن أبا تمام نفسه أوردها فى الحماسة ٢/٣٠ من غير نسبة وقد ورد الثانى منها منسوبا لجميل بن المعلى الفزارى أحد بنى عميرة بن جؤية فى المؤتلف ٧٢ .

فلا والله[١] مافى العيش خيرٌ ولا الدنيـا إذا ذهب الحياءُ
يعيش المرءُ ما استحيا بخـير ويبـقى العُودُ ما بـقى اللحاءُ

وقال أبو دُلَف العِجْلى :

إذا لم تَصـنْ عِرضاً ولم تخش خالقاً ولم ترْعَ مخـلوقاً فما شئْتَ فاصنعِ[٢]

وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حياؤه ولا خيرَ فى وجهٍ إذا قل ماؤُهُ

وقال آخر :

إذا رُزِق الفـتى وَجْها وَقَاحا تقلب فى الأمور كما يشاءُ
ورب دنيّـةٍ ما حال بينى وبين ركوبها إلاّ الحياءُ[٣]

وقال الحَزِينُ بن عبد الله اللّيثى[٤] ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُغضى حياءً وَيُغْضَى من مهابته فلا يُـكلَّمُ إلاّ حين يَبْتسمُ

وقال آخر :

كريمٌ يغضُّ الطَّرفَ فضلُ حيائه ويدنو وأطرافُ الرِّماحِ دوانِى

---

(١) فى الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتى هذا البيت فى ج بعد البيت التالى ، وفى ا : تخشى خلقا بدل ترع مخلوقا .

(٣) ورد البيتان فى العقد الفريد ٢/٤١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٨ من غير نسبة .

(٤) فى الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق فى هامش ص ٥١٠ .

وكالسيف إن لاينته لان مَتْنُه   وحدَّاه إن خاشنته خشنانِ(١)

وقالت ليلى الأخْيَليّه :

وَمخرَّقٍ عنه القميصُ تخاله   وسْطَ البيوتِ من الحياء سَقِيما(٢)

وقال أمية بن أبي الصَّلْتِ فى ابن جُدْعان التَّيْمى(٣) :

أأذكرُ حاجتى أم قد كفانى   حياؤُك إن شيمتَك الحياءُ

كريمٌ لا يغيّره صباحٌ   عن الفعل الجميلِ ولا مساءُ

إذا أثنى عليك المرءُ يومًا   كفاهُ من تعرضِهِ الثناءُ(٤)

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياءُ ثوْبَه(٥) ، خفى عن(٦) الناس عيبه .

---

(١) وردت الشطرة الأولى فى ا : يضم عن الفحشاء فضل ثيابه . وفى ح : فهو لين بدل لان متنه ، وقد ورد البيتان فى أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التى ذكرتها عند ورود البيتين فى ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبى ، حيث ذكر أنهما لأبى الشيص الأعرابى فى خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت فى عيون الأخبار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقذر بدل مخرق ، وانظره فى الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالى القالى ١/٢٤٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التيمى القرشى ، أحد الأجواد المشهورين فى الجاهلية ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغانى (دار الكتب) ٤/٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات فى ديوان أمية ١٧ ، وفى ا : أأطلب بدل أأذكر ، وما أثبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ا ، م .

(٦) ساقطة من ا .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيي ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابى ، حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا يحيي بن معين[١] ، قال ابنُ كُنَاسة[٢]:

فىَّ انقباضٌ وَحشمةٌ فإِذا لاقَيْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سَجيتها وَقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ[٣]

---

(١) فى ا : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكناسة) بن عبد الأعلى المازنى الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين،وكان يجتنب فى شعره المدح والهجاء . توفى سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩/٢٥٨ ، الأغانى ١٢/٣٣٧ (دار الكتب) ، (الأعلام ٧/٩٢) .

(٣) ورد البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، وفيه خليت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٧١ ، وفى معجم الأدباء ١/١٤٣ تردد فى نسبتهما بين ابن كنامة وبين أبى نواس ، وقد وردا فعلا فى مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لا بن كناسة .

باب حُسْن الْخلُق وسوئه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنهم خلقا » .

قال مُعَاذ بن جَبَل : آخر ما أوصانى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلى فى الغرز[1] — أن قال : « حسِّنْ خُلقَك للناس يا مُعَاذ بن جبل » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أثقلُ شىء فى ميزان المؤمن يوم القيامة خُلُق حسن » .

[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْن الخلق يُمن ، وسوء الخلق شؤم » . [2]

قال كعب الأحبار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامئ بالهواجر .

وفى الخبر المرفوع أيضاً : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب فى الحكمة ، الرفيق[3] خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق[4] ، والوحدة خير من جليس السوء ، [5] والجليس الصالح خير من الوحدة [5] .

---

(١) الغرز : ركاب الدابة . والمعروف أن معاذا أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلما ومرشدا ، وكان هذا آخر ما أوصاه به النبى قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من ا .

(٣) حـ : الرفق .

(٤) ا : قرين .

(٥) ساقط من حـ .

كان يقال : من ساء خلقُه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بنى عبد المطلب ! إنكم لن تسَعُوا الناس بأموالكم ، فَلْيَسَعْهم منكم حسنُ الخلق ، والقوهم[١] بطلاقة الوجه وحسن البِشْر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنَكْشِرُ فى وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم[٢] .

روى فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وثيابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[٣] ، قالوا : وخلقك فحسِّن .

قال سفيان بن عيينة : من حُسن خلقه ساء خلق خادمه .

كان يقال : حسن الخلق[٤] يكسب حسن الذكر .

قال أبو العتاهية :

عامل الناسَ بوجهٍ طليقْ　　　والقَ من تلقى ببِشرٍ رفيقْ
فإذا أنت جميلُ الثنا　　　وإذا أنت كثيرُ الصَّديقْ[٥]

---

(١) ا : ولقاؤهم .

(٢) فى ا ، حـ : لتقبلهم ، ولا تستقيم مع مفهوم الخبر ، إذ معنى المكاشرة الضحك فى الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد فى عيون الأخبار ٣/٢٢ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ا : البشر .

(٥) البيتان فى ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عامل الناس برأى رفيق　　　والق من تلقى بوجه طليق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامدَ طالبوها ... بمثل البِشْرِ والوجهِ الطليقِ (١)

وقال آخر :

خالق الناسَ بخُلْقٍ حَسَن ... لا تكُنْ كلباً على الناس يهِرّْ

وقال (٢ آخر — هو ٢) المغيرة بن حَبْناء :

وما حَسَنٌ أن يمدحَ المرء نفسَه ... ولكن أخلاقاً تُذَمُّ وتُمْدَحُ

وقال ابنُ وكيع (٣) :

لاقِ بالبِشْر من لقيتَ من النا ... سِ وعاشِرْ بأحسنِ الإنْصَافِ

لا تخالف وإن أتَوْا بخلافٍ ... تستَدِمْ وُدَّهمْ بتركِ الخلافِ

وإذا خفتَ فَرْطَ غيظِكَ فانهض ... مُسْرعاً عنهمُ إلى الإنصرافِ

إنما الناسُ إن تأملتَ داءٌ ... مالَهُ غير أن تداويه شافِ

وقال آخر :

قد يمكث الناسُ دهراً ليس بينهمُ ... وُدٌّ فيزرعه التسليمُ واللَّطَفُ

---

(١) البيت فى عيون الأخبار ٣٦/١ .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) هو الحسن بن على الضبى التنيسى ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بتنيس بمصر ، انظر وفيات الأعيان ١٣٧/١، يتيمة الدهر ٢٨١/١ (الأعلام ٢١٨/٢) ، وانظر الأبيات فى اليتيمة ٢٨٢/١ .

وقال العتّابيّ يذم رجلا :

فكم نعمةٍ آتاكها اللهُ جَزْلةً ... مُبرّأةً[١] من كل خُلْقٍ يُذِيمُها
فسلطتَ أخلاقاً عليها ذميمةً ... تعاوَرْنَها حتى تفرّى أديمُها
وكنتَ امرءاً لو شئتَ أن تبلغَ المَدَى ... بلغتَ بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكنْ فِطامُ النفس أثقلُ محمَلاً ... من الصَّخْرةِ الصَّماء حين تَرُومُها[٢]

(١) ا : منزلة .
(٢) في ا : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعض هذا الشعر في الحيوان ٣/٦٢ .

بابُ مَكارِمِ الأخلاق والسُّؤْدَد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « بُعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق » . ويروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

لِيسَ دُنيا بغيرِ دينٍ وليس الدِّ ... ينُ إلاّ مكارمَ الأخْلاقِ
إنّما المكرُ والخديعةُ فى النّا ... سِ هما من فُروع أهْلِ النِّفاقِ[1]

ولإبراهيم بن المهدىّ :

لاخيرَ فى الدُّنيا بلا دينٍ ولا ... فى المالِ إلاّ منْه فيما يُبْذَلُ
فأصِبْ وَأَتْلِفْ واسْتَفِدْ وأفد وَعِشْ ... فيما اشتهتْ ممّا يَحِلُّ ويجملُ[2]

وقال آخر :

وما المرء إلاّ حيث يجعلُ نفسَه ... ففي صالِحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجْعَلِ[3]

[4] وقال آخر :

تَزِينُ الفتى أخلاقُه وَتَشِينُهُ ... وَتُذكَرُ أفعالُ الفَتى حيثُ لايدْرِى[4]

---

(١) لم أعثر على البيتين فى ديوانه .
(٢) البيتان فى أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفى ا : فاصبر بدل فأصب ، وبما بدل مما .
(٣) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، العقد الفريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب فى البيان ٣/٢٠٣ لمنقر بن فروة المنقرى .
(٤) البيت ساقط من ا ، وهو لأبى البلاد الطهوى كما فى البيان والتبيين ٣/٨٣ .

خطب ثلاثةُ إخوة من العرب(١) إلى عمِّهم ثلاثَ بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ، لاَ أَذم(٢) عهدكم ،ولا أستطيع ردّكُم ، خبّروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر: الصّون للعِرْض ، والجزاء بالقَرْض . وقال الأوسط : النهوضُ بالثُّقْل ، والأخذ بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجازُ للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ، ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ معالى الأخلاق وأشرفها (٣) ، ويكره سَفْسافها »

قال الحسنُ : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوةٌ في لين ، وحزمٌ في دين ، وإيمانٌ في يقين ، وحرصٌ على العلم ، واقتصاد في النفقة(٤) ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعة في الفاقة ، ورحمةٌ للمجهود ، وإعطاء في حقّ ، وبرّ في استقامة .

قالت عائشةُ رضي الله عنها : خلالُ المكارم عَشْر ، تكون في الرّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكونُ في العبد ولا تكون في سيِّده ، يَقْسِمُها اللهُ لمن أحبَّ : صدق الحديث ، ومداراةُ النّاس ، وصلةُ الرحم ، وحفظ

---

(١) حـ : من الاخوة .
(٢) ا : دام .
(٣) ساقطة من حـ .
(٤) ا : الفقر .

الأمانة ، والتَذَمُّم[1] للجار ، وإعطاء السَّائل ، والمكافأةُ بالصَّنائع ، وَقِرى الضَّيف، والوفاء بالعهد ، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء .

قيل لبُزُرجمهر : أىّ شىء أنت به أسرّ ؟ قال : قدرتى على مكافأة من أحسن إلىّ[2]

قال مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشّيبانى : سمعتُ صَعْصَعَةَ بن صُوحَان ، وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم ؟ قال : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، وبذل النّوال ، وكفُّ المرء نفسه عن السؤال ، والتودّد للصّغير والكبير ، وأن[3] يكون النّاس عندك فى الحق شَرَعا[4] .

سئل عبد الله بن عمر عن السُّؤدد ، فقال : الحلمُ والجُود .

كان يقال : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واكتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

قال الأحنفُ بن قيس يوماً لقومه : إنّما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم ،

---

(١) التذمم للجار هو أن يحفظ ذمامه ، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) فى هامش ا وردت العبارة الآتية : «وفى محل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن إلى : وعفوى عند قدرتى على من أساء إلى » .

(٣) جـ : وقد .

(٤) شرعا : سواء .

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتكم[١] ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد علىّ فهو خير منى ، ومن زدتُ عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضُّهم على مكارم الأخلاق .

[٢]وقال عبد الله بن عمر : نحن معشرَ قريش نَعُدُّ الحلم والجود السؤدد ، ونَعُدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السؤدَدَ فيكم لرخيص . فقال له : أمَّا نحن فما نسوّد إلا فتى يُوطِئُنا رَحْلَه ، ويفرشنا عِرْضه ، ويبذل لنا ماله . قال : أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيدُ فيكم ؟ قال : الأحمقُ فى ماله ، الذليل فى عرضه ، المطَّرح لحقده ، المعنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق فى ماله .. .. ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهلُ الجاهلية لا يسوّدون إلاّ من كانت فيه ست

---

(١) ج : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ا .

خصال وتمامها فى الإسلام سابعة : السَّخاء والنجدة ، والصّبر والحلم ، والبيان والحسب . وفى الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعلىّ وَمعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدَ منهم ، وَكانوا خيرًا منه .

روى عن النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « من رزقه اللهُ مالا فبذل معروفه وكفَّ أذاه ، فذلك السيِّد » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار يوماً : « من سيِّدكم ؟ » فقالوا : الْجَدُّ بن قَيْس عَلَى بُخل فيه . فقال عليه السّلام : « أىّ داءٍ أَدْوَأُ من البخل ؟ ! بل سيِّدكم الْجَعْدُ الأبيض عَمْرُو بن الْجَمُوح » . فقال شاعرهم فى ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُه ... لمن قال منا من تُسمون سَيِّدا
فقالوا له الجدُّ بن قيس عَلَى التى ... نبخّله فيها وإن كان أسودا
فتًى ما تخطَّى خُطـوةً لدنيَّةٍ ... ولا مدّ فى يوم إلى سَوْءَةٍ يدًا
فسوّدَ عمر بن الْجَمُوح بجودِهِ ... وحُقّ لعمرو بالندى أن يسوّدا[1]

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

---

(١) انظر هذا الخبر والأبيات فى ترجمة عمرو بن الجموح فى الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس على التى ... على مثلها عمرو لكنت المسودا

كان سالمُ بن نوفل سيد بنى كنانة فى زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : ما أمّنك[1] من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إذاً ؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفى سالم هذا يقول الشاعر :

نُسَوِّدُ أقواماً وليسُوا بسادة ... بل السيّد المعلومُ سَلْمُ بن نَوْفَلِ[2]

أنشد ابن عائشة[3] :

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا ... حتى يَذلُّوا وإن عَزُّوا لأقوامِ

وَيُشْتَموا فترى الألوان مُسْفِرةً ... لا عفوَ ذلّ ولكنْ عفو أحلامِ

وإن دَعَا الجارُ لبَّوْا عند دعوته ... فى النّائباتِ بإسراجٍ وإلْجامِ[4]

مُسْتلئِمين ، لهم عند الوغى زَجَلٌ ... كأنّ أسْيافهم أغرين بالهــامِ[5]

قال الأصمعى : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلاّ وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم .

---

(١) فى الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت فى العقد الفريد ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل البصرة ، اشتهر بهجاء القاضى أحمد بن أبى دواد ، وكان قد قصده فى بغداد فدحه فلم يعره التفاتا فهجاه ، توفى ٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٢٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من ا .

(٥) الاستلئام : التدرع ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرءوس . وانظر البيت الأول فى العقد الفريد ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا يبلغ ، وقد وردت كلها فى أمالى القالى ٣/٤١ ، عيون الأخبار ٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا ينتصفون[١] من ثلاثة حليم من سفيه ، وبر من فاجر ، وشريف من دنىء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعنى أحد إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال؛ إن كان فوقى عرفت له قدره ، وإن كان دونى أكرمت نفسى عنه ، وإن كان مثلى تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سأُلْزِم نفسِى الصفحَ عن كلِّ مذنب وإن كَثُرَتْ منه علىَّ الْجَرائمُ
وما الناسُ إلاّ واحد من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلى مُقَاوِمُ[٢]
فأما الذى فوقى فأعرف فضلَه وَأَلْزَمُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأما الذى دونى فإن قال صنت عَنْ مقالتِه نفسِى وإن لامَ لائمُ
وأما الذى مثلى فإن زَلّ أو هفا تفضّلتُ إن الفضلَ للحُرِّ حاكمُ[٣]

وقال آخر :

لقد أسمعُ القولَ الّذى كاد كُلَّما تذكّرنيه النفسُ قلبى يُصَدَّعُ
فأُبدِى لمن أبداه منّى بَشَاشَةً كأنّىَ مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاكَ من عُجبٍ به غير أنّنى أرى أن تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ

---

(١) فى ا : يستنقصون .

(٢) مقاوم : مساو لى فى القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة فى العقد الفريد ٢/٢٨٣ ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

قال الحسنُ البصريّ : ما سمعت الله عزّ وجلّ نَحَل عبادَه شيئًا أقلّ من الحلم ، فقال عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(١) ، وقال : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(٢) .

قال العتّابيّ :

إذا سرَّنِي دَهْرِى قبلتُ وَإِن أَبَى ... أَبَيْتُ عليه أن أضيقَ لَهُ صَدْرَا

فكمْ من مُسِيءٍ قد لقيتُ وَمحسنٍ ... فأوسعتُ ذا حِلمًا وَأَوْسعتُ ذا شُكْرَا(٣)

قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله : إنَّ السَّفيهَ إذا أعرضتَ عنه اغتمّ ، فزده إعراضًا .

(٤ كان يقال : بحسن السّيرة يُقهرُ ٤) المناوئ ، وبالحلم عن السَّفيه يكثُر (٤ أنصارك عليه ٤).

قال الشاعر :

(٥ سكتُّ عن السَّفيهِ فظنَّ أنّى ... عييتُ وما عييتَ عن الجوابِ ٥)

متاركةُ السَّفيه بلا جوابٍ ... أشدُّ عَلَى السَّفيه من العذاب

---

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .
(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .
(٣) البيتان فى زهر الآداب ٣/١١٢ .
(٤) ساقط من ج .
(٥) ساقط من ا .

ولا شيء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا وقع الكريمُ[1] من السِّبابِ

سبَّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له: إن كنتَ كاذباً يغفرِ اللهُ لك، وإن كنتَ صادقاً يغفرِ اللهُ لى.

قال الشَّعبيُّ: الغضبُ غولُ الحلم[2].

قال خالدُ بن صفوان: شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلٌ يشتمه، فقال: آجرك الله على ما ذكرتَ من[3] صوابٍ، وغفر لك على ما ذكرتَ من[3] خطأ، قال: فما حسدتُ أحداً حسَدِى عمرَو بن عُبيدٍ على هاتين الكلمتين.

مرّ الشَّعبي بقوم ينتقصونه، فأنشد:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامِرٍ لعزّةَ من أعراضِنا ما استحَلَّتِ[4]

قال النّابغة الجَعْدىّ:

وَلا خيرَ فى حلمٍ إذا لم تكُنْ لَهُ بوادر تحمِى صفوَهُ أنْ يُكَدَّرَا
ولا خير فى جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدَرَا[5]

---

(١) فى حـ: الكلام.
(٢) فى ا: غلول الحليم.
(٣) ساقط من حـ.
(٤) البيت لكثير عزة، ديوانه ١/٥٧.
(٥) البيتان فى الشعر والشعراء ١٥٩، معجم الشعراء ٣٢١، عيون الأخبار ١/٢٣٩، ٢٨٥، نهاية الأرب ٣/٢١٠ وفى ا: أريب بدل حليم.

وقال آخر :

وفى الحلم والإسْلاَم للمرء وازعٌ   وفى تركِ أهْوَاء الفؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ يُرشِـدْنَ الفتى مستبينةٌ   وأخلاقُ صِـدْقٍ علمُها بالتعلُّمِ (١)

قيل للحُصَيْن بن المنذر : بِمَ سُدْتَ قومك ؟ قال : بحسبٍ لا يُطمع فيه ، ورأى لا يُسْتَغْنَى عنه .

وذكر السُّؤددُ عند معاوية بن أبى سفيان ، فقال : إنَّه لينتقل فى الحىّ كما ينتقل الظلّ (٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السّاداتِ من لو أطعتَهُ   دعاكَ إلى نارٍ يفورُ سعيرُها (٣)

قال : كان سفيان بن عُيَيْنَة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسوَّدِ   ومن الشَّقاء تفرُّدِى بالسُّؤْدُدِ (٤)

---

(١) البيتان لـكثير، ديوانه ١/٢١٨ ، وفى ا: بصائر رشد ظاهر ومشبه ، وانظرهما أيضاً فى البيان والتبيين ١/٢٠٥ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٢/٦ وفيها : بصائر رشد للفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته فى الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت فى البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان ٣/١٩٦ ، ٢٧٦ . والحيوان ٣/٨٠ لحارثة بن بدر ، وفى هامش الحماسة ١/٣٤٠ قال إنه لرجل من خثعم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرثى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا حديقة فاختلفوا فقتل بعضهم بعضا ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر أيضاً فى هذا هامش البيان ٣/٢٧٦) ، وقد ورد البيت بدون نسبة فى وفيات الأعيان ٣/٣٥٧ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ ، العقد الفريد ٢/٢٩٠ .

قال : قال عمرُ بن عبد العزيز لرجل : من سَيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنتَه لم تقُلْه .

قال الشاعر :

وإنّ بقومٍ سوّدُوكَ لفاقةً ... إلى سيِّد لو يظفرون بسيِّد[1]

قيل للمهلب : ما السُّؤدَد ؟ قال : أن يركب الرجلُ فى منزله وحده ، ويرجع إلى منزله فى جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيِّد فيكم ؟ قال : هو الّذى إذا أقبلَ هبناه ، وإذا أدبر عِبْناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنتَ لم تعملْ برأيٍ ولم تُطِعْ ... أولى الرَّأيِ لم تركنْ إلى أمْرِ مُرْشِدِ

ولم تجتنب ذمّ العشيرةِ كلِّها ... وتدفعُ عنها باللِّسانِ وباليدِ

وتحلمُ عن جُهّالها وَتَحُوطها ... وتقمعُ عنها نَخْوَةَ المتهدِّدِ

فلستَ ولو عللتَ نفسك بالْمُنَى ... بذِي سُؤدَدٍ بادٍ ولا قرب سُؤْدَدِ[2]

---

(١) نسب البيت لأبى نخيلة السعدى فى البيان ٣/١٩٥، ٢٧٦ ، والحيوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة فى حماسة البحترى ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : لحاجة بدل لفاقة .

(٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ١٩٦ ، جمهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أُنس بن مدرك[1] :

عزمتُ عَلَى إقامةِ ذِى صَلَاحٍ لِأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ من يَسُودُ[2]

وقال أبو الحسن الموسوى[3] :

ما السّؤدَدَ المكسوبُ إلاّ دُونَ ما يُومِى إليه السُّؤْدَدُ المولودُ
فإذا هما اتفقا تكسَّرَتِ القَنَا إن غُولِبا وتضعضعَ الْجُلْمُودُ[4]

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالةُ فى الأقرباء ، والبَطرُ فى الأغنياء .

قال الْمَرَّارُ بن سَعيد[5] :

إذا شئتَ يوماً أن تسُودَ قبيلةً فبالحلمِ سُدْ لا بالسَّفَاهَةِ والشَّتْمِ[6]

وقال بعضُ أهل العلم : لا سُؤدَدَ إلّا بالبخت والْجَدِّ وَالسَّعْد ، وذلك أنا قد

---

(١) أنس بن مدرك ، وسماه البغدادى فى الخزانة ٣/٣٦٦ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم فى الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بن على ومعاوية، فانحاز الى على ، وقتل فى إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣٦٦) .

(٢) البيت فى البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضى) نقيب العلويين ، وأشعر الطالبيين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية فى تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٤ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان فى ديوانه ١/٢٤٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٧، التمثيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيده . انظر فى ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبى تمام ١/٤٧٤ وفيها بالتسرع بدل بالسفاهة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاق الجميلةُ توجب السؤدد والرياسة ، والأفعال المذمومة والأخلاق الدنيّة تمنعُ من السُّؤدد ، ثم رأينا قوماً سادُوا بأخلاق لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرْضِي ، فمن ذلك : أن الحمق يمنع من السُّؤدد ، وقد ساد عُيَيْنَة ابن حِصْن[1] ، وكان محمّقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلا ، والبخلُ يمنع من السُّؤدد ، وساد عامرُ بن الطُّفَيْل[2] ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهْر ، وساد أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار النَّدْوَة وما استوت لحيته ، والحداثةُ تمنع من السُّؤدد ، وساد شِبْلُ بْنُ مَعْبِد البَجَلِيّ[3] ، وما بالبصرة بَجَليّ غيره ، وهم يقولون : لا سؤدد إلّا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا سوَّدناك ما سُدْتَ . قال فمن سوَّد شِبْل بن مَعْبِد البَجَلي ، وليس بالبصرة بَجَلِيّان .

---

(١) ابن بدر الفزارى ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام فى عهد أبى بكر ، ثم مال إلى طلحة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامرى ، من بنى عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، أدرك الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مضمرا قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبى له الأمر من بعده ، ويعطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبى ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوعدا ، ثم مات قبل أن يصل إلى محلة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والمراجع الأخرى فى هامش الأعلام ٤/٢٠ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلى ، من التابعين ، وهو أخو أبى بكرة الثقفى لأمه ، من الذين اشتركوا فى الفتوح الإسلامية فى عهد عمر ، وقد نقم على أبى موسى الأشعرى بعض تصرفاته فعزله عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٤/٣٠٥ .

وساد عتبة بن ربيعة[١] وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قطّ ، ولم يفضل عن قوت أهله قوتُ ضيفٍ واحد ، وهم يقولون إنّ الفقر يمنع من السؤدد . هذا كلّه يدلّك على أن السّؤدد بالبخت

وقال غيره : أسباب السّؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحِذق والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدَّ للسُّؤْدَدِ من أرْمَاحْ   ومن سفيهٍ دائمِ النُّبَاحْ

ومن عديدٍ يَتَّقِي بالرّاحْ[٢]

أى لا يتقى بالدّعاء .

وقال غَيْلاَن بن سَلَمَة الثَّقَفِىّ :

لابدَّ للسُّؤْدَدِ من عَدِيد[٣]

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، كان موصوفا بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولكنه طغى وشهد مع المشركين بدرا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها فى البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٣٥١/١ ، وقد وردت فى العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى هى .

لابد للسؤدد من رماح   ومن رجال مصلتى السلاح
يدافعون دونه بالراح   ومن سفيه دائم النباح

(٣) انظر القطرة فى البيان والحيوان فى نفس الصفحات التى وردت فى الهامش السابق ولم أعثر على تكملة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدى من مراجع .

قال النابغةُ الذُّبْيانىّ :

تعدُو الذئابُ على من لا كلابَ لَهُ ... وتتّقِى صَوْلَةَ المستنْفرِ الْحامِى(١)

قال الحسنُ بن سهل يوماً : الشَّرف فى السَّرَف ، فقيل له : لا خيرَ فى السَّرف ، فقال : لاسَرَفَ فى الخير ، فردّ اللَّفظة واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفرُ بن سليمان الهاشمى : عجبتُ لمن لا يكتبُ العلم كيف تدعوه نفسه إلى مَكْرُمة .

ابن بَشّار :

وإذا جَزَيْتَ أخًا بِذَنْـ ... ـبٍ كانَ منه لم تَسُدْهْ

ولقلّماَ طَلَب الفـــتى ... لأخيه عيبا لم يجِدْهْ(٢)

الهُذَلى :

وإنَّ سيادةَ الأقوام فاعلَمْ ... لها صَعْدَاءُ مطلبها طَوِيلُ(٣)

---

(١) وردت الشطرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتمى مربض المستأسد الحامى ... حماسة البحترى ٢٦٤

وتتقى صولة المستأسد الضارى ... الحيوان ٢/٨٧

وتتقى مربض المستنفر الحامى ... عيون الأخبار ٤/١٠٩

وقد نسب البيت للنابغة فى المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه المرزبانى فى المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ .

(٣) البيت للأعلم الهذلى كما فى ديوان الهذليين ٢/٨٧ ، وانظره فى البيان ١/١٩٥ ، ٢٧٠ ، والحيوان ٢/٩٥ وفيه : وإن سياسة ، وفى نسخة حـ : عسير بدل طويل . والصعداء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أى يشتد صعودها على الراقى .

لما توفى عبد الله بن طاهر[١] ، صلّى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه ، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانه ، وفعل ذلك إخوته ، ودفع كل نَجْلٍ منهم إلى كلٍّ غلام خمس مائة درهم ، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدًا ذكرًا ، فقال أبو العَمَيْثَل[٢] الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان[٣] يختص بطاهر وينادمه : ألا أدلَّك على شىء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر ؟ قال : بلى . فأنشده هذه الأبيات وقال : اكتب بها إلى الأمير ، وهى :

يا من يحاول أن تـكونَ خلالُه كخلالِ عبد الله أَنْصِت وَاسْمَعِ[٤]
فلأقصـــدنّك بالنصيحةِ وَالَّذى حجَّ الحجيج إليه فاقبلْ أو دعِ[٥]
إن كنتَ تطمعُ أن تحلَّ محلَّهُ فى المجد والشَّرَفِ الأشمِّ الأرفعِ
فاصْدُق وَعِفَّ وَبرَّ وَارفقْ وَاتَّئِدْ وَاحلُم ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
وَالطُف وَلنْ وَتأَنَّ وَانْصُر وَاحتملْ وَاحزمْ وَجِدَّ وَحَامِ وَاحملْ وَادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارم مَهْيَعًا فاسلُك فقد أبصرت قصدَ المهيعِ[٦]

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى بالولاء ، من أشهر الولاة فى العصر العباسى كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ، ولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيرا من بلادالمشرق ، توفى سنة ٢٣٠هـ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ١/ ٢٦٠ ، تاريخ بغداد ٩/٨٣؛ (الأعلام ٤/٢٢٦ ، ٢٧) .

(٢) أبو العميثل : عبد الله بن خليد بن سعد ، مؤدب من الشعراء الفضلاء ، كان مولى لبنى العباس واتصل بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه فى خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦) .

(٣) أى أبو العميثل .

(٤) فى الوفيات : صفاته كصفات عبد الله الخ .

(٥) فى الوفيات : فلأنصحنك بالمشورة .. فاسمع أودع .

(٦) فى ا : مقنعا بدل مهيعا ، والمهيع : البين ، وقد وردت هـذه الأبيات ماعدا الثالث فى وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الذخيرة ١/ ٣٢٠ ، ورواية البيت الأخير فيهما :

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى وهديت للنهج الأسد المهيع

فاستحسن طاهرٌ الأبيات ، وقال : واللهِ لقد أفدتنى ما يجبُ به شكرك ، فقلده نيسابور وأعمالهَا ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكتْ أسْدُ العَرين ولم يكنْ لها خلفٌ فى الغِيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السَّارى إذا غاب لم يكن له خلفٌ فى الجو إلاّ الكواكبُ

قال بعض الحكماء : من ابتغَى المكارم فليجتنب المحارم .

باب حمدِ الحلم وذمّ السّفه

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأشجِّ عبدالقيس[1]: « يا أشج [2] عبدالقيس [2] أو يا منذر ! فيك خصلتان يرضاهما الله ورســـوله : الحلم والأناة » ، فقال : يا رسول الله ! أشيء جبلنى الله عليه أم شيء اخترعته من قبل[2] نفسى ؟ . فقال : « بل شيء جبلك الله عليه » . فقال : الحمد لله الذى جبلنى على خُلق[3] يرضاه الله ورسوله

قال الشّعْبي : زينُ العلم حلمُ أهله .

قال رجاء بن أبى سلمة : الحلمُ أرفع من العقل ، لأن الله تسمّى به .

قال معاوية : إنى لأرفع نفسى أن يكون ذنب أرجح من حلمى .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال: من ترك الفضول ، واقتصر على الإيجاز . قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : من بذل دنياه فى صلاح دينه قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه .

---

(١) اسمه المنـذر بن ساوى بن الأخنس العبدى من عبد القيس أو من بنى عبد الله بن دارم من تميم ، كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام فأسلم فأقره على عمله ، وثمة خلاف فى أمر وفوده على النبي ، انظره فى الإصابة الترجمة ٨٢١٢ .

(٢) ساقطة من ا ، م .

(٣) فى ح ، م : على شيء .

قال محمد بن أبي شِحاذ[١] :

إذا الحلمُ لم يغلبْ لك الجهلَ لم تزلْ عليـــــك بروقٌ جمةٌ وَرَوَاعِدُ

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذُلّ والصَّبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إنى لأجدُ ما تجدون ، ولكنِّى صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلمَ[٢] أنصرُ [٣ لى من الرجال ٣] .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قُرِن شىء إلى شىء أحسنَ من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدْرَة .

وقد رُوينا هذا الكلام لمن هو أسنّ من عُمَر وأكبر .

وقال بَلْعاء بن قَيْس :

أَبَيْتُ لنفسى الخَسْفَ لما رَضُوا به وأوليتهم سمعى وما كنت مُفْحَما

وقال شُرَيْح : الحلمُ كنز مُوفَّر ، والحليم مطية الجُهُول .

---

(١) فى الأصول محمد بن صحار ، وفى ح : بزيادة العبدي ، وقد وجدت البيت منسوبا فى حماسة أبى تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبى شحاذ الضبى ، وسماه فى معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبى شحاذ ، ولقد جهدت فى البحث عن محمد بن صحار العبدى هذا فلم أجد إلا صحار بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان فى أول العصر الأموى ، ويبدو أنه قد حدث تحريف من ناسخى النسختين ا ، م فى اسم شحاذ حولاه إلى صحار ثم زاد ناسخ النسخة ح العبدي ، وقد أثبت الاسم كما فى الحماسة .

(٢) فى ا . الصبر .

(٣) ساقط من ح .

قالوا : بالعقل استُخرج غورُ الحكمة ، وبالحلم استُخرج غَوْرُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فيارب هَبْ لى منك حِلمًا فإننى أرى الحِلْمَ لم يندَمْ عليه حليمُ
ويارب هب لى منك عزماً على التقى أقيم به ما عشتُ حيث أقيم
ألا إنّ تقوى الله أكرمُ نسبةٍ تَسَامَى بها عند الفخارِ كَرِيمُ(١)

قال الخُرَيْمى :

أرى الحلمَ فى بعض المواطنِ ذِلّةً وفى بعضِهاَ عِزًّا يُسَوَّد فاعلُه

قال عُمارة (٢ بن عقيل ٢) :

إذا أغضبتَ ذا كرمٍ تَخَطّى إليك ببعض أخلاق اللئيم
وإن الله ذُو حلمٍ ولكنْ بقدر الحلم مُنْتَصَفُ الحليمِ(٣)

وقال آخر :

بنى هِلاَلٍ ألا تَنْهَوْا سفيهَكُمُ إنّ السّفيهَ إذا لم يُنْه مأمورُ(٤)

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف فى الترتيب .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٨٥ إلى عمارة كما هنا ، وقد وردا للبحترى فى ديوانه ٢/٢٦٦ ، نهاية الأرب ٣/٩٣ ، وفيهما : متى أحرجت .

(٤) البيت في البيان ٣/٢٦١ من غير نسبة ، وفيه : بني عدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلمٍ أضاعَهُ عدمُ المال وجهلٍ غطّى عليه النعيم(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهلُ(٢)

وقال صالحُ بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهلِ في بعضِ الأحايين أحْوَجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً(٣) ولكنني أرضى به حين أحرجُ
فإن قال بعضُ الناس فيَّ سماجةٌ فقد صدقُوا والذُّلُّ بالحرِّ أسمجُ(٤)

وقال أبو يعقوب الخريمي :

وإنك تلقى صاحبَ الْجهلِ نادماً عليه ولا يأسى على الحلمِ صاحبُه

وقال حبيبُ الطائي :

إذا جاريتَ في خلُقٍ دَنيًّا(٥) فأنت ومن تُجاريه سواءُ

---

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت في عيون الأخبار ٣/٢٣١ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ . ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ا : وصاحبا .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عيون الأخبار ٣/٢٨٩ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩ إلى محمد بن حازم الباهلي ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ٣/١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١١٧ .

(٥) في ا : دني .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ وَلّى ... بَدَا لَهُمُ من الناسِ الجفاءُ[١]

ولآخر :

أبا حسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى ... وَلَلْحِلْمُ أحيانا من الجهل أقبحُ

إذا كان حلمُ المرء عَوْنُ عدوِّه ... عليه فإن الجهلَ أَعْفَى وَأروَحُ

وفي العفوِ ضعفٌ والعقوبةِ قوةٌ ... إذا كنت تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنْ أحـــدٌ علينا ... فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[٢]

قال آخر :

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه ... وخالف والسفيهُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه[٣] ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفهه ؛ لأنا لا ندرى ما نقابل به السّفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولـكلّ عقلٍ غَفْوَةٌ أو سَهْوَةٌ ... وَالحـرُّ محتاجٌ إلى التّنْبِيهِ

---

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت فى الجمهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٣/٦٤ .

(٣) في ا : سفيه ،

والعاقلُ النِّحريرُ محتاجٌ إلى ... أن يستعينَ بجاهلٍ مَعْتوهِ[1]

وقال آخر :

وَلربما اعتضد الحليم بجاهلٍ ... لا خير فى اليمنى بغير يسارِ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذى كلَّ ساعةٍ ... بهِ غضبٌ فى أنفــــه يتوقّدُ

إذا أَمِنَ[2] الجهّالُ جهلَك لم تزل ... عليك بوادى جهلِهم تتورَّدُ

وإن عقاب[3] الجاهلين لذاهب ... بحلمك فانظر أى هاتين تَعمِدُ

كان يقال : ليس الحليم من قُذف فكظَم ، وَلكن من صُدم فصبر .

قال البحترى :

أرى الحلم بُؤْساً فى المعيشة للفتى ... ولا عيش إلاّ ما حباكَ به الجهلُ[4]

وقال آخر :

قل ما بَدَالَكَ من زُورٍ وَمن كَذِبٍ ... حلْمى أصمُّ وأذنى غيرُ صَمّاء

وقال آخر :

وَلاخيرَ فى عِرْضِ امرىءٍ لايَصُونُه ... وَلا خير فى حلم امرىءٍ ذَلَّ جانبه[5]

---

(١) فى ا : سهوة أو غفلة ، وانظرها فى ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ا : أمر . (٣) حـ : عفاف

(٤) البيت فى الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ٣/٣٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرّةً ... فعِرْضك للجهّال غُنمٌ من الْغُنْمِ
وَإن أنت بأَذَيتَ السفيه إذا بذا[(١)] ... فأنت سفيهٌ مثله غير ذى حلم
فلا تقرضَنْ عرض السفيه وَداره ... بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم
وَمن عاتب الجهال لم يشف غيظه ... وَلكنه يزداد سُقْماً إلى سُقم[(٢)]
فَدَعْ عنك فى كلّ الأمور عِتَابَهُ ... فإنَّك إنْ عاتَبْتَهُ صَار كالْخَصْمِ
وَغمٌّ عليه الحلمَ وَالجهلَ وَالْقَهُ ... بمنزلةٍ بين العَداوةِ وَالسِّلْمِ
فيرجُوك أحيانًا وَيخشاك تارةً ... وَيأخذُ فيما بين ذلك بالْحَزْمِ
فإن لم تجد بُدًّا من الجهل فاستعن ... عليه بجهّالٍ فذاكَ من العَزْمِ

وقال أبو دَهْبَل الجُمحى[(٣)] :

وَكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غَيْبَهُمْ ... فلم يَنْهَهُمْ حلم وَلم يتحَرَّجُوا[(٤)]

---

(١) فى ا : وإن أنت جاريت السفيه بجهله .

(٢) فى ا : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل إلى .

(٣) فى ا : أبو دعبل ، وفى حـ : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما فى م ، وأبو دهبـل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشى ، من أشراف جمح بن لؤى بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح فى معاوية وابن الزبير . انظر المؤتلف ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٠ (الأعلام ٩/١٤٩) .

(٤) انظر البيت فى عيون الأخبار ٢/٢٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إذا رِشْوَةٌ من بابِ قومٍ تَقَحَّمَتْ   لتدخلَ فيه وَالأمانَةُ فيه
سَمَتْ هربًا منه وَوَلَّت كأنها   حليمٌ تنحّى عن جواب سفيه(١)

وقال آخر :

العفوُ عند لبيبِ القومِ مَكْرُمَةٌ   وبعضُه لسفيهِ الرّأيِ تدريبُ(٢)

---

(١) فى ح : عن جوار .

(٢) البيت فى الحيوان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

بابُ مدح الجود والكرم، وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إياكم والشحّ ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُم بالقطيعةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُم بالبخلِ فَبَخِلُوا ، وبالفجورِ فَفَجَرُوا » .

قال رسول الله صلّى الله وسلم : « لولا ثلاثٌ صَلُحَ النَّاس : شحٌ مطاعٌ ، وهوى متّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه » .

قال الزُّبَيْر بن العَوَّام فى خطبة خطبها بالبَصْرة : أيُّها النَاسُ ! إنّ النبى صلى الله عليه وسلم أخذ يوماً بعمامتى من ورائى فقال : « يا زبيرُ ! إن الله يقول : أَنْفِقْ أُنفق عليك [1] ، ولا تُوكِ [2] فيُوكأ عليك . أَوْسِع يُوَسَّعْ عليك ، ولا تُضيق فيضيَّقْ عليك . واعلم يا زبيرُ أن الله يحبّ الإنفاق ولا يحب الإقتار ، وَيحبّ السماحة ولو على فلق تمرة ، وَيحبّ الشجاعة ولو على قتل [3] حية أو عقرب ، واعلم يا زبير أن لله كنوز [4] أموال سوى الأرزاق التى قسمها بين العباد ،

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) توكىء : تبخل .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) فى ج : فضول .

محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله » .

قال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : البخل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخىُّ بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل تَرْكُ حقٍّ قد وَجب لخوف[1] شىء لم يقع .

روى عن النبىّ صلّى الله عليه وَسلّم أنه قال : « أقيلوا الكرام عثراتهم » ويروى . « أقيلوا ذوى الهيَباتِ زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، وَالفاجر لئيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عزّ وَجل : أنا جواد كريمٌ ، لا يجاورنى فى جنتى لئيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القِرى[2] ، وَكفُّ الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال . طلبُ اليسير وَمنع الحقير . وَقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفى والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال . بذلُ الموجود .

---

(١) فى ح : ترك شىء قد وجب خوف .. الخ .

(٢) فى ا : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبى دُوَاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًّا فليس بكريم .

قال شُعَيْبُ بن حَرْب : ليس السخىُّ من أخَذ المالَ من غير حلّه فبذّره ، وإنما السخىّ من عُرِض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حق وَوَضَع فى حق[1] .

كان زيادُ بن أبيه يقول : من منع ماله سُبُل الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيمُ بن أبى عَبْلة[2] : سمعت أمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان [3] ثوبا طريفا [3] ما لبسته .

قال معاوية بن أبى سفيان لأبى مسلم الخَوْلانى[4] : إنكم معشر العُبّاد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإنا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

---

(١) يأتى هذا الخبر فى ا بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) إبراهيم بن (أبى عبلة) شمر بن يقظان بن عبد الله المرتحل الرملى وقيل الدمشقى ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر فى التمهيد أن ابن أبى عبلة كان ثقة فاضلا ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفى إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولانى ، أبو مسلم ، تابعى فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفى بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت خيرًا فلا موضع فيها للشر ، وأما السّماحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾(١) .

قال أسماء بن خارجة(٢) : لو لم يَدْخُل على البخلاء فى بُخلهم إلاَّ سوء ظنِّهم بربهم فى الخَلَف لـكان ذلك عظيماً .

قال زهير :

وَمَنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بِفَضْـلِهِ ... عَلَى قومه يُسْتَغْنَ عنه وَيُذْمَمِ(٣)

وقال محمد بن يسير :

كم مانعٍ نفسَه لذّاتِها حذرًا ... للفقرِ ليس لهُ من مالِهِ ذُخُرُ
إن كان إمساكُهُ للفقرِ يحذَرُهُ ... فقد تَعَجّلَ فقرًا قبل يفتقرُ

وقال آخر :

ما أعلم الناسَ أن الجودَ مدفعةٌ ... للبُخل لـكنه يأتى عَلَى النَّشَبِ

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٣.

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفزارى ، تابعى من رجال الطبقة الأولى فى الحديث ، من أهل الـكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الخلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مُطَير الأسدى (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ولكنّه خِيمُ الرّجال وخيرُها (٢)

وقال آخر :

إنى امرؤٌ أَجْزِى الكريمَ بوُدِّهِ وأصدُّ عن وصل اللئيم وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جهِلُوا القياسَ لِلُطْفِه فتوهَّمُوا أن البخيلَ وكلبَهُ مِثْلاَنِ

والكلبُ يحفظُ أهله ويقيهمُ ويكفُّ طارقَهمْ عن العُدْوَانِ

والنذلُ يُوحِش أهلَه ويُجيعُهُمْ ويحضُّ ناصرَهُم عَلَى الخذلانِ

فهما ومن جعل الكلاب أعزة والباخلين أذلةً ضِدَّان (٣)

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيمِ إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبرُ نفوساً ، واللئام أصبرُ أجساماً .

قال الشاعر :

إنّ ذا اللؤمِ إذا أكرمتَهُ حسب الإكرامَ حقًّا لزِمَكْ

---

(١) ساقطة من ا ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدى ، مولاهم ، شاعر متقدم فى القصيد والرجز ، وفد على معن بن زائدة حين ولى اليمن فمدحه ثم رثاه حين مات ، توفى ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء ٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٤٨٥/٢) .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) فى ج : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضلِ إذا أكرمتَهُ   لم يُصَغِّرْكَ ولكن عَظَّمَكْ

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَه   وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرَّدا[1]

وقال آخر :

أراكَ تُؤمِّـــــل حسن الثّنا   ءِ ولم يرزُق الله ذَاكَ البَخِيلاَ

وقال آخر :

تريدين أن أَرْضَى وأنت بخيلةٌ   ومن ذا الذى يُرْضِى الأخلاءَ بالبُخْلِ[2]

وقال آخر :

نَدَبْتُكُم[3] لِنَفْعِى أَنْ قَدَرْتُم   فلم أر فيكم حُرًّا كريماَ
ومَالِىَ عنـــدكم ذنبٌ أراهُ   سوى أنى عرفتكُمُ قديماَ

وقال زيد بن عمرو النخعى :

لقد كذب المَعَاشِرُ حين قالوا   علىٌّ والمُخَارِقُ سَيِّـــدانِ
هما حجرانِ من جبلٍ[4] صَلُودٍ   إذا قيل ارْشحا لا يَرْشَحَانِ

---

(١) ديوانه ٣٦١ .
(٢) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٠٩ من غير نسبة .
(٣) فى ح : فديتكم .
(٤) فى ا : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ   أبا عمرٍو إذًا أعجبتمانى

وقال ابن أبى فَنَن[١] :

وإن أحقَّ الناس باللُّوْمِ شاعرٌ   يلومُ عَلَى البخل الرجالَ ويبخلُ

قال الحطيئة[٢] :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعْطِ طائلا   فسيّانَ لاذمُّ عليك ولا حمدُ

وقال منصور الفقيه :

زادُ البخيلِ إذا مضى لسبيلِهِ   ذمُّ العِـــدَا وقطيعةُ الورّاثِ

وَأخو السماح لحظه من أهله   وَمن الغريب مدائحٌ وَمَراثِ

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيف بنى السَّلِيْـ   ـلِ فمنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمْ

ما إن يُحَسُّ ولا يُمَسُّ (م) وَلا يُذَاقُ وَلا يُشَم

فإذا نزلتَ بـــــدارهم   فانزلْ بِشِـدْقٍ مُلْتَثِمْ

حتى تعيشَ مُسَلَّمًا   يا من يعيشُ بغيرِ فمْ

---

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فنن) ، شاعر مجود نقي اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر فى ترجمته تاريخ بغداد ٤/٢٠٢ ، زهر الآداب ٤/٦٢ ، وانظر البيت فى العقد ٢/٤٦ .

(٢) لم أعثر على البيت فى ديوانه ، وانظره فى محاضرات الأدباء ١/١٤٨ بدون نسبة .

ولمنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَغَدَّوْا رَبطوا قِطَّهُمْ ... بخلاً بما تطرحُهُ المائدهْ
ما عرضت قطُّ لهم تخمةٌ ... ولا تَشَكَّوْا مَعِدَةً فاسِدَهْ (١)

قال الحسنُ بن هانئ (٢) :

وباخلٍ جئتُهُ فقدّم لى ... كِسْرَةَ خبز وعينُه عَبْرى
فقال ما تشتهى فقلت له ... قطعةَ جُبْنٍ وكسرةً أُخْرَى

وله أيضاً (٣) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ البُخْلِ ... فقد حلّ فى دار الأمانِ من الأكلِ
وماخبزُه إلا كآوى يُرى ابنُهُ (٤) ... ولم يُرَ آوَى فى الحُزُونِ ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلاّ كعنقاء مُغْرِبٍ (٥) ... تُصَوَّرُ فى بُسْطِ الملوكِ وفى المُثْلِ
يُحَدِّثُ عنها الناسُ من غيرأن يروا (٦) ... سوى صُورَةٍ ما إنْ تَمرُّ ولا تَحْلِى

(١) فى حـ : المعدة الفاسدة .
(٢) ديوانه ١٧١ .
(٣) الأبيات قالها فى هجاء إسماعيل بن أبى سهل بن نوبخت ، انظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان ١٢٩/٣ ، ١٣٠ .
(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لاوجود له .
(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .
(٦) فى ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزُهُ إلاّ كليبُ بنُ وائلٍ ليالىَ يحمى(١) عزُّهُ منْبِتَ البقْلِ
وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خصْمانِ عِنْدَه ولا الصوتُ مَرْفوعٌ بجدٍّ ولاهزلِ
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصاب كُلَيْبًا لم يكنْ ذاكَ عن بَذْلِ
ولـكن قضاءٌ ليس يُسْطاع دَفْعُهُ(٢) بحيلةِ ذى ذهنٍ ولا فـكرِ ذى عَقْلِ

قلت(٣) : أراد بقوله : وإذ هو لا يستبّ خَصمان عنده قول مُهَلْهِـل :

أَوْدَى الخيارُ من المعاشر كُلُّهُمْ واستَبَّ بعدَكَ يا كليبُ المجلسُ
وتنازعوا فى أمرِ كلِّ عظيمةٍ لو قد تـكونُ شَهِدْتَهُمْ لم يَنْبِسُوا(٤)

وَكُلَيْب هذا هو الذى أراده النابغة الجعدى بقوله :

كليبٌ لعَمْرى كان أكثرَ ناصرًا وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّجَ بالدَّمِ(٥)

قال عُبيد الله بن عِـكْرَاش ، ويروى لأبى يعقوب الخريمى :

وإنى لأرثِى للـكريـم إذا غدَا على طمعٍ عند اللئيم يُطَالِبُه

---

(١) فى ديوانه : ومن كان يحمى .
(٢) فى ديوانه : رده .
(٣) فى ا ، ح : قال أبو عمر .
(٤) ورد البيتان فى الكامل ١/١٨٦ ، أمالى القالى ١/٩٥ ، حماسة أبى تمام ١/٣٩١ ، الحيوان ٣/١٢٨ ، والعقد الفريد ٣/٢٩٨ . ورواية الحماسة والأمالى للبيت الأول : نبئت أن النار بعدك أوقدت ، وفى الكامل والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثانى فى الكامل والعقد : وتقاولوا بدل تنازعوا ، و . . . لو كنت حاضر أمرهم . وفى الحماسة والأمالى تـكلموا بدل تنازعوا . و ... لو كنت شاهدهم بها . واتفقت رواية الحيوان مع الأصـل .
(٥) البيت فى معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٥/٢١٥ ، الحيوان ١/٣٢٢ ، التمثيل والمحاضرة ٦٢ ؛ ويروى : ذنباً بدل جرماً .

وأرثِى له من وَقفةٍ عند بابه كَمَرْثِيَتِى للطِّرْفِ وَالعاجِ راكبُه[1]

وقال جرير :

إنّ الـكريمةَ ينصرُ الـكرمَ ابنُها وَابنُ اللئيمةِ للِّئَامِ نَصُورُ[2]

[3] وقال آخر:

إن مَنْ عضّت الـكلاب عَصاهُ ثم أَثْرَى فَمُعْجِزٌ أن يَجُودَا [3]

وقال منصور الفقيه :

قُلْ للـكرامِ اعْرِفُوا حقّ للئامِ لـكمُ إنّ اللئَامَ لهمْ عنـد الـكرامِ يَدُ
لولا اللئامُ لما عُدُّوا الـكِرَامَ وَلا بانُوا بفضلٍ إذا ما حُصِّل العدَدُ
لـكنهم جنحُوا للنَّقْصِ فانتقَصُوا وَزادَ غيرهُمُ فضلاً بما اعْتَقَدُوا
جادُوا فَسَادُوا وَضَنَّ الآخرُون فما يَغْدُو عَلَى وَالدٍ من لُؤْمِهِ وَلَدُ
قد ساء ظنّى بما قد كنتُ أَحْمَدُه لمّا رأيتُ جميع الناسِ قد فَسَدُوا
تدارَسُوا البخلَ حتَّى دَقَّ مذْهَبُهُمْ فيه وَدَانوا بإِخْلافِ الذى وَعَدُوا
فاستَثْقَلُوا كلَّ مَنْ أصغَى لبُخلِهِمُ واستَجْهَلُوا كلَّ من وَاسى بما يَجِدُ

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٨٩ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف : الجواد الـكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفى ا : ابن الـكريمة .

(٣) ساقط من ا .

فصارَ للبخلِ حَقُّ الجـودِ بيْنَهُمُ ... وَأَلْزَمُوا الجـودَ عارَ البخلِ لا رَشَدُوا

وقال آخر :

فإن سمعت بهُلْكٍ للبخيلِ فقُـلْ ... بُعْدًا وَسُحْقًا له من هَالكٍ مُودِى(١)

قال محمود الوراق :

إذا أعطاكَ قتّرَ(٢) حين يُعطى ... وإن لم يُعْطِ قال أَبَى القضاءُ

يُبخِّـل ربَّه سَفهًا وظُلما ... ويعذِرُ نفسه فيما يشاءُ

تَنَقَّـلَ عن فعالِ الخيرِ جَهْلا ... مخافَةَ أن يضرَّ به العنـاءُ

وقال الحسنُ بن هانىء(٣) :

رأيتُ الفضلَ متـكئاً ... يُناغِى الخبزَ والسَّمَكا(٤)

فقَطَّبَ حين أَبْصَرَنى ... ونَـكَّسَ رأسَهُ وَبَـكَى(٥)

---

(١) البيت فى الحيوان ٣/٥٠ من غير نسبة .

(٢) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات فى ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت فى ديوان أبى العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر أنها لأبى نواس .

(٤) فى ديوان أبى العتاهية : يناغى البحر .

(٥) رواية البيت فى ديوان أبى نواس :

فأسبل دمعه لما ... رآنى قادما وبكى

وفى ديوان أبى العتاهية :

فأرسـل عينه لما ... رآنى مقبلا وبكى

فلما أنْ حلفتُ لهُ   بأنّى صائمٌ ضَحِكا

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أتيتُ عَمْرًا سَحَرًا   فقال : إنِّى صائِمُ

فقلت : إنى قاعِدٌ   فقال : إنى قائِمُ

فقلت : آتيكَ غداً   فقال : صَوْمِي دائمُ

قال جَحْظة(١) :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام   فماتَ من الْخَوْفِ لمّا دخلتُ

فقلتُ له : لا يَرُعْكَ الدُّخُولُ   فما جئتُ بيتَكَ حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوما(٢)   فغدَّانى برائحـــة الطعام

فـكان كمن سَقى الظمآنَ آلاً   وكنت كمن تغدّى فى المنام(٣)

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِبْكَ من الـكر   يم الحرِّ وابلُه فطلُّهْ

---

(١) جحظة هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى ، من بقايا البرامكة ، كان فى عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة ، وكان جحظة مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفا بالموسيقى ، توفى سنة ٣٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥(الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) فى ا : نزلت وسقطت منها كلمة يوما .

(٣) لم أعثر على البيتين فى الديوان ، وهما في عيون الأخبار ٣/٢٦٤ ؛ ووردا فى العقد الفريد ٦/١٨٧ من غير نسبة .

إن الكريم له على معروفِهِ نفسٌ تدلُّه
يُبْدِي مكارمَه كما يُبْدِي فِرِنْدَ السّيف صَقْلُه

قال آخر:

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخلُ شَرُّها وشرٌّ من البُخلِ المواعيدُ والمَطْلُ(١)

وقال منصور الفقيه:

إذا كان فى بخله مُحْكَمًا وَحلَّ من المجد أعلى الدَّرجْ
وَجاءكَ يخطبُ زنجيّةً مُشَوَّهَةَ الخَلْقِ فيها هَوَجْ
فلا تحفلنَّ به خاطبًا وَلا تفرَحَنَّ وَلا تَبْتَهِجْ
وإن كان سَمْحًا جَميلَ الْفعَالِ كَريمًا جَوَادًا فإنَّ الحَرَجْ
وإن القطيعةَ فى صَرْفِهِ وَلوجاءِ يخطبُ إحدى الْمُهَجْ
بغيرِ صَدَاقٍ لإعْسَارِهِ وَما عُسْرُ منتَظرٍ للفَرَجْ

قال حمّاد عَجْرَد، وتروى للعتّابى(٢):

إن الكريمَ لَيُخفى عنك عُسْرَتَهُ حتى تراه غنيًّا وهو مَجْهُودُ(٣)

---

(١) البيت فى العقد ٢/٢٥٢

(٢) نسبت الأبيات لحماد فى عيون الأخبار ٣/١٧٨، العقد الفريد ١/٢٧٤، ٦/١٩٤، ونسبت للعتابى فى أمالى القالى ٢/١٣٥، وتعقبه البكرى فى التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعتابى، وقد وردت الأبيات فى ديوان بشار ٢/٢٣٦ كما وردت فى ترجمة بشار فى الأغانى ١/٣٠٢.

(٣) رواية العقد فى الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا، وفى الجزء السادس أورده بهذه الرواية:

إن الكريم ترى في الناس عفته حتى يقال غني وهو مجهود

وللبخيـــلِ على أموالِهِ عِلَلٌ   زُرْق العُيون عليها أوجهٌ سُود
إذا تكرهتَ أن تعطى القليل[1] ولم   تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لم يظهر الجودُ
أَوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوالِ فما   تُرْجَى الثمارُ إذا لم يُورِق العودُ
بُثَّ النـوالَ وَلاَ تَمْنَعْك قلته   فـكلُّ ما سدَّ فقرًا فهو محمودُ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتفاعٌ   والكلب ينفع أَهْلَهْ
فنزِّه الكلب عن أن   ترى أَخا الكلب مثلَهْ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدنى ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ   ألفيتَه فيما تَرُومُ يُسَارِعُ
ليس الكريمُ كما ظننتَ بجاهلٍ   إن الكريمَ لفضلِهِ يتخَادَعُ[2]

قال آخر :

لا تطلبن إلى لئيم حاجـةً   واقْعُدْ فإنَّكَ قائمًا كالقاعدِ

---

(١) فى الأمالى : إذا تكرمت عن بذل .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخَلَاءِ عن أموالهم   هَيْهَاتَ تضربُ فى حـديدٍ باردِ(١)

قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ   وخبزُهُ أبعدُ مِن أَمْسِهِ
كأنَّه فى جوفِ مِرْآتِهِ   يُرَى ولا يُطْمَعُ فى لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنت تَطْمعُ فى كلامِهْ   فارْفَعْ يمينَك عن طَعَامِهْ
سيَّـانَ كَسْرُ رَغيفِهِ   أَو كَسْرُ عظمٍ من عِظَامِه(٢)

وقال دِعْبل بن على الْخزَاعى :

لَئِنْ كُنْتَ لاتُولى يَدًا دون إِمْرَةٍ   فلستَ بمولٍ نائلاً آخِرَ الدَّهْرِ
وأىُّ جوادٍ لم يَجُـدْ فى ملمةٍ   وأى بخيل لم يُنِلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ(٣)

وقال منصور الفقيه :

راجى البخيلِ وضيعٌ   كما البخيـلُ وَضِيعُ

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية فى العقد الفريد ٦/١٩١ ، محاضرات الأدباء ١/٣١٦ ، ووردا على خلاف هذا الترتيب فى عيون الأخبار ٢/٣٧ ، وفيها : لاتكسرن رغيفه إن كنت الخ . وقد نسب البيتان فى المحاضرات لليزيدى النحوى و كذلك فى وفيات الأعيان ٥/٢٣٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِوَى ذَا   فى ذَيْنِ إلاّ رَقِيعَ

للعَرْزَمِى ويروى لأبى الأسود الدؤلى :

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً   فلقاؤه يكفيك والتسليمُ
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة   فألحّ فى رفقٍ وأنت مديمُ[١]

وقال آخر :

إذا سُسْتَ قوماً فاجعل الوُدَّ بينهم   وَ بينَكَ تأمنْ كلّ ما تَتَخَوَّفُ
فإن خفت من أهواء قومٍ تَشَتُّتًا   فالبالجود فاجمع بينهم يتألَّفُوا
فإنْ كشفَتْ عنكَ الملماتُ عَوْرَةً   كفاكَ غِطاءُ الجودِ ما يتكشفُ[٢]

قال ابن شهاب : الكريم لاتبخّلُه التجارب . ويروى عنه أنه قال : إن الكريم لا تحَكِمُه التجارب .

وسئل الحسنُ بن على رضى الله عنهما عن البخل ، فقال : هو أنْ يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ، وما أمسكه شرفا .

قال طاووس : البخلُ أن يبخلَ الإنسان بما فى يديه ، والشّح أن يشح بِماَ[٣]

---

(١) سبق البيتان فى ص ٣٢٢ .
(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابى قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .
(٣) م : على ما فى .

فى أيدى الناس ، ويحب أن يكونَ له مافى أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع

وقال أبو العتاهية[1] :

وإن امرءا لم يربح الناسُ نفعَهُ وَلم يأمنوا منه الأذى للئيمُ
وإن امرءا لم يجعل البرَّ كنزَهُ وإن كانت الدنيا له لعَدِيمُ

---

(١) ديوانه ٢٤٢ .

باب المـروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ المؤمن دِينه ، و كَرَمُه تَقْوَاه ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُه » . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح فى الدين ، وَ إصلاح المعيشة ، وَسخاء النفس ، وَصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هى عندنا [1] فى حكمة آل داود » [1] .

تَذَاكَرُوا المروءةَ عند رسول الله صلى الله عليه وَسلّم ، فأكثروا فيها ، فقال : « أَمَّا مروءتناَ فأن نعفوَ عمن ظلمنا ، ونُعطىَ من حَرَمنا ، و نصل من قَطَعنا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهبٌ كرمَهْ   فى وَصْلِهِ من صَرَمَهْ
وَعَفْوِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ   أَسْخَطَهُ أَو ظَلَمَهْ
و بِرِّهِ بنفسه   وماله من حرمه[2]
فما يراهُ مُعظمٌ   لِلْحَقّ إلاَّ أعظمه

---

(١) ساقط من ح .

(٢) ا : حرمه .

أُبْـقِى عليه الله — مَا أُبقاه فينا — نِعَمَهْ
وزاد فيهـا عِنْدَهُ وَحاَطَهُ وَسَـلَّمَهْ

(١) من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفع إلى عمر بن الخطاب رجل فى جُرْم ، فأراد أن يعـاقبه ، فأُخْبِر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه (١) .

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والـكرم والنجدة . فقـال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته[٢] ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام . وأما الـكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبـل السؤال ، والإطعام فى المَحْل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر فى المواطن ، والإقدام على الـكريهة .

[وفى رواية أخرى ، أن معاوية قال فى مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرنى عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة[٣] ، وكان بعـد عفوه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح فى الدين ، والإصلاح

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ا : وضيعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص أبى المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر فى الإصابة ، وهاشم هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع عمه حرب الفرس بالقادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة فى صفين مع على ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقعة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٩/٤٩ .

فى المال ، والمحاماة عن الجار . وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام][1] .

قال طلحة بن عبيدالله[2] : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة[1] حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقُّه فى الدِّين ، وبرُّ الوالدين ، والصبرُ على النوائب .

وروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءةَ لكذُوب ، ولا أخَ لمَلُول ، ولا سُؤْدَدَ لسيِّء الخُلُق .

سئل ابن شهاب الزّهرى عن المروءة ، فقال : اجتناب الرِّيَب ، وإصلاح المال ، والقيام بحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تُعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللِّباس .

وقال الزهرى أيضاً : الفَصَاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعى : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات فى الطريق .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر المراجع الكثيرة عنه فى هامش الأعلام ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمالِ المروءةِ أن تصونَ عِرْضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُو ءَةَ أَمْكن من نفسِه عَدُوَّهْ

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وَقلة الخلاف على الأصحاب ، وَكثرة المزاح في غير مساخط الله . وَالمروءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وَتلاوة القرآن ، وَكثرة الإخوان في الله عز وَجلّ .

وَفي روَاية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وَثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، وَمداعبة الرفيق . وَأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذى المُرُوءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قَدْرِ ما يرى من نَفاق المروءة وكَسَادِها .

كان يقال : صُن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدَتك بترك الحياء ، وجَهْدَك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سَعيد ، حدثنا مِقْسَم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن محمدُ بن عبد الله بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السّائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد[(١)] المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثنى عمى عن إبراهيم بن محمّد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئل عن المروءة ماهى ؟ فقال : الإنصافُ من نفسك ، والتفضلُ على غيرك ، ألم تسمعْ قول الله تعالى : ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ﴾[(٢)] لاتتمُّ المروءة إلاّ بهما ، العدلُ هو الإنصاف، والإحسان التفضل .

[(٣)] روى عن الفُضَيل بن عياض رحمه الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسّن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .

قال الشاعر :

وإذا الفتى جمع المروءةَ والتُّقى ... وَحَوَى مع الأدبِ الحياءَ فقد كَمُلْ[(٣)]

قال رجل من بنى قُرَيْع :

إذا المرءِ أعيتْهُ المروءةُ ناشِئاً ... فمطلبُها كَهْلاً عليه شَدِيدُ[(٤)]

قال جعفر بن محمد : لادِينَ لمن لا مروءة له .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت فى البيان ١/٢٧٠ ، العقد الفريد ٢/٤٣٥ .

قال أحمد بن المعدّل : زعموا أن الأحنف بن قَيْس لم يُسْمع له شعرٌ غيرَ هذين البيتين ، وهما :

فلَوْ مُدَّ سَرْوِى[1] بمالٍ كثير ... لجُدْتُ وَكُنْتُ له باذِلاَ
فإنَّ المــروءةَ لا تُسْتَطاعُ ... إذا لم يكن مالُهَا فاضِلاَ[2]

وَقال آخر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أُرْزقْ مُروءَتَهُ ... وما المروءةُ إلاّ كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُسَاماةَ تُقَعِّدُنى ... عما يُنَوِّهُ باسمى رقةُ الحالِ[3]

[4] وقال منصور الفقيه :

كلُّ من فارق المروءة عاشا ... ونمــا وفرُه وَزاد رياشاَ
وأخو الفضل والمروءة والدِّيـ ... ـنِ مُقِلٌّ أمورُه تتلاشى [4]

وَقال سفيان الثورى : من لم يَتَفَـتَّ لم يُحْسن يَتَقَرَّا[5] .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمــه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجُور ،

---

(١) السرو : المروءة والشرف .

(٢) البيتان فى البيان ١/١٨٤ ، وانظر الثانى فى التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٩ ، البيان ٣/١٨٣ وفيه تقاعدنى بدل تقعدني .

(٤) ساقط من حـ .

(٥) تفتى : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرا : تنسك وتورع .

ولكنّ الفتوة كما قال جعفرُ بن محمد : طعامٌ موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى[١] مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفا ، وأنشد لابن هَرْمَة[٢] :

ولربَّ ليلةِ لذةٍ قد نلتُها   وحرامُها بحلالِها مَدْفُوعُ

وقال صريعُ الغَوَانِى[٣] :

وما ذَنْبِى الأيامَ أن لستُ حامِدًا   لعهدِ لَيالِىّ التى سَلَفَتْ قَبْلُ
ألا رب يومٍ صادقِ العَيْشِ نلتُهُ   بها وندامَاىَ العفافةُ والبذلُ

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التّقَى أفضلُ من   فَضْلِ اللّسانِ وَالْحَسَبْ
إذا هما لم يُجمعا   إلى العفافِ والأَدَبْ

---

(١) فى ا : وإناه .

(٢) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى ؛ شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد فلقى منه جفاء فانقطع إلى الطالبيين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفى سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ٦/١٢٧ .

(٣) ساقطة من ح وفى ا زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيتان لصريع الدلاء (محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع الغوانى مسلم بن الوليد ، وهو فى ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فَتَى الفِتيان من رَاح واغْتَدى　　لشُرْب صَبُوحٍ أو لشُرْبِ غَبُوقِ[1]

ولكنْ فتى الفتيان من راح واغتدى　　لضَرِّ عَدُوٍّ أو لنفعِ صديقِ[2]

وقال جحظة :

ألا يأهْلَ بغدادٍ جميعاً　　عصيتم في المروءة من بَرَاكُمْ

تذمُّون الزمانَ بغيرِ جرمٍ　　وما بزمانكم عيبٌ سِوَاكُمْ

---

(١) الصبوح : ما يشرب من الخمر بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق التي تشرب بالعشي .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٣/١٧٨ ، العقد الفريد ٣/١٧ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجال

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح أجنادٌ مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مجنّدةٌ　　للهِ في الأرض بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ　　وما تناكرَ منها فهو مُختلفُ(1)

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَجدت الناس اخبُرْ تَقْلُهْ » . وَقد روى هذا مَرْفوعًا عن أبي الدرداء .

وفي خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كأسنان المُشْط » .

---

(1) البيتان في العقد الفريد ٢/٣٢٩ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوس لأجناد مجندة　　بالإذن من ربنا تجرى وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ماتباينوا ، فإذا تساوَوْا هلـكوا .

قال الشاعر :

سَوَاء كأسنان الحمارِ فلا تَرَى   لذى شيبةٍ منهم على ناشىءٍ فَضْلاَ(١)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ المؤمِنَ بقلبك ، وخالط الفاجر بخُلقك .

كان يقال : يُمتحن الرجلُ فى ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هَوِىَ ، وَعند غضبه إذا غضب ، وَعند طمعه إذا طمع .

قال أبو عَمْرو بن العَلاَء : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

قال سفيان الثورى : إذا أردتَ أن تعرف مالك عنـد صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك فى غضبه وإلا فاجتنبه .

قال الفضلُ بنُ عباس بن عُتْبة بن أبى لَهَب(٢) :

إذا أردتَ ودادَ امرىءٍ   فسَلْ كيف كان لإخْوَانِهِ

---

(١) البيت لـكثير عزة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد فى الحيـوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سـواء .

(٢) من فصحاء بنى هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر وباللهبى نسبة إلى أبى لهب ، فى شعره رقة ، مات فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤتلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإمَّا رضيتَ فأحببتَهُ ... وإما ترغَّبْتَ عن شأنِهِ

قال الأحنف بن قيس: ما كشفتُ أحدًا قط إلّا وجدته دون ما كنت أظن

قال تأبّط شرًّا:

لتقرعِنّ عليّ السِّنّ من ندمٍ ... إذا تذكرتِ يومًا بعضَ أخلاقي[1]

وقال آخر:

إنَّ المودةَ بالتجاربْ ... قَضَّتْ من النّاسِ المآربْ
لم تَتْرِكْ لِي صَاحِبًا ... أصبُو إليه ولا أُعاتِبْ
متفردًا بتَوَحُّدِي ... دونَ الأباعِدِ والأقاربْ
ارغبْ إلى اللهِ الذي ... يُعْطِي الجزيل من المواهبْ
بالله تتَّسِعُ الفجا ... جُ إذا تضايقت المذاهبْ

كان سفيان الثّوري يتمثل بهذه الأبيات:

ابْلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهُمْ ... وتوسَّمَنَّ أمورَهم وتفقّدِ
وإذا ظفرتَ بذي الأمانةِ والتّقى ... فبهِ اليَدَيْنِ قَريرَ عينٍ فاشْدُدِ
ودع التذلّلَ والتخشّعَ تبْتغِي ... قربَ الّذي إنْ تدنُ منه يبعُدِ[2]

---

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٧٦، والحيوان ١/٦٣، التمثيل والمحاضرة ٥٩.

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجعفري في حماسة البحتري ٧٨، ونسبت في أمالي القالي للمقنع الكندي، والرواية في حماسة البحتري: أخا العفافة والنهى بدل ذي الأمانة والتقى، وفي الأمالي: توسمن فعلهم بدل أمورهم، وذي اللبابة بدل الأمانة.

وقال آخر :

أَهْلَكَنِي بِزِيَادِ ثِقَتِي ... وَظُنُونٌ بِزِيَادِ حَسَنَهْ
ليس يَسْتَوْجِبُ شكرا رجلٌ ... نلتُ خيرًا منه من قبلِ سَنَهْ(١)

وقال يزيدُ بن محمد المهلبيّ :

ومن ذا الذى تُرْضَى سجاياه كلُّها ... كفى المرء نُبْلاً أن تُعدَّ معايِبُهْ(٢)

وقال آخر :

إنَّ الرجالَ إذا اختبرتَ طباعَهُمْ ... ألفيتَهُمْ شَتّى على الأَخْبارِ
لا تعجلَنَّ إلى شريعةِ مَوْرِدٍ ... حتى تبيَّنَ صَفْحَةَ الإِصْدَارِ(٣)

وقال آخر :

اتركْ مكاشفةَ الصديق إذا ... غطّى على هَفَوَاته سِتْرُ
وتجافَ عنه بلا مُصَارَمَةٍ ... فلنعمَ صائنُ عرضِك الصَبْرُ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ ... ولا تذمنه من غيرِ تَجْرِيبِ(٤)

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٠ .

(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٧٠ وفيها خطة بدل صفحة .

(٤) نسب هذا البيت فى حماسة البحترى ٣٦٩ لأبى الأسود الدؤلى ، ونسب فى المؤتلف ١٩٢ للنابغة الذبياني .

وقال محمود الوراق :

لا يغلبنَّكَ غالبُ الحِرْصِ | واعلمْ بأنَّ النَّاسَ فى نَقْصِ
والبس أخاكَ على تَصَنُّعِهِ | فلرُبَّ مُفْتَضِحٍ على النَّصِّ
ما كدتُ أفحص عن أخى ثقة | إلا ذممتُ عواقب الفَحْصِ(١)

وقال آخر :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصَّديق | فلستَ من التَّحَيُّزِ فى مَضِيقِ
طريقاً كنتَ تَسلكُهُ سليماً | فأسْبِعَ فاجتنبْهُ إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ | فرُبّما لم يوافق خُبْرُه خَبَرَهْ

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْتَقْبل الأمرَ لم تَجِدْ | لكفِّك فى إدْبَارِهِ مُتَعَلَّقاَ
إذا أنت لم تترك أخاكَ وَزَلَّةَ | إذا زلَّهاَ أوشكتُماَ أن تفرَّقاَ

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ أمرى فيك مُبْتَدئاً | فقد ذممتُ الذى أحْمَدْت فى صَدَرِى

---

(١) هذا البيت ساقط من ا . وانظر الأبيات فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالي القالى ٢/١٣٨ ، والثالث فى لتمثيل والمحاضرة ٨٥.

فاذهبْ فأَنْتَ امرُؤٌ لا شكَّ أوّلُهُ ... حُـــلْوٌ وآخره مُرٌّ على الخَبَرِ

قال مُعاذُ بن جَبَل : إذا أحببتَ أخًا فى الله ، فلا تُمارِه ولاتشاره [1] ولاتسلْ عنه أحدًا ، فلربما أخبرك بما ليس فيه ، فحالَ بينك وبينَه .

قال الشاعر :

أردتُ لـكيمَا لا تُرَى لِيَ زَلَّةٌ ... ومن ذا الذى يُعْطَى الـكَمالَ فيَـكْمُلُ [2]

أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يبرئ أحداً من النقصان .

قال أبو بكر بن دُرَيْد :

إذا تصفحتَ أمورَ النّـــاسِ لم ... تلْفِ امْرءًا حازَ الـكمالَ فاكتفى [1]

من لك بالمهذب النّدْب الذى ... لا يَجِدُ العيبُ إليـــــه مُخْتَطَا

كم من أخٍ مسخوطةٍ أخلاقُهُ ... أصفيتُهُ الوُدَّ لخلق مُرْتَضَى [3]

وقال النابغة الذبيانى :

ولستَ بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّــهُ ... على شعثٍ أىُّ الرجالِ المُهَذَّبِ [4]

---

(١) الكلمة ساقطة من ح ، ومعنى لاتشاره لاتجادله ولا تعيبه .

(٢) البيت لثروان العكلى كما فى أمالى القالى ٢/٤٣ .

(٣) انظر الأبيات فى مقصورة ابن دريد ٥ .

(٤) البيت فى ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مُؤاخياً إلاّ الّذِي لاعيبَ فيهِ عاشَ فَرْداً في الوَرَى

وقال آخر :

ما بالمنازلِ من ضيقٍ ومن ضَجَرٍ بل الطّبائعُ منها الضيقُ والضّجَرُ

وقال آخر :

كل خليلٍ كنتُ خاللْتُه لا ترك اللهُ له واضِحَـهْ[١]
كلُّهُمْ أروغُ من ثعلبٍ ما أشبهَ الليلةَ بالبارحـهْ[٢]

وقال آخر :

كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيمته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حِينِ[٣]

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأُخْبِرَه إلاّ بكَيْتُ على أمْسِ[٤]

---

(١) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، وفي الحيوان ٣/٣٠٥ وردت الرواية : وصاحب قد كنت صاحبته .

(٣) البيت لذى الإصبع العدواني ، وقد ورد في الكامل ١/١١ ، حماسة البحتري ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٢/٦ ، والمؤتلف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس في عيون الأخبار ٢/٤ .

وقال آخر :

عليكَ بالقصدِ فيما أنت فاعلُهُ ... إن التخلُّقَ يأبَى دُونه الخلُقُ
ولا يواتيك فيما نابَ من حَدَثٍ ... إلاّ أخُو ثقةٍ فانظرْ بمن تثقُ(١)

وقال زهير بن أبى سَلمى :

ومهما تكن عند امرئٍ من خَليقةٍ ... وإن خالَها تَخْفى على الناس تُعْلَمِ (٢)

وقال نُصَيْب الأصغر ، مولى المهدى(٣) :

إن البقاعَ إذا استسرّ بها الندى ... أَنِسَ النباتُ بها وطابَ المَرْبَعُ
وإذا جَهِلتَ من امرىءٍ أَخلاقَهُ ... وقديمَهُ فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ(٤)

وقال محمود الوراق :

ذممتُكَ أولا حتّى إذا ما ... بلوتُ سواكَ عادَ اللومُ حمدًا
ولم أَحمَدْكَ من خيرٍ ولكن ... رأَيتُ سِواكَ شرًّا منك جدًّا

(١) نسب البيتان لسالم بن وابصة الأسدى فى الكامل ١/١١ ، البيان ١/٢٣٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٣٠١ ، الحيوان ٣/١٢٨ . ونسب الأول للعرجى فى العقد ٣/٣ ، وللى ذى الإصبع العدوانى فى حماسة البحترى ٢٥٩ ، عيون الأخبار ٢/٦ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول فى كل مرجع عنها فى الآخر حتى ليصعب إثباتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدى المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدى ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامه ، عرض على المهدى قبل أن يلى الخلافة فاستنشده فأنشده من شعره فأعجب به فاشتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة فى المهدى والهادى وغيرهما ، توفى نحو سنة ١٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٢/٣٠٧ (الأعلام ٨/٣٥٦) .

(٤) انظرهما فى وفيات الأعيان ٣/٢٠٣ ، ٤ وفيها : أعرافه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتملا خليلا   لأنى لم أجدْ من ذاك بُدًّا
كمجهودٍ تحَامَى أكل مَيْتٍ   فلما اضطُرَّ عاد إليه شَدًّا[١]

وقال أيضاً :

لَم أَبكِ من خُبْثِ خِلٍّ   إلاّ بكيتُ عليهِ
ولم أمِلْ عن صديقٍ   للزُّهْـدِ فيما لَدَيْه
إلى سِوَاهُ فأَبْلُو   إلاّ رجعتُ إليـهِ
كلُّ امرِئٍ مستبدٌّ   بحفظِ ما فى يَدَيْهِ

ذكرا بن مِقْسم ، حدثنا محمد بن يحي النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن علىّ مودة ، ثم تنافرا . فكتب إليه عمارة :

سأتركُ ما بينى وبينك ساكنًا   فإن عدتَ عُدْنا والوصالُ سليمُ
ولو قد خبرتَ الناسَ حقّ اختبارهم   رجعتَ إلى وصلى وأنت ذميمُ[٢]

أَخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أَنشدنا عيسى الأعمى ، قال أَنشدنا ابن المعلم لعلى بن الجهم :

الناسُ إخوانُك حتى إذا   عَرَضْتَ للإخوانِ بالدِّرْهَمِ

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١٥٠/١ ، وفيها : مختلا ذليلا بدل محتملا خليلا ، وتعاظم تحامى .
(٢) انظرهما فى محاضرات الأدباء ٥/٢ .

سَاءكَ ما سرّكَ من خُلُقِهِم　　وصرتَ وسطَ الحلقِ كالمَلْقَمِ [١]

وقال آخر :

عتبتُ على سَلْمٍ فلما فقدتُهُ　　وجرّبْتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ [٢]

وقال آخر :

لم أَبْكِ من زمنٍ لم أَرضَ خَلَّتَهُ　　إلا بكيت عليه حين ينصرمُ

وقال آخر :

متى تحسَبْ صديقَكَ لَمْ يَقِلُّوا　　وإن تخْــبُرْ يقلُّوا فى الحسابِ

وقال آخر :

ونعتبُ أحيانًا عليه ولو مَضَى　　لـكنّا على الباقى من النّاسِ أَعْتَبَا [٣]

وقال آخر :

سبكناهُ ونحْسَبُهُ لُجَيْنًا　　فأبْدَى الـكيرُ عن خَبَثِ الْحَدِيدِ [٤]

---

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن توسعة فى عيون الأخبار ٢/٤ ، وورد فى إعتاب الـكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب فى المستطرف ١/٢٣٣ لابن عرارة السعدى فى سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٢/٤ .

(٤) عيون الأخبار ٢/٤ ، العقد الفريد ٣/٥٥ .

وقال آخر :

ومن يبتدعْ ما ليس من خِيم نَفْسِه ... يَدَعْهُ ويغلِبْه إلى النفس خِيمُهَا[١]

وقال أبو دُؤَاد الإيادى :

إذا كنتَ مرتادَ الرجال لنفعِهم ... فرِشْ والتمس نَفْعَ الَّذى بهمُ تَرْمِى

وقال محمود الوراق :

أتمُّ الناس أعرَفُهُم بنقصِهْ ... وأقمعُهم لشهوته وَحِرْصِهْ

فدانِ على السّلامة من تُدانى ... ومن لم ترض صُحبته فأقصِهْ

وخلّ الفحصَ مااستغنيتَ عنه ... فكم منجالب غيظًا بفَحْصِهْ

ولا تستغلِ عافيةً بشىء ... ولا تسترخصَنَّ أذًى لرُخْصِهْ

وقال آخر :

ارضَ من المرء فى مودّتِهِ ... بما يُؤَدِّى إليك ظَاهِرُهُ

من يكشف الناس لم يجد أحدًا ... تصحُّ منهم له سَرَائِرُهُ[٢]

---

(١) نسب هذا البيت فى الكامل ١/١١ إلى أم الهيثم الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر فى حماسة البحترى ٧٢ وفيه : ومن يبتدع ما ليس فيه سجية ، ونسب إلى حاتم فى حماسة أبى تمام ٢/٢١١ ، كما نسب إلى كثير فى عيون الأخبار ٢/٥ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والخيم معناهما واحد وهو الطبيعة والأصل ، وانظره بالرواية التى هنا وبدون نسبة فى العقد الفريد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لابن حازم فى العقد الفريد ٢/٣١٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ ... فخُذْ عفوَهُمْ قبل امْتِحَانِ السَّرائرِ

فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ بَيْنهم ... ومالك إلا ما ترى فى الظــواهرِ

وإنك إن كَشَّفْتَ لم ترَ طائلا ... وأبدى لك التكشيفُ خُبْثَ الضمائرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وُدٍّ إذا لم يكنْ له ... على طولِ مَرِّ الحادثاتِ بَقَاءُ(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَــعَ الفتى حسبا ودينًا ... فلا تَعْــدِلْ به أبدًا قرينًا

ولا تسمَحْ بحظك منه بل كُنْ ... بحظك من مودّته ضنينا

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما مال الفَتَى بذخيرةٍ ... ولكنّ إخوانَ الثّقاتِ الذّخَائرُ(٢)

وقال ابن الرومى :

إذا شئتَ تعرف أصلَ الفَتى ... أجِلْ لحظَ طَرْفِكَ فى منظرهْ

فإن لم يَبِنْ لك فانظرْ إلى ... أفاعيلِهِ فهى من جَوْهَرِهْ

---

(١) البيت فى البيان ١٨٤/٣ ، وفيه : ولا خير فى فضل .

(٢) عيون الأخبار ١/٣ ، وقال أنشده ابن الأعرابى ، وانظره فى العقد الفريد ٣٠٤/٢ ، وفيه : إخوان الصفاء بدل إخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهـذا وذَا ... فلا تطلُبَنّ سـوى مَحْضَرِهْ
فإنّ المحاضرَ سرّ الرجال ... بها يُعْرَف النَّذْلِ من خَيِّرِهْ
بلوتُ الرجالَ وأفعالَهُمْ ... فـكلٌ يعـودُ إلى عُنْصُرِهْ[1]

وقال ربيعةُ الرَّقى :

إن اللئيمَ وإن خلتَهُ ... كريمًا يذودك عن عُرْفِهِ
ويرجِـعُ محصولُ أخلاقِهِ ... إلى أَصْلِهِ وإلى صِنْفِهِ[2]

(١) الأبيات فى ديوانه ٧٢ .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٥/١٦٢ .

باب التودُّد إلى النّـاس

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مداراةُ الناسِ صَدَقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بمـداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم »[1] .

روى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعـد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى فى خبرٍ مرفوع : « التودّدُ إلى الناس نصفُ العقْل ، وحُسن التّدبير نصفُ المعيشة ، وما عَالَ من اقتصد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : إنَّ مما يصفى لك وُدّ أخيك أن تبدأه بالسـلام إذا لقيتَه ، وأَن تَدْعُوَه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له فى المجلس .

قال بعضُ الحـكماء : رأس المداراة تركُ المماراة[2] .

وفى الحديث المرفوع : « إذا أحبّ اللهُ عبدًا أَحبَّه الناسُ » .

---

(١) الملاحاة : المشاتمة والسباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفى ا : المودات بعد المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أَحبّ الله يوماً عبدَهُ   أَلقى عليـه محبةً فى النـاسِ[١]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلا أنبئكم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقيل عَثرة ولا يقبل معـذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلـكم[٢] » قالوا : بلى . قال : «من يبغض الناس ويبغضونه ».

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيبًا خاليا ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خاليا ؟ قال : هجرتُ الناس فيك . قال : أفلا أَدُلّك على شىء تبلغ به رضاى ؟ خالِق الناسَ بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم .

قال أَكثم بن صيفى : من تشدّد فرّق ،ومن تراخى تألف ، والسرورُ فى التغـافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العَثرة ، ومسامحة العِشْرة ، والمواساةُ فى العُسْرة .

---

(١) فى ا : عبدا واصطفى بدل يوما عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ا : ذلك .

قيل للعَتّابى : إنك تلقى الناسَ كلَّهم بالبِشْر ! قال : دفعُ ضغينةٍ بأيسر مؤونة ، واكتساب[١] إخوان بأيسر مبذول .

قال محمود الوراق :

أَخُو البِشر محمودٌ على كلّ حالةٍ ... ولن يعدم البغضاء من كانَ عابساً

ويُسْرع بخلُ المرء فى هَتْك عِرْضه ... ولم أرَ مثل الجود للعِرْض حارساً

قال أعرابىّ يمدح رجلا بساماً هو زياد الأعجم[٢] يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز[٣].

أَخٌ لك ما تراه الدّهرَ إلاّ ... عَلَى العِلاّتِ[٤] بسَّامًا جوادًا

سألناه الجزيلَ فما تَلَكَّا[٥] ... وأعطى فوق مُنْيَتِنا وَزادًا

وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا ... فأَحسَنَ ثم عـدتُ له فعادًا

---

(١) فى ا : ولإكرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت فى لسانه عجمة سمى بسببها الأعجم ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وذم بخلائهم (الأعلام وهامشه ٩١/٣) .

(٣) ابن ربيعة الأموى ، أمير فاتح ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخيا وصولا لقومه رحيما ، قال عنه الإمام على : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٢٢٨/٤) .

(٤) على العلات : أى على كل حال .

(٥) فى حماسة أبى تمام ، والأغانى : تأبى .

مرارًا ما أعودُ إليــــه إلاّ　　تبسمَ ضاحكاً وَثـَنى الْوِسادَا(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ　　تَغَــــيَّر والأيامُ جَمٌّ عجيبُها

أريدُ له هَجْرًا لبعض خلاله　　فَتَعْطِفُنى أخـرى له فأجيبها(٢)

وقال آخر :

أخ لى كأيام الحيــــاة إخاؤُه　　تَلوَّنُ ألوانًا كثيرًا خطوبُها

إذا عِبْتُ منه خَـلَّةً فهجرتُه　　دَعَتْنِى إليـه خَـلَّةٌ لا أعيبُها(٣)

(٤) وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ عن علمٍ بهم　　انصرفُوا وَكلُّهمُ له عِـدَا (٤)

وقال كُثَيّر(٥) :

ومن لا يغمِّضْ عينَهُ عن صديقِهِ　　وعن بعضِ مافيه يَمُتْ وهوعاَتِبُ

---

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٧٦، والبيتان الثالث والرابع فى ٣/١٥٢، ووردت فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣٤٩، والأغانى ١٤/١٠٢ (بولاق)، وورد بعضها فى المصون ٦٧، وفيات الأعيان ٥/٣٢٨، وقد نسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد نسبت فيها للكميت، وقال فى العيون إنها فى مدح عمر بن عبدالله ابن معمر.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/٣٢.

(٣) عيون الأخبار ٣/١٧.

(٤) ساقط من ا.

(٥) ديوانه ١/٢١٠.

ومن يَتبَّعْ جاهِداً كل عثرةٍ يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهرَ صاحِبُ

وقال آخر :

وكم من أَخٍ لَمْ تحتملْ منه خَلّةً قطعتَ ولم يُمْكِنْكَ منه بديلُ

ومن لم يُرِدْ إلا خليلاً مُهَذّبا فليسَ له فى العالمين خَليلُ

قال آخر :

وأحبب إذا أحببتَ حُبّا مُقاربًا فإنك لاتدرى متى أنت نازِعُ[1]

[2] وأبغض إذا أبغضتَ بُغضًا مُقارِبًا فإنّك لاتَدْرِى متى أَنت راجعُ [2]

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وابغض بغيضك هونًا[3] ما فعسى أَن يكون حبيبك يومًا ما » .

وأحسن ما نظم فى هذا المعنى قول أبى العتاهية[4] :

قل لمن يعجبُ مِنْ حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقالِي

رَبَّ صَدٍّ بعد وُدٍّ وَهَوَى بعد تقَالِي

قد رأينا ذا كثيرًا جاريًا بَيْنَ الرجالِ

---

(١) فى ح : راجع .

(٢) ساقط من ح ، وقد نسب البيتان فى أمالى القالى ٢/٢٠٤ لهدبة بن الخشرم العذرى ، ووردا فى العقد ٢/٢٨٦ من غير نسبة ، وفيه : وأبغض إذا أبغضت غير مباين .

(٣) فى ح : يوما .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشد حبيبٌ للفِنْدِ الزِّمَّانِي — وقال الجاحظ لا أَظنها له[١] :

صفحنا عن بنى ذُهَـــل　　وقلنا : القوم إخــوانُ
عسى الأيام أَنْ يُرْجِعْــ　　نَ قوما كالذى كانوا[٢]

قال آخر :

وكنتُ إذا صحبْتُ رجالَ قوم　　صَحِبْتُهُم وشيمَـــتِيَ الْوَفاءُ
فأَحْسِنُ حِينَ يحسنُ محسنُوهم　　وأجتنب الإساءَةَ إن أساءُوا
وأبْصِرُ ما يُنَقِّصِـــنِى بِعَيْنٍ　　عليها من عيوبِهِـــمُ غِطاءُ[٣]

قال آخر :

ما نالت النَّفْسُ على شهوةٍ　　أَلذَّ من وُدّ صـديقٍ أمينْ
من فَاَتَهُ ودُّ أَخٍ صالحٍ　　فذلك المغبون حـقَّ اليقينْ[٤]

[وقال آخر :

استوحشَ الناسُ علىَّ جـدًّا　　ولا أرى لى من أناسٍ بُدًّا

---

(١) انظر الحيوان ٦/٤١٥ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان فى حماسة أبى تمام ١/١٥ ، حماسة البحترى ٧٤ ، أمالى القالى ١/٢٦٠ منسوبين للفند الزمانى ، وكذلك فى الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التى نقلها عنه المصنف ، ولـكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئا عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة فى هــذه المراجع ففى حماسة البحترى والحيوان : بنى هند بدل ذهل ، وفى الأمالى وحماسة أبى تمام كما هنا ، كما ورد فى حماسة البحترى : أن ترجم قوما ، وفى الحيوان : ترجعهم جميعا . . الخ .

(٣) أى أبصر عيوبى فأعالجها ، ولا أبصر عيوبهم فأتتبعها وأغفل عن معايبى

(٤) فى ح : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٦ .

إن لم أعاشرْهم بَقيتُ فردَا][1]

وقال آخر :

أغمّض للصديق عن المَسَاوى مخافة أن أعيشَ بلا صــديقِ[2]

قال آخر :

أغمّضُ عينى عن صديقى تغَافُلاَ كأنّى بما يأتى[3] من الأمر جاهِلُ

وما بِىَ جهــلٌ غير أنَّ خليقتى تُطيقُ احتمالَ الـكُرْهِ فيما يحاولُ[4]

([5] متى ما يُرِبْنى مِفْصَلٌ فقطعتُه بقيتُ ومالى فى النهوض مفاصلُ [5])

وقال آخر :

وكنت إذا الصديقُ أرادَ غيظى فأشْرَقَنِى على حنــق بِرِيــقِى

غفرتُ ذنوبَه وصفحتُ عَنْهُ مخــافَةَ أن أعيشَ بلا صــديقِ[6]

وقال آخر :

إذا ما خَليلى رابنى بعضُ خُلْقِهِ ولم يَكُ عمــا ساءنى بمُفِيقِ

---

(١) ساقط من ح .

(٢) عيون الأخبار ٣/١٦ .

(٣) فى ا : آتى .

(٤) فى ا : رمانى ... أحاول .

(٥) ساقط من ا .

(٦) البيتان فى أمالى القالى ٣/١١١ .

صَبَرْتُ على أشياءَ منه تريبُنى ... مخافةَ أن أبقى بغيرِ صديقِ (١)

وأنشد ابن الأنبارى عن أبيه :

إذا ما صديق ساءنى بفعالِهِ ... ولم يكُ عما ساءنى بمُفيق

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَّاء من سوء فعلِهِ ... مخافةَ أن أبقى بغير صديقِ (٢)

(٣ قالوا : لا خيرَ فى الناس ، ولا بدّ من الناس ٣)

(١) انظرهما فى عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله بدل بعض خلقه .
(٢) أمالى القالى ١١٨/٣ .
(٣) ساقط من ا .

باب الاستيحاشُ من الناس والفرار منهم[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعَنان فرسه فى سبيل الله يُخيف العدو ويخيفونه » . وفى رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذى يليه رجل معتزل فى شِعْبٍ من الشِّعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويعتزلُ شرور النَّاس » .

قال عمر بن الخطاب [2] رضى الله عنه [2] الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والعُزلة راحةٌ من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

قال أبو الدَّرْدَاء : نعم صومعة الرجل[3] المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلغى وتلهى .

قال مكحول : إن كان فى الجماعة فضل ، فإن فى العُزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس فى معايشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لاورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله فى الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطاً وامش جانباً .

---

(١) فى ا : عنهم .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) ساقطة من ا .

قال ابن المقفع(١) : وحشةُ الانفرادِ أبقَى على المرء من أُنْس التلاقي .

قال بعضُ العلماء : العُزْلة عن الناس توقى(٢) العِرْض ، وتبقى الجلالة ، وتَرْفع مؤونة المكافأة فى الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإنّى رأيتُ النّاسَ إلاّ أَقلّهم ... خفافَ العُهود يُكثِرُون التّنَقُّلاَ
بنى أُمٍّ ذى المال الكثيرِ يَرَوْنَه ... وإن كان عَبْدًا سيِّدَ القوم جَحْفَلاَ
وهم لمُقِلِّ المـــالِ أولادُ عَلَّةٍ ... وإن كان مَحْضًا فى العمومة مُخْوِلاَ(٣)
وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى ... يَسُوءكَ إن ولّى ويُرضيك مقبلاَ
ولكنَّ الأخَ النَّائِى إذا كُنْتَ آمِنًا ... وصاحبُكَ الأدْنَى إذا الأمرُ أَعْضَلاَ(٤)

وقال الحسَنُ بن عبد الرَّحمن(٥) .

توحشتُ ولكنِّى ... أُسَرَّ بالوَحْشة أحيانا

---

(١) فى ح : أبو الفتح .

(٢) فى ا : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومحضا : خالصا .

(٤) انظر الأبيات فى ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الرامهرمزى ، محدث العجم فى زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه الثعالبى فى اليتيمة ، وكان الحسن مختصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر فى ترجمته يتيمة الدهر ٣/٣٨٦ (الأعلام ٢/٢٠٩) .

وفى الوَحْشة ما يُؤْ نِسُ من صحبة منْ خانا

وقال أيضاً :

يا حبّـذَا الوَحْشة من أنيسِ إذا خَشِيتَ من أذَى الجليس

وقال أبو العتاهية(١) :

برمتُ بالنـاسِ وأخلاقِهِمْ فصِرتُ أستأنسُ بالوَحْدَهْ

ما أكثرَ النَّاسَ لعَمْرِى وما أقَلّهُمْ فى حاصِل العِـــدَّهْ

كتب شيخ من أهل الرَّى عَلَى باب داره : جزى اللهُ عنا من لا نعـرفه (٢ ولا يعرفنا ٢) خيرًا ، وأما أصـدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيرًا ، فإنا لم نُؤْتَ إلا منهم .

قال سفيانُ : ما وجـدتُ من يغفر لى ذنباً ، ولا يستر لى عيباً(٣) ، فرأيت فى الهرب من الناسِ السَّلامة .

قال الفُضَيْل بن عيَاض لسُفيان الثورى : دُلَّـنِى عَلَى رَجُل أَجلسُ إليه ، قال : تلك ضالّة لا توجد .

---

(١) ديوانه ٩٠ .
(٢) ساقط من ح ، م .
(٣) ا : على زلة .

(١) قال أكثم بن صيفى : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء (١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لِذَا الناسِ قد بُدِّلوا ... فهم كذئاب عليها(٢) ثيابْ
تواطئوا عَلَى كلِّ مستقبَحٍ ... فما القبيح لديهم مُعَابْ
وخانوا الأمانة ما بَيْنهم ... وهل بالأمانة تُوفى الذئابْ

قال الأضْبَط بن قُرَيْع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفَعُنى ... ياقومِ من عاذِرى من الخُدَعَهْ(٣)

أنشد الخريرىُّ(٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ فى الدُّنْيا عَلَى خَطَرٍ ... وفى بلاءٍ وَصَفْو شِيبَ بالكَدَرِ
كراكبِ البحر إن تسلم حُشَاشَتُه ... فليس يسلم من خَوف ومن حذرِ

وقال قُدَامة بن إبراهيم الجُمَحى (٥) :

---

(١) ساقط من ح .
(٢) فى ح : عليهم .
(٣) البيت فى أمالى القالى ١/١٠٧ ، ١٠٨ .
(٤) لم أعثر على من تصدق عليه هذه النسبة فى كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع الحريرى صاحب المقامات فقد ولد هذا فى سنة ٤٤٦ وتوفى ٥١٦ هـ ، أى أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلعله الخريرى (عبد الملك بن إدريس) انظر اليتيمة ٢/٨٨ .
(٥) المدنى ، لم يذكر عنه ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رووا عنه .

العجزُ ضعف وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم فى أمرٍ تحاذرُهُ فإنْ أصبت فما بالحزمِ من باسِ*

أنشدنى عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدنى أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدى(1) لنفسه :

أشعرنْ قلبكَ يأساَ ليسَ هذا الناسُ ناَساَ
قد مضى الإبريزُ منهمْ وبقوا بعدُ نُحاَساَ
ساَمِريِّينَ يَقُولو نَ جميعاً لا مِساَساَ

لهلال بن العَلاَء(2) :

لما عفوتُ ولم أَحْقِدْ على أحدٍ أرحتُ نفسىَ من همِّ الْعَدَاوَاتِ
إنى أحيِّي عدوِّى عند رؤيتِهِ لأدفعَ الشرَّ عنِّى بالتحياتِ
وأحْسِنُ البِشْرَ للإنسان أُبْغِضُهُ كأَنَّه قد مَلاَ قلبي مَحبّاتِ
ولستُ أسلمُ ممن لست أعرِفُهُ فكيف أسلمُ من أهل الموداتِ

---

(1) الأندلسى الإشبيلى ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلة ، وعاش فى قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة فى النحو واللغة ، توفى سنة ٣٧٩ هـ . انظر بغية الملتمس ٥٦ ، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦) .

(2) أبو عمرو الرقى ، قال عنه ياقوت فى المعجم ٢٩٤/١٩ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومى[١] :

يأذا الذى منه التَّغيُّرُ والتَّنَكُّرُ والنُّبُوُّ
إن كان أدركك الملال فقد تداخلنى السُّلُوُّ

آخر :

قد كنت عبدًا والهوَى مالكى فصرتُ حرًّا والهوَى خادِمى
وصرتُ بالوَحْدةِ مستأنسًا من شرِّ أَوْلادِ بنى آدمِ
ما فى اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالِمِ
يا عاذِلى فى تركهم[٢] جاهلا عُذرِىَ منقوش على خاتَمِى

وكان فى خاتمه منقوشًا : ﴿ وما وَجَدْنا لأَكثرِهم من عَهْدٍ ﴾[٣]

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلِّ من وثقتُ به إذ كلُّهم خانَنى ولم أَخُنِ
من لانَ لى جانباه لِنْتُ له ومن أَبَى أن يلين لم أَلِنِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانُه[٤] يا معشرَ الناسِ بإخوانِ

---

(١) ديوانه ٣٠١ .
(٢) فى ا : لومهم .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .
(٤) فى ح : لى هله .

إخوانُ سَوْءٍ كلُّهم فاسِقٌ ... له لسانان ووجهانِ

يلقاكَ بالبشرِ وفى قلبهِ ... داءٌ يواريه بكتمان

حتّى إذا ما غبتَ عن وجههِ ... رماكَ فى الغيب ببهتانِ

يأيها المرء فكُنْ واحدًا ... فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ ... والبُعْد منهم سفينهْ

وقد نصحتُك فانظرْ ... لنفسِكَ المسكينهْ[1]

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خاللتُه ... لا ترك الله له واضِحَه

كلهم أروغُ من ثعلبٍ ... ما أشبهَ الليلةَ بالبارحهْ[2]

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدّهر إن وفا ... وأخا الدهر إن غَدَرْ

كن من الناس كيف شئـ ... ـت على غايةِ الحَذَرْ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورث سوء الظن بالأخيار .

---

(١) البيتان فى معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان فى ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيع :

فسد الناس كلّهم وانقضى الودُّ (ه) فما في الورى أخٌ ذُو صَفاءِ
وأرى طالبَ الفرارِ من النا س ومُرْتادَ قربهم في بلاءِ
ذاك بالانقباضِ[1] يكسب المقـ ـت ويُعْزى به إلى الكبرياءِ
وأخُو الانبِسَاط يخشى انقلاباً من صديق يُضِيعُ حق الإخاءِ
وإذا ما الصديقُ عاد عدوًّا فهو مستَفْرَهٌ[2] من الأعداءِ

وقال منصور الفقيه :

في الناسِ خيرٌ كثيرٌ والشر في الناسِ أكثرْ
وقد نصحتك جَهْدي فانظر لنفسك واحذرْ
فإن وثقتَ بقولي فيهم وإلا فغَرِّرْ

وله أيضًا :

إنما الناس فَزْعَةٌ ليس في الناس مَفْزَعْ
ذم من شئت منهمْ فهو للذمِّ موضعْ

ولما حضرته الوفاة ، قال[3] : أستغفر اللهَ من هذين البيتين .

---

(١) في ح : لانقباض .
(٢) ا : مستكره .
(٣) ساقطة من ا .

قال سُوَيْدُ بن مَنْجُوف :

فبلّغ مُصْعَبًا عَـنّى رَسُـولا ‏ وهل تجد النصيحَ بكل وادِ
تَعلّم أن أكثَرَ من تُنَاجِى ‏ وإن ضحكوا إليك هم الأعادِى(١)

أنشد الزبير لأبى هَمْهَمة :

إخوة ما حضرت سَرُّونَ بَرُّو ‏ نَ(٢) فإن غبتُ فالسِّباعُ الجياعُ
باينونى حـتى إذا عاينـونى ‏ بَانَ منهم تضاؤلٌ واختشاعُ
(٣ فهم يَغْمِزُونَ منى قنـــاةً ‏ ليس يألون غَمْزَها ما استطاعُوا ٣)
ما كذا يفعلُ الـكرامُ ولـكن ‏ هـكذا يفعل اللئام الوِضاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبدالله غلام أبى العتاهية : (٤ كنت عند أبى العتاهية ٤) قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشـــديد العلّة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال : يا أبا غسان !

لله دَرُّ أبيك أَىّ زَمَانِ ‏ أَصبحتُ فيه وأَىّ أَهلِ زمانِ
كلٌّ يُوازِنُكَ المودة دَائبًا(٥) ‏ يُعْطِى ويأخـذُ منك بالميزانِ

(١) البيتان فى الحيوان ٥/٥٩٤ ، وفيه : فأبلغ مصعبا ، أكثر من تؤاخى .
(٢) فى ا : سروا وبروا فإذا .. الخ .
(٣) ساقط من ج .
(٤) ساقط من ا .
(٥) فى ا : جاهدا .

فإذا رأى رُجْحانَ حبةِ خردلٍ ... مالتْ مودتُهُ مع الرُّجْحَـانِ
فى كلِّ يومٍ منهُ تبدو قِصَّةٌ ... تَنْعى إليك مودَّةَ الإخوانِ[١]

وقال منصور الفقيه :

أىّ زمان نشأت فيـــهِ ... كذِى ضلالٍ بأَرضِ تيـهِ
ما شئتَ من عالم خبيثٍ ... فيه ومن جاهـــلٍ سفيهِ

وقال أبو العتاهية[٢] :

إن الزمانَ يغـرُّنى بأمانه ... ويُذيقُنى المكروهَ من حِدْثَانِهِ
فأنا النذيرُ من الزمان لكلّ من ... أمْسَى وَأصْبَحَ واثقاً بزمانهِ
ما الناسُ إلا للكثير المـال أو ... لِمُسَلَّطٍ ما دام فى سُلْطانِهِ
فإذا الزمانُ رماهما[٣] بملمّـةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ

قال إبراهيم بن العباس الصولى[٤] :

بلوتُ الزمانَ وأهـلَ الزمانِ ... فـكلٌّ بذم ولومٍ حقيـق
وأوحشنى من صديقِ الزمان ... وآنسَنِى بالعدوِّ الصـــديق[٥]

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط فى ديوانه ٢٦١ .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٢٨٠ .
(٣) فى الديوان : رمى الفتى .
(٤) ساقطة من ج .
(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

ورُبَّ أخٍ ناديتُه فى ملمةٍ فألفيتُه منها أجلَّ وأعظَما[١]

أنشدنى محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلَّبْ سبيلَ الهُدَى جاهِدًا وَدَعْ عَنْكَ مُشْتَبِهَاتِ السُّبُلْ
وَأَصْبِحْ من الناس مستوفزًا فأكثرُهم راصدٌ للزَّلَلْ
وأجبن من قد ترى منهمُ لعَمْرُكَ يُرْدى الشجاع البطلْ
وتُصمى الْمَقَاتِلَ أقوالُهُمْ بألسنةٍ وقعها كالأسَلْ
ومن حكَّمَ الناسَ فى عِرْضه فمن جَارَ أكثرُ ممن عَدَلْ[٢]

وقال آخر :

وإذا دعوتَ أخاَ إخا ئِكَ عِنْدَ نائبةٍ تنوبْ
ألفيتَه أَحَدَ الخُطُو بِ إذا تتابَعت الخطوبْ

وهذا كله عندى — واللهُ أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتى أفر إليهم فهم كربتى فأين الفرار[٣]

---

(١) ديوانه ٥٧ .
(٢) الأبيات فى نفح الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وتبرى بدل تصمى .
(٣) البيت فى عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكني نفسي وَصَيَّر في الإيحاش من خلقه أُنْسِي
وباعدَ داري عاجلاً عن ديارهمْ كبُعْدِ مغيبِ الشمس عن مطلع الشمسِ
لعلِّيَ أن أُمْسِيَ من الشر آمنـــا وَأُصْبِح مسرورًا بذاك كما أمسِي
فما نكَّدَ الدنيا على طيب ظلها وقرب جناها العذب شيء سوى الإنسِ

قال أعرابي ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى وصـــوّت إنسان فكدتُ أطيرُ
دَرَى الله أني للأنَيْسِ لَشَانِئٌ وتبغضهم لِي مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ النَّاسَ طُرًّا لم أجد في الأرض حُرّا
صارَ أَحْلَى الناسِ في عَيْـ ـنِي إذا ما ذِيق مُرّا
ووجدت الحلوَ منهمْ عندما جرّبتُ صَبِرا(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بني دهرِنا أفاعٍ ليس لمن ساوَرَتْ طبيبُ

---

(١) البيتان في الحيوان ١/٣٧٩ ، المؤتاف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأحيمر السعدى ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبي حازم في العيون ٢/ ٣٨٤ ، ووردت في العقد الفريد ٣/٢١٤ بدون نسبة .

فلا يكنْ فيك بعدَ هذا   لواحـدٍ منهمُ نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غير عِيٍّ   ولزمتُ الفراش من غـير علّهْ
وهجـرتُ الإخوان لمـا أتتنى   عنهمُ كلُّ خَصْـلَة مضمحلّهْ
فمـلى أهـلِ ذا الزمان جميعاً   ضِعْفُ قطر السّماء من لعنة اللّهْ

وقال آخر :

لا تعرفَنْ أحدًا فلستَ بواجدٍ   أحدًا أضرَّ عليك ممن تعرفُ
أما نظيرُك فهو حاسـدُ نعمةٍ   أو دون ذاك فذو سؤال ملحفُ
أو فوق ذلك حال دون لقائه   بوابُ سوءٍ واليَفاعُ المشرفُ

وللشافعى الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهى :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورَةً   وليتنا لا نرى مما نرى أحـدَا
إن السباعَ لتهدَا فى مرابضها   والناس ليس بهادٍ شَرُّهُم أبدَا
فاهرُبْ بنفسك واستأنس بوَحْدتها   تعِشْ سَلِيماً إذا ما كنت منفردَا

وقال منصور الفقيه :

أحـذِّرُك الناسَ إلاّ قليلا   فلا تبغِينَّ إليهـم سَبيلا

وفارقهُمُ عن قِلىً واتخـذْ إذا ما خشيتَ انفرادًا خليلاَ
من الجنِّ والجنُّ إن تلقَهُمْ تجدْهُمْ أَبرَّ فعالا وقليلاَ
من الإنسِ، لا كان مستأنساً بهم طالبٌ من سواهم بديلاَ

وقال أبو العتاهية :

أيارَبِّ إنّ الناسَ لا ينصفوننى وإن أنا لم أنصفهمُ ظلمونى
وإن كان لى شيء تَصَدَّوْا لأخذه وإن جئتُ أبغى شيئَهم منعونى
وإن نالهم بذلى فلا شكرَ عندهم وإن أنا لم أَبْذُل لهم شتمونى
وإن طرقتنى نكبةٌ فرحوا بها وإن صحبتنى نعمةٌ حسدونى
سأمنعُ قلبى أن يحنَّ إليهمُ وأحجبُ عنهم ناظرى وجُفُونى(١)

أنشدنى حكم بن المنذر لنفسه :

وكنتُم أخلائى الذين أعدُّهُمْ لصَرْف زمان إن أَلَمّ بداهِيَهْ
فأخلفتمُ ظنى بكم فقَلَيتكمْ فنفسى عنكمُ آخرَ الدهر سَالِيَهْ

وقال آخر :

ولما رأيتُ الناسَ لا عهدَ عندَهُمْ صَدَفْتُ — وبيتِ اللهِ — عن صحبةِ الناسِ
وصرتُ جليسَ الكُتْبِ ماعِشْتُ فيهمُ وأعملتُ حسن الصَّبر عنهم مع الياس

---

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بذلى فى البيت الثالث ، وفكهوا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كاسًا من الغَـدْرِ بينهـم تُدَارُ وما بالقومِ صـبرٌ عن الـكاسِ

وهذا الباب وما جانسه من معانى صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم ، قد أكثر الناسُ فيه جدا ، وقد جمـع فيه ابنُ وكيع فتقصّى وكثّر وجوّد وغزر ، وغرضنا فى الـكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد والحول والقوة[١] .

---

(١) فى ا : وبالله العون لاشريك له .

بابُ الصَّديق والعَدو

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظمتْ منزلةُ الصَّديق حتى عنـد أهل النار ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى حاكيا عنهم : ﴿فَمَا لَنَا من شَافِعِين ، ولا صَدِيق حَمِـيم﴾ (١) .

قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يكون الصديق صـديقا حتى يحفظ صديقه فى غيبته و بعد وفاته .

قال سويدُ بن الصَّامت(٢) :

ألا رُبَّ من تدعو صديقاً ولو ترى مقالتَهُ بالغيب ساءك ما يَفْرِى

مقالتُه كالشَّهْدِ ماكان شاهـدًا وبالغيب مَأْثورٌ عَلَى ثُغْرَة النَّحْـرِ

تُبينُ لك العَيْنَان ما هو كاتمٌ من الشرِّ بالبغضاء والنظرِ الشَّزْرِ

يَسُرُّكَ بادِيهِ وتحتَ أديمِهِ تميمةُ غشٍّ تبترى عَقِبَ الظهرِ

فَرِشْنِى بخَـــير طالما قد بريتَنِى وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى(٣)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى، الخزرجى الأنصارى، شاعر من أهل المدينة فى سوق، كان يسميه قومه الكامل، اشتهر فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقيه النبى صلى الله عليه وسلم فى سوق ذى المجاز ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه : يئا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائدا إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، وإن كان ابن سعد والطبرى يقولان إنه شهد أحداً . انظر الإصابة الترجمة ٣٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها فى البيان ٣/٣٥٦، الأمالى ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع فى عيون الأخبار ٣/٨١،=

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما فى صاحبه شيئاً ، وإن كان عَدْلا ، ويقول : (١ العداوة تزيل العدالة .

كان يقال ١) : لا تجالس عدوَّك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك فى صوابك .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ابذُلْ لصديقك كلَّ المودة ، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلَّ المواساة ، ولا تُفْضى إليه بكلّ الأسرار .

رُوى عن علىِّ بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكونُ الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدوّ صديقه عدوا .

= منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى فى اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهى فى الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية فى الأمالى : لسانه بدل مقالته .

المأثور : السيف فى متنه أثر ، وقد فسره فى العيون بأنه الذى يؤثر عنه شر وتهمة ، وأحسبه ليس دقيقا ، نغرة النحر : نقرته . والرواية فى العيون : كالشحم بدل الشهد ، وفى البيان : مادام بدل ما كان ، وفى الأمالى : حاضرا بدل شاهدا ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشزر: النظر فيه إعراض ، أو هو نظر الغضبان أو الحاقد بمؤخرة العين ، والرواية فى العيون : من الضغن والشحناء بالنظر الشزر ، وفى البيان من الغل والبغضاء .

تبترى : تقطع .

راش الصديق : أصلح حاله وضده براه .

(١) ساقط من ا .

قال يزيدُ بن الحَكَم الثقفى :

تصافحُ من لاقيتَ لِى ذا عَدَاوَةٍ   وأنت صديقى ليسَ ذَاكَ بمُسْتَوِى

فى أبيات قد ذكرتها فى باب البغى والحسد وغيره ، وفى رواية أخرى :

عـدوُّك يَخشى صولتى إن لقيتُه   وأنت صديقِى ليس ذاكَ بمُستوِى

وقال آخر :

عدوُّ صديقى داخلٌ فى عداوتى   وإنّى لمن وَدَّ الصـديقُ ودُودُ

فلا تقربْ منى وأنت عدوُّ مَنْ   أصادقُه فالخـيرُ منك بعيـدُ[1]

[2] وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا [2] عيسى عن ابن مِقْسَم ، قال : أنشدنى أبو على إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّار ، قال : أنشدنى أبو العباس المبرّد :

صديقُ عدوى داخـل فى عداوتى   وإنّى على ودّ الصـديقِ صديقُ

أُعَادِى الذى عَادَى وأهوى له الهوى   كأنِّى منه فى هَـوَاهُ شَقِيقُ[3]

---

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، ورواية البيت الثانى فيه :

فلا تقربن منى وأنت صديقه   فإن الذى بين القلوب بعيد

(٢) فى ا : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) فى ا : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية فى أمالى القالى ١/٨٣ .

وقال العتّابى :

تودّ عـدوّى ثم تزعمُ أنّنى   صديقُك إنَّ الرأىَ عنك لعازبُ
وليس أَخى من ودَّنى رأىَ عينِهِ   ولـكنْ أَخِى من ودّنى وهو غائبُ[١]

قال آخر :

إذا وَالَى صديقُك من تُعَادِى   فقد عَادَاكَ وانقطعَ الكلامُ

قال معاوية : النبل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة[٢] الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى .

قال بعضُ علماء أهل المدينة : من ثقُل على صديقه خفَّ على عـدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أَصدقائك ، فلا تزدهِ فى أَعدائك[٣] ، فإن الصديق يحوَّل بالجفاء[٤] عدوا ، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا[٥] .

---

(١) نسب البيتان فى حماسة البحترى لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا فى أمالى القالى ١/٨٣ ، العقد الفريد ٢/٣٠٧ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٣/٦ وفيها : ولـكن أخى من صدقته المغايب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) فى ا : إغرائك .

(٤) ساقط من ح .

(٥) فى ا : صديقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوةِ رجل بصداقة أُلف .

قال الشاعر :

تكثّرْ من الإخوان ما استطعْتَ إنّهم بطونٌ إذا استنجدتهم وظهورُ
وليس كثيرًا ألفُ خلٍّ وصاحبٍ وإن عدوًّا واحدًا لكثيرُ(١)

ومما أنشده المبرد :

ترفّعْ عن مخاشنةِ الصّديق ولا تُلْجِ العدوَّ إلى مَضِيقِ
وإن يَسْنح من المعروف شيءٌ فبادرْ خوفَ إمكان الطريقِ
وأحسنُ من مجاهدةِ الأعادى مجاهدةُ النفوسِ على الحقوقِ

كان المغيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألّا تعلمه أنك اتخذته عدوّا .

سُئِل أعرابى عن ابن العمّ ، فقال : عدوُّك وعدوّ عدوِّك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوّه خلفه فى حياته ، ويقدمه أمامه فى وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذى عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك فى مخالفتك .

جمع كسرى يوما مرازبَتَه وعيونَ أَصحابه ، فقال لهم : من أىّ شىء أنتم أشد حذرًا ؟ قالوا : من العدوّ الفاجر ، والصديق الغادر .

---

(١) نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : اتَّقِ العدوّ ، وكن من الصديقِ على حذر ، فإن القلوب إنما سميت قلوباً لتَقَلُّبِها .

منصور الفقيه :

احــذر مودةَ ماذقٍ(١) مَزَجَ المـرارةَ بالحلاوَهْ
يُحْصِي الذنوبَ عليك أيـّـامَ الصداقةِ للعَــداوَهْ(٢)

وقال جحظة البرامكى :

لا تُعِدَّنَّ للزمانِ صـديقاً وأعدَّ الزمان للأصـدقاء(٣)

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاطَ تَغَضُّبًا(٤) فالغَيْظُ يُخْرِجُ كامنَ الأحقـادِ
ولرُبما كان التغيظُ باحثاً(٥) لمعــايب الآباء والأجــدادِ

استعدى أعرابى على بلال بن جرير بن الخَطَفى إلى قُثَم بن العبّاس فقال :

أعـوذُ بعبّاس وَحَقْـوَىْ محمّدِ وَحَقْوَيْك(٦) من طولِ الأذى والغَوائِلِ

---

(١) الماذق : غير خالص الود .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٠٧ من غير نسبة وفيه : والعداوة ، وانظرهما فى الصداقة والصديق ٤١ .
(٣) البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٣/٩٩ .
(٤) فى ا تغيظا .
(٥) فى ا : باديا .
(٦) ساقط من ج ، والحقو : الكشح ، وهو مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

فإنّ بلالاً يابن عمّ محمدٍ … عـدوٌّ إذا جاملتَه لم يُجَـامِلِ
إذا نال يوماً رِشْـوَةً من مخاصِمٍ … رمى كل حقٍّ أدعيـه بباطلِ

قال ابنُ وكيع :

ليس بالْمُنْـكرِ انقلابُ صَديقٍ … ربمـا غُصَّ شاربٌ بالشَّرابِ
وتلاقى الإخـوانِ بعـد فسادٍ … كتلاقى[١] الأرواحِ بعد الذهابِ
لا تضيِّـعْ مودةً من صـديقٍ … فانقلابُ الصديقِ شرُّ انقلابِ

قال آخر:

وَرُوِّعْتُ حتّى ما أُرَاعَ من النَّـوى … وإن بَان جِـيرانٌ علىّ كـرامُ
فقـد جعلَتْ نفسى على النأيِ تَنْطَوِى … وَعَيْنِي عَلَى هَجْـرِ الصديقِ تنامُ[٢]

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وَتَرْتَ امرءًا فاحـذرْ عداوَتَه … من يزرع الشوكَ لا يحصد به عِنَباَ
إن العـدوَّ وإن أبدَى بشاشته … إذا رأى منك يوماً فرصـة وثبا[٣]

---

(١) فى ا : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان فى وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحماسة ١٠٣/١ إلى عبدالصمد بن المعذل والرواية فى الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان فى نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

قال الصاحبُ بن عبّاد :

لقد صدقوا — والرّاقصاتِ إلى منى — بأنّ مُدَراةَ العـدى ليس تَنْفَعُ
ولو أنني دارأتُ عمـرِيَ حيـةً إذا استمكنت يوما من اللّسع تلسعُ(١)

وقال آخر :

ليس الصـديقُ الذى إن زلّ صاحبُهُ يوماً رأى ذاك ذنباً غيرَ مغفـورِ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعْذِرُ فى ما ليس صاحبُه فيه بمعـذورِ(٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصَتى أيامَ نَجْرِى مَجارِىَ السُّوَقِ(٣)

قال أبو تمام الطائى :

وحسبُكَ حسرةً لك من صديقٍ رأيتَ زمامَهُ بيدىْ عَدُوِّ(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنـكرتَ أخلاقَ الصديق فلستَ من التحيُّرِ فى مضيقِ

---

(١) البيتان فى التمثيـل والمحاضرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ٣/١٠٩ ، يتيمة الدهر ٣/٢٧٨ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ا : من السم بدل اللسع .

(٢) ساقطان من ا ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ .

(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديقى أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/٧٤ منسوبة لمحمد بن مهدى ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :

حتى إذا راح والملوك معاً عد اطراحى من صالح الخلق

(٤) البيت ساقط من ا ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زمامه .

طريقًا كنتَ تسلكه سليماً ... فأسبع فاجْتَنِبْه إلى طريقِ
فإن قابلتْ يُسْرَى منه عُسْرَى ... فراجعْ من قطَعْتَ من الصَّديقِ

وقال عبدُ بنى الحَسْحَاس[1] :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُّ حديثُه ... ولا ينفعُ المشنوءَ أن يتودّدَا

وقال زياد الأعجم :

عدوُّك مسرورٌ وذو الودّ بالذى ... أتى منك من غيظٍ علىَّ كظيظُ
تلينُ لأهل الغِلِّ والغَمْزِ منهمُ ... وأنتَ على أهلِ الصفاءِ غليظُ
نَسِيٌّ لما أَوْلَيْتُ من صالحٍ مَضَى ... وأنت لتأنيبٍ عَلَىَّ حفيظُ
وسُميتَ غَيّاظًا ولستَ بغائظٍ ... عدوًّا ولكنَّ الصديقَ يَغيظُ[2]

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقوامًا من العِيِّ والغَبَا ... وَأَعْذِرُ فى بُغضى لأنهمُ ضِدُّ
ومن نَكَدِ الدُّنيا عَلَى الحرِّ أن يرى ... عدوًّا له ما من صداقته بدُّ[3]

---

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبى ، أعجمى اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده فى أوائل عصر النبوة ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجب بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس فى آخر خلافة عثمان حوالى سنة ٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيبه بنسائهم . انظر فوات الوفيات ١/١٦٦ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ٣/١٢٤) .

(٢) نسبت الأبيات فى أمالى القالى ٢/١٩٨ ، المؤتلف ٨٨ للحضين بن المنذر يقولها فى ابنه « غياظ » .

(٣) البيت الأول فى الديوان ١٦٩ ، والثانى فى ص ١٦٨ ، أى أن الثانى يرد فى الترتيب قبل الأول فى القصيدة .

وقال آخر:[1]

شر البلادِ مكانٌ لا صديقَ به ... وشرُّ ما يكسَبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[2]

وقال منصور الفقيه:

إذا تخلَّفْتَ عن صديقٍ ... فلم يعاتبْكَ فى التخلفْ

فلا تعد بعدَها إليه ... فإنما وده تكلفْ

وإن تعد بعدها إليه ... فلا تلمه على التصلفْ[3]

وقال آخر:

إذا كتم الصديقُ أخاه سِرًّا ... فما فضلُ الصَّدِيق عَلَى العَدُوِّ[1]

وقال ابن الرُّومى:

عَدُوُّكَ من صديقِكَ مستفادٌ ... فأَقْلِلْ ما استطعتَ مِن الصِّحَابِ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ من الطَّعام أو الشرابِ

وإنَّكَ قَلَّمَا استكثرتَ إلّا ... وقعتَ على ذِئابٍ فى ثيابِ

فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرٍ ... يُعَابُ وكم قليلٍ مستطابِ

وما اللُّجَجُ المِلَاحُ بِمُرْوِيَاتٍ ... وتلقى الرِّىَّ فى النطف العذابِ

(١) ساقط من ج.

(٢) البيت للمتنبى أيضاً، انظر ديوانه ٢٧٧.

(٣) البيتان الأول والثانى فى خاص الخاص ١٠٧، التمثيل والمحاضرة ١٠٥، معجم الأدباء ١٩/١٨٩.

إذا انقلبَ الصديق غدا عدوًّا   مُبينًا والأمورُ إلى انقـلابِ(١)

وقال منصور الفقيه :

احذَرْ عـــدوَّك مرةً   واحذر صديقك ألْفَ مَرَّهْ

فلرُبّما انقلب الصــديـ   قُ فـكانَ أعلمَ بالمضَرَّهْ(٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقك خائفاً   فلرُبَّماَ حال الصــــديق(٣)

وقال آخر :

احذر صديقَك لا عـدوَّك إنما   مَسْتُورُ سرِّك عند كلِّ صديقِ(٤)

قال أبو بكر الخالدىّ(٥) :

مافى زمانِك ما يعِزُّ وجودُهُ   إن رمتَه إلاّ صديقٌ مخلصُ(٦)

---

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى على بن عيسى .

(٣) فى ا وردت الشطرة الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدوق .

(٤) فى ا : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعلة ، شاعرأديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالديين ، وكانا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عـدة مؤلفات فى الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢/٢٧١ الأعلام ٧/٣٥٣) .

٦) بيت فى نهاية الأرب /١٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ١١٣ ، يتيمة الدهر ٢/١٩٨ .

وقال الكُمَيْت يخاطب بنى العباس[١] :

إذا نحن خِفْنَا فى زمان عدوِّكُمْ وخفنا كُمُ إنّ البلاءَ لرَاكِدُ[٢]

وقال آخر :

وبغضُك للتَقِيِّ أقلُّ ضُرًّا وأسلمُ من مودة ذى الفُسُوقِ

ولن تنفَكَّ تُحسدُ أو تُعادَى فأَكثِرْ ما استطعتَ من الصديقِ[٣]

خالفه ابن الرومى فقال :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فأقلِلْ ما استطعتَ من الصديقِ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ من الأشياء تَحْلُو فى الْحُلُوقِ[٤]

أكثر رجل على رجل بالسّلام وقال له : أناصديقُك . قال : وكيف ؟ قال : لأنى أسلِّمُ عليك . فأنشأ يقول :

لئن كانَ من قالَ السّلامُ عليكُمُ يُعَدُّ صديقاً فالصديقُ كثيرُ

---

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكميت بن زيد الأسدى ، كما فى عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن الكميت مات سنة ١٢٦ هـ ، أى قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبى العباس السفاح بالأنبار ، فأخذه الحرس فحبسوه ، فكتب إلى أبى العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته . انظر الأغانى ١٥/١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ٨/١٠٧ .

(٢) فى ج : لواحد وانظر البيت فى عيون الأخبار ٣/٢٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢ ، وفيها : وبغضاء التقى أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٥٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا تُهِنْ للصّديقِ تكرِمُهُ نفْسَكَ حتى تعدَّ من خوَلِهْ
يحمل أثقالَه عليك كما يحملُ أثْقَالَه على جَمَلِهْ
ليس الفتَى بالذى يَحُول عَنِ الْـ عَهْدِ وَيُؤْتَى الصّديقُ من قِبَلِهْ
ولست مستبقياً أخاً لك لا تصفح عن جهله رعن زَلَلِهْ[1]

وقال آخر :

إن الصَّديقَ فلا تَأْمَنْ بوائقَهُ أَسْوَا العدوّ إذا ما سُؤْتَه أَثَرَا

وقال رجل من بنى سَليم :

لَعَمْرُكَ إننى وأَباَ رَباحٍ على حال التّكاشُرِ منذ حينِ
فأبغضه ويبغضنِي وأيضاً يرانى دونه وأراه دُونى
فلو أنّا على حجرٍ ذُبحنَا جرى الدَّمَيان بالخبرِ اليقينِ

وقال المُتَلَمِّس :

أحارثُ إنا لو تُشَاطُ دماؤُنَا تَزَايلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا[2]

---

(١) الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٧ ، حماسة البحترى ٣/١٧ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لئيم ، وتصفح عما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، ويروى : تساط وهما بمعنى ، تزايلن : افترقن ، والبيت في العقد الفريد ٥/٣٥٩ ، البيان والتبيين ٣/٥٧ ، الحيوان ٣/١٣٦ ، فصل المقال ١٣٢ .

وقال آخر :

إذا كنتَ ممن لا تُرَى نافعاً   صديقاً ولا بعــدوٍّ تضرُّ
فسيانَ إنْ متَّ أو إن حييتَ   فلا ذا يَسُــوءُ ولا ذا يَسُرُّ

لأبى عيينة المهلبى، (١ أوعلى بن جبلة ١) :

ولما رأيتُــك لا فاجــرًا   قويًّا ولا أنتَ بالزَّاهِــدِ
وليسَ عــدوُّك بالمتقِى   وليسَ صديقُكَ بالحامدِ(٢)
دخلتُ بكَ السُّوقَ سوقَ الرقيقِ   وناديتُ هل فيك من زائدِ؟(٣)
فما جاءنى رجــلٌ واحدٌ   يزيدُ على درهمٍ واحــدِ
(٤ سوى رجل حانَ منه الشقاءُ   وحلت به دعوة الوالدِ ٤)
مُحَــاطٍ بِهِ(٥) معه درهمٌ   ردىءٌ فأقبــل كالراصدِ
فبعتُك منــه بلا شــاهدٍ   مخافةَ ردِّك بالشَّاهــدِ

(١) زيادة فى حـ .

(٢) يرد بدل هذا البيت فى العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقى   ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت فى العقد :

على رجل خائن للصديق   كفور بأنعمه جاحد

(٤) ساقط من حـ ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذى بعده فى العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دانقا   ولم يك في ذاك بالجاهد

(٥) فى حـ : سوى رجل .

وأبْتُ إلى منزلى غانماً   وَحَـلَّ البـلاءِ عَلَى الناقدِ[١]

وقال آخر[٢]:

سأصبرُ من صديق إن جفانى   على كلِّ الأذى إلاّ الهوانَا
فإنَّ المرء يجزعُ فى خَلَاءٍ[٣]   وإن حضر الجماعةَ أن يُهانَا

قال العَطَوى :

إذا ما الحرُّ فَازَ[٤] بحُسْنِ حالٍ   أجازَ صديقَه من سُوءِ حَالِ
إذا أَثْرَى رأى حقًّا عليه   له الإفضَالَ من قبل السؤالِ
لعَمْرُكَ ما رأيتُ فتى كريمًا   يحب المالَ إلا للنوالِ
أبا حسن ثـكلتُ الحزمَ فيما   أحاولُ من مقالى أو فعالِى
[٥] لقدْ كذبت ظنونى فيك أن لم   أتُبْ من حُسْن ظَنِّى بالرجالِ [٥]

وقال آخر :

إذا ما المرءُ كانَ له صديقٌ   فبرُّ صديقِهِ فَرْضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا فى الصداقة والصديق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذى أوضحت فى العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب فى كليهما .

(٢) هو عمير بن جميل التغلبى كما فى معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه فى العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التغلبى وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفى الكامل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) فى ح : فى هوان .

(٤) ا : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ا .

فَإِنْ عَنْهُ الصَّديقُ أقامَ يوماً   فوَجْهُ الْبِرِّ أَن يَسْعَى إليهِ
وإنْ كانَ الصديقُ قليلَ مالٍ   يضيقُ بذرعِهِ ما فى يديهِ
فمِنْ أسْنَى فعالِ المرءِ ألا   يضنَّ على الصديق بما لديهِ

وقال آخر :

ما ضاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ   ألذَّ من ودٍّ صديقٍ أَمينْ
من فاته ودّ أخ صالح   فذلك المغبون حق اليقينْ

(١ عبد الله بن طاهر ، ويروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره ١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرنى يحيى بن المعلم ،قال : مررت بعلىّ بن الجهم، وقد أُذّن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع(٢) ، فسلمتُ عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقيم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأُكافئُ به صديقا له قِبَلِى يدٌ . قال : فلم أمش إلاّ قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأَنْشِدْنى(٣) :

أميلُ مَعَ الصديقِ على ابنِ أُمِّي   وَأَحْمِلُ للصّديق على الشقيقِ(٤)

---

(١) ساقط من ا ، م .
(٢) فى ا : ابن وكيم وهو تحريف .
(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها تنسب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، أمالى القالى ٣١٤/٢ ، أو إلى إبراهيم بن العباس الصولى كما ورد فى الأغانى ٢٣/٩ (بولاق) ، زهر الآداب ١٥٦/٤ ، ٥٧ ، معجم الأدباء ١٧٤/١ .
(٤) فى الأمالى والعيون : أميل مع الذمام ، وفى العيون : وأحتمل الصديق .

وإن ألفيتَني مَلِكاً مُطَاعاً ... فإنّكَ واجدِى عبدَ الصديقِ[١]
أفرّقُ بينَ معروفى ومَنِّى ... وأجمعُ بين مالى والحقوقِ

قالوا : احذر من وتَرْتَه وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثقْ به .

قال الشاعر[٢] :

إذا وتَرْتَ امرءًا فاحذر عداوتَهُ ... مَنْ يزرع الشَّوكَ لا يحصدْ به عنباَ
إن العـدوَّ وإن أبدى بشاشتَهُ ... إذا رأى منك يومًا فرصةً وثباَ

وقد تقدم فى باب التودد إلى الناس أبياتٌ تصلح فى هذا الباب ، فلم أر وجهًا لتكرارها .

---

(١) فى معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملكا .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق فى ص ٩٦٠ .

بابٌ جامعٌ متخيَّرٌ فى الإخوانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرءُ على دين خليله ، فلينظر امرؤٌ من يخالِلْ » .

(١ قال الأوزاعىّ : الصاحبُ للصاحب كالرقعةِ للثوب ؛ إن لم تكن مثله شانَتْه ١) .

قال الشاعر :

وماصاحبُ الإنسان إلا كرُقْعةٍ   على ثوبه فليتخذْهُ مُشَاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ فى صحبةِ من لا يرَى لك كالذى يرى لنفسه » .

وفى الخبر المرفوع أيضا « شيئانَ لا يزدادانِ إلاّ قلة : درهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله (٢) تسكن إليه » .

وقد رُوِى مرفوعًا : « المرءُ كثيرٌ بأخيه » .

قال علىُّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه : لا خير فى صحبة من تجتمع فيه هذه

---

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حدَّثك كذَبَك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنك اتهمك ، (١ وإذا أنعمت عليه كفرك ١) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبى الدرداء : معاتبةُ الأخ أهونُ من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أحْبِبْ فى الله ، وأبْغِض فى الله ، وعادِ فى الله ، فإنه لا تُنال موالاةُ الله إلا بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان — ولو كثرت صلاته وصومُه — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهله[٢] ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿الأخلاَّء يومئذٍ بعضُهُم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾[٣] ، وقرأ : ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله﴾[٤] الآية .

قال المغيرةُ بن شعبة : النّازِلُ للإخوانِ مَنْزول .

قال المنصور لإسحق بن مُسلم العقيلى : ما بقىَ من لذَّتِك ؟ قال : أخٌ أشتهى معه طولَ السهر ، ودابةٌ أشتهى معها طولَ السَّفَر .

قال جعفرُ بن محمد : حِفظُ الرجل أخاه بعد وفاته فى تركته كَرَم .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) فى ا : وذلك لا يجرى على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناس لَك(١) من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كلِّه ، لا تَسْتقص(٢) عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأُخُوّة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شيء أسرع فى فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشى ، عن الأصمعى ، قال : ما رأيت شعرًا أشبه بالسنة من قول عَدِىّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمُقَارنِ مُقْتَدِى
وصاحبْ أُولِى التَّقوى تنلْ من تُقاهُمُ ... ولا تصحبِ الأَرْدَى فتردَى مع الرّدِى(٣)

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذى يَخْفى عليـ ... ـكَ إذا نظرتَ إلى قَرِينْه(٤)

قال الخُوَارزمى :

لا تصْحبِ الكسلانَ فى حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخر يَفْسُدَ

---

(١) فى ح : فيك .

(٢) فى ا : لا تستقص .

(٣) ورد البيتان معاً فى : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جمهرة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول فى : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٣/٧٩ ، حماسة البحترى ٢٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد فى ديوانه ، ولكن الراجح أنهما لعدى .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوَى البليدِ إلى الجليدِ سريعةٌ   والجمرُ يُوضعُ فى الرمادِ فيخمُد[١]

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِهِ   وقرة عين الفَسْل أن يصحب الفَسْلاَ[٢]

وقال صالح بن جَنَاح :

وصاحبْ إذا صاحبتَ حُرًّا مُبرِّزاً   يَزِينُ وَيُزْرِى بالفــتى قرناؤه[٣]

وقال سهل الوراق :

تخيَّرْ قريناً لا يَعيبُ[٤] فإنّه   يقاسُ لَعَمْرى بالقرين قرينُه
وشرُّ خدينٍ قاطعٌ لخدينه   إذا حادَ يوماً عن هواه خدينُهُ

وقال آخر :

إن النَّديمَ وإن الكأسَ صيَّرنِى   كما ترانى سليبَ العقلِ والدينِ[٥]

[٦] قالوا : من أراد أن يدوم له ودُّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً فيخلفه [٦] .

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .
(٢) البيت فى البيان والتبيين ٣/ ١٧٥ ، الحيوان ٧/ ١٥٨ . والفسل : النذل الذى لا مروءة له .
(٣) فى ا : وزراؤه .
(٤) فى ح : لا يعاب .
(٥) فى محاضرات الأدباء ١/ ٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : إنى غفلت عن الساق فصرنى .
(٦) ساقط من ا .

أوصى رجلٌ ابنه فقال : يا بنىّ ! اصحب من إذا غبتَ عنه خَلَفَك ، وإن حضرتَ كنَفَك ، وإن لقى صديقَك استزادَهُ لك ، وإن لقى عدوَّك كفَّهُ عنك .

وقال بعضُهم : لا تؤاخِ شاعرًا ؛ فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجانًا .

لابن أخى زِرّ بن حُبَيْش[1] :

وما استخبأتَ فى رجلٍ خبيئًا   كَدِينِ الصّدقِ أو حَسَبٍ عتيقِ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك فاقة مانك[2] ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ، لا تخاف بوائقه ، ولا تختلفُ طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الخَيرُ إنّى ناصحٌ لك فاسْمَعِ   طمعتَ من الإنسانِ فى غير مَطْمعِ
طمعتَ من الإنسان فى صَفْوِ وُدِّهِ   ألا ليس يَصْفُو ذو طبائعَ أربعِ

---

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدى ، من جلة التابعين ، وقد عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام ولكنه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان زر عالما بالقرآن فاضلا ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات فى وقعة بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ٥٧٧/١ (الأعلام ٧٥/٣) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه هذا الذى نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب فى حماسة البحترى ٢٥٦ ليزيد بن الحكم الثقفى ومن المؤكد أن يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفى من الطائف ، وزر أسدى كوفى .

(٢) مانك : احتمل مؤونتك .

خذ العفوَ من كلِّ امرئٍ سُمتَ وُدَّهُ ... وإن ضاق عمـــا سُمْتَهُ فتوسعِ[١]

ولأبى العتاهية أيضا :

يارُبَّ خدنٍ كنت آمن غَيْبَهُ ... أصبحْتَ تنطفُ فى يديه جِراحِى

سلَّحتُه ليردَّ بأسَ عـــدوِّهِ ... فعـدَا علىَّ فبزَّنِى بِسِلاَحِى[١]

وقال العاقُولى[٢] :

من يُـكرمِ الناسَ يُـكْرِمُوهُ ... ومن يُهِنْهُمْ يجِـدْ هَوَانَا

ومن يُقِـــلْ عثرة يُقَلْها ... ومن يُعِنْ لَمْ يزَلْ مُعَـانَا

كان أخاَ صاحباً زمانا ... فمـــالَ عن وَصْلِناَ وَخاَنَا

تاه علينا ، وصـدّ عَنّـا ... فمـا نراهُ ولا يَرَانَا

وقيل لخالد بن صفوان : أىُّ إخوانك أحب إليـك ؟ قال : الّذى يغفر زَلَلى ، ويقبلُ عِللى ، ويسدّ خَلَلِى .

قال المأمون : الإخوانُ على ثلاث طبقاتٍ : فإخوان كالغذاء لا يُسْتغنى عنهم أبدا ، وهم إخوان الصَّفاَء ، وإخوان كالدواء يُحتاج إليهم فى بعض الأوقات ، وهم

---

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهى بليدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير فى اللباب ٢/١٠٥ ، ٦ بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لمجرد أنه عاقولى ، هذا وقد ورد فى ديوان ابن المعتز ٢/٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخوان كالدّاء لا يُحتاج إليهم أبدا ، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : اصْحبْ من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقَك عليه .

كان(١) ابن عُيَيْنة ماشيا بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاّسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنتُ ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أجالس الشيوخ والكهول ، ألم تسمعْ إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيدُ الله :

ألا أبْلِغاَ عنى عِرَاكَ بن مَالِكٍ فإن أنتما لم تَفْعلا فأبَا بَكْرِ(٢)

ويروى : ولا تَدَعاَ أن تُثْنِيَا بأبى بكرِ

---

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبى الأسود الدؤلى فى الصفحة التالية زيادة فى ا .

(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الغفارى الكنانى المدنى ، تابعى جليل ومحدث ثقة ، كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بنى مروان فى انتزاع ما حازوا من الفىء والمظالم من أيديهم ، فلما ولى يزيد ابن عبد الملك نفاه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها فى خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ٧/١٧٢ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى . قاضى المدينة وأميرها لعمر بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفى عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ٢/١٥٧ ، تهذيب التهذيب ١٢/٣٨ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة الفقيه فى أمالى المرتضى ١٢/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة فى الأغانى ٨/٩١ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زمانا ، ثم ان ابن حزم ولى إمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان ولا يقفان ، وكان ضريرا فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيتين أيضا فى عيون الأخبار ٣/٧ ، ٨ ، الحيوان ٧/١٥٨ .

فكيف تلومانِ ابنَ سبعينَ حِجةً ... على ما أتى وهو ابنُ عشرين أو عشرِ

وقال آخر :

أبن لى فكنْ مثلى، أو ابتغِ صاحبًا ... كمثلِكَ إنّى مبتغٍ صاحبًا مثلى

ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا ... إذا لم يؤلِّفَ روح شكل إلى شكلِ

قيل لبعض المدنيين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشَاكِلَيْن .

ولعبد الصمّد بن المعذّل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئٍ ... يعـرِفُه الناس بمنتابِهِ

لا تسألنّ المـرءَ عن حالِهِ ... ما أشبهَ المـرءَ بأصحابِهِ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرىءٍ شكل من الناس مثلُهُ ... وكل امرىءٍ يَهْوَى إلى من يُشَاكِلهْ

ومالك بُدٌّ من نزيل فلا تكن ... نزيلاً لمن يسعى به من يُنَازِلُهْ

وإن أنت نازلتَ الكريم فلاقِهِ ... بما أنت من أهـل المروءة قائلُهْ

وإن أنت نازلتَ اللئيم فكن فتًى ... تزايلُه فى فعـله وتحامِلُهْ

إذا لم تُدَاخِلْ عِزَّ من كان ذا حجًا ... وعزمٍ وحزمٍ لم تجدْ من تُدَاخِلُهْ

وما الناسُ إلاَّ بالأصـولِ فإنّما ... يُنَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافلُهْ (١)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٢ .

وقال جرير[١] :

وإنى لأستحيي أخى أن أرى لَهُ   علىَّ من الحقّ الذى لايَرى لِيَا

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألاَ تخافاَ نبـوتى فى مُلِمّـة   وخافا المنايا أن تفوتـكُماَ بِيَا
تَعَرَّضْتُ فاستمرَرْتَ من دُونِ حاجتى   لحالَكَ إنِّى مستمرٌّ لحاليَا
وإنّى لمغـرور أعلَّلُ بالمُنى   لَيَـالِىَ أرجو أنَّ مالكَ ماليَا
فأنتَ أخى مالم تـكن لىَ حاجةٌ   فإن عَرَضتْ أيقنتُ ألاّ أخاليَا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية [٢]بن عبد الله بن جعفر [٢] فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فُضَيْلاً كان شيئا ملفّفَا   فـكشّفَهُ التمحيصُ حتّى بدا لِيَا
فأنتَ أخى مالم تـكن لِىَ حاجةٌ   فإن عَرَضَتْ أيقنتُ ألاّ أخاليَا
فلا زادَ ما بينى وبينك بَعْـدَمَا   بـلوتُك فى الحاجات إلا تَنَائيا
ولستَ براءٍ عيبَ ذى الود كلّه   ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا
فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ   ولـكنَّ عين السُّخْط تُبْدِى المساويا

---

(١) الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النقائض ١٧٧ ط أوربا ، وفيها : فأنت أبى ... لا أباليا .

(٢) ساقط من ا .

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن إذا متنا أشــد تغانيا [1]

وقد أدخل بعضهم فى هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يهَابُنِي ولستُ أرى للمرءِ مالا يَرَى لِيَا

متى تَدْنُ مِنِّى تدنُ منك مَوَدّتى وإن تَنْأَ عنِّى تُلفِى عنك نَائِيَا [2]

[3] وقال روح أبو همام :

فعينُ السّخط تُظْهِرُ كلَّ عَيْبٍ وعين أخى الرِّضا عن ذاك تَعْمَى [3]

وقال معنُ بن أوس :

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَهُ على طرف الهِجْرَان إن كان يعقلُ

ستقطعُ فى الدنيا إذا ما قطعتَنِى يمينك فانظرْ أى كفٍّ تبدّلُ [4]

---

(١) هذا البيت وارد فى ا فقط ، وانظر الأبيات لعبد الله بن معاوية فى عيون الأخبار ٣/٧٥ ، الكامل ١/١٢٥ ، زهر الآداب ١/١٢٥ .

(٢) نسب هذان البيتان فى حماسة أبى تمام ١/١٦٤ لأبى بن حمام العبدى ، وورد مع بيت جرير الأول: وإنى لأستحيى . والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى ... فى قصيدة طويلة فى أمالى القالى ٣/٧٣ ، ٧٤ لسيار بن هبيرة أحــد بنى ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة فى عتاب أخويه خالد وزياد ، كما نسب البيتان المذكوران فى التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتنبى ولا يوجد ن فى ديوانه .

(٣) ساقط من جـ ، وفى ا : قال أبو العتاهية وهو خطأ فالبيت ليس له ولم يرد فى ديوانه ، وسيأتى بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره فى الصداقة والصديق ٩٠ .

(٤) ورد البيتان منسوبين لمعن فى حماسة أبى تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ١/٣٦٤ النــوادر ٢١٨ ، حماسة البحترى ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤/٤٤٤ ، ونسبا فى العيون ٣/١٨ لجرير وليسا فى ديوانه .

كتب ابن عمار [١] إلى برجوان كتابا فيه قول الشاعر :

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى ... يمينك فانظر أى كف تبدل

فدعا برجوان شاعرا كان قد استخصه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن هذا البيت ، فقال :

ومازلتُ أُهْدى النصحَ حتّى اطَّرَحْتَهُ ... وأقبلتَ عن سبلِ الهِدَايةِ تَعْدِلُ

فهبك يمينى اسْتَخبثتْ فقطعتُها ... لتسلمَ لى نفسى أم الهُلْكُ أَجملُ

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المـــرء تَدْوَى يمينُه ... فيقطعُها عمدًا ليسلمَ سائرُهْ

فكيف تراهُ بعد يمناه فَاعِلاً ... بما ليس منه حين تَدْوَى سَرَائِرُهْ [٢]

أنشدنى أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد [٣] قاسم ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبى خيثمة لأبى الشيص محمد [٣] بن عبد الله ابن رزين [٤] :

---

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدى ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرا ، وقد اتهمه والى الكوفة بأنه من الشراة ، وأنه من دعاة المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة الحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفى ابن عمار حوالى سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغانى ١١/٣٦٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدى من مراجع .

(٢) تدوى : تمرض ، وانظر البيتين فى المثل والمحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٣/٩٦ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر الأبيات فى الصفحة التالية فى الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف فى الترتيب فى عيون الأخبار ٣/٨١ ، ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ فى العقد الفريد ٢/٣٤٧ منسوبة لابن أبى حازم ، وانظر المحاسن والأضداد ٤١ .

صاحبٍ كان لى وكنتُ لَهُ ... أشفقَ من والدٍ على ولدِ
كنا كساق تَسْعى بها قدمٌ ... أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُدِ
وكان لى مُؤْنِسًا وكنتُ له ... ليستْ بنا حاجةٌ إلى أحدِ
حتى إذا حلت الحوادثُ مِن ... سأحَتى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى
احْوَلَّ عنى وكان ينظرُ مِنْ ... عَيْنِى ويرمِى بساعدِى ويَدِى
[حتى إذا استرفدَتْ يدى يدُه ... كنت كمسترفدٍ يد الأَسَدِ][1]

وقال آخر :

وإنى لأستحيي أخى أن أبرّهُ ... قريباً وأن أجفُوهُ وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرْقَدَيْن إذ طال لَيْلِى ... وهما فى السماء مُقْترنانِ
[ابقيا كيفَ شئْتُما عن قليلٍ ... سوف تُطْوَى السّماو تفترقانِ][1]

قيل لأعرابى : لم قطعت أخاك من أبيك ؟ فقال : إنى لأقطع الفاسد من جسدى الذى هو أقرب إلىّ من أبى وأمى وأعز فقدا .

قال ابن ميّادة :

ألم تكُ فى يُمْنَى يديك جعلتَنِى ... فلا تجعلنّى بعدها فى شِمَالِكَا

(١) ساقط من م .

وقال آخر :

لا تُهِنّى بعد أن أكرمْتَنِى فشَـديدٌ عادةٌ منتزَعَهْ[1]

وقال آخر :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه لعَمْرُ أبيك إلاّ الفرْقدَانِ[2]

وقال آخر[3] :

لن يلبث القرناءُ أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونَهارُ

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

لم يك مِنْ شَـكلِى ففارقتُه والناسُ أَشْـكالٌ وَأُلّافُ[4]

وقال ابن الرومى[5] :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

---

(١) نسب البيت فى عيون الأخبار ٣/١٩٥ لأبى العيناء ، ونسب فى حماسة البحترى ٤٠٩ ، الى أنس بن أبى أنس الليثى ، وفيهما : بعد إكرامك لى ، ونسب فى زهر الآداب ١/٣٢٦ الى أبى الأسود ، وورد فى إعتاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

(٢) ورد البيت فى المؤتلف ٨٥ ، حماسة البحترى ٢٣٤ منسوبا الى حضرمى بن عامر ، ونسب الى عمرو ابن معد يكرب فى الكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

(٣) هو جرير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

(٤) فى ح : لم يك لى شكلا ، وانظر البيت فى المؤتلف والمختلف ٨٥ ، المحاسن والمساوئ ٢/٢٠٦ .

(٥) لم ترد هذه الشطرة فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

وَلَن تنظِمَ العِقْدَ الكَعَابُ لزينةٍ ... كما ينظمُ الشَّملَ الشَّتيتَ الشمائلُ[١]

وقال المُسَاحِقى :

تُزَهّدنى فى وُدّك ابنَ مُسَافِعٍ ... مودتُكَ الأرْذَالَ دون ذوِى الفَضْل

وأن شِرَار الناسِ سادُوا خيارهم ... زَمانَكَ إن الرَّذْل للزمنِ الرَّذْلِ[٢]

قال أكثم بن صيفى : أحقُّ من يَشْرَكُك فى النعمة شركاؤك فى المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإن أولَى البرايا أن تواسِيَهُ ... عندالسُّرور لمن واساك فى الحَزَنِ

إنّ الكرامَ إذا ماأسهلوا ذكروا ... من كان يألفُهُمْ فى المنزل الخشِنِ[٣]

وقال آخر :

إذا ما خليلى أسَــا مَرَّةً ... وقد كان من قبلها مُجْملاَ

شكرتُ المقدَّمَ من فعلِهِ ... ولم يُفْسِدِ الآخرُ الأوّلاَ[٤]

---

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٨ .

(٣) نسب البيتان لأبى تمام فى خاص الخاص ٩٥ ،عيون الأخبار ٣/٢٠ ، وانظرهما فى ديوانه ٣١٤ ،ونسبا للصولى ووردا فى ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ١/٢٩ ، معجم الأدباء ١/١٩٢ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق فى ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان فى العقد الفريد ٣/٢٧٧ منسوبين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ٢/٥ إلى منصور الفقيه .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندى[١] :

إنّى بحَبْلِكَ واصلٌ حَبْلِي　　وبريشِ نَبْلِك رائشٌ نَبْلِي
وشمائِلِي ما قد علمتَ وَمَا　　نبحَتْ كلابُك طارقًا مثلِي

قال عَبِيد[٢] :

لا أُلْفِيَنَّك بَعْدَ الموت تندُبُنِي　　وفى حياتِيَ مازوَّدْتنى زادِي
الخيرُ أبقَى وإنْ طال الزمانُ بهِ　　والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زَادِ

قال آخر :

وإذا تـكونُ عظيمةٌ أُدْعَى لهَا　　وإذا يحَاسُ الحيْسُ يدعى جنْدَبُ[٣]

وقال آخر :

إذا كنت تأتِى المرء تَعْرِفُ حقَّهُ　　ويجْهلُ منك الحقَّ فالتَّرْكُ[٤] أجملُ

---

(١) مضى ترجمته فيما سبق ، وانظر البيتين فى الأغانى ١/٣١٣

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص فى التمثيل والمحاضرة ٥٠ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، اللسان ١٥/٣٦٧ ، والأول فى البيان والتبيين ٣/١٠٥ فصل المقال ٢٠٥ ، الصداقة والصديق ٨١ ، وورد الثانى فى العقد الفريد ٤/٣٠ إلى النابغة ، هذا وقد فصل ناسخ النسخة ج بين البيتين بكلمتى : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات فى كثير من كتب الأدب ، واختلفت نسبته فيها . ففى حماسة البحترى ١٠٩ قال : إنه لعامر بن جوين الطائى أو منقذ بن مرة الكنانى ، وفى المؤتلف ٣٨ ، أمالى القالى ٣/٨٥ نسب لابن أحمر الكنانى أو زرافة الباهلى ، ونقلت هذه النسبة بنصها فى اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق فى هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) فى م : فالصبر .

وفى البُعْد منجاةٌ وفى الصرم راحةٌ ... وفى الأرضِ عمن لايواتيك مَرْحَل(١)

وقال آخـر :

لهُ حقٌ وليس عليه حَـقٌ ... وَمَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقاً ... عليه لأَهْلِها وهو الرسول(٢)

قال آخر :

وددتُك لمـا كان وُدُّكَ خالصاً ... وأعرضتُ لما صار نهباً مُقَسَّماَ
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤُهُ ... على كُرْهِ الوُرَّادِ أن يتهـدَّماَ(٣)

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

(٤نعـم الزمانُ زمانِى ... والشّانُ فى إخوانِى
ممن رمانِى لمّـــا ... رأى الزمانَ رمانِى٤)
لو قيل لى خـذ أماناً ... من أعظم الحـدثانِ

---

(١) ويروى : مزحل وهما بمعنى ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ١٩/٣ ، وفيها : وفى العيش منجاة وفى الهجر راحة .

(٢) نسب البيتان فى الكامل ٣٢٢/١ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا فى عيون الأخبار ٢٠/٣ بدون نسبة ، وفيهما : عليه لغيره بدل أهلها ، وفى زهر الآداب ١٢٦/١ أنهما لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى فى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب .

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٢٦/٤ ، محاضرات الأدباء ١٠٥/٢ وفيها : تبعتك لما كنت عندي ممتعا بدل الشطرة الأولى .

(٤) ساقط من ا .

لما أخـــــذت أمانًا إلا من الإخـوانِ[١]

وقال أيضاً :

وكنتَ أخِي بإخاءِ الزمانِ فلما نبا صرتَ حربًا عوانَا

وكنت أذمُّ إليك الزمانَ [٢]فأصبحت فيك أذم الزمانَا

وكنت أعدك للنائبات [٢] فها أنا أطلب منك الأمانَا[٣]

وقال آخر — وهو كُثَيِّر عَزّة[٤] :

خير إخوانك المشارك فى المرّ (م) وأين الشريك فى المرّ أينا

الذى إن حضرتَ زانك فى الحىّ (م) وإنْ غبت كان أُذْنًا وعَيْنَا

أنت فى معشرٍ إذا غبتَ عنهم بدَّلُوا كل ما يَزِينُك شَيْنَا

وإذا ما حضرتَ قالوا جميعًا : أنتَ من أكرمِ العِبادِ علينَا

وقال آخر :

لحا اللهُ وصلا إن تغيبتَ ساعةً فأنتَ وأقصى الناس فيه سواءُ

وخِلاًّ إذا لم تأتهِ بهديةٍ [٥] بدَتْ لك منـــه غَفْلةٌ وجفاءُ

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة فى العقد الفريد ٢/٣٠٨ ، وانظرها فى ديوان كثير ٢/١٩٤ .

(٥) ساقطة من ا .

وقال المُثَقّبُ العَبْدى[١] :

تُواعِدُنى مواعـدَ كاذباتٍ　　تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دُونى

فإما أن تـكونَ أخى بحقٍّ　　فيَعْرِفَ منك غَثِّى من سمينى[٢]

وإلا فاطَّرِحْنى[٣] واتخِذْنِى　　عدوًّا أتقيــكَ وَتَتَّقِينِى

فإنى لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَــالِى　　عنادَكَ ما وصلتُ بها يمينِى

إذاً لَقَطَعْتُها ولقلتُ بِينِى　　كذلك أَجْتَوِى من يَجْتَوِينِى

وقال آخر :

أُفًّا وَتُفًّا لِمنْ مودَّتُه　　إنْ زُلْتَ عنه سُوَيعَةً زالَتْ

إن مالت الريحُ هكذا وكذَا　　مَالَ مع الريح حيثما مَالَتْ[٤]

وقال صالحُ بن عبد القدّوس[٥] :

قل للذى لستُ أدرِى من تَلَوُّنِهِ　　أناصــحٌ أم على غشٍّ يُداجِينِى

---

(١) ديوانه ٢٩ .

(٢) فى عيون الأخبار ٣/٧٧ حماسة البحترى ٧٩ : فأعرف منك غثى من سمينى .

(٣) فى ديوانه وفى الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركنى ، وفى عيون الأخبار : فاجتنبنى .

(٤) انظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .

(٥) وردت أبيات صالح فى حماسة البحترى ٧٩ ، ٨٠ما عدا الأبيات٦ ، ٨ ، ٩، ١٠، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ووردت كلها فى تهذيب ابن عساكر ٣/٤٥ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة فى محاضرات الأدباء ١/١٤١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصديق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إنى لأُكثرُ مما سُمتَنى عَجَباً يد تشجُّ وأخرى منك تأسُونى
تغتابُنِى عند أقوامٍ وتمدحنى فى آخرين ، وكلٌّ عنك يأتينِى
هذان أمران شتّى الْبَوْنُ بينهماَ فاكفف ْ لسانَك عن ذَمى وتزيينِى
لو كنتُ أعلم منك الودَّ هان إذًا علىَّ بعضُ الذى أصبحتَ تولينِى
لا أسألُ الناسَ عما فى ضمائرِهمْ ما فى ضميرِى لهم من ذاك يَكفينِى
أرضَى عن المرء ما أصْفَى مودَّتَهُ وليس شىء من البغضاء يُرْضينِى
واللهِ لو كرهتْ كفّى مصاحبَتى لقلتُ إذ كرهت قُرْبى لها بِينِى
ثم انثنيتُ على الأخْرَى فقلتُ لها : إن تسْنديِنى وإلا مثلَها كونِى
لا أبتغِى وُدَّ من يبغِى مقاطعتِى ولا أَلِينُ لمن لا يبتغِى لِينِى
إنّى كذاك إذَا أمر تعرَّضَ لِى خشيتُ منه على دنياى أو دِينِى
خرجتُ منه وَعِرْضِى ما أدَنّسُهُ ولم أقم غَرَضًا للنَّذْلِ يرمينِى
رُبَّ امرئٍ أجنبيٍّ عن مُلاَطَفتِى مَحْضِ المودّةِ فى البلوى يواسينِى
ومُلْطفٍ بى مدارٍ ذى مكاشرة مُغْضٍ على وَغَرٍ فى الصدرِ مكنونِ
ليس الصَّديقُ الذى تُخشى بوادره ولا العدو على حال بمأمونِ
يَلُومُنى الناسُ فيما لو أخبِّرُهم بالعُذْر منّى فيه لم يلومونى

وقال آخر :

لسانُك معسُولٌ ونفسُك شحَّةٌ ... ودون الثريا من صديقكَ ما لَكاَ

وقال آخر :

بنو عَبْسٍ أشدُّ الناس بغضاً ... لنا وأشدُّهم بغضا إلَيْنَا
فلا تقبلْ شهادتَنَا عليهم ... ولا تقبلْ شهادتَهُم علينَاَ

قال لقمان لابنه : ثلاثةٌ لا يُعرفون إلاّ فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَفُ الحليمُ إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلّا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلُها متاع ، وكثيرها بَوار ، فلا تَسرّنّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخيارًا .

قال أسماء بن خارجة : إذا قَدُمَت المودةُ سَمُج الثناء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عَنْ صَا ... حبِكَ الدهرَ أخُوهْ
فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجك فُوهْ
لو رأى الناس نبيًّا ... سائلاً ما رحموهْ[1]

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصلوه بدل ما رحموه .

وقال سويدُ بن مَنْجُوف :

فأبلغْ مُصْعبا عنى رسـولا ... وهل تجدُ النصيح بكل وادِ
تعلَّمْ أن أكثرَ من تناجى ... وإن ضَحِكُوا إليك هم الأعادِى

وقال آخر :

لَعَمْرك ما وُدّ اللّسانِ بنافعٍ ... إذا لم يكن أصْلُ المودّة فى القلبِ[1]

كان يقال : تناس مساوئ الإخوان ، يَدُمْ لك ودّهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو ... م بجهله وسط السّباخْ
ومحضّناً بيضَ القطاَ ... تحت الحِدَا الرجا الفِراخْ
إن الذين تودّهم ... هم ناصبُو شبك الفخاخْ
ذهب الزّمانُ بأهله ... فانظر لنفسك من تُؤاخْ[2]

وقال عَبْدَةُ بن الطَّبيب :

إن الذين تَرَوْنَهم إخْوَانَكمُ ... يشفي صُدَاعَ رُءوسهم أن تُصْرَعُوا

(١) البيت فى عيون الأخبار ٣/٧٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٢ ، وفيه : فى الصدر بدل القلب .
(٢) وردت أبيات قريبة من هذه فى ديوان أبى نواس ١٥٤ هى :

يا واضعا بيض القطا ... تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها ... لم تخل من فقر الصماخ
فسد الخلائق كلهم ... فانظر لنفسك من تؤاخ

فَضَلَتْ عداوتُهم على أحْلامِهم ... وأبَتْ ضباب صدورهم ما تُنْزَعُ
لا تأمَنُوا قومًا يشُبُّ صبيهم ... بين القَوابِلِ بالعداوةِ يرضَعُ[١]

قال لقمان لابنه : يابنى ! إياك وصاحبَ السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العَبْدى[٢] :

وصاحب السَّوْءِ كالدَّاء العَياء إذا ... ما ارفضَّ فى الجوف يجْرى هاهُنا وهُنا[٣]
يُنبى ويُخبرُ عن عَوْرَاتِ صَاحِبِه ... وما رأى عنده من صالحٍ دَفَنا[٤]
كمهر سَوْء إذا رَفَّعتَ سيرَتَهُ ... رام الجِمَاحَ وان أخفضته حَرَنا[٥]
إن يحْىَ ذاك فكن منه بمعزلةٍ ... أو مات ذاك فلا تقرب له جَنَنا[٦]

ولقعنب بن أم صاحبٍ ، وهو قعنب بن حمزة ، أحد بنى عبد الله بن غَطَفان ، يهجو بنى ضبة — حىّ من غطفان —[٧] :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به ... وإن ذُكرت بسُوء عندهم أذِنُوا

(١) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٢/٢١ ، حماسة البحترى ٢٤١ .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت فى أمالى القالى ٢/١٨٢ إلى رافع بن إبراهيم اليربوعى ، ونسبت فى البيان والتبيين ٣/١٣٩ إلى المقنع الكندى .
(٣) ورد هذا البيت فى نسخة ح على هيئة كلام نثرى . والرواية فى الأمالى الغميض بدل العياء .
(٤) فى ا : يفتى بدل ينبى ، وفى الأمالى : يبدى ويظهر .. وما رأى من فعال صالح ... الخ .
(٥) فى ا : راحت مسيرته بدل رفعت سيرته ، وفى الأمالى : سكنت بدل رفعت ، ورفعته بدل أخفضته .
(٦) الجنن : القبر ، والرواية فى الأمالى : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .
(٧) ساقط من ا وانظر الأبيات التالية فى حماسة أبى تمام ٢/١٧٩ ، عيون الأخبار ٣/٨٤ .

فَطَانَة فطنوها لو تكونُ لَهُمْ   مروءةٌ أو تُقَى للهِ ما فَطِنُوا
إن يسمعوا سَيِّئًا طارُوا به فَرَحًا   مِنِّى ، وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا
جَهلا عَلَيْنا وَجُبْنًا عن عدوهمُ   لبئست الخَلَّتَان الجهلُ والجبُنُ
فلن يراجعَ وُدّى ودهم أبدا   وكنت من بغضهم مثل الذى زكنوا(١)

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخًا فى الله فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه أحدًا ، فربما صادفتَ له عدوًّا فأخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وصِلْهُ ما استقامَ الوصلُ منه   ولا تسمعْ به قِيلاً وقالاً(٢)

قال محمود الوراق :

لستُ ممن يمَاذِقُ الصاحب الـ   ـود إذا أظهر الجفاء الصريحاَ
أنا أنهاه ما استطعتُ فإنْ لَـ   ـجّ أعرتُ الفؤاد يأسا مُريحاَ
غير أنى على القطيعة لا أظـ   ـهر هُجْرًا ولا أقول قبيحاَ

---

(١) زكنوا : ظنوا عن يقين ، ويروى : قلبى بدل ودى ، وأمرهم بدل بغضهم .
(٢) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

بابُ العِتَـــاب

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أعقلَ الناس أعذرُهم لهم .

قال الأحنف : العتابُ مفتاح التّقالى ، والعتاب قرينُ الحقد .

وعن الأصمعىّ قال : قال أعرابى : عاتبْ من ترجو رجوعَه .

قال بعض الحكماء : العتاب علامة الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصد الجفاء[1] .

قال العتابى : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشّانى .

قال بعض الحكماء : من كثر حقده قلّ عتابه .

قال محمدُ بن داود : من لم يعاتب على الزَّلة ، فليس بحافظٍ للخَلّة .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملال .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفَطِنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذره ، وليقلّ عتابه ؛ فإن العتاب يجرُّ الملال[2] .

---

(١) فى ا : صلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) فى ح : بجر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرُو بن بحر : العتابُ رائد الإنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرِّياشي ، وهي لهشام الرقاشي[1] :

أبلغ أبا مِسْمَعٍ عـنى مُغَلْغَلَةً ... وفى العتاب حياةٌ بين أقوامِ[2]
قدَّمت قبـلى رجالا لم يكن لهمُ ... فى الحق أن يلجوا الأبواب قُدّامِى[3]
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرمَهم ... قبرًا ، وأبعدَهم من منزل الذّامِ[4]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعاتبُ من يحلو بقلبى عتابُه ... وأتركُ من لا أشتهى ، لا أعاتِبُهْ

وقال آخر :

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعًا ... إذا لم يـكنْ للمرء لُبٌّ يعاتبُه[5]

---

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشى فى البيان والتبيين ٣/٣٧٤ ، العقد الفريد ١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزمانى فى معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حماسة أبى تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبى القمقام الأسدى فى عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . والرواية فى العيون : أبا مالك بدل أبا مسمع .

(٣) رواية الحماسة : قوماً بدل رجالا . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت فى المراجع ، فقد وردت كما هنا فى البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففى العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقربهم قربى . وفى العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتا ، وفى الحماسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتا ... الخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت فى كل الأمور معاتبا ، انظره فى ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر :

أعاتبُ من أحببتُ فى كلِّ زَلَّةٍ ... ليحتمىَ الأمرَ الذى معه العَتْبْ

فإنى أرى التأديب عند وجوبه ... بمنزلة الغَيْث الذى قبله الْجَدَبْ(١)

وقال على بن الجهم :

أعاتبُ ذَا المودَّة من صديقٍ ... إذا ما رَابنى منه اجتنابُ

إذا ذهبَ العتابُ فليس وُدٌّ ... ويبقى الوُدُّ ما بقى العتابُ(٢)

وقال آخر :

لولا محبتكُمُ لما عاتبتكُمْ ... ولكنتمُ عندى كبعضِ الناسِ(٣)

وقال نصرُ بن أحمد :

وتعاتُبُ الإخوان فيما بينهم ... بعثٌ على الإجلالِ والإكرامِ

لولاَ اعترافى باعترافكِ فى الّذى ... تأتى وَتَتْرُكُ ما أتاكَ مَلاَمِى

وهذا يشبه قول البحترى(٤) :

أباحَسَنٍ ما كان عَتْبِيكَ دُونَهُم ... لواحـــدةٍ إلاّ لأنك تَفْهَمُ

---

(١) فى ا : فإنى رأيت العتب ، وانظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ .

(٢) انظر البيتين فى ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت فى وفيات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه فى ديوانه .

(٤) ديوانه ٢/١٤٦ .

وقال نصر بن أحمد :

إنْ كان لفظى كريها فاصْطَبِرْ فَعَلَى ... كُره العلاج يُصحُّ الله أبدانا
لولا العوارضُ ما طاب العتابُ لنا ... لولا قِصَارَتُنا للثــوب ما زانا(١)
إنى أعاتب إخـوانى وهم ثقتى ... طورًا وقدتُصْقَل(٢)الأسياف أحيانا
هى الذنوب إذا ما كُشِّفَت دَرَسَتْ ... من القلوب وإلا صِرْنَ أضغانا

وقال ابنُ وكيع :

عتابى أخى فى كل ذنب أتى به ... مخوفٌ على حاَل الأُخوة فى الودِّ
ولستُ أرى وجهًا لترك عتابِهِ ... على ما جنى إذْ كان خيرًا من الحقد

وقال ابن بَسّام :

عاتبْ أخاكَ إذا هَفَا ... واعطفْ بودِّك واستعدْهُ
وإذا أتاك بغيبــــهِ ... واشٍ فقــلْ لم يعتمدْهُ
من ناقَشَ الإخـوانَ لم ... يُبْدِ العتابَ ولم يُعِدهُ

وقال محمد بن أبى حازم :

خــلِّ عنك العتابَ إن ... خانَ ذو الوُدّ أوْ هَفَـا

---

(١) قصارة الثوب : غسله وتبييضه .
(٢) فى ا : تقتل .

عينُ من لا يُحبُّ وَصْـ لَكَ تُبْدى لك الجَفَا[١]

وقال بشار العقيلى :

إذا كنتَ فى كلّ الأمور معاتباً صـديقَك لم تلق الذى لا تُعاتبُهْ

فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه مُقَارف ذنب مرة ومجانبُهْ

إذا أنت لم تشربْ مرارًا على القَذَى ظمِئْتَ وأى الناس تصفو مشاربُهْ[٢]

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْـ ـصِ وإلاّ لم تستقم لك خُـلَّهْ

عش وحيدًا إن كنت لا تقبل العُذْ رَ وإنْ كنتَ لا تجاوزُ زَلّهْ[٣]

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا لَكَ لا تـكن جَمّ المعايبْ

إن الـكثير عتـابُهُ الْـ إخوانَ ليس لهم بصاحبْ

وقال أحمدُ بن يوسف[٤] :

رأيتُكَ لا تميلُ إلى صـوابٍ ولا ترضَى الصوابَ من الجوابِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١١٠ ، العقد الفريد ٣/١٣٤ ، والثانى فى فصل المقال ٣٨٤ .

(٢) الأبيات فى الديوان ١/٢٠٩ .

(٣) البيتان لأبى العتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الـكتاب ، ولى ديوان الرسائل للمأمون ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحا قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ، لوزراء والـكتاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركُك ما يَريبُكَ فى كثيرٍ أحفُّ عليك من طولِ العتابِ

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليلىّ لو كان الزمانُ مساعدِى وعاَتبْتُمانِى لم يضقْ عنكما صَدْرِى
فأمّا إذا كان الزمانُ معانِدِى فما لكما أن تؤذيانى مع الدهرِ

وقال آخر :

إن الظَّنِينَ من الإخوان يُبْرِمُه طولُ العتاب وتُغْنيه المعاذيرُ
وذو الصفاء إذا مسّته معتبةٌ كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ

وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نِفْطَوَيْهِ :

وكم من مُليم لم يُصِب بمَلامةٍ ومُتَّبع بالذَّنْب ليس له ذنبُ
وكم من محبّ صد من غير بِغْضةٍ وان لم يكن فى وُدّ خُلّته عَتْبُ(١)

وقال أبو العباس الناشئ :

ولست معاتبًا خِــــلاًّ لِأَنِّى رأيتُ العتبَ يُغْرِى بالعُقُوقِ
ولو أنى أُوَقِّفُ لى صـــديقًا على ذنبٍ بقِيتُ بلا صديق

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/١٦ .

وله :

إنى ليهجُرنى الصديقُ تجنّيًا   فأريه أن لهجره أسْبابَا
وأخاف إن عاتبتُه أغريته   فأرى له تركَ العتاب عتابَا(١)

وقال آخر :

عتبت علىَّ ولا ذنبَ لِى   بما الذنبُ فيه بلا شكَّ لَكْ
وحاذرتَ لومى فبــادرتنى   إلى اللَّوْم من قبلِ أن أدّرِكْ(٢)
فكنّا كما قيــل فيما مَضَى   خُذِ اللّص من قبلِ أن يأخذَكْ(٣)

---

(١) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/٥٣ .
(٢) فى ا . وبادرت بدل حاذرت ، وفى العيون : قبل أن أبدرك .
(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٠٨ .

بابُ الثُّقَلاء والطُّفَيْليِّين

سئل جعفرُ بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ، ولكن يكون ثقيلا .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السَّختياني[1] : لِمَ[2] لَمْ تكتبْ عن طاووس[3] ؟ قال : أتيتُه فوجدته بين ثقيلين ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق[4] ، وليث بن أبي سليم[5] .

---

(١) هو أيوب بن (أبي تميمة) كيسان السختياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من النساك الزهاد ، ومن أجل حفاظ الحديث الثقات . توفي سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، اللباب ٥٣٦/١ .

(٢) في ا : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الخولاني ، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفا في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده ونشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفي حاجا بالمزدلفة أومنى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام ٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين الكنيتين) قيس ويقال طارق، وعبدالكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : مارأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبدالكريم أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سألنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .

وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : مجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب ٣٧٦/٦ وما بعدها .

(٥) ابن زنيم القرشي ، مولاهم ، روى عن طاووس ومجاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه إنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد مثل ليث ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه ولينه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٦٥/٨ وما بعدها .

قال الحسن البصرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُم فَانْتَشِرُوا ﴾[١] ، قال : نزلت فى الثقلاء .

وقال السّرىّ[٢] : ذكر الله تعالى الثقلاء فى القرآن ، فى قوله : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة[٣] : كنا عند الأعمش[٤] ، فجاء زائدة بن قدامة[٥] ، فقال الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحملُه ميّتًا بأثقلَ من بعض جُلاَّسِنا [٦]

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللّهم اغفر لنا وله ، وَأَرِحْنا منه . رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن إياس الشيبانى ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفى حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٤٦١ .

(٣) الكوفى ، حماد بن سلمة بن زيد القرشي ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأمور الناس وأخبار أهل الكوفة ، توفى سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٢ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض ، توفى ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٦/٢٣٨ .

(٥) الثقفى ، أبو الصلت الكوفى ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا فى أرض الروم سنة ١٦١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠ .

(٦) البيت فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

[كان حمّادُ بن سَلمة[١] إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُون ﴾[٢] .

وعن حمّاد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم فى البستان من الثقل][٣] .

كان يقال . مجالسة الثقيل حُمّى الروح .

قيل لأبى عمرو الشيبانى : لأىّ شىء يكون الثقيل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الثقيل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفةُ الهند يقولون : النظرُ إلى الثقيل يورث موت الفجأة .

قال ثقيل لمريض : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يثقل عليك ، لعدتك كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك علىّ لثقيل وأنت فى بيتك ، فكيف إذا عُدتنى ؟

قال مَعْمَر[٤] : ما بقى من لذّاتِ الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثةَ الإخوان ، وحكّ الجرب ،

---

(١) ابن دينار البصرى ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله فى الفضل والعلم والصلابة فى السنة والقمع لأهل البدع ، توفى سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/١٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ابن راشد بن أبى عمرو الأزدى ، أبو عروة ، فقيه حافظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقمةَ فى الثقلاء ، وهى أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزّاق عن مَعْمر ، قال : ما بقىَ من لذّات الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكلَ القديد ، وحكّ الجرب . وأزيدكم واحـدة : الوقيمة فى الثقلاء ، وأنشد :

ليتنى كنتُ ساعةً مَلَكَ المَوْ تِ فأفنى الثّقال حتى يَبيدوا

قال : وسمعت مَعْمرا يقول : رحم الله عبدَ الكريم أبا أمية ، إن كان لثقيلا غير ثقة .

قيل لأبى النضر[1] : لم تـكثر عن شُعبة[2] ؟ قال : كان يستثقلُنى ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشتملٌ بالبغضِ لا تَنثنى إليـه طوعاً مُقْـلَةُ الرّامِقِ

=اليمن ولما أراد العودة كره أهل صنعاء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخى الحديث أول من صنف باليمن ، توفى سنة ١٥٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠ (الأعلام ١٩٠/٨) .

(١) البغدادى ، هاشم بن القاسم بن مسلم الليثى الحافظ ، سمع من شعبة جميع ماأملى ببغداد ، وهو أربعة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنـكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٩/١٨/١١ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العتـكى ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودرايةوتثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفى ، قال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هـذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ ، انظر تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ (الأعلام ٢٤٢/٣) .

يظلُّ في مجلسنا قاعـــدًا أثقلَ من واشٍ على عاشقِ (١)

كان الأعمشُ إذا قام من مجلسه ثقيلٌ يتمثل :

إن غاب عنك ثقيلُ كلِّ قبيلةٍ ممن يَشُوبُ حديثه بمِرَاء

فهناك طابَ لكَ الحديثُ وإنما طيبُ الحديثِ بخفة الجُلَساء (٢)

وقال آخر :

إنى أجالسُ مَعْشرًا نَوْكَى أخفُّهمُ ثقيلُ

قوم إذا جالستهـــمُ صَدِئتْ بقربهمُ العقولُ

لا يفقهون مقـــالتى ويَدِقُّ عنهم ما أقولُ (٣)

وقال آخر :

إذا جلس الثقيلُ إليك يومًا أتتك عُقوبةٌ من كل بابِ

فهل لك يا ثقيل إلى خِصالٍ تنالُ ببعضها كرمَ المآبِ

إلى مالى فتأخـذه جميعًا أحلَّ لديك من ماء السَّحابِ

وتنتف لحيتى وتدقّ أنفى وما فى فىّ من ضِرْسٍ ونابِ

---

(١) البيتان فى زهر الآداب ٢/١٣٦ ، وفيه : لحظا بدل طوعا .

(٢) فى ا : لخفة الثقلاء .

(٣) نسبت الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ للشمي ، وانظرها فى عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألاّ أراك ولا تراني مقاطعةً إلى يومِ الحسابِ(١)

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وبيل .

قال عبدِ الأعلى بن مُسْهِر(٢) : كان نقش خاتم أبي : « أبرمتَ فقُم » فكان إذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مُسْهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى : كان نقش خاتم أبيك . . . فذكر الخبر(٣) .

سَلّم ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القارىء(٤) صاحبِ هرون ، فقال له : يا هـذا ! قد — والله — بلغتَ مني غاية الأذى ، أسْلِفْني ســلامَ شهر وأرحني منك .

قال معْمر : كنت جالسًا مع سماك بن الفضـل(٥) في مجلس بصنعاء ، فدخل

---

(١) في ا : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الغساني الدمشقي ، من حفاظ الحديث ويعد شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فمكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٦/٨ ، تاريخ بغداد ١١/٧٢ (الأعلام ٤/٤٢) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ١/٣٣٤ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووسا نقش على خاتمه : « أبرمت فقم » ، فإذا استثقل رجلا دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القاري المدني ، عده ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١/١٣٤ .

(٥) سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٣٥ .

علينا صاحبٌ له ثقيل فلمّا جلس قال لى سماك : يا مَعْمر ! تعال حتى ندعوَ على كل ثقيل بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت يا هذا ثقيل وثقيلٌ وثقيلْ
أنت فى المنظر إنسانٌ وفى الميزان فيلْ[1]

وقال ابن أبى أمية[2] :

شهدت الرقاشى فى مجلس وكان إلى بغيضاً مقيتَا
قال : اقترحْ بعضَ ما تشتهى فقلت:اقترحتُ عليك السكوتَا

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر على الجليس السوء ؛ فإنه لا يكاد يخطئك .

قال الهيثم بن عدىّ : كنت يوماً عند مِسْعَر بن كِدام ، فأتاه رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلة العبدى ، فقال له مِسْعر : مالك ياابن مصقلة ؟ قال : صريع فالوذج . قال : وأين ؟ قال : عند من قضى أبوه فى الجماعة[3] ، وحكّم فى الفرقة .

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

وقد ورد البيتان بهذه النسبة فى البيان والتبيين ١/٣٧٩ ، ونسبا إلى أبى نواس فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ ، وقد وردا فى ديوانه ٣١٢ .

(٣) ا : فى الحماقة ، وهو يقصد بهذه العبارة أبا موسى الأشعرى ، فقد كان قاضى الكوفة فى عهد على ، وأنابه فى قضية التحكيم المشهورة بينه وبين معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى(١) ، فأتينا بخوان كجوبة من الأرض ، وأتينا برُقاق كآذانِ الفِيَلة ، وجَرْجِيرٍ كآذان المعزى ، ثم أتينا بساكبة الماء كأن ظهرَها ظهرُ طائرٍ قيراطىّ ، ثم أتينا بفالوذج عديد ، كأنّ الزئبق والجادى(٢) ينبعان من خلاله ، يُرى نقش الدرهم من تحته ، فوُضع على رأس حُبّ(٣) فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيليًّا . فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلىّ إلا أنهم يتكاتمون ، فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى هذا وكيف يمشى ؟ ! لو كان أبوه جدع أنف(٤) عمرو بن العاص مازاد على هذا .

---

(١) الراجح أنه بلال بن عامر بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف : الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث فى بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فإما أن يكون زيادة من الناسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك فى نفس الخبر : الحارث ، وإما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسما آخر هو الوليد ، وإما أن يكون هناك ابن آخر للحارث أو عامر بن أبى بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبى بردة . وذلك لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١٥٢ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ وهو زمن بعيد لحدوث هذه القصة نوعا ، السبب الثانى أن بلال هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : الكرم وخفة العقل أو النزق ، أما الأولى فهو ممدوح ذى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالكرم سائرة مشهورة وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم تحمد سيرته ، وكان يقول : إنى ليأتينى الخصمان فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضيا . وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسما آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من الخبر سهواً إما من المؤلف أو من الناسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرة العظيمة ولعل المعنى أنهم فى لذة من أكل الفالوذج وعلى يقين من أنهم سيشربون ما فى الحب من شراب .

(٤) فى ا : جد عمرو بن العاص .

قال له مِسْعر : أُجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره[١] .

وقال حبيب بن أوس[٢] :

يا مَنْ تبرَّمَتِ الدُّنيا بطلعتِهِ   كما تبرَّمتِ الأجفانُ بالسَّهَدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه   لبُغْض طلعته يمشى على كبدى

وقال آخر :

لخَرْطُ قتادةٍ ولحمــلُ فيلِ   وماءُ البحرِ يغرفُ فى زَبِيــلِ[٣]
وفكُّ الماضِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ   لأهــونُ من مجالسةِ الثقيــلِ

ولأبى الحسن علىّ بن العبّاس الرُّومى :

ولى أصدقاءُ كَثيرو السَّلَامِ   عَلَىَّ وما فيهــمُ نافعُ
إذا أنا أَدْلَجْتُ فى حاجـةٍ   لها مطلبٌ نازحٌ شاسِـعُ
فَلِى أبدًا معهـمُ وقفـةٌ   وتسليمـةٌ وَقْـتُهَـا ضائعُ
وفى موقفِ المرءِ عن حاجةٍ   يُتَمِّمُهَا شـاغلٌ قاطـعُ
ترى كلَّ غثٍّ كثيرِ الفُضولِ   وَمُصْحَفُهُ مصحـفٌ جامعُ

(١) فى ا : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .
(٢) ديوانه ٥٢ ، معجم الأدباء٦/٢٦٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفى الديوان مجتازا بدل مختالا .
(٣) الزبيل : القفة أو الوعاء .

يقولُ الضميرُ إذا ما بدا : ألا قُبِّح الرجلُ الطَّالعُ
يحدِّثنى من أحاديثه بما لا يلذُّ به السَّامعُ
أحاديث هنَّ مثال الضَّريع فآكلُهُ أبدًا جائعُ
غدوتُ وفى الوقت لى فسحةٌ فضاقَ بِىَ المنهلُ الواسعُ
تقدّمتُ فاعتاقنى أسْرُهُ إلى أن تقدَّمَنِى التابعُ
وقالت بلُقْيَانِهِ حاجتِى : ألاَ هكذا النكدُ البارعُ
أولئك لاحيُّهم مؤنِسٌ صديقاً ولا ميتُهُمْ فاجعُ

دق طفيلىٌّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا الذى كفاكم مؤونة الرّسُول .

لطفيلىّ :

نحنُ قومٌ إذا دُعينا أَجَبْنَا ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التَّطفيلُ
فنقُلْ : عَلَّنا دُعِينَا فغبْنَا أو أتانَا فلم يجدْنا الرَّسُولُ[1]

دخل طفيلىٌّ دارَ قوم بغير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار فى القول ، فأغلظ له الطفيلىُّ فى الجواب ، وقال : والله لئن قمتُ لأدخِلَنّك من حيث خرجت .

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٢ ، العقد الفريد ٦/٢١٢ ، وفيهما . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجُك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بن مازِن ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوما : من عبد الرَّزّاقِ ابن هَمَّام الصنعانى[1] ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبنى فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتى ، وطول عنق بغلتى . فضحك هرون ، فما خرجتُ من عنده حتى أمر لى بكسوة وحملان .

ولطفيلىّ[2] :

كل يوم أَدُور فى عَرْصَةِ الْحَـــىّ أشم القُتَار شمَّ الذُّبابِ[3]
فإذا ما رأيت نار عَرُوسٍ أو خِتَانًا أو دعوةً لصحابِ[4]

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، مولاهم ، أبو بكر الصنعانى ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبى : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٣٠٣ (الأعلام ٤/١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية فى العقد الفريد ٦/٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها فى كتاب التطفيل ٣٥، ٤٠ .

(٣) فى العقد والتطفيل ٣٥ : فى عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .

(٤) فى العقد : آثار عرس أو دخانا .

لم أعرّج دون التقحّمِ لاَ أَرْهـ ـبُ شتماً ووكزةِ البوابِ[(١)]
مستخفّا بمن دخلتُ عليهم غـير مُستـأذِنٍ ولا هيّابِ
فتراني ألفَّ بالرغم منهم كلَّ ماقدَّمُوا كَلفٌ العُقابِ
[(٢)] ذاك أهنـا من الغـرم وغيظِ البقالِ والقصابِ [(٢)]

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتآمر على ربّ البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتمامها فى جامع النوادر من هذا الكتاب .

---

(١) فى العقد : لا أرهب طعنا ولكزة البواب .
(٢) ساقط من ح .

بابُ الشَّماتة

قال الله عزّ وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ، ولا تَجْعَلْنِي مع القومِ الظَّالمين ﴾[1] .

وقيل لأيُّوب عليه السّلام : أيّ شيء من بلائك كان أشدّ عليك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة وحضرموت ، وخَضَبْن أيديَهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ، فقال شاعر منهم :

أَبْلغ أبَا بكر إذا ما جئتَهُ أن البَغَايَاَ رُمْن شرَّ مرام
أظهرْنَ من موت النبيّ شماتةً وخَضَبْن أيديهن بالعَنّام[2]
فاقطعْ هُدِيتَ أكفَّهن بصارمٍ كالبرقِ أومض فى متون غمام[3]

قال النبي عليه السلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيَه الله ويبتليك » .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بنان معنم أى مخضوب ، والرواية فى عيون الأخبار : بالعلام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات فى عيون الأخبار ٣/١١٦ ، وبقيته فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطع أيديهن .

من مُنْتقى الدعاء : اللّهم اجعل رزقي رَغَدا ، ولا تشمتْ بِىَ أحدا .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن جَهْدِ البلاء ، ومن شماتةِ الأعداء» .

قال عدىُّ بن زيد العبادى[١] :

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهْـ ... ـر أأنت المبرأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدَ الوثيق من الأيّـ ... ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنون خَلّدْنَ أمْ مَنْ ... ذا عليه من أَلاَّ يُضَام خفيرُ[٢]

وقال أبو ذؤيب :

وتجلُّدِى للشَّامِتِين أُرِيهِم ... أنّى لريب الدَّهْر لا أتضعْضَعُ[٣]

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهبَ بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعى [٤] بالموت ، أظنّه قال فى سجوده ، فذكرتُ ذلك للشافعى رحمه الله [٤] ، فتمثل :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة فى معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحترى ١٢٢ ، عيون الأخبار ٣/١١٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٢٢٤ .

(٢) فى العيون : أم بدل بل فى البيت الثانى ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين ١/٣ .

(٤) ساقط من ١ .

فقُل للذى يبغى خلافَ الذى مضى تهيّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قدِ[١]

قال محمدُ : فمات الشافعى رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكا ، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ، واشتريت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب[٢] ، والبيتان الذى تمثل بهما الشافعى لطرفة .

قال مهلهل :

كأن الشامتين بقبر جَدّى على مُلْكِ الخورنق والسّديرِ
كأن رماحنا فينا وفيهم إذا ما أَشرعت أشطان بيرِ

وقال العَلاء بن قَرَظَة ، خال الفرزدق :

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أناسٍ حوادثَهُ أناخَ بآخـــرينا
فقل للشَّامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا[٣]

وقال نصيب :

أتصرِمُنى عنـد الألى هُمْ لَنا العِدَا فتُشْمِتَهُمْ بى أم تَدومُ على العَهـدِ[٤]

---

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه فى وفيات الأعيان ١/٢١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعثر عليهما فى ديوانه ، ونسبا فى حماسة البحترى ١٤٩ ، ١٥٠ لمالك بن عمر الأسدى ، وانظرهما بالنسبة التى هنا فى العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره فى الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عديّ بن زيد ، وتمثّل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلـكْنا وهل بالموت يا للنّاسِ عارُ

عبد الله بن أبى عيينة :

كلُّ المصائب قد تمرُّ عَلَى الفتَى فتهونُ غـــيرَ شماتةِ الحُسّـادِ [١]

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسَرّ بموتِى إذا أتاه البشـيرُ
إن البشيرَ بمَوْتِى — فلا تُسَرَّ — نذيرُ
واسمعْ فما أنت ممن تَخْفى عليـه الأمورُ
أليْسَ من كانَ مِثلى إلى مصـيرى يصيرُ

وله :

أيُّها الْمُظْهِر الشَّمَا تَة إن متُّ قبـلَهْ
عَنْ قليلٍ يصيرُ مثْ لِيَ مَنْ كنتُ مثلَه

وله :

يا شامتينَ بمصْرَعِى اليومُ لى ولكم غَدُ

---

(١) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

وله :

يا شامتًا بى إنْ هلكت ... لكلّ حىٍّ مدًى ووقتُ
وللمنـــــايا وإن تراخت ... فى السير ـ ياذا الشمات ـ بَغْتُ[1]
وأنتَ فى قبضةِ الليالى ... تخافُ منها الذى أمنتُ
والكأسُ مَلأَى فَمَن قريبٍ ... تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المهنِّياتِ ... وبين يوم المُعَزِّياتِ
وإن توهمتَه طويلا ... إلاّ كما بين هاَ وهاتِ

ومما يُنسب لابن المبارك — وليست له — وإنما هى للمبارك الطبرى :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حسدٍ ... أو اغتمام صديق كان يرجونى
لما طلبت من الدنيا مراتبها ... ولا بذلت لها عرضى ولا دينى[2]

وقال آخر :

فمن يكُ عنى سائلا لشماتةٍ ... بما نالنى أو شامتاً غيرَ سائلِ

---

(١) فى ا : الدهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى العقد الفريد ٣/١٩ بدون نسبة .

فقد أبرزتْ منى الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ صبورًا على ضراء تلك الزلازلِ
إذا سُرّ لم يفرحْ وليس لِنكبةٍ إذا نزلت بالخاشِعِ المتضائِلِ

لأعرابىّ وقد أُغيرَ على إبله :

لاَ — والذى أنا عبدٌ فى عبادته — لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى إحَنِ
ما سرنى أن إبلى فى مَبَارِكِهاَ وأن شيئاً قضاهُ الله لم يكنِ[1]

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، العقد الفريد ٣/٤٢٩ ، الصداقة والصديق ٩٤ ، البيان والتبيين ٣/٢١٤ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدنى أو الشماتة فى قوم ذوى إحن

باب مؤاخاةِ من ليس على دينك

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « المرءُ على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالل » . وهذا معناه — والله أعلم — [1] أن المرء[1] يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحَبَ إلاّ من يرى منه ما يحلّ ويجمُل ، فإن الخير عادة . وفى معنى[1] هذا الحديث قولُ عدىّ بن زيد :

عن المرءِ لا تسألْ وسل عن قرينِهِ   فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ مُقْتَدِى

وقول أبى العتاهية :

من ذا الذى يَخْفَى عَلَيْـ   ـكَ إذا نظرتَ إلى خَدِينِهْ

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى فى ذلك : ألا يخالط[2] الإنسانُ من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يُؤمَنُ منه ذلك فلا حرج فى صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لى فرعونُ خيرًا لرددت عليه مقاله .

قال الله عزّ وجل : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحَيُّوا بأحسَنَ منها أَوْ رُدُّوهَا ﴾[3]

---

(1) ساقط من حـ .

(2) فى ا : أن يخالط .

(3) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١) وجاء فى التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة (١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولينى خيرًا فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلّم علىّ أفأردّ عليه ؟ قال : نعم .

وأما ما رُوى عن النبى صلّى الله عليه وسلم ، أنه قال فى أهل الذّمة : « لا تبدءوهم بالسّلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطرّوهم إلى أَضْيَقه » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلّهم . قال بشير : فقلت : أترى أن يُبدَءوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تتخذُوا عَدوِّى وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ ﴾(٢) .

وقال مالك : أَكرهُ مُؤاكلةَ أهل الذمة ، لأن المؤاكلة تُوجب المودة .

وقد رُوى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدءون بالسلام كل من لقوهُ(٣) من مسلم أو ذمىّ . فالمعنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يَبدأ المسلمُ المارُّ القاعدَ الذمىَّ ، والراكبُ المسلمُ الذمىَّ الماشِى ، كما يجب ذلك بالسُّنَّة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

---

(١) ساقط من ح .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١ .

(٣) فى ح : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : «ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام» بدليل ماروى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمامة الباهلى[١] يسلم على كل من لقى من مسلم وذمىّ ، ويقول : هى تحيةٌ لأهل ملّتِنا ، وأمانٌ لأهل ذمّتِنا ، واسم من أسماء الله نفشيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمامة السُّنَّة ، لو صحت فى ذلك . بل المعنى على تأويلنا[٢] — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوهها .

ذكر ابن أبى شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهانى ، وشرحبيل بن مسلم ، عن أبى أمامة ، أنه كان لا يمرُّ بمسلمٍ ولا بيهودىّ ولا بنصرانى إلاّ بدأه بالسلام .

ورُوى عن ابن مسعود وأبى الدّرداء ، وفُضَالة بن عُبَيد[٣] ، أنهم[٤] كانوا يبدءون أهل الذمّة بالسّلام .

وقال ابن مسعود : إنّ من التواضُعِ أن تبدأ بالسَّلام كلَّ من لَقِيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السّلام عليك .

---

(١) هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلى ، أبو أمامة ، صحابى جليل ، كان مع على رضى الله عنه فى صفين ثم سكن الشام فتوفى بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٤٠ ، (الأعلام ٣/٢٩١)

(٢) فى ا : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافذ بن قيس الأنصارى الأوسى ، صحابى من الذين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك فى فتح الشام ومصر ، ثم ولاه معاوية قضاء الشام ، وتوفى بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩٤ ، تهذيب التهذيب ٨/٢٦٧ .

(٤) ساقط من جـ .

وسُئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصرانى ، فقال : أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[١] .

وقيل لمحمد بن كعب القُرَظى : إن عمر بن عبد العزيز سُئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمّد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾[٢] .

ومن حُجّةِ من ذهب إلى هذا قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ﴾[٣] الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز فى ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبى إسحاق ، قال : كان يقال : من الحمق[٤] أن تؤا كل غيرَ أهلِ دينك .

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٤) فى ا : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأسَدِىّ[١] :

كأن لم يكن بالقَصْرِ قَصْرِ مُقَاتِل وزورةَ ظلٌّ ناعمٌ وصـديقُ
وإنّى وإن كانوا نصارى أُحِبُّهُمْ ويرتاحُ قلبى نحوهم ويَتُوقُ

ولبعضهم فى مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقيشر الأسدى :

شهدتُ عليك بطيب المُشَاشِ[٢] وأنّك حُـــرٌّ جَوَادٌ خِضَمْ
وأنّكَ سـيِّد أهْـلِ الجحيمِ إذا ما ترَدَّيْت فيمن ظَـــلَمْ
كفانى المجـوسِىُّ مهرَ الرَّبَابِ فدًى للمجوسى خالٌ وَعَمْ[٣]

روى إسماعيلُ بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبى أُوَيْس[٤] ، يقول : سُئِل مالك ، أترى بأساً إذا أهدَى اليهودىُّ أو النصرانى للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذَ الله ! وما للمسلم أن يقبلَ هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا فى اليهودِ رجالَ صِدْقٍ على ما كان من دِينٍ يريبُ

---

(١) ورد البيتان بهذه النسبة فى الحيوان ٥/١٥٧ ، ١٥٨ ، ووردا فى الكامل ١/٢٦ ضمن خمسة أبيات منسوبة لطخيم بن أبى الطمخاء الأسدى ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بنى امرىء القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد العبادى ، وكذلك وردت بهذه النسبة فى المؤتلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحان هى كنية طخيم ، انظر هامش الحيوان ٥/١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٢/٢٩٦ ، الحيوان ٥/١٥٩ .

(٤) ابن أبى أويس : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله =

خليلان اكتسبتهما وإنّى ... لخُلّةِ ماجدٍ أبداً كَسوبُ[(١)]

للمريمى الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبى مريم السَّلمى صاحب النبى عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العِبادى عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبى الجيش بن طولون صاحب مصر[(٢)]:

تَعزَّ فإنَّ الحُرَّ لا بدَّ يَخْلَقُ ... وكلُّ امرئٍ للخيرِ والشرِّ يُخْلَقُ
وما فُرَجُ الأيامِ إلاّ مَواهبٌ ... فمن بين محرومٍ وآخرَ يرزقُ
وما الحزمُ إلاّ أن يُنزِّهَ نفسَه ... فتًى كادَ فى بحرٍ من الهمِّ يغرقُ
إذا لم يكنْ فى ردِّ ما فاتَ حيلةٌ ... فإن الفتى بالصبر أحْرى وأخلقُ
أتانِىَ غمٌّ من سرورٍ سمعتُهُ ... فلا أنا مأْسورٌ ولا أنا مُطْلَقُ
سررتُ بإسلامِ الوليدِ ديانةً ... وأقلقنى علمى بأنك مُقْلَقُ
فقلبى به شطرانَ جذلانُ واحدٌ ... وآخرُ محزونٌ من أَجْلِكَ محرَقُ
أنارَ لكم فينا وأشرق كوكبٌ ... لنا مثلُه فيكم ينير ويشرقُ
فكم راعناً من مُسْلمٍ متنصرٍ ... فهذا بهذا والسَّعيدُ[(٣)] الموفَّقُ

= ابن أبى أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسيبه، محدث روى عنه الشيخان، توفى سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١/٣١١ وما بعدها.

(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات فى الحيوان ٥/١٥٧ منسوبة لأبى صالح مسعود بن قند الفزارى وبعد البيت الأول:

لعمرك إننى وابنى غريض ... لمثل الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من ح.
(٣) فى ا: والمعيد.

(١ لزيبا النصرانى - وكان يتشيع -:

عدىٌّ وتيم لا أحاول ذكركَمْ بسُوءٍ ولكنّى محبٌّ لهاشمِ
وما تعتريني فى علىٍّ ورهطِهِ إذا ذكروا فى الله لومة لائمِ
يقولون ما بال النصارى تحبهم وأهلُ النهى من أعربٍ وأعاجمِ
فقلت لهم : إنى لأحسب حُبّهَم سرى فى قلوب الخلق حتى البهائِمِ (٢)

وله أيضاً :

علىٌّ أميرُ المؤمنين خليفةٌ وما لسواه فى الخلافة مطمعُ
فلو كنت أبغى ملة غير ملتى لما كنتُ إلا مسلما أتشيعُ ١)

---

(١) ساقط من ج .

(٢) وردت الأبيات فى المحاسن والمساوىء ١/٥٠ منسوبة الموصلى النصرانى ، وفيها : عدى وتعيم ، هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا فى كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت فى نفح الطيب منسوبة إلى زينب بنت إسحاق النصرانى .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من أبَرُّ يا رسولَ الله ؟ قال : « أمَّك قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمَّك . قال : ثم من ؟ قال : أباكَ ثم أدناك » ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ الأعمال أفضـل ؟ فقال : « الصلاة لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسْن الجوار ، عمارةُ الديار وزيادة فى الأعمار » .

وقال الحسن : البرّ أن تطيعَهما فى كلٍّ ما أمراكَ به ، ما لم تـكن معصية الله ، والعقوق هجرانُهما ، وأن تحرِمَهما خيرَكَ .

قال عروةُ فى قوله تعالى : ﴿ واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَة ﴾[1] . هو ألاّ يمنَعَهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبى حُبَيْب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ، ولـكلٍّ حق .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

رأى ابنُ عمر رجلا يطوف بالبيت حاملاأمَّه ، وهو يقول لها : أترينى جزيتُك يا أمّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلْقة واحدة ، أو قال : ولا زَفْرة واحدة .

وروى فى الخبر المرفوع : « ما برّ أباه من سدّد النظرَ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصلْ إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يُتَوَارث ، والبُغْضُ يُتَوَارَث » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئْن نورَ العبد : أن يقطع ودّ أهلِ بيتهِ ، ويبدّلَ سُنّة صالحة ، ويرمي بصرَه فى الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسم : « لايدخلُ الجنة عاقّ ، ولا منّان ، ولا مُدْمن خمر ، ولا مدمن سِحْر ، ولا قتّات[1] » .

للرُّبَيْع بن ضَبُع[2] :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِيَّ بَنِي رُبَيْعٍ فأشرارُ البنينِ لكمْ فداءُ

---

(١) القتات : النمام ، أو هو الذى يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نمها أم لم ينمها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى الذبيانى ، شاعر جاهلى معمر من الفرسان ، كان أحكم العرب فى زمانه ، ومن أشعرهم وأخطبهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقيل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ، انظر خزانة البغدادى ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته فى : حماسة البحترى ٣٢٢ ، العقد الفريد ٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بأنّى قد كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِى[١] فلا تَشْغَلكُمُ عنِّى النِّسَاءُ
إذا كان الشتاء فأَدفئــونى فإن الشيخَ يَهْرِمُـه الشتاءُ[٢]
وأَما حين يذهب كلُّ قُرٍّ[٣] فسِربالٌ خفيـف أو رداءُ
إذا بلغ الفـتى مائتين عاماً[٤] فقد ذهب البشاشـة والفتاءُ

وسئل ابن عباس ، عن رجل قَتَل امرأتَه[٥] ما توبتُه ؟ قال : إن كان له أبوان فليبرهما ماداما حَيّين، فلعل الله أن يتجاوزَ عنه .[٦] وقد جاء عنه مثل ذلك فى المرأة التى تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة[٦]

قال مكحول[٧] : برُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر .

قال محمدُ بن المنكدر : بتُّ أَغمزُ رجل أمّى، وبات عمى يصلّى ليلته ، فماتسرنى[٨] ليلتُه بليلتى .

---

(١) فى حماسة البحترى : وذق عظمى .
(٢) وفيها أيضا : يهدمه .
(٣) فى ا : إذا ما تذهبوا فى كل فن .
(٤) فى العقد الفريد : سبعين عاما ، وفى ج : ستين .
(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا القصاص .
(٦) ساقط من ج .
(٧) هو مكحول بن أبى مسلم شهراب بن شاذل الهذلى ولاء ، فقيه الشام فى عصره ، أصله من فارس ، وصار مولى لامرأة فى مصر من هذيل فنسب إليها ، ثم أعتق وتفقه ورحل فى طلب الحديث إلى العراق فالمدينة واستقر فى دمشق ، قال الزهرى : لم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٩ ,
(٨) فى ج : فما سرتنى .

قال الشاعر فى ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيهِ ... ولو مِتّ بانتْ للعـدوّ مقـاتلُهْ
إذا ما رآنى مقبلاً غضّ طَرْفَهُ ... كأن شماعَ الشمس دونى يقابلُهْ[1]

ومثله :

إذا أَبصرتَنِى أعرضْتَ عـنّى ... كأنَّ الشّمسَ من قِبَلى تَدُورُ[2]

ولعبد الله بن بكر السَّهمى[3] :

خاللْ خليلَ أَخيك وارع إخَاءهُ ... واعلمْ بأن أَخا أَخيك أَخُوكا
وبَنِيكَ ثم بَنِى بنيكَ فكنْ لهم ... برًّا فإنّ بنى بنيـك بنُوكا
والطفْ بجدِّكَ رحمةً وتعطُّفًا ... واعـلم بأن أبا أَبيك أَبُوكا

رُوى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبرّه كان بأمّه .

---

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طيىء اختلف فى اسمه ، فنى المؤتلف ١٥٢ أنه عنتره بن كبرة الطائى ، وفى حماسة أبى تمام ١/٨٠ أنه عنترة بن الأخرس المعنى الطائى ، وفى حماسة البحترى ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكبرة الطائى ، وانظر البيت فى الحيوان ٣/١١٣ ، عيون الأخبار ٣/١١٠ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى الباهلى ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سعيد بن سلم الباهلى ، وعرض عليه سوار قضاء الأبلة فأبى ، ولم يزل فى بغداد حتى توفى سنة ٢٠٨ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/١٦٢ .

رأى أبو هريرة رجلا يمشى خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبى . قال : لا تَدْعُه باسمه ولا تجلسْ قَبْلَه ، ولا تمش أمامه .

مكتوب فى كتب الله عزّ وجل : لا تقطعْ ما كان أبوك يصلُه فيطفَأَ نورُك

قال كعب : مكتوبٌ فى التوراة ، اتق ربك ، وبرّ والديك ، وصِلْ رَحِمَك ، يُمَدّ لك فى عمرك ، ويُيسِّرْ لك يُسرَك ، ويُصرفْ عنك عُسْرك .

والآثار فى بر الوالدين كثيرة جدا ، وقد نص[1] الله فى كتابه من خفض الجناح لهما ، والحضّ على برهما ما يكفى .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الوَلَدُ الصَّالح من رَيْحَانِ الجنة » .

ونظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : « إنكم لتجبِّنُون وَتُبَخِّلُون ، وإنكم لمن رَيْحَانِ الجنة » .

دخل عمرُو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له[2] ، فقال : ابعدها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلدْنَ الأعداء ، ويقربن البُعَداء ، ويورثن الضغائن . قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ،

---

(١) فى ا : ذكر .

(٢) فى عيون الأخبار ٣/٩٩ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه تفاحة القلب . فقال : ابعدها ... الخ .

ولا نَدَبَ الموتى ، ولا اعولّ على الأحـزان[١] مثلهن ، ولرُبَّ ابنِ أخت قد نفع خاله .

قال محمدُ بن سليمان : البنون نِعَمٌ ، والبناتُ حسنات ، والله عز وجل يحاسبُ على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بنـاتِى وسَيِّآتِى لذبتُ شوقاً إلى المماتِ
لأننى فى جـوارِ قومٍ نَغّصنى قربُهمُ حَيَـاتِى[٢]

وله أيضاً :

أحبُّ البنـــاتِ ، فَحُبُّ البنا تِ فرضٌ عَلَى كلّ نفسٍ كريمَهْ
لأن شُعَيْباً لأجـــل البنا تِ أَخْدَمَهُ اللهُ موسى كليمَهْ

وقال آخر[٣] :

لقـد زاد الحياة إلىّ حُبّاً بناتى إنَّهُن من الضعافِ

(١) فى ا : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٩/١٨٧ ، وفيه : بغضنى بدل نغصنى ، وفى ا : لطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٠٨ إلى عيسى بن فاتك أوعانك الخطمى ، وفى الكامل أوردهما ضمن خمسة أبيات ، وقال : إنها لأبى خالد القنانى الخارجى ، وقد أرسل إليه قطرى بن الفجاءة يعتب عليه قعوده عن الخروج معهم فكتب إليه بها . الكامل ٢/١٠٧ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٣/٩٤ .

مخافة أن يـ ين البؤس بعدى   وأن يشربن رَنَقًا بعد صافِ[1]

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل وللأُنس وهن الشجراتُ
وبإِحْسَانٍ إليهـنّ تـكون البركاتُ
إنّما الأهلون أرضو   ن لنا محترثاتُ
فعلينا الزرعُ فيها   وعلى الله النَّباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابى[2] زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها وصار فى بيت ضرتها إلى جنبها فأحست به يوماً فى بيت صاحبتها[3] ، فجعلت ترَقِّصُ ابنتها الطفلة[3] وتقول :

ما لِأَبِى حَمْـزَةَ لا يَأْتِينا   يظلُّ فى البيت الذى يلينا
غضبانَ ألاَّ نـلدَ البنينا   [3] تا للّهِ ماذلك فى أيدِينَا
بل نحن كالأرض لزارعينا   يلبث ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا [3]

---

(١) فى الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفى ج : مخافة أن ترى البؤسى عليهم ، والرنق : الـكدر .

(٢) سماه فى البيان أبا حمزة الضبى ، وانظر الرجز في البيان والتبيين ١/١٩٥ ، العقد الفريد ٣/٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٣) ساقط من ا .

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوب لم أكن يَرُوعنى ذكرُ الحنوطِ والكفنِ (١)

وقال آخر (٢) :

لولا أميمةُ لم أجزع من العَدَمِ ولم أجُبْ فى الليالى حِنْدِسَ الظُّلَمِ (٣)

وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى ذِل اليتيمةِ يَجْفُوها ذوُو الرَّحِمِ

أحاذرُ الفقرَ أن يُلْمِمْ بساحتها فَيَهتكَ الستر من لحمٍ على وضمِ (٤)

أخشى إضاعة عمٍ أو جفاءَ أخٍ وكنت أَحْنُو عليها من أذى الكلمِ (٥)

ما أنْسَ لا أنسَ منها إذْ تودّعُنى والدمعُ يجرى على الخدّين ذا سَجَمِ

لا تبرحن فإنْ مِتنا فإنّ لنا رَبًّا تكفل بالأرزاق والقِسَمِ

تهوى حيَاتى وأهوى موتها شَفَقاً والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

---

(١) فى ا : لما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهرانى ، الحماسة لأبى تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) فى الحماسة : ولم أقاس ، وحندس الظلمة شدتها .

(٤) الوضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك الستر عن اللحم : الذل والضياع .

(٥) فى ا : فظاظة عم ، وفى الحماسة أبقى بدل أخشى .

وقال آخر(١) :

أحب بنيَّتِي وَوَدِدْتُ أَنِّى ستَرتُ(٢) بنيَّتى فى قَعْرِ لَحْدِ
وما إنْ ذاك من بُغضٍ ولكن(٣) مخافة أن تذوق البُؤس بعدى

رأى ابنُ عباس رجلا ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنَّه لو عاش فتنك ، ولو مات أَحزنك .

قال محمد بن عليّ بن حسن لابنه جعفر : يا بنيّ ! إن اللهَ رضيَني لك وحذَّرنى منك، ولم يرضك لى فأوصاك بى ، يا بنيّ ! إن خيرَ الأبناء من لم يدعُهُ البر إلى الإفراط ، ولم يدعُهُ التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولدُ ريحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوُّك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبى سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين! أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصولُ عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأَرْضِهم ، يمنحوك ودهم ،

---

(١) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٩٣ ، وقال : أنشدهما ابن الأعرابى .

(٢) فى العيون : دفنت .

(٣) فى ا ، وفى العيون : وما بى أن تهون على لكنى .

ويحبُّوكَ جَهدهم ، ولا تكن عليهم قفلا[١] فيتمنَّوْا موتَك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك . فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غيظا على يزيد ولقد أصلحتَ من قلبي له [٢] ما كان فسد [٢] . فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية [٣] إلى يزيد بمائتي ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها .

قال عليُّ بن أبي طالب : ينبغي لأحدكم أن يتخيّر لولده إذا وُلد الاسمَ الحسَن .

وفي الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يُشْبِهه[٤] ولده .

قال عمر بن الخطاب : عَجِّلوا بكُنَى أولادكم لا تُسْرِع إليهم الألقاب السُّوء .

قال أبو جعفر محمد بن علي : بادروا بالكنى قبل الألقاب . قال : وإنا لنكني أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم .

قال قتادة : رب جاريةً خير من غلام ، [٢] ورُبَّ غلام [٢] قد هلك أهله على يديه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما نَحَل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

---

(١) في ا : ثقلا .
(٢) ساقط من ح .
(٣) ساقطة من ح .
(٤) ح : يشهد .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاثَ بناتٍ ، أو ثلاثَ أَخَوات أو ابْنتين أو أُختين كُنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوِّجَهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

(١ وكما لا يصحّ الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج ١) .

كان عقيل بن عُلَّفَة[٢] غيورًا ، فحمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

إنّى وإن سيقَ إلىَّ المهرُ ألفٌ وعُبْدان وَذَوْدٌ عَشْرُ

أحبُّ أَصْهَارى إلىَّ القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبُّك لبَناتِك ؟ قال : إنى لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عَدَدٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العَوْم والفروسيّة ،

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعى ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف فى قومه ، ترغب قريش فى مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسة ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد ، توفى نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغانى ١١/٨١-٨٩ (الأعلام ٥/٤٠) وانظر الأبيات فى زهر الآداب ٢/١٧٤ .

وزوّدوهم ما سار(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجّاج لمعلّم ولده : علّم وَلَدِى السباحةِ قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدُّعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما وَرَّث الرجالُ بنيهم أدبٌ صالحٌ وحسن الثناء
ذاك خيرٌ من الدنانير والأو راق فى يوم شدةٍ أو رخاء

وهى أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف فى قائلها فى باب التعليم فى الصغر ، من كتاب العلم(٢) . وفى ذلك الباب كثير من معانى هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابى ، وهو حِطَّانُ بن المُعلى(٣) :

أبكانِىَ الدهرُ ويا رُبّما أضحكنِي الدُّهْر بما يُرْضِي

(١) فى ا : وزودوهم ما صار من المثل .
(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .
(٣) شاعر إسلامى ، قامت شهرته على هذه القصيدة التى نوردها ، انظرها فى الحماسة ١/١٨٩،ووردت ببعض مخالفة فى أمالى القالى ٢/١٨٩ ، العقد الفريد ٢/٤٣٨ .

أنزلني الدَّهْرُ عَلَى حكمه من شاهق عالٍ إلى خفضِ[١]
وابتزَّني الدهرُ ثياب الغنى فليس لى ثوبٌ سوى عرضِى[٢]
لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا يَنْهَضْنَ[٣] من بعضٍ إلى بعضِ
إن هبَّت الريحُ على بعضهم لم تطعَمُ العيْنُ من الغَمْضِ[٤]
لكانَ لى مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنّمـــا أولادُنا بيْنَنَا أكبادُنا تمشى على الأرضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيضُ من آل أبى عتيقِ مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ
أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ ريقِى[٥]

قالوا : من كان له صبيٌّ فليستَصْبِ له .

كانت أعرابية ترقّص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبُّه حبَّ شحيحٍ مالَهْ قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

---

(١) فى العيون : من مرقب عال ، وفى الحماسة : من شامخ .
(٢) رواية الحماسة : غالنى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفى العيون : فليس لى مال بدل ثوب .
(٣) فى الأمالى : أُجمِن بدل ينهضن ، وفى العيون والحماسة : حططن .
(٤) فى العيون : لامتنعت عينى . الخ .
(٥) انظره فى عيون الأخبار ٢/٤٣٩ ، ٣/٩٥ ، العقد الفريد ٣/٤٩ .

إذا أُراد بَذْلَه بَدَالَهْ[١]

قال محمد بن يحيي النديم[٢] : أول شعر قاله علىّ بن الجهم وهو غلام فى المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يُجْلِسه يوم الخميس عنده فى المكتب حتى يحفظ حزبه ، فحبسه فكتب إلى أمه :

أُمّى جُعِلْتُ فِدَاكِ من أمّ أشكو إليك فظاظة الْجَهْمِ
قد سرّحَ الصبيانُ كلُّهُمُ وحُبِسْتُ بالعُدوَان والظُّلْمِ

قال الزيادى : كنت رجلا مِئْنَاثًا ، فقيل لى : أكثر من الاستغفار وقت الجماع ، واستغفر الله عند الجماع ، ففعلتُ فوُلد لى بضعة عشر ولدًا ذكرًا .

قال الشاعر :

وما كل مِئْنَاثٍ سَيَشْقَى بِبِنْتِه[٣] وما كلُّ مِذْكَارٍ بَنُوه سُرُورُ

ومن هذا المعنى ذكرٌ فى باب النساء .

(١) الرجز فى أمالى القالى ٢/٢٩٣ ، عيون الأخبار ٢/٤٣٩ • العقد الفريد ٣/٤٧٢ •

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبو بكر الصولى ، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم : الراضى والمكتفى والقادر ، وكان يلقب أيضا بالشطرنجى إذ كان من أحسن الناس إتقانا له وبراعة ، توفى بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨ ، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ . وانظر هذا الخبر و البيتين فى الأغانى فى ترجمة على بن الجهم ، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلا •

(٣) فى ا : استشق بينته •

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوَكيعى[١] : ماسمعت بكار بن قتيبة القاضى[٢] قط ينشد بيت شعر إلاّ مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه[٣]، فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه مالم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ، فقال :

تَعاطيتُما ثوبَ العُقوقِ كلاكما   أَبٌ غَيْر برٍ وابنه غيرُ واصِلِ[٤]

كان لعبد الملك بن مروان بيتُ مالٍ كان قد حجزه من خالص غَلاّته وضياعه، لا يدخله شيء من الغلول ، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتى يطلبُ أولادَهن، وكان يقول : إنّ الغلولَ يبقى فى الولد .

قال أعرابى لأبيه ، (* وهو عمر بن ذرّ الهمدانى *) يعاتبه : يا أبت ! إن عظيم حقك علىّ لا يذهب صغير حقّى عليك ، والذى تَمُتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنا سواء ولـكنى أقول لا يحل الاعتداء .

---

(١) ساقط من ج ، وأبو العلاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالـكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظل بها إلى أن توفى سنة ٣٠٠ هـ انظر : تهذيب التهذيب ٩/٢١ .

(٢) ابن أسد الـكوفى ، قاض فقيه محدث ، ولى قضاء مصر للمتوكل العباسى سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر إلى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فسجنه ، فأقام فى السجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ١/٦١ ، (الأعلام وهامشه ٢/٣٤) .

(٣) فى ج : وأمه .

(٤) فى ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى ، من رجال الحديث ، ومن أهل الـكوفة ، كان رأسا فى القول بالإرجاء ، فاختلفوا فى صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٧/٤٤٤ .

قيل لأعرابى ، وكان له ابن عاقّ : كيف ابنُك ؟ قال : عذابٌ أزعف(١) علىّ به الدهر ، فليتنى قد أودعته القبر ، فإنه بلاءٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى أعرابى ، فسأله جعفر عن بنيه ، فقال(٢) :

إن بَنِىَّ خيرُهُمْ كالكَلْبِ　　أبرُّهم أولعُهم بسبّى(٣)
لم يغنِ عنهم أدَبى وَضَرْبِى　　فليتنى كنتُ عقيمَ الصُّلْبِ(٤)

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بنفسِى أنتِ لا بأبى فإنى　　رأيتُ الجودَ بالآباء لُؤْمَا(٥)

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابن العاقّ .

---

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز فى أمالى القالى ٢/١٩٨ ، الأدباء ١/١٥٨ ، المحاسن والمساوىء ٢/١٩٠ .

(٣) فى ا : كلهم بدل خيرهم، وفى الأمالى : أولاهم ، بدل أولعهم ، وفى المحاسن : ألأمهم بدل أبرهم .

(٤) فى الأمالى : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هى : ولا اتساعى لهم ورحبى ، ورد بعد ذلك هو :

فليتنى مت بغير عقب　　أو ليتنى كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٩٣ .

قال أمية بن أبى الصلت، وهو قد عتب على ابنه[١] :

غَـذَوْتُك مولودًا وَعُلْتُك يافعا ... تُعَلُّ بما أَسعى عليـك وتُنْهَـلُ[٢]

إذا ليلةٌ جاءتك بالشـكوِ لم أكن ... بشـكواك إلّا ساهــرًا أتململُ[٣]

كأنى أنا المطرُوق دونك بالذى ... طُرِقْتَ به دونى فعينىَ تَهْمِلُ[٤]

تخافُ الرَّدى نفسى عليـك وإنها ... لتعلمُ أن الموت وقتٌ مؤجـــلُ[٥]

فلمـــا بلغت السنَّ والغايةَ التى ... إليها مدى ما كنت قبلُ أؤملُ[٦]

جعلت جزائى غلظةً وفظاظةً[٧] ... كأنك أنتَ المنعمُ المتفضــــلُ

فليتك إذ لم ترْعَ حـــقَّ أُبُوَّتِى ... كما يفعلُ الجارُ المجاورُ تفعـــلُ[٨]

ورضى أبو الشَّغْب العَبْسى عن ابنه فقال[٩] :

---

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٨٧ منسوبة إلى يحيى بن سعيد، والصحيح أنها لأمية، انظر ديوانه ١٠٢، وانظر حماسة أبى تمام ١/٣١٩، ٣٢٠.

(٢) فى العيون : منتك بدل علتك، وأجنى بدل أسعى، وفى الحماسة : أدنى إليك .

(٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت، وفى العيون : نالتك .

(٤) فى العيون والحماسة : وعينى بدل فعيناى .

(٥) لم يرد هذا البيت فى العيون، ورواية الحماسة : حتم بدل وقت .

(٦) فى العيون : فلما بلغت الوقت فى العدة التى .

(٧) العيون والحماسة : جعلت جزائى منك جبها وغلظة .

(٨) فى العيون والحماسة : فعلت كما الجار ... الخ .

(٩) الأبيات التى تلى فى حماسة أبى تمام ١/١٠١، ١٠٢، أمالى القالى ٢/٣، الكامل للمبرد ١/١٠١، والبيتان ٢، ٣ فى عيون الأخبار ٣/٥، وذكر فيه : أنها فى مدح الإخوان وليس الأبناء، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان إخوان الرجال ...الخ، ولا يتفق هذا مع أى من المراجع الأخرى، وقد نص فى الكامل على أنها من أب فى ابنه، قال : قال أبو العباس : أنشدنى التوزى لأبى رياط يقول لابنه ... الخ .

رأيتُ رباطا حين تمَّ شبابُه ... وولّى شبابى ليس فى برِّه عَتْبُ

إذا كان أولادُ الرجال حزَازَةً[١] ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنعٌ صعبُ[٢]

يخبّرنى عما سألتُ بهيّنٍ ... من القول لاجافى الكلام ولا لُغْبُ[٣]

وقال آخر :

فلو كنتم لكيِّسَةٍ أَكَاسَتْ ... وكيسُ الأمّ أكْيَسُ للبنينا[٤]

(١) فى الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الغيظ .

(٢) فى الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفى العيون : مرْكبه بدل ممتنع .

(٣) اللغب : الفاسد من الكلام .

(٤) فى ا : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت فى البيان والتبيين ١٩٥/١ ، ٣٤٨/٣ ، محاضرات الأدباء ١٥٩/١ .

بابُ الأقارب والموالى

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يارسول الله[1]) إن لى قرابةً أصِلُهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويُسيئون إلىّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « ما مِن ذنبٍ أجدر بأن تعجّل لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخرله فى الآخرة، من البَغْى وقطيعةِ الرَّحِم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبيرالإخوة على صغيرهم ، كحقّ الوَالد على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ فى التوراة : إن أحسد الناس لِعَالِمٍ وأَبغاهم عليه ، قرابته وجيرانُه » .

قال رسولُ الله صلى الله عَليه وسلم : « مَوْلَى القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقْطَعُ الرَّحِم ، وقد تُــكفر النُّعمى ، ولا شىء كتقارب القلوب . وفى رواية أخرى عنه ، تُــكْفَر النعمة ، والرَّحم تُقْطَع ، والله يؤلّف بين القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُزَحْزِحها شىء أبدًا ، ثم تلا : ﴿لو أَنْفَقْتَ

---

(١) زيادة فى ج .

ما فى الأرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بين قلوبِهِمْ ، ولـكنّ اللهَ أَلَّفَ بينهم ﴾[١] .

كان يقال : لا تُؤَدِّى حَقَّ[٢] الرحم إلا بأن تصـل من أدلى بها إذا قطعك ، وتعطيه إذا حرمك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيرًا وإن نَأَى ... من الأبعد الودِّ القريبِ المناسبِ
ورب أخ لم يُدْنِهِ منـك والدٌ ... أبرُّ من ابنِ الأم عنـد النوائبِ
ورب بعيـــد حاضرٍ لك نفعُهُ ... ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائبِ

ولمنصور الفقيه :

[٣] مناسبُك الأدْنى أشـدُّ عداوةً ... وكفرًا لمـا أوليتَه من عداتـكا
يقول الذى بينى وبينك مُوجبٌ ... عليك لعمـــرى أُثْرَتى بحياتـكا
وما خيرُ من يمسى ويصبح ساخطا ... على الله فى تأخـــيره لمماتـكا

وقال آخر [٣] :

أشدُّ عداوةً وأَقلُّ نفعًا ... من الرجلِ البعيدِ الأقربُونا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣

(٢) فى حـ : صلة .

(٣) ساقط من ا .

وقال آخر(١) :

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرِكَ نفعُها ... ولا في صديقٍ لا تَزَالُ تعاَتِبُه
يخو ُنك ذو القربى مرارًا وَرُبَّما ... وَفَى لك عند الْجَهْد من لا تُناَسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهبي(٢) في بني أمية(٣) :

مهلا بني عمنا عن نحت أَثْلَتِناَ ... سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيرونَاَ(٤)
لاتطمعُوا أن تهينونَا ونكرمكمُ ... وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذُونَاَ
مهلا بني عمنا مهلاً مَواليناَ ... لاتنشرُوا(٥) بيننا ما كان مدفونا
الله يعلمُ أنّا لا نحبكمُ ... ولا نلومكُمُ ألا تحبونَاَ
كل يُداجي(٦) على البغضاء صاحبَه ... بِنِعْمةِ الله نقليكم وتقلُونَاَ

---

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ١/٣٠٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته في هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ١/٨٢ ، مع اختلاف في الترتيب ، وانظر البيت الثالث في الكامل ٢/٢٧٩ ، وبعضها في المؤتلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٢/٣٢٨ ، عيون الأخبار ١/٢١٣ .

(٤) الأثلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للعرض ، والمقصود كفوا عن ذمنا وشتم أعراضنا ، ورواية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) في الحماسة : لاتنبشوا .

(٦) فيهما أيضا مداج .

قال مضرِّس بن لقيط الفقعسي :

فقـدتُ موالىَّ الذين كأنّهم ‏‏‏ دماميلُ فى وجهى على تُنَخِّسُ

ولما قتل الحسين بن علىّ ، قالت بنت عقيل بن أبى طالب :

ماذا تقولون إنْ قال النبىُّ لـكم ‏‏‏ ماذا فعلتم وأنتم آخِـرُ الأممِ
بعِتْرَتى وبأهلى عنـد منطلق ‏‏‏ منهم أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لـكم ‏‏‏ أنْ تخلفونى بسُوءٍ فى ذوى رَحِمِى[1]

لسُوَيْد الحارثى أو غيره[2] :

بنى عمنا لا تذكروا الشِّعْر بعدما ‏‏‏ دفنتُمْ بصحراء الْغُمَيْمِ القوافيَا[3]
فلسنا كما كنتُم تصيبُون مثلَهُ ‏‏‏ فيقبلَ عَقْلاً أو يحكِّمَ قاضيَا[4]
ولـكنَّ حكم السيف فيكم مُسَلَّطٌ ‏‏‏ فنرضى إذا ما السيفُ أصبح راضيا
فإن قلتُمُ إنا ظلمنا فإنـكم[5] ‏‏‏ بدأتُم ولـكنا أَسَأْنَا التّقاضِيا

---

(١) انظر الأبيات فى : الـكامل ٩١/١ ، عيون الأخبار ٢١٢/١

(٢) وردت الأبيات فى الحماسة لأبى تمام ٤١/١ ، وقال : أنها للشميذر الحارثى أو سويد بن صميع الرندى الحارثى ، وانظر عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٣) فى الحماسة : الغمير بدل الغميم ، والغمير موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بميلين يوجد قبر أبى رغال .

(٤) فى الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نـكن بدل فإنـكم .

وقال الأضبطُ بن قُرَيْع :

فَصِلْ حبالَ البعيدِ إنْ وصل الْـ ... حَبْلَ وأقصِ القريبَ إن قَطَعَهْ(١)

قال قيس بن زهير(٢) :

شفيت النفس من حَمَل بن بَدْرٍ ... وسيفى من حُذَيفةَ قد شفانى

(٣ قتلت إخوتى سادات قومى ... وقد كانوا لنا حلى الزمان ٣)

فإن أكُ قد شفيت(٤) بهم غليلى ... فلم أقطع بهم إلا بنانى

قال ذو الإصبع العدوانى(٥) :

ولِى ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مخالفٍ لِيَ أَقْليه وَيَقْلِينِى(٦)

أزرى بنا أننا شالت نعامتُنا(٧) ... فخالنى دونه بل خلتُه دونى

اللهُ يعلمنى واللهُ يعلمكُمْ ... والله يجزيكمُ عنى ويجزينى

---

(١) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٨٠ ، العقد الفريد ٢/٣١٥ ، زهر الآداب ٢/٢٠٤ .

(٢) الأبيات التالية فى : حماسة أبى تمام ١/٧١ ، عيون الأخبار ٣/٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣/٣٣٢ ، أمالى القالى ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) فى ا : بردت وكذلك فى العيون ، وفى المعجم : فإن أك قد شفيت بذاك قلبى .

(٥) الأبيات فى الحيوان ٤/٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٨ ، أمالى القالى ١/٢٥٥ ، ٥٦ .

(٦) فى الأمالى : مختلفان فأقليه .

(٧) شالت نعامتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر

ماذا عَلَيَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكمُ إذ لم تُحِبُّونِى

قال الأعشى[١] :

وإنّ القريبَ من يقرِّبُ نفسَهُ لعمْرُ أبيك الخيرِ لا مَنْ تَنَسَّبَا

وقال آخر :

وإنِّى للبَّاسُ عَلَى الْمَقْتِ والقِلَى بنى العمِّ منهم كاشحٌ وَحَسُودُ
أذبُّ وأرمِى بالْحَصَى من ورائهم وأبدأُ بالنُّعْمى لهم وأعودُ[٢]

قال ابنُ العميد :

آخِ الرجالَ من الأَبَا عِدِ والأقاربَ لا تُقَارِبْ
إن الأقاربَ كالعقا رِبِ أو أشدُّ من العقاربْ[٣]

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يوماً مغتاظاً . فقال له : مالك ؟ قال : لقينى فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمنى وآذانى. فقال له : هوِّنْ عليك فما من ضَارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم سَرِيّ ، فهوِّنْ عليك .

---

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحسنى بدل النعمى .

(٣) البيتان فى يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ ، خاص الخاص ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، ويروى فى شعر عدى بن زيد[1] :

وظلمُ ذوى القُربى أشدُّ مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهنَّدِ

وقال أبو فراس الحمدانى[2] :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربى   إذا كان لى منهم قلوبُ الأباعدِ

قال العتّابى : عشيرتُك مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَك ، وابن عمّك من عَمَّك خيرُه ، وقَرَابتك من قَرُب منك نفعُه ، وأحبّ الناس إليك أخفّهم ثقلا عليك .

وقال[3] :

إنى بلوتُ الناسَ فى أحوالهم   وَخَبَرْتُ ماوصفُوا من الأسبابِ[4]

فإذا القرابة لا تُقرّبُ قاطعاً   وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

---

(١) ورد البيت فى معلقة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزى فى شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى فى حماسة البحترى ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ . والرواية فيها كلها : أشد عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان فى حماسة البحترى ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما فى العقد الفريد ٣١٤/٢ إلى أبى تمام وليسا فى ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحترى لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقولهم   وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم   ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخٍ لك لم يلده أبوكا ... وأخٍ أبوه أبوك قد يجفوكا(١)

وهـذا مأخوذ — والله أعلم — من قول أكثم بن صيفي : رب أخ لم تجمعه معك ولادة .

قال آخر(٢) :

قومي هُمُ قتلوا ـ أُميمَ ـ أخي ... فإذا رَمَيْت أصابني سهمى

فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جَلَلاً ... ولئن سطوتُ لأوهِنَنْ عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أَجْحَفَتْ ... به سَنَةٌ حَلَّتْ مصيبتُه حِقْدِى(٤)

قال آخر(٥) :

سآخذ منكم آلَ حَزْنٍ لِحَوْشَبٍ ... وإن كان مولائى وكنتم بنى أَبِى(٦)

---

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، غير منسوبة لقائل .

(٢) هو الحارث بن وعلة الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ١/٧١ ، وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ .

(٣) فى العيون : يصيبنى بدل أصابنى ، وقرعت بدل سطوت .

(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ا : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ٣/١٠٧ : ذو الضعف بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نكبته بدل مصيبته .

(٥) قال فى حماسة أبى تمام ١/١٢٠ : يقال إنه جندل بن عمرو ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٣/٨٩ .

(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولاى وقال الشارح وفيه الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مكفوف غيره .

فإنْ كنت لا أُرْمَى وَترْمَى عشيرتى   تُصِبْ جائحاتُ النبل كشجى وَمِنْكبى[١]

وقال آخر :

فلم أر عز المرء إلا عشيرة   ولم أر ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل

قال آخر[٢] :

أخافُ كلابَ الأبْعدين وَنَبْحَهَا   إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ[٣]

وقال المقنع الكندى ، واسمه محمد بن عُمير بن أبى شَمِر الكِنْدى ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يُؤذى ، فكان يتقنّع دهرَه ، فسُمى لذلك : المقنع . وشعرُه هذا من أحسن ما قيل فى معناه جزالة ونقاوة وسَبَاطة وحلاوة[٤] :

يُعَاتِبُنى فى الدَّيْن قومى وإنّما   دُيُونِىَ[٥] فى أشياء تكسبهم حَمْدَا

(١) فى الحماسة : كنانتى بدل عشيرتى ، وجانحات بدل جائحات .

(٢) نسب البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٧٣ إلى النعمان بن حنظلة ، ونسبت فى عيون الأخبار ٣/٩١ إلى رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) فى المحاضرات : وهرشها بدل نبحها ، وتهارشها بدل تجاوبها .

(٤) انظر الأبيات التالية فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالى القالى ١/٢٨٠ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع فى حماسة أبى تمام ٢/٣٢ ـ ٣٤ .

(٥) يروى : تداينت .

أَسُدّ به ما قد أخلُّوا وضيّعوا حقوقَ ثُغورٍ ما أطاقوا لها سَدّا
ولى جفنةٌ لا يُغلَقُ البابُ[1] دونَها مكلَّلةٌ لحماً مدفقةٌ ثُردَا
ولى فرسٌ نهدٌ عتيقٌ جعلتُه حجاباً لبيتى ثم أخدمته عَبْدَا
وإنّ الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عَمّى لمختلفٌ جِدًّا
[2] إذا أكلُوا لحمى وفرتُ لحومَهم وإن هَدَمُوا مجدى بنيتُ لهم مجدَا [2]
وإن ضيَّعُوا غيبى حفظتُ غيوبَهم وإن هُمْ هَوُوا غَيِّى هَويت لهم رُشْدَا
وليسُوا إلى نَصْرِى سراعاً وإن هُمُ دَعَوْنِى إلى نصرٍ أتيتُهمُ شدًّا
وإن زَجروا طيرى[3] بنحسٍ يمرُّ بى زجرتُ لهم طيرًا يمر بهم سَعْدا
ولا أحملُ الحقد القديمَ عليهمُ وليس رئيسُ القوم[4] من يحمل الحِقْدا
[2] لهم جلُّ مالى أن تتابع لى غنىً وإن قل مالى لم أكلفهم رفدَا [2]
وإنى لعبدُ الضيف مادام نازلا وما شيمةٌ لى غيرها تشبهُ العَبْدا

وقال طرفة :

وأعلم علماً ليس بالظنِّ أنهُ إذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليلُ[5]

---

(١) فى الحماسة : وفى جفنتة ما يغلق الخ ، وكذلك فى البيت التالى : وفى فرس الخ .
(٢) ساقط من ا . وفى الحماسة : فإن أكلو بدل فإذا .
(٣) فى الحماسة : طيرا .
(٤) فى حماسة البحترى : وليس كريم القوم .
(٥) ديوانه ١٢٦ .

وقال عوف التميمى(١) :

ولستُ لقومى بعَيَّابةٍ ... وشرُّ العشيرةِ من عابَها
أَعِفُّ وابذُلُ مالى لها ... ولا أتعلّم ألقابَها(٢)

وقال أبو الطمحان القينى(٣) :

إذا كان فى صَدْر ابن عمك إحْنَةٌ ... فلا تستثرْها سوف يبدُو دفينُها(٤)

قال آخر :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سلاحِ
وان ابن عمِّ المرءِ فاعلم جناحُهُ ... وهَلْ ينهض البازى بغير جَنَاحِ

قال الثَّقفى(٥) :

---

(١) انظر ترجمته و البيتين فى معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيت فى المؤتلف ٢٣ إلى الأقيبل القينى ، وفى حماسة البحترى ١٨ إلى معروف بن عمرو الطائى .

(٤) فى المؤتلف : متى ما يكن ، وفى حماسة البحترى نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٣٠٤/٢ ، ٣/٣ ، فصل المقال ٢٢٠ ، الأغانى ٧٠/١٨ (بولاق) إلى مسكين الدارمى ، ونسبا فى حماسة البحترى ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر فى هامش البيان ٨٢/١ أنه يزيد بن الحكم الثقفى على الاحتمال ، وقد نص فى الشعر والشعراء =

من كان ذا عَضُدٍ يدْرِكْ ظُلاَمَتَهُ ... إن الذليلَ الذى ليست له عَضُدُ
تنبوُ يداه إذا ما قــلَّ ناصرُهُ ... ويأنفُ الضَّيْمَ إن أثْرى له عددُ

وقال أشجع السلمى :

نسيبُك من أمْسَى يناجيك طَرْفُهُ ... وليس لمن تحْتَ الترابِ نسيبُ(١)

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

رُبَّ غريبٍ ناصحُ الجيبِ ... وابنُ أبٍ متَّهــمُ الغيبِ(٢)
ورب عيّابٍ له منظــرٌ ... مشتملُ الثوب على العيبِ

قال محمد بن أَبَان اللَّاحقى يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعــة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبـلى(٣)

واللاحقى هو القائل :

= على أنه الأجرد الثقفى ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٢ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤١ ، الحيوان ٣/٤٥ .

(١) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين فى البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه : وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب بعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سننتها فى الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقى .

اخفض الصَّوت إن نطقتَ بليلٍ والتفتْ بالنَّهار قبلَ الـكلامِ (١)

وفى معنى قول اللاحقى فى البيت الأول قول الهذلى :

فلا تفزعَنْ من سيرة أنت سرتَها فأولُ راضٍ سنَّةً من يَسيرُها (٢)

---

(١) البيان والتبيين ١/٢٦٦ ، عيون الأخبار ١/٤٤ .
(٢) ديوان الهذليين ١/١٢ . والرواية فى عيون الأخبار ٤/١٠٩ : فلا تعجبن ، وفى الشعر والشعراء : لاتجزعن .

باب المملوك والمالك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سَيّئ الملكة » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حَسُن عيشُ غيره فى عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشْجى العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثروا شراء[1] الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقا[2] من سيده .

اشرى عبدُ الله بن أبى ربيعة المخزومى عبدَ بنى الحَسْحَاس واسمه سُحَيم ، وكان حبشيا سمحاً شاعرًا ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد اشتريتُ لك غلاماً حبشيا شاعرًا فكتب إليه عثمان : لاحاجة لى به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبِّب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجُوَهم .

---

(١) فى ح : شرى .

(٢) ا : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! إياك وخدمة العين[1] . قال : وما خدمة العين[1] ؟ قال : ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك[2]

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهـــل البصرة ، فجعلوه سقّاءً على ظهر بعير لهم[3]، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ، وغديرٍ لا يُنزح ، وقوم لا يُرْوَوْن

قال بعضُ الحكماء : أفضل المماليك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ، وأسرع قبولا .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبَر ، والأعجمي حتى يَفْصُح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ، قال : من حلف على ملك يمينه أن يضرب به فكفارته تركُه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح[4] :

بَطَرْتُم فطرتُم والعصا زَجْرُ من عَصَى وتقويمُ عبـدِ الهُون بالهُون رادعُ

---

(١) في ا : الغير .

(٢) في ا : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) في ح : ابنة الفتح ، وأبو الفتح هذا هو علي بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب بذي الكفايتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهي بالري ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ، واستمر إلى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ٥/١٤٣ ، وانظر البيت في التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٩٠ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الخاص ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكنْ في منزلِ المرءِ حُرّةٌ ... رأى خللاً فيما تدير الولائدُ
فلا يتخذ منهن حرٌّ قعيدةً ... فهن لعمر الله بئسَ القعائدُ[١]

قال آخر :

العبدُ يُزْجَرُ بالعصا ... والحرُّ تكفيه الملامَه[٢]

وقال آخر :

العبدُ يقرعُ بالعصا ... والحرُّ تكفيه الإشارهْ[٣]

أخذه من قول مالك بن الرَّيْب :

العبدُ يُقرع بالعصا ... والحُرُّ يكفيه الوعيدُ[٤]

وقال بشار[٥]

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعَبْدِ ... [٦] وليس للملحف مثلُ الردِّ [٦]

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأباء ٢/٨٧ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما : ضيعة بدل خللا .

(٢) نسب هذا البيت فى الحيوان ٦/٤٨٣ إلى خليفة الأقطع ، ونسب فى البيان والتبيين ٣/٣٢ ، وفيات الأعيان ٥/٣٨٩ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد فى التمثيل و المحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصلتان الفهمى انظر البيان ٣/٣٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣/٣٢ .

(٥) ديوانه ٢/٢٢٤ ، وفيه : يوصى بدل يلحي .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضُّر ، والعبد عبد ولو مشى على الدُّر .

أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ فى الحالات حرٌّ   وإن الذُّلّ يُقْرن بالعبيـدِ[١]

وقال يزيد المهلبى :

إن العبيد إذا أذللْتَهُم صَلَحُوا   على الهوان وإن أكرمتَهم فَسَدُوا[٢]

قال المتنبى[٣] :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا مَعَهُ   إن العبيدَ لأنجاسٌ منا كيدُ

وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمةِ عَبْـدِهِ   تجنَّى له ذنباً[٤] وإن لم يكنْ ذنبُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن الئام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) فى ا : قدم له ذنبا .

باب الذكر والثَّناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟ قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسنِ والثناء السيِّئ ، أنتم شهداء الله فى الأرض ، بعضُكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبدِ عند ربّه[1] فانظروا ما يتبعه من حُسْنِ ثناء .

قال مطرِّف بن الشِّخِّير : عنوانُ كرامة الله لعبده حسنُ الثناء عليه ، وعنوان هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنَهم حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

---

(١) فى ا : عند الله .

وإنما المرءُ حـــديثٌ بعدَهُ   فـكن حديثاً حسنا لمن وَعَى[1]

قال آخر :

أرى الناسَ أحـــدوثةً   فـكونِى حَـــديثًا حَسَن[2]

قال آخر :

وكلُّ جديد — يا أميمَ — إلى البِلى   وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كانا[3]

وقد مضى قول حاتم الطائى :

أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بَعْدِى[4]

مات ابنٌ لحبيب بن المهلب[5] ، فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه ، فقيل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرّفه النـاسُ وشاع له فيهم الصيت ، وَرَمَتْه العربُ بأبصارها ، فـكرهت أن أضعَ منه ما رفع الله .

---

(١) فى ا : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت فى ا هـكذا :

أرى الناس أحدوثة للزمان   فـكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو مالم ترد به رواية البيت فى المراجع ، انظره فى التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوبا لعبد الصمد بن المعذل . وانظره فى الـكامل ١/٢٣٧ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٠ بدون نسبة .

(٣) البيت فى حماسة البحترى ٣٣٢ ، البيان والتبيين ٣/١٦٠ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبى صفرة ، أحد شجعان العرب وأشرافهم ، كانت له ولاية كرمان من قبل عبد الملك بن مروان، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صحب أخاه يزيد فى أعماله وغزواته حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنى(١) :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدثوا ومن الحديث مهالك وخلود

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بإحسانِنا إن الثناء هو الخُلْدُ(٢)

قال الأسدى :

فإني أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ وكالخُلْدِ عندى أن أموتَ ولم أُلَمْ(٣)

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

وسيَبْقى الحديث بعدك فانظرْ خيرَ أُحدوثة تكونُ فكُنْها(٤)

= معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ٢/١٧٣ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحوا من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذى كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاه سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٩/٢٤٦ والمرجع الكثيرة التى أوردها عنه فى هامشه .

(١) فى ح : الغنوى ، والبيت أنشده الجاحظ كما فى الكامل ١/٢٢٣ ، وانظره فى الحيوان ٣/٤٧٥ ، وفيه أرضكم بدل أهلكم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ٣/١٦١ كما هنا .

(٢) البيت للحارثى كما فى الأغانى ٣/٢٧٥ ، وانظر الكامل ١/٢٢٣ . وقال أنشده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ٣/١٦١ .

(٣) نسب هذا البيت فى معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضرس بن ربعى بن لقيط . وانظره بالنسبة التى هنا فى البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، ٣/٢٦٤ . الحيوان ٣/٤٧٥ . محاضرات الأدباء ١/١٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٦٤ ، الحيوان ٣/٤٧٥ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جَهْوَر ، (١ وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ، والله أعلم ١) :

إذا أعجبتـك طباعُ امرئٍ   فـكُنْهُ يكن منك مايعجبُكْ
فليس على الجودِ والمـكرُماتِ   حجابٌ إذا جئتَه يحجُبُكْ

قال آخر :

ذِكْرُ الفتى عمرُه الباقي وحاجتُه   ما قاتَهُ وفضولُ العيشِ أشْغالُ(٢)

قال التِّهامى(٣) :

بيْنَا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا   حتّى يُرَى خَـبَرًا من الأخْبَارِ

---

(١) زيادة من ا ، وقد ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ منسوبين إلى أبى العيناء

(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتى ، مافاته من فضول الخ .

(٣) هو على بن محمد بن نهد التهامى ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفيا ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائى أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بنى قرة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل فى محبسه سنة ٤١٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ ؛ (الأعلام وهامشه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على مامضى من الأزمان والتلهّف على صالح الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت فى حُثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم[١] وخفّت أماناتهم » ؟

قيل لبعض الحكماء : بأىّ شىء يُعرف وفاءُ الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ،[٢] وتلهُّفِه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيي بن خلاّد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابى : إذا أردت أن تعرفَ وفاء الرجل ودوامَ عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه[٢] وتشوّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد[٣] :

ذهب الذين يُعَاش فى أَكْنَافِهِم وبقيتُ فى خَلَفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

يتحدثون ملالة وخيانةً ويُعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ[٤]

---

(١) مرج العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشغب : يهيج الشر ، ورواية الكامل ٢/٧٠ : يتحدثون مجانة وملاذة ، وفى البيان ٢/٢٧٠ : مغالة وخيانة ، وفى ا ملامة بدل ملالة ، وانظر الحيوان ٥/٢٧٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك لبيد زماننا هـذا ؟! قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟ .

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله لبيدًا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله لبيدًا ورحم عائشة ، لقـد أصبت باليمن سهما فى خزائن عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريَّشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لى إلى أجْبال هندٍ بذى اللِّوى لِوَى الرَّمْل من قبـل الممات معـاد
بلادٌ بها كنّا ونحن نُحِبُّهـــا إذ الناس ناسٌ والبـلادُ بلادُ[1]

[2] قال أبو العتاهية[3] :

لله أزمنةٌ عَهِـدتُ رِجالَها فى النائبات وإنَّهُم لـكرامُ
ماذا أقول لوافدِ الزمن الذى[4] هلك الأرامل فيه والأيتامُ
زمنٌ هوت أعلامه وتقطّعت فِرَقًا فليس لأهله أعـــلامُ
زمن مكاسبُ أهله مَدخُولَةٌ جدًّا[5] فُرُوعُ أصوله الآثامُ

---

(١) انظر هذا الخبر فى العقد الفريد ٢/٣٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢/١٦٩ مع اختلاف قليل فى الرواية .

(٢) من هنا ساقط من ح نحو صفحة .

(٣) الأبيات التالية فى ديوانه ٢٤٤ .

(٤) رواية الديوان : فلعبرة أخرت للزمن الذي ... الخ

(٥) فى الديوان : دخلا .

زمن تحامى المكرُماتِ سَرَاتُهُ   حتى كأن المكرُماتِ حرامُ

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخلت عليه عجوزٌ وهو في بيت عائشة، فأكرمها وقرّبها ووصلها، فقالت له عائشة: من هذه العجوز؟ فقال: «كانت تأتينا وتزورنا أيامَ خديجة، وحِفظُ العهد من الإيمان».

وقال آخر:

ذهبَ الزّمان برهط حسانَ الأُلى   كانت مناقبُهم حديثَ الغابرِ
وبقِيتُ في خَلَفٍ تحلّ ضيوفُهُم   منهم بمنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سودُ الوجوه لئيمةٌ أحسابهم   فُطْسُ الأنوف من الطرازِ الآخِرِ [1]

وقال آخر:

مضى الذين إذا ما جئتُ أسألهم   قالوا برحبٍ: على العينين والرّاسِ
وقد بقيتُ بأوغادٍ أكابرهم   ليسوا بناسٍ بَلَى أَشبَاهُ نسناسِ [2]

وقال عتبة الأعور [3]:

ذهب الذين أحبُّهُم   وبقيتُ فيمن لا أحبُّهْ

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .
(٢) إلى هنا ينتهي النقص من حـ . وانظر البيتين في الصداقة والصديق ١١٥ .
(٣) هو: عتبة بن أبي سفيان بن حرب، ويسمى الأعور لأن عينه فقئت يوم الجمل الذي شهده مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحا مهيبا من فحول بني أمية، تولى مصر من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة ٤٣ هـ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا وتوفي بها سنة ٤٤ هـ. انظر: نسب قريش ١٢٥، السيرة الحلبية ٢/١٣٨ (الأعلام ٤/٣٦٠).

إذ لا يزال كريمَ قو ... م ِ فيهمُ كلبٌ يسبُّهْ[(١)]

وقال الحارثِ بنُ[(٢)] الوليد :

ذهبَ الذين إذا رأونى مقبلا ... هشُّوا وقالوا مرحباً بالمقبل

وبقيتُ فى خلفٍ كأنَّ حديثَهم ... وَلْغُ الكلابِ تهارَشَتْ فى منهل[(٣)]

وقال الأحوص :

ذهب الذين أحبُّهم سلفا ... وبقيت كالمفقود فى خَلَفِ

من كلِّ مطوِيٍّ على حَنَقٍ ... مُتَصَنِّعٍ يُكْفَى ولا يَكْفِى[(٤)]

وقال بشار :

فسد الزمان وساد فيه المُقْرِفُ ... وجرى مع الطِّرْفِ الحمارُ المُوكَف[(٥)]

كان سفيان الثورى يقول : ذهب الناس فلا مَرْتَعَ ولا مفزع[(٦)] .

---

(١) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٩ ، وفيه : كريم قومى ... الخ :

(٢) فى حـ : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٧ . والولغ : حركة لسان الكلب فى الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٥ ، وفيها : كالمغمور بدل المفقود ، وفى البيان : متصنع بدل متضجع .

(٥) المقرف : الفرس الذى أمه عربية لا أبوه وهو لايدانى الطرف أى الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف . ورواية حـ : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : الخصب والسعة ، والمفزع : الذى يلجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه، (١ وتروى لغيره ١) :

دهب الرجالُ المُقتَدى بفعالِهم والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ فى خلف يُزَيِّن بعضُهم بعضاً ليأخذ مُعْوِرٌ من مُعْورِ (٢)
(٣ ركبوا ثَنِيَّاتِ الطريقِ فأصبحوا متنكِّبين عن الطَّريقِ الأكبَرِ
ما أقربَ الأشياءَ حين يَسُوقها قدرٌ وأبعدها إذا لم تُقْدَرِ
العلمُ زينٌ للرجال مروءةٌ والعلمُ أنفعُ من كنوز الجوهرِ
أأُخَيَّ إنّ من الرجالِ بهيمةً فى صورة الرجل السميعِ المبصرِ
فَطِنٍ لكلِّ مصيبة فى مالِهِ وإذا يُصابُ بدينه لم يشعرِ ٣)

ولأبى حفص عمرو بن علىّ بن بَحْر الفَلّاس (٤)، (٥ وكان أحد أئمة أهل الحديث الحفاظ الجلة ٥) :

---

(١) ساقط من ا .

(٢) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعبل الخزاعى ، ونسبا فى المؤتلف ١٦١ إلى الحكم بن عبدل الأسدى ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفى عيون الأخبار ٢/١٢٣ قال أنشدهما ابن الأعرابى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ٢/١٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها فى معجم الأدباء ٨/١٤٣ منسوبا إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكذة ، ثم وردت مرة ثانية فى حـ ١٢/٣٨ منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثانى منهما فى المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .

(٤) ورد هذا الاسم فى ا : أبو حفص عمر بن على بن حفص القلاس ، وفى حـ ، م : عمر بن على القلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفى التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨/٨٠ وما بعدها ، اللباب ٢/٢٣٠ (الأعلام ٥/٢٥٤) .

(٥) ساقط من ج .

ألا ذهب التكرُّمُ والوَفاءُ ... وباد رجالُه وَبَقِي الغُثاءُ
وَأَسْلَمني الزمانُ إلى رجالٍ ... كأمثال الذئابِ لهم عواءُ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم ... وأعداءٌ إذا نَزل البلاءُ(١)

وقال منصور الفقيه :

يا زماناً أَوْرَثَ الأَحْـ ... رَارَ ذلاًّ وَمَهَانَهْ
لستَ عندى بزمانٍ ... إنما أنت زَمَانَهْ
كيف نرجُو منك خيرًا ... والعُلا فيك مُهَانَهْ
أجنونًا ما نراهُ ... مِنْكَ يبدو أم مَجَانَهْ(٢)

وقال آخر :

كنا نُعَيِّر من يأتى بفاحشةٍ ... والناسُ يَرْعَوْنَ حقَّ الدين والحسبِ
فالناسُ قد تركُوا التعيير كلهم ... لما استوى النَّاسُ فى الفحشاء والكذبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهاب أمس الذَّاهِبِ ... فالناسُ بين مُخَاملٍ وَمُوَارِبِ

---

(١) انظر الأبيات مع أخرى فى عيون الأخبار ٢/٣٤٥ ، وفيه : إذاذهب بدل ألا ، وجهد بدل نزل .

(٢) نسبت الأبيات التالية فى معجم الأدباء ١٩/٩ ، خاص الخاص ١١١ إلى أبي الحسن بن لنكك البصرى ، والزمانة : العاهة ، والمجانه : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرمُ والوفاءُ من الورى وتقرَّضاَ إلاّ من الأشعارِ
وفشت خياناتُ الثقات وغيرهم حتى اتَّهمْنا رؤيةَ الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشَّذُونى :

مضى دهر السّماحِ فلا سَمَاحُ ولا يُرْجى لدى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كلابا فليس لديهمُ إلاّ النُّباحُ
وأضْحى الظّرف عنْدَهمُ قَبيحا ولاَ واللهِ إنَّهُمُ القِبَاحُ
سلامٌ أهلَ إبليسٍ عليكُمْ فإن البَيْن أوشكه الرَّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُسْتَرَاحُ
إذا ما الحرُّ هاَن بأرضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنَاحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ وَاجْتُثَّ أَصْلُهُ وأُخْمد نيرانُ النَّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرٍ يَرَوْنَ العُلا والمجدَ جمعَ[1] الدّراهِمِ
كأنهمُ كانوا جميعاً تعاقدُوا على اللُّؤمِ والإمساكِ فى صُلبِ آدمِ

---

(١) فى ا : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقا إلى مكة ، ويرفع عقيرته[1] :

[3]ألا ليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولى إذْخر وجَليلُ
وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لى شامَةٌ وَطفِيلُ[2]

ولابن ميّادة واسمه الرَّمَّاح[3] :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتن ليلةً ... بحَرَّةِ لَيْلى حَيْث رَبَّتْنِى أَهْلِى
بلادٌ بها نِيطتْ عَلَىّ تمائمى ... وَقُطّعْنَ عنّى حين أدركَنِى عَقْلِى[4]

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مَنْعِجٍ ... إلىّ وَسَلْمى أن يَصُوبَ سَحَابُها
بلادٌ بها عَقّ الشبابُ تمائمى ... وأول أرض مَسّ جلدى ترابُها[5]

وقال آخر :

أحنُّ إلى دهرٍ مَضَى بغضَارَةٍ ... إذا العيشُ رَطْبٌ والزمان مُوَاتِى

---

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٤٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) فى معجم البلدان بفخ ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضا الثمام نبت يستعمل فى بعض علاجات العين . ومجنة جبل لبنى رئل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من ا .

(٤) البيتان فى الأغانى ٢/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفى ا : بوادى الخزامى بدل حرة ليلى ، ونيطت : شدت ، والتمائم : ما يعلق على الصبيان من الأحجبة لحفظهم من العين ونحوها .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيىء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالى القالى ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير فى الرواية ، ومنعج واد يصب فى الدهناء وهى أرض =

وأبكىَ زماناً صالحا قد فقدتُه يقطِّعُ قلبي ذِكرُه حَسَراتِ
تَمَطَّى علينا الدَّهرُ فى متن قوسِهِ ففَرَّقنا منـــه بنَبْلِ شَتَاتِ

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة(١) :

وكنا كنَدْمَانى جُذَيْمَةَ حِقْبةً من الدَّهْر حتى قيل لن يَتَصَدَّعاَ
فلما تفرّقنا كأنى ومالـكًا لطولِ اجتماعٍ لم نبِت ليلة معاَ

وقال آخر :

خمسون عاماً تولّت فى تَصَرُّفها عُسْرٌ ويسرٌ على الحالين أشهدُه
لم أبكِ من زمنٍ صعبٍ لشدَّته إلا بكيتُ عليه حين أفقـدهُ
وما جزعت على ميتٍ فجعتُ به إلاّ ظَلَلْتُ لِستْرِ القبر أحسدُهُ
وما ذممـــتُ زمانا فى تقلُّبِهِ إلّا وفى زمني قد صرتُ أحمدُهُ

ولأبى عبد الرحمن العطوى ، واسمه محمد بن عطية :

سألتُ عن سبب الإقتَار وَالْعَدَمِ وعن زوال النَّدى فى العُرْب وَالْعَجَمِ

=لتميم بنجد ، ويروى بدل منعج مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عق الشباب تمائمى أى شقها والمعنى أننى بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعى التميمى ، شاعر كبير من أشراف قومه ، اشتهر فى الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله فى أخيه مالك الذى قتل فى حروب الردة ، وسكن متمم المدينة فى أيام عمر وتوفى بها نحو سنة ٣٠هـ . انظر فى ترجمته الأعلام ٦/١٥٥ والمراجع الكثيرة فى هامشه ، وانظر البيتين فى الكامل ٢/٢٩٦ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِى[١]: هَوتْ أنجمُ الإفضال واشتملت ... أُمُّ التواصل[٢] فى الدنيا على عُقُمِ
أَنْعِى إليك مواساةَ الصديق وما ... قد كَانَ يَرْعَى من الأخلاقِ والذمَمِ
أَنْعِى إليك خِلاَل الفضل قَاطِبةً ... لم يبقَ منهنَّ إلاّ دارسُ العَلَمِ
أين الوفاء الذى قد كان يعرفُه ... قومٌ لقومٍ وأين الحفظ للحُرَمِ[٣]
أين الجميلُ الذى قد كان مُلْتبسا[٤] ... أهلَ الوفاءِ وأهلَ الفضلِ والكرمِ
أَيْسِرْ وأنت صديقُ الناسِ كلِّهمُ ... ثم ابْلُ سرَّهُمُ فى حالة العَدَمِ
فإن وجدتَ صديقا عند نائبةٍ ... فلستَ من طرقاتِ الخير[٥] فى أَمَمِ
لما أناخ عَلَىَّ الدهرُ كلكلَهُ ... وخانَنى كلُّ ذى وُدٍّ وذى رَحِمِ
ناديتُ ما فعل الأحرارُ كلُّهمُ ... أهلُ الندى والهدى والبُعْدِ فى الهِمَمِ
قالوا: حَدَا بهم رَيْبُ الزَّمان فَسَلْ ... أحداثَهُ عنهمُ تخبرْك عن رِمَمِ[٦]

روينا عن عبد اللهِ بن مُصْعب الزبَيْرى[٧] أنه قال: خرجنا إلى الغزو زمن

---

(١) فى ح: نادى.
(٢) فى ا: أم الفواضل.
(٣) ا: للخدم.
(٤) ا: يلبسه.
(٥) ا: الحزم.
(٦) ا: أمم.
(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة، ولى اليمامة أيام الخليفة المهدى، ثم ولاه الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن توفى بالرقة سنة ١٨٤.

مروان بن محمد حتى إذا كنّا ببعض الطّريق أصابنا مطرٌ وابل ، فملنا إلى قصر رفع[١] لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبى وأمى ! من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصُّعَداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذَا سَـكَنٍ بالشَّامِ يألَفُهُ ... فإنّ فى غيره أمسى لى السَّـكَنُ
وإنّ ذا القصر حَىٌّ مابه وطـنى ... لـكنْ بمكة أمسى الأهلُ والوطنُ
من ذَا يسائل عنّا أين منزلُنا ... فالأُقْحُوانَةُ منّـا منزلٌ قَمِنُ
إذ نَلْبَسُ العيشَ صفوًا ما يكدِّرُه ... ضِغْنُ الوُشاة ولا يَنْبُو بنا الزَّمنُ[٢]

قال : فمضينا فى غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفلنا راجعين ، أخذَنا المساء عنـد ذلك القصر ، فأضافنا صاحبُه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثَمَّ حاجة . فقال : وماهى ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، واللهِ لو كانت حية ما مضيتَ إلّا بها ، ولـكنها ماتت منذ أيام تلهفًا على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج فقيه مكة[٣]

---

(١) فى ا : وضم .

(٢) الأبيات للحارث بن خالد المخزومى ، انظرها فى الأغانى ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث فى الكامل ٢/١٧ ، والرواية فيه وفى ا : من كان يسأل عنا أين منزلنا ، والأقحوانة : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز فى عصره ، ويعد أول من صنف التصانيف فى العلم بمكة ، وهو رومى الأصل من موالى قريش ، مكى المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٤/٣٠٥) .

رضى الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة فى دين ركبه ، قال : فلما نزلت عليه رحّب بى وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المَدَرَة ؟ فقلت : دينٌ ركبنى لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاق ذرعى فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمتَ خير مَقْدم ، يُقْضى دينك وتنصرف محبورًا إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهورًا فى أحسن مثوًى وأكرم ضيافة ، فإنى لخارج من عنده يومًا إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتنى وحشة ، ولم أملك العَبْرة ، وحنَّت نفسى إلى الوطن ، فرجعتُ إليه وقد اغرورقت عيناى بالدّموع ، فقال لى : مالك ؟ قلت : رأيت الناس فى أهبة الحج[١] [٢]والخروج إلى مكة[٢] فذكرتُ أبياتًا لعمر بن أبى ربيعة حملتنى على ما ترى. قال : وأىُّ أبياتِ عمر هى ؟ فقلت : قوله[٣] :

[٤]هيهات من أمةِ الوهّابِ منزلُنا ⁂ إذا نزلنا بسيفِ البحر من عَدَنِ
واحتلّ أهلُك أجيادا فليس لنا ⁂ إلا التذكرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ[٤]
بل ما نسيتُ غداةَ الخَيْفِ[٥] موقفَها ⁂ وموقفِى ، وكلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهَا للثُّريَّا وهى باكيَة ⁂ والدمعُ منها على الخدَّيْن ذو سُنَنِ[٦]

---

(١) فى : ا يتأهبون للحج .
(٢) ساقط من ا .
(٣) الأبيات فى ديوانه ٢/١٢٦ . وانظرها مع القصة فى الأغانى ١/١١١ .
(٤) ساقط من ح . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن تبعا حين نزل مكة ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢/٢١٣
(٥) الخيف : موضع بمنى .
(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بالله قولى له فى غـير مَعْتبةٍ : ماذا أردتَ بطول المكث فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنياً أو رضيتَ بها فما أَخَذْتَ بتَرْكِ الحجِّ من ثمنِ

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم . قال : صحبتك السلامة ، ورُزقت العافية . وخرجت من عنده فما وصلتُ إلى موضعى ، حتى سبقنى خمسةَ عشرَ بغلاً عليها عَصْبُ اليمن[1] ، ودراهم ، وضروب من الخير ، فقضيت دينى وتأَثَّلْتُ منه كنزًا[2] مما بيدى اليوم .

---

(١) نوع من الغزل اليمنى مشهور .
(٢) فى ا : كثيراً .

باب مدح مغالبة[1] الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبّك الشيء يُعْمى ويُصم » .

قال وهب بنُ منبِّه : العقلُ والهوى يصطرعان ، فإيّهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دُرَيْد :

وآفةُ العَقْلِ الهوى فمن عَلاَ ... على هَوَاهُ عقلُه فقد نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيانُ الثورى : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقّرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعرٍ قَطُّ إلاّ هذا :

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهوى قَادَكَ الهوى ... إلى بعضِ ما فيه عَلَيْكَ مَقالُ[2]

---

(١) فى ا : باب ذم مغالبة ... الخ .

(٢) انظر البيت فى الكامل ١/٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٥٤ ، وورد فى البيان ٣/١٦٩ برواية مختلفة هى :

إذا ما أطعت النفس مال بك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال .

(قلتُ[١] : لو قال :

إلى كلٍّ ما فيه عليك مَقَالُ)[٢]

كان أبلغ وأحسن .

قال بعضُ الحكماء : إنما يحتاج اللبيبُ ذو الرأى والتّجربة إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنعْ ما شئت .

قلتُ[٣] : لو قال اعص الهوى لاكتفى .

قيل للمهلّب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر اللهُ تعالى الهوى فى شىء من القرآن[٤] إلا ذمه .

قيل لشُرَيْح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبى وهواى ؟

قال بزرجهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوبة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

---

(١) فى ح : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا ، ح : قال أبو عمر .

(٤) ا : فى كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ(١)

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصرُ بن محمّد الأسدىّ الكوفىّ ، حدثنا إبراهيم بن عثمان المَصِّيصى ، حدثنا مُخَلَّد بن حسين ، حدثنا هَشّام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينا عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع امرأة وهى تقول :

هل مِنْ سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها أم من سبيلٍ إلى نصرِ بن حجَّاجِ

فلما أصبح قال : علىّ بنصر . فجىء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة فلا تساكنىٍّ فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عمٍّ له ، هو أمير البصرة ، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته ، إذ كتب فى الأرض : إنّى لأحبُّك حبًّا لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلّكِ . فقرأته وكتبت تحته : وأنا . وكان الأميرُ لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجىء إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر الأميرُ بذلك ، فقال : اذهبى إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلاّ ذهبتِ إليه وأسنَدْتِهِ إلى صدركِ وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئا ، فصعدت

(١) انظره فى عيون الأخبار ٢/٦٦ .

إليه وأَسندتْه إلى صدرها وأطعمتْه ، فأَفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :(١ الأمير مُجَاشع بن مسعود السُّلَمى ، وامرأته الخضراء ١)

(١ قال إبراهيم بن عثمان ١) : وأخبرنى محمد بن كثير ، أن نصر بن حَجّاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لَعَمْرِى لئن سَيَّرْتنى وَحَرَمْتنى ... وما جئتُ ذَنباً إنّ ذَا لحرامُ (٢)
ومالى ذنبٌ غيرَ ظنّ ظننتَهُ ... وفى بعضِ تصديقِ الظنونِ أَثامُ
أَأَنْ غنّت الذَّلْفاءُ يوماً بمُنْيَةٍ ... وبعضُ أمانِىّ النساء غَرَامُ
ظننتَ بى الأمرَ الذى لو أتيتُه ... لمـا كان لى فى الصَّالحين مقامُ(٣)

(١) ساقط من ا ، هذا وقد ذكر فى الأغانى ١٩/ ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبى أزهر الزهرانية ، وفى هامش عيون الأخبار ٤/ ٢٤ أورد ماجاء فى تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبى أزيهر الدوسى زوج مجاشع بن مسعود السلمى أمير البصرة ، وقال وفى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى أنها شميلة بنت أبى حياء بن أبى بهر ، وكانت من أجمل النساء وعلى أى حال فقد اتفقت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة فى المراجع السابقة وفى المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لايخرج فى مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبى الحديد فى نهج البلاغة ٣/ ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصا غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلا ، أى حادث النفى وما سبقه ، أما الجزء الثانى وأبيات نصر التى كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات فى العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعا .

(٢) فى العيون : لعمرى إن . وفى ا صيرتنى .

(٣) فى العيون : ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء ومالى فى الندى كلام

ويمنعُنى ممــا تمنَّتْ حفيظَتى ... وآباءُ صِـدْقٍ صالحون كرامُ(١)

ويمنعُها مما تمنّتْ صــلاتُها ... وبيتٌ لهـا فى قومها وصيامُ(٢)

فهاتان حالانا فهل أَنت راجِعى ... فقـد جُبَّ منّى غاربٌ وَسَنَامُ(٣)

قال بعضُ الحـكماء : الهوى عدوّ العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعى ، وأظنه لسهل الوراق :

إذا حارَ ذهنُــك فى معنيينِ ... وأَعْيَاكَ حيث الهوى(٤) والصَّوابْ

فدع ما هويتَ فإنّ الهـوى ... يقود النفوسَ إلى ما يعـابْ

قال غيره : اغتنم من الخير ما عجّلتَ ، ومن الهوى ما سوّفت .

كان يقال : إذا غلب عليـك عقلُك فهو لك ، وإن غلب عليـك هواك فهو لعدوّك .

قال عمر لمعاوية : من أَصبرُ الناس ؟ قال : من كان رأيه رادًّا لهواه .

---

(١) فى العيون : تـكرمى بدل حفيظتى ، وسالفون بدل صالحون .

(٢) رواية العيون : خباؤها وحال لها مع عفة .

(٣) رواية العيون : وقد خف منى كاهل وسنام .

(٤) فى ا : الهدي .

قال أعرابى : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشـد فطام النفس عنـد الصـبر .

قال نِفْطَوَيْه :

إنّ المَـــرائِىَ لا تريـ ـك خدوشَ وجهكَ فى صَدَاهَا
وكذاك نفسُك لا ترِيـ ـك عيوبَ نفسك فى هَوَاهَا[١]

وعن نفطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لى من أهل الأدب إلى امرأة من أهـل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ فى غيرة الرجال على الحرم ، فيـكون ذلك زاجرًا لك عن التعرض لحـرم غيرك ، إن لم يـكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمتَ أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عوّد نفسه الرّفَث والخَنَا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلّما مجن[٢] رجل إلّا هلك .

قال الشاعر :

الحُبُّ زُورٌ والهَوَى بَاطِلُ والقلبُ ما أجريتَه يجرِى
وَتَرْكُ ما تَهْوَى يسيرٌ إذَا أَعْمَلتَ فيـه سَعَةَ الصَّـدْرِ

وقال منصورُ النّمرى :

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه فى : محاضرات الأدباء ١/٧ ، فصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٠١ .

(٢) فى ا : سخف .

وإنّ امْرءاً أَوْدَى الغَرَامُ(١) بلُبِّه ... لعريانُ من ثوبِ الفلاحِ سَلِيبُ

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليلةٌ ... عن عَيْبِ كلِّ فتًى يَوَد

قال عمرُ بن أبى ربيعة :

حَسَنٌ فى كُلِّ عينٍ من تَوَد(٢)

وقال رَوْحُ أبو هَمّام(٣) :

وعينُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ ... وعين أخى الرّضا عن ذاك تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعينُ الرِّضاَ عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْط تُبْدى المَسَاوِياَ

قال أبو العتاهية :

والمرءُ يَعْمَى عمّن يحبُّ فإنْ ... أَقْصَرَ عن بعضِ ما بهِ أَبْصَرْ(٥)

---

(١) فى : ا أودى المرام ، وفى ح : أزرى المدام .

(٢) عجز بيت ، وصدره .

فتضاحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ٤٥/١

(٣) انظر البيت فى الحيوان ٤٨٨/٣ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو همام ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت فى الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْق النِّساء والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين ، أسلبَ لعقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد فى صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحٌ جُعل فى الروح ، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شعاعها ، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصَيقل للأذهان ما لم يُفْرط ، فإن أفرط عاد سُقما قاتلا ، ومَرَضا مُنهكا ، لا تنفذُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكْثَم ، و ثمَامة بن أشْرس ، فقال المأمون ليحيى : خبرنى عن حدّ العشق . فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمامة : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب فى مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمامة . فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقبت[1] لمح

(١) فى ح : أثبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن[١] العقل فتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصوّر من ذلك اللّمح نور حاضر[٢] بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا[٣] .

وصف أعرابى عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درّت مآقيها ، ويحنو على كبد قد أعيت مداويها[٤] .

ذكر رجلٌ أيامَ شبابه وامرأةً كان يهواها ، فقال : ذلك هوًى شربتْه النفس أيام شبابها ، فاستخفّت بالعاذلات[٥] وعتابها .

وصف بعضُ الحكماء الهوى الذى هو عشقٌ للنساء ، فقال : بَطَنَ فرقَّ ، وَظَهَر فَكَثُفَ ، وامتنع وصفُه عن اللسان فهو بين السّحر والجنون ، لطيف المَسْلك والكُمُون .

وقال بعضُ الأدباء : الهوى جليسٌ ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مُمَلّك ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة[٦] ، ملك الأبدان وأرواحَها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ ونواظرها ، والعقولَ وآراءها ، وأَعْطى عنان

---

(١) ح : نواظر .

(٢) ح : ويتصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الخ .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد الفريد ٢/٣١٧ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال .. الخ

(٤) فى ا : مداواتها .

(٥) ح : بالنازلات .

(٦) ا : جائرة .

طاعتها[١] ، وقادَ تصرفها ، توارى الأبصار مَدْخلُه ، وغَمَض فى القلوب مسلَكُه .

قال عباس بن الأحنف ، فيما أنشده إسحاق الموصلى له .

فلو كان لى قلبانِ عشتُ بواحِدٍ ... وَخَلَّيتُ قلباً فى هواكَ يُعَذَّبُ
ولكنّما أحيَا بقلبٍ مُرَوَّعٍ ... فلا العيشُ يصفُو لى ولا المَوْتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضاَ خوفَ سُخْطها ... وَعَلَّمَها حبِّى لها كيف تَغْضَبُ
ولى ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانَهُ ... ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ[٢]

وللصِّمَّة[٣] القُشَيْرى :

لَعَمْرِى لَئِنْ كنتُم على النَّأْىِ والغِنَى ... بكُمْ مثلُ مابى إنّكُم لصديقُ
إذا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ فى الحشى ... رُدِدْنَ ولم يُفْتَح لهن طريقُ[٤]

للعباس بن الأحنف[٥] :

أَرَى الطَّريقَ قريباً حين أسلُكُه ... إلى الحبيبِ بعيدًا حينَ أنصرفُ

(١) ا : زمام أعنتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ا : والصمة القشيرى هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري ، شاعر غزل ، بدوى ، من شعراء العصر الأموى ، ومن العشاق المتيمين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله فى التزوج بمحبوبته ، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغانى ٥/١٢٦ طبعة الساسى ، خزانة البغدادى ١/٤٦٤ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٣٧ ، ورواية الأمالى : كررن فلم يغلق ، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفى ا : ينهج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه فى معنى بيت عباس هذا :

أمرُّ نشيطاً إذا زُرْتكُمْ　　وأرجِعُ كسلانَ لا أنشَطُ
وسيرُ المطيّةِ ما كدَّنِى　　ولكنْ هوى لكُمْ مُفْرِط

وقال العباس بن الأحنف[1] :

يقرِّبُ الشوقُ دارًا وهى نَازِحَةٌ　　من عَالَجَ الشَّوْقَ لم يَسْتبعد الدَّارَا

وله[2] :

مُتْ على من غبتَ عنه أَسَفَا　　لَسْتَ منهم بمصيبٍ خلَفَا
لَنْ تَرَى قرّةَ عينٍ أبدًا　　أوْ ترى نحوهُمْ منصَرَفَا
قلتُ لمّا شَفَّنِى وجدى بِهِم :　　حَسْبِىَ اللهُ لما بى وَكَفَى
بيَّنَ الدَّمعُ لمنْ يُبْصِرنى　　ما تضمَّنتُ إذا ما ذَرَفَا

ولمحمد اليزيدىّ :

أتيتُك عائذًا بك منْـ　　ـكَ لمّا ضاقَت الحِيلُ

---

(١) ديوانه ٢٧

(٢) الديوان ١٤٠

وصيّرنى هـواك وبى ... لحينى يُضربُ المثـلُ
فإنْ سلمتْ لكم نفسِى ... فما لاقيته جَـلَلُ[(١)]
وإنْ قتلَ الهوى رجلاً ... فإنّى ذلك الرجـلُ

كتب المهدىُّ إلى الخيْزُرَان وهو بمكة :

نحنُ فى أفضل السُّرور ولـكنْ ... ليس إلّا بكم يتمُّ السّرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدّى ... أنكم غبتُم ونحن حضورُ
فأجدّوا المسيرَ ، بل إن قدرتُمْ ... أن تطيروا مع الرياحِ فطيرُوا[(٢)]

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفتَ من الشَّوْ ... ق فكدنا وما فعلنا نَطِيرُ
ليت أنّ الرياحَ كن يؤدِّيـ ... نَ إليكم ما قد يجنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدِى ... فى سُرورٍ فدام ذاك السرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشد جولة الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصِّبا[(٣)] ، لقد تصدعت كبدى للمحبّين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججة

---

(١) فى حـ : جدل ، والجلل : الهين الحقير ، ويطلق أيضا على العظيم ، ضد .
(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الأدباء ٣٠٧/١ .
(٣) فى ا : الصبر .

فى أبدانهم ، لهم دموع غزيرةٌ على المَغَانى ، كغُروب السَّوانى(١) ، وأُنشد :

سَقى اللهُ أطْلالاً لليلى وشُقِّقَتْ ... عليهنّ من غُرِّ الغَمامِ جُيوبُ
فما تقشعرُ الأرضُ إن نزَلتْ بها ... ولـكنها تُزْهَى بها وتَطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُكَ نَأْيُها ... بلى كلُّ ماشَفَّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ العينُ أن تكثِرَ البكا ... ويُمْنَعَ منها نومُها وسُرُورُها(٢)

وقال آخر :

فلو أنّ شَرْقَ الشَّمسِ بينى وبينها ... وأهْلِى وراءَ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قَطْعَ الأرضِ بينى وبينها ... وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال الصمَّةُ بن عبد الله القُشَيرى :

إذا ما أَتَتْنَا الريحُ من نحو أَرْضِكمْ ... أَتِينَا بريَّاكُم فطاب هُبُوبُها
أتينا بريحِ المسك خالط عَنبرًا ... وريحِ الخُزَامى باكَرَتْها جَنُوبُها(٣)

---

(١) السوانى جمع سانية ، وهى الدلو العظيمة ، وغروبها ماؤها . وتشبه العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ١٢٦/٢ ، أمالى القالى ٨٨/١ منسوبين لتوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ا : يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان فى الأغانى ١١٥/٤ .

وقال آخر :

ضافَ قلبى الهَوَى فأكثر سَهْوِى   وجَوَى الحُبِّ مُفْظِعٌ كلَّ حُلْوِ
لو عَلاَ بعضُ ما علانى ثَبِيرًا[١]   ظلَّ ضَعْفًا ثَبِيرُ من ذاك يهوِى
من يكن من هَوَى الغوانِىَ خُلْوًا   يا ثقاتى فإننى غيرُ خُلْوِ

[٢] قال العبّاس بن الأحنف :

جرى السَّيلُ فاستبكانِىَ السيلُ إذْ جرى   وفاضتْ له من مُقْلتىّ غُرُوبُ
وما ذاك إلّا أن تيقنتُ أننى   أمرٌ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكون أُجاجًا قبلكم فإذا انتهى   إليكم تلقّى طيبَكُم فيطيبُ
أيَا ساكنى شرقىّ دجْلَة كلكُمُ   إلى القَلبِ من أجل الحبيب حبيبُ [٢]

قال بعضهم : لو لم يكن فى العِشْق إلّا أنه يشجع قلب[٣] الجبان ، ويسخى كف البخيل ، ويصفّى ذهن الغبى ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزُّ الملوك ، وتَضْرَعُ له صولة الشجاع ، وينقادُ له كلُّ ممتنع ، لكفى به شَرَفا .

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًّا يقول : إذا ترنمت هتوف الضحى[٤] على الغصون ،

---

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .
(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات فى الديوان ١٦ .
(٣) فى ا : القلب .
(٤) فى ا : هبوب الرياح .

أرسلت الشُّئُون(١) مياهها إلى العيون ، فمن ذَاد عينه عن البكا أورث قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة(٢) ، فأطمعته فى نفسها ، فبعث يستهديها(٣) طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه : رأيت العشق يكون فى القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبُّك لا أراه تجاوز(٤) المعدة .

قال أعرابىٌّ من فَزَارة : عشقت امرأة من طيِّئ ، فكانت تظهرُ لى مودّة ، فوالله ما جرى بينى وبينها شىء من ريبة ، غير أنى رأيت بياض كفها ليلة(٥) ، فوضعت كفّى على كفها ، فقالت : مه ! لاتفسد ماصلح ، فأرفضضت عرقا من قولها ، فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتمُ بُغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحدا ، (٦ والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً ٦) ، ولا يمكنها أن

---

(١) فى ا : الشوق ، والشئون : مجاري الدمع فى العين .

(٢) فى الكامل ٢/١١ : عشق أبو القمقام بن بحر السقا جارية مدينية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل أكثر .

(٣) فى ح : لسيدتها .

(٤) فى ا : وحبك لايجاوز .

(٥) فى ا : فى سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تـكتم بغضه يوما واحـدًا .

قال يوسف بن هرون(١) :

دقَّتْ مَعَانِى الحبِّ عن أَذْهَانِهِم   فتأوَّلُوهَـا(٢) أقْبحَ التَّأْوِيلِ

وقال كُثَيِّر :

إذا ما أرادتْ خُلَّةً أن تستَمِيلَنا   أَبَيْنَا وقُلنـا الحاجبيـةُ أَوَّلُ(٣)

وقال حبيب :

أتانِى هَوَاها قبل أن أعْرفَ الهوى   فصادَفَ قلباً خالياً فتمـكَّنَا(٤)

لعلىّ بن الجَهْم :

يا سائِلِي ما الهوى اسْمَعْ إلى صِفَتِي   الحبُّ أعظمُ من وصفى ومِقْدَارِى
ماءُ المدامعِ نارُ الشوق تحدُرُه   فهـل سمعتَ بماءٍ فاضَ من نارِ(٥)

---

(١) الكندى الرمادى ، شاعر أندلسى عالى الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبى عامر ، ثم شاعت عنه أشعار فى دولة الخليفة ورجالها فسجن ، وظل فى السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفى سنة ٤٠٣ هـ . انظر يتيمة الدهر ١/٤٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) فى حـ : فتأولوا .

(٣) البيت فى الديوان ٣١/٣ ، وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفى محاضرات الأدباء ٢٢/٢ : إذا واصلتنا خلة كى تزيلها ... عرضنا ، وفى العيون ٢٨/٤ : إذا وصلتنا ... كى تزيلنا .

(٤) فى حـ : فتحكما ، والبيت فى الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون فى الحيوان ٤٠/١ ، ونسب لابن الطثرية فى العقد الفريد ٤١٢/٥ ، محاضرات الأدباء ٢٢/٢ .

(٥) فى ا : تخرجه بدل تحدره ، وانظرها فى ديوانه ٣٢ .

وقال أبو العتاهية :

أذاب الهوى جسمى ولحمى وقوّتى   فلم يَبْقَ إلاّ الروحُ والجَسَدُ النضوُ

رأيتُ الهوى حَجْرَ الغَضَا غير أنّه   على كلِّ حالٍ عند صاحبه حُلْوُ(١)

وقال آخر :

أُسِرُّ الذى بى والدُّموعُ تَبوحُ   وجِسْمِى سَقيمٌ والفؤادُ قريحُ(٢)

وبينَ ضُلُوعى لوعةٌ لم أزلْ بها   أذوبُ اشتياقاً والفؤاد صحيحُ

وقال الصِّمَّةُ القشيرى :

أمَا وجَلالِ اللهِ لو تَذْكُرِينَنِى   كذكْرِيكِ ما كفكفتُ للعينِ مَدْمَعَا

فقالت : بَلَى واللهِ ذكرًا لو انَّهُ   يُصَبُّ على صُمِّ الصَفَا لتصدّعَا(٣)

وأكثرهم ينسبون إليه (٤ فى هذا الشعر قوله ٤) :

حَنَنْتَ إلى ريًّا ونفسُك باعَدَتْ   مَزَارَكَ(٥) من ليلى وشَعْبَاكُما مَعَا

---

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه المطبوع .

(٢) فى ا : جريح .

(٣) هذاالبيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية فى المراجع ، وقد ذكرابن خلكان فى الوفيات ٥/٤١٣ أن ابن عبد البر وحده هو الذى ذكرهما مع هذه الأبيات فى كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ا . وانظر الأبيات للصمة فى الأغانى ٢/١٦٧ ، حماسة أبى تمام ٢/٥٤ ، ٥٥ ، أمالى القالى ١/١٩١ .

(٥) فى ح : قرارك .

فما حسنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعًا[1] وتجزعَ أن داعى الصَّبابةِ أسمعَا

بكتْ عينى اليسرى[2] فلمَّا زجرتُها عن الجهلِ بعد الحلمِ أسبَلَتا مَعاَ

وأذكرُ أيَّام الِحمَى ثم أنثَني[3] عَلَى كبدِي من خشيةٍ أن تصدَّعا

فليستْ عَشيّاتُ الِحمَى برواجعٍ إليك[4] ولكنْ خلِّ عينيك تدمَعَا

ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذَرِيح، وللمجنون أيضا تنسب[5]، والأكثر أنّها للصِّمَّةِ:

(١) فى حـ : عاشق .　　(٢) فى حـ : اليمنى .

(٣) فى الحماسة : حتى وجدتنى .

(٤) فى ا : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت فى وفيات الأعيان ٥/٤١٣ لابن الطثرية ، ونسبت فى العقد الفريد ٩٣/٦ لابن الدمينة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس

لابن عبد البر

صفحة

صفحة

صفحة

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

القسم الثاني

تحقيق

محمد مرسي الخولي

بداية القســـم الثـــانى

بتقسيم المحقق

باب في وصف النساء بالحسن والرقّة ، وما يحمدُ من نعوتهن ، ووصف منطقهن

قال أنسُ بنُ مالك : كنت مع رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم في سفره في حجة الوداع ، ومعه نساؤه ، وكان له حادٍ يحدو بهنّ يقال له « أنْجَشَة » ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشة ! رفقاً رويدا بالقوارير » . يعني أنّهن ضعاف يسرعُ إليهن الكسر ، ولا يقبلن[1] الجبر .

ذكر أعرابيٌّ امرأة ، فقال : كاد الغزالُ يكونُها لولا ما تمّ فيها[2] ونقص منه .

وصف أعرابيٌّ النساءَ ، فقال : ظعائن في سوالفهن طول ، غير قبيحات العُطُول[3] ، إذا مشين أسبلْنَ الذّيول ، وإذا ركبن أثقلن الحمول .

كتب الحجّاجُ بنُ يوسف إلى محمد أخيه ، وهو أميرٌ على اليمن : أن اخطب على ابني امرأة حسناءَ من بعيد ، مليحةً من قريب ، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، أمَةَ لبعلها . فكتب إليه : قد أصبتها لك ، وهي خَوَلَةُ بنت مِسْمَع ، على عظَم ثدْيَيْها . فكتب إليه : إن المرأة لا يَحْسُن صدرها حتى يعظم ثدياها .

---

(١) في ا : يقبلهن .

(٢) ا : لولا ما كثر منها .

(٣) الظعائن جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج ، والسالفة مقدمة العنق ، والعطول الأعناق الخالية من الحلي .

قال المهلّب : عليكم من بنات خُراسان بمن عظمت هامتها ، وطالت قامتها .

قال محمّدُ بن حسين : عليكم بذوات الأعجاز فإنهن أنجب(١) .

كان يقال : إذا طال ساعد المرأة وعنقها وساقها لم يُشَكّ أنها تنجب .

قيل لأعرابى : أىُّ النساء أفضل ؟ قال : الطويلةُ السالفة ، الرقيقة الرادفة ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، التى فى حجرها غلام ، وفى بطنها غلام ، ولها فى الغلمان غلام .

وصف علىُّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه امرأةً ، فقال : تُدفِئُ الضَّجِيع ، وتَرْوى الرضيع . يعنى بِعِظَم ثدييها .

قال ابن شُبْرُمة : سمعتُ محمدَ بنَ سيرين يقول : ما رأيتُ على رجل لباساً أزينَ من فصاحة ، ولا رأيت لباساً(٢) على امرأة أزينَ من شحم .

كان يقال : لو قيل للشَّحْم أين تذهب ؟ لقال : أُقَوِّمُ العِوَج .

وقال مُصعَبُ بن الزُّبَير : المرأةُ فرشٌ فاستَوْثِرُوا .

كان يقال : من تزوّج امرأةً فليستَجِدْ(٣) شَعْرَها ، فإن الشَّعْر أحد الوَجْهين .

---

(١) فى ج : أنحف .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) فى ا : فليسأل عن .

كان يقال : النساء لُعَب فتخيَّروا .

من الأمثال السّائرة : لن تعدم الحسناء ذامًا .

وقالوا : عقلُ المرأةِ فى جمالها ، وجمالُ الرجل فى عقله .

وصف رجلٌ امرأةً فقال : كأنّ عينَيْها السُّقْم لمن رآها ، وكلامَها البرء لمن ناجاها .

قال أشهبُ بن عبد العزيز . سُئل مالك بن أنس : أيسلِّم الرجل على المرأة ؟ فقال: أما المتجالّة(١) فلا بأس ، وأما التى(٢) كلامُها أشهى من الرُّطَب فلا .

وقال سُحْنُون : سمعتُ أشهب يقول : المكِّيّات أخنثُ النساء ، والمدنيَّات أغنج النساء .

وشبّه الأخطَل كلام امرأة بعِقْدٍ انقطع فتحدّر لؤلؤه ، فقال :

قد تكون بها سلمى تُحَدّثنى   تَسَاقُطَ الْحَلْيِ حاجاتى وأَسْرَارِى(٣)

وقال القَطَامِىّ(٤) :

فهن يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْن به   مواقعَ الماء من ذى الغُلَّةِ الصّادِى

---

(١) المتجالة : الكبيرة السن .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) البيت فى الديوان ١/٥٥ ، وفيه وفى العيون ٤/٨٢ : تكلمنى بدل تحدثنى .

(٤) ديوانه ١٢ .

وقال الراعى(١) :

لهنَّ حـــديثٌ فاترٌ يترُك الفتَى خفوقَ الْحشاَ مُسْتَهْلَكَ اللُّبِّ طامِماَ

وقال أعرابى :

وحـــديثها كالقَطْرِ يسمعُهُ راعى سِنِينَ تتابَعَتْ جَـدْباَ
فأصاخ يرجو أن يكون حَيًا ويقولُ من فــرحٍ هيا رباَّ(٢)

وفى رواية أخرى :

فأصاخ مُسْتَمِعًا لِدَرَّتِها

وقال جِرَانُ العَوْد(٣) :

حَديثٌ لو أنّ اللّحمَ يصلى بحرِّه غَرِيضاً أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، المعروف بالراعى النميرى ، من فحول شعراء عصر بنى أمية ، ولقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل ، عاصر جريرا والفرزدق ، وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاء مرا ، مات سنة ٩٠ هـ . انظر : الأغانى ١٦٨/٢٠ ، الشعر والشعراء ١٥٦ (الأعلام ٣٤٠/٤ ، وانظر هامشه) .

(٢) البيتان فى أمالى القالى ٨٤/١ ، عيون الأخبار ٨٢/٤ ، وفيها : كالغيث بدل القطر ، وفى ا : يرى خيرا بدل يكون حيا .

(٣) اسمه عامر بن الحارث النميرى ، شاعر وصاف ، أدرك الإسلام وسمع القرآن ، واقتبس منه كلمات فى شعره ومعنى جران العود : مقدم عنق البعير المسن ، وكان يلقب نفسه به فى شعره . انظر : اللباب ٢١٨/١ ، الشعر والشعراء ٢٧٥ (الأعلام ١٦/٤) .

وقال بشّار :

كأنّ حديثَها سكَرُ الشَّراب

ولبشّار أيضا :

وحـديثٍ كأنه قطعُ الرّو ... ضِ وفيـه الحمـراءُ والصفراءُ[١]

وله :

وكأنّ تحتَ لِسَـــانِها ... هاروتَ ينفثُ فيه سِحـرَا
وكأنّ رجْعَ حـــديثِها ... قِطَعُ الرِّياض كُسينَ زَهْرا[٢]

وله :

ولها مَبْسِمٌ كغُرِّ الأقَاحى ... وحديثٌ كالوَشْىِ وشْىِ الْبُرُودِ[٣]

وقال علىّ بن العباس الرومى :

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لو انّه ... لم يَجْنِ قتـلَ الْمُسْلِمِ المتحرِّزِ
إنطال لمُ يمْلَلْ وإن هىأوْجَزتْ ... ودّ المحـــدِّث أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ العقول ونُهْـزَةٌ ما مِثْلُها ... للمطمئن وعُقـلة المستوفز[٤]

---

(١) ديوانه ١/٥٧ .
(٢) ديوانه ٢/٢١١ ، وفى أمالى القالى ١/٨٤ : رصف بدل رجع ، وفى العقد ٥/٤١٧ : نشر .
(٣) ديوانه ٢/١٧٦ .
(٤) ديوانه ٦٣ ، وفيه : لو أنها لم تجن ، ورواية الأمالى القالى ١/٨٤ كما هنا ، والنهزة الفرصة ، وفى ح : نزهة ... السامعين .

وقال امرؤ القيس :

وهي هيفاء لطيفٌ خصْرُها ضخمةُ الثَّدْى وَلمّا ينـكسر(١)

وقال المرّارُ بن سَعْد الحَنْظلي :

صَلْتَةُ الخَدّ طويلٌ جيـدُها ضخمةُ الثّدْيِ ولمّا يَنْكَسِر(٢)

وقال غيره :

موسومةٌ بالحسن ذات حواسدٍ إنّ الحسان مَظَنةٌ للحُسَّدِ
وترى مَآقِيَها تقلّبُ مُقْلَةً سوداء ترغبُ عن سوَاد الإثمدِ(٣)

وقال آخر :

إن النّساء رياحينٌ خلقنَ لَنا وكلنا يَشتهى شمّ الرَّيَاحِينِ(٤)

وقال آخر :

ونحن بَنُو الدُّنْيَا وهنّ بَنَاتُها وعيشُ بنى الدُّنيا لقاءُ بَناتِها(٥)

---

(١) ديوانه ٤٣ .

(٢) نسب البيت فى عيون الأخبار ٤/٣٠ ، المفضليات ١٢٢ للمرار بن منقذ العدوى ، وانظره فى البيان والتبيين ٣/٣١١ ، وصلتة الخد أى بارزة الخد مستويته .

(٣) البيتان لقيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، انظر ديوانه ٣٤ .

(٤) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ بدون نسبة .

(٥) انظره أيضا فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ بدون نسبة .

وقال حسان بن ثابت :

لو يدبُّ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذّ (م) رِّ عليها لأدمَأَتْهـا الـكُلُومُ(١)

الحولىّ من ولد الذّر لا يُعرف من المُـسِنِّ ، وإنما أراد الصغير من ولد الذر ، كما قال الآخر :

يُلقِّطُ حَوْلِيُّ الحصا من منازِلٍ   من الحيِّ أمست بالجَبِيبَـيْنِ بَلْقَعَا(٢)

وحَوْلِيُّ الحصا صغارها ، فشبهه بالحولى من ذوات الأربع .

وقال حُمَيْدُ بن ثور :

منعمةٌ لو يُصْبِح الذَّرُّ سارياً   على جلدها بَضَّت مَدَارِجُهُ دَماَ(٣)

وقال عمرُ بن أبى ربيعة :

لو دَبَّ ذَرٌّ فوق ضَاحِي جِلْدِها   لأبَانَ مِنْ آثارهن حُـدُورَا(٤)

---

(١) البيت فى ديوانه ٣٧٦ ، والحيوان ٤/١٧ وفيها لأندبتها بدل أدمأتها ، والحولى هو ما مضى عليه العام من ذي الحافر وغيره .

(٢) البيت فى الحيوان ٤/١٧ ، وفى ح . بالجبين تلقطا .

(٣) ديوانه ١٢ ، وفى الحيوان ٤/٢٨ أن البيت فى تهوين قوة الذر ، والرواية فى ح : مدارجها بدل مدارجه ، والمدارج : طريق السير ، ورواية الـكامل ١/٦٠ للشطرة الأولى : منعمة بيضاء لودب محول .

(٤) البيت فى ديوانه ١/٢٢ ، والحدر : الورم ، أو الأثر الذى يـكون من الضرب ، انظر الحيوان أيضا ٤/١٦ .

وقال آخر:

من القاصَرات الطَّرْفِ لو دب مُحْوِلٌ　　من الذَّرِ فوق الإتْبِ منها لأثّرا[١]

وقال الحسنُ بن هانئ :

وكأن مَنْثُـور رُمَّانٍ بوجنتها　　لو دبَّ فيها خيالُ الذَّرِ لا نجرحا[٢]

وقال النَّظَّام[٣] :

رقّ فلو دبَّ به نملةٌ　　لخضّبّتُه بدمٍ جارِى
أُضمرُ أن أضمـرَ حبِّى له　　فيشتـكى إضمارَ إضمارى

وبلغ قول النظّام هذا أبا الهُذَيْل ، فقال : لقد رقّ هذا الموصوف حتى لا يناكُ إلّا بزب الوهم .

وأخذ ابنُ الرّومى قول النّظّام ، فقال :

رقّ فلو دبّ به ذرةٌ　　منعَّلةٌ أَرْجُلها بالحريرِ
لأثّرت فيه كما أثّرت　　مَدَامَةٌ فى العارض المستدير[٤]

(١) البيت فى الحيوان ٤/١٦ .

(٢) ديوانه ٦٥ .

(٣) سبقت ترجمته هو وأبو الهذيل الآتى فى القسم **الأول** .

(٤) ديوانه ٢٧ . وفى ا . بالحبير بدل الحرير .

قال بعض حكماء أهل الأدب ، كمالُ حُسْن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها شديدة البياض ، وأربعةُ أشياءٍ شديدةَ السواد ، وأربعةُ أشياء شـــديدةَ الحمرة ، وأربعة أشياء مدوّرة ، وأربعةٌ واسعة ، وأربعةٌ ضيقة ، وأربعة رقيقة[١] ، وأربعة عظيمة ، وأربعة صغارًا ، وأربعةٌ طيبة الريح . فأمّا الأربعة الشديدة البياض . فبياضُ اللون ، وبياض العَيْن ، وبياضُ الأسنان ، وبياضُ الظفر[٢] .

وأمّا الأربعةُ الشديدة السّواد ، فشعر الرأس ، والحاجبين[٣] ، والحدقة والأهْداب .

وأما الشديدة[٤] الحمرة : فاللّسان ، والشفّتان ، والوجْنَتان ، واللَّثة .

وأما المدوّرة : فالرأسُ ، والعينُ[٥] ، والسَّاعد ، والعُرْقوبان .

وأما الواسعة : فالجبْهة ، والعين ، والصَدر ، والوَرِكاَن .

وأما الضيّقة : فالمِنخران ، والأُذُنان ، والسُّرة ، والفرج .

وأما الصّغار : فالأذنان ، والفَم ، واليدان ، والرِّجْلان .

---

(١) فى ا : دقيقة .
(٢) فى ا : الساق .
(٣) فى ا : الأشفار .
(٤) ساقط من ج .
(٥) فى ا : العنق .

وأما الرّقاق : فالحاجبُ ، والأنف ، والشّفتان ، والخصْر .

وأما الطيبةُ الريح : فالأنفُ ، والفمُ ، والأبط ، والفرج .

وأما العظيمة : الهامة ، والمنكبان ، والأضلاع ، والعجز[1] .

أنشد ابن أبى طاهر لشَريك الجَعْدِى :

ولو كنتُ بَعْدَ الشّيْبِ طالبَ صَبوَةٍ لأصْبَى فؤادِى نِسْوَة بحُلَاحِلِ[2]
عفيفاتُ أَسْوَارٍ بَعِيدَاتُ ريبةٍ كثيراتُ إخْلافٍ قليلاتُ نائلِ
تعلّمْنَ والإسْلَامَ فيهن والتقى شَوَاكِلَ[3] من علم الذّين بَسَابِلِ
مِراضُ العُيون فى احْمِرار مَحاجِرٍ دِوالُ المتونِ راحجاتُ الأسافِلِ
هضِماتُ ما بين التّرائب والحشَا لِطَافُ البُطونِ ظامِئاتُ الخلاخِلِ
تعوضن يوم الغيدِ من جَدَل المَها عيونًا وأعناقَ الظباء العَواطلِ[4]
كأن ذُرَا الأنقاَء من رَمْلِ عَالِجٍ خَبَتْ وَالْتَقَتْ منهنّ تحت المفاصلِ[5]

---

(١) فى ا ،قال : سقطت العظيمة ، ومنها لا محالة العجز والأضلاع . والله أعلم .

(٢) فى ا : لأصبى فؤادى كل ذات خلاخل ، وحلاحل موضع لم يعينه ياقوت بل قال : إنه ورد فى شعر لذى الرمة .

(٣) الشواكل : الطرق المتفرعة عن طريق كبير .

(٤) جدل المها : ولد الظبى ، قد قوى وتبع أمه ، والعواطل : الحسان بلا حلية .

(٥) الأنقاء جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة ، وخبت : استقرت وسكنت .

ولدِعْبل بن عليّ الخزاعي :

له منظر وَطْفٌ ومنسدل وحفٌ[١] ... ومبتسم يحيي إذا قتل الطّرفُ
وللظّبي عيناه وللدُّرِّ ثغره ... وَللقُضْبِ الأعلى وللكُثُب الرِّدْفُ
ظلمتُكَ لما قلتُ أشبهكِ الخِشْفُ ... أو القمرُ المعدود من شهره النصف[٢]
ولكنك النُّورُ المركبُ جوهرًا ... من الحُسْنِ لم يبلغ له الوهمُ وَالوصفُ

أنشدني أبو عمر يوسف بن هَرُون لنفسه :

بحتُ بُحبٍّ ولو غرَامِي ... يكونُ في صخرةٍ لَباحَا
ضَيَّعْتمُ الرُّشْدَ من مُحبٍّ ... ليسَ يرَى في الهوَى جُنَاحَا
لم يستطع حَمْلَ[٣] ما يُلاقى ... فشقَّ أثوابَهُ وَصَاحَا
مُحيِّرَ المقلتَيْن قل لِي ... هل شَرِبَتْ مُقْلتَاكَ رَاحَا
نَفْسِي فدى لَمٍ وخدٍّ ... قد جَمَعَا اللَّيْلَ والصبَاحَا
وَعَقْرَبٍ سُلِّطَتْ عَلَيْنا ... تَملأُ أكبادَنا[٤] جِراحَا

---

(١) الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والوحف : سواد الشعر وكثرته .

(٢) الخشف : ولد الظبي أول ما يولد ، أو أول ما يمشي ، أو النافر من أولادها ، وفي ا المعروف بدل المعدود . هذا ولم ترد الأبيات في ديوانه .

(٣) في ح : داء .

(٤) في ا : أجسادنا .

قد طارَ من شوقِهِ فؤادى فصارَ شَوْقِى له جَنَاحاَ

أنشدنى أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

لثاتك ياقوتٌ وَثَغرُكَ لُؤْلؤ وريقُك شهدٌ والنَّسيمُ عَبِيرُ
ومن وَرَقِ الْوَرْدِ الجنىِّ مُقَبَّلٌ تَرَشُّفُهُ عند المماتِ نُشورُ
وخدُّكَ وردُ الرَّوضِ والصّدغ عَقْربٌ وطرْفكَ سحرٌ والمجسُّ حريرُ
وحاجبُك المقْرُون نونان صُفِّفَا وقد لاح سَوْسَانٌ عليه نضيرُ
وشعرُكَ ليلٌ فاحمُ اللونِ حالكٌ ووجْهكَ بدرٌ تحت ذاكَ مُنِيرُ
وأنفُك من دُرٍّ مذابٍ مركَّبٌ وجيدُكَ جيدُ الظّبْىِ وهو غريرُ
وصدرُك عاجٌ أبيضُ اللون مشرقٌ ورُمّانُ كافورٍ عليه صَغِيرُ
ومن فضةٍ بيضاءَ كَفّاكَ صِيغَتَا(١) ولكنْ بمحمِّر العَقِيق تشيرُ
وقدُّكَ غصنٌ حين هبّت به الصَّبَا وردْفُكَ دعصٌ للرمال وثيرُ(٢)
وتخطو على أنبوبتين حَكَاهما من النخل جُمَّارٌ يجذُّ قشيرُ

---

(١) فى ا : صفتا .

(٢) الدعص : القطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب الصغير .

وتحتهما مشطان رَخْصَانِ[١] دَلّهَا ... عُقُولَ ذوى الألْبَابِ حين تدورُ
ودَلُّكَ سحرٌ يَخْلِسُ العقل فاتنٌ[٢] ... ولفظُك دُرٌّ إن نطقت نثـــيرُ
فمالك فى الدُّنيا من الناسِ مُشْبِهٌ ... ولاَلَكَ فى حُورِ الجنـان نظيرُ[٣]

وهذا الشعر من أحسن ماقاله متقدم أو مُتأخر[٤] فى عموم وصف المرأة وأجمعه وأطبعه إن شاء الله تعالى ، على أنّ هذا الوصف معدوم .

---

(١) فى ا : للعلاج .

(٢) فى ا : فاتر .

(٣) الأبيات فى نفح الطيب ٦/٢٠١ .

(٤) ا : متأخر أو متقدم .

باب النظر إلى الوجه الحسن

قال الله عز وجل ﴿ قُلْ للمُؤْمنين يَغُضُّوا من أبْصارِهم ﴾(1) ، ﴿ وقلْ للمُؤْمنات يَغْضُضْنَ من أبصارِهنّ ﴾(2) .

ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس(3) وهو رديفه ، عام حجة الوداع ، من النظر إلى الخثعمية(4) ، وصرف وجهه عنها .

ومنع بعضَ أصحابه الدخول عليه من أجل صفية زوجته(5) ، وقال لهم : إنها صفيّة .

---

(1) سورة النور ، الآية ٣٠ .

(2) سورة النور ، الآية ٣١ .

(3) ابن عبد المطلب الهاشمي ، ابن عم الرسول ، ويعد أكبر أولاد العباس ، كان من شجعان الصحابة ووجوههم ، وأردفه الرسول وراءه في حجة الوداع ، فلقب « ردف الرسول » ، وخرج بعد وفاة النبي إلى الشام مجاهدا ، فاستشهد في وقعة أجنادين ، وقيل مات في طاعون عمواس سنة ١٣ هـ . انظر الإصابة الترجمة ٧٠٠٥ ، طبقات ابن سعد ٤/٣٧ الأعلام ٥/٣٥٥ .

(4) هي أسماء بنت عميس بن سعد الخثعمي ، صحابية من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة ، تزوجت عدة من الصحابة ، أولهم جعفر بن أبي طالب ، وقتل عنها شهيدا في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، فتزوجها أبو بكر الصديق ، وبعد وفاته تزوجت بعلي بن أبي طالب ، وتوفيت عام ٤٠ هـ أو نحوها . انظر الإصابة ٨/٦ وانظر الأعلام والمراجع في هامشه جـ ١/٣٠٠ .

(5) هي صفية بنت حيي بن أخطب الخزرجية ، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف تدين باليهودية ، وكانت موصوفة بالجمال ، أسلمت بعد فتح خيبر ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفيت بالمدينة سنة ٥٠ انظر الإصابة الترجمة ٦٤٧ من كتاب النساء ، الأعلام ٣/٢٩٦ .

ومنع امرأتين من نسائه من النظر إلى ابن أم مكتوم(١) ، فقالتا : أليس أعمى ؟ فقال : « أفعمياوان أنتما » ؟

قال عقيل بن عُلّفة : لأن ينظر إلى ابنتى مائةُ رجل خيرٌ من أن تنظرَ هى إلى رجل واحد .

نظر أبو حازم بن دينار(٢) إلى امرأة حسناء ترمى الجمار أو تطوف بالبيت ، وقد شغلت الناس بالنظر إليها لبراعة حسنها ، فقال لها : أمةَ الله ! خمّرى وجهك ، فقد فتنتِ الناس ، فهذا موضع رغبةٍ ورهْبة . فقالت له : إحرامى فى وجهى أصلحك اللهُ يا أبا حازم ، وأنا من اللواتى قال فيهن العَرْجى(٣) :

من اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يبغين حِسْبةً ... ولكنْ ليقتُلْن التَّــــقىَّ المُغَفّلاَ

---

(١) هو عمرو أو عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم ، صحابى شجاع ، كان ضرير البصر ، أسلم بمكة وهاجر إلى المدينة بعد بدر ، وكان يؤذن للرسول فى المدينة مع بلال ، وكثيرا ما استخلفه الرسول على المدينة عند خروجه إلى الغزو ، ومن العجيب أنه حضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة فقاتل وهو أعمى ، ثم رجع بعدها إلى المدينة توفى عام ٢٣ هـ . انظر ابن سعد ١٥٣/٤ (الأعلام ٢٥٤/٥)

(٢) هو سلمة بن دينار المخزومى بالولاء ، أبو حازم ، عالم المدينة وقاضيها وشيخها ، فارسى الأصل ، كان زاهدا عابدا ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه ، فقال : إذا كانت له حاجة فليأت ، وأما أنا فمالى إليه حاجة ، وأخباره كثيرة ، توفى أبو حازم سنة ١٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ ، (الأعلام ١٧٢/٣) .

(٣) هوعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، شاعر غزل مطبوع ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ومن الفرسان المعدودين ، لقب بالعرجى لسكناه قرية العرج بالطائف ، حدث أن قتل مولى لعبد الله بن عمر فسجنه والى مكة حتى مات نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر الأغانى ٢٨٣/١ (الأعلام ٢٤٦/٤) .

فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندع الله (١) ألاّ يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار ، فقيل له : أفتنتك يا أبا حازم ؟ فقال : لا ، ولـكن الحُسْنَ مَرْحوم .

هـكذا روينا هـذا الخبر عن أبي حازم من وجوه بألفاظ مختلفة ومعنى متقارب .

وذكر المدائني عن عبد الله بن عمر العُمَرى (٢) ، قال : خرجت حاجًّا فرأيت امرأة جميلة تتـكلّم بكلامٍ أرفثتْ فيه ، فأدنيتُ ناقتى منها ، وقلت : يا أَمَةَ الله ! ألستِ خاجَّـة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهرُ الشمسَ حُسْنًا ، ثم قالت : تأمل يا عمرىّ ، فإنى ممن عناه العَرْجىُّ بقوله :

أماطت كِساءَ الخزّ عن حُرِّ وجهها ... وأدْنَتْ على الخدين بُرْدًا مُهَلْهلاَ
من اللّاء لم يَحْجُجْنَ يبغين حِسبَةً ... ولـكنْ ليقتُـلْنَ البرىءَ المغَفَّلاَ
وترمى بعينيها القـلوبَ ولحظِها ... إذا ما رَمَتْ لم تُخْطِ منهنّ مَقْتَلاَ (٣)

قال : فقلتُ : فأنا أسأل الله ألاّ يعذِّب هـذا الوجهَ بالنار ، قال : وبلغ ذلك

(١) ساقطة من ج .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن العمرى ، أحد رجال الحديث ، خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) على المنصور ، فقبض عليه وحبس ، ولما توفى المنصور خرج وذهب إلى المدينة فعاش فيها حتى مات نحو سنة ١٧١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/٣٢٧ .

(٣) انظر الأبيات والروايتين لهذا الخبر فى الأغانى ١/٣٨٣ ، ٤٠٤ ، وقد ورد الخبر بالرواية الأولى فى عيون الأخبار ٤/٢٩ ، زهر الآداب ١/٢١٠ .

سعيد بن المسيب ؛ فقال : أمَا والله لو كان من أهل العراق ، لقال : اغْرُبى قبحك الله ، ولـكنه ظَرْف عُبّاد أهل الحجاز .

قال عبد الله بن طاهر :

وجـه يدلُّ النـاظريـــن عليه فى اللّيلِ البَهـيمْ
فكأنه روحُ الحَيا ةِ يَهُبُّ بِمسْكىّ النسيمْ
فى خــدِّه ورد الجَمَا لِ يُعَـلُّ من ماءِ النعيمْ
سقْمُ الصّحيح المُستَقِلِّ (م) وصِحّـةُ الرَجُـلِ السَّقيم

نظرَ رجلان إلى جاريةٍ حسناء فى بعض طرق مكة فمالا إليها فاستسقياها ماءً ، فسقتهما فجعلا يشربانه ولا يسيغانه فعرفَتْ ما بهما فجعلتْ تقول :

هما استسقيا ماءً على غير ظمأة ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما

فعجبا من ذلك ودفعا الإناء إليها فمرت وهى تقول :

وكنتَ متى أرسلتَ طَرْفَكَ رائدًا لقلبك يوماً أتعبَتْكَ المنــاظرُ
رأيتَ الذى لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عَنْ بعضهِ أنت صابر(١)

---

(١) انظر الخبر والأبيات فى عيون الأخبار ٢٢/٤ ، وانظر البيتين فى الحيوان ٦٥/٢ ، محاضرات الأدباء ٤٨/٢ .

وقال آخر :

خليليَّ للبغضاءِ عينٌ مُبِينَةٌ ... وللحبِّ آياتٌ تُرَى ومعارفُ

ألا إنّما العينانِ للقلبِ رَائدٌ ... فما تألفُ العينانِ فالقلبُ يألفُ

يحبُّ ويُدْنِى من يقلُّ خلافُهُ ... وليس بمحبوبٍ حبيبٌ مخالفُ(١)

قال آخر :

ومَالَكَ منها غير أنك رائدٌ ... بعينيْك عينيها فهلْ ذاكَ نافِعُ(٢)

دخل الشَّعبي على عبدالملك بن مروان، فقال له : ياشعبيّ! بلغني أنه اختصم إليك رجلٌ وامرأته ، فقضيتَ للمرأة على زوجها ، فقال فيك شعرًا ، فأخبرنى بقصتيهما وأنْشِدْنى الشعر إن كنتَ سمعتَه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ! لا تسألنى عن ذلك . فقال : عزمتُ عليك لتُخْبرنِّى . قال : نعم ، اختصمتْ إلىّ امرأةٌ وبعلُها ، فقضيتُ للمرأة إذ توجه لها القضاء ، فقام الرجل وهو يقول(٣) :

فُتِن الشّعْبىُّ لمّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إليها

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ٢/٣٣ ، وفى ا : يراك ويهوى بدل يحب ويدنى .

(٢) البيت لأعرابية جلس إليها أحدهم لينظر ابنتها فقالته ، انظر عيون الأخبار ٤/١٠١ ، الحيوان ٦/٢٦٢ ، وفيهما : ناكح بدل رائد .

(٣) انظر الأبيات والخبر بتمامه فى الأغانى ٧/١٤٦ وقد وردت الأبيات ما عدا الثانى والثالث والأخير فى العقد الفريد ١/١٠٧ بدون نسبة ، وورد بعضها فى التمثيل والمحاضرة ٦٧ ومحاضرات الأدباء ١/٩٨ منسوبة للمتوكل الليثي .

بفتاةٍ حين قامتْ ... رَفَعَتْ مَأْكَمَتَيْها(١)
ومشت مشيًا رُوَيْدًا ... ثم هزّت مِنْكبَيْها
فتنتهُ بقــــوامٍ ... وبخطَّىْ حاجبيها
وبنانٍ كالمَدَارِى ... واسْودادِ مُقْلتَيْها
قال للجِلْوَازِ قرِّبْـ ... ـهَا وأحْضِرشاهديْها(٢)
فقضى جورًا علينا ... ثم لم يَقْضِ عَلَيها
كيف لو أبْصر منها ... نحرَها أو ساعِدَيها
لصَباَ حتى تَرَاهُ ... ساجدًا بينَ يَدَيْها
بنتُ عيسى بن حَرادٍ ... ظُـلِمَ الخصْمُ لَدَيْها

قال عبد الملك : فما صنعتَ يا شعبيّ ؟ قال : أوجعتُ ظهـرَه حين جوّرنى فى شعره .

هذا ما رواه سفيانُ بن عيينة ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن الشعبى ، وهو أصح إسنادٍ لهـذا الخبر . وذكر الهَيْثم بن عَدىّ ، قال : خاصَمَتْ أمُّ جَعفر بنت عيسى بن حرَاد زوجها إلى الشّعبى ، فلما قامت بين يديه ، قيل لها : ما صنعتِ ؟ قالت : سألنى البينة ، ومن سأل البينة فقد فلج ، ثم قضى لها ،

---

(١) المأكمتان : لحمتان تصلان بين العجز والمتنين .
(٢) الجلواز : الشرطي ، وفي ا : قدمها بدل قربها .

فقال هُذَيل الأَشْجَعِي[1] :

فتن الشّعبيّ لمـا   رفع الطرفَ إليها

وذكر الأبيات :

وفى رواية الهيثم بن عدىّ : أن الشعر لهُذَيل الأشجعى فيها ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : أبعده الله ، ماقضينا إلا[2] بحق . قال الهيثم : فحدّثنى ابن أبى ليلى ، قال : خرجنا مع الشعبي من المسجد ، وقد قام من مجلس القضاء ، فمررنا بجارية[2] تغسِلُ فى إجّانة[2]) فلما رأت الشعبي قالت :

فُتن الشّعبيّ لمـا

فقال الشّعبي :

رفع الطّرفَ إليها

خاصم الوليد بن صُرَيْع ، مولى عَمْرو بن حُرَيْث ، أختَه أمّ كلثوم ابنة صُرَيع إلى عبد الملك بن عُمير ، قاضي الكوفة ، وكان يُقال له : القِبْطى ، لفرسٍ كان له ، فقضى لها على أخيها ، فقال هُذَيْل الأشْجَعى[3] :

---

(١) هو هذيل بن عبد الله بن سالم بن هلال الأشجعى ، شاعر ماجن هجاء ، من أهل الكوفة ، له هجاء فى ثلاثة من قضاتها ، هم عبد الملك بن عمير والشعبى وابن أبى ليلى . انظر المرزبانى ٤٨٢ ، وجمهرة الأنساب ٢٣٨ (الأعلام ٩/٧٢) .

(٢) ساقط من حـ والإجانة : إناء تغسل فيه الثياب .

(٣) انظر هذا الخبر والأبيات ما عدا الأول في البيان ٣/٣٧١ ، وفيه : أن كلثم بنت سريع مولى عمرو ابن حريث ذهبت تخاصم أهلها .

لقـد عثرَ القبطيُّ أو زَلَّ زلةً ... وما كان منه لا العثارُ ولا الزّللْ

أتاه وليدٌ بالشُّهــودِ يقودُهُمْ ... على ما ادّعَى من صامتِ المالِ والخَوَلْ

يقودُ إليــــه كاثُماً وكلاُمها ... شفاءٌ من الدّاءِ المخامرِ والخَبَلْ

فأدْلى وليدٌ عنـد ذاكَ بحجةٍ(١) ... وكان وليدٌ ذا مِراءٍ وذا جَـدَلْ

وكان لها دَلٌّ وعينٌ كحيـلةٌ ... فأدْلَتْ بحُسنِ الدَّلِّ منها وبالـكَحَلْ

فأفْتنَت القبطيَّ حتّى قضى لهـا ... بغيرِ قضاءِ اللهِ في مُحْكَمِ الطُّوَلْ(٢)

فلو أنّ من في القصرِ يعلمُ علْمَه ... لما اسْتَعْمَلَ القبطِيَّ يوماً على عَمَلْ(٣)

له حين يقضي للنساء تَخاوُصٌ(٤) ... وكان وما فيه التخاوُص والحَوَلْ

إذا ذاتُ دَلٍّ كامتْهُ لحاجةٍ ... فهمَّ بأنْ يقضى تَنَحْنَحَ(٥) أو سَعَلْ

وبرّقَ عينيه ولاكَ لســــانَهُ ... يَرَى(٦) كل شيءٍ ما خلا شخصَها خَلَلْ

فبلغ ذلك عبد الملك بن عمير، فقال: ما لُهذَيل أخزاه الله! والله لربما جاءتني النحنحة أو السُّعلة(٧) وأنا في المتوضأ(٧) فأردها مخافة ما قال.

---

(١) في ا : بحقه .

(٢) في ا : السور الطول .

(٣) في البيان : فلو كان من بالقصر ... فينا .

(٤) التخاوص : غؤرر العين وتحديقها للتحقق من النظر .

(٥) في ح : تلجلج .

(٦) في ا : يرى .

(٧) ساقط من ح .

لعبد الله بن سليمان النحوى المكفوف[١] :

تقولُ من للعمى بالُحسْن قلتُ لها ... كَفَى عَن اللهِ فى تحقيقهِ الخبرُ[٢]
القلبُ يُدْرِكُ مالا عينَ تدركُهُ ... والُحسْنُ ما استحسنتْه النفس لا البَصرُ
وما العيونُ التى تعمى إذا نظرَتْ ... بل القلوبُ التى يَعْمَى بها النظرُ

وقال أيضاً ينقُضه[٣] :

ما إن يُمتَّــع بالمعشوقِ عاشِقَهُ ... سمعٌ إذا لم يمتّعْهُ به البَصرُ
وكل قلبٍ له حبٌ يقلبه ... وأعذب الحبِّ ما أحباكه النظرُ
ولو تكافى الهوى مرأى ومستمعاً ... لما تبايَنَت الأصواتُ والصورُ

أنشد إسحق بن إبراهيم لعمر بن أبى ربيعة فى محمد بن عروة بن الزبير ، وكان جميلا :

إنى امرؤٌ مُولَعٌ بالحسن أتبعُه ... لا حظَّ لى فيه إلاّ لذةُ النظرِ[٤]

---

(١) هو عبدالله بن سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى ، أبوبكر بن أبى داود ، من كبار حفاظ الحديث والمعرفة باللغة وعلومها ، عمى فى آخر عمره ، وكان قبل ذلك قد رحل رحلة طويلة سمع فيها من الشيوخ بمصر والشام وغيرهما ، ثم استقر فى بغداد وتوفى بها سنة ٣١٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ٦/٤٦٤ ، الوفيات ١/٢١٤ (الأعلام ٤/٢٢٤) .

(٢) فى ا : بدل هذه الشطرة : القلب يدرك ما لا يدرك البصر .

(٣) فى حـ : ينقضها .

(٤) البيت فى ديوانه ١/٣٦ ، وانظر قصته فى الأغانى ١/١٤٧ .

وقال محمود الوراق :

من أطلق الطَّرْفَ اجتنى شَهْوَةً ... وحارسُ الشَّهـوةِ غضُّ البَصَرْ
والطرْفُ للقلبِ لسانٌ فإنْ ... أرادَ نطقاً فليكرِّ النَّظَرْ
يُفْهَمُ بالعينِ عن العـينِ ما في الْـ ... قلبِ من مكنونِ خيرٍ وشَرْ
يَطْوِي لسانُ المرءِ أخبـارَه ... والطرفُ لا يملكُ طيَّ الخبَرْ

وقال آخر :

لا تـكثرنَّ تَأَمُّـلاً ... وامْلِكْ عَلَيْكَ عنانَ طَرْفِكْ
فلَرُبَّما أرسـلتَه ... فرَمَاكَ في ميدانِ حَتْفِكْ[1]

وقال أعرابي :

نظرتُ إليها نظرةً ما يَسرُّني ... وإنْ كنت محتاجاً بها ألفُ دِرْهَمِ[2]

قال شيخٌ من بني نُمَيْر : نظرتُ إلى مولدةٍ باليمامة ، فقالتْ : ملأتَ عينيك ومَلَكَ غيرُك .

---

(١) البيتان من شعر ابن عبد البر ، انظرهما في ترجمته في شذرات الذهب ٣/١٦ ٣ وقد نسب لابنه ، في المغرب ٢/٤٠٣ .

(٢) البيت في البيان والتبيين ٣/٣٥٣ .

وقال ذُو الرُّمَّة[١] :

عَلى وجهِ مَيٍّ مِسْحةٌ من مَلاَحَةٍ ‌ ‌ ‌ وتحتَ الثِّيابِ العارُ لو كان بَادِيَا

أَلم ترَ أنَّ الماءَ يَخبُثُ طعمُه ‌ ‌ ‌ ولو كان لونُ الماءِ أَبيضَ صافيَا

وقال بعضُ الأعراب :

جزى اللهُ البراقعَ من ثيابٍ ‌ ‌ ‌ عن الفتيانِ شرًّا ما بَقِينَا

يوارِينَ المِلاَحَ فلا أَرَاها ‌ ‌ ‌ ويوهِمْنَ الْقِبَاحَ فيزْدَهِينَا

وقال آخر :

لقد أعجبَتْها نفسُها فتملّحتْ ‌ ‌ ‌ بأَيِّ جمالٍ ليتَ شِعْرِى تَملَّحُ

وقال إسماعيل القراطيسى :

وقد أتانِى خبرٌ راعنى ‌ ‌ ‌ مِنْ قولِها فى السِّرِّ واضَيْعَتَاهْ

أمثلُ هـذا يبتغِى وصْلَنَا ‌ ‌ ‌ أما يرى ذا وجْهَه فى المِرَاهْ[٢]

---

(١) البيتان فى ديوانه ٦٧٥ فيما ينسب إليه من شعر ، ويقال إن ذا الرمة حين شبب بمية تمنت أن تراه ونذرت لئن رأته لتنحرن بدنة ، فلما رأته لم يعجبها ، واستنكرت شكله وهيئته ، فهجاها ذو الرمة ، ويقال إن البيتين لكنزه أم شملة المنقرى فى مى صاحبة ذى الرمة انظر وفيات الأعيان ٢/٢٣٤ ، وانظر عيون الأخبار ٤/٣٩ .

(٢) البيتان مما ينسب أيضا لذى الرمة ، انظر وفيات الأعيان ٣/١٨٥ ، عيون الأخبار ٤/٣٨ .

وقال عبّاس بن الأحنف :

هَمّتْ بإتياننا حتّى إذا نظـرَتْ ... إلى المِرآةِ نهاها وجهُها الحَسَنُ
ما كان هذا جزائي من مَحاسِنِهاَ ... أغرَتْ بي الشّوْقَ حتى شفّني الشّجَنُ[١]

كان يقال : أربعةٌ تزيد فى البَصَر : النظرُ إلى الوجهِ الحسن ، وإلى الخُضرة ، وإلى الماءِ الجارى ، والنظرُ في المصحف .

دخل الشّعبيُّ سوق الرقيق ، فقيل له : هل مِنْ حاجة ؟ فقال : حاجتى صورةٌ حسنة ، يتنعم فيها طَرْفى ، ويلتذُّ بها قلبى ، وتُعينُنى على عبادة ربى .

أدام إبراهيم النّظّام النظرَ إلى جاريةٍ[٢] حسناء ، فقال مولاها : أراك تديم النظرُ إليها ، فقال : مالى لا أتأملُ منها ما أحلّ الله ، وفيه دليل على حكمة صنعة الله ، ومعه اشتياق إلى ماوعد الله .

قال الحسنُ البَصْرى : ينبغى للوجهِ الحسنِ ألا يَشِينَ وجهَهُ بقبيح فعله ، وينبغى لقبيح الوجهِ ألاّ يجمع بين قبيحين .

[٣] قال الشاعر:

إنّ حُسْـنَ الوجهِ يحتا ... جُ إلى حُسْـنِ فِعَالْ
حاجةَ الصَّادِى من الما ... ءِ إلى العَذْبِ الزّلاَلْ[٣]

---

(١) ديوانه ١٦٤ .
(٢) فى ح : امرأة .
(٣) ساقط من ا .

بابُ جامع ذكر النساء ، وتزويج الأكفاء

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّنيا كلُّها متاع ، وخير متاع الدُّنيا المرأةُ الصالحةَ ».

ويروى أنّ داود عليه السلام قال لابنه سليمان : يا بنيّ ! إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك ، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرأة كالضّلع العَوْجاء ؛ إن رفقتَ بها استمتعت منها »[1] أخذه الشاعرُ فقال :

هي الضِّلَعُ العوجاءُ لستَ تُقيمُها ألاَ إنّ تقويمَ الضلوعِ انكسارُها[2]

قيل لبعضِ الأعراب : من تركتَ عند نسائك ؟ فقال : حافِظَيْن : الجوعَ والعرْى ، عَرين فلا يَظْهرن ، وجُعْنَ فلا يَأشَرْن .

مما أوصى به محمد بن عبد الله بن حُسَين ابنيه ، فقال : واعلما أن لن[3] تسقطَ

---

(١) فى ا : بها .

(٢) انظره فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ .

(٣) فى ح : لو .

امرأةٌ واظبت على ثلاث خلال : الماء[1] والسواك والكحل فعليكما بهن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراءَ الدِّمَنْ . قالوا : وما خضراء الدمن ؟ فقال : المرأةُ الحسناء في المنبَتِ السُّوء » . شبهها بنبات أخضر نضر نبت على دمنة ، وهي الأبعار والأبوال تَتَلْبَّل بعضُها على بعض .

قال مُعَاذُ بن جبل: أخوف ما أخاف عليكم النساء ، إذا تسورن الذهب ، ولبسن عصب اليمن ، ورباط الشام ، فأتعبن الغنيّ وكلفن الفقير مالا يجد .

قال سَمُرةبن جُنْدُب : سمعت عمر بن الخطاب يقول : النساء ثلاث والرجال ثلاثة : امرأةٌ عاقلة مسلمة عفيفة هيّنة لينة ودود ولود ، تعينُ أَهلها على الدَّهْر ، ولا تعين الدهرَ على أهلِها ، وقليلا ما تجدها . وأخرى وعاء[2] للولد لا تزيدُ على ذلك ، وأخرى غُلٌّ قَمِلٌ[3] يجعله اللهُ في عُنق من يشاء ، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعه .

وذكر الرجال بما قد ذكرتُه في باب ثلاثة .

قال منصورُ الفقيه :

أفضلُ ما نال الفَتَى بعد الهُدَى وَالْعَافِيَهْ

---

(١) في ا : المرآة .

(٢) ساقطة من حـ .

(٣) غل قمل : مثل يضرب للمرأة السيئة الخلق ، وفي اللسان مادة غل : قولهم في المرأة السيئة (غل قمل) ، أصله أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً غلوه بغل من قد (جلد) وعليه شعر ، فربما قمل في عنقه إذا =

قرينـــةٌ مُسْلِمةٌ عفيفـةٌ موَاتِيَـهْ

ذكر ثعلبُ عن ابن الأعرابى ، قال : قالوا : النساء خُلقْـن من ضَعْف ، فداووا ضعفَهُنّ بالسكوت ، وعوراتِهِـنّ بالبُيوت .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « تُنْـكَح المرأةُ لمالها وَحَسَـبِها وَجَمَالِها وَدِينِها ، فعليك بذوَاتِ الدين تربَتْ يداك » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « عليكم بالأبكار ؛ فإنهنّ أطيب أفواهاً ، وأرتق أرحاماً ، وإياكم والعجائز » .

وروى عنه صلى الله عليه أنه قال : « أعظمُ النساء بركةً أحسنهنّ وجوها ، وأرخصهنّ مهورًا » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ترفقوا[1] وَلا تطلقوا ، وانكحوا الأكفاء واختاروا لنطفكم ، فإن العِرْق دسّاس » .

كان يقال : إياكم وَمناكحة الحمقاء ، فإن صحبتها أذى ومناكحتها أذى .

قال أبو الأسود لبنيه : يا بَنيّ ! قد أحسنتُ إليكم صغارًا وكبارًا ، وقبل

= قب وبدس ، فتجتمع عليه محنتان : الغل والقمل ، ضربه مثلا المرأة السيئة الخلق الكثيرة المهر ، لايجد بعلها منها مخلصا .

(١) فى ا : تزوجوا .

أن تولدوا ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : التمستُ لكم من النساء الموضِعَ الذى لا تُعَابون به .

وشُوور بعضُ الحكماء فى تزويجٍ ، فقال للمُشاوِر : يا ابنَ أخى ! إياكَ أن تزوج لأهل دناءةٍ أصابُوا من الدنيا ، فإنك تشركهم فى دناءتهم ، ويستأثِرُون عليك بدنياهم . قال : فقمتُ عنه وقد اكتفيت بما قال لى.

كان يقال : لا تسترْضِعوا الْحَمْقاءَ ؛ فإن اللَّبَن ينزِعُ[1] بالشَّبه إليها .

قال عمرُ بن الخطاب : لا تُسْكِنُوا نساءكم الغُرَف ، ولا تعلّمُوهن الكتابة ، واستعينوا عليهن بالعُرْى .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : استعيذوا باللهِ من شِرَار النساء ، وكونوا من خيارهنّ على حَذَر .

وقال أيضاً : عليكم بالسّرارى ؛ فإنا رأيناهنّ يأخُذْنَ بعزّ العرب ومُلْكِ العجم .

قال علىّ بن أبى طالب : خيرُ نسائكم الطيبة الرائحة ، الطيبة الطعام ، التى إن أنفقت أنفقتْ قَصْدا ، وإن أمسكت أمسكتْ قَصْدا ، فتلك من عُمَّالِ الله ، وعامِلُ الله لا يخيب .

---

(١) ينزع : يرجع بالشبه إليها .

قال على بن أبى طالب : من أراد البقاء — ولا بقاء — فليخفف الرِّداء ، وليباكر الغداء ، وليقلّ مجامعةَ النساء . قيل له : وما خفّة الرداء ؟ قال : الدَّيْن . ثم قال : المرء بجدّه والسيف بحدّه ، والثناء بعد البلاء .

قال عمرُو بن العاص : الناكحُ مغترِس ، فلينظر امرؤٌ حيث يقع غرسه .

قال المغيرةُ بن شُعْبة : صاحبُ المرأة الواحدة امرأةٌ مثلها ، إن بانَتْ بان معها ، وإن حاضتْ حاضَ معها ، وإن مَرِضتْ مَرِض معها ، وصاحبُ المرأتين على جَمْرتين ، وصاحبُ الثلاث على رُسْتَاق[1] ، وصاحبُ الأربعة كلَّ ليلةٍ عَرُوس . أخذه الشاعر فقال :

وصاحِبُ ضرّتينِ على الليالى ... كما قد قيل بَيْن الْجَمْرَتَيْنِ
رضاً هذِى يُهَيِّج سُخْط هَذِى ... فما يَعْرَى من احدَى السُّخْطَتين[2]

دخل أعرابىٌّ على الحجّاج فسمعه يقول : لا تكمُلُ النعمة على المرء حتى ينكحَ أربعَ نسوة يجتمعن عنده ، فانصرفَ الأعرابىّ فباع متاعَ بيته ، وتزوّج أربع نسوة ، فلم توافقه منهنّ واحدة ، خرجتْ واحدةٌ حمقاء رَعْناء ، والثانية متبرّجة ، والثالثة فارك أو قال فَرُوك[3] ، والرابعة مذكَّرة ، فدخل على الحجاج فقال : أصلح الله

---

(١) الرستاق : السواد والقرى ، والمراد أنه كحاكم الرستاق .
(٢) انظرهما فى أمالى القالى ٢/ ٣٥ ، ٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٢١٩ .
(٣) الفروك : التى يبغضها الرجال .

الأمير ، سمعتُ منك كلاماً أردتُ أن تتم لى به قرَّةُ عَيْن ؛ فبعت جميعَ ما أملك ، حتى تزوجتُ أربعَ نسوةٍ ، فلم توافقنى منهنّ واحدة ، وقد قلتُ فيهنّ شعرًا ، فاسمعْ منى ، قال : قُلْ . فقال :

تزوجتُ أبغى قُرَّةَ العينِ أربعًا ... فياليتَ أنّى لم أكن أتزوَّجُ
وياليتنى أعْمَى أصمُّ ولم أكُنْ ... تزوجتُ بل ياليت أنى مُخَدَّجُ(١)
فواحـدةٌ ما تعرفُ اللهَ ربَّها ... وَلا ما التُّقَى تدرى وَلا ما التَّحرُّجُ
وثانيةٌ ما إن تقـــرَّ ببيتها ... مذكّرة مشهـــورة تتبرَّجُ
وثالثة حمقاء رَعْنَاَ سخيفـةٌ ... فـكل الذى تأتى من الأمر أعوجُ
ورابعةٌ مفروكةٌ ذاتُ شِرَّةٍ ... فليستْ بها نفسى مَدَى الدهر تُبْهَجُ
فهنَّ طلاقٌ كلُّهن بوائِنٌ(٢) ... ثلاثاً ثلاثاً فاشْهَدُوا لا تلجلجوا (٣)

فضحك الحجَّاجُ حتى كاد يسقط من سريره ، ثم قال له : كم مُهورهنّ ؟ قال : أربعة آلاف درهم . فأمر له بثمانيةِ آلاف دِرْهم(٤) .

قال أكثمُ بن صيفي لبنيه : يابنى لا يَغلبنكم جمال النساء عن صَرَاحة النسب ، فإن المناكحَ الكريمةَ مَدْرَجةٌ للشرف .

---

(١) المخدج : ناقص الخلق ، وفى حـ : أنى أعرج .
(٢) فى حـ : بواقل .
(٣) الأبيات فى أمالى القالى ٣/٤٠ ، مع اختلاف فى الألفاظ يطول ذكره ، فانظرها ثمة .
(٤) فى المرجع السابق أنه أمر له باثنى عشر ألف .

روى أسامةُ بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أَنّ عبد الله بن رَوَاحَـةَ وقع على جارية له ، فاتهمتْهُ امرأتُه ، فقـال : ما فعلتُ . فقالت : فاقرأ القـرآن إذًا . فقال :

وفينا رسولُ اللهِ يتـلُو كتابَهُ كما انشقّ مشهورٌ من الصبح سَاطِـعُ
أتانا الهُدى بعـد العَمى فقلوبُنَا به موقنـاتٌ أن ما قال واقعُ
يبيتُ يجافِي جنبه عن فِرَاشـه إذا استثقلَتْ بالهَاجعينَ المضاجعُ(١)

فقالت : أولى لك . وفى رواية أخرى فى هـذه القصة أنّها لما قالت له : فاقرأ إذًا شيئا من القرآن ، قال :

سمعتُ بأنّ وعـدَ الله حقٌّ وأن النَّار مثوى الـكافِرِينا
وأن العرشَ فوقَ الماءِ حقٌّ وفوقَ العرشِ ربُّ العالَمِينا(٢)

قالت : ما شاء الله ! كَذَبَتْ عينى ، وأنت الصادق . أو نحو هذا .

قال المغيرةُ بن شعبة : إذا كان الرجـل مذكّرًا والمرأة مذكّرة تَصَادَما(٣) العيش ، وإذا كان الرجل مُؤَنثا والمرأةُ مؤنثة ماتا هُزْلاً ، وإذا كان الرّجلُ مؤنثًا

(١) فى ا : بالـكافرين بدل الهاجعين .

(٢) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٩٢ ، وفيها مأوى بدل مثوى .

(٣) فى ح : تكادما . وتصادما أى اصطدما كما تصطدم الحديدة بالحديدة ، والمراد لم يلن أحدهما للآخر ولم يتفقا .

والمرأة مذكّرة كان الرجلُ هو المرأة ، والمرأة هى الرجل ، وإذا كان الرجل مذكرًا والمرأة مؤنثة طاب عيشهما .

قال الحسنُ : إياكم وسِمْنة البنات ، فإن كنتم لا بد فاعلين ،فاحفظوهن .

قال إياسُ بن معاوية : من يُمْنِ المرأةِ الولدُ ، ومن بَرَكتها مياسَرتُها فى المهر .

كان يقال : لا تزوّج كريمتَك إلاّ من عاقل ، فإن أحبّها أَكرَمَها ، وإن أبغضها أنصفَها .

قال غيرُه : لا تزوِّج وليتَك إلاّ من ذى دِين ، فإن أحبها أحسن إليها ، وإن أبغضها لم يظلمْها .

روى أبو العباس عن الأصمعى قال : قال أعرابىٌّ لامرأته : صِفِينى بما تعلمى منى ولا تكتمى[1] . فقالت : أَمَا واللهِ إن كنتَ لخفيفاً على ظهر الفرس ، ثقيلاً على العدوِّ ، ضحوكاً مقبلا ، كسوبًا مُدْبرا ، لا تشبعُ ليلة تضاف ، ولا تنامُ ليلة تخاف .

وعن الأصمعى أيضًا ، قال : هلك رجل من العرب ، فقيل لامرأته : صفى

(١) فى ح : ولا تكذبى .

بعلك ، فقالت : واللهِ إن كان — فيما علمتُ — لضحوكاً إذ وَلج ، كسوبًا إذا خرج ، آكلا ما وجد ، غير سائلٍ ما فقد (١) .

قال الأصمعى ، قال الحسن : كان أَهلُ الجاهلية إذا خطب الرجلُ المرأَةَ تقول : ما حَسَبُه ، وما حَسَبُها ؟ فلما جاء الإسلامُ ، قالوا : ما دينُه ، وما دينُها ؟ وأنتم اليوم تقولون : ما مالُه ، وما مالُها ؟

قال الشاعرُ :

لا يأمنَنَّ على النساءِ أَخٌ أَخًا ما فى الرجالِ على النساءِ أَمينُ
إن الأمينَ وإنْ تحفَّظَ جَهْدَهُ لابدَّ أَنَّ بنظـرةٍ سيخـونُ (٢)

قيل لبعضهم : ما تقول فى الباه ؟ قال : عندى ما يقطع حجتها ، (٣) ولا يقضى حاجتها (٣) .

قيل لمدنىّ : ما عندك من هـذا الأمر ؟ قال : إنْ مُنِعتُ غَضِبْت ، وإن تُرِكْتُ عَجَزْت .

قيل لآخر : ماعندك للنساء ؟ قال : أطيل الظمأ ، ثم أرد فلا أَشرب .

---

(١) هذا الخبر ساقط من ا .

(٢) البيتان فى فصل المقال ١٤١ ، التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٤٠٩ بدون نسبة ، وفى المحاضرات : لاتأمنن .... ولو أخا .

(٣) ساقط من

مرت بعيسى بن موسى(١) جاريةٌ ، فقام إليها فصرَعَها ، فلما رامها عجز عنها فقال :

القلبُ يطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ والنفسُ تهلكُ بين العجزِ والطمعِ(٢)

كان يقال : لُعِن كل فاجر عند الجماع(٣) ! !

قالوا : لذةُ المرأةِ على قَدْر شهوتها ، وغيرَتُها على قدْر محبّتها .

تزوّج رجلٌ — وهو رَوْحُ بن زِنْبَاع(٤) — أمّ جعفر بنت النُّعمان بن بَشِير ، زوّجها له(٥) عبد الملك بن مروان ، وقال : إنها جارية حسناء ،فاصبر على بذاء لسانها، فصحبها ثم أبغضها . فمن قوله فيها :

ريحُ الكرائِمِ معروفٌ لَهَا أَرَجٌ وريحُها ريحُ كلبٍ مسَّهُ مطرُ(٦)

---

(١) ابن محمد العباسى ، أمير من الولاة القادة ، وهو ابن أخى السفاح ، وكان من فحول أهله وذوى النجدة والرأى منهم ، وله شعر جيد ، ولاه عمه الكوفة وقراها سنة ١٣٢ هـ وجعله ولى عهدالمنصور،ولكن المنصور استنزله عن ولاية العهد لابنه نظير مال وفير ، ولما جاء المهدى عزله عن ولاية عهده بالتهديد والوعيد فذهب إلى الكوفة وأقام بها إلى أن مات سنة ١٦٧ هـ . انظر . أشعار أولاد الخلفاء ٣٠٩ـــ٣٢٣ (الأعلام ٢٩٧/٧ وهامشه) .

(٢) البيت فى : عيون الأخبار ٥٦/٤ ، العقد الفريد ١٤٠/٦ .

(٣) ساقطة من حـ .

(٤) ابن روح الجذامى ، أمير فلسطين ، وسيد اليمانية فى الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها . كان عبد الملك بن مروان شديد الإعجاب به ، وكان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز ، قيل كانت له صحبة ، توفى سنة ٨٤ هـ . انظر الإصابة الترجمة ٢٧٠٧ ، (الأعلام ٦٣/٣) .

(٥) فى ا : زوجة عبد الملك .

(٦) انظر الخبر والبيت فى الحيوان ٢٢٦/١ .

وقد هجته هى أيضاً ، فمن قولها فيه :

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنـكرَ جلْدَهُ ٭ وعجَّتْ عجيجًا من جُذامَ المطارِفُ(١)

فقال بعض الأعراب :

من منزلى قد أخْرجتنِي زوجَتِي ٭ تهرُّ فى وجْهِى هَرِيرَ الـكلبةِ

زُوِّجتُها فقيرةً منْ حِرْفَتِي ٭ قلتُ لهـا لمّا أراقَتْ جرَّتِى

أمّ هـلالٍ أبْشرى بالحسرةِ ٭ وأبْشرى منّى بوقع الضرّةِ(٢)

خطب النّوَار بنت أعْين بن ضَبْعة الْمُجاَشِعيّة رجلٌ من قيس ، فجعلت العقـد عليها إلى الفرزدق ، وكان أبوها قتلتْهُ الخوارج أيّام الحـكَمَيْن ، وكان علىٌّ رضى الله عنه بعثه إلى البَصرة ، فقال لها الفرزدق : أشهِدِى لى أنّك جعلتِ أمرَكِ إلىّ فإنى أخاف من هو أقربُ إليك منّى من أوليائك. فأشهدت له. فأنـكحها الفرزدقُ من نفسه ، وأَشْهَدهم ، فلم ترض النّوَار ، فتنازعا . فخرجا إلى عبد الله بن الزّبير ، وكان العراق والحجاز يومئذ إليه . فتشفّعت النّوَار يومئذٍ بخولة بنت منظور بن زَبّان الفزارى ، وتشفع الفرزدق بابنها حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فأنجحت خوَلةُ وشفّعها

(١) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٢٨٤ وجذام هى قبيلة روح ، وفى التمثيل يديه بدل جذام ، والمطارف جمع مطرف وهو رداء من خز .

(٢) الأبيات فى الحيوان ١/٢٥٧ منسوبة للنجرانى ، وفيه بقرب بدل بوقع .

زوجها ابن الزبير وقال للفرزدق : لا تقرَبْها حتى تصير إلى البصرة فتحكّم معها إلى عاملي بها ، فقال الفرزدق :

أمّا بنوه فلم يقبلْ شفاعَتَهُم وشفّعوا بنتَ منظورِ بنِ زَبَّانَا
ليس الشفيعُ الذى يأتِيكَ مُئْتَزِرًا مثلَ الشفيعِ الذى يأتيك عُرْيَانَا[1]

خطبَ العريان بن الهذيل البُرجُمى امرأةً ، فكان أصمّ وكانت عوراءَ ، فقالت : تسألُ عنا ونسألُ عنك ، فقال :

فإن تسألِي عنّا وَعَنْكِ فإنَّنا كِلانَا به داءٌ أصمَّ وأعْوَرَا

فقالت : أمّا إذ عرفتَ الدّاء فاجلس ، فبعثتْ إلى وليِّها فزوّجها إيّاه .

قال الأصمعى : قيل لأعرابى : من لم يتزوج امرأتين لم يَذُق لذةَ العيش ، فتزوّج امرأتين ثم ندم ، فقال :

تزوجتُ اثنتين لفرطِ جَهْلى بما يَشْقَى به زوجُ اثنتين
فقلتُ أَصِيرُ بينهما خروفاً أنعَّم بين أَكرمِ نعجتينِ[2]
فصرتُ كنعجةٍ تُمسِى وتُضْحِى تَرَدَّدُ بين أخبثِ ذئبتينِ[3]

---

(١) ديوانه ٨٧٣ .
(٢) فى حـ : ضرتين .
(٣) فى ا : تضحى وتمسى ، وفى الأمالى تداول بدل تردد .

رضى هَذِى يهيّجُ سُخْطَ هذى ... فما أعْرَى من احدى السّخْطتينِ
وأَلْقَى فى المعيشة كلَّ بُوسٍ ... كذاك المرء بين الضرّتينِ
لهذى ليلةٌ ولتلك أُخْرى ... عِتابٌ دائمٌ فى الليلتينِ(١)

وقال الغَزَّالُ :

إن الفتاةَ(٢) وإن بَدَا لك حبُّها ... فبقلبها داء عليك دفينُ
وإذا ادّعين هوى الكبير فإنّما ... هو للكبير خديعةٌ وقُرُونُ(٣)
وإذا رأيتَ الشيخَ يهوَى كاعباً ... فعَلَيْه من درك القُرُون دُيُونُ

وقال الغَزَّال أيضاً :

أنا شيخٌ وقلتُ فى الشيخ ما يَعْـ ... ـلمُه كلُّ أبْلهٍ وذَهِينِ
كلُّ شيخ تراه يكثرُ من كسـ ... ـب الجوارِى نخذهلى(٤) بالقرونِ

قال الأحنف بن قيس : إذا أردتم الحَظْوة عند النساء فأفحشوا فى النكاح ، وأَحْسِنوا الأخلاق .

---

(١) انظر الأبيات فى أمالى القالى ٢/٣٥ ، ٣٦ .
(٢) فى ا : العتاب .
(٣) ساقط من ا .
(٤) فى ا : فخذ له .

قيل لأعرابيّ : ما تقولُ فى نساء طيّئ ؟ قال : إذا شئت . قيل : فما تقول فى نساء ضبّة ؟ قال : نك ودَحْرِج .

روى عن النبيّ عليه السلام أنه قال : « النِّساءُ حبائلُ الشيطان » .

قال معاويةُ : ما رأيت منهوماً فى النساء إلاّ رأيتُ ذلك فى ضعفِ مُنّته(١) .

قال عبد الملك : من أراد النجابة فبناتُ فارس ، ومن أراد النكاح فبنات البربر ، ومن أراد الخدمة فالرُّوميات .

قال سعيدُ بن المسيّب : ما عرفنا أولادَنا حتّى عرفنا بناتِ فارس .

قال أبو هلال الراسبيّ : جاء رجل إلى أهله بجزَر ، فقال : يا هـذه ! اطبخيه أو اشويه وكُليه ، فإن المطبوخ جيّد للبطن ، والمشويّ جيد للظهر ، والنِّيء جيد للجماع ، قالت : ليس عندنا نار فكله .

غاضب رجلٌ امرأته ثم ترضّاها ، فلجتْ فكابرها حتى جامعها ، فقالت : أخزاك الله ، كلّما وقع بينى وبينك شيء جئتنى بشفيع لا يمكننى ردُّه .

قال الشاعر أيمنُ بن خُرَيْم(٢) :

لقيتُ من الغانياتِ العُجَابَا ... لو أُدْرِكَ منى العَذَارى الشَّبابَا

---

(١) المنة : البنية .
(٢) الأبيات التالية عدا السادس والسابع فى عيون الأخبار ١٠٢/٤ .

ولكنّ جماعُ العذارى الحِسانِ ... عذابٌ شديدٌ إذا المرء شاباَ
يُرَضْنَ بكلِّ عَصَا رائضٍ ... ويُصْبِحْنَ كلَّ غداةٍ صِعاَباَ
عَلاَمَ يكَحِّلْن حور العيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعد خِضابٍ خِضاَباَ(١)
ويبرُقْنَ(٢) إلاّ لما تعلَمُون ... ولا تحرِمُوا الغانياتِ الضِّراباَ
فلو كنتَ بالمُـــدِّ للغانياتِ ... وظاهَرْتَ بعد الثياب الثياباَ
ولم تنِلْهُنّ من ذاك قُرْباَ ... كأنَّك حَدَّثْتَهُنّ الكذاباَ
إذا لم يُخَالِطْنَ كلَّ الخلاَ ... طِ أَصْبَحْنَ مُخْرَنْطِماتٍ(٣) غِضاباَ
يميتُ العتابَ خِلاَطُ النساءِ ... ويُحْيي اجتنابُ الخلاطِ السِّبَاباَ(٤)

قضى سلمانُ بن رَبيعة(٥) على رجل بأن يأتى امرأته فى كل أربع ليلة، فرضى ذلك عمر، وجعله قاضيا بالكوفة، وخبره مشهور قد ذكرناه فى مواضع.

---

(١) فى العيون : علام ... بعد الخضاب الخضابا.

فيها أيضا . ويبرزن.

(٣) المخرنطمة : الغاضبة المتكبرة.

(٤) فى العيون . العتابا.

(٥) الباهلى، قيل له صحبة، وهو من القادة القضاة، شهد فتوح مصر، وسكن العراق، واستقضاه عمر على الكوفة، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان، واستشهد فيها سنة ٣٠ هـ. انظر: الإصابة ٢/٦١، تهذيب التهذيب ٤/١٣٦، (الأعلام ٣/١٦٨). هذا وقد ورد الاسم فى ا، ح: سليمان بن أبى ربيعة وهو خطأ. كما ورد فيها أن عمر ولاه قضاء البصرة، وهذا ما لم يرد به ذكر فى المراجع التى ترجمت له.

وروى يعقوب بن طلحة ، وإسحق بن محمد السِنىّ أن عمرَ بن الخطاب شكت إليه امرأةٌ أن زوجها لا يأتيَها إلاّ فى كلّ طُهْر مرة ، فقال لها : ليس لك غير ذلك ولا كرامة .

رُوى عن أبى هريرة ، وبعضهم يرويه مرفوعاً : أنه قال : فضّلت المرأة على الرجل بتسعةٍ وتسعين جزءًا من اللّذة ، أو قال من الشّهوة ، ولكن الله ألقى عليهن ّالحياء .

قال المأمون : النساء شرٌّ كلُّهن ، وشرٌّ ما فيهن قلةُ الاستغناء عنهن .

قال غيره : الصبرُ عنهنّ أهونُ من الصبر عليهن .

قال معاوية : هنَّ يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام .

كان يقال : النكاحُ فرحُ شهرٍ ، وغمُّ دَهْر ، ووزنُ مهر ، ودقُّ ظهر .

ودخل معاويةُ بن أبى سفيان على مَيْسُون بنت بَحْدَل الكَلْبية أمِّ يزيد ، ومعه خديجُ الخصىّ (١) فاستترت منه ، فقال لها معاوية : إنّ هذا بمنزلة المرأة ، فعلام تستترين منه . فقالت : كأنك ترى المُثْلَةَ به أحلّتْ له منّى ما حرّم الله .

كان محمد بن حسين يقول : اللّهم ارزقنى امرأةً تسرُّنى إذا نظرتُ ، وتطيعُنى إذا أمرتُ ، وتحفظنى إذا غبت .

---

(١) فى حـ : الفتى .

قالت أسماء بنت أبي بكر : النكاحُ رقٌّ النساء ، فلتنظر المرأة عند من تضعُ رقَّها .

ضرب عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن ، فأقاموا سنين ، حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق ، قال : واللهِ لأعُسَّنَّ الليلة مدينة دمشق ، ولأسمعنَّ ما يقول الناس فى البعث الذى غرّبتُ فيه رجالَهم ، وغرمتُ فيه أموالهم . فبينما هو فى بعض أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلِّى ، فتسمّع إليها ، فلما انصرفتْ إلى مضجعها قالت : اللهم يا غليظَ الحُجُب ، ويا منزّل الكُتُب ، ويا معطى الرَّغَبِ ، ويا مؤدى الغُرَب . أسألك أن تردّ غائبى ، فتكشفَ به همّى ، وتُصْفِى به لذّتى ، وتقرّ به عينى ، وأسألك أن تحكم بينى وبين عبد الملك بن مروان الذى فعل بى هذا ، فقد صيّر الرجل نازحاً عن وطنه ، والمرأة مُقْلَقَةً على فراشها ، ثم أنشأت تقول :

تطاول هـذا اللّيلُ فالعينُ تدمَعُ وأرّقنى حُـزْنِى وقلبِىَ مُوجَعُ
فبتّ أقاسى الليلَ أرعَى نجومَهُ وباتَ فؤادى هامدًا يتفزّعُ
إذا غابَ منها كوكبٌ فى مغيبِهِ لمحتُ بعينى آخرًا حين يطلعُ
إذا ما تذكّرتُ الذى كان بيننَا وجـدتُ فؤادى للهَوَى يتقطّعُ
وكلٌّ حبيبٍ ذاكـرٌ لحبيبِهِ يرَجِّى لقاهُ كلّ يومٍ ويطمعُ

فذا العرشِ فرّج ماترى من صَبابتى | فأنت الذى ترعى أمورى وتسمعُ
دعو ُتك فى السّراءِ وَالضُّرِّ دعوةً | على غُلة(١) بين الشراسيف تلذعُ

فقال عبدُ الملك لحاجبه : تعرفُ لمن هذا المنزل ؟ قال : نعم ، هـذا منزل زيد بن سِنَان . قال : فما المرأة منه ؟ قال : زوجتُه . فلما أصبحَ سأل كم تصبرُ المرأةُ عن زوجها ؟ قالوا : ستّة أشهر . فأَمر ألاّ يمكث العسكر أكثر من ثلاثة(٢) أشهر .

قال سليمانُ بن داود صلى الله عليهما : يا بنىّ ! لا تكثر الغِيرةَ على أَهلك من غير ريبة ، فتُرْمَى بالشَّرِّ من أَجلك وإن كانت بريئة .

قال طفيلُ الغنوى(٣) :

إنّ النساءَ كأشجارٍ نَبَتْنَ معاً | منها المُرَارُ(٤) وبعضُ المرِّ مأكولُ
إن النساءَ متى يُنهَيْنَ عن خُلُقٍ | فإنّه واجبٌ لا بدَّ مفعولُ

وُجد صبيٌّ منبوذٌ فى بعض مساجد أَصفهان ، ومعه صرَّة فيها مائةُ دينار ، ورقعة مكتوب فيها : هذا جزاءُ من لا يزوِّجُ ابنته .

---

(١) الغلة : الحاجة الملحة ، والشراسيف جمع شرسوف ، وهو الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن .
(٢) فى ا : ستة أشهر .
(٣) ديوان ٣٤ .
(٤) المرار : شجر مر .

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف يحضرُ طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخِصب ، وأنه قد سمن ، فكتبت إليه امرأته :

أتُهدى لىَ القرطاسَ والخبزُ حاجتى ... وأنتَ على بابِ الأميرِ بطينُ
إذا غبتَ لم تذكرْ صديقاً وإن تُقِمْ ... فأنت على ما فى يديك ضنينُ
فأنت ككلبِ السُّوءِ جوَّعَ أهلَه ... فيهزلُ أهلُ البيت وهو سمينُ[1]

لأبى عيينة المهلبى فى رجلٍ من قومه ، تزوج امرأة قد تزوجت قبلة مائة زوج فماتوا عنها :

رأيتَ أثاثها فرغبتَ فيه ... وكم نصبتْ لغيرك بالأثاث
إلى دارِ المنُون فرحّلَتْهم ... بأجنحةٍ تطيرُ بهم حِثاثِ
فصيّر أمرَها بيدىّ كَيْما ... أبثُّ حبالها لك بالثلاثِ[2]
وإلاّ فالسلامُ عليك منّى ... سآخذُ من غدٍ لك فى المراثِى[3]

قال إسحاق الموصلى ، أنشدنى ابن كُنَاسة لنفسه[2] :

لقد كان فيها للأَمانةِ موضعٌ ... وللسِّرِّ كتمانٌ وللعينِ منظرُ[4]

(١) الأبيات فى أمالى القالى ٢/١٣٦ ، الحيوان ١/١٩٢ .
(٢) ساقط من ا .
(٣) الأبيات فى المحاسن والأضداد ١٦٢ .
(٤) فى ا : وللكف مرتاد وللعين الخ . وانظره فى عيون الأخبار ٤/١٠٠ .

فقلت : ما بقى ؟ فقال : أين الموافقة .

قال ابن المقفع : وطء العجوز وأكلُ القَدِيد يُهرم .

قال الشاعر[١] :

لا تَنكِحَنّ عجوزًا إن دَعَوْكَ لها ... ولو حَبَوْكَ على تزويجها الذَّهَبا

وإنْ أَتوْكَ فقالوا : إنّها نَصَفٌ[٢] ... فإنّ أَطيبَ نصفيها الّذى ذَهَبا

كتب رجلٌ إلى صديقٍ له نكحَ عجوزًا[٣] :

أمسكتَ نفسَكَ حتى إذا ... أتيتَ على الخمسِ والأرْبَعِينَا

تزوجتَها شارفًا فَخْمَةً ... فَلاَ بالرِّفاءِ ولا بالبنينَا

فلا ذاتُ مالٍ تزوجْتَهَا ... ولا ولدٍ تَرْتجى أن يكونَا

بِهَا أبدًا فالتمسْ غيرها ... لعلَّك تُعْطَى بغثٍ سمينَا

قال دعبل ، ويقال : إنها لأبى دُلف[٤] :

---

(١) نسب البيتان التاليان فى العقد الفريد ٦/١١٣ إلى جعفر بن محمد ، ونسبا فى تاريخ بغداد ٥/٤٠ إلى أبى العبر محمد بن أحمد الهاشمى ، ووردا فى عيون الأخبار ٤/٢٣ ، المحاسن والأضداد ١٤٧ ، محاضرات الأدباء ٢/٨٨ ، التمثيل والمحاضرة ٢١٩ بدون نسبة . مع اختلاف يسير فى الرواية من مرجع إلى آخر .

(٢) النصف : المرأة الوسط بين الحديثة والمسنة ، وقيل : هى من بلغت خمسين سنة .

(٣) الأبيات التالية فى عيون الأخبار ٤/٥٠ ، والشارف : المسنة الهرمة ، والفخمة : العبلة الضخمة .

(٤) وردت الأبيات التالية لأبى دلف فى العقد الفريد ٣/٥٢ ، ونسبت إلى مروان بن أبى الجنوب فى معجم الشعراء ٣٩٩ ، وانظرها فى ديوان دعبل ١٢ .

تعجَّبَتْ إذ رأتْ شيبي فقلتُ لها[١] لاتعجبي ، من يطل عمرٌ به يَشِبِ
شيبُ الرجالِ لهم زينٌ وَمكْرُمةٌ وشيبُكُنّ لكنَّ الويلُ فاكتئبي
فينا لكنَّ وإن شيبٌ بدا أربٌ وليس فيكنّ بعد الشيب من أَرَبِ

ولبعض الأعراب[٢] :

عجوز تُرَجَّى أن تكونَ صبيةً وقدشابَ منها الرأسُ واحدودب الظهر[٣]
تَدُسُّ إلى العطار ميرةَ أَهلِها[٤] وَهَلْ يصلح العطارُ ما أفسد الدهر ؟

وقال امرؤُ القيس :

أراهُنّ لا يُحْبِبْنَ من قلَّ مالُه ولا مَنْ بدا فى عارضَيْهِ مشيبُ[٥]

وقال آخر :

كَفَاكَ بالشيب ذنباً عند غانيةٍ وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ[٦]

---

(١) فى العقد : تهزأت أن ... ولا تهزئى بدل لا تعجبى .
(٢) البيتان فى العقد الفريد ٣/٤٥٧ ، عيون الأخبار ٤/٤٤ ، الكامل ١/١٨٢ .
(٣) فى العقد : فتية بدل صبية ، وفيه : وقد نحل الجنبان ، وفى الكامل : وقد لحب الجنبان ، وفى العيون : وقد غارت العينان .
(٤) فى العقد والكامل : سلعة بيتها .
(٥) ديوانه ١٤ . وفى ا : ولا من راين الشيب فيه وقوسا .
(٦) البيت فى عيون الأخبار ٤/٤٧ .

وقال الأعشى :

وأرى الغواني لا يُواصلن امْرَءًا ... فقد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا(١)

وقال علقمة بن عبدة :

فإن تسألوني بالنساءِ فإنّني ... بصيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُه ... فليس له في وُدِّهنَّ نصيبُ
يُردْنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمْنَهُ ... وشرخُ الشبابِ عندَهُنّ عجيبُ(٢)

قال منصور الفقيه :

إذا ما استحرَّ ولم يتَّسِعْ ... ولم يكُ رَطْبًا ولا يابسًا
وحلَّ وأمكنَ من نفسِهِ ... فنبِّهْ له جارَكَ الناعِسَا

وقال منصور النمري :

ما واجه الشيبَ من عين وإن وَمِقَتْ ... إلاّ لها نبوةٌ عنه ومرتدعُ( )

---

(١) ديوانه ١٥١ .

(٢) ديوانه ١١ .

(٣) البيت فى أمالى القالى ١/١١٢ .

وقال حبيب :

أحْلى الرجالِ من النساءِ مواقعًا   من كان أشْبههم بِهنّ خُدودًا[١]

وقال آخر :

أرى شيب الرجال من الغوانِى   بموقع شيبهنّ من الرّجالِ[٢]

شاورَ رجلٌ رجلا فى النـكاح ، فقال له : إيّاكَ والجمالَ الفائق[٣] ، فإن الشاعر قال :

ولن تصادِفَ مرعًى مُونقًا أبدًا   إلاّ وجدتَ به آثارَ مأكُولِ[٤]

قال آخر :

لا تأمنَنْ أنثى حبَتْك بودّها   إن النساء ودادُهُنّ مُقسَّمُ
اليومَ عندك دَلُّهَا وحـديثُها   وغدًا لغيرِك كفُّها والمعصمُ[٥]

وقال ابن هبيرة :

يا راعىَ الذَّودِ لا ترْحل لِمكْرُمَةٍ   إنّ القلاصَ إذا ما غَابَ رَاعيها

---

(١) ديوانه : ٢٥ .
(٢) عيون الأخبار ٤/٥٤ ، وفيها : كوضح بدل بموقع . وانظره بالرواية التى هنا فى المحاسن والأضداد ٥٥ .
(٣) ساقط من ا .
(٤) المحاسن والأضداد ١٥ ، وانظر عيون الأخبار ٤/٩ ، محاضرات الأدباء ٢/٨٨ ، وفيها : مرعًى بدل موقعا .
(٥) البيتان فى أمالى المرتضى ١/١٦٠ .

لم يَثْنِها أحدٌ دون الفحولِ فلا تهملْ قلوصَكَ إمّا كنت تحميها
ولا تَلُمْها على وِرْدٍ وقد ظَمِئَتْ لو شئتَ أرْوَيْتَها إذْ كنتَ ساقيها
احْظُرْ مشاربَها ، واحففْ جوانبَها وازْمُمْ مذاهبَها ، تسلم قواصيها
خلّيتَها لفحولٍ غيرِ فاخـــرةٍ فى كلِّ بريّـةٍ قفرٍ فيافيها
حتى إذا أَخْدَجَت فى كل منزلةٍ بكيتَ ، أَبْكَى إلهى عينَ مُبْكيها

باب الأمثال السائرة فى النساء

لا تَحْمد الحرّةَ عام هِدائها[1] ، ولا الأمةَ عامَ شِرائها .

من ينكِحُ الحسناء يُعْطِ مَهْرًا .

من يمدح العروسَ إلاّ أهلها ؟

لكلّ فتاةٍ خاطب ، ولكلّ أمْرٍ طالب .

كلُّ ذاتِ دَلٍّ تختال .

كاد العروس أن يكونَ أميراً .

وليس لمخضوب البنان يمين

لا تُسَدُّ الثّغورُ بالمُحْصَنات .

قال الشاعر :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المُحْصَنَاتِ[2] جَرُّ الذُّيُولِ

وهذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان ، وذلك أنه كانت عند المختار بن أبى عبيد[3]

(١) الهداء : الزفاف .

(٢) فى ا : المخضبات .

(٣) هو المختار بن أبى عبيد الثقفى ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، غاب على الكوفة والموصل ، وتتبع قتلة الحسين بن على فقتل منهم جملة ، تروى عنه أخبار فى ادعاء النبوة ، ونزول الوحى عليه . قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ . الإصابة الترجمة ٨٥٤٧ ، وانظر الأعلام ٨/٧٠ .

امرأتان ، إحداهما أمُّ ثابت بنت سَمُرَة بن جُنْدُب ، والأخرى عُمَرَة بنت النّعمان ابن بشير الأنصارى ، فعرضهما مُصْعَب على البراءة من المختار ، فأمّا بنت سمرة فتبرأتْ منه فخلاّها ، وأما الأنصارية فامتنعت فقتلها[١] ، فقال عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت[٢] فى ذلك :

إنّ من أعجبِ العَجائبِ عِندِى ... قتلُ بيضاءَ حـــرةٍ عُطبولِ[٣]

قُتِلَتْ باطلاً على غير جُرْمٍ[٤] ... إنَّ للهِ دَرَّهَا من قتيلِ

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينـا ... وعلى الغانيـاتِ جَرُّ الذُّيولِ

النساء بالنساء أشبه من الماء بالماء ، [٥] ومن الغراب بالغراب ، ومن الذئاب بالذئاب . كل غانية هند[٥] .

نعم لَهْوُ المرأةِ المِغْزَل .

[٥]البياض نصف الحسن[٥] ، والعجيزةُ أحد الوجهين .

لا عِطرَ بعد عَرُوس[٦] . أخذه الشاعر فقال :

---

(١) انظر هذا الخبر فى سير أعلام النبلاء فى ترجمة مصعب بن الزبير .

(٢) المشهور أن هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة ، وهى فى ديوانه ٢٤١/٢ ، وقد وردت منسوبة له أيضا فى الكامل ١٥٤/٢ ، العقد الفريد ٤٠٧/٤ ، ١١٨/٦ .

(٣) فى الديوان والكامل : إن من أعظم الكبائر ، وفى العقد : عيطبول والعيطبول والعطبول : المرأة الفتية الطويلة العنق .

(٤) فى الكامل : ذنب .

(٥) ساقط من ا .

(٦) اختلف فى أصل هذا المثل ، قيل : إن رجلا تزوج امرأة فوجدها تفلة أى متغيرة الرائحة ، فقال =

من كانَ يبكي لِمَا بِي ... من طولِ وَجْدٍ رَسِيسِ[1]
فالآنَ قبلَ وفاتِي ... لا عِطْرَ بعد عَرُوسِ

العَوَانُ لا تعلَّمُ الخِمرة[2].

لما زوج أسماء بن خَارجةَ ابنتَه ، دخل عليها ليلةَ بنائها ، فقال : يا بنيّة ، إنْ كان النساء أحقَّ بتأديبك ، ولا بدّ من تأديبك ، كُونى لزوجك أمةً يكن لك عبدًا ، ولا تقربى منه جدًّا فيملَّك أو تملّيه ، ولا تبَاعَدِي عنه فتثقلى عليه ، وكونى له كما قلت لأمّك :

خُـذِى العَفْوَ منّى تستديمى مودّتى ... ولا تنطقى فى سوْرَتِى حينَ أغضبُ
ولا تَنْقُرِينى نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنّك لا تدرِين كيفَ المُغَيَّبُ
فإنّى رأيتُ الحبَّ فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبث الحبُّ يذهبُ[3]

=لها : أين الطيب ؟ فقالت : خبأته . فقال لها المثل . وقيل : عروس اسم رجل مات فجاءت امرأته بقشوة العطر (وعاءه) فكسرتها على قبره وصبت العطر ، فوبخها بعض معارفها فقالت ذلك . وعلى هذا فإن المثل يضرب على الرأى الأول . فى ذم ادخار الشىء وقت الحاجة إليه ، وعلى الثانى . فى الاستغناء عن ادخار الشىء لعدم من يدخر له . انظر الفاخر فى الأمثال ١٣٧ .

(١) الرسيس : الثابت ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٤/١٤٠ .

(٢) العوان : المرأة التى تزوجت مرة ، والخمرة التقنع بالخمار ، ويضرب المثل : فى الرجل المجرب العالم بأمره .

(٣) انظر الأبيات فى محاضرات الأدباء ٢/٣٣ ، والأول والثالث فى عيون الأخبار ٣/١١ وقد نسبهما لشريح ، وفيها : الصدر بدل القلب .

بابُ اللّبـــــاس

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الحريرُ حَلاَلٌ لباسُه لإناث أمّتى ، حرامٌ على ذكورها » .

وقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « إنّما يلبسُ الحريرُ مَنْ لا خَلاَق له فى الآخرة » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوبَ شُهرةٍ وعزّةٍ فى الدنيا أكسبه اللهُ ثوب مذلّة يوم القيامة » .

سُئل عمرُ بن الخطّاب عن لُبس الحرير للنساء ، فقال : هنّ لُعَبُكم ؛ فزيّنوهن بما شئتم

وروى مرفوعاً أيضاً : « من لبس منظورًا ، وركب مشهورًا ، لم يزل الله عنه مُعْرضا ، وإن كان عليه كريماً » .

قال عبد الله بن عُمر : من لبس ثوب شُهرة أعْرض اللهُ عنه وإن كان وليًّا .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أُزْرَة[1] المؤمن إلى أنصاف ساقيه ،

---

(١) الأزرة : اللحفة أو السترة .

لا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما أسفل من ذلك فى النار ، لا ينظر اللهُ عزّ وجل إلى من جرّ ثوبه خُيَلاَء » .

ولما ذُكر الإزار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أم سلمة[1] : إذًا ينكشف عنها . قال : « فذراعٌ لا تَزِيد عليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « كم من كاسيةٍ فى الدُّنيا ، عاريةٍ يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كاسياتٌ عاريات ، مائلاتٌ مميلاتٌ ، لا يدخلن الجنة ولا يجدْنَ ريحَها » وريحُها يوجد من مسيرة خمسْمائة عام .

كان يقال : كُلْ من الطعام ما اشتهيتَ ، والْبَس من الثياب ما اشتهى الناس .

نظمه الشاعر ، فقال :

إن العيونَ رَمَتْك مُذ فَاجَأْتَهَا ... وعليك من شَهْرِ اللِّباسِ لباسُ

أمّا الطعامُ فكلْ لنفسك ما اشتهتْ ... واجعل لباسَك ما اشتهاه الناسُ

---

(١) أم سلمة بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية ، أم المؤمنين ، واسمها على الأصح هند ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أربع وقيل ثلاث للهجرة ، وهى ممن أسلم قديما هى وزوجها أبو سلمة وهاجرا إلى الحبشة ، ماتت حوالى سنة ٦٠ هـ . انظر ترجمتها فى الإصابة ت ١٣٠٢ .

ويروى :

أمّا الطعام فكل لنفسك ما اشتهتْ والبس لباساً يَشْتهيه النـــــاسُ

وقال "هلالُ بن العلاء"[١] الرّقي :

أَجِدِ الثّيابَ إذا اكتسيتَ فإنّها زينُ الرجالِ بها تُهاب وتُكْرَمُ
ودعِ التّواضُعَ فى اللّباس تحرّيًا[٢] فاللهُ يعلم ما تجنُّ وتكتمُ
فَدَنِيّ ثوبِك لا يزيدُك زُلْفَةً عند الإله وأنت عبدٌ مُجْرِمُ
وبهاء ثوبِك لا يضرُّك بعد أَنْ تخشى الإله ، وتتّقى ما يَحْرُمُ

كان بكر بن عبد الله المزنى ، يقول : البسوا ثياب الملوك ، وأميتوا قلوبكم بالخشية .

وقال الحسنُ : إن قوماً جعلوا خُشُوعهم فى لباسهم ، وكِبْرَهم[٣] فى صدورهم ، وشهروا أنفسهم بلباس هذا الصوف ، حتى إنّ أحدَهُمْ بما يلبس من الصوف أعظم كبرًا من صاحب المُطْرَف بمُطْرفه .

قال الوليد بن مزيد : كان الناس عندنا يلبسون الأردية ، وكان الأوزاعى

---

(١) ساقط من حـ ، وقد سبقت ترجمته .
(٢) فى ا : تخوفا .
(٣) فى ا : وكيدهم .

يلبسها ، فترك الناسُ لُبْسَها ولبسوا السيجان[١]،[٢] فرأيتُ الأوزاعيّ[٣] قد ترك لبس الأرديه ولبس السّاج ، فقلت له : يا أبا عمرو ! كنت تلبس الأردية فتركتها ولبستَ السّاج ، فما الذى دعاك إلى ذلك ؟ فقال : يا ابن أخى ! رأيتُ الناس يلبسون الأردية فلبستها معهم ، وتركوها فتركتها معم ، ولبسوا السيجان[٢] فلبست معهم ، ولو عادوا إلى الأردية لعدت معهم .

قال سفيان بن حسين[٤] : قلت لإياس بن معاوية : ما المُروءة ؟ قال : أمّا فى بلدك فالتّقوى ، وأما حيث لا تُعرف فاللباس .

روى بَقِيّة[٥] عن الأوزاعى ، قال : بَلَغنى أنّ لباس الصُّوف فى السفر سنّة ، وفى الحضر بدعة .

كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، يُحب من الألوان الُخضْرة ويكره الُحمْرة ، ويقول : « هى زينة السُّلْطان » .

---

(١) السيجان : ضرب من الملاحف .   (٢) ساقط من ا .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعى ، إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد فى بعلبك ، ونشأ فى البقاع ، وسكن بيروت وتوفى بها وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام ، توفى الأوزاعى سنة ١٥٧ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٢٧٥/ الأعلام ٤/٩٤/ .

(٤) فى حـ : سفيان بن حسن ، والصحيح أنه سفيان بن حسين بن الحسن الواسطى ، محدث من كبار أصحاب الزهرى ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٤/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٥) هو بقية بن الوليد بن صائد الحيرى الكلاعى ، حافظ من أهل حمص ، كان محدث الشام فى عصره ، وكان مشهورا بالكياسة والظرف ، توفى سنة ١٩٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ٧/١٢٣ (الأعلام ٢/٣٤)

قال مالك بن الأشتر[١] لعليّ بن أبى طالب : تمامُ جمال المرأة فى خُفِّها ، وتمام جمال الرجل فى عِمَامته .

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أسامة بن زيد فى بعض السرايا فعممه بيده وسدل طرف عمامته .

قيل لأعرابىّ : إنك لتُديم لبْس العمامة ؟ قال : إنّ عضوًا فيه السّمعُ والبصر لحقيقٌ أن يوقى من الحرّ والقُر .

روى عن النبيّ عليه السلام ، أنه قال : « الشَّعْر الحسن كسوة الله[٢] ، فأكرموه » .

وقال عليه السلام لأبى قتادة : « رجّـل جُمّتك وأحْسن إليها وأكرمها » .

قال أبُو هريرة : إذا كان فى الرجل ثلاثٌ فهو الكامل ، إذا نخر فى المجلس ، وأحسن جوَابات الكتب ، وأحْسَن كور العمامة .

روى الرّياشى وأبو حاتم عن الأصمعى ، قال : ألا أدلك على لباس إن لبسته كان

---

(١) مالك بن الأشتر هو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى الكوفى ، المعروف بالأشتر ، تابعى ثقة حكيم ، أدرك الجاهلية والإسلام وإن كان لايعد من الصحابة ، ولما حدثت الفتنة بين على ومعاوية تابع عليا وشهد معه مشاهده كلها ، ثم ولاه مصر ، فمات قبل أن يصل إليها بالقلزم سنة ٣٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٠/١١ ، ١٢ .

(٢) ساقطة من حـ .

سريًّا ، وإن رفعته كان بهيًّا ، وإن ذَخَرْته كان طريًّا ؟ قال : نعم . قال : عليك بالتقوى . قال : ألا أدلك على خليلٍ إن صحبته صانك ، وإن احتجت إليه مانك ، وإن تَجَرْت به أربحك ، وإن ترحّلت به حملك ؟ قال : نعم . قال : عليك بالأدب . ثم قال : ألا أدلّك على بُستانٍ تكون منه فى أكمل روضة ، وميت يخبرك عن المتقدمين ، ويذكرك إذا نسيت ، ويُؤْنسك إذا استوحشت ، ويكفّ عنك إذا سئمت ؟ قال : نعم . قال : عليك بالكتاب .

قالت ابنةُ العوام أخت الزبير لزوجها حكيم بن حزام[١] — وكان كثير المال — : مالك لا تلبس لباس الناس اليوم ؟ قال : وما تنكرينَ من لباسى ، وإزارى قِطْرِىّ[٢] ، وردائى مَعَافرى[٣] ، وقميصى سابرىّ[٤] ، وعمامتى خَرْقانية[٥]

نظر بعض الأمراء إلى رجلٍ فى أطماره فازْدراه ، فقال له : أصلحك الله ،

---

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ابن أخى خديجة أم المؤمنين ، صحابى قرشى ، مولده بمكة ، وكان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، ومن سادات قريش فى الجاهلية والإسلام . انظر الإصابة ٢/٣٤٩ ، تهذيب التهذيب ٢/٤٤٧ (الأعلام ٢/٢٩٨) .

(٢) أردية تنسب إلى قطر وهى بلدة بين القطيف وعمان ، فيقال أردية قطرية ولكن بالكسر على غير قياس .

(٣) المعافرى : ماكثر صوفه من الأردية .

(٤) السابرى : رداء رقيق جيد .

(٥) عمامة خرقانية بالضم أى مكورة ، ويقال فيها : حرقانية وخرقانية بالفتح والضم ، وبالحاء أيضا.

لا تنظر إلى هيئتى ، ولكن انظر إلى همّتى ، فأنا — والله — كما قال عبد الله ابن زياد :

فإنْ أَكُ قَصْدًا فى الرجالِ فإنّنى　　إذا حلَّ امرؤٌ ساحتى لجسيمُ

وكما قال الآخر :

لا تنظرنّ إلى الثيابِ فإنّنى　　خَلِقُ الثِّيَاب ، من المُروءةِ كاسِى

أنشد ثعلب :

وإنما الشّعر عقلٌ أَنْت تَعْرِضه　　على المجالس إنْ كَيْسًا وإن حُمُقا

وإنّ أشعرَ بيتٍ أنت قائلُهُ　　بيتٌ يقالُ إذا أنشَدتَه صَدَقا

البس جديدَكَ إنّى لابسٌ خَلَقى　　ولا جديدَ لمن لا يلبسُ الخَلَقا[1]

قال عبدُ الله بن المُبارك : مَخَامِرُ[2] الرِّجال فى اللّحى والأكمام ، ومَخَامِرُ النساء تحت القُمُص .

وأنشد غير واحد للشافعى رحمهُ الله تعالى :

علىّ ثيابٌ لو تباعُ جميعُها　　بفَلْسٍ لكان الفَلْسُ منهنّ أكثرا

---

(١) الأبيات لزهير ، انظر شرح الديوان ٧٩ ، وقد نسبت فى المؤتلف ٦٣ لبقيلة الأكبر أبى المنهال .

(٢) المخامر : مواضع وضع الطيب ، مأخوذ من الخمرة وهى أخلاط من الطيب تدهن بها النساء .

وفيهن نفسٌ لو يقاسُ ببعضها ... نفوسُ الورى كانت أجلَّ وأكبرا[1]

وأخذ هذا المعنى ابن أبي الفضل البصري الشاعر يخاطب المتنبي ، فقال :

لئن كان ثوبي فوقَ قيمته الفَلْسُ ... فلي فيه نفسٌ دون قيمتها الإنسُ

فثوبُك بدر تحت أنواره دُجًى ... وثوبيَ ليلٌ تحتَ أطمارِه شمسُ

وسبق إلى هذا المعنى ابن هَرْمة ، فقال :

قد يدركُ الشرفُ الفَتَى ورداؤُهُ ... خَلَقٌ وجَيبُ قميصِهِ مرقوعُ[2]

كان القاسمُ بنُ محمّد[3] يلبس الخزّ ، وسالمُ بن عبد الله[4] يلبس الصوف ، وكانا يتجالسان في المجلس ويتحدثان الدهر ، لا ينكرُ واحد منهما لباسَ صاحبه

نظر ابنُ المبارك ببغداد إلى رجل عليه ثياب صوف لا تخالطها غيرُها ، فقال من هذا ؟ فقيل له : هذا أبو العتاهية الشاعر ، فكتب إليه ابن المبارك :

---

(١) انظر البيتين في معجم الأدباء ١٧/٣٢٠ .

(٢) نسب البيت في محاضرات ٢/١٥٧ لابن هبيرة ، وانظره في التمثيل والمحاضرة ٢٨٤ بدون نسبة .

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولد فيها وتوفي بقديد بين مكة والمدينة ، حاجا أو معتمراً ، وكان صالحا ثقة من سادات التابعين ، قال عنه ابن عيينة : كان القاسم أفضل أهل زمانه . انظر وفيات الأعيان ١/٤١٨ (الأعلام ٦/١٥) .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، من سادات التابعين وعلمائهم وقضاتهم ، توفي بالمدينة سنة ١٠٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٣/٤٣٦ . (الأعلام ٣/١١٤ ، ١١٥) .

أيُّها القارئُ الذى لبس الصُّو ف وأضحى يُعَدُّ فى العُبّـادِ
الْزَمِ الثَّغْرَ والتعبُّـدَ فيهِ ليس بغـدادُ موضـعَ الزُّهّادِ
إن بغـدادَ للملوكِ محـلٌّ ومنـاخ للقارئ الصَّيّادِ

وقال محمود الوراق[1] :

تصَوَّفَ فازدَهَى بالصُّوف جَهْلاً وبعضُ النّاسِ يَلْبَسُه مَجَانَه
يُريكَ مَهَانَةً ويُجِنّ كِبْرًا[2] وليس الكبر من شكل المَهَانَه
تصنّع كىْ يُقَال له أمينٌ وما معنَى التَّصَنُّع للأَمَانه°[3]
ولم يردِ الإلهَ به ولكنْ أرادَ به الطريقَ إلى الخيانَهْ

وقال آخر :

وثيـاب المرء جِلْوا زٌ[4] له بَيْنَ يديْهِ

وقال آخر :

لا يعجبنّك من يَصُون ثيابَهُ حَذَرَ الْغُبَارِ وعِرْضُهُ مَبْذولُ
ولربّما افتقرَ الفتى فرأيتَهُ دنسَ الثيابِ وعِرْضُهُ مَغسُولُ

---

(١) الأبيات التالية فى محاضرات الأدباء ٢/١٨٠، العقد الفريد ٣/٢١٧، ٦/٢٢٦ وقد نسبها فيه لمساور الوراق .
(٢) فى ا : يزيد مهانة ويحل كبرا .
(٣) فى العقد : تصوف كى يقال له أمين وما يعنى التصوف والأمانه
(٤) الجلواز : الشرطى .

أنشدنى إبراهيم بن محمد ، قال : أنشدنى أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبَيْدِى[١] لنفسه فى أبى مسلم بن فهد الهُذَلى الإشبيلى ، وذكر حكاية عرضَتْ له معه :

أبا مُسْلم إنّ الفَتَى بجَنَانِهِ ... ومِقْوَلِهِ لا بالمراكبِ واللُّبْسِ
وليسَ ثيابُ المرءِ تُغْنِى قُلَامَةً ... إذا كان مقصورًا على قِصَرِ النَّفْسِ
وليس يُفيدُ العلمَ والحلمَ والتُّقَى[٢] ... أبا مُسْلمٍ طولُ القُعودِ على الكُرْسِى
ولا تُبْتَنى العليا بكأسٍ وقينةٍ ... وصهباءَ لم تَنْغَرْ بها القِدْرُ كالوَرْسِ[٣]
أعيَّرْتَنى أن لم أفرِّه مَطِيَّتِى ... وأنّ ثيابِى غيرُ بيضٍ ولا مُلْسِ
فربَّ ثيابٍ رثّة حشوُها فتًى ... أجدُّ مُمِرٌّ[٤] غيرُ فَسْلٍ ولا نِكْسِ
وآخـرُ بَرَّاقُ الثيابِ وعِرْضُهُ ... من العَارِ والتَّدْنِيسِ رجسٌ عَلَى رِجْسِ
فإمَّا تَهُولَنْكَ البغالُ فإنَّها ... منوّعةٌ عند اليَهُودِىِّ والقَسِّ

قال رجل للحسن بن أبى الحسن[٥] : ياأبا سعيد ! إنا قد وسّع الله علينا أفننال من كُسْوة وعِطر ما لو شئنا اكتفينا بدونه ، فما تقول ؟ قال : أيها الرجل ! إن الله قد أدب أهل الإيمان فأحسن أدبهم ، قال تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ ، وَمَنْ

---

(١) انظر الأبيات الثلاثة الأولى فى ترجمة الزبيدى فى وفيات الأعيان ٤/٨ .
(٢) فى ا : الحجا .
(٣) ينغر بها القدر : تفور ، والورس : نبات أصفر كالسمسم يزرع باليمن .
(٤) الأجد : شديد الاجتهاد ، والممر : العزيز النفس ، الفسل ، الرذل الدنىء ، والنكس : الجبان الضعيف .
(٥) هو الحسن البصرى ، وقد سبقت ترجمته .

قُدِرَ عليه رِزْقُهُ فلينفِقْ مما آتاهُ اللهُ ﴾(١) ، وإن الله ما عـذّب قوماً أعطاهم الدنيا فشكروه ، وما عَـذَر قوماً زَوَى عنهم الدنيا فعصوه .

روى عن لقمان الحـكيم ، أنه قال : التقنع(٢) بالليـل ريبة ، وبالنهار مذلّة . وقد روى هذا عن نبيّنا صلى الله عليه .

قال رجل لإبراهيم النّخعيّ : ما ألبسُ من الثياب؟ فقال : مالا يُشَهِّرُكَ عند العلماء ، ولا يحقّرُكَ عند السُّفهاء .

(١) سورة الطلاق ، الآية ٧ .
(٢) ا : التبرقع .

بابُ الْمراكب من الخيْل وغيرها

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « الخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة ، الأجرُ والمغنم » .

وقد ذكرنا فى الآثار الثابتة فى الخيل وفضلها ، وفضل رباطها ، والأجر فى اكتساب ذلك ، فى كتاب « التمهيد » ما فيه شفاء ، وإشراف[1] على المعنى والحمد لله .

كان يقال : [2]لا تقودوا الخيل[2] بنواصيها[3] فتذلّوها ، ولا تجزوا أعْرافها فإنها أدفاؤها ، ولا تجزوا أذنابها فإنها مذابُّها . وقد رُوِى هذا الكلام مرفوعاً .

قال عمرُ بن الخطاب : عليكم بإناث الخيل ، فإن بطونها كنز ، وظهورها حرز . وقد روى هذا مرفوعاً أيضاً .

قال على بن أبى طالب : الخيل المطلب والمهرب[4] .

قال ابن عبّاس رضى الله عنه :

---

(١) جـ : والمراد . (٢) ساقط من جـ .

(٣) الناصيه : قصاص شعر الرأس .

(٤) فى ا : للطلب والهرب .

أحبُّوا الخيل واصْطبِروا عَلَيْها[١] فإنّ العزّ فيها والجَمالا
إذا ما الخيلُ ضيّعها رجالٌ ربَطْناها فشاركتِ العِيالا
نُقاسمُها المعيشةَ كلَّ يومٍ ونكسوها البراقِعَ والجِلالا[٢]

قال الحسن البصرى : الجفاء مع أذناب الإبل ، والذلة مع أذناب البقر ، والسكينة مع أذناب الغنم ، والعزّ مع نواصى الخيل [٣]وقد روى بعض هذا مرفوعا . قال خالد بن صفوان : الخيل[٣] للرغبة والرهبة ، والبراذين للدعة ، والبغال للسفر البعيد والأثقال ، والإبل للتحمل ، والحمير للزينة وخفة المؤونة

ساير شبيب بن شيبة بعض الأمراء ، وهو على بِرْذَوْن ، والأمير على فرس ، فقال له الأمير : سِرْ ، فقال : كيف أسايرك وأنت على فرس ، إن تركته سار ، وإن حركته طار ، وأنا على بِرْذون ، إن تركتُه وقف ، وإن ضربته قطف[٤] . فأمر له بفرس فاره .

قيل لأعرابى : صفْ لنا فرسَك . قال : سوطُه عِنانه ، وهَمُّه[٥] أمامه ،

---

(١) فى ج : واضطروا إليها .
(٢) الجلال بضم الجيم وفتحها : ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٣) ساقط من ح .
(٤) قطف : مشى بخطوة ضيقة .
(٥) فى ا : همته .

وما ضربتُه قطّ إلا ظالماً له .

بعث الحجاجُ بن يوسف إلى عبد الملك بفرَس ، وكتب إليه : قد وجهتُ إليك بفرس حسنِ المنظر ، محمودِ المَخْبر ، أسيلِ الخد ، رشيقِ القدّ .

قال بعضُ الحكماء : أكرمُ الخيل أجزعُها من الضرب ، وأكرمُ الصّفايا أشدها وَلَهاً إلى أولادها ، وأكرم الإبل أشدُّها حنيناً[1] إلى أوطانها ، وأكرمُ المِهار أشدُّها ملازمة لأمهاتها .

للحسن بن يسار[2] :

يا فارساً ترْهَبُ[3] الفرسانُ صَوْلَتَهُ أمَا علِمتَ بأن النَّفْسَ تُفْتَرَسُ

يا راكبَ الفرسِ السّامى بغُرَّتِهِ ولابسَ السَّيْفِ يحكي لونَهُ القبسُ

لا أنت تبقى على سيفٍ ولا فَرَسٍ وليس يبقى عليك السَّيْف والفَرَسُ

وهو شِعر جيّد مُحكَم ، فيه مواعظ وحِكَم ، وأوله :

إنّ الحبيبَ من الأحبابِ مُخْتَلَسُ لا يمنعُ الموتَ حُجَّابٌ ولا حَرَسُ

---

(١) ساقطة من ح .

(٢) هو الإمام الحسن البصرى .

(٣) فى ح : يحذر .

قال بعض البلغاء : البخل تَوَاضَعَ عن خُيَلاءِ الخيل ، وارتفع[١] عن ذلّة العَيْر ، فهو وسَط ، وخيرُ الأمور أَوْسَاطها .

قال ابن أبي طاهر : ماوُصِفَ بِرْذَوْنٌ بأحسن من قول المَسْلَمِيّ من ولد مَسْلمة ابن عبد الملك ، واسمه محمد بن يزيد :

فإذا احْتَبَى قَرَبُوسَه بِعِنَانِه ... عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرافِ الزّائر[٢]

(١) فى ا : ارتفاع .

(٢) القربوس : حنو السرج أى الجزء المعرج منه ، وهما قربوسان ، والعنان سير اللجام الذى تشد به الدابة ، واحتبى : شد ، أو اشتمل . والشكيم اللجام . انظر البيت فى الكامل ١/٣٠١ ؛

باب الطعام والأكل

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يعجبه الذراع .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيد أدام الدنيا والآخرة ، اللحم » .

قال سَفِينة[1] : أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حُبَارَى ، وقال فى الضب : « لست بآكِله ولا بمحرّمِه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، فلا تأكلوا الثوم ولا البصل ، ومن أراد أكلهما فليمتهما طبخاً » .

والكراث والفجل فى معنى الثوم والبصل .

قال عمر بن الخطاب : إياكم واللّحم ، فإن له ضَرَاوةً كضراوة الخمر[2] .

إنما كره الإدمان عليه ، والله أعلم ، لما فيه من التّنعّم والتّشبه بالأعاجم ، ألا ترى أنه كتب إلى عمّاله : اخْشَوْشنوا ، وإياكم والتّنعم وزىّ العجم .

ذُكر عند بعض العَرب اللَّحْمُ ، فقال : إنه ليقتل السِّباع . يريد إدخال بعضه على بعض قبل تمام الهضم — والله أعلم .

---

(١) مولى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبقت ترجمته فى القسم الأول .

(٢) الضراوة بالشىء الولع به ، وفى عيون الأخبار ٢١٧/٣ : إياكم وهذه المجازر فإن لها ... الخ .

خطب عمرُ بن الخطاب يوماً ، فقال : إيّاكم والبطنة ، فإنها مكْسَلَةٌ عن الصلاة ، مؤذية للجسم . وعليكم بالقَصْد فى قُوتِكُم ، فإنه أبعدُ من الأشَر ، وأصحُّ للبدن ، وأقْوى على العبادة ، وإنّ امرءًا لن يهلِكَ حتّى يؤثر شهوته على دينه .

مر علىٌّ بن أبى طالب بمجلسٍ من مجالس الأنصار ، فسلّم عليهم ، فقاموا له وحفّوا به ورحبوا وقالوا : لو نزلت فأكلتَ من طعامنا ، فقال لهم : إمّا حلفتم علينا ، وإما انصرفنا .

قال علىٌّ بن أبى طالب : المَعِدَةُ حوض البدن ، والعروقُ واردة عليها وصادرةٌ عنها ، فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصّحة ، وإذا سَقُمت صدرَت العُروق بالسَّقم .

قال بعضُ الأطباء : اللحمُ ينبت اللحم ، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم .

قال على بن أبى طالب : الشحمُ يخرجُ مثلَه من المِدَا[1]

أتى عمر بن عبد العزيز بيته يوما ، فقال : هل عندكم من طعام ؟ فأصاب تمرًا وشرب من ماء ، وقال : من أدخله بطنه النار فأبعده الله

---

(١) جمع المدة : وهو القيح .

قيل للشّعبي : أى الطعام أحب إليـــك ؟ قال : ما صنعه النساء ، وقل فيه العناء .

قال سَلْمان[١] : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نجد فى التوراة أو قال فى الإنجيل : البركة فى الطعام غسل اليد قبله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البركة فى الطعام غسل اليد قبله و بعده » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للطعام حقا . قيل : وما حقه يارسول الله ؟ قال : ذكر الله فى أوله ، وحمدُه فى آخره » .

ومن حديث علىّ بن ثابت ، عن حَمْزة بن أبى حمزة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « من نَسِىَ أن يُسمِّ اللهَ على طعامه ، فليقرأ : قُلْ هو اللهُ أَحَد » .

نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الأكل بالشمال ، والشرب بالشمال ، وعن الاستنجاء باليمين .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٢]لربيبه عمر بن أبى سلمة : يا بنىّ[٢] :

---

(١) سلمان الفارسى : الصحابى الجليل ، أصله من مجوس أصبهان ، وقرأ كتب الفرس والروم ثم قصد بلاد العرب ، فلما ظهر الإسلام كان من السابقين إليه ، وهو صاحب فكرة حفر الخندق حول المدينة فى غزوة الخندق المعروفة ، وكان الرسول يقول عنه : سلمان منا أهل البيت ، توفى سنة ٣٦ هـ . الإصابة الترجمة ٣٣٥٠ ، وانظر الأعلام ٣/١٦٩ .

(٢) ساقط من ج .

« قل بسم الله ، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مما يليك » .

كان على بن أبى طالب إذا دُعى إلى طَعام أكل شيئاً قبل أن يأتيَه ، ويقول : قبيحٌ بالرجل أن يُظْهر نُهْمَته فى طعام غيره .

وقال رحمه الله : من أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكر الغَدَاء ، وليخفّف الرداء ، وليقل غِشْيَان النساء .

قال منصورُ الفقيه :

قارب فديتُك إن أكلْـ تَ وإن شربتَ وإن غَشِيتاَ
وأنا الكفيلُ لك الحيا ةَ بأن تعافَى ما حييتاَ

قال قيسُ بن أبى حازم : نزل بى أعرابىٌّ من أَحْمسَ ، فلم آلُه تكْرِمةً ، فقال لى : أكُلّ الحىِّ يجدُ مثلَ هذا الذى أرى عندك ؟ فقلت : إن أخبثهم عيشاً يَشبع من الخُبز والتمر[١] ، فقال : أُقسم بالله لئن كنتَ صادقاً ليوشكنّ أن يقتتلوا ، فإن العرب — والله — ما زالت إذا شبعت اقتتلت . قال قيس : فلم ألبث إلا أربعة أشهر حتى قتل عثمان ، ثم كانت وَقْعةُ الجمل ، ثم وقعة صِفّين والنَّهْروان .

---

(١) ى ا : إن أحسنهم عيشا لمن يعيش من الخبز والتمر .

قال الشعبي : الناس فى جَنّةِ الله تعالى ستةَ أشهر — يعنى أيّام الرُّطَب .

ذكر أبو الحسن بن مِقْسَم ، قال : سمعت محمد بن مسلم الزجاج جارَنا ، قال : سمعتُ عباس الدّوْرَىّ ، يقول : سمعتُ يحيى بن معين يقول : لا يَمَلّ الباذنجان عاقِل .

وسمعتُ القاضى أبا عمرو ، يقول : لو علم الثّور الذى يحمل الباذنجان أنه عليه ، تاه على الثيران .

قلت[١] : هذا لمن استطابه ، وعَذب عنده ، وأمّا من جِهة الطِّبّ ، فذمُّه عندهم أكثرُ من مَدْحه .

قال طُرَيْحُ بن إسماعيل الثقفى :

دَعْ بَعْضَ[٢] أكلك ربّ آكلٍ أكلةٍ يوماً سيلفظهـا إذا هُو لا كَهَا

ولبعض المتأخّرين فى رجل مات من أكْلةٍ أكلها فى شعرٍ له فيه :

يا مَنْ جنت كَفُّه على جَسَدِه يَرْحَمُك اللهُ يا قَتِيلَ يَدِهْ

قال الفُضَيْل بن عِياض : خصلتان يُقَسِّيان القلب : كثرةُ الكلام ، وكثرةُ الأكل .

---

(١) فى ا ، حـ : قال أبو عمر رضى الله عنه .
(٢) فى جـ : عنك .

قال حُمَيدُ الأرقط :

أتانا ولم يَعْدِلْه[١] سحبان وائلٌ   بيـانًا وعـلمًا بالّذى هو قائلُ
فما زال عنه اللقمُ حتّى كأنّه   من العىِّ لمـا أن تـكلّمَ باقلُ[٢]

دعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى غدائه ، فقال له قد تغديت . قال عبد الملك : ماأقبح بالرجل أن يأ كلَ حتى لا تـكون فيه بقيّةٌ للطعام ! فقال : يا أمير المؤمنين! بى فَضْل ، ولـكنى كرهتُ أن آ كل فأصيرَ إلى ما استقبح أميرُ المؤمنين .

قال إبراهيم النّخَعى : ما رأيت راكبًا أحسن من زُبْدٍ على تمر .

قال الشاعر :

ألم تَرَ أن الزُّبْد بالتّمرِ طيِّبٌ   وأنّ الُحبَارى خالةُ الـكَرَوَانِ[٣]

قال عمرُو بن بَحْر : العامّةُ لا تشكُّ بأن الـكروان ابن الحُبارى .

وقال آخر :

نُنَافِسُ فى طيبِ الطَّعام وكلُّه   سواءٌ إذا ما جاوَزَ اللّهَـوَاتِ[٤]

---

(١) فى العقد : أتانا وما ساواه ، وفى المحاضرات : وما داناه .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٢١٩/٣ ، العقد الفريد ١٨٧/٦ ، محاضرات الأدباء ٣٠٤/١ ، فصل المقال ٣٩١ .

(٣) انظره فى الحيوان ٣٧٢/٦ ، محاضرات الأدباء ٢٩٧/١ ، البيان ٣٠٣/١ بدون نسبة .

(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٤٦ ، وفيه : أنافس ، التمثيل والمحاضرة ٢٧٧ بدون نسبة ، واللهاة : اللحمة الناتئة من اللسان فى نهاية الحلق .

دعا الحجّاج رجلا إلى غدائه ، فقال : قد تغدّيت . قال : إنك لتباكر الغداء . قال : لِخلالٍ ثلاث : إن ناجيتُ رجلا لم يجد فىّ خَلُوفا ، وإن شربتُ ماء شربته على ثقل ، وإن حضرت قومًا على طعام حضرتُهم ومعى بقيّة من غَرَض . فعجب منه .

قال سليمانُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله[1] ، وقد رآه حَسَن السِّحنة : أىّ شىء تأكل ؟ قال : الخُبزُ والزّيت ، وإذا وجدتُ اللّحم أكلتُه . قال له : وتشتهيه ؟ قال : إذا لم أشتهه تركتُه حتى أشتهيَه .

قيل لأعرابىّ : أتحسن تأكل الرأس ؟ قال : نعم . فقيل له : كيف تأكله ؟ فقال : أَبْخُص عينيه ، وأسْحِى خدّيْه ، وأفكّ لَحيَيه ، وأعْفِص أذنيه[2] ، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحقّ به منى .

قيل لبعض العقلاء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

كان يقال : نعم الإمام الجوع ، (ما ألقيتَ إليه شيئًا إلاّ قبله وطاب عنده)[3] .

(١) هو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وقد سبقت ترجمته .

(٢) بخص عينه : قلعها بشحمها . وسحا خديه : قشر ما عليها من لحم ، اللحى : مانبت عليه الشعر من جانب الوجه وهما لحيان وفكهما فصلهما وكسرهما . وعفص الأذن : لويها حتى تقطع .

(٣) ساقط من ا .

روى مَعْن بن عيسى ، عن مالك بن أنس ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : الخَبِيصُ يزيد فى الدماغ .

ورُوى عن جعفر بن محمد رحمه الله ، أنه قال : الخِلاَل بعد الطعام يشدّ اللّثات ، ويجلبُ الرزق ، (ويطيّب نكهة الفم)[1] .

دخل جُنادة بن أبى أمية على معاوية ، وهو يأكل ، فدعاه إلى الأكل ، فقال : أنا صائم ، فلم تزل الألوانُ[2] تختلف بين يدى معاوية حتى جىء بجَدْى محنوذ[3] سمين ، فقال جنادة : ليأمرْ لى أميرُ المؤمنين بماء أغسل يدىّ وآكلُ من هذا الجدْى . فقال له : ألم تقل إنك صائم ؟ قال : بلى . ولكنّى على ردّ يوم أقدرُ منى على ردّ مثل هذا الجَدْى . فضحك معاوية وأمر بالماء ، فغسل يدَه وأكل معه .

قال الحسنُ البصرىّ : غسلُ اليد قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعد الطعام ينفى اللحم[4] .

كان يقال : أَحب الطعام إلى الله عز وجل ما كثرت عليه الأيدى .

---

(١) ساقط من ح .
(٢) الأزدى الزهرانى ، قائد بحرى ، صحابى ، من كبار الغزاة فى العصر الأموى كان قائد غزوات البحر أيام معاوية ، وممن شهد فتوح مصر ، وفتح جزيرة رودس سنة ٥٣ ، وقد توفى بالشام سنة ٨٠ . انظر : الأعلام ٢/١٣٦ والمراجع عنه فى هامشه .
(٣) المحنوذ والحنيذ : المشوى .
(٤) فى ح : الهم . وقد ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار ٣/٢٢٤ ، محاضرات الأدباء ١/٣٠٠ ، العقد الفريد ١/٢٩٨ هكذا : الوضوء قبل ... اللحم .

قال أبو بكر الهُذلى : إذا جَمع الطعامُ أربعًا كَمُل ، إذا كان حلالاً ، واجتمعتْ عليه الأيدى ، وسُمِّى اللهُ في أوله ، وحُمد فى آخره .

كان يحيي بن مَعين يتمثل :

المـالُ يَنْفدُ حِلُّهُ وحَرَامُه　　يوماً و تَبْقَى فى غدٍ آثامُهُ

ليسَ التقىّ بمُتّقٍ فى دِينِهِ　　حتى يَطِيبَ شرابُه وطعامُهُ(١)

قال لقمانُ لابنه : يابنىّ ! لا تأكل شيئاً على شبع ، فإنك إن تركتَه للكلب خيرٌ لك من أن تأكله .

كان الحسنُ بن علىّ رضى الله عنه ، يقول : ائتونا بالخوان نأتدس به حتى يأتىَ الطعام .

كان لكسرى جامٌ فيه حبّ رمان يسفّ منه بين كلّ لونين ملعقة ليعرَف اختلاف الألوان .

روى عن عبد الله بن دينار ، عن عبدالله بن عمر ، قال : قال رجلٌ من أهل الشام : أنعت لكم الأكل؟ قالوا : نعم . قال : إذا أكلتَ فابرُكْ على ركبتيك ، وافتح

(١) البيتان فى وفيات الأعيان ٥/١٩١ ، وفيها طرا بدل يوما ، ولإلهه بدل فى دينه .

فاك ، وأحدج[١] عينيك ، وفرّج أصابعك ، وعظِّم لقمتك ، واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار : ما سمعت عبد الله بن عمر يحدّث بهذا الحديث قطّ ، فبلغ قوله : واحتسب نفسك ، إلاّ ضحك حتى بدت نواجذه .

قال أبو الهندى ، وهو من ولد شِبْث بن رَبْعى[٢] :

أكلت الضِّبَاب فما عِفْتُها ... وإنى لأهوى قديدَ الغَنَمْ[٣]

ورَكَّبْتُ زُبْدًا على تمرةٍ ... فنعم الطعامُ ونعم الأُدُمْ

وما فى البُيُوض كبيض الدجاج ... وبيضُ الجرادِ شفاء القَرَمْ[٤]

ومُكْنُ الضِّباب طعام العُرَيْبِ ... ولا تشتهيهِ نفوسُ العَجَمْ[٥]

قال عمرُو بن بَحْر[٦] : الجرادُ المأكولُ منه ، ضُرُوب : منه الأهوازىّ ، وفيه المُذَنّب ، وأطيبه الأعرابىّ ، وأهل خراسان لا يأكلونه . قال : والجرادُ الأعرابى لا يتقدّمه فى الطيب شىء ، وما أُحْصى كم سمعتُ من الأعْراب من يقول:

---

(١) التحديج : التحديق .

(٢) سبقت ترجمته فى الجزء الأول ، وانظر أبياته التالية فى الحيوان ٤/٨٨ ، ٨٩ ، وما عدا الثانى فى عيون الأخبار ٣/٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) عاف الشىء : كرهه ، والقديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٤) القرم : الاشتهاء إلى الشىء .

(٥) المكن : البيض ، والعريب : مصغر العرب .

(٦) انظر فيما يلى : الحيوان ٥/٥٦٥ ، ٥٦٦ .

ما شبعتُ منه قطّ ، وما أَدَعُه إلا خوفاً من عاقبته ، أو لأنى أعيا فأتْرُك . قال : والجرادُ يطيب حارًا وباردًا ومشويّـا ومطبوخاً ، منظوماً فى الخيط ، أو مجعولا فى المسلّة(١) . قال : والبيضُ المقدم فى الطيب ثلاثةُ أجناس : بيض الأُشْبُور(٢) ، وبيضُ الدجاج ، وبيض الجراد . [وبيض الجراد](٣) فوق بيض الأشبور(٤) فى الطّيب ؛ وبيضُ الأشبور فوق بيض الدجاج . قال : والجراد يؤكل يابساً وغير يابس ، ويجعل إدَاماو نُقْلا . قال : وذَكَرَت امرأةٌ الجرادَ ، فقالت لها أخرى : كيف حبّك فيه ؟ قالت : واللهِ إنه لأحبّ إلى من الحَبَل(٥)

كان بِشْرُ بن المُعتمر ، خاصًّا بالفضل بن يحيى ، فقَدم عليه رجلٌ من مواليه — وهو أحدُ بنى هلال — فجاء(٦) به يوماً إلى الفضـل ليـكرمَه بذلك ، وحضرت المائدةُ ، وذكر الضبُّ ومن يأكله ، فأفرط الفضل فى ذمه وتابعه القوم ، ونظر الهلالىّ فلم ير على المائدة عَربيًّا غيرَه ، وغاظه كلامُه ، فلم يلبث أن أُتى الفضـلُ بصفحةٍ ملأى من فراخ الزّنابير ليُتّخَذَ له منها بَزْماوَرْدُ(٧) ، والدَّبْرُ(٨) والنحل

---

(١) هكذا فى الأصول ، وفى الحيوان الملة : وهو الرماد الحار والجمر .

(٢) الأشبور : سمك بحرى كما فى المحيط والمنجد ، وفى الحيوان . الأسبور ، انظر التحقيق الوارد ثمة فى هامش صفحة ٥٦٥ من الجزء الخامس .

(٣) زيادة يستقيم بها السياق (٤) ساقط من ا .

(٥) انظر الحيوان ٥/٥٦٧ ، فقد وردت محاورة المرأتين هناك بفضل تفصيل .

(٦) فى ا : فمضى .

(٧) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم والبيض وأصل الكلمة فارسية .

(٨) الدبر : جماعة النحل والزنابير .

عند العرب أجناسٌ من الذِّبّان ، فلم يَشُكّ الهلاليّ أن الذى رأى من ذبّان البيوت والخُشُوش[١] ، وكان الفضل حين ولى خراسان ، قد استطرف بها بزماورد الزنابير، فلما قدم العراق كان يتشهّاها ، فتطلب له وتساق من كل مكان ، فشمت به وأصحابه لِمَا رأى من ذلك ، وخرج وهو يقول :

وعِلْجٍ يعافُ الضَّبَّ لؤماً وبطنةً ... وبعضُ إدامِ العِلْج هامُ ذُبَابِ
ولو أَنَّ مَلْكًا فى الورى ناكَ أمَّهُ ... لقالوا له : أوتِيتَ فصلَ خطابِ[٢]

قال الحسنُ بن هانئ :

إذا ما تميمىٌّ أتاك مُفَاخِرًا ... فقلْ : عَدِّ عن ذا ، كيف أَكْلُكَ للضَّبِّ
تفاخرُ أَبْنَاءَ الملوكِ سفاهةً ... وبَوْلُكَ يجرى فوق ساقِكَ والكَعْبِ[٣]

وقال ابن المعتز :

رأيت بيوتًا زُيِّنَت بنمارقٍ ... وزُيِّن ما فيهنَّ بالوَشْيِ والطَّرْزِ

---

(١) الخشوش : حشرات الأرض .
(٢) انظر الخبر والبيتين فى الحيوان ٦/٩١ ، ٩٢ ، عيون الأخبار ٣/٢١٠ .
(٣) ديوانه ١٥٨ ، الحيوان ٦/١٠٢ .

فلم أرَ ديباجًا ولم أرَ سُنْدُسًا ... بأحسنَ في بيتِ الكريمِ من الخبزِ(١)

وقال آخر :

فكم من أكْلةٍ مَنَعتْ أخاهَا ... بلذَّةِ ساعةٍ أكلاتِ دَهْـرِ
وكم من طالبٍ يَسْعَى لشيءٍ ... وفيه هلاكُهُ لو كان يدرِى(٢)

(٣قال المأمونُ : سبعة أشياء لا تمَلّ ، أكلُ خبز البُرّ ، وشُرْبِ ماء العنب ، وأكلِ لحمِ الضأن ، والثوبُ اللّين ، والرائحةُ الطيبة ، والفِراشُ الوطِيء ، والنظر إلى كل شيء حسن . فقال له الحَسَنُ بن سَهْل : أين محادثةُ الإخوان يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هن ثمانٍ وهي أولهن ٣ .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يرويه عن عليّ ، أنه قال : لا يُقام عن الطعام حتى يُرْفع .

قال ابن عبّاس : من السنة إذا دعوتَ أحدًا إلى منزلك أن تخرُجَ معه حتّى يخرج .

روى جعفرُ بن محمد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، أنه قال : رَبُّ البيت

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٧٨ .
(٢) البيتان لابن هرمة ، انظر . البيان والتبيين ٣/١٦٥ ، فصل المقال ٢٦٢ .
(٣) ساقط من حـ .

آخرُ من يغسل يديه .

وقال أبو الزِّناد : من إكرامِ الضَّيف وحسنِ الأدب فى مُؤَاكلته ، أن تغسلَ يديك قبله أولا ، وبعده آخرًا .

لعبد الله بن المبارك ، وتمثل بها المأمون : .

احضر طعامَك وابْذُله لمن أكلا ... واحْلِفْ على من أبى ، واشكرْ لمن فَعَلاَ
ولا تكُن سابِرِيَّ العَرْضِ[١] مُحْتَشِماً ... مِنَ القليلِ ، فلستَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلاَ

وقال آخر فى ذم الشراب :

لا تفتكنّ على الكؤوس بِشُرْبِها ... فهيَ التى بكَ عن قليلِ تَفْتِكُ
يكفيك منها أنَّ عقلَكَ تارةً[٢] ... يبكي عَلَيْك ، وَأَنَّ جَهْلك يضحكُ

وقال آخر[٣] :

وإنى لأستحيي أكيلِيَ أن يَرَى ... مكانَ يدى من جانبِ الزَّاد أقْرَعَا[٤]

---

(١) السابرى : ثوب رقيق جيد نادر ولهذا يرغب فيه الناس مهما كان عرضه ضئيلا ، ومن هنا أخذ هذا التعبير ، ومعناه لا يكن عرضك فى الإفضال ضيقا كالثوب السابرى .

(٢) فى ا : دائما .

(٣) الأبيات لحاتم الطائي ، انظرها فى ديوانه ٢٧ ، الحماسة لأبى تمام ٢/٣١٢ ، أمالى القالى ٢/٣١٨ ، البيان والتبيين ٣/٢٥٧ .

(٤) فى ا : أفزعا ، وفى ح : مفزعا ، وفيها أيضا : وإنى لأستحيى من القوم أن أرى .

أبيتُ هضمَ الكَشْح مضطمر الحشا من الجُوع أَخْشى الذَّمَ أن أتضلَّعَا[١]
وإنَّك إنْ أَعطيتَ بطنك سُؤْلَهُ وَفرْجَك نالا مُنْتَهى الذم أَجْمَعَا

وقال كَعْب بن سَعْد الغَنَوِى[٢] :

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تَجَمُّلاً لأوثرَ فى زادِى علىَّ أكيلِى
وما أنا للقول الَّذى لَيْس نَافِعِى ويغضبُ منه صاحبى بقَؤُولِ[٣]

---

(١) فى حـ : أن أبتلعا . ومعنى أتضلع أى أمتلىء زادا .
(٢) شاعر جاهلى ، رقيق ، مات نحو سنة ١٠ قبل الهجرة . انظر الأعلام وهامشه ٦/٨٢ .
(٣) البيتان فى أمالى القالى ٢/٢٠٤ ، والثانى فى محاضرات الأدباء ٢/١٠٧ .

بابُ النوم وتَصَرّف المَعانى فيه[١]

رُوى أن المسيح عليه السلام قال : خُلُقان أكرهُهُما ، النـومُ من غير سَهَر ، والضحك من غير عَجَب ، والثالثة وهى العظمى : إعجابُ الرجل بعلمه .

قال داودُ لابنه سليمان عليهما السلام : إياك وكثرة النوم ، فإنه يُفْقِرُك إذا احتاج[٢] الناس إلى أعمالهم .

قال لقمان لابنه : يا بنى ! إياك وكثرةَ النوم والـكسل والضجـر ، فإنك إذا كسلت لم تؤدّ حقا[٣] ، وإذا ضَجرت لم تصبر على حقّ .

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله : بلغنى أنك لا تَقيل ، وإن الشياطين لا تقيـل .

قال علىّ : من الجهل النومُ فى أوّل النهار[٤] من غير سهر[٤]، والضحك من غير عجب ، والقائلةُ تزيد فى العَقْل .

قال عبد الله بن مسعود : النوم[٥] (عند الموعظةِ من الشيطان .

---

(١) فى حـ : باب النوم والـكسل .

(٢) فى ا : قام . (٣) ا : ترد .

(٤) ساقط من حـ . (٥) ساقط من ا .

(قال عبد الله بن عمرو بن العاص : النوم[١] على ثلاثة أوجه ، نوم خُرْق ، ونوم خَلْق[٢] ، ونوم حُمْق . فأما النوم الخرق ، فنومة الضحى ، [١ يقضى الناس حوائجهم وهو نائم ١] ، وأما نوم الخلق ، فنوم القائلة نصف النهار ، وأمّا نوم الحمق ، فالنوم حين تحضر الصلوات .

قال غيرُه : نوم أول النهار خرق ، ونوم القائلة خلق ، ونوم العشى حمق ، والنوم بين العشاءين يحرِّم الرزق .

قيل لأعرابىّ : ما يدعوك[٣] إلى نومة الضحى ؟ قال : مَبْرَدةٌ فى الصيف ، مَسْخَنَةٌ فى الشتاء

قال بعضُ العلماء : النُّعاس يُذْهب العقلَ ، والنوم يزيد فيه .

قال عبد الله بن شُبْرُمة : نوم نصف النهار يَعْـدِل شَرْبَةَ دواء . يعنى فى الصيف .

قال عباسُ بن الأحنف[٤] :

قالوا : تنامُ ، فقلت : الشّوْق يمنعُنى ... من أن أنامَ وعينى حشْوها السُّهُدُ

---

١) ساقط من ا .

(٢) الخرق : الحمق . والخلق : الطبيعة .

(٣) ا : ما يحملك .

(٤) الأبيات فى ديوانه ٢٦ ، وانظرعيون الأخبار ٤/ ١٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢ /٣٣ ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٠ .

أبـكى الّذين أذاقونى مَوَدّتَهُمْ   حتّى إذا أيقظونى للهوى رَقَدُوا[١]

هم قد دَعَوْنى فلمـا قمتُ مقتضيا   للحبِّ نحوَهُمُ من قُرْبِهم ، بَعُدُوا[٢]

لأخرجنّ من الدنيـــا وحُبُّهُمُ   بين الجوانِـحِ لم يَشْعرْ به أحدُ

كان يقال : لإبليس لَعُوقٌ[٣] وكُحْلٌ وسعُوط ، فلعُوقُه الـكَذب ، وكُحْله النُّعاسُ عند سماع الخير ، وسعوطه الـكِبْر .

قال علىُّ بن الجهم ، يهجو قوماً :

أ كثرُ ما يعـرفُه القَوْمُ   الأ كْـلُ والراحـةُ والنّومُ

نوكى مياسيرٌ إذا عدت الْ   أيّامُ لم يُعْـرَف لهم يومُ[٤]

وقال آخر :

عجبتُ لطَرْفى[٥] والـكَرَى إذ تنافَرَا   وقد كانَ قبلَ اليوم ِ بينهُماَ وَصْلُ

كأنّ البـكا أغراهُما بتفـــرُّقٍ   فلم يجتمعْ من بعـدِهِ لهما شمـلُ

---

(١) فى العيون : أشكو بدل أبـكى ، فى الهوى بدل للهوى .

(١) رواية هذا البيت فى العيون والوفيات :

واستنهضونى فلما قمت منتهضا   من ثقل ما حملونى فى الهوى قعدوا

(٣) اللعوق : ما يشتهى من الأطعمة ونحوها فيلعق .

(٤) النوكى جمع أنوك وهو الأحمق . وفى ا : ليس لهم يوم .

(٥) فى ا . لعينى .

أنشد ابن دريد :

ولذٍّ كطَعْمِ الصَّرْخَدِىّ تركْتُهُ　　بأرض العِدَا من خَشْيةِ الْحَدَثَانِ

ومُبْدٍ لى الشَحْناء بينى وبينَهُ　　دعوتُ وقد طال السُّرى فَدَعَانِى(١)

وفسر اللّذَّ فقال : اللّذُّ : اللذيذ ، وأراد به هنا النوم . والصَّرخدى : الخمر ، وقيل العسل .

وللفرزدق ، أو غيره :

يقولُون طالَ الليلُ والليلُ لم يَطُلِ　　ولكنّ من يَبْكِ من الشّوْقِ يَسْهرِ(٢)

وقال بشار :

لم يطل ليلى ولكن لم أَنَمْ　　ونَفَى عنّى الكَرَى طيفٌ أَلَمّ(٣)

قال أبو مُلْجَم الأعرابى :

أبيتُ أُرَاعِى النَّجْمَ حتّى كأنّنِى　　بناصيتى حَبْلٌ إلى النَّجْم مُوثَقُ

وما طال ليلى غير أنّى أَحبُّها　　أُعَلّلُ نفسى بالأمانى فتَعْلَقُ

---

(١) البيتان فى أمالى القالى ١/٢١٠ ، الحيوان ١/٢٦٦ ، ومبد لى الشحناء : يقصد كلبا نبحه وقت سيره فى الليل .

(٢) ديوان الفرزدق ١٥٩ ، أمالى القالى ١/١٠٠ .

(٣) البيت فى الأغانى ١٥١/٣ .

وقال عليُّ بنُ بسّام[١] :

لا أظلمُ الليـــلَ ولا أدّعى   أنّ نجومَ السّماء ليستْ تغُـورْ
لَيْـلِى كما شاءتْ فإن لم تزُرْ   طَالَ ، وإنْ زارت فليلِى قصيرْ[٢]

قال عدىّ بن الرّقاع :

وكأنّ ليلِى حينَ تغرُبُ شمسُهُ   بسَوادِ آخرَ مثلَهُ مَوصُولُ[٣]

لأبي جُنْدُب الهُـذَلِىّ ، فيما ذكر المدائنى :

تعَالَوْا أعينونى على الّليل إنّهُ   على كلّ عينٍ لا تنَامُ طويلُ

قال المدائنى ، وهو القائل أيضا :

ألاَ أيُّها النُّوامُ ويحكُمُ هُبُّوا   أسَائلكم هَلْ يقتلُ الرَّجُلَ الحبُّ

قال : وهو القائل :

قل للمليحةِ فى الخمارِ الأسْوَدِ

وذكر الأبيات ، وليس هذا موضعها ، وغير المدائنىّ ينشد قوله : ألا أيها

---

(١) هو المعروف بالبسامى ، وقد سبقت ترجمته فى القسم الأول .

(٢) البيتان فى أمالى القالى ١/١٠٠ ، زهر الآداب ٣/١٦٧ ، محاضرات الأدباء ٢/٤٢ ، ويروى : فإن لم تجد ، ويروى : جاءت بدل زارت .

(٣) ساقط من ا .

النُّوام . . . لجميل بن مَعْمر)[١] ، ويُنشد : قل للمليحة فى الخمار الأسـود . . . للدَّارِمِىّ .

قال صالحُ بنُ حَسّان يوما لجلسائه : أيّـكم ينشدُ بيتاً نصفُه لمخنث يتفـكَّكُ بالعقيق ، ونصفه لأعرابىّ فى شَمْلة بالبادية ؟ قالوا : ما نعرُفه . قال : هو قول ابن مَعْمر :

ألا أيُّهـا الركب النِّيامُ ألا هبّـوا   أُسَائِلُـكم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ ؟[٢]

ولعبّاس بن الأحنف :

أيّها النَّائِمون حَوْلِى أَعِينُو   نِى عَلَى اللَّيلِ حِسْبَةً وائْتِجَارَا
حَدِّثُونِى عن النّهارِ حـديثاً   أوصفُوهُ فقـد نسيتُ النّهَارَا[٣]

وقال خالدُ الـكاتب[٤] :

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للسَّاهِـرِ   ولَيْـل الْمُحِبِّ بلا آخِرِ

(١) ساقط من ا .

(٢) الخبر والبيت فى الأغانى ٣/١١٣ ، وفى أمالى القالى ٢/٢٩٨ بزيادة تفصيل ، وفى العقد الفريد ٥/٣٨٢ أن هارون الرشيد قال للمفضل الضبى أنشدنا بيتا أوله أعرابى فى شملة هب من نومه ، وآخره مدنى رقيق غذى بماء العقيق ... الخ .

(٣) ديوانه ٢٢ ، وفى أمالى القالى ١/١٠١ : حدثى .

(٤) هو خالد بن يزيد البغدادى ، أبوا لهيثم المعروف بالـكاتب ، شاعر غزل من الـكتاب ، كان أحد =

ولم تَدْرِ بعدَ ذهابِ الرُّقَادِ ... ما فعــــلَ الدَّمع بالنَّاظِرِ[١]

وقال سعيدُ بن حُمَيْدٍ[٢] :

يا ليــلُ بل يا أَبَد ... أنائمٌ عَنْــك غَدُ

يا ليلُ لو تَلْقَى الذى ... أَلْقَى بهـا أو تجـدُ

قُصِّر من طُولِك أَوْ ... ضُعِّفَ منك الجَلَدُ[٣]

ولبعضِ أَهْلِ عَصْرِنا :

إِلْفِى قريبٌ وأُنْسِى ما يتمُّ بِهِ ... واللَّيْلُ يَقطَعُ صَبْرِى كلَّه طُولاَ

إذا كواكِبُهُ الأخْرَى أردتُ بها ... مِنْ غُمَّتِى فَرَجاً عادَتْ لِىَ الأُولَى

وللمنتصر بالله[٤] :

= كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى ، وكان يهاجى أبا تمام ، شعره رقيق أكثره فى الغزل ، توفى فى بغداد سنة ٢٦٢ هـ . انظر تاريخ بغداد ٨/٣٠٨ ، الأغانى ٢١/٣١ الساسى (الأعلام ٢/٣٤٣) .

(١) البيتان فى أمالى القالى ١/١٠٠ ، وفيه ما صنع الدمع فى ناظرى ، وفى ا : ما صنع الدهر .

(٢) أبو عثمان ، كاتب مترسل من الشعراء ، أصله من أبناء الدهاقين ، مولده ببغداد ، قلده المستعين بالله العباسى ديوان رسائله ، وأكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة وشعره رقيق ، كان ينحو فيه منحى ابن ربيعة . انظر : الأغانى ١٧/٢ـ٨ (الأعلام ٣/١٤٦) .

(٣) الأبيات مع غيرها فى أمالى القالى ١/١٠١ ، الأغانى ١٧/٥ .

(٤) هو محمد (المنتصر) بن جعفر (المتوكل) بن المعتصم من خلفاء الدولة العباسية ، فى أيامه قويت =

رأيتُك فى المَنامِ أقلَّ بخلاً ... وأطوعَ منك فى غَيْرِ المَنامِ

فليتَ الصُّبحَ زَالَ فلا تراه ... وليت الليل أُخِّرَ ألفَ عامِ

فلو أنّ النُّعاسَ يُبَاع بيعاً ... لأغليتُ النُّعَاس على النيامِ

= سلطة الغلمان ، وصار يأتمر بأمرهم ، قيل مات مسموما بمبضع طبيب ، سنة ٢٤٨ وكانت مدة خلافته سنة أشهر وأيام ، أورد له فى الأغانى ٩/٣٠٠ بعض شعره ومنها الأبيات ، انظر فى ترجمته الأعلام والمراجع التى فى هامشه ٦/٢٩٦ .

باب الحمّام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّكم ستَفْتَحُون الشَّامَ ، فَتجدون فيها بيوتاً تُدْعى الحَمَّامات ، فلا يَدْخلْها من النساءِ إلاّ مريضَةٌ أو نُفَسَاء ، ولا يحلّ دخولُها لرجل إلّا بمئزَر » .

قال أبُو هريرة : بئس البيتُ الحمّام ، يكشفُ العورة ، ويُذْهِبُ الحياء .

قال أبو الدّرداء : نعم البيتُ الحمام ، يُذْهب الدَّرَن ، ويذكِّرُ النار .

قال ابنُ القاسم : سئل مالك عن القراءة فى الحمّام . فقال : القراءةُ بكلِّ مكان حَسَنة ، وليس الحمام بموضع قراءة ، فمن قرأ الآية والآيتين فليس بذلك بأس ، وليس الحمام من بُيُوتِ الناس الأُوَل[1] .

كان الحسن[2] إذا دخل الحمام أغمض مخافة أن تقع عينه على عورة أحد ، وربما قاده غلامه .

ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم ، فأغلق عينيه ، وجعل يتهدّى بيديه . فقال له أحدُهم : متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة ؟ قال : منذُ انكشفت عورتكم .

---

(١) فى ا : فإن قرأ الإنسان الآية لم أر بذلك بأسا ، وليس الحمام من بيوت من مضى من السلف .

(٢) هو الحسن البصرى كما لا يخفى ، إذ هو المقصود عند الإطلاق ، وفى ح : أغلق عينيه وقاده غلامه .

كان يقال : إذا جمع الحمّامُ خمس خصال فقد كمل : أن يكون قديمَ البناء ، عذب الماء ، كثير الضياء ، مرتفع الهواء ، وأفضل ذلك كلّه : أن يكون الحوضُ نقيًّا معتدلَ الحَرّ .

قال أصبغ : سألتُ ابنَ القاسم عن دخول الحمام ، فقال : ما أَنْ وجدتَه خالياً ، أو كنت تدخل مع قوم يستترُون ويتحفّظُون فلا أَرى بذلك بأسا ، وإن كان يدخله من لا يبالى ولا يتحفظ لم أَر أن تدخلَه ، وإن كنت متحفظاً .

قال أَصبغ : وأَدركت[١] ابنَ وهب يدخلُه مع العَامّة متحفظاً ، ثم ترك ذلك ، وكان لا يدخلُه إلّا مختليا .

قال شمس المعالى :

أَنتَ فى الحمّام موقو ... فٌ على قَلْبِى وَسَمْعِى

فتأَمّلها تجــــدْهَا ... كُوِّنَتْ من بعضِ طَبْعِى

حَرّهَا من حَرّ أَنفَا ... سِى وفيضُ الماءِ دَمْعى

ودخل أَعرابى البصرة ، قدمها من البادية فنزل على قريب له[٢] ، فلما رآه أَشعث

---

(١) فى ا : ورأيت .

(٢) فى ا : قدم أعرابى من البادية فدخل البصرة الخ .

الرأس عزم عليه فى دخول الحمام، وقال له: إنَّه يوم جمعة تطهر فى الحمام وتنظف، فلما دخل الأعرابىّ الحمام، زلِقَتْ رجلُه وسقط، فأصابته شجّةٌ فوق حاجبه، فخرج وهو يقول:

وقالوا: تَطَهَّرْ إنه يوم جُمْعَةٍ ... فأُبْتُ من الحَمَّامِ غيرَ مطهّرِ
تزوَّدْتُ منه شَجَّةً فوق حاجِبِى ... بغيرِ جهادٍ بئسَ ما كان متجرِى
تقول لىَ الأعرابُ لما رأَونى ... بِهِ لا تَلَبَّثْ[1]، بالصَّرِيعَةِ أَعْقِرِ
فما تعرِفُ الأعرابُ فى السُّوقِ مِشْيَةً ... فكيفَ ببيتٍ ذِى رخامٍ ومَرْمَرِ

---

(١) فى ا، حـ: لا تلبثن.

[1]باب فى البراغيث والبق [2] والبعوض

فى الحـديث المرفوع[3] : لا تلعَنُوا البرغوثَ فإنَّه نَبّه نبيًّا من الأنبياء لصلاة الصبح ، حديثٌ ليس بقوىّ الإسناد ، انفـرد به سُوَيْدٌ أبو حاتم ، بيّاعُ الطعام عن قتادة ، عن أنس [4 عن النبي صلى الله عليه وسلّم [4] .

قال أعرابىٌّ بالبَصْرَة[5] :

ظللتُ بالبَصْرَة فى مِرَاشِ[6]

وفى براغيثَ أَذَاهَا فَاشِى

من نافرٍ منها وذِى خِرَاشِ[7]

يَرْفَعُ جنبىّ عن الفِرَاشِ

فأنا فى حرب وفى تَخْرَاشِ[8]

---

(1) قبل هذا العنوان فى حـ ورد ما يلى : تجز الجزء الثالث من كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، فى العشر الأوسط من صفر سنة سبع وسبعين وستمائة . يتلوه الجزء الرابع ، ثم فى الصفحة التى تليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر

(2) ساقطة من جـ .

(3) قبل هذه العبارة فى ا : قال أبو عمر.

(4) ساقط من ا .

(5) الأبيات التالية فى الحيوان ٥/٤٠٨ ، منسوبة إلى جعفر بن سعيد .

(6) المرش والمراش : الخدش والحك بأطراف الأصابع ، وفى الحيوان : هراش بدل مرش

(7) الخراش : التحرش للقتال ، وفى الحيوان : من نافر وذى اهتماش .

(8) فى الحيوان : حك بدل حرب ، والتخراش: تفعال من الخرش أى الخدش والحك .

يَـترك فى جَنْبىَّ كالحَوَاشِى
وزوجـةٍ دائمـة الهِرَاشِ(١)
تَغْلِى كغَلىِ المِرْجَلِ النَشْنَاشِ(٢)

وقال رجلٌ من بنى حمّـان(٣) ، وقع فى جند الشام ، مندوبًا فى بعض حصون الساحل :

أأَنْصُرُ أهلَ الشأم ممن يكيدُهُمْ ... وأَهْلِى بنجدٍ ذاتَ حرصٍ على النصرِ
براغيثُ تُؤْذينى إذا النّاسُ نَوَّمُوا ... وبقٌّ أقاسيهِ على سَاحِلِ البَحْـرِ(٤)

تضيف عمرو بن سعيد بن العاص الأموى(٥) ، رجـلا من الأعراب كان يأتيه يتصيد عنـده ، ففرش له فى بيت خال من ناحية داره ، فبات فيه ، ثم غـدا عليه فقال : يا أبا عثمان ! ماذا رأيتُ هـذه الليلة ! قال : وما ذاك ؟ قال :

---

(١) الهراش : القتال أو هو محاولة استجلابه بشتى الأسباب .

(٢) المرجل : القدر ، والنشناش : مأخوذ من النش وهو صوته عند الغليان .

(٣) فى ا : ولرجل من أهل نجد ، وفى حـ : حسان .

(٤) البيتان فى الحيوان ٥/٤٠٩ ، وفيه : وأهلى بنجد ساء ذلك من نصر ، وفيه تردينى بدل تؤذينى .

(٥) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى القرشى ، أمير من الخطباء البلغاء ، كان والى مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد ، وحين تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة وقامت الفتنة ، ناصر عمرو مروان بن الحـكم حتى ظفر بالملك ، فجعله مروان ولى عهده بعد ابنه عبد الملك ، ولـكن عبد الملك أبى ذلك ، فـكان أن خرج عليه عمرو واستولى على دمشق ، ولـكن عبد الملك تمـكن منه وقتله سنة ٧٠ هـ . انظر الإصابة الترجمة ٦٨٥٠ ، تهذيب التهذيب ٨/٣٧ ، (الأعلام ٥/٢٤٦) .

سود حُدْب زُرْق آذينني ، وقد قلت فيهن شعرًا ، قال : وما هو ؟ قال قلت[١] :

اللَّيـلُ نصفانَ نصفٌ للهُمُومِ فَمَا أَقْضِي رُقادًا[٢] ونصفٌ للبَرَاغِيثِ
أبيتُ حيثُ[٢] تُسَامِينى أوائلهـا أنزو[٣] وأخاط تسبيحًا بتغويثِ
سُودٌ مداليجُ فى الظلماء مؤذيةٌ وليس مُلْتَمَسٌ منها بمَشْبُوثِ[٤]
كأنهنّ وجِلْدِى إذ خَلَوْن به أيتامُ سُوءٍ أغارُوا فى مَوَارِيثِ[٥]
[٦] ليلُ البراغيثِ أنْكانِى وأرّقَنِى لا باركَ اللهُ فى ليلِ البراغيثِ [٦]

قال أعرابى :

إنّ البراغيثَ لَهُنَّ عَضٌّ وحِـكةٌ وَألمٌ مُمِضٌّ
كأنما تُنْبِتُهُنّ الأرضُ

وذُكِرَتْ البراغيثُ عند أعرابىّ من قيس ، فقال : ليلُها ناصِب

---

(١) انظر الأبيات التالية فى الحيوان ٥/٣٨٥ ، ٣٨٦ منسوبة لمحبوب بن أبى العشنط النهشلى .

(٢) فى الحيوان : الرقاد . وأبيت حتى .

(٣) أنزو : أثب . وفى ا : أقرا .

(٤) المداليج : الملس ، والمشبوث : الذى يمكن إمساكه والتعلق به .

(٥) فى حـ : شهود سوء .

(٦) ساقط من ا .

ومَدُّهَا دَائب .

وذكرت البراغيثُ عند رجل من كَلْب، فقال : أَخْزَاها اللهُ ، ماأدنأ صغارها ، وما أشر كبارها ، وأخفى أنظارها ، وأقبح آثارها .

قال أحمد بن إسحاق(١) :

ما للبراغيثِ أَفْنَى الله جُمْلتها   حتّى يُقَوِّمَ بَرْغُوثٌ بدينَارِ

لَرَوْضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ   بهـا الظباءُ تُرَاعِي غِبَّ أَمْطَارِ(٢)

أشْهَى لقلبيَ من دَرْبٍ به نبطٌ   ومَنْزِلٍ بين حَجَّامٍ وَجَزَّارِ

وقال آخر :

ما لِلْبَراغيث أَخْزى الله لَيْلتها(٣)   من يَلْقَ منهنَّ ما لاقيتُ لم يَنَمِ

كأنهنّ وجلدى إذ ظفرنَ بهِ   وَضمّنِي مضجعِي ، يَطْلُبْنَني بدَمِ

قال أعرابى(٤) :

لم أَرَ كاليومِ ولا مُذْ قَطّ   أَطْولَ من لَيْلِي بنهر بَطِّ(٥)

---

(١) الأبيات التالية فى الحيوان ٥/٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٢) فى الحيوان : لبرقة من براق الحزن أعرفها .

(٣) فى ا : أفنى الله غابرها .

(٤) الأبيات فى الحيوان ٥/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٣٠٦ .

(٥) فى ا : كالليل بدل كاليوم . نهر بط نهر بالأهواز كان عنده مراح للبط .

كأنما نجومُهُ فى رَبْطِ   أبيتُ بين خِطَّتىْ مُشْتَطِّ (١)

من البعوض ، وَمِنَ التَّغَطِّى   إذا تغَنّينَ غنــاء الزُّطِّ (٢)

وكنّ منى بمكان القُرْطِ   وخَزْنَنِى وَخزًا كوخزِ الشَّرْطِ (٣)

(٤) وقال آخر ، يصف بعوضة وخرطومها :

مثلُ السَّفَاةِ دائمٌ طنينُها   رُكِّبَ فى خُرْطُومِها سِكِّينُها (٤)

ولأبى إسحق الصابى ، وهو إبراهيم بن هلال الكاتب فى البعوض قال :

أَلَحّتْ صُرُوفُ الدّهْرِ من كلِّ جانِبٍ   علىَّ بأَصْنَافِ الأَذَى (٥) والجوائحِ

وأخْرَجْنَنِى من مَوْطِنٍ كان جنّتِى   لحُسْنِ مرابِعِهِ (٦) وحُسْنِ الرَّوَائحِ

وَعَوَّضْنَنِى من ذلك الظِّلِّ والجَنَى   على الرّغْمِ مِنْ أَنْفِى بسُكْنَى البَطَائحِ

محلٌّ خَسيسٌ لا يَطِيبُ مَسَاؤُهُ   لثَاوِيهِ والإِصْبَاحُ ليس بِصَابِحِ

---

(١) ربط : أى مربوطة ، وخطى مشتط أى حالتان شديدتا السوء .

(٢) الزط : جيل من الهند .

(٣) فى الحيوان : وهن بدل وكن ، وفيه : فثق بوقع مثل وقع الشرط .

(٤) ساقط من ا ، وانظر البيت فى الحيوان ٣/٣١٦ .

(٥) فى ا : الردى .

(٦) المربع : محل اللهو فى وقت الربيع .

بُليتُ ببقٍّ ذى مَنَاسِرَ(١) طَعْمُهُ لحوم صَناديدِ الرِّجال الَجحَاجِحِ
وقد كنتُ فى بغدادَأَشكوُ بُغَاثَهُ فكيف اصطبارى للبُزَاةِ الجَوَارِحِ
أجَاوِرُ فى جُنْحِ الدُّجَى كُلَّ جَحْفَلٍ يُجالدُنى أبطـــالُه بالصَّفائحِ
إذا سفكتْ كفِّى دَمًا من بعوضةٍ فذلك جُزْءٌ من دَمٍ لِىَ طَائحِ
له وخزةٌ فى السّمع قبل وقُوعِهِ علىَ الجسْمِ من تغريدِ نشوانَ صَابِحِ
فكم مستغيثٍ سَاهِرِ العين صَائحٍ إلى مثله من شاَهِرِ العين صَائحِ
وكم غائصٍ فى النومِ يَصْفَعُ(٢) نفسَه لنَبْلَةِ رامٍ أو لطَعنِة رَامِـــحِ

لسُوَيْد بن منجُوف العَبْدىّ ، وكان قديما جاهليا :

أبى القلب أن يأتى السَّدِيرَ(٣) وأَهْلَهُ وإن قيل عيشٌ بالسَّدِيرِ غريرُ
به البقُّ والْحُمّى وَأُسْدٌ خَفِيّةٌ وعمرُو بنُ هِنْدٍ يعتدِى ويجورُ

ولأعرابى من بنى جفنة مازحا :

مَرَّ الجرادُ على زَرْعى فقلتُ لهُ : الزَمْ طريقَكَ لا تُولَعْ بإفْسَادِ

---

(١) المنسر : المنقار .

(٢) فى ا : يسفع .

(٣) السدير : نهر بناحية الحيرة .

فقالَ منهم خطيبٌ فَوقَ سُنْبُلَةٍ ... أَنَا عَلَى سَـــفرٍ لابدّ من زادِ [١]

ولابن المعتز فى البعوض أيضًا :

بتّ ليـلى كلَّه لم أَطْرِفِ ... لِجِرْجَسٍ كالزئبرِ المُنْتَّفِ

يَلْسَعْنَنَا بالسُّمْرِ الْمُخَوَّفِ ... يعذب المُهْجَةَ إن لم تَتْلَفِ

ويثقبُ الجِلْدَ وراءَ الْمُطْرَفِ ... حَتَّى يُرَى فيه كشكلِ المُصحفِ [٢]

ولى أصف مالاقيت من البعوض بإشبيلية فى الشَّرف [٣] ، وفى مدينة قَبْتُور ومدينة قَبْطيل ، وذلك حين مبيتى بها ، وما منه تلقى المدينة أيضا :

بعوضُ قَبْتُورَ والقَبْطِيلِ والشَّرَفِ ... قد آذَنَتْ بذهابِ النَّفْسِ والتَّلَفِ

فمن مثيرِ دُخَانٍ يستجيرُ بِهِ ... وآخرٍ مُخْتَفٍ فى الثوب مُلْتَحِفِ

قد غيّب الرأسَ والرِّجْلين مستترًا ... بالبيتِ من طَرَفٍ فيه إلى طَرَفِ

وَ يَلْى من الجِرْجَسِ المَثْنِيِّ عَقْرَبُهُ ... ينصبُ مثلَ عُقَابٍ جاعَ مُخْتَطِفِ

---

(١) ساقط من ا ، وانظر البيتين فى محاضرات الأدباء ٢ / ٣٠٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٧٤ .

(٢) الجرجس : صغار البعوض ، والزئبر المنتف : الخيوط الصغيرة المتطايرة من خياطة الثوب والسمر : العنق الطويل ، والمطرف : الثوب من الخز . هذا ولم أعثر على الأبيات فى ديوانه .

(٣) الشرف : جبل واسع عريض ، غربى إشبيلية بالأندلس ، كان يزرع كله بالكروم وأشجار الزيتون ، وقبتور وتسمى كبتور أيضا قرية كبيرة من أعمال إشبيلية ، والقبطيل وتعرف أيضا بالعسكر ، مدينة على شاطىء البحر بإشبيلية . انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار صفحات ١٠١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

يَؤُمُّ أذنىَّ هجماً كالمهـددّ لِى ... وكالمُنَادِى بأخذِ المَارِبِ النَّطَفِ (١)

خرْطُومُه كسِنَانٍ لا يقومُ لَهُ ... ثوبٌ مُثَنًّى ولو قد كان من خَزَفِ

يا ويلَهُ من عَـدُوٍّ لستَ تدفعُهُ ... إلّا بلطم على الأعضاء مُنْصَرِفِ

نَفَى البَعُوضُ أناسًا من مَسَاكِنِهِمْ ... على البُحَيْرَةِ فى غَرْبٍ من الشَّرَفِ

وساحلُ البحر طولاً أصلُ مَنْبَتِهِ ... يَغْشى المدينةَ فى الأبْيَاتِ والغُرَفِ

وليس عنهـم بسِتْرٍ أَو مُدَافعةٍ ... أو حيلةٍ قد أَعَدُّوها بمُنْحَرِفِ

ولغيرى فى البعوض ببلنسيَةَ :

ضاقَتْ بَلَنْسيَةُ بِى ... وَذَادَ عنها غُمُـوضِى

رقصُ البراغيثِ حَوْلِى ... على غِناءِ الْبَعُوض

(١) النطف : المتهم .

(٢) نسب البيتان لأبى الحسن الحصرى فى نفح الطيب ١/١٦٨ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ٩٤ ، وفى ا : وحان منها نهوضى .

باب في السجن

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « الدُّنيَا سِجْن المؤمن ، وجنّةُ الكافر » .

رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنه حَبَس رَجُلا فى تهمة .

سَجَن عمرُ بن الخطاب الحطيئة فى قوله فى الزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْر :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكَاسِى[1]

بعد أن سأل حسّانًا ولَبيدًا فقالا : إنه هجاء له وضعةٌ منه ، فأُمر به فحبس ، وقيل إنه رماه فى بئر لا ماء فيها[2] ، فقال الحطيئة :

ماذا تقولُ لأفْرَاخٍ بذى مَرَخٍ ... زُغْبِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

ألقيتَ كاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمةٍ ... فاغْفِرْ عليك سَلَامُ اللهِ يا عُمَرُ

أَنتَ الإمامُ الذى من بَعدِ صاحِبِهِ ... أَلْقَتْ إليكَ مقاليدَ النُّهى البشرُ

لم يُؤْثِرُوكَ بها إذ قَدَّمُوكَ لَهَا ... لـكِنْ لأَنفسِهِم كَانتْ بكَ الإثَرُ

فامْنُنْ على صِبْيَةٍ فى الرَّمْلِ مسكَنُهُمْ ... بين الأَبَاطِحِ يَغْشَاهُمْ بها القَدَرُ

---

(١) ديوانه ٢٨٣ .

(٢) فى ح : فرمى فى بئر وألقى عليه شىء .

(١ أَهْلِى فداؤُكَ كم بينى وَبَيْنَهُمُ ... من عَرْضِ دَاوِيةٍ يَعْمَى بها الخَبَرُ ١)

فكلّمه فيه عبدُ الرحمن بن عَوْف ، وعمرُو بن العاص ، واستَرضياه حتى أخرجه من السجن ، ثم دعاه فهدّده بقطع لسانه إن عاد يهجو أحدًا .

كتب على باب سجن بالعراق : ها هنا تلينُ الصِّعاب ، وتُخْتَبَر الأَحباب .

مكتوبٌ على باب سجن كبيرٍ من سجون الملوك : هـــذه منازلُ البلوى ، وقبورُ الأحياء ، وتجربةُ الأصدقاء ، وشماتةُ الأعداء .

ولأعرابىّ مسجون :

ولمّا دَخَلْتُ السِّجْنَ كَبَّرَ أَهْلُهُ ... وقالوا : أبو لَيْلَى الغَدَاةَ حَزِينُ

وفى الباب مكتوبٌ على صفحاته ... بأنك تَنْزُو ثم سَوْفَ تَلِينُ(٢)

وقال علىّ بن الجهم فى السِّجن فى شعر له(٣) :

خرجْنَا من الدُّنيا ونحنُ مِن أهْلِهَا ... فَلَسْنَا من الأحْيَاءِ فيها ولا الْمَوْتَى(٤)

---

(١) ساقط من ج ، والأبيات فى ديوانه ٢٨٤ .

(٢) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٨٤ ، والمحاسن والأضداد ٣٨ ، وتنزو : تثب وتضيق .

(٣) نسبت الأبيات التالية فى معجم الأدباء ٣/١٥٥ لصالح بن عبد القدوس ، وكذلك فى أمالى المرتضى ١/١٦١ ، وفى البيان ٣/٢٠٦ قال : قالها أو تمثل بها الفضل بن يحيى البرمكى ، وتردد فى نسبتها بين أبى العتاهية والفضل وصالح فى وفيات الأعيان ٣/٢٠٣ ، ونسبت فى المحاسن والأضداد لعبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ، ووردت فى محاضرات الأدباء ٢/٨٤ بدون نسبة .

(٤) فى ا : فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء .

إذا جاءنَا السَّجَّانُ يوماً لحاجةٍ … فرحنا(١) وَقُلْنَا جاء هـذا من الدُّنْيَا
وَنَفْرَحُ بالرُّؤْيا(٢) فَجُلُّ حَدِيثِنَا … إذا نحنُ أَصْبَحْنَا الحديثُ عن الرُّؤْيَا
فإن حَسُنَتْ لم تأتِ عَجْلى وَأَبطأَتْ … وإن هي ساءتْ بَكَّرت وأَتَتْ عَجْلَى(٣)

ولبعض السُّجَّان :

مايدخلُ السِّجْنَ إنسانٌ فَتَسْأَلَه … ما بالُ سِجْنِكَ إلّا قال مَظْلُومُ(٤)

وقال آخر :

أَسِجْنٌ وقيدٌ واغتراب وعَبْرَةٌ … وفقـدُ حبيبٍ إنّ ذَاكَ عَظـيم
وإنّ امْرَءًا تَبْقَى مواثيقُ عَهْدِهِ … على كلٍّ هـذا إنَّه لَـكَرِيمُ(٥)

كتب أبو العتاهية من السجن إلى الرشيد يستعطفه ويسترحمه ، فوقَّعَ له في رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه أبو العتاهيةُ رُقعةً أخرى فيها :

أَرِقتُ وَطار عن عَيْنِي النُّعَاسُ … وَنامَ السّامِرُون ولم يُوَاسُوا

(١) يروى : إذا ما أتانا مخبر عن حديثها عجبنا .
(٢) في معجم الأدباء : وتعجبنا الرؤيا .
(٣) ساقط من ا . وفي المحاسن والأضداد :
فإن حسنت كانت بطيئا مجيئها … وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا
(٤) البيت في البيان ٣/١٥٣ ، الحيوان ٢/١٠٦ ، وفي البيان : لم يخلق الله مسجونا تسائله .
(٥) ورد البيتان في حماسة أبي تمام ١/١٥٠ ، البيان والتبيين ٣/٣٠٣ ، الحيوان ٧/١٥٩ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٤ ، والرواية في كل منها تختلف بعض الاختلاف عن الأخرى بما يطول إثباته هنا .

أمينَ اللهِ أمنُك خـــيرُ أَمْنٍ   عليك من التُّقى فيـه لباسُ
تُسَاسُ من السَّماء بكل برٍّ   وأنتَ به تَسُوسُ كما تُسَاسُ
كَأَنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيهِ رُوحٌ   لَهُ جَسَـــدٌ وَأَنْتَ عليه رَاسُ
أمـينَ اللهِ إنّ الحَبْس باسٌ   وقدْ وقَّعْتَ ليس عليك بَاسُ(١)

لما سَجَن عَضُدُ الدَّولة فَنَّا خُسْرُو(٢) أبا إسحق الصّابى وقبض عليه ، واستصفى أمواله ، وذلك فى حين قتله عِزَّ الدّولة بَخْتِيَار بن أحمد بن بويه الديلمى(٣) ، وكان الصابى كاتب بختيار(٤) على ديوان الإنشاء ، فزار أَبو الفرج الببغاء الشاعر أبا إسحق الصّابئ فى السجن ثم قطعه ، فكتب إليه الصّابى(٥) :

أبَا الفَرَج اسْلَمْ وابْقَ وانْعَمْ ولا تَزَلْ   يزيدُك صَرْفُ الدَّهرِ حظًّا إذا نَقَصْ

---

(١) الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ٣٢٦ ، وقد وردت أيضا لأبى نواس فى استعطاف الأمين ، انظر ديوانه ١٠٧ .

(٢) عضد الدولة فناخسرو ابن الحسن (ركن الدولة) بن بويه الديلمى ، أحد المتغلبين على الملك فى عهد الدولة العباسية بالعراق ، ولى ملك فارس ، ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، لقبه الصابى بتاج الملة ومدحه فحول الشعراء فى وقته ، وأخباره كثيرة متفرقة ، مات سنة ٣٧٢ هـ. انظر الأعلام ٥/٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه ، أحد سلاطنة العراق من بنى بويه ، ولى السلطنة بعد أبيه سنة ٣٥٦ هـ ، ونشبت بينه وبين ابن عمه سالف الذكر معارك طاحنة ، انتهت بمقتله عام ٣٦٧هـ . انظر : الأعلام ٢/١١ ، وهامشه .

(٤) ساقط من ج .

(٥) الأبيات التالية هى وأبيات أبى الفرج الآتية بعد فى يتيمة الدهر ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

مضت مدةٌ تَستامُ وُدِّىَ غالِيًا(١) ... فأرخصتَه والبيعُ غالٍ وَمُرْتَخَص

وآنستَنِى فى مَحْبِسى بزيارةٍ ... شفت كَمَدًا من صاحبٍ لك قد خَلَصْ

ولكنَّها كانت كَحَسْوَةِ طائرٍ ... فُوَاقًا كما يَسْتَفْرِصُ السَّارِقُ الفُرَصْ(٢)

وأحسبك استوحشتَ من ضيق محبسٍ ... وَأَوجَسْتَ خوفًا من تذكُّرك القَفَصْ

تُحُوشيتَ يا قُسَّ الطيورِ فصاحةً ... إذا نُثِرَ المنظوم أَو دُرِسَ القَصَصْ(٣)

من المِنْسَرِ الأشْغَى ومن حزة المُدَى ... ومن بندق الرَّامِى ومن قصَّةِ المِقَصْ(٤)

ومن صُعْدة فيها من الدِّبْقِ لِهْذَمٌ ... لفرسانكم عند الطِّعَانِ بها قَعَصْ(٥)

فهذى دواهى الطير وُقِّيتَ شرَّها ... إذا الدَّهْرُ من أَحداثه جرّع الغُصَصْ

فأجابه أبو الفرج الببغاء :

أَيَا ماجِدًا فى حلبةِ المَجْدِ ما نَكَصْ ... ويا كامِلاً فى رُتْبةِ الفَضْلِ ما نَقَصْ

---

(١) تستام ودى غاليا : تساوم عليه بثمن غال ، وفى اليتيمة : أن أبا الفرج كان يراسل الصابى من قبل أن يراه ، وكان كل منهما حريصا على صداقة الآخر ويتمنى لقاءه . ورواية ح : مضت مدة استتمام ودك .

(٢) الفواق : ما يخرج من الريح من الصدر .

(٣) قس هو ابن ساعدة الإيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، وفى ا : درس لقصص .

(٤) المنسر الأشغى : المنقار المتراكب .

(٥) الدبق : غراء تصاد به الطيور، واللهذم : الدائرة التى هو فيها ، والقعص : القتل .

سَتَخْلُصُ من هـذا السِّرَارِ وأيّمـا ... هِلاَلٍ تَوَارَى فى السِّرارِ وَمَا خَلَصْ[(١)]

بدولةِ تاج المِـلّةِ المَلِكِ الّذِى ... له فى أعَالِى قُبـة المُشْـتَرِى حِصَصْ

تقنصتَ إلطَافِى وما كنتُ قبلَ ذَا ... أظنّ بأن المَـرْءَ بالْبِرِّ يُقْتَنَصْ[(٢)]

فأصْبَحْتُ لا أخشى أَذِيّةَ جارِح ... ورأيُكَ لى وَكْرٌ وقلبُـك لى قَفَصْ

---

(١) السرار : آخر أيام الشهر .

(٢) فى ح : تنقصت إلطاف ... بالبر ينتقص .

باب الوُكَلاء

قال بعض الحكماء : لامال لمن لا صبر له على خيانة الوكلاء وإضاعة الكفاة .

قال نصرُ بن سَيّار : لا تتَّخذ الوكيلَ داهيةً أريباً ، ولا ذا عشيرة منيعة ، فإنك إن قاوَمْتَه أيّام حياتك ، عجز عنه ولدك بعد وفاتك

كان عمر بن مهران يكتبُ فى نهاية اسمه : اللّهم احفظه ممّن يحفظه[١] .

لما مَرض يعقوبُ بن حميد التاجر ، قال له بعضُ ولده : أيّ شَيءٍ تشتهى ؟ قال : كبد وكيل .

قال نصرُ بن سيّار : لعن اللهُ وكيلَ الضَّيعة ، إن عشتَ أكلها دونك ، وإن متّ ادَّعاها بعدك ، وإن كان عاجزًا جاهلا استهلكها ، وإن كان قويا ذا عارض أَعْمَلَها فيك ولم يُعْمِلْها لك .

ذكر أَن القَحْذمى مات وله ضيعة فى يد وكيل ، فكابر عليها .

قال شقران العلامى :

ذكرتُ أَبَا أَرْوَى فبتُّ كأَنَّنِي ... بردِّ الأمُورِ المَاضِيَاتِ وَكيلُ[٢]

---

(١) فى حـ : يكتب على بنيه واسمه : اللهم احفظ من يحفظه .

(٢) فى ا : سقران العلامى ، وسيرد الاسم بعد ذلك : شقران السلامانى ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيت ضمن أبيات فى البيان ٣/١٦٤ بدون نسبة ، وفيه : أمور الماضيات ، ووكيل هنا معناه مكلف ويبدو أن ذكر البيت فى هذا الباب ورد لأدنى مناسبة .

بابُ العَـادَة ومالا ينسى

قال أكثمُ بن صَيْفى : ما يسرّنى أنى مَكْفِيٌّ أمرَ الدنيا . قيـل : ولم ؟ قال : أخاف عادة العجز .

قالت العرب : العادةُ أملك بالإنسان من الأدب .

وقالوا : العادة طبيعة ثانية[1] .

كان يقال : ما دخل باللّبن لم يخرج إلّا مع الروح .

قالوا : الخير عادة ، والشر لجاجة .

قال الراجز :

تعوّدِ الخيرَ فالخـــيرُ عَادَهْ ... تَدْعُو إلى الغِبْطَةِ والسَّعَادَهْ

قال الشاعر :

ما إن تَخَلَّقْتُ إلاّ شيمتى خُلُقًا ... إن الخلائق تأبَى دونها الخُلُق

قال الشاعر :

كل امرئٍ صائرٌ يومًا لشيمته ... وإن تخلّقَ أخلاقًا إلى حِينِ

---

(١) فى ا : خامسة .

وقال آخر :

فإنْ يَشْرَبْ أبُو عثمانَ أشْرَبْ   وإنْ كانَتْ مُعَتَّقَةً عُقَارَا
وإنْ يأْكلْ أبُو عثمان آكلْ   وإنْ كانت خَنَانيصاً صِغَارَا[1]

وقال آخر :

وإذا صاحَبْتَ فاصحب ماجِداً   ذَا عَفَافٍ وَحَيَاءٍ وَكَرَمْ
قولُه للشيء لا إنْ قُلتَ لاَ   وإذا قلتَ نعم قال نَعَمْ[2]

وقال آخر :

وكنت إذا عَلِقْتُ حبالَ قَوْمٍ   صَحِبْتُهُمُ وشِيمَتِيَ الْوَفَاءُ
فأحْسِنُ حين يحسنُ مُحْسِنُوهُمْ   وَأَجْتَنِبُ الإسَاءَة إن أسَاءُوا
أَشَاءُ سِوَى مشِيئَتِهِمْ فآتِي   مشيئَتَهُمْ وَأتْرُكُ ما أشاءُ[3]

---

(١) العقار : الخمر ، والخنانيص : الخنازير ، وانظر البيتين فى الحيوان ٤/٦٥ ، عيون الأخبار ٣/١٧ ، وفيها : أبو فروخ بدل أبو عثمان .

(٢) البيتان لعبد الله بن معاوية الجعفرى ، حماسة البحترى ٧٦ ، الصداقة والصديق ٤٧ .

(٣) زهر الآداب ٢/١١ .

باب في المنجّمين

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من تَعَلّم باباً من النُّجوم ، فقد تعلّم باباً من السحر ، ما زَادَ زَادَ » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ذُكِرَ القدَرُ فأمْسِكُوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذُكِرَت النُّجُومُ فأمْسكوا » .

قال عمرُ بن الخطاب : تعلَّموا من النجوم ما تَهتدُون به في ظلماتِ البرّ والبحر ثم أَمْسِكُوا .

قال الخليلُ بن أحمد :

أبلغا عَنِّيَ المُنَجِّم أنّي ... كافرٌ بالذي قَضتْهُ الكوَاكِبْ
شاهدٌ أنّ مَنْ تكَهّنَ أو نَجَّمَ ... زارٍ على المقادير كاذِبْ
عِالمٌ أنّ ما يكون وما كا ... ن قضاءٌ من المهيمن واجِبْ[1]

وقال آخر :

علمُ النجوم على العُقُولِ وَبَالٌ ... وطِلاَبُ شيءٍ لا يُنَال وَبَالُ
هَيْهاتَ ما أحدٌ مَضَى ذُو فِطْنةٍ ... يَدْرِي متى الأرْزَاقُ والآجَالُ

---

(١) الكامل ١/٢٤١ ، محاضرات الأدباء ١/٦٨ ، وفيها : بحتم بدل قضاء .

إلاَّ الَّذى هُو فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِهِ ... ولوَجْهِهِ الإعْظامُ والإجْلاَلُ

وقال أبو العباس الناشئ :

سألتُ المنجم عن رِحْلَةٍ ... أُؤَمِّل بَرًّا عليها وبَحْرَا

فقال المنجمُ لِي : لا تسرْ ... فإنك إنْ سِرْتَ لاقيتَ شَرًّا

فإن كان يعلم أنى أسيرُ ... فقد جاء بالنَّهى لَغْوًا وهُجْرَا

وإن كَانَ يَجْهَل سيرى فكيْف ... تَرَانِى إذا سِرت لاقيت ضُرّا(١)

وقال أبو تمام الطائى :

والعِلْمُ فى شُهَبِ الْأَرْماَحِ لاَمِعَةٌ ... بينَ الْخَمِيسَيْنِ لافى السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

يَقْضُونَ بالأمر عنها وهى غافلةٌ ... ما كان فى فَلَكٍ مِنْها وفى قُطُبِ(٢)

وفيها يقول أبو الطيب المتنبى :

فَتَبًّا لِدِينِ عبيدِ النُّجُوم ... ومَنْ يَدّعِى أَنّها تعقِلُ(٣)

وقال منصور الفقيه :

قولُ المنجّم شىءٌ ... دَعَا إليه التَّوَهُّمْ

---

(١) معجم الأدباء ٩/٢١ .

(٢) ديوانه ١٩ ، والخميسان : الجيشان يقتتلان .

(٣) ديوانه ٢٠٦ .

فلا تصدِّقْ بشيء مِمّا يقولُ المُنجِّمْ

وله أيضا :

إذا كنت تزعم أن النجومَ تَضُرّ وتنفعُ مَنْ تَحْتَها
فلا تُنْكِرُنّ عَلَى من يَقُولُ بأنك باللهِ أَشْرَكْتَها[1]

وله أيضا :

لو أَنَّ نجماً تكلَّمْ لَقَالَ : صُكُّوا المُنَجِّمْ
لأنه قال جَهْلاً بالغيب ما لَيْسَ يَعْلَمْ

وقال أيضا :

قالُوا أعدّ فلان لخوفِ هذا القِرَانِ[2]
زادا كثيرًا ودارًا وثيقة البُنْيانِ
فقلتُ بَاتَ فُلانٌ يَرْجُو النجاةَ بِذَانِ
هلّا استعان على ما يَخْشَى مِنَ الحَدَثَانِ
مِن وَقَاهُ وليدًا مكروهَ كلِّ زَمَانِ

(١) معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) القران : هو اجتماع عدد من الكواكب السيارة والتقاؤها قريبا من بعضها فى وقت واحد فى أفق السماء ويدعى المنجمون أن هذا يؤثر على الكائنات فى الأرض ؛ ويحدث خسائر فادحة ومصائب عظمى .

ومن غَذَاه جَنِينًا فى ضيقِ ذاكَ المكانِ

وقال أحمدُ بنُ محمد بن عبد ربِّه :

فأين الزِّيجُ والقَانو نُ[١] والأركَنْدُ والـكَمَّهْ[٢]

وأين السِّنْدُ هِنْـدُ البا طِلُ الجدول هَلْ ثَمَّهْ[٣]

سوى الإفكِ على اللهِ تعالى مُنْشِرِ الرِّمَّهْ

إذا كانَ أخو النَّجْمِ يَرَى الغيبَ بِمَا ضَمَّهْ

فلِمْ ذا يَطْلُبُ الرِّزْقَ طلابَ العَاجزِ الهِمَّهْ

وهذى الأرضُ قد وَارَتْ كنوزًا عِدَّةً جَمَّهْ

فلا والله ما لِلا هِ خَلْقٌ يحتوى عِلْمَهْ

أخبرنى عبد الله بن محمَّد بن يُوسف ، قال : أخبرنا أحمدُ بنُ مالك بن عَابد ، قال : أخبرنى أحمدُ بن محمد بن عبد ربه أبو عمر الشاعر ، قال : دخلتُ على الوزير جَهْوَرُ بن الضَّيف ، وكان القحط قد ألحّ ، والغيثُ قد احتبس واغتمَّ الناسُ لذلك ،

(١) الزيج والقانون أو الزيجات والتقاويم : علم تتعرف منه مقادير حركات الكواكب السيارة ، ومعرفة منفعة موضع كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة إلى فلكه وإلى فلك البروج وانتقالاتها ورجوعها . انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٤٩/١ .

(٢) الأركند والكمة : كتابان هنديان يبحثان فى أحكام النجوم ، ترجما إلى العربية فى أوائل العصر العباسى ، انظر : علم الفلك ، تاريخه عند العرب لنلينو ص ١٦٦ ، ١٧٣ .

(٣) السند هند : كتاب فلكى هندى آخر : نقل إلى العربية أيام أبى جعفر المنصور ، وعمل مثله تماما إبراهيم بن حبيب الفزارى العالم الفلكى الكبير . المصدر السابق ص ١٥٠ .

وتحدّث المنجمون بتأخّرِ الغيث مدة طويلة ، فوجدتُ عنده ابن عزرا المنجّم وجماعةً من أصحابه ، وقد أقاموا الطّالع وعدلوا ، وقضوا بتأخير الماء شهراً . فقلتُ للوزير : إنّ هذا من أمور الله المغيبة ، وأرجو أن يكذبهم اللهُ بفضله ، ثم خرجتُ عنه وأتيتُ داري ، فجاء أول اللّيل والسماء قد تغيّمت ، ونِمْتُ ساعة ، فما أيقظني إلاّ نزولُ الماء ، فقمتُ وقربت مني المصباح ، ودعوتُ بالدّواة والقلم ، فما رفعتُ يدي حتى نسختُ هذه الأبيات ، ثم صابَحْتُ بها الوزير ، فسرَّ بها واستحسنها . وهي :

ما قدَّر اللهُ هو الغالِبُ ليس الذى يحسِبُه الحاسبُ
قد صدَّقَ اللهُ رجاء الورى وما رجاءٌ عِنْدَهُ خائبُ
وأنزل الغيثَ على راغبٍ رحمَتَهُ إذ قنطَ الرَّاغِبُ
قل لابن عزرا السخيفِ الحجا زَرَّى عليك الكوكبُ الثاقبُ
ما يعلمُ الشاهِدَ من حُكمِنا كيف بأمرٍ حكمُهُ غائبُ
وقل لعبّاسٍ وأشياعِهِ كيف ترى؟ قولُكمُ الكاذبُ
خانكم كيوانُ فى قَوْسِهِ وَغَرَّكمْ فى لونه الكائبُ
فكلكمْ يكذبُ فى علمِهِ وعلمكُمُ فى أصله كاذبُ

ما أنتمُ شيء ولا علمكمْ قد ضَعُفَ المطلوبُ والطالبُ
تغالبون اللهَ فى حكمِهِ واللهُ لا يَغلبُه غالبُ
محبوبٌ الحَبْرُ الّذى مالَهُ فى فهمه ندٌّ ولا صاحبُ
قد أشهد اللهَ على نفسِهِ بأنَّه من جهلكم تائبُ

وأنشدنى عباس بن يحيى بن قزمان لعمه عيسى بن قزمان :

هـذا بإذنِ اللهِ ما شاء قَدَّرَهُ وليس فيما قَضَى كيوانُ والقَمَرُ
لو كان عند النجوم السابحاتِ بما يجرى على الخلق من أَنْبائِهم خبرُ
لم يحتلِلْ بِذُرَاهُمْ ريبُ حادثةٍ بل كان يُنْجِيهمُ الإِنذارُ والحَذَرُ
ما كان يُنْجِلُ منهم عالمٌ ولداً فى ساعةٍ ما بها نحسٌ ولا كدرُ
تقيه أنجمُه صَرْفَ الزمانِ فلا يأتى عليه ولا يَفْنَى له عُمُرُ
هيهات ذلك أمر لا يطاق ولٰـكِنَّ الفتى ينتهى حيثُ انتهى القَدَرُ

وللقرشى سعيد بن العاص المروانى :

مستحيلٌ أن تدرك الأوهامُ علمَ غيبٍ تغيَّبَ عنْهُ الْأَنَامُ
كيفَ يَحْتَازُ علمَهُ بَشَرِىٌّ وهو علمٌ قد حَازَهُ العَلَّامُ
لستُ ممّنْ يقولُ فيه بجهلٍ ما يقولُ الكِنْدىُّ والنَّظَّامُ

كل من قال إن للنجمْ حـكما ... لم يَجُزْ فاعلمنْ عليـه السَّلاَمُ

سطَّر[١] الأوّلُون فيـه أساطيـ ... ـرَ ولم يُلْهَمُوا الرشادَ فهـامُوا

إذا أرادُوا بالسند هند وبالأرْ ... كند والزيجِ رومَ مالا يُرَامُ

خبطُوا فى أمُورها خَبْط عَشْوَا[٢] ... ء حين ضَلّتْ فى كنهها الأوهام

والذى هَيَّمُوا به منْ قريبٍ ... هَــذَيانٌ آثاره البِرْسَامُ[٣]

إنما السبعةُ الدَّرَارِىُّ أجـرا ... مٌ ولـكنْ لا تعْقِلُ الأَجْـرَامُ

وصفُوها بالفَهْـم وهى شُخُوصٌ ... ما لَدَيْها فهـــمٌ ولا إِفْهَـامُ

وَحَـكَوْا أنها تُؤَثِّرُ فى العا ... لَمِ وَالْعَالَمُونَ عن ذا نِيَامُ

كذبُوا ليس للـكواكبِ نقضٌ ... فى جميـع الوَرَى ولا إِبْرَامُ

والذى قاله الأوائل فيهـــا ... فهـو مالا يقولُه الإِسْـلاَمُ

إنَّما سُخِّـرتْ بقـدرةِ بَارِيـ ... ـهَا إلى أن يحينَ منها انْصرامُ

فهى تجرِى فى رتبة ليس تعْدُو ... هَا ولا يستحيـلُ فيها النِّظَامُ

---

(١) فى حـ : نظر الأولين .

(٢) العشواء : الناقة لاتبصر فى الإبل فتتخبط على غير هدى .

(٣) البرسام : الجنون .

كلَّ يومٍ تُساقُ فيه إلى الغرْ ... بِ سِراعاً كما تساق السَّوامُ

ليس يقضى كيوان أَمراً كما قا ... لوا ، ولا المُشتَرِى ولا بَهْرامُ

لاولاالشَّمْسُ فى البُرُوجِ ولا البَدْ ... رُ الَّذى ينجلى به الإظلامُ

إنما الأَمْرُ للّذى خَلَق الخلْ ... قَ وَتَمْضِى بعَزْمِهِ الأحكَامُ

بابُ ثلاثةٍ من الحِكَمِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب : «يا عليّ ! ثلاثةٌ لا تؤخرها : الصلاةُ إذا أتَتْ ، والجنازةُ إذا حضرت ، والأَيِّمُ إذا وجدتْ كُفُؤًا» .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثٌ مُنجيَات ، وثلاثٌ مهلكات ، فأمّا المنجياتُ : فالعدلُ في الرضى والغضب ، وخشيةُ الله في السِّرِّ والعَلاَنية ، والقصدُ في الغنى والفقر . وأما المهلكات : فشحٌّ مطاع ، وهوًى متّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه» .

وَرُوِى عنه عليه السلام ، أنه قال : «ثلاثةٌ من سعادةِ ابن آدم : المرأةُ الصالحةُ ، والمسكن الصَّالح ، والمركبُ الصالح . وثلاث من شِقْوة ابن آدم : المرأةُ السوء ، والمسكن السوء ، والمركبُ السوء» .

وفِي الخبر المأثور : «الخير كلُّه في ثَلاث : السكوتُ والكلامُ وَالنَّظَر ، فطُوبى لمن كان سكُوتُه فِكْرَه ، وَكلامه حِكْمَة ، وَنَظَرُه عِبْرَة» .

كان الحسنُ يقول : أصولُ الشرِّ ثلاثة : الحرصُ والحَسَدُ والكِبْر ، فالكِبرُ منع إبليس من السجودِ لآدم ، والحرصُ أخْرج آدمَ من الجنة ، والحَسَدُ حمل

ابن آدم على قتل أخيه .

قال ابن عَجْلان(١) : ثلاثةٌ لا يصلحُ العملُ إلاّ بهنّ : التّقوى ، والنيةُ الحسنة ، والإصابة(٢) .

روى سفيانُ ، عن جامع بن أبي راشد ، عن مَيْمون بن مِهران ، قال : ثلاثة يُؤَدَّيْن إلى البَرِّ والفاجِر : (٣ الأمانةُ تؤدَّى إلى البَرّ والفاجر ٣) ، والعَهْد(٤) يُوفَى به للبرّ والفاجر ، والرَّحِم تُوصل بَرَّةً كانت(٥) أو فاجرة .

ثلاثةٌ لاشيء أقلُّ منهن ، ولا يزدَدْنَ إلا قلّة : درهمٌ حلالٌ تنفقه في حَلال ، وأخٌ في الله تسكنُ إليه ، وأمينٌ تستريحُ إلى الثقة به .

قال عمر بن الخطاب : الفواقِرُ(٦) في ثلاث : جارِ سوء في دار مُقَام ، إنْ رأى حسنةً سَتَرها ، وإن رأى سَيِّئة أذاعها . وامرأةِ سُوء إن دخلْتَ لَسَنَتْك ، وإن غبتَ عنها لم تأمَنها . وسلطانٍ جائرٍ إن أحسنتَ لم يحمدْك ، وإن أسأتَ قتَلكَ .

قال الحسنُ : لولا ثلاثٌ ما وضع ابن آدم رأسه : المرضُ والفقرُ والموتُ

---

(١) اسمه محمد بن عجلان المدني ، القرشي بالولاء ، أحد رجال الحديث الثقات ، كان عابدا ناسكا فقيها ، توفي نحو سنة ١٤٩ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩/٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٢) ساقطة من ا . (٣) ساقط من ا .

(٤) في ا : والعبد .

(٥) في حـ : توصل كانت برة ... الخ .

(٦) في ا : البوائر .

قال الضحّاك أو غيره من الحكماء : إذا ظفر إبليسُ من ابن آدم بثلاث لم يطلبه بغيرهنّ : إذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه ،

قال مَسْلَمةُ بن عبد الملك : العيشُ فى ثلاث : سَعَة المنزل[١] ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل .

قال الخليلُ بن أحمد : ثلاثٌ يُنسين المصائب : مرُّ الليالى ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الإخوان .

قال غيره : ليس لثلاثٍ حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومةٌ يداخلها حَسد ، ومرضٌ يداخله هَرَم .

وقال غيره : ثلاثةٌ تجب مداراتهم : الملكُ السَّليط ، والمرأةُ ، والمَرِيض .

ثلاثة يُعْذرون فى سوء الخلق : المريضُ ، والمسافرُ ، والصَّائم .

ثلاثةٌ لا يستخفّ بهم : عاملُ السلطان ، والعالِم ، والصَّديق ؛ لأن من استخفّ بالسلطان أفسد دنياه ، ومن استخف بالعالم أفسد دينه ، ومن استخفّ بالصديق أفسد مروءته .

ثلاثةُ أَشياء تُخْلِق العقل ، وتُفسد الذهن : طولُ النظر فى المرآة ، والاستغراقُ

---

(١) فى ا : متعة المال .

فى الضحك ، ودَوَام النظر فى البحر .

ومما يُفْسد الذهن ثلاثة : الهمُّ والوَحْدةُ والفِكر .

ثلاثةٌ تُهْرِم[١] وربما قتلت صاحبها : الجماعُ على الامتلاء ، ودخولُ الحمام على البطنة ، وأكل القديد[٢] اليابس .

ثلاثةٌ يفرح بهن الجسد ويربو . الطِّيبُ ، والثوبُ الّلين ، وشُرْبُ العسل .

ثلاثةٌ تورث الهُزَال : شربُ الماء البارد على الرّيق ، والنوم من غير وِطَاء ، وكثرة الكلام برفع الصّوت .

قال سليمانُ بن موسى[٣] : ثلاثةٌ لا ينتصفُون من ثلاثة : حليمٌ من سفيه ، وبَرٌّ من فاجر ، وشريفٌ من دنىء .

قال أبو الدرداء : ثلاثٌ لا يحبُّهن غيرى : أحبُّ الموت اشتياقاً إلى ربِّى ، وأحبُّ المرضَ تكفيرًا لخطيئتى ، وأحبّ الفقرَ تواضعاً لربى . فذُكر ذلك لابن شُبْرُمة ، فقال : ولكني لا أحبّ واحدة من الثلاث ، أمّا الفقرُ فوالله لَلْغِنى أحب إلى

---

(١) فى ا : تهدم .

(٢) القديد . اللحم المملح المجفوف .

(٣) سليمان بن موسى الأموى بالولاء ، المعروف بالأشدق ، فقيه دمشقى كان ينعت بسيد شباب أهل الشام ، قال عنه ابن لهيعة : مارأيت مثل سليمان ، كان فى كل يوم يحدث بنوع من العلم . مات فى عهد هشام ابن عبد الملك ، انظر : تهذيب التهذيب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٣/١٩٩) .

منه ، لأنَّ الغنى به توصل الرَّحم ، وَيحَجّ البيت ، وَتُعْتق الرّقاب ، وَتُبْسَط اليد بالصَّدقة . وأما المرضُ فوالله لأن أعافى فأشكُر أحبّ إلى من أن أبتَلى فأصْبر ، وأما الموتُ فوالله ما يمنعنا من حبّه إلاَّ ما قدمناه وسلف من أعمالنا ، فنستغفرُ الله .

يقال : ثلاثٌ موبقات : الحرصُ ، وهو أخرج آدمَ من الجنة : والحسدُ دعا ابن آدم إلى قتل أخيه ، والكِبْر حطَّ إبليس عن مَرْتبته .

قال سفيانُ الثورى : دخلتُ على جعفر بن محمد ، فقال لى : يا سفيان ! إذا أنعم الله عليك نعمةً فاحمد الله ، وإذا استبطأتَ رزقاً فاستغفر الله ، وإذا حزَبَك[1] أمر فقل : لاحول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال لى : يا سفيان ! ثلاثٍ وأىّ ثلاث .

ثلاث[2] خصال من حقائق الإيمان : الاقتصاد فى الإنفاق ، والإنصاف من نفسك ، والابتداء بالسلام .

ثلاث من لم تكن فيه لم يَطْعم الإيمان : حلمٌ يردّ به جهل الجاهل ، وَوَرَعٌ يحجزه عن المحارم ، وَخُلُق يُدارى به الناس .

ثلاثٌ لا يعرفون إلا فى ثلاثة : الحليمُ عند الغضب ، والشجاعُ عند الحرب ، والأخ عند الحاجة .

(١) حزبه الأمر : اشتد عليه وأكربه .
(٢) ساقطة من ج.

قال ابنُ مسعود : ثلاثٌ من كنّ فيه ، ملأ الله قلبه إيمانًا : صحبةُ الفقيه ، وتلاوة القرآن ، والصّيام .

قال عمرُ بن الخطاب : الرجالُ ثلاثة : رجلٌ عاقل عفيف مسلم ينظر فى الأمور فيوردها مواردها ويصدرها مصادرها إذا أشكلت على عَجَزة الرجال وضَعَفتهم ، ورجل يُلْتَبَس[(١)] عليه رأيه ، فيأتى ذوى الرأى والمقدرة فيستشيرُهم ، وينزل عند ما يأمرونه به ، ورجلٌ جاهل لا يهتدى لرَشد ، ولا يشاور مرشدًا .

قال : والنساء ثلاث . وقد ذكرتها فى باب النساء .

من فقد ثلاثًا ساء عيشُه : النساء ، والمالُ ، والإخوان .

ثلاثٌ لا يأنف الكريمُ من القيام عليهن : أبُوه ، وضيفه ، ودابَّته .

ثلاثةٌ يُسَهِّرون : [٢] قرض فأر [٢] ، وأنين مريض ، ووكف بيت[(٣)] .

ثلاثةٌ لا راحةَ منها إلا بالمفارقة لها : السِّنُّ المتآكلة والمتحركة ، والعبدُ الفاسد على مولاه ، والمرأةُ الناشز عن زوجها .

ثلاثٌ إذا كنّ فى الرجل لم يُشَكَّ فى عقله وفضله : إذا حمده جاره ، ورفيقُه ، وقرابته .

---

(١) يلبس : يختلط عليه الخطأ والصواب .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) وكف بيت : أى قطر الماء من سقفه .

كَدَرُ العيش فى ثلاث : الجارُ السُّوء ، والولد العاقّ ، والمرأة السيئة الخلق .

ثلاث الإقدام عليهن غَرَر : شُرْبُ السُّمِّ على التجربة ، وركوبُ البحر للغناء ، وإفشاء السر إلى النساء .

(١) قال الشاعر :

ولن يَشْرب السُّمَّ الزُّعَافَ أَخُو الِحجا   مُدِلاً بترياقٍ لديه مُجَــــرّبِ (١)

ثلاثةُ من عازّهم عادت عزته ذلّة : السلطانُ ، والوالدُ ، والعـالِم . وقد قيل : السلطان والوالد ، والغَريم .

ثلاثة تنبو الموعظة عن قلوبهم كنبوّ الماء عن الصَّفاة : امرأةٌ مغرمة برجل ، وشيخ مغرم بشرب الخمر ، ومَلِكٌ فاجر .

ثلاث لا يستحيا منهن : طلبُ العلم ، ومرضُ البدن ، و ذُو (٢) القرابة الفقير .

ثلاث من أحسن شيء فيمن كن فيه : جُودٌ (٣) لغير ثواب ، ونَصَبٌ لغير دنيا ، وتواضعٌ لغير ذلّ .

قال سفيان الثورى : ما بقى لى من نعيم الدنيا إلاّ ثلاث : أخٌ ثقةٌ فى الله أكتسب فى صحبته خيراً ، إن رآنى زائغاً قوّمنى ، أو مستقيماً رغبنى ، ورزق واسعٌ

---

(١) ساقط من ا .   (٢) ساقطة من ا .   (٣) فى ح : جواد .

حلال ليست لله على فيه تَبِعة ، ولا لمخلوق على فيه مِنّة ، وصلاةٌ فى جماعة أُكْفَى سهوها وأرْزَقُ أجرها .

قال بُزر جمهر : ثلاثٌ نواطق وإن كن خُرْسا : كسوفُ البال دليل على رقّةِ الحال ، وحسن البشر دليلٌ على سلامة الصدر ، والهمة الدنية دليل على الغريزة الرديّة .

[(١) قال الشاعر] :

وما ضربُوا لك الأمثالَ إلاّ لتحذُوَ إنْ حَذَوْتَ عَلَى مِثالِ (٢)

---

(١) ساقط من ح ، وقد ورد فيها البيت منثورا .

(٢) البيت لإسحق بن مسلم العقيلى ، البيان والتبيين ٣/٣٠٠ .

باب أربعة

أربعُ خصالٍ من السعادة ، وأربع من الشقاوة[1] ، فأما التى من السعادة : فالمركب الهنىّ . أو قال : الوطىّ ، والزوجةُ الصالحة ، والمسكنُ الواسع ، والجارُ الصالح . وأما التى من الشقاوة : فالمركبُ الصعب ، والزوجة السُّوء ، والمسكنُ الضيق ، والجارُ السوء .

أربعٌ تُعرف بهنّ الأخوة : الصَّفح قبل الاستقالة ، وتقدّمُ حسنِ الظّن قبل التُّهمة ، ومخرج العذر قبل العَتْب ، وبذل الوُدّ قبل المسألة .

وقال الحسن : أربعٌ من كن فيه ألقى الله عليه محبّته ، ونشر عليه رحمته . من برّ والديه ، وَرَفَق بمملوكه . وكفلَ اليتيم . وأغاث الضَّعيف .

أربعٌ من سُنن المرسلين : التعطّر ، والنكاح ، والسِّواك ، والختان[2] .

أربعٌ لا ينبغى للشريف أن يأنفَ منهن : قيامُه عن مجلسه لأبيه ، وحديثُه ضيفَه ، وقيامه على فَرَسه — وإن كان له مائة عبد — ، وخدمتُه العالِم ليأخذَ من علمه .

---

(١) حـ : الشقاء .

(٢) حـ : الحياء .

ذَكر بعضُ قريش عبدَ الملك بن مروان ، فقال : كان آخذًا لأربع ، تاركا لأربع : يأخذُ بأحسن الحديث إذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدّث ، وبأيسر المئونة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لَقِي ، وكان تاركًا لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللّجوج ، ومماراة السّفيه(١) ، ومصاحبة(٢) المأفون .

قال الحسن البصرى : لما هبط آدم أوحى اللهُ إليه : أربعٌ فيهن جِماعُ الأمر لك ولولدك من بعدك ، أمّا واحدةٌ فلى ، وأما الثانيةُ فلك ، وأما الثالثة فبينى وبينك ، وأما الرابعة فبينك وبين الناس . أمّا التى لى : فتعبُدُنى ولا تشركْ بى شيئًا ، وأما التى لك فعملك أجزيكه أفقرَ ما تكون إليه ، (٣وأمّا التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلىّ الإجابة٣) ، وأما التى بينك وبين الناس فتصاحبهم بما تحب أن يُصاحبوك به .

أربعةٌ تحتاج إلى أربعة : الحَسَبُ(٤) إلى الأدب ، والسُّرورُ إلى الأمن ، والقرابة إلى المودة ، والعقلُ إلى التجربة .

أربعةٌ لا بقاء لها : مودةُ الأشرار ، والبيتُ الذى ليس فيه تَقْدير ، والمال الحرام ، والكسب الذى ليس معه تقدير .

أربعٌ من حصل عليها واجتمعت عنده ، اجتمعَ له خيرُ الدنيا والآخرة : امرأة

---

(١) ح : الفقيه . (٢) ا : مصافحة .
(٣) ساقط من ا . (٤) ح : الحب .

عفيفة ، وخدين موافق ، ومال واسع ، وعمل صالح ، قال منصورُ الفقيه :

أفضلُ ما نالَ الفتى بعدَ الهُدَى والعافيهْ
امرأة جميلةٌ عفيفةٌ مواتيهْ

قال عبد الله بن عمر : أربعٌ من كنَّ فيه بُوِّئَ بهن بيتاً فى الجنة : شهادةُ ألاّ إله إلا الله ، وإن أصاب ذنباً استغفر الله ، وإن جَرَت[1] عليه نعمة ، قال . الحمد لله ، وإن أصابته مصيبة استرجع فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

أربعٌ تُفْسِدِ العقلَ وتؤثر فيه : الإِكثارُ من أكل البصل ، ومن أكل الباقلاّء ، ومن الجماع ، ومن السُّكْر .

أربعٌ من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلَّق بواحدة منهن كان من صلحاء[2] قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قال منصور الفقيه :

فضلُ التقى أفضلُ مِنْ فضلِ اليَسَارِ وَالْحَسَبْ
إذا هُما لم يُجْمَعَا إلى العفافِ والأَدَبْ

---

(١) ح : جددت .
(٢) ا : صالح

أربعٌ من سَلِم منهنّ سلم من مكاره الدنيا والآخرة فى الأغلب : العَجَلةُ ، والتّوانى ، واللّجاجة ، والعُجْب .

أربعة تقبُح ، وهى فى أربعة أقبح : البخل فى الأغنياء ، والفُحْشُ فى النساء ، والكَذِبُ فى القضاة ، والظلم فى الحكام .

أربعةٌ قالها جعفرُ بن محمد ، لا تستقلّ القليلَ منها : الدَّيْن ، والنَّارُ ، والعداوة ، والمَرَض .

قال الشاعر :

أربعةٌ يَعجبُ منها النهى يجهلُها ذُو مِرَّةٍ حاسِره[1]
فواحدٌ دنياه قُدَّامُهُ ليست له من خَلْفِهِ آخرهْ
وآخرٌ دنياهُ منقوصةٌ من خلفه آخرةٌ وافرهْ
وثالثٌ فاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخِرَهْ
ورابعٌ مطّرَحٌ بينهم ليستْ له دنيا ولا آخرهْ

الأذلّاء أربعة : النمام ، والكذّاب ، والمديان ، والفقير .

قالوا : أربعةٌ تشتد معاشرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ، والفرس المرح ، والملك الشديد المملكة .

---

(١) ذو مرة حاسرة : أي ذو عقل كليل .

أربعةٌ تشتد مؤونتهم ، النديمُ المُعَرْبِد ، والجليسُ الأحمق ، والمغنى التّائِه ، والسّفْلة إذا أثرى[١] .

أربعةٌ لا تردّ دعوتُهم : الصّائم حتى يُفطر ، والذاكرُ حتى يَفْتُر ، والإمام العَدْل ، ودعوةُ المظلوم .

أربعة لا يقدرن على أن يشبعن : النارُ من الحطب ، والبحرُ من الماء ، والموت من الأرواح ، والشّرِهُ[٢] من المال .

أربعةٌ يهدِمْن الجسم وربما قتلن : دخولُ الحمام على البطنة ، وأكلُ القديد الجاف ، والغشيان على الامتلاء ، ومجامعةُ العجوز .

أربعٌ لا يشبعن من أربع : عينٌ من نَظَر ، وأذنٌ من خبَر ، وأنثى من ذكر ، وأرضٌ من مطر .

أربعٌ إذا كن فى الرجل أهلكنه : حبُّ النساء ، وحبُّ الصّيد ، وَحُبّ الفخار ، وحب الخمر .

قال عمرُ بن العزيز : أَحبُّ الأشياء إلى الله أربعة : القصدُ عند الجِدَة ، والعفوُ عند المقدرة ، والحلمُ عند الغضب ، والرفقُ بعباد الله فى كل حال .

قال المأمون : الناسُ فى تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أُمور ، من لم يكن منها

---

(١) ا : تقوى . (٢) ا : الشدة .

كان عيالا عليها وكلاًّ : الإمارة ، والتجارة ، والزراعة ، والصناعة .

أربعةٌ لا يستحيا من الختم عليها : المال لنفي التُّهمة ، والجوهر لأمن البَدَل ، والدّواء للاحتياط ، والطِّيبُ للصيانة .

قال العُتْبي[١] : اجتمعت الحكماء على أربع كلمات ، وهي : لا تحملنّ على قلبك مالا تطيق ، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثقنّ بامرأة ، ولا تغترَّ بالمال وإن كثر .

(١) هو محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، أديب كثير الأخبار ، حسن الشعر (سيأتي بعض شعره فيما يلي) من أهل البصرة ، مولده ووفاته فيها ، قال ابن النديم : كان العتبي وأخوه سيدين أديبين مصححين ، توفي سنة ٢٢٨ هـ . انظر الأعلام ٧/١٣٩ والمراجع التي في هامشه .

باب خمسة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « بُنى الإسلامُ على خَمْسٍ . . . » الحديث

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « ياعبدَ الله ! اغتنم خمساً قبل خمس : شبابَك قبل هَرَمِك ، وصحتك قبل سَقَمك ، وغناك قبل فَقْرك ، وفراغك قبل شُغْلك ، وحياتك قبل موتك » .

قال بعض الحكماء : خمسةُ أشياء من أُعطيها فقد كَمُل عيشُه : صحةُ البدن ، وهو الجزء الأكبر ، والسَّعَة فى الرزق ، وهو الثانى ، والأمن وهو الثالث ، والأنيس الموافق وهو الرابع ، والدَّعة ، فمن حُرِمها فقد حُرِم العيش .

واجتمع الحكماء أنه لاينبغى للمرء أن ينزل بلدةً ليس فيها خمسةُ أشياء : سلطانٌ قاهر ، وقاضٍ عادل ، وسوقٌ قائمة ، وطبيبٌ عالم ، ونهرٌ جارٍ .

روى الأصمعى ، قال : حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبى شهبة ، قال : قال الأحنفُ : لا ينبغى أن تنزل بلدًا حتى يكون فيه خمس خصال ، فذكرها سواء .

ذكر الشّافعىُّ عن مالك ، عن الزُّهْرِى ، قال : الذُّلّ فى خمسة أشياء : حضورِ المجلس بلا نُسخة ، وعبور المَعْبَر بلا قطعة ، ودخولِ الحمّام بلا خَادم ، وتذلّلِ

الشريف للدّنىء لينالَ منه ، والتذلّلِ للمرأة لينالَ من مالها .

خمسةٌ لا يُستحيا من خدمتهم : السُّلطان ، والوالدُ ، والعَالِمُ ، والضَّيْفُ ، والدّابة .

خمسةُ أشياء تقبح فى خمسة أصناف : الحدّة فى السُّلطان ، وقلةُ الحياء فى ذوى الأحساب ، والبخلُ فى ذوى الأموال ، والفُتُوّة[1] فى الشيوخ ، والحرص فى العُلماء والقرّاء .

قال وَبَرَةُ بن خِدَاش : أوصانى عبدُ الله بن عبّاس بخمسٍ كلماتٍ هى أحبُّ إلى من الدُّهْم[2] الموقوفة فى السّبيل ، قال لى : إياكَ والكلام فيما لا يعنيك أو فى غير موضعه ، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو فى غير موضعه قد عنت[3] ، ولا تُمار سفيهاً ولا فقيهاً ، فإن الفقيه يَغْلِبُك والسفيه يُؤذيك ، واذكر أخاكَ إذا غاب عنك أن يذكرك به ، وَدعْ ما تحب أن يدعه منك ، واعمل بما تحبُّ عمل رجل يعلم أنه يجازى بالإحسان ويكافى [4] بالإجرام[4] .

قال عمرُ بن الخطاب : من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشىء من الدنيا والآخرة :

---

(١) الفتوة : فعل ما يفعله الفتيان .
(٢) الدهم : الخيول السوداء ، والسبيل : سبيل الله أى الجهاد .
(٣) عنت : أثم وهلك ، وفى ا : عيب .
(٤) ساقط من حـ .

من لم يعرف بالوثيقة فى أرُومته[١]، والكرم فى طبيعته، وبالدماثة فى خلقه، وبالنبل فى نفسه، وبالمخافة لربه .

خمسٌ من طبيعة الجهّال : الغضبُ فى غير شىء ، والإعطاء فى غير حق ، وإتعاب البدن فى الباطل ، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه ، وتضييعه لسره .

خمسةُ أشياء أضيعُ شىءٍ فى الدنيا : سراجٌ يُوقد فى الشمس[٢] ، ومطر وابل فى أرض سبخة ، وَامرأة حسناء تزفّ إلى عنّين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبعان ، ومعروف تصنعه عند من لا يشكرك .

خمس لا يشبعن من خمس : أُذن من خبر ، وعينٌ من نظر ، وأنثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعالم من أثر .

خمس يزدن فى النسيان[٣] : إلقاء القملة ، وأكل التفاح ، والحجامة فى النقرة ، والبول فى الماء الراكد ، وأكل سؤر الفأرة .

ومما يدخل فى هذا الباب قول الأحنف : لا راحة لحسود ، ولا مروءة

---

(١) الأرومة : الأصل .

(٢) فى أشمس .

(٣) ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار هكذا : إلقاء القملة حية ، وأكل التفاح الحامض ... الخ .

لبخيل ، ولا إخاء لكذوب ، ولا وَفاء لمَلُول ، ولا سُؤْدُدَ لسيّئ الخلق .

قال الأوْزاعى : خمسةٌ كان عليها أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان : لُزومُ الجماعة ، واتّباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد فى سبيل الله .

باب نوادر من الرؤيا مختصرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ، رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللبن فطرة ، والقيد ثبات فى الدين ، والغرق نار[1] ؛ لقوله تعالى : (٢ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ٢) ، ومن رآنى فقد رآنى ، فإن[3] الشيطان لا يتشبه بى .

قال أبو بكر : يارسولَ الله ! ما أزال أرى كأنى أطأ في عَذِرات الناس ، قال : لتلينّ أمور الناس قال : ورأيت فى صدرى كالرقمتين[4] . قال : سنتين . قال : وَرأيت كأن علىّ حلة حَبْرة[5] ، قال : ولدٌ تحبر به . وفى رواية أخرى : قال له : يا رسول الله ! ورأيت كأن فى صدرى كَبَّتَيْن[6] ، قال النبىّ عليه السلام : « تلى أَمْر الناس سنتين » .

---

(١) فى ا . ألنار .
(٢) سورة نوح ، الآية ٢٥ .
(٣) ساقط من ح .
(٤) الرقمة : العلامة ، أو هنة فى الرجل كأنها من أثر كية بالنار .
(٥) الحبرة : الوشى فى الثوب .
(٦) الكبة : الدفعة فى الصدر أو أثرها .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه : أنّه دخل الجنة ، وأنه رأى فيها عِذْقًا مُدَلىّ فأعجبه وقال : « لمن هذا ؟ فقيل : لأبى جهل . فشق ذلك عليه صلى الله عليه وقال : ما لأبى جهل والجنة ؟ والله لايدخلها أبدًا ، فإنها لا يدخلها إلّا نفس مؤمنة . فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل[١] مسلماً فرح به[٢] ، وَقام إليه ، وتأول ذلك العِذْق عكرمةَ ابنه .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « رأيتُ أنى دخلت الجنة فسقيت لبنا فشربت حتى رأيت الرِّى — أو قال : اللبن — خرج من[٣] أظفارى ، قالوا : فما تأولته يا رسول الله ؟ قال : العِلْم » .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « رأيتُ كأن يتبعنى غنم سود يتبعها غنم عفر[٤] » قال أبو بكر : يا رسول الله تلك العرب تتبعُها العجم ، قال : كذلك عبّرها المَلَك » .

مرّ صُهَيب[٥] بأبى بكر الصديق ، فأعرض عنه ، فقال أبو بكر : مالك ؟ أبلغك

---

(١) عكرمة بن أبى جهل (عمرو) بن هشام المخزومى القرشى ، من صناديد قريش فى الجاهلية والإسلام ، كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن إسلامه ، فشهد الوقائع وولى الأعمال لأبي بكر ، واستشهد عام ١٣ هـ ، انظر الإصابة ت ٥٦٤٠ ، تاريخ الاسلام ١ / ٣٨ (الأعلام ٥/٤٤) .

(٢) ساقطة من ج .

(٣) فى ا : يجرى فى .

(٤) الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض .

(٥) هو صهيب بن سنان بن مالك ، المعروف بصهيب الرومى ، أحد السابقين إلى الإسلام ، كان أبوه =

عنى شيء ؟ فقال : لا . إلّا رؤيا رأيتها لك كرهتُها . قال : وما هي ؟ قال : رأيتك مجموع اليدين إلى عنقك على باب أبى الحشر الأنصارى[١] . قال : نِعْمَ ما رأيت جُمِع لى دينى إلى الحشر .

قالت عائشةُ لأبى بكر الصديق[٢] : رأيت كأنّ ثلاثة أقمار سقطن فى حجرى ، فقال لها : إن صَدَقَتْ رؤياك دُفن فى بيتك ثلاثةٌ من خير أهل الأرض، فلمّا دُفن النبي عليه السلام فى بيتها ، قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك وهو خيرها .

جاء رجل إلى أبى بكر فقال : رأيت كأنى أبولُ دماً ، قال : أنت رجل تأتى امرأتك وهى حائض ، فاتق الله ولا تفعل .

جاء رجلٌ إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال : رأيتُ كأنّى أُحْدِث[٣] ثعلباً ، قال : أنت رجل كذّاب ، فاتق الله ولا تفعل .

رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلّم رؤيا ، فقصَّها على أبى بكر ، فقال : « يا أبا بكر !

= من أشراف العرب فى الجاهلية ، وأسره الروم وهو صغير فنشأ بينهم ، وقد اشتراه منهم أحد بنى كلب ، وباعه لعبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام بمكة يحترف التجارة حتى أثرى ، ولما ظهر الإسلام أسلم وأراد الهجرة إلى المدينة فمنعته قريش إلا أن يتنازل عن أمواله فتركها لهم وهاجر ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وتوفى بالمدينة سنة ٣٨ هـ . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٩٩ (الأعلام ٣/٣٠٢) .

(١) ورد هذا الاسم فى الإصابة ٧/٤٣ ، بما لا يزيد عن هنا ، إذ قال ثمة : إنه ورد فى خبر لصهيب مع أبى بكر .

(٢) ساقطة من جـ .

(٣) ا : أقرب .

رأيت كأنى أنا وأنت نَرْقَى درجة فسبقتُك بمرقاتين ونصف » قال : يارسولَ الله! يقبضك الله إلى مغفرته ورحْمته فأعيشُ بعدك سنتين ونصفاً .

قالت عائشةُ لأبى بكر : رأيت كأنّ بقرًا نُحِرن حولى . قال : إن صَدَقَتْ رؤياك قتل حولك فئة .

قال رجلٌ لأبى بكر الصّديق : إنّى رأيتُ الليلة فى المنام نُورًا عظيماً يخرج من جُحر صغير فجعلت أتعجّب من صغر الجُحْرِ وَعِظَمِ النُّور ، ثم إنّ النور أراد أن يعودَ فى الجحر فلم يقدر . فقال أبو بكر : هى الكلمة العظيمة تخرج من الرجل يريدُ أن يردها فلا يستطيع .

رأى رجلٌ فى المنام كأنه يطلب بطة معها ثلاثة فراخ ، فأدرك البطة وفاتته الفراخ فسئل فقيل : هـذا رجلٌ صلى العَتَمة ، ونام عن الوِتر حتى أصبح ، فقال الرجل : ما تركتُ الوِتْر منذ ثلاثين سنة إلاّ البارحة .

قام[١] عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه قبل أن يقتلَ بأيّام ، فقال : إنّى رأَيتُ ديكاً نَقَرَنى نقرتين أو ثلاثا . فوجأه[٢] أبُولؤلؤة غلامُ المغيرة وجئتين أو ثلاثا فقتله .

---

(١) ا : قال .

(٢) وجأه : طعنه فى رقبته .

قال بعضُ أمراء الشام لعُمر : يا أميرَ المؤمنين ! رأيتُ كأنّ الشمس والقمر اقتتلا ومع كلّ واحد منهما[١] فريق من النجوم . قال : مع أيّهما كنت ؟ قال : مع القمر . قال : مع الآية الممحوّة[٢] ، لا عملتَ لى أبدًا . فعزله وقُتِل مع معاوية بصِفّين .

قال علىٌّ بن أبى طالب : [٣]لا رُؤيا لخائف[٣] . إلاّ أن يرى مايحب .

رأى عامرُ بن عبد الله بن الزبير[٤] فى النوم ، امرأةً ثائرة الشعر بين الركن والمقام ، وهى تقول :

آذنتْ زينة الحياة ببينٍ وَانقِضَاءٍ من أهْلها وَفَنَاء[٥]

فتأوّل الناس من رؤيا عامر الدنيا .

قال رجلٌ لابن سيرين[٦] : رأيتُ كأنّى آكل خبيصاً[٧] فى الصلاة . قال :

---

(١) ح : منهن .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » .

(٣) ساقط من ا .

(٤) الأسدى ، أبو الحارث المدنى ، ثقة صالح من رجال الحديث الذين يحتج بكل ماروه من أحاديث ، انظر تهذيب التهذيب ٥/٧٤ .

(٥) ح : وانقضى من أهلها وقت .

(٦) هو الإمام أبو بكر محمد بن سيرين البصرى الأنصارى بالولاء ، إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة ، تابعى من أشراف الكتاب ، نشأ بزازا ثم تفقه وروى الحديث ، وكان فى أذنه صمم ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . مات بالبصرة سنة ١١٠ هـ . انظر الأعلام ٧/٢٥ .

(٧) الخبيص : حلوى تصنع من التمر والسمن .

"الخبيص حلال طيّب ، ولا يحلّ الأكل في الصلاة(١) ، أنت رجل تقبّلُ امرأتك وأنت صائم . قال : نعم . قال : فلا تعُد .

كان ابنُ سيرين يَعْبُرُ الأذان في النوم عملاً صالحا فيه شُهْرَة .

وقال ابنُ سيرين في جنازة يتْبعها الناس : هذا قائدٌ له أتباع .

أتى رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيتُ البارحةَ امرأةً من جيراني كأنّها ذُبحت في بيتٍ من دارها . فقال : هذه امرأة نُكحت الليلة في ذلك البيت . فعزّ على السائل ما ذكرَه ؛ لأنّ زوج المرأة كان غائبًا عنها ، فلما انصرف قال له أهلُه : رأيتَ فلانًا ؟ — يَعنون الغائب جارَه — فقال : وهل أتى ؟ قالوا : نعم . وفي داره بات البارحة . فقصده وسأله ، فكان كما قال ابن سيرين .

قال رجلٌ لابن سيرين : رأيت في المنام كأنّ قردًا يأكلُ معي على مائدة . فقال : هذا غلام أمْرَد اتخذه بعض نسائك .

قال رجلٌ لابن سيرين : رأيتُ في المنام كأنّ في حجري صبيًّا يصيح . فقال له ابن سيرين : اتق الله ولا تضرب العود .

قال رجلٌ لابن سيرين : رأيتُ في المنام كأنّي أطيرُ بين السّماء والأرض . فقال : أراك تُكْثِرُ الأماني .

---

(١) ساقط من ج .

قال رجلٌ لابن سيرين : رأيتُ فى المنام كأنّ لحيتى بلغَتْ سُرَّتى ، وأنا أنظر إليها . فقال له : أنت رجل مؤذّن تنظر فى دُور الجيران .

كان ابنُ سيرين يستحبّ الطِّيبَ فى النوم ، يقول : هو ثناء حَسَن . وكان يعجبُه الطِّيبُ الأسود كالمسك والغالية وشبه ذلك ، ويقول : يتبعُهُ[1] عيشٌ وثناء حسن .

سئل ابن سيرين عن الفيل فى النوم ، فقال : أمرٌ جسيم قليلُ المنفعة .

قال رجل لابن سيرين : ما تقولُ يا أبا بكر فى امرأة كانت ترى فى المنام كأنها تأكل رأس جزور ؟ فقال : تتق اللهَ ولا تُبغض العرَب .

كان ابن سيرين يستحبُّ الزيتَ فى النوم ، ويقول : هو بركة كلُّه ، إن أكلتَه أو أدخلتَه بيتك أو شربته أو ادّهنت به أو تلطَّخت ، لأنه من شجرةٍ مباركة .

كان ابنُ سيرين يقول : الماء فى النوم فتنة ، وبلاء فى الدين ، وأمرٌ شديد ؛ لأن الله تعالى يقول : « إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ »[2] . وقال : « مَاءً غَدَقًا ، لِنَفْتِنَهُمْ فِيه »[3] .

قال ابنُ سيرين : ومن عَبَرَ نهرًا ، قطع بلاء وفتنة ومشقّة ، ونجا من ذلك .

---

(١) فى ا : هو بدل يتبعه .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

(٣) سورة الجن الآية ١٧ .

أتى رجلٌ ابن سيرين ، فقال له : خطبتُ امرأةً فرأيتُها فى المنام . فقال له ابن سيرين : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتُها سوداءَ قصيرة مكسورةَ الفم . فقال ابن سيرين : أمّا الذى رأيت من سوادها فإنها امرأةٌ لها مال ، وأمّا ما رأيت من كسر فمها فإنها امرأةٌ فظيعة اللسان ، وأما ما رأيت من قصرها ، فإنها امرأةٌ قصيرةُ العمر ، وتوشك أن تموتَ عاجلا ، فذهب[1] فتزوجها .

كان ابنُ سيرين يَعْبُرُ الرجلَ إذا رأى أنَّه حلّ إزارَه أو انحلَّ ، قال : هذا رجلٌ يرزق امرأة .

وكان ابنُ سيرين لا يَعْبُرُ الخَاتَم فى المنام إلاَّ امرأةً يستفيدها . وكذلك كان هشام بن حسان[2] : لا يَعْبُر الفَصّ فى الخاتَم : إلاّ أنه يقول : امرأةٌ فيها قسوة .

قال هشام بن حسّان : كان ابن سيرين يُسأل عن مائةِ رُؤيا ، فلا يجيب فيها بشىء إلاّ أنه يقول : اتقِ الله وأحْسِن فى اليقظة ، فإنه لا يضرّك ما رأيتَ فى النوم ، وكان يجيب فى خلال ذلك ، ويقولُ : إنما أجيبُ بالظنّ ، والظنُّ يخطىء ويُصيب .

قيل لابن سيرين : إنك تستقبلُ الرجل بما يكره ، قال : إنه علمٌ أكره كتمانه .

---

(١) ا : فاذهب .

(٢) الأزدى ، أبو عبد الله القردوسى ، محدث من أهل البصرة ، توفى سنة ١٤٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٣٤/١١ .

رأى الرشيد رؤيا فهمّته ، فوجّه فى الكِرْمانى بريدًا ، فلما أتاه ومَثُل بين يديه خلا به وقال : بعثت فيك لرؤيا رأيتها . فقال : وما هى ؟ قال : رأيت كلبين ينهشان قُبُل جارية من جَوَارِىّ . فقال له الكرمانى : ما رأيت إلا خيرًا يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : قل ما تراه وهات ما عندك ، فقال له : هذه جارية دعوتَها لتجامعها ، وكان لا عهد لك معها بذلك ، وكانت ذات شعر ، فكرهت أن تحلق فتجد أثر الموسى ، وكرهت أن تبقى على هيئتها ، فأخذت جَلَمًا[1] فحلقت بعض الشعر وتركت بعضه ، فأشار الرشيد إليه بالقعود ، وقام فدخل إلى نسائه ، ودعا بتلك الجارية فسارّها مستفهمًا منها عن ذلك ، فأقرَّت به وصدَّقت الكرمانى ، فخرج إليه الرشيد ، فقال له : أَصبتَ وسررتنى ، وأمر له بصلة سنيّة ، ثم قال له : إياك أن تحدِّث بها ما كنتُ حيًا . قال : فوالله ما حدّثت بها ما دام الرشيد حيا .

قال الزّبير : حدثنى أبو ضمرة أَنَسُ بن عياض ، قال : قيل لجعفر بن محمّد : كم تتأخر الرؤيا ؟ فقال : رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كأن كلبًا أبقع[2] يلغ فى دمه ، فكان [3]شَمِرَ بنَ ذى الجَوْشن[3] قاتلَ الحسين رضى الله عنه ، وكان أَبرص ، فكان[4] تأويل الرؤيا بعد خمسين سنة .

---

(١) الجلم : ما يجز به الشعر أو الصوف ، وفى حـ . جلمين .

(٢) البقع . نقط سوداء وبيضاء فى الجلد .

(٣) شمر بن ذى الجوشن بن قرط الضبابى الكلابى ، من كبار قتلة الحسين ، كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن ، موصوفا بالشجاعة ، وشهد يوم صفين مع على ، ثم قام فى الكوفة يروى الحديث إلى أن كانت الفاجعة بمقتل الحسين فكان مع من قتله ، ولما قام المختار بتتبع قتلة الحسين ، هرب شمر إلى خوزستان ففوجىء فيها برجال المختار يتقدمهم عبد الرحمن بن أبى الكنود الذى تمكن منه وقتله وألقيت جثته للكلاب سنة ٦٦ هـ . انظر الأعلام ٣/٢٥٤ والمراجع التى فى هامشه .

(٤) ساقط من ا .

ذكر ابنُ المنتاب القاضى المالكي ، قال : حدثنا بن أبى خَيْثَمة ، قال : حدثنا خالد بن خِدَاش قال : حدثنا حَمَّاد بن زَيد ، قال : وجَّه إلىَّ جعفرُ بن سليمان[1] ليلا ، وهو أمير البصرة ، فدخلت عليه ، فقبلت يده فقبَّل يدى ، وإذا هو مَرُوع ، فقال : رأيت البارحة مالك بن أنس فى النوم وهو يقول : بينى وبينك الله . فقلت له : مالك بن أنس من العلم بمكان ، وإنه لا يطالبك إلاّ بما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والنسب . قال : فما ترى ؟ قلت له : تعتق . فأعتق عن كل سوط رقبة . قال القاضى ابن المنتاب : وكان عدد الأسواط نيفاً وثلاثين سوطاً .

(١) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ، عم السفاح والمنصور ، وكان والى المدينة عندما حدثت حادثة الضرب الشهيرة بالإمام مالك ، هذا ولم أستطع العثور له على ترجمة كاملة . رغم طول البحث .

باب من نوادر الأخبار

أخبرنا أحمد بن عمر ، حدثنا عبـــد الله بن أحمد ، حدثنا على بن عمرو ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الكاتب الحَكَمِيّ ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال : حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الزّيادى ، قال : حدثنا شَرْقَىُّ ابن قَطَامِي[(١)] عن أبى صالح عن ابن عبّاس ، قال[(٢)]: قدم وفد بكر بن وائل عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : فيكم أحد من إياد ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فهل لكم علم بقُسّ بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : هلك يارسول الله . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كأنّى أنظر إليه بسوق عُكَاظ يخطب الناسَ عَلَى جمل أحْمر ، يقول : أيّها الناس ! اجتمعوا واسمعوا وَعُوا ، من عاشَ مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هو آتٍ آت ، أمّا بعد : فانّ فى السماء لخَبَرا ، وإن فى الأرض لعَبَرا ، نجوم تَغُور وتمور ، ونجوم تغور ولا تمور[(٣)] ، وسقف مرفوع ، ومهادٌ

---

(١) فى خ : برقى ، وما ورد فى ا ، م هو الصحيح ، فهو الوليد المعروف بشرقى بن حصين الملقب بالقطامى الحكمى ، أبو المثنى ، عالم بالأدب والأنساب ، من أهل الكوفة ، استقدمه المنصور إلى بغداد ليعلم المهدى الأدب ، وكان شرقى من أصحاب السمر ، وروى نحو عشرة أحاديث ضعيفة ، مات سنة ١٥٥ هـ . انظر تاريخ بغداد ٩/٢٧٨ . (الأعلام ٩/١٣٩) .

(٢) ورد الخبر التالى فى البداية والنهاية بثلاث روايات ، ذكر ابن كثير أنها كلها ضعيفة ، الرواية الأولى فى ج ٢/٢٣٠ : قدم وفد إياد على رسول الله فقال : يامعشر وفد إياد . الرواية الثانية فى ج ٢/٢٣١ : قدم وفد عبد القيس على رسول الله فقال : يامعشر وفد عبد القيس . الرواية الثالثة قريبة من هنا وهى : قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ... فقال : ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة الإيادى ، ثم ذكر أن أبا بكر الصديق هو الذى أنشد الأبيات بين يدى الرسول ... انظر الجزء ٢ ص ٢٣٢ وما بعدها ، فهناك فضل تفصيل .

(٣) تغور : تغرب وتغيب ، وتمور : تجىء وتذهب .

موضوع ، أقسم قسٌّ قسما ، ما كذب ولا أثم ، لئن كان فى الأمر رضا ، ليكونن بعده سخط ، وما هذا بلعب ، وإن من وراء هذا لعجبا ، أقسم قس قسما ، فما كذب ولا أثم ، إن لله دينا هو أرضى من دين نحن عليه ، ما بالُ الناسِ يذهبون ولا يرجعون ، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . قال النبىّ عليه السلام : وسمعتُه ينشدُ شعرًا فأيكم يحفظه ؟ فقال بعضهم : أنا . فأنشُده يا رسولَ الله ؟ قال : نعم . فقال :

فى الذّاهِبِين الأوَّلِينَ من القُرُون لنا بَصائِرْ
لما رأيتُ مَوارِدًا للموتِ لَيْسَ لها مَصادِرْ
ورأيتُ قَوْمِى نحوَهَا يَمْضِى الأكابرُ والأصاغِرْ
لا يُرْجعُ الماضِى إلىَّ ولا مِن الباقين غابِرْ
أيقنت أنِّى لا محالَةَ حيثُ صارَ القومُ صائِرْ[١]

بينما عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه جالسٌ مع أناسٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وفيهم علىّ بن أبى طالب وجماعةٌ من المهاجرين ، فالتفت إليهم ، فقال : إنّى سائلكم عن خصال فأخبرونى بها ، أخبرونى عن الرجل بينما هو يذكر الشىء إذ نَسِيَه ، وعن الرجل يحبُّ الرجلَ ولم يلقه ، وعن الرؤيين إحداهما حق ، والأخرى أضغاث أحلام ، وعن ساعة من الليل ليس أحد إلاَّ وهو فيها مَرُوع ،

(١) الأبيات فى المرجع السابق ، وانظرها فى معجم الشعراء ٣٣٨ ، حماسة البحترى ١٤٢ ، العقد الفريد ٢٩٧/١ ، محاضرات الأدباء ١٢٨/٤ .

وعن الرائحة الطيبة مع الفجر ، فسكت القوم . فقال : ولا أنت يا أبا الحسن ؟ فقال : بلى والله . إن عندى من ذلك لعلْماً ، أمَّا الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ نسيه ، فإن على القلب طَخَاءً كطخاء[1] القمر ، فاذا سرى عنه ذكر ، وإذ أعيد عليه نسى وغفل . وأما الرجلُ يحبُّ الرجلَ ولم يلقه فإنَّ الأرواحَ أجناد مجندة ، فما تعارفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف . وأما الرؤيا إحداهما حَقٌّ والأخرى أضْغاث ؛ فإن فى ابن آدمَ رُوحَيْن ، فاذا نام خرجت روحٌ فأتت الحميمَ والصَّديق ، والبعيدَ والقريب والعَدُوَّ ، فما كان منها فى ملكوت السموات فهى الرؤيا الصادقة ، وما كان منها فى الهواء فهى الأضغاث ، وأما الروح الأخرى فللنَّفَس والتَّقَلُّب ، وأما الساعة من الليل التى ليس أحدٌ إلاَّ وهو فيها مروع ، فإن تلك هى الساعة التى يرتفع فيها البحر يستأْذنُ فى تغريق أهل الأرض ، فتحسّه الأرواح فترتاعُ له ، وأما الرائحة الطيبة مع الفجر ، فإن الفجر إذا طلع خرجت ريحٌ من تحت العرش حرَّكت الأشجار فى الجنة فهى الرائحة الطيبة . خذها يا عمر ، قال : صدقت .

قال محمَّد بن علىّ بن عبد الله[2] بن عباس : دخلتُ على عُمرَ بن عبد العزيز ، وعنده رجلٌ من النصارى ، فقال له : من تجدون الخليفة بعد سليمان ؟ قال النصرانىُّ : أنت . قال : فأقبل عمرُ بن عبد العزيز علىَّ فقال : دَمِى فى ثيابك يا أبا عبد الله ،

---

(١) الطخاء : السحاب المرتفع الرقيق ، شبه الدخان .

(٢) ساقط من ا ، ومحمد هو أول من قام بالدعوة العباسية ، وهو والد السفاح والمنصور ، ولى إمامة الها مين سرا فى أواخر الدولة الأموية نحو سنة ١٢٠ هـ ، وكان مقامه بأرض الشراة بين الشام والمدينة ، فى قرية تعرف بالحميمة ، وكان عاقلا جليلا ، مات بالشراة سنة ١٢٥ هـ . انظر الأعلام والمراجع التى فى هامشه ١٥٣/٧ .

قال : فقلت : سبحانَ الله ! المجالسُ بالأمانة . قال محمَّد بن على : فلما كان بعد ذلك جعلتُ ذلك النصرانىَّ من بالى ، فرأيتُه يوماً فأمرتُ غلامى أن يحبسه علىّ ، وذهبتُ به إلى منزلى ، وسألتُه عما يكون ، وقلت : عُدَّ لى خلفاء بنى مروان واحداً واحداً . فعدّ لى خلفاءَ بنى مروان واحدًا واحدًا . وتجاوز عن مروان بن محمّد[١] ، قال محمد بن على ، فقلتُ له : ثم من ؟ قال : ثم ابنك من الحارثية ، وهو اليوم حمل[٢].

كتب صاحبُ الرُّوم إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام وما هو ؟ والثّانى والثالث والرابع[٣]؟ وكتب إليه يسألُه عن أكرم الخلق على الله ، وعن أكرم الإماء على الله ، وعن أربعة من الخَلْق لم يَرْكُضُوا[٤] فى رَحِم ، وعن قبرٍ سار بصاحبه ، وعن المَجَرَّة[٥] ، وعن القوس ، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أخزاه الله ! وما علمى بما ها هنا ؟ فقيل : اكتبْ إلى ابنُ عباس ، فكتب إليه ابنُ عباس : أفضلُ الكلام لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص لا عمل إلاَّ بها ، والتى تليها سبحان الله وبحمده ، صلاة الخلق ، والتى تليها الحمد لله ، كلمة الشكر ، والتى تليها الله أكبر ، فاتحة الصلوات والركوع والسجود . وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام ، وأكرمُ إماء الله مريم عليها السلام . وأما الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم : فآدم وحواء والكبش الذى فُدى به إسماعيل ، وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثُعباناً مبيناً ، وأما القبرُ الذى سار بصاحبه فالحوتُ الذى التقم

(١) هو آخر خلفاء الدولة الأموية ، قتل سنة ١٣٢ هـ .
(٢) يقصد أبا العباس السفاح .
(٣) أى فى مرتبة الفضل .
(٤) فى ا : يرتكفوا .
(٥) حـ : المجرة .

يونس ، وأما المجرة فباب السّماء ، وأمَا القَوْس فإنّها أَمانٌ لأهل الأرض من الغرق بعد نوح ، وأما المكان الذى طلعت عليه الشمس ، لم تطلُعْ فيه قبله ولا بعده ، فالمكان الذى انفرج من البحر لبنى إسرائيلَ مع موسى عليه السلام . فلمَّا قدم عليه الكتاب أرسله إلى ملك الروم ، فقال : لقد علمتُ أنَّ معاوية لم يكن له بهذا علم ، وما أصاب هذا إلاَّ من أهل بيت النّبوة[1] .

وجّه ملكُ الرُّوم إلى معاوية بقارورة ، فقال : ابعث إلىَّ فيها من كلِّ شىء حىّ ، فبعث بها إلى ابن عباس ، فقال : تمْـلأُ له ماء . فلما ورد به على ملك الروم ، قال له أخوه : ما أدهاه ! فقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك ؟ قال : يقول اللهُ عزَّ وجل : « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُـلَّ شَىْءٍ حَىّ »[2] .

قال المسيّبُ بن وَاضِح : سمعتُ عبدَ اللهِ بن المبارك يقول : حُصِرَ حصن بخراسان فأصابوا فيه رأس إنسان ، فوزنوا سنًّا من أسنانه فوجدوها قَدْر مَنْيَيْن[3] ، فأنشأ عبدُ الله يقول :

أُتيتُ بِسِنّيْنِ قَدْ رُمَّتَا ... من الحِصْنِ لمّا أثارُوا الدَّفينا
على وزن مَنْيَيْنِ إحْداهما ... تقلّ به الـكفُّ شيئاً رَزِيناَ

---

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ٢ /٣٨ ، أخصر من هذا إذ يبدأ من الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم الخ. أما بداية الخبر فقال: إن هرقل كتب إلى معاوية قائلا لأصحابه : إن كان بقى فيهم شىء من النبوة فسيخبر عما أسألهم عنه . فلما ورد الكتاب على معاوية قال: ما كنت آبه أن أسأل عن هذا إلى وقتى هذا ، ثم سأل: من لهذا ، فأرشدوه إلى ابن عباس .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٣) المنيان أو المنوان مثنى مناً ، وهو قطعة من الحديد كان يوزن بها .

ثلاثون أخْرَى على قَدْرِهَا   تباركتَ يا أحسنِ الخالقينا
فـــاذا يقومُ لأفواههم   وما كان يملأُ تلك البطونا
إذا ما تذكرتُ أجْسَامَهُمْ   تقاصَرَتِ النفسُ حتى تَهُونَا
وكلٌّ على ذاكَ ذاق الرَّدَى   وبادُوا جميعاً فهلْ خالِدُونَا

روى أسامة بن زيد ، عن زيد بن أسْلَمْ ، عن أبيه ، قال : أخبرنى عُمَر بن الخطاب قال : خرجتُ مع أناسٍ من قريش فى الجاهلية فى تجارة إلى الشام ، فبينما أنا فى سُوق من أسْواقها بدمشق إذ أنا ببطريق قد جاءنى فأخذَ بعنقى ، فذهبتُ أنازعُه نفسى ، فقيل لى : لا تفعلْ فليس لك منه النَّصَف ، قال : فخرجتُ معه فأدخلنى كنيسةً فإذا تُراب كثير متراكِمٌ بعضُه على بعض ، فدفع إلى بمجرفة وفأساً وزنبيلا ، فقال لى : انقل هذا التراب واحفر لى هاهنا بئرًا ، قال : فجلستُ أفكّر فى أمرى كيف أصنع ، قال : فأتانى فى الهاجرة وعليه سَبَنِيّة قصب[1] ، أرى سائر جسده منها ، ولم أحرّكْ شيئاً ، فقال لى : وإنك على ما أرى ما حركت شيئاً ، ثم ضمَّ كفه وأصابعه يضرب بها وسط رأسى ، فقلت فى نفسى : ثكلتك أمك يا عمر ، أو قد بلغتَ ما أرى ! قال : فقمت إليه بالمجرفة فضربتُ بها رأْسَه فنثرتُ دماغه وخرّ ميتاً ، وخرجت إلى الطريق ، وأنا لا أدرى أين أسلك من بلاد الله تعالى ، فمشيت بقية يومى وليلتى من الغد حتى أصبحت ، ثم انتهيت إلى ديرٍ فاستظْللت بظلّه ، فخرج إلىَّ رجل من أهل الدير ، فقال : يا عبد الله ! ما يقعدك

(١) السبنية : ثياب من حرير رقيق .

ها هنا ؟ : فقلتُ : أُضللتُ أصحابى . قال : والله ما أنتَ على طريق ، وإنك لتنظر بعين خائف ، ثم فادخل الدير فأصب من الطَّعام والشراب ، وأقم ما بدا لك ، قال : فدخلت فأتانى بطعام وشراب وألطف لى ، ثم صعّد فىَّ النظر وخفّضه ، ثم قال : يا هذا ! لقد علمَ أهلُ الكتاب أنَّه لم يَبْق على وجه الأرض رجلٌ أعلم منّى اليوم ، وإنى أجد صفتك ، إنك الذى تخرجنا من هذا الدير ، وتغلب على هذه البلاد[١] . فقلت : أيّها الرجل ! ذهبتَ من الأمر فى غير مذهب . قال : ما اسمك ؟ قلت : عُمر ابن الخطاب . قال : أنتَ والله الذى لا إله إلاّ هو صاحبنا من غير شك ، فاكتب لى على ديرى هذا وأهله وما فيه أمانًا ، قال : قلتُ : أيها الرجل ! قد صنعت معروفاً فلا تكدره ، قال : إنما هو كتاب فى رَقّ ، وليس عليك فيه مَؤُونة ولا شىء ، فإن كنت صاحبنا فهو الّذى أريد ، وإن تكن الأخرى فأى شىء يضرك[٢] ؟ قلت : هات ، فكتبت له أمانًا ثم ختمتُه ودفعتُه إليه . قال : فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلىَّ ، ثم دعا بأتان قد أُوكفت ، فقال : أتسمع ؟ قلت : نعم . قال : اخرج على هذه الأتان فإنها لا تمرّ بقوم ولا أهل دير إلاَّ علفوها ، حتى إذا بلغتَ مَأْمَنك نخلّ عنها واضرب وجهها مُدْبرة ، فإنها تُعْلَف وتُسقى حتّى تصل . قال : فركبتُها ثم سرتُ عليها حتى أدركتُ أصحابى وهم متوجّهون ، (٣فلم أمرّ بقوم إلاّ سقوها وعلفوها٣) حتى لحقت أصحابى ، فنزلتُ عنها ، وضربتُ وجهها مُدْبرة ، ثم سرتُ

---

(١) حـ : هذا الدين .

(٢) حـ : فإيش يضرك .

(٣) ساقط من ا .

معهم حتى قدمتُ على أهلى . قال أسلم : فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب فى خلافته ، وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب ، فلما قرأه عمر عرفه ، فقال له الراهب : فِ لى بشَرْطى ، فقال له عمر : جاء أمرٌ غيرُ ذلك ، جاء ما ليس لعُمر ولا لأبى عمر فيه شىء ، فاستشار فيه عمرُ المسلمين ، فقالوا : نرى أن تفى له يا أميرَ المؤمنين ، قال عمر : هل عندك للمسلمين منفعة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره ، ثم قال عمر للراهب : إن أضفتُم المسلمين ، وأرشدتموهم الطريق ، وهديتم الضالّ ، ومرَّضتم المرضى ممن يمرّ بكم من المسلمين فعلنا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين نفعل . قال : فوفى له عمر .

رُوى عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص ، عن أبيه ، قال : خرجتُ فى الجاهلية بتجارة إلى الشام فنزلتُ فى بعض الطريق لقضاء حاجة ، وتقدمتنى القافلة ، فإنّى لكذلك إذ أقبلَ إلىَّ راهبٌ على أتَانٍ له قد خرج فى بعض الزيارات يريد فلَسْطين وهو يذهب عطشاً ، وكان يوماً صائفاً ، فسلّم على واستسقانى ماء . ولم يكن معى غير فضلة فى إدَاوَةٍ معلّقة على كِفْل الفرَس ، فآثرته بها ، وتبيَّن له ذلك ، فشكر لى فعلى ، وشكا تعباً لحقه ، وأنَّه يريدُ النزول والراحة قليلا ، وهو خائف من الوَحْدة وفساد الطريق ، وكأنَّه أراد الأنس بى . فقلتُ له : انزل فإنّى أونِسُك ولا أتركك . وكنتُ عارفاً بالطريق ، فعرجنا إلى ظلّ شجرة أرْز فعرَّسْنا(١) تحتها ، وقلت : أعينه ، ثم ألحق القافلة بعد تعْريسها بساعة ، وكان له غلامٌ ورَحْل قد تأخرا عنه ، فكان مع ذلك ينتظر ، فلما نزلنا استلقى على جنبه ونام ، وركبتُ فرسى

(١) عرس المسافر : نزل آخر الليل للراحة .

أطلبُ بعض الحياض(١) التي كنت أعرفها لأملأ إداوتي منها ، فوجدت واحداً منها فملأت الإداوة ، ورجعتُ والراهبُ نائمٌ بحاله ، وإذا بثعبان عظيم يسير إليه لينهشه ، فاخترطتُ سيفي ونزلت إليه فلحقته ، وقد كاد ينقرُه فقتلته ، وجلستُ أخفُر الرَّاهب إلى أن قام وقد استراح من تعبه ، فعرضتُ عليه الماء فشرب ، ونظر إلى الثعبان فهاله أمره ، فعرفته أنه قصده وأني قتلته فشكر ، وقال : قد أحييتني مرتين ، ووجب حقّك (٢علي ، قد حبستَ نفسَك٢) عليّ ، ونزلت معي حتى استرحت ، وآنستني من الوحدة ووحشة الطريق ، وأنا مع ذلك في غربة . ولا أدري بماذا أكافئك ، ثم ركبنا وسرنا فما لحقنا القافلة إلاّ مساء ، وطلبتُ رحلي وغلاماً كان معي إلى أن وجدته ، فأنزلتُ الرَّاهب معي إلى أن أصبحنا ، فجاءه غلامه ورحله ، فقال لي : أين تريد ؟ فعرفته أني أريدُ دمشق بتجارةٍ معي ، فسألني عنها فأخبرته ، فقال لي : أين تريد ؟ تدخل معي إلى مصر فإن لي بها حالا جميلة وجاهاً عريضاً ، ولعلي أكافئك على ما أوليتني ، فإن يدي تقصر ها هنا عن مكافأتك ، وعليَّ أن أربحك في تجارتك ضِعْفَ ما تأمُلُه من الربح منها ، فوقع كلامُه بقلبي ، فقلتُ له : على أن تُخْرِج معي من يكفلني ويحملني في طريقي ، أو تضيفني إلى من يبلغني هذا هذا المكان ، فإني إذا بلغتُه عرفتُ الطريق إلى موضعي . قال : بل أردُّك إليه من طريق هو أقربُ من طريقك هذا ، فسرتُ معه فرأيت رجلاً جميل الصُّحبة

(١) في حـ : الحساء .

(٢) ساقط من ا .

والمرافقة ، وكان فيه مع ذلك فهمٌ وعلم ، وكان من أبناء القبط الأولين ، وكان يخبرنى عن مصر وأهلِها فى القديم ، وعن عجائبها وطِلّسْماتها ومُلوكها ، وخبر بخت نصّر وكيفَ دخل البلد وأخذه[1] بالحيلة التى تمت له حتى وصل إليه وما كان بعد ذلك ، ولم نزل فى أنس إلى أن دخلنا مصر ، فلم نكن نمرّ بموضِع ولا دَيْرٍ إلاّ تلقُونا بالإكرام والجميل ، وعَدَّيْنا النيل ، وسِرْنا حتى دخلنا الإسكندرية ، فأنزلنى عنده وأتاه جماعةٌ من أهله وذوى قرابته وجماعة من وجوه أهل البلد ، وكان مقدماً عندهم ، فسلّموا عليه وهنأُوه بالسَّلامة وقَضَوْا حوائجه وأكرموه وأتحفوه ، ولم يكن يدخل إليه أحدٌ من أهله وغيرهم إلاّ أخبرهم[2] بخبرى ، وأنى خلّصته من العطش بما كان معى من الماء ، وأنى آثرْتُه على نفسى ، وخبرهم بما كان من أمر الثعبان . فما منهم أحدٌ إلاّ برَّنى وأكرمنى . واجتمعتْ لى دنانيرُ كثيرة ، ووجَّه أقاربه[3] وباع منهم ومن غيرهم البضاعةَ التى كانت معى ، وأفضلت فيها فضلاً كثيرًا ، وأقمت أكثرَ من شهر وأنا أطوّفُ بالإسكندرية ، وأنظر إلى عجائبها ومنارها ثم استأذنتُه للخروج ، فقال لى : إن لنا عيداً وقد حضر ، فأقم عندى حتى تشاهده وأوجّه معك من يخفرك إلى حدود أرض الحجاز ، فأجبتُه إلى ذلك ، وحضر العيدُ ، وزُيِّنَتْ كنائسُ الإسكندرية ، وخصُّوا منها كنيسةً مُرَخَّمة عظيمةً كانوا يجتمعون إليها بأحدث الزّىّ ، وكان خارجُ الكنيسة أسطوانٌ كبير واسع مفروش

---

(١) فى ح : أخربه .

(٢) ا : أخبره .

(٣) فى ا : من جهتهم وجهة أقاربه .

بالبسُط ، وقد جلسَ عليه رؤساؤهم وبطارقتهم ، وكان من عاداتهم أن يضْربوا خارج الأسطوان فى فسيح هناك بصَوْلجان وكرةٍ تطيرُ إلى ذلك الأسطوان ، فمن وقعتْ فى حجره الـكرة[١] من أولئك البطارقة والرؤساء ، حُـكِم له بولاية مصر ، قال عَمْرو : فأجلسنى وَسْط أولئك الوجوه والبطارقة فإنى لمشغولٌ بالنّظر إليهم وإلى زيّهم ، وأولئك خارج الأسطوان يضربون تلك الـكرة إذ طارتْ إلىّ فسقطت فى حجرى فأكبروا ذلك ، وجعلوا يتأملونّى ويعجبون منى ، ومن سقوط الـكرة فى حجرى ، ثم ردّوا الـكُرَة إلى خارج ، وضربوها أيضاً مرّة أخرى ، فطارت حتى سقطت فى حجرى ثانية ، فازدادوا عجباً ، وجعل بعضُهم ينظرُ إلى بعضٍ ويُزَمْزِمون[٢] بكلامهم ، وأنا لا أعرف ما يقولون . ثم أخرجوا الـكرةَ وضربوها مرة ثالثة فسقطت فى حجرى ودخلت فى كمى ، فزاد تعجبهم وقالوا : إن هذا الأمر يُراد أو بَطَل فعلُ الـكرة . وأقمتُ حتى انقضتْ أيام عيدهم ، فسألتُه أن يأذن لى فى الخروج إلى الحجاز ، فأذن لى فى ذلك ، بعد أن شَرَط علىّ أنى لا أتركُ زيارته فى كلّ وقتٍ يمكنّى ، وأنفذنى مع غلام له وجهّزنى بطريفٍ من ثياب الوشى التى كانت تُعْمل بالإسكندرية ، وثياب من دَبِيقِ دمياط ، وأكسية رقيقةً من صوف ، وفصوص وغير ذلك ، فانصرفت إلى أهلى بوفْرِ حال ، وأخرجنى الغلام من ناحية أستغنى فيها عن الخفير ، وكان الغلامُ الذى وجّهه به معى يدرى أمرهم ، فسألته عن

(١) ساقط من ح .

(٢) الزمزمة : صوت هدير الفحل ، والمراد يتكلمون بصوت هادر مستنكر .

أمر الكرة فعرّفني أن من عاداتها ذلك اليوم ، ألا يقع في حجر أحد إلا وَلِيَ مصر ، وأنهم عجبوا من ذلك ، وقالوا : هذا رجلٌ عربيٌّ وغريب . وكيف يلي هذا مصر ؟! وصرفوا الأمر إلى فساد فعل الكرة ، قال عَمْرو : فوقع في نفسي من ذلك أمرٌ لم أعرف الوجه فيه ، وسِرْتُ إلى منزلي وأنا أوفرُ التّجار الذين خرجتُ معهم إلى الشام وأحسنهم حالا ، وعرَض في نفسي شيء من أمر مصر ، فقلت : أحمل تجارةً إلى بلد الرّوم ، وأدخل إلى الملك ولعلّه أن يقلّدَني أمْر مصر ، ثم قلتُ : إن هذا النظرَ فاسدٌ ، وهل يتركُ الملك بطارقته وأصحابَه ويولّيني أنا وأنا عربي على غير دينه ؟ فسمعتُ قائلا يقول : لا بدَّ لفلان من ذلك ويصير منه إلى ما يحبّ . فزاد ذلك في قوة أملي في الولاية على مصر إلى أن كان من أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم ما كان ، وجاءته هديّةُ المُقَوْقس ، وقال : « إنكم ستفتحونَ مصرَ فاستَوْصُوا بالقبط خيراً ، وجازُوا أهلها بالجميل ، فإنهم خؤولة إبراهيم » ، فلما سمعتُ ذلك تحققت أنه سيكون لي يدٌ على مصر[1] .

روى ابن جُرَيج ، قال : حدَّثني يعلى بن مُسلم عن سعيد بن جُبَيْر ، أنه قال : سمعتُه يقول : كان رجلٌ من بني إسرائيل يقرأ ، فإذا بلغ « بعثْنَا عليكمْ عباداً لنا أُولي بأسٍ شَدِيد »[2] بكى وفاضت عيناه ، ثم يُطْبق المصحف . فعل ذلك ماشاء الله من الزمان ، ثم قال : أيْ ربِّ ! أرِني هذا الرّجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل

(١) انظر هذا الخبر ، مع اختلاف في بعض تفاصيله في حسن المحاضرة ١/٥٦ وما بعدها .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٥ .

على يديه ، فأُرِى فى المنام مسكيناً سائلا يقال له : بُخْتَ نَصّر ببابل ، فانطلق بمال وأعْبدٍ له ، وكان رجلاً موسراً ، فقيل له : أين تريد ؟ فقال : أريدُ التجارة . فنهض حتّى نزل ببابل فاكترى بها منزلا ليس فيه أحدٌ غيره ، وجعل يدعو المساكين ويعطيهم ويلطف بهم حتى لم يَبْق أحدٌ منهم إلاّ جاء ، فقال :هل بَقِى مسكينٌ غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكينٌ بفج آل فلان[١] مريضٌ يقالُ له : بخت نصر . فقال لغلمتِه : انطلقُوا وانطلق معهم حتى أتاه ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : بخـتَ نَصَّرَ ، قال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فمرّضه حتى برأ ، وكساه وأعطاه نفقةً ، ثم أذّن الاسرائيليُّ بالرحيل ، فبكى بخت نصّر ، فقال له الاسرائيلى : ما يبكيك ؟ قال : أبكي أنك فعلتَ معى ما فعلتَ ولا أجد شيئاً أجزيك به . قال : بلْ شيئاً يسيراً إن ملكتَ أطعتنى . فجعل بخت نصر يَلْتَوِى ويقول : تستهزىءُ بى ؟ ولا يمنعه أن يعطيَهُ ما سأل إلاّ أنه يرى أنه يستهزىءُ به ، وأبى عليه. فبكى الاسرائيليُّ وقال : لقد علمتُ أنه ما يمنعك أن تعطيَنى ماسألتُ إلاّ أنّ الله تعالى يريدُ أن ينفذَ ما قَضَى وما قد كتبه عنده فى كتابه ، ثم ضرب الدهر ضَرَباته ، فقال سيحون وهو ملك فارس ببابل : إنّا لو بعثنا طليعةً إلى الشام كان حسناً . قالوا : وما يمنعُك ؟ قال : فمن تَرَوْن ؟ قالوا : فلان . فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف ، فخرج وخرج بخت نصّر فى مطبخه لا يخرجُ إلا أن يأكل[٢] ، لا همّة له غيرَ شبعَ بطنه ، فلمّا قدم الشّام رأى صاحبُ الطليعةِ أرضاً أكثر أرض اللهِ خيلا ورجْلا وسلاحاً ، فـكسرَ ذلك فى ذَرْعِه ، فلم يسألْ ولحقه جزع ، وجعل بخت نصّر يمشى فى مجالس أهل الشام فلا يَدَع مجلساً

(١) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٢) ا : ليأكل .

إلاّ وهو يقولُ لأهله : ما يمنعكم أن تغزُوا بابلَ مع كثرة ما أرى معكم من الخيل والرّجْـل ، فلو غزوتموها لأصبتم بها المالَ والعِيَال . قالوا : فلا نحسنُ القتال ولا نعرفه ، حتى استنفدَ(١) مجالسَ أهل الشام ، ثم رجع إلى الطّليعة ولم ينلْ منهم كثيرَ نَيْلٍ لما رأى ، وجعل بخت نصَّر يقول لمن يلج على المَلِك : لو دعانى الملكُ لأخبرتُه غير ما يخبره فلان — يعنى الطليعة — فرُفع ذلك إليه ، فدعاه ، فأخبره الخبرَ ، وقال : إن فلاناً لما رآها أكثر أرضِ الله خيلا ورَجْلا حَسبهم أجلدَ الناس ، فكسرَ ذلك فى ذرعه ، ولم يسألهم عن شىء ، وإنّى لم أدَع مجلساً بالشام إلاّ جالستُ أهله ، فقلت لهم كذا فقالوا لى كذا ، فقال الطليعةُ لبخت نصّر بعد خروجه من عند الملك : فضحتَنى أيُّها الرجل ، فهل لك فى مائة ألفٍ تأخذها وتنزِعَ عما قلت ؟ قال : لو أعطيتنى بيت(٢) مال بابل لما نزعت . ثم إن الدهر ضرب ضرْبه ، وقال الملك : لو بعثنا جريدةَ خيلٍ إلى الشّام ، فإن وجدوا مَساَغاً ساغوا ، وإلا انتهبُوا ما قَدرُوا عليه ؟ قالوا : فما ضرّكَ لو فعلت ؟ قال : فمن ترَوْن ؟ قالوا : فلان أو فلان . قال لهم : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبر . فدعا بخت نصّر ، فأرسله وأرسل معه أربعةَ آلافٍ من فرسانهم ، فانطلقوا فجاَسُوا خلال الديار ، فسبَوْا ما شاءوا وخربوا(٣) ولم يَقْتُلوا ، ورمى فى جنازه سَيْحون فمات ، فقالوا : استخلفوا رجلا . فقالوا : على رسلكم حتى يأْتى أصحابكم من وِجْهتهم ، فأمْهلوا حتى جاء بخت نصر(٤)

(١) فى تاريخ الطبرى : أنفذ .
(٢) فى حـ ، ا : ثاث ، وما هنا موافق للطبرى .
(٣) فى الطبرى : ما شاء الله ولم يخربوا .
(٤) فيه أيضاً : حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه .

فقسم ما جاء به فى الناس ، فقالوا : ما رأينا أحقَّ بالملك من هذا ؟ فملكوه . فلما ضربَ له ملكه بجرانِه ، قال لهم يوماً : موعدكم ثالثة فمن استأْخر بعدها منكم فليمش إلى خشبته ، فغزَا الشام ، فذلك حين قتَل ، وخرّب بيتَ المقدس وانتزع حليته وحملها ، وجعل يشرب فيها الخمور وخوانًا يأْكل عليها الخنازير ، وحمل التوراةَ معه ثم ألقاها فى النار ، وقدم فيما قدم بمائة وصيف منهم دانيبل وعُزَير ، وكان يقال له عَزريا ، وحنانيا وميشائيل ، فقال لإنسان : أصْلح لى أجْسامَ هؤلاء ، لعلى أختار منهم أربعة يخدمونى . فقال دانيبل لأصحابه : اعلموا أنهم إنما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم . لا تأْكلوا لحم الخنزير ، ولا تشربوا الخمور . فقالوا للذى يصلح أجسامهم : هل لك أن تطعَمنا طعاماً هو أهونُ عليك فى المؤونةِ مما تُطْعم أصحابَنا ، فإن لم نَسْمن قبلهم أكثر من سِمَنِهم رأيتَ رأْيَك ؟ قال : ماذا ؟ قالوا : خُبزُ الشَّعير والكُرَّاث . ففعل ، فسمنوا قبل أصحابهم . فأَخذهم بخت نصَّر يخدمونه . قال : فبينما هو كذلك إذ رأى بخت نصّر رؤيا ، فجلس ثم نسيَها ، ثم عاد فرآها ، ففزع فقام من نومه ، ثم عاد فرقد فرآها ، فخرج إلى الحجر فنسيها ، فلما أصبح . دعا العُلماء والكُهَّان ، فقال : أخبرونى بشىء رأيتُ البارحة ، وإذا أخبرتمونى بما رأيت . فأوّلوا لى رؤياى ، وإلاَّ فليمش كل رجل منكم إلى خشبته ، موعدكم ثلاثة . فقالوا : هذا خبرٌ قد أظلنا منه بلاء ، فكيف بالنجاة منه ، فجعل دانيبل يقول كلّما مرَّ به رجل من رجاله : لو دعانى المَلِكُ لأخبرتُه بما رأى وأوّلت ذلك . فجعلوا يقولون : ما أحمقَ هذا الغلامَ الاسرائيلىّ ! إلى أنْ مرَّ به كهلٌ فقال ذلك له ،

فرفعه إلى الملك وأخبره ، فدعاه الملك وقال له : ماذا رأيتُ ؟ قال : رأيتَ تمثالا . قال : إيه . قال : ورأسُه من ذهب . قال : إيه ، قال : وعنقه من فضة ، قال : إيه : قال وصدره من حديد . قال : إيه . قال : وبطنه من صُفْر[١] . قال: إيه : قال ورجْلاه من آنك[٢] . قال : إيه . قال : وقدَماه من فخار . قال : نعم ، هذا الذى رأيت . قال : فجاءتْ حصاةٌ فوقعتْ فى رأسه ثم فى عنقه ثم فى صدره ثم فى بطنه ثم فى رجليه ثم فى قدميه فأهلكتْه ، قال : نعم ، فما تأويل هذا ؟ قال : أمّا الذّهب فملكك ، وأمّا الفضة فملك ابنك من بعدك ثم مُلكُ ابن ابنك ، ، وأما الفخّار فملك النساء . فكساه جبة سَبنيّة[٣] وسوره وأجازه وأمر أن يُطاف به فى القرية ، وأخْبر أن خاتَمَه جائزٌ على ما ختم ، فلما رأت ذلك فارس ، قالوا : ما الأمرُ إلاّ أَمرَ هذا الاسرائيلى فكيف نهدمه ؟ قالوا : ائتوه من نحو الفتْيةِ الثلاثة أصحابه ، ولا تذكرُوا له دانييل فإنه لا يصدقكم عليه ، فأتوه ، فقالوا : إن هؤلاءِ الفتية الثلاثة ليسوا على دينك ، وهم يكرهون ما تستحسنه ، وآية ذلك أنّك إذا قرّبْتَ إليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا ، فأمر بحطب كثير فوضع ، ثم أوقدت النار ورماهم فيها ، فلما كان من من آخر الليل أمر بالنظر إليهم فإذا هم يتحدّثون ، وإذا معهم رابعٌ يروح عليهم ودانييل يصلى ، قال : من هذا يادانييل ؟ قال : هذا جبريل ، ظلمتَ القوم . فأُمِر بهم فأنزلوا . قال : ومسخ الله عز وجل بخت نصّر من الدواب كلها ، فجعله من كلّ

---

(١) الصفر : النحاس .

(٢) الآنك : الرصاص .

(٣) السبنية : ثياب من حرير رقيق . وسوره أى ألبسه السوار فى يده ، وكان من علامات السيادة

صنف من الدواب رأسه من السّباع الأسد[١] ، ومن الطير النسر ، وملك ابنه بعده ، وكان دانييل يسدِّدُه ، وكان معه ثم رماه عنه وأقصاه ، ثم إنه رأى كفًّا فَرَجت بين لوحين مكتوب فيها سطران[٢] ، فدعا الكهّان والعلماء ، فلم يجد عندهم منه علماً ، فقالت أمُّه : إنك لو دعوتَ دانييل وأعدْت إليه منزلته منك ومن أبيك عرّفك ، فدعاه فقال : إنّى معيدٌ إليك منزلتَك من أبى ، فأخبرْنى ما هذان السطران ؟ قال : أمّا معيد لى منزلتى من أبيك فلا حاجة لى بذلك ، وأما السطران فإنك تُقْتَلُ الليلة . قال : فأمر أن يخرج كل من فى القصر ، فأخْرجوا أجمعين ، وأمر بقفل أبوابه فغلّقت الأبواب ، وأدْخل معه رجلا وضع بيده سيفاً ، وقال له : كلُّ من جاءك من خلق الله الليلةَ فاقتله ، ولو قال : أنا فلان — يعنى نفسه — وبعث اللهُ عليه البَطْن ، فجعل يمشى والآخر نائم ، فبينما هو كذلك إذ استيقظ ونهض إليه ، فقال : أنا فلان . فضربه بالسَّيف فقتله . قال الله تعالى : « وإنْ عُدْتُمْ عُدْنَا »[٣] . قال : فبعث الله عليهم العَرَب ، فلم يزالوا يسومُونهم سوءَ العذاب ، ولا يزالون إلى يوم القيامة فى ذِلة وصَغَار . قال ابن جُرَيج : فبلغنى أن سعيدَ بن جُبَير كان يحدث بهذا الحديث ، فلما بلغ هذا الموضع أخذه رسولُ الحجّاج بن يُوسف[٤] .

---

(١) فى الطبرى : رأسه رأس سبع من السباع .

(٢) فى ح : سطراً فى كل موضع ذكرت فيه هذه الكلمة .

(٣) سورة الإسراء الآية ٨ .

(٤) ورد هذا الخبر بتمامه فى تفسير الطبرى ، عند تفسير قوله تعالى : « فإن عدتم عدنا » الجزء ١٥ صفحات ٢٦، ٢٧، ٢٨ ، وورد الجزء الأول منه الخاص بفتح بيت المقدس فى تاريخ الطبرى ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وروى حماد ، عن سَلَمة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يُوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس : أنّ رجلا من علماء أهل الشّام وجد نَعْت بخت نصر وأنه غلامٌ يتيم ، وله والدة ، وله ذؤابة فى رأسه من أهل بابل ، وأنه تقدم فسأل عنه وعن أمه حتى عرفهما بالنعت ، فنزل عليهما و كان وهو غلامٌ يسوقُ العجاجيلَ والدّجاج ، فقال له ذاتَ يوم : إنّك ستملك فارس والشام ، فاكتب لىَ أماناً ولِقومى . قال : ما أدرى ما هذا الذى تذكر ، فلم يزلْ به حتّى قال له : اكتبْ أنت ما شئت ، وكتب له ولقومه أماناً ، فأراد أن يختمه ، فلم يكن لبخت نصر خاتم فأخذ خاتم حديد من نطاق أمّه فختمه ، ثم إنه دخل الشّام ، فأتاه الرجلُ فحيل بينه وبينه ، فقال لمقدّمته : إنّ للملك عندى نصيحة ، ولم يزلْ يدفعه بعضهم إلى بعض حتّى انتهى إلى الملك ودخل عليه ، فقال : أمَا تعرفنى ؟ قال : ما أعرفك . فقصّ عليه القصة وذكّره ، ودفع إليه الأمان . فقال : ما أدرى ما هذا الذى تذكر ، ورِثتُ هذا كابرًا عن كابر عن آبائى . فلم يزل به حتّى أقرّ . فوفى له وأمنه ، وقال : لايسمع هذا منك أحدٌ . ولما ظهر على الشّام ، إذ هو بدم يحيى بن زكريا يغلى ، فقال : لأقتلنّ على هذا الدم حتى يسكن ، فقتل عليه سبعين ألفاً ، فجاء قاتله فقال : إن هذا الدم لا يسكن أبدًا حتّى تقتلَنى فأنا قتلته فقتله وسكن الدّم ، وظهر على الشام وخرّب بيت المقدس وحَرق التوراة ، وجاء معه بدانييل وميخائيل وعُزَيْر وحزقاييل ودفعهم إلى صاحب مطبخه ، ثم ذكر الرؤيا وزاد فيها فيجىء نبىٌّ من العَرَب فيغلب وينقض تلك الأوثان كلَّها ويكون الدّين كلُّه لله[1] .

(١) انظر هذا الخبر فى تفسير الطبرى الصفحات السابقة .

وقال ابنُ الكلبيّ : كان سِنِمَّار الرُّوميّ من أصنع النّاس للبنيان ، فبنى لبعض ملوك العرب بنيانا سُرّ به وأعجبه ، وخاف إن استبقى سنمَّار بنى بعده مثل ذلك البنيان ، لغيره من الملوك ، فأمر به فرُمى من فوق القصر فمات ، فضَرَبَتْ به العربُ الأمثال فى سُوء الجزاء ، حتّى قال بعضهم(١) :

جَزَانِى جَزَاهُ اللهُ شَرَ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وما كان عَنْ ذَنْبِ
سوى رصّهِ البنيانَ سبعين حِجَّة يعلىّ عليه بالقراميد والسّكْبِ(٢)
فلما رأى البنيانَ تمّ سُحُوقُهُ
وآضَ كمثل الطَّوْدِ ذى البَاذِخِ الصَّعْبِ(٣)
وظنّ سِنِمَّارٌ به كل حُظْوَةٍ وفاز لَدَيْهِ بالمودَّةِ والقُرْبِ
فقال اقذفوا بالعِلْجِ من رأس شاهقٍ فذاك لعَمْرُ الله من أعْظمِ الخَطْبِ

كتب ملكُ الروم إلى معاوية : إن الملوك لم تزل تُراسِلُ بعضهُمْ بعضًا ، وتجتهد أن يُغرب بعضهم على بعض ، أفتأذنّ فى ذلك ؟ فأذن له . فوجّه إليه رجلين

(١) ورد الخبر والأبيات فى الحيوان ١/٢٣ ، ٢٤ ، ونسبت فيه الأبيات لشراحيل الكلبى ، وفى العقد الفريد ٣/٤٣٨ أنها لعبد العزى بن امرىء القيس ، ووردت فى أمالى القالى ١/١٥١ بدون نسبة .

(٢) القراميد : الحجارة أو الآجر ، والسكب : الرصاص .

(٣) سحوقه : ارتفاعه فى البنيان ، وآض : أصبح ، والطود ذى الباذخ الصعب : الجبل الشامخ الصعب المرتقى .

أحدهما طويلٌ والآخر أيّد(١) ، فقال معاوية لعَمْرو : أما الطويلُ فقد أصَبْنا كفؤًا له وهو قيسُ بنُ سعد بن عبادة(٢) ، وأمّا الآخرُ الأيِّدُ فقد احتجنا إلى رأيك فيه . فقال : هاهنا رجلان كلاهما إليك بغيضٌ : محمد بن الحنفية(٣) ، وعبد الله بن الزبير . قال معاوية : الذى هو أقرب إلينا منهما فلما دخل الرَّجُلان وجه إلى قَيْس بن سعد فدخل ، فلما مَثُل بين يدىْ معاوية نزع سراويله فرمى بها إليه فلبسها فبلغت ثَنْدُوَتَهُ(٤) ، فأطرق مغلوباً . وقيل لقيس فى ذلك : لم تبذّلتَ فى حضرة معاوية ؟ هلاّ فعلت غير ذلك ؟ فقال :

أَرَدْتُ لِـكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّها ... سَرَاوِيلُ قَيْسٍ والوُفُودُ شُهُودُ
وألاَّ يقولوا غابَ قيسٌ وهذهِ ... سراويلُ عادِىٍّ نَمَتْـهُ ثمودُ
وإنّى من القوم اليَمانِينَ سَيّدٌ ... وما النَّاسُ إلّا سيّد ومَسُودُ
وَبَذَّ جميعَ النّاسِ أصْلِى ومَنْصِبِى ... وجسمٌ به أعْلُو الرِّجالَ مَدِيدُ(٥)

ثم وجه إلى محمّد بن الحنفية ، فدخل فخُبِّر بما دعى إليه ، فقال : قولوا له : إن شاء

---

(١) الأيد : القوى الوثيق التركيب .

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى ، صحابى ، وال من دهاة العرب ذوى الرأى والمكيدة فى الحرب والنجدة ، كان يحمل راية الأنصار مع النبى ويلى أموره ، وصحب علياً فى خلافه مع معاوية فاستعمله على مصر سنة ٣٦ ثم عزله عنها ، وحارب معه فى صفين وظل مع ابنه الحسن بعد ذلك حتى صالح معاوية فذهب إلى المدينة وتوفى بها سنة ٦٠ هـ . انظر الإصابة الترجمة ٧١٧٩ ، الأعلام وهامشه ٥٦/٦ .

(٣) هو محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية ، أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام ، وكان واسع العلم ورعاً ، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة ، توفى بالمدينة سنة ٨١ هـ . انظر : الأعلام والمراجع التى فى هامشه ١٥٢/٧ . (٤) الثندوة : ثدى الرجل .

(٥) الأبيات والخبر فى الكامل ٣٠٨/١ ، وانظر محاضرات الأدباء ١٢٩/٢ ، وفيات الأعيان ٣١١/٣ .

فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يُقْعِدَني ، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد ، فاختار الرومى الجلوس ، فأقامه محمّدٌ وعجز هو عن إقعاده . ثم قام الرُّومىّ فأقعده محمد وعجز الرومى عن إقامته ، فانصرف الطويلُ والأيّد مغلوبَيْنِ .

قلت : أمّا هذا الخبر فمنكَرٌ ليس بصحيح ، ولا له أصل لأنه يخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيه كبير فائدة لمنزلتهما .

بابٌ جَامِعٌ من المذكراتِ مما لم يُذكر فى الأبواب المتقدمات

كان يقال : المتّقُون سَادة ، والفُقَهاء قَادَة ومجالستُهم زيادة — يعنى فى الخير[1] .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه : حلقُ القفا مما يزيد فى الحفظ .

وقال عبد الله بن عباس أيضاً : حلق الرأس لا يصح فى العقوبة ، لأنّ الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسُكاً لمرضاته .

قال عمرُ بن عبد العزيز : إياكم والمثلة فى العُقوبة : جزّ الرأس واللحية .

وقال عبد الله بن عباس : إنى لأسمع بالحَكَم من حكّام المسلمين يَعْدل فأفرحُ به ، ولعلّى لا أتحاكم أبدًا ، وإنى لأسمعُ بالغيث يصيبُ البلدان فأفرحُ ومالى فيها سائمة ، وإنى لآتى على الآية فأودّ أن النّاسَ يعملون بها ، ويعلمون منها ما أعلم .

سأل رجلٌ مُطرِّفَ بن الشِّخِّير عن شىء ، فقال : يا ابن أَخى لا تحمل سعَة الإسلام على ضِيق صدرك .

كان يقال : لكلِّ شىءٍ آفة ، وآفةُ العلم النسيان ، وآفة العبادة الرّياء ، وآفة الحياء الضّعْف ، وآفة اللُّب العُجْب ، وآفة الظَّرْف الصَّلَف ، وآفةُ الجود الشرف ، وآفة الجمال التّيه ، وآفة السؤدد الكبر ، وآفة الحلم الذُّل .

---

(١) تأتى هذه العبارة فى آخر الباب فى نسخة ا .

كان يقال : العَجَب ممن يخاف العقاب ولم يكُفّ ، ورجا الثوابَ ولم يعمل .

قال حارثة بن بَدْر الغُدَانِيّ(١) :

طربتُ بقانُونٍ وما كنتُ أطرَبُ سفاهاً وقد جَرَّبتُ فيمن يُجَرِّبُ
وما اليومُ إلاّ مثلُ أمسِ الذىّ مضى ومثلُ الغدِ الجائى وكلٌّ سيذهبُ

ومن وصايا إبليس ، من النوادر أبيات أنس بن إياس يخاطب حارثة بن بدر الغُدَانى هذا(٢) :

أحارِ بن بَدْرٍ قد وليتَ ولايةً فكن جُرَذًا فيها تخون وتسرقُ
ولا تحْقِرَنْ يا حارِ شيئًا وجَدْتَهُ فحظكَ من مُلْكِ العراقين سُرَّقُ(٣)
وباه تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرءُ الهَيُوبة ينطقُ
فإن جميعَ النَّاس إما مكذّبٌ يقولُ بما يَهْوَى وإما مُصَدِّقُ
يقولون أقوالاً ولا يَعْرِفُونَها فإن قيل هاتُوا حقّقُوا لم يُحَقّقُوا

(١) حارثة بن بدر بن حصين التميمى الغـدانى ، تابعى من أهل البصرة ، كان مقربا إلى زياد بن أبيه مع شربه الخمر ، فلما ولى عبيدالله بن زياد أبعده وأقصاه ، فطلب منه حارثة أن يوليه بعض أعماله فولاه سرق ، ثم ولى قتال الخوارج بنهر تيرا من نواحى الأهواز فهزموه ، فركب سفينة هو ومن معه فغرقت بهم ، وكان ذلك سنة ٦٤هـ . انظر : الأعلام ١٦٢/٢ والمراجع التى فى هامشه .

(٢) وردت الأبيات بالنسبة التى هنا فى الـكامل ١٨٥/١ ، الحيوان ١١٦/٣ ، ٢٥٥/٥ ، ونسبت فى زهر الآداب ٥٨/٤ ، العقد الفريد ٦٠/٣ لأبى الأسود الدؤلى ، ثم عاد ونسبها فى ٣٤١/٦ إلى أنس ابن أبى إياس متفقاً فى ذلك مع أمالى المرتضى ٥٠/٢ ، الذى قال : إن أنساً يقال له ابن أبى إياس الدئلى أيضاً ، وقد حقق الأستاذ عبد السلام هارون اسم هذا الشاعر واسم أبيه فى هامش الجزء الخامس من الحيوان ص ٢٥٥ ، وعلى أى حال فما هنا يؤيد الرأى القائل بأنه لأنس بن أبى أياس ، أما كونه لأبى الأسـود كما ورد فى العقد الفريد وزهر الآداب فمستبعد ، والاشتباه فى أنها لأبى الأسود آت من أنها وردت فى بعض المراجع لأنس الدئلى لأنه من بنى الدئل بن بكر ، فظن أنه أبو الأسود الدؤلى .

(٣) سرق : كورة من كور الأهواز .

فأجابه حارثة :

جزاكَ إلٰه النَّاس خيرَ جَزَائِهِ   فقد قلتَ مَعْرُوفًا وأوْصَيْتَ كافيا

أشرتَ بشيءٍ لو أشَرْتَ بغيرِه   لألْفَيْتَنِي فيه لذلك عاصِيَا[1]

امتحن يحيي بن أكثم رجلا أراده للقضاء ، فقال : ما تقول فى رجلين أنكح كلُّ واحدٍ منهما الآخر أمّه ، فوُلد لكلّ واحد منهما ولد ، فما قرابةُ ما بين الولدين ؟ فلم يعرف . فسئل عن ذلك ، فقال : كلُّ واحدٍ منهما عمُّ الآخر لأمّه .

دخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان فقال له : إنّى تزوجتُ امرأةً وزوّجت ابنى أمها ، ولا غناء بنا عن رِفْدك ، فقال له عبد الملك : إنْ أخبرتنى ما قرابةُ أولادكما إذا ولدتما ، فعلتُ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! هذا حُمَيد بن بَحْدَل ، قد قلّدته سيفَك ووليّته ما وراء بابك ، سَلْه عنهما ، فإن أصاب لزمنى الحرمان ، وإنْ أخطأ اتّسع لى العُذْر . فدعا به فسأله ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنّك ما قدّمتنى على العلم بالأنساب ، ولكن على الطعن بالرماح . أحدهما عمُّ الآخر والآخر خاله .

لو تزوّج رجلٌ امرأة ، وزوَّج ابنه ابنتَها ، ثم وُلد لهما ، كان أحد المولودين عمّ الآخر ، والآخر ابن أخيه .

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يَلُوموا إلاّ أنفسَهم ؛ الذّاهب إلى مائدة لم يُدْع إليها ، وطالب الفضل من اللئام ، والدّاخل بين اثنين فى حديثهما من غير أن يُدخلاه

(١) البيتان فى زهر الآداب ٤/٥٨ .

فيه ، والمستخِف بالسلطان ، والجالس مجلساً ليس له بأهل ، والمُقْبل بحديثه على من لا يَسمع منه ولا يصغى إليه .

ذكر الخُشنى عن أَبى حاتم عن الأصمعى ، قال : تذاكر نفرٌ من الجن عيافة[١] بنى أسد ، فقالوا : لو نظرنا إلى بعضِ ذلك فأتَوْهم ، وقالوا : إنا ضلّت لنا ناقة ، فلو أرسلتم معنا بعضَ من يقفو لنا أثرها ، فقالُوا لغُلَيْم منهم : انطلق معَهم ، فاستردَفَهُ أحدُهم ثم ساروا ، فلقيهم عُقاب كاسرٌ إحدى جناحيها ، فاقشعر الغلام فبكى ، فقالوا : ما بالك ؟ فقال : كسرت جناحًا ورفعت جناحاً ، حلفت بالله صُراحًا ما أنتَ بإنسى ولا تبغى لقاحاً .

قال الخشنى : الجناح يؤنث ويذكر .

نذرتْ امرأةٌ أن تكسوَ ثوباً غزلتْهُ فأتقنته أفضلَ رجل بالبَصْرة ، فقيل لها : الحَسَن ، فأتت به الحسنَ فأرسل بها إلى أبى قلابة[٢] ، فردَّها أبُو قلابة ، وقال : إن الناسَ أصابوا فيك وأخطأتَ فىّ .

قال أَبو عُبيد[٣] : العَارضة كنايةٌ عن النَّدَى ، فإذا قيل : فلانٌ شديد العَارضة

(١) العيافة : التكهن بالطير ، وذلك بملاحظة مساقطها وأنوائها والاعتبار بأسمائها فيتفاءل من ذلك أو يتشاءم .

(٢) أبو قلابة : عبد الله بن زيد الجرمى ، عالم بالقضاء والأحكام ، ناسك من أهل البصرة ، أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام فمات فيها ، وكان من رجال الحديث الثقات ، توفى سنة ١٠٤هـ : انظر تهذيب التهذيب ٦/٢٢٤ ، (الأعلام ٤/٢١٩ وهامشه) .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام من علماء بغداد فى علوم اللغة والغريب والفقه ، ولى قضاء طرسوس ، ثم رحل إلى مصر فألقى دروسه بها ، ثم ذهب إلى مكة وأقام بها إلى أن توفى سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ . انظر تاريخ بغداد ١٢/٤٠٤ .

فذاكَ كناية عن سَفَهِ الكفّ بالعطاء . وإذا قيل : فلانٌ يقتصد ، فذلك كنايةٌ عن البخل وإذا قيل العامل مُستَقْصٍ ، فذلك كناية عن الجور . وأما قولهم فى المثل : هذا أجلُّ من الحَرْش ، فإن الأصمعى ذكر فى تفسيره ذلك ، أن الضَّبَّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوْتَ الحرش فلا تَخرُجَنَّ ، قال : وذلك أنهم يزعمون : أنّ الحرش تحريكُ اليد عند حُجْر الضّبّ ليخرج إذا ظنّ أنها حيّة . قال : وسمع ابنه يوماً صوتَ الحَفْر ، فقال : يا أبتِ ! هذا الحَرْش ؟ فقال : يا بنى ! هذا أجلُّ من الحَرْش ، فأرسلهما مثلا وأنشد :

وأفطنُ من ضَبٍّ إذا خافَ حَارِشًا　　أعَدَّ لَهُ عند التأنس عَقْرَبَا[١]

وفى المثل : تُعْلمنى بالضبِّ وأنا حَرَشْتُه .

لأبى البلاد الطّهَوىّ ، وكان من شياطين العرب[٢] :

لَهَانَ عَلَى جُهَيْنَةَ ما أُلَاقِى　　من الرَّوعَاتِ يوم رَحَى بِطَانَ[٣]

لَقيتُ الغُولَ تسْرِى فى ظَلَامٍ　　بِسَهْبٍ كالعَبَايَةِ صَحْصَحَانِ[٤]

فقلتُ لها : كلانا نِقْضُ أرضٍ　　أخو سَفَرٍ فصُدِّى عن مَكَانِى[٥]

---

(١) الخبر والبيت فى الحيوان ٦/٥٣ منسوباً لأبى المنجوف السدوسى وفيه : التلمس بدل التأنس .

(٢) الأبيات التالية فى الحيوان ٦/٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٢٨٠ ، المؤتلف والمختلف ١٦٣ .

(٣) فى ح : رحى البطان ، ورحى بطان موضع بأرض هذيل .

(٤) فى المؤتلف : تهوى جنح ليل ، والسهب : الفلاة ، العباية : ضرب من الأكسية ، والصحصحان : المستوى المبسوط .

(٥) النقض : المهزول قد نقضه السفر وأرهقه .

فصدَّتْ وانتحيت لها بعَضْبٍ حُسَامٍ غيرِ مُؤْتَشِبٍ يَمَانِي(١)
فقَدَّ سَرَاتَهَـــا والبَرْكَ منها فخرّتْ لِلْيَدَيْنِ وللجِرَانِ(٢)
فقالت : زِدْ ، فقلتُ : رويدَ إنِّى على أَمْثالهـــا ثبتُ الجَنَانِ
شددتُ عُقَالها وحَطَطْت عَنْها لأنظُر غُـــدْوَةً ماذا دَهَانِى
إذا عَيْنان فى وجْـــهٍ قبيحٍ كوجْهِ الهرِّ ، مشقوقِ اللِّسانِ
ورِجْلَا مُخْدَجٍ ولسانِ كَلْبٍ وجِلْدٍ من فِراءٍ أو شِنَانِ(٣)

أما قولُه : فقالت : زِدْ . فإنهم يزعمون — فيما ذكر عمرو بن بحر الجاحظ — : أنّ الغُول يستزيد بعد الضَّرْبة الأولى ، لأنها تموتُ من ضربة وتعيش من ضربتين إلى ألف ، يقول : إذا ضُرِبَتْ ضربة ماتت ، إلّا أن يعيدَ عليها الضاربُ قبل أن تَقْضِي ضربة أخرى ، فإنه إن فعل ذلك لم تمت ، ولذلك قال شاعرهم :

فَثَنَّيْتُ والمقدارُ يَحْرُسُ أَهْلَهُ فَلَيتَ يَمِينِى قبلَ ذلك شَلَّتِ(٤)

وهذا عندى من أكاذيب الأعراب ، وحماقاتِ عَمْرو بن بَحر ومُجُونه .

ومن ذلك قول مُدْرِجِ الرِّيح ، وهو عامر المجنون ، وإنما قيل له مُدْرج الرّيح بشعر قاله فى امرأة من الجنّ ، زعم أنه كان يهواها وتتراءى له ، فمن شعره يقول :

---

(١) العضب : السيف ، وغير مؤتشب أى خالص يعنى أنه جيد الحديد خالصه .
(٢) السراة : الظهر ، والبرك : الصدر ، والجران : باطن العنق .
(٣) المخدج : ناقص الخلق ، والشنان : القربة الصغيرة الخلق بفتح الخاء واللام أى القديمة .
(٤) انظر البيت فى الحيوان ٦/٢٣٤ ، وانظر خبر قتل الغول بضربة واحدة فى نفس المصدر .

لابنـــةِ الجنّى فى الجَوِّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرّيحُ من بين صَـــبًا وجَنُوبٍ درجَتْ حيناً وطلّ[١]

وكان مُدْرِج الريح محمّقاً، وأما قول عُبَيْد بن أيّوب العَنْبرى[٢] :

فللهِ دَرُّ الغُولِ أىُّ رفيقةٍ لصاحبِ قَفْرٍ خائفٍ يَتَقَفّرُ
أرنَّتْ بلحنٍ بعد لَحْنٍ وأوْقَدَتْ حوالىَّ نيرانًا تبُوخُ وتَزْهَرُ[٣]

فإن العربَ تذكر أنّ الغيلان تُوقد النّيران بالليل للّعب والتخييل وإضلال أبناء السبيل .

قلت : والدّليل على أن الشياطين تُضلّ الناسَ فى الطريق ، وتحيدُهم عن سبيلهم ، قولُ الله تعالى : ﴿ كالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[٤] ومن الدّليل على صحة الغيلان أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أنشده كعبُ بن زهير قصيدته اللّامية التى يقول فيها :

كانتْ مواعيدُ عُرْقُوبٍ لَهاَ مَثَلًا وما مَوَاعيدُه إلّا الأبَاطيلُ
فما تَدُومُ على حالٍ تـكونُ بها كما تَلَوّنُ فى أثوابِها الغُولُ[٥]

---

(١) انظر هذا الخبر والبيتين فى الأغانى ٣/١٢٩ .
(٢) البيتان فى الحيوان ٤/٤٨٣ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٨ .
(٣) تبوخ : تسكن وتفتر ، وتزهر : تضىء .
(٤) سورة الأنعام آية ٧١ .
(٥) شرح ديوان كعب ٤٢ .

فلم ينكره .

قال أبو عمر : وكان عُبَيد بن أيّوب هذا جوّالًا فى مجهول الأرض ، فلمّا اشتد خوفُه وطال تردّدُه ، أمعن فى الهرب ، فقال :

لقد خِفْتُ حتّى لو تمرَّ حمامةٌ لقلتُ عدوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ
فإن قيل: أمنٌ قلتُ: هَذِى خديعةٌ وإنْ قيل: خوفٌ قلتُ حقٌّ فشمّر
وخفتُ خليلى ذا الصَّفَاء ورابَنِى وقيل فلانٌ أو فلانة فاحْذَرِ
فلله دَرُّ الغول أىُّ رفيقـــةٍ لصاحبِ قفرٍ خائفٍ متنفّرِ[١]

فى أبيات كثيرة ، وأما قول أمية بن أبى الصلت[٢] :

والحيّةُ الذكرُ الرَّقْشاءُ أخْرجَها من جُحْرِهَا أمَنَاتُ اللهِ والقسمُ[٣]
إذا دَعَا باسمها الإنسان أو سَمِعتْ ذاتَ الإله أتتْ فى مشيها رَزَمُ[٤]
من خلفها حُمَة لَوْلَا الّذى[٥] سَمِعتْ قد كان بَيّتَها فى جُحْرِها الحُمَمُ
نابٌ حَديد وكفٌّ غيرُ وادعةٍ والخَلْقُ مختلفٌ واللونُ[٦] والشّيَمُ
إذا دعين بأسْماءٍ أَجَبْنَ لها لنافثٍ يَفْتَديه اللهُ والكَلِمُ
لولا مخافةُ ربٍّ كان عذّبَها عرجاء تَظْلَعُ فى أنيابها عَسَمُ[٧]

(١) الأبيات فى الحيوان ٥/٦،٢٤١/١٦٥ ، حماسة البحترى ٤١١ ، ٤١٢ ، باختلاف قليل فى الرواية .
(٢) انظر ديوانه ٥٧ ، الحيوان ٤/١٨٧ ، ١٨٨ .
(٣) فى ح : أزمات الدهر .
(٤) فى الديوان : يرى فى سعيها ، وفى الحيوان بدا فى مشيها ، والرزم : الهزال والضعف .
(٥) فى ح : لا والذى والحمم : جمع حمة وهى المنية .
(٦) فى الحيوان : فى القول .
(٧) العسم : الاعوجاج والصلابة .

وقد بَلَتْهُ فذاقَتْ بعضَ مَصْدَقِهِ فليس في سَمْعِها من رهبةٍ صَمَمُ
فكيف يأمَنُها أَم كيف تألَفُهُ وليس بينهما قُرْبَى ولا رَحِمُ

فإِنه يقول : إنّها خرجت لاستحلافه إيّاها ، لا لرَحِمٍ بينها ولا نسب ، وقد أَوضحنا في كتاب « التمهيد » أَنّ من الحيات صنفان من الجن ، وأَن منهم من أَسلم ، فغير نكير أَنْ يخضع لذكر الله وأَسمائه .

ومن عجائب الدنيا ، صنم قادس[(١)] في غرب الأندلس على البحر من كورة شَذُونة ، وقد ذكره الأوائل ، ونقل أَهلُ الأخبار خبره ، ومن أَحسن ما قيل في وصفه من النظم ما أَنشده غيرُ واحد لأبي عثمان الشَّذُوني العَرُوضي ، يخاطبُ بعض قوّاد شَذُونة ، إذ أَدخله إليه فرآه على قرب في تلك الجزيرة ، فقال :

يا سَيِّدًا أبصَرت عَيْني به عجبًا فما أبالي يقولُ النَّاسُ عن رَهَبِ
لله ما أبصرْته في شَذُونَةَ مِنْ عَجَائِبٍ كنتَ في إبْصَارِهَا سَبَبَا
آثارِ مَمْلَكَةٍ دلّتْ على مَلِكٍ أذَلّ بالمُلْك أعْنَاقَ الورى حِقَباَ
وأَسودٍ واقفٍ في رأْس صومعةٍ كأَنّه فوقَهَا بالرُّوح قد صُلِبَا
مُقدِّمًا رجلَهُ اليُمنى ليَرْفَعَهَا كأنه يشتكي من طُولِ ما تَعِبَا
يمدُّ يُمْناه بالمفتاح تحْسَبُه مُنَاولا غَيْره عَجْلَانَ مُكتَئِباَ
وصكُّه في اليَد اليُسْرَى قد انقبضتْ كأَنّهُ ساتِرٌ عنّا لِما كَتَبَا
يُومِي إلى البَحْرِ نحو الغَرْب وجْهَتُه مستقبلاً لغُرُوبِ الشَّمْسِ مُنْتَصِبَا

(١) قادس جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية (صفة جزيرة الأندلس من الروض العطار) ص ١٤٥ ، وانظر خبر هذا الصنم بتفصيل كبير في نفس المصدر صفحات ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

لابدّ واللهِ من قُفْلٍ سيفتحُه　　مِفْتَاحُهُ بَعْدَ الميقاتُ أو قَرُبَا
وسائلٍ لى عما ضَلَّ جوهرُه　　والذّهْنُ فى فكٌ معناه قد انْتَشَبَا
أجبتُه إنَّ فى أخباره عَجَبَاً　　فلا تسلْ عنه صُفْراً كان أو ذَهَبَا[1]

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : ما خلق اللهُ خلقاً أشَرّ من الخَزَر[2] ، ما بُعث منهم نبىٌّ ولا صِدِّيق .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن : يا بنىّ ! كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربعُ أصابع . قال : وكيف ؟ قال : الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدّقناه بقلوبنا ، واليقين ما رأيناه بأعيُننا فتيقنّا ، وبين السّمع والبَصر أربع أصابع . قال : أشهد أنك ابن رسول الله .

قال الحكماء : شيئان أعيت الحكماءَ الحيلةُ فيهما ، إذا أقْبل الأمر أعْيَت الحيلة فيه أن يُدْبر ، وإذا أدْبر أعيت الحيلةُ فيه أن يقبل .

قال خالدُ بن صفوان : احترس من العين فوالله لهى أنَمُّ من اللسان .

كان يقالُ : من أحبّك نهاك ، ومن أبغضك أغْرَاك .

كان يقال : مُثّلت الدّنيا بطائر ، فالبَصْرَة ومصر جناحان ، والشام والعراق والجزيرة وما وَالَاها الجَوف ، واليمن الذّنَب .

---

(١) هذا الخبر والأبيات ساقط من ح .
(٢) الخزر : الصقالبة الذين يسكنون شمالى بحر الخزر أو بحر قزوين وهم الروس والبلغار .

تقول العربُ : مُضَر رحاها خِنْدِف ، وهامَتُها تميم[١] ، وفرسانها قيس ، وأئمتها كِنانة ، ولسانها أسَد .

قال الخُشَنى : لا تُكْرِم ولا تُعَظِّم إلّا من يُرْجى خيرُه ، أو يُخافُ شرُّه ، أو يُقتبسُ من علمه ، أو من بركةِ دعائه .

خطب أرسطوطاليس يوماً فأطال ، وعنده شابّ مُطرِق ، فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال : إنّ الله خلق للإنسان أذنين اثنين ولساناً واحداً ليسمع أكثر مما يقول .

من أمثال العَرَب : من يجمع بين الأروى[٢] والنّعام ! لأن الأرْوى لا تُسْهِل ، وإنما تسكن الجبال ، والنَّعام يسكن السَّهل ، ولا تَرْقى الجْبال .

ومن قولهم : بيضةُ البلد ؛ فمدْحٌ وذمّ ، فمن المدح قول علىّ رضى الله عنه : أنا بيضةُ البلد . ومنه قولهم : بيضةُ الإسلام ، ومن المدح قولُ حسَّان[٣] :

وابن الفُرَيْعَةِ أمْسى بيضةَ البَلَدِ

يعنى نفسه . وأما الذم فقول الرَّاعى فى عدىّ بن الرَّقاع :

لو كُنْتَ من أحدٍ يُهْجى هَجَوْتُكُمُ ... يا ابنَ الرَّقاعِ ولكن لست من أحَدِ

---

(١) الرحى : الصدر ، وسيد القوم . والهامة : الرأس وتطلق أيضاً على السيد .

(٢) الأروى : إناث الوعول .

(٣) ديوانه ٨٣ .

تأبى قضاعةَ أن تدرى لكم نَسَباً وابنا نزارٍ فأنتم بيضةُ البَلَدِ[١]

ابنا نزارٍ : ربيعةُ ومُضر .

قال قُبَيْصةُ بن جابر الأسَدىّ[٢] ، يوم صِفّين :

قد حافظتْ فى حَرْبها بنو أسَدْ ما مثلُها تحت العَجَاج من أحدْ

لسنا بأوْبَاشٍ ولا بَيْضَ البَلَدْ

قيل للأُمويّة : أىُّ شىء أحسن ؟ قالت : القصورُ والبيضُ فى الحدائق الخضر .

قال أبو لبيد الرّيّاحى : سألت شيخاً لنا : أىُّ شىء أحسن ؟ قال : بيضةٌ فى روضة .

تقول العربُ : لا شىءَ أظلُّ من حَجَر ، ولا أفيأُ من شَجَر .

قال الشاعر :

إذا لم يكنْ فيكنّ ظِلٌّ ولا جَنًى فأبعَدَكُنّ اللهُ من شَجَرَاتِ[٣]

---

(١) البيتان فى طبقات فحول الشعراء ٤٣٥ ، الحيوان ٢/٣٣٦ ، ٤/٣٣٦ ، فصل المقال ٣٤٦ .

(٢) تابعى جليل ، من رجال الحديث الفصحاء الفقهاء ، يعد فى الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، مات سنة ٦٩ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٨/٣٤٤ (الأعلام ٦/٢٦) .

(٣) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٦ كما هنا ، والرواية فى أمالى القالى ٢/٢١٤ : شبرات ، مفردها شبرة وهى لغة فى شجرة .

وقال آخر :

فلا تجـــــزعنَّ على أيكةٍ أَبَتْ أن تُظِلَّكَ أغْصانُها[١]

وقال آخرُ ، هو الحسنُ بن هانئ :

لا أذُودُ الطيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المُرَّ من ثَمَرِه[٢]

كلّم الحجاج امرأة من الخوارج ، وهى مُعْرِضة عنه ، فقيل لها : يكلِّمك الأميرُ وأنت معرضة عنه ؟ فقالت : إنّى لأستحيي أن أنظر إلى من لا ينظرُ الله إليه

قال رجل من بنى كلاب من الخوارج[٣] ، يخاطبُ معاوية بن أبى سفيان رحمه الله :

قد سِرْتَ سيرَ كُلَيْبٍ فى عشيرته لو كان فيهمْ غلامٌ مثلَ جَسَّاسِ
الطَّاعِنُ الطَّعْنَة النجلاء عانِدُها كطُرَّةِ البُرْدِ أعْيَا فتقُها الآسِى[٤]

قال عمرُ بن الخطاب : ما أبالى على أىِّ حال أصبحتُ ؟ أعلى ما أحبُّ أم على ما أكره ، لأنّى لا أدْرى فيم الخِيَرَة ، أفيما أحبُّ أم فيما أكره . وما أبالى إذا اسْتَخَرتُ الله فى الأمر أكان أو لم يكن .

---

(١) البيت للناشى الأصغر ، انظر : نهاية الأرب ٣/١١٠ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٦ .
(٢) ديوانه ١٢٥ .
(٣) البيتان فى الحيوان ١/٣٢٢ وقال : نسبهما فى نوادر أبى زيد ١٥١ لبشير بن العبسى ، وانظرهما فى المحاسن والمساوئ : ٣٩ .
(٤) العاند : العرق يسيل فلا يرقأ ، وفى ح : أبدها ، والآسى : الطبيب .

وأما قول الشاعر :

طلب الأبْلَقَ العَقُوقَ فلمّا ... لم يَنَلْه أراد بيضَ الأَنُوقِ(١)

فالأبلق لا يكون عقوقاً أبداً ، يقال : أعقت الدابة إذا عظم بطنها للحمل ، والذكر لا يكون عَقوقاً ، والأنوق الرَّخَم لا يكاد يرى بيضه ولا يوجد لأنه فى صدوع الصخر من الجبال الشامخة ، ولا منفعة فيه ، ولا يصاب إلا بمشقة ونيل مكروه .

وأمّا الزّجرُ بالغراب عندهم فلاشْتقاق اسمِه من الغُربةِ والاغْتراب ، ومنه أُخذ الغَريب . وقيل له : حاتم بن بُجَير(٢) لهذا ، ويشتقون من الصُرَد(٣) : التَّصْريد والصَّرد ، والصَّرد هو البَرْد ، قال الشاعر :

دعا صُرَدٌ يومًا على غُصْنِ شَوْحَطٍ ... وصاَحَ بذاتِ البيْنِ فيها غُرَابُها

فقلتُ : أتَصْريدٌ وشحطٌ وغربةٌ ... فهذا لَعَمْرِى نأيُها واغترابُها(٤)

وقال آخر :

تَغَنَّى الطائرانِ ببيْنِ سَلْمى ... على غُصْنَيْن من غَرَب وبَانِ

فكان البينُ أن بانتْ سُلَيمى ... وبالغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دَانِ(٥)

---

(١) الأبلق هو الجواد ، والبيت يضرب مثلا فى طلب المستحيل فإذا لم ينله الطالب بحث عما يقاربه فى الاستحالة ، وانظر البيت وما بعده فى الكامل ٤٠١/١ ، الحيوان ٥٢٢/٣

(٢) حاتم هو الغراب الأسود ، وبجير شديد سواد الوجه .

(٣) الصرد : طائر ضخم الرأس والمنقار ، يصطاد العصافير .

(٤) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى ، وانظر البيتين فى الحيوان ٤٣٧/٣ ، زهر الآداب ١٦٨/٢ .

(٥) انظر البيتين فى الكامل ٨٥/١ مع اختلاف يسير فى الرواية ، وقد وردا كما هنا منسوبين لجحدر العكلى فى العقد الفريد ٤١٤/٥ ، ومنسوبين لسوار بن المضرب فى زهر الآداب ١٦٩/٢ ، ونسبا لكثير عزة فى عيون الأخبار ١٤٧/١ ولم أعثر عليهما فى ديوانه .

وقال سَلَامة بن جَنْدل :

ومن تعرَّض للغِرْبَان يزجُرُها على سَلَامته لابدَّ مَشْئُومُ(١)

وقال آخر :

ولستُ أبالى حين أغْدُو مُسافرًا أَصَاحَ غُرَاب أمْ تعرَّض ثَعلبُ

وقد أوضحنا هذا المعنى بالآثار المرفوعة ، والأخبار والأشعار فى كتاب «التمهيد»، والحمد لله تعالى .

(١) البيت لعلقمة بن عبدة وهو فى ديوانه ٦٧ ، ونسب لسلامة فى الحيوان ٣/٤٤٩ .

بابٌ من منثور الحكم والأمثال ، منتقًى من نتائج

عقولُ الرجال

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « لا حَلِيم إلّا ذُو عثرة ، ولا حكيم إلا ذُو تجربة » .

خيرُ المقال ما صدّقه الفعال .

رأسُ الدّين صحةُ اليَقين .

كُفْرُ النّعمة لُؤْم ، وصحبَةُ الجاهلِ شُؤْم .

من الفَسَاد إضاعةُ الزّاد .

امْحَض أخاك النصيحة ، وإن كانت عنده قبيحة .

التجاربُ ليس لها غاية ، والعاقلُ يستزيدُ منها إلى غير نهاية .

من بذل لك مودّته ، أجْزَل لك عطيّته .

الأحمقُ لا يبالى ما قال ، والعاقلُ يتعاهد المَقَال .

من غَلَب عليه العُجْبُ ، ترك مَشورةَ الرّجال .

جانِبْ مودّة الحسود ، وإن زعم أنّه ودُود .

إذا جهل عليك الأحمق ، فالبس له سلاحَ الرِّفق .

من طلب إلى لئيم حاجةً ، فهو كمن طلب صيد السّمك فى المَفَاوز(١) .

مؤمِّلُ النفعِ من اللئام ، كزَارِع السِّمسِمِ فى الحمّام .

إذا صادقْتَ الوزير ، لم تَخَف الأمير .

لا تثق بالأميرِ إذا خَانَكَ الوَزير .

من كان السُّلطان يطلبُه ، ضاق عليه بلدُه .

الزائرُ لمن يستثقلُه مُذِلٌّ لنفسه .

صديق دِرْهمى ، إذا سرّحتُه فرّج همِّى وقضى حاجتى .

من جالسَ عدوَّه فليحترسْ من منطقِه .

من عُرِفَ بالصِّدْق جاز كذبُه ، ومن عُرف بالكذب لم يَجُزْ صدقه .

من عَرَف من نفسه الكذبَ ، لم يصدِّق الصّادق .

(٢ كثرة الذنوب مفسدة للقلوب ٢) .

من بذل لك نصحه ، فاحتمل غضبَه .

من بذل لك ماله ، فاصبر عَلَى ما يأتى منه .

(٢ لن يذهب من مالك ما وعظك ٢) .

---

(١) فى ا : المفازة ، وفى حـ : المفاوز .
(٢) ساقط من حـ .

من قل خيرُهُ على أهله ، فلا ترجُ خيرَه .

قتل أرضا عالِمُها ، وقتلت أرضٌ جاهِلَها .

الإكثارُ من الملامة يولّدُ القَطيعة .

صاحبُ الزّلل موكَلٌ به الندم .

الشجاعةُ لمن كانت له الدّولة .

لا تُرْسل الكسلانَ فى حاجتك فيتكاهنَ عليك .

عناء فى غير منفعة خسارةٌ حاضرة .

من ألحّ فى المسألة على غير اللهِ ، استحقّ الحرمان .

صحبةُ الفاسق شَيْن ، وصحبة الفاضل زَيْن .

من أكثر الكلام على المائدة غشّ[(١)] بطنه ، واستثقله إخوانه .

الكريمُ يُواسى إخوانَهُ فى دَوْلته .

من حفظ سرّه ركب أمْرَه .

من جرَى فى ميدان أمَلِه ، عثر فى عنان أَجله .

من أحبّك نهَاكَ ، ومَنْ أبغضَكَ أغراكَ .

---

(١) فى ا : غبن .

من لم تَقْدِر على مكافأته ، فانْصَح له .

من لم يصبرْ على البَلاء ، لم يَرْضَ بالقضاء .

من استهوَته الخمرُ والنساء ، أسْرع إليه البَلاء .

إذا احترَق الفُؤَاد ، ذهب الرُّقاد .

من تسلّط على النّاس بغير سُلْطان ، لم يسلَم من الهوان .

الغريبُ النّاصح خيرٌ من القريب الغاشّ .

من نسىَ إخوانه فى الولاية ، أسْلموه فى العَزْل[٢] والشدة .

من لم يُنِلكَ البرَّ فى حياته ، لم تبكِ عيناك على وفاته .

من لم يقنعْ برزقه ، عذّب نفسَه .

من اجترأ على السّلطان ، تعرّض للهوان .

إذا لم يُواتك البازىُ فى صيده ، فانتفْ ريشَه .

الهمُّ ظُلمة جَلاؤها الفرَج .

فقدُ الصبر ، أعظمُ مصائب الدهر .

ساعاتُ السرور جالبةٌ للمحذور .

---

(١) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة .

(٢) ا : العزلة .

فكّر في المعاد ، تنس أمورَ العباد .

الصُّعودُ إلى السماء ، أيسر من صرف القضاء .

من مدحك بما لا يعلم منك جَهْرًا ، ذمك بما لا يعلم منك سرّا .

أمْسِك لسانك يسلم جَنَانُك .

الحُجة تدعو إلى المَذْهب الصحيح ، والشُّبْهَةُ تدعو إلى المذهب الفاسد .

إنْ قَدَرْتَ ألّا تُسْمِعَ أذنكَ سركَ فافعل ؛ فإن الدَّهر إذا عرف لذة كدَّرها .

لقاء الأحبّة مَسْلاة للهموم .

حُسْن التدبير مع الكَفَاف ، خيرٌ من التبذير مع الإيسار .

أشدُّ الأشياء تأييداً للعقل مُشاورة العلماء ، والأناة في الأمور ، والاعتبار بالتجارب . وأشدُّها إضراراً بالعقل الاستبداد والتهاوُن والعجلة .

أصعبُ من السُّلوّ التذلُّلُ للعدُوّ .

قليلٌ مُهَنًّ ، خيرٌ من كثير مُكَدّر .

كلب شاكر(١) ، خيرٌ من صاحبٍ غادر .

روضةُ العلم أزينُ من روضة الرّياحين .

الكتابُ مفيدُ علمِ من سَلف ، باقٍ لمن خلف .

---

(١) في ج : ساحر .

القلمُ[١] لسان الغائب .

ربَّ خيرٍ جديد ألذُّ من مالٍ عتيد .

السّلام وحُسن البِشْر ، ربَّما زرعا المودّة[٢] فى القلوب .

الحسودُ مغتاظٌ[٣] على من لا ذنب له عنده .

المرأةُ العفيفةُ الجميلة المواتية جنّةُ الدنيا .

موتُ الولد العاق والزوجة المهارِشَة نعمةٌ سابغة .

فى الوجوه تظهر المودّات .

القلوبُ تجازى ، وبضميرك تستدل .

من الآفات كثرةُ الالتفات .

ومن كلام[٤] أكثم بن صيفى :

مع كل حَبرة عبرة ، مع كلٍّ فَرْحَة تَرْحة .

(٥ لا جماعَة لمن اختُلف عليه .

الانقباضُ عن الناس مكسبة للعداوة ، والافراط فى الأنس مكسبة لقرناء السُّوء .

رب عجلة تعقب ريثاً ٥) .

---

(١) حـ : العلم

(٢) ا : المروءة .

(٣) جـ : معتاض .

(٤) ا : قال .

(٥) ساقط من جـ .

(١ العجز والتوانى سبب الفاقة ١) .

من مأمنه يُؤْتَى الحَذِر .

اسع بجَدٍّ أو فَذَر .

جَدُّكَ لا كَدُّكَ .

ستساقُ إلى ما أنت لاق .

من جهل شيئاً عَادَاهُ ، ومن أحبّ شيئاً استعبده .

ويلَ عالم من امرئ جَاهل(٢) .

إنْ قدرت أن تُرِى عدوَّك أنك صديقَه فافعل .

كم بين روعة الفراق ، وفرح التّلاق .

من أشدّ العذاب فرقةُ الأحباب .

احذر من وتَرْتَه وإن أحْسَنت إليه .

سُوقىّ نَفيس ، خير من قُرَشىّ خسيس(٣) .

العقلُ كالزُّجاج إن يُصْدَع لم يُرقع .

---

(١) ساقط من حـ .

(٢) ا : ويل عالم أمر من جاهله

(٣) فى ا : رب سوء فى خسيس أو فى قرشى نفيس .

موتٌ مريح خيرٌ من فقرٍ صريح[١] .

خيرُ القريض والكلام ما إذا فرغ منشدُه وقائله ، أحبّ إعادتَهُ سامعُه .

إذا لم تُقْبل الحُجةُ منك فالسكوتُ أولى بك .

من وعَظَه اليسير استغنى عن الكثير .

إذا جاء القدرُ عَمِيَ البصر .

إذا جاء الحَيْنُ غطّى العَين .

إن غُلِبْتَ على القول لم تُغْلب على السّكوت .

فى الإنصاف للعلماء زيادة ، وفى الإنصاف للجُهَّالِ سلامة .

من نظرَ أبْصَر ، ومن فكّر اعتبر .

العيالُ سُوسُ المال .

حسبك من المال ما نفَعك ، ومن الدِّينِ ما وَرَّعَك

لا ينطقُ لسانُك إلّا على ما يتسعُ به بنانُك .

من حكم فليَعْدِل ، ومن قضى فليفصِل .

إذا صَدَقَ العِيانُ لم يُحتَج إلى برهان .

(١) ا : مليح .

إذا خانَ(١) البرهانُ فزعت إلى العيان .

شفاء الصدور في التسليم للمقدور .

شدةُ الحاجةِ ربّما بعثت الحِيلة(٢) .

وَيحَ ابن آدم كيف ينهى ولا يَرْعوى ، أم كيف يأمر ولا ينتهى .

الكذبُ عار وربّما نفع .

الحَلِف لُؤْم ، وربّما افتُقِر إليه .

العذرُ قبيح ، وربما حَسُن .

البخلُ مذموم وربما حُمِد .

لا شيء تراه(٣) العينُ أحلى من اجتماع إِلْفَيْن .

(٤) حفظك ما فى يدك خير من طلبك ما فى يد غيرك .

من التوانى ما يكون سبباً للحرمان .

من حلم ساد ، ومن تعلم ازداد (٤) .

العَجَبُ من ورثةِ الموتى ، كيفَ لا يزهدُون فى الدّنيا ؟ !

---

(١) ا : كان .
(٢) ا : على الحيلة .
(٣) ا : تقر به .
(٤) ساقط من ح .

من أيقنَ بالأجر(١) ، رغب فى الصَّبر .

الإفراطُ فى العتاب ، يدعو إلى الاجْتِنَاب(٢) .

من نَمَّ عندك ، نَمَّ بك .

من سعَى إليك سَعَى عليك .

ربّ أخ لك لم تجمعْك به وِلَادَة .

لا يرتفعُ الرجلُ فوق قدره إلّا لِذُلٍّ يجدُه فى نفسه .

مدحُ الغائب تعريضٌ بالحاضر .

(٣) أخّر الشر إذا شئت تعجيله .

ما أحق من غدر بألّا يوفَى له .

الحق أبلج ، والباطل لَجْلَج ٣) .

الخطُّ صورةٌ فأحسنُها أبْيَنُها .

ذمُّ الانسانِ لنفسِه فى الملاء ، مَدْحٌ منه لها فى الخَلاء .

بطنٌ جائعٌ خيرٌ من ظلم شائع(٤)

---

(١) فى ا بالآخرة .
(٢) ا : بعد الاجتناب .
(٣) ساقط من ح . و للجلج المردد .
(٤ ا : متتابع .

الثقيلُ عذابٌ وَبيل .

ربَّ بِرّة ظاهرة ، تحتها خَلّةٌ باطنة(١) .

عِلْمُ الرجل ، ابنُه الباقى بعده .

من عالَته امرأة ، لم يفقد ذُلًّا .

شهودُ الزُّور كلابُ القبور .

العيانُ رائدُ الاسْتحسان .

الاشتياقُ يَذْهَبُ بالعناق .

ليس بالتَّحَفّظ (٢) فى الأمور يُسْلَم من المَقْدور .

من تردَّى بثوب السَّخاء غاب عن الناس عيبُه .

من يفرغ للشرّ يطلبُه ، أُتيح له مَنْ يَغلبه .

(٣ من أمّل أحداً هابَهُ ٣) ، ومن لم يُدرك الشىء عابه .

لا يضرُّ السَّحابُ نباحُ الكلاب .

قال حسَّان :

ما أبالى أَنَبَّ بالحَزْن تيسٌ أمْ لَحانِى بظهرِ غَيْبٍ لَئِيمُ(٤)

---

(١) فى حـ : باطلة ، والخلة بالفتح الحاجة والفقر

(٢) ساقطة من ا . (٣) ساقط من ا .

(٤) نب : صاح للهياج ، وقد سبق البيت فى المجلد الأول .

وقال الأخطل :

ما ضرَّ تغلِبَ وائلٍ أهجوتَها ... أمْ بُلْتَ حيثُ تناطَح البَحْرَانِ[(١)]

وقال آخر :

ما يضرُّ البحرَ أمسىَ زَاخِرًا ... أنْ رَمَى فيه غلامٌ بحَجَرْ[(٢)]

قال جرير :

زَعَم الفَرَزْدَقُ أن سيقتل مَرْبَعًا ... أبشر بطول سلامة يا مَرْبَعُ[(٣)]

وقال آخر :

تُهَدِّدُنِى لتقتلَنِى نُميرٌ ... مَتَى قتلَتْ نُميرٌ من هَجاَهاَ[(٤)]

---

(١) البيت فى الحقيقة للفرزدق يخاطب جريرا دفاعاً عن الأخطل ، انظره فى ديوانه ١٦٧ ، وانظره للفرزدق أيضا فى الحيوان ١/١٣ ، البيان ٣/٢١٦ ، عيون الأخبار ٢/٦٥.

(٢) البيان ٣/٢١٦ .

(٣) ديوانه ١٩٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٥ .

(٤) نسب البيت فى الحيوان ١/٣٦٤ ، البيان والتبيين لأبى الردينى العكلى ، وفى محاضرات الأدباء ٢/٦٥ أنه لمقاتل بن مسمع ، وقد أتاه عباد بن الحصين وقال له : لولا شيء لأخذت رأسك ، فقال : أجل ذاك الشيء هو سيفى ، ثم قال البيت .

بابٌ من نوادر الفلاسفة مُخْتَصرة

قيل لأرسطوطاليس : ما الفلسفة ؟ قال : فَقْرٌ وصَبْر ، وعَفَاف وكفَاف ، وهِمّةٌ وفِكْرة .

قيل لسُقْراط : بِمَ فضلتَ أهل زمانك ؟ قال : لأن غرضى فى الأكل لأحيا ، وغرضهم فى الحياة أن يأكلوا .

قيل لسُقراط : ما أتعبَ فلانًا بخضاب لحيته ؟ فقال : لخوف المطالبةِ بالحكمة ، ولا تُطْلب إلّا من المشايخ .

قال بُقراط : أعظمُ[١] آفة الحيوانِ الصّامت من صمته ، وأعظمُ[١] آفة الحيوان الناطق من نطقه .

قيل لجالينوس : بِمَ فُقت أصحابك فى علم الطّب ؟ فقال : لأنى أنفقت فى زيت السراج لدرس الكتب مثلَ ما أنفقوا فى شُرْب الخمر .

كتب فيلسوفٌ إلى طبيب : صناعتى أقربُ الصناعات من صناعتك ؛ لأنّك تصلحُ الأبدان وأنا أُصْلِح النفوس .

قيل لفيلسوف : أين بَلَغتْ بك الحكمة ؟ قال : إلى الوقوف على القُصور عنها .

---

(١) فى ا : عظم .

قال أنوشَرْوان لبزرجمهر: من أدّبك ؟ قال : قريحتي، نظرتُ إلى ما استحسنتُ من غيري فاستعملته ، وما استقبحته اجتنبتُه ، ولقد تفقدتُ من كلّ شيء محاسنَه ، فأخذتُ من الخنزير قناعَتَه ، ومن الكلب محافظته ، ومن القِرْد مساعدتَه ، ومن الحمار صبرَه ، ومن الغراب بكُوره ، ومن السِّنّوْر لطافةَ المسألة عند الخوان .

قيل لرجل من الحكماء : لمن أنت أرحم ؟ قال : لعالمٍ جاز عليه حكمُ جاهل .

وقيل له : متى يكونُ البليغ عَيِيّا ، والعيُّ بليغًا ؟ فقال : إذا وصف حبيباً ، وإذا احتج البليغ على محبوب .

قيل للإسكندر : رأيناك تعظِّم معلّمَك ، أكثرَ من تعظيمك لأبيك ؟ فقال : لأنّ أبي سبب موتي ، ومعلّمي سبب حياتي .

نظر حكيمٌ إلى قوم يرمُون ولا يصيبون ويسبُّون الرَّمْي ، فجلس في الهدف إلى الغَرَض ، فقيل له : جلستَ هناك ! قال : لأنّي لم أرَ موضعا أوقى من هذا .

قيل لبعض الحكماء : متى أثّرتْ فيك الحكمة ؟ قال مُذْ بدا لي عيبُ نفسي .

رأى أفلاطون رجلاً معجبا بنفسه [1] ، فقال : وددتُ أن أعدائي مثلك في الحقيقة ، وأنا مثلك في ظنّك .

كان رجلٌ مصوّرا فترك التَّصوير وتطبّب ، فقيل له في ذلك ، فقال : الخطأ في التصوير تدركه العيون ، وخطأ الطبيب تُواريه القبور .

---

(١) ساقطة من ا .

سَعَى إلى الإسكندر بعضُ رجاله برجل من أصحابه فقال له : أتحبّ أن أقبل قولَك فيه ، على أن أقبلَ قوله فيك ؟ قال : لا . قال : فكفّ إذاً عن الشر ليكفّ الشرُّ عنك .

قال الإسكندرُ لجلسائه : ينبغى للرجل أن يستحيَ من أن يأتىَ قبيحًا فى منزله من أهله ؛ وفى غير منزله ممَّن يلقاه .

أتى الإسكندرَ يومًا جاسوسٌ يخبره عن عسكر دَارَا الفارسىّ ، وأخبره أنّ فيه خلقًا كثيرًا ، فقال له : إنّ الذئبَ وإن كان واحدًا[1] لا تهوله كثرةُ الغنم .

كان فى أصحاب الإسكندر رجل يسمى الإسكندر[2] لا يزال ينهزمُ فى الحرب ، فقال له : إمّا غيّرت اسمك ، وإما غيّرت فعلَك .

قيل للإسكندر : قد بسط اللهُ لك فى المُلْك ، فأكثر من النّساء ليكثرَ ولدُك ونسلُك ، فقال لا يصحّ لمن غلب الرجال أن تغلب عليه النساء .

سأل الإسكندرَ رَجلان من خاصّته أن يحكم بينهما ، فقال : الحُكمُ يُرْضِى أحدكما ويُسخِطُ الآخر ، فاستعملا الحقَّ ليرضيكما جميعا .

وقال له أصحابُه : قد بسط الله ملكَك وعظّم سلطانَك ، فبأىّ الأشياء أنت أسرّ : بما نلت من أعدائك ، أم بما بلغت من سلطانك ؟ قال : كلاهما يسير ، وأعظمُ ما أُسرُّ به ما سننتُ فى الرعية من السُّنن الجميلة والشرائع الحسنة .

---

(١) ا : وحدانيا .　　　(٢) ى ح . سكندر .

قال الإسكندرُ : ينبغى للرجل إذا صافى مصافيًا أن يتوقّى مباشرته[١] ، ولا يسترسل إليه فيما يشينُه .

قال بعض الحكماء لتلاميذه : استعملوا الكَذِبَ عند الضرورة كما تستعملون الدّواء .

ولما ماتَ الاسكندرُ قال نادِبُه : حرّكنا الإسكندرُ بسُكُونه .

أخذه أبو العتاهية فقال :

يا علىَّ بنَ ثابتٍ بانَ منّى صاحبٌ جَلَّ فقدُهُ يوم بِنْتَا
قد لَعَمْرِى حكيت لى غُصَصَ المَوْ ت وحركتنى لها وسَكَنْتَا[٢]

قال المُوبذ يوم مات قباذ : كان الملك أمسِ أنطقَ منه اليوم ، وهو اليومُ أوعظُ منه أمْس .

أخذ أبو العتاهية هذا المعني ، فقال :

وكانَتْ فى حياتِك لى عِظَاتٌ وأنت اليوم أوْعظُ منك حَيّا[٣]

يقال : إن الإسكندر مات وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة ، هذا قول الفُرْس (٤ ومنهم من يقول : كان عمره ثلاثًا وثلاثين سنة ، وفى قول الفرس) ٤) : إنه ملك

---

(١) ا : مفاسدته .
(٢) البيتان فى ديوانه ٣٥٠ ، وفى حـ : جرعتنى بدل حكيت لى .
(٣) البيت فى ديوان أبى العتاهية ٣٥١ ، وهو أيضا فى ديوان أبى نواس ١٩٤ .
(٤) ساقط من حـ ، ا ، وانظر فى مدة حكم الإسكندر ووفاته تاريخ الطبرى ٢/ ١٠ .

أربع عشرة سنة . وأن قَتْلَهُ لدارا كان فى السنة الثالثة من ملكه ، وزعم الروم أنّ ملكه كان ثلاثاً وعشرين سنة وأنه مات وعمره ثلاث وأربعون سنة وهم أعلم به ، وزعموا أنه مات بشَهْرَزُور(١) ، وأنه حمل إلى الإسكندرية ودفن بها ، وأقامت عليه النوائحُ شهورا . وقيل : بل مات بالإسكندرية .

قال بعض الحكماء : لا تغترّن بحسن الكلام وطيبه إذا كان الغَرَضُ المقصودُ منه ضارًّا ؛ فإن الذين يخدعون النّاس إنما يخلطون السم بالحلو من الأطعمة والأَشربة ، ولا يَصْعُبَنَّ عليك الكلامُ الغليظ ، إذا كان الغَرض المقصود إليه نافعاً ؛ فإن أكثر الأَدوية الجالبة للصحّة مُرَّةٌ مستَبْشَعة .

قيل لبعض الحكماء : أىُّ شىء أنفعُ الأَشياء ؟ قال : الاعْتدال . قيل : وما الاعتدال ؟ قال : هو الشىء الذى الزيادة فيه والنقص منه ضرر .

يُروى أن المسيحَ عليه السلام قال : أمرٌ لا تعلم متى يَغْشاك ، ينبغى أن تستعد له قبل أن يفجأَك .

---

(١) كورة واسعة فى الجبال بين إربل وهمذان ، معجم البلدان ٣/٣٧٥ .

باب الرّياء

جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال : إنّى أُحِبُّ الجهادَ فى سبيل الله ، وأحبُّ أن يُرى مكانى وموضعى ، وإنّى أتصدق وأعمل العملَ وأحبّ أن يراه النّاس . فأنزل اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١) .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من راءى بعمله ، راءى الله به ، ومن سمّع بعمله سمّع الله به بين خلقِه وحقَّرَه وصغّرَه »

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجلّ : أنا أغْنى الشّركاء عن الشِّرك ، فمن عمل لى عملا أشْرَك فيه غيْرى فهو إلى غيرى ، ليس لى منه شىء ، وأنا منه برىء » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشّركُ الأصغر ، قالوا : وما الشركُ الأصغر ؟ قال : الرِّياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة ، يوم يُجازى الناسُ بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون فيهم خيرًا » .

وروى فى الحديث المرفوع : « الشرك أخفى فى أمّتى من دبيب النّمل » .

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .

روى الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير[١] ، قال : إنّ المَلَك ليصعد بعمل العبد مستفْتحًا[٢] به ، حتى إذا انتهى إلى ربّه قال : اجعلوه فى سجّين ، إنى لم أُرِدْ بهذا . قال الأوزاعى : فما ظنُّك بما قد خَفِى عن المَلَك .

ورُوِى عن النبى عليه السلام أنه قال : «أخْوَفُ ما أخافُ عليكم الرِّياء ، والشهوة الخفية ، حبُّك أن تُحمَدَ بما لم تَفْعل» وقيل : بما عملتَ من الخير . والأول أجود . لأنه قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل : يا رسول الله ! إنى أعمل العمل أريد به وجه الله ، ثم يبلغنى أن النّاس يتحدّثون به فيسرّنى . قال : «ذلك عَاجل بشرى المؤمن» .

قال الشاعر[٣] :

إذا ما خلوتَ الدّهرَ يوماً فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قُلْ علىَّ رقيبُ
ولا تحسَبَنَّ الله يَغفُلُ ساعةً ... ولا أنّ ما تُخْفِيه عَنْه يَغيبُ[٤]
لَهَوْنَا عن الأعمالِ حتّى تتابَعَتْ ... علينا ذنوبٌ بعدهُنَّ ذنوبُ

---

(١) هو يحيى بن صالح (أبى كثير) الطائى بالولاء ، اليمامى ، عالم أهل اليمامة فى عصره ، من ثقات رجال الحديث ، وقد رجحه بعضهم على الزهرى ، توفى سنة ١٢٩هـ . انظر تهذيب التهذيب ١١/٢٦٨ (الأعلام ٩/١٨٦) .

(٢) ح : مسبحا .

(٣) وردت الأبيات التالية فى ديوان أبى العتاهية ١٤ ، ١٥ ، ووردت أيضا فى ديوان أبى نواس ٢٠١ ، ونسبت فى حماسة البحترى ٣٦١ إلى صالح بن عبد القدوس ، ونسبها فى معجم الأدباء ٥/١٢٩ لبعض بنى أسد .

(٤) فى معجم الأدباء : ولا تحسبن الله يغفل ما يرى ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

فيا ليت أن الله يغفرُ ما مَضَى ... ويأذنُ لى فى توبةٍ فأتوبُ[١]

وقال آخر :

كم من مُصَــلٍّ لا يُطيـ ... ـلُ صلاتَهُ لسوَى الطَّمَعْ
متلهِّيًا إمَّا خَــلَا ... وإذا بَصُرْتَ به رَكَعْ
يَدْعو وجُــلُّ دعائِه : ... ما للفريسةِ لا تَقَعْ[٢]

وَقال الغزّال :

ومُراءٍ أخَــذَ النّا ... سَ بسَمْتٍ وقُطُوبِ
وخُشوعٍ يُشْبه السُّقْـ ... ـمَ وضَعْفٍ فى الدَّبيبِ
قلتُ : هل تألم شيئًا ... قال أثقالَ الذنوبِ
قلت : لا تُعْنَ بشىءٍ ... أنت فى قالَبِ ذِيبِ
إنما تنبى عن الوثـ ... ـبة فى حال الوثوبِ
ليس من يخفى عَلَيْهِ ... منك هَذَا بلَبِيب

قال محمود الوراق :

أيُّها المغرورُ مَهْلًا ... فلقد أُوتيت جَهْلَا

---

(١) فى ديوان أبى نواس : فيأذن فى توباتنا فنتوب .

(٢) محاضرات الأدباء ٢/١٨٠ وفيها : يبكى وجل بكائه .

كم إلى كَمْ تحسن القَوْ لَ ولَا تُحْسِنُ فعْلَا
ظاهرُ يجمل والباطن لا يَخْفَى عَلَى رَبِّكَ كلاَّ

وقال محمود الوراق :

تَصَنَّعَ كى يُقَالَ له أمينٌ وما يغنى التَّصَنُّع للأَمَانهْ
ولم يُرِدِ الإِلٰهَ به ولكنْ أرادَ به الطَّريقَ إلى الخيانهْ

باب فى الشيب ومدحه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من شابَ شيبةً فى الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة » .

قال جعفرُ الخوَّاص : رأيت يحيى بن أكثم فى النّوم ، فقلتُ ما فعل الله بك ؟ قال : أوقفنى بين يديه فسألنى وناقشنى ، وقال : يا شيخ السُّوء ! لولا شيبتُك لأدخلتُك النار — ردّدها ثلاثًا — فقلت : يا ربّ ! ما هكذا حدّثنى عبد الرزّاق عن مَعْمر ، عن الزّهْرى عن أنس ، عن نبيّك ، عن جبريلَ ، عَنْك . قال : وما هو ؟ قلت : حدّث أنه من شاب شيبةً فى الإسلام لم تُحْرقه بالنارِ » ، فقال الله عزّ وجل : صَدَق عبد الرزّاق ، وصَدَق معمر ، وصدق الزُّهرى ، وصدق أنس ، وصدق نبيّ ، وصدق جبريل . انطلقوا به إلى الجنة .

وقال أبو موسى الزَّمِن : رأيتُ أبا الوليد الطَّيالِسى فى النوم فقلت : يا أبا الوليد ، أليس قد مُتَّ ؟ قال : بلى . قلتُ : فما فعل الله بك . قال : غَفَر لى ورحمنى وطيبنى بيده ، وقال : هكذا أفعلُ بأبناء الخمسين والسبعين .

وممن مدحَ الشَّيبَ من الشُّعَراء الفرزدق ، حيث يقول :

تَفَارِيقُ شيبٍ فى السَّوَادِ لوامعٌ   وما خيرُ ليلٍ ليس فيه نجُومُ[1]

---

(١) البيت فى ديوانه ٥٢٤ .

وقال أبو هِفّان :

تعجبتْ هِنْدُ من شَيْبي فقلتُ لَهَا ... لا تعجبي فبياض الصبح في السَّدَفِ

وزادها عجبًا أن رُحْتُ في سَمَلٍ ... وما دَرَتْ هندُ أن الدُّرَّ في الصَّدَفِ[(١)]

وقال دِعْبِل :

أهلاً وسهلا بالمشيب فإنّهُ ... سِمَةُ العَفيفِ وحليةُ المُتَحرّج

وكأنَّ شَيْبي نظمُ دُرٍّ زاهرٍ ... في تاج ذِي مُلْكٍ أغرَّ متوّجِ[(٢)]

وقال أيضًا :

أحبُّ الشيبَ لما قيل ضيفٌ ... لحبِّي للضُّيُوف النَّازِلينَا[(٣)]

لمحمّد بن عبد الملكِ الزيات :

وعائبٍ عابنِي بشيبِي ... لم يَعْدُ لمّا أَلَمَّ وَقْتَهْ

فقلتُ إذ عابني بشيبي ... يا عائبَ الشَّيْبِ لا بلغتَهْ[(٤)]

وقال آخر :

لا يَرُعْكِ المشيبُ يابنة عبد اللّه فالشّيْبُ جِلّةٌ ووَقَارُ

(١) البيتان في ديوانه ٨٤ ، أمالي القالي ١/١١١ ، المحاسن والأضداد ١/٥٩٩ ، وفيهما : در بدل هند . والسدف : اختلاط الظلمة بالضوء .

(٢) البيتان في أمالي القالي ١/١٠٠ ، محاضرات الأدباء ٢/١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) ديوانه ١٩٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٨٤ .

(٤) نسب البيتان للزيات في خاص الخاص ٩٩ ، معجم الشعراء ٤٢٥ ، ونسبا لمحمود الوراق في العقد الفريد ٣/٥٣ ، ٥/٣٣٧ ، ونسبا لأبي بكر محمد بن السري السراج النحوي في أمالي القالي ١/١١٠ .

إنّما تحسُنُ الرّياضُ إذا ما ضَحِكَتْ فى خلالها الأنْوارُ(١)

ولأبى الفتح البُسْتِىّ :

ما استقامتْ قَنَاةُ رأيِىَ إلّا بعد ما عوَّج المشيبُ قنَاتِى(٢)

ولدِعبل بن علىّ :

تعجبتْ أنْ رأتْ شيبى فقلتُ لَهَا : لا تعجبى من يَطل عُمْرٌ به يَشِبِ

شيبُ الرّجالِ لهم زَيْنٌ وتكْرِمةٌ وشيبكنّ لَكُنَّ الويل فاكتئبى

فينا لكُنّ وإن شَيْبٌ بدا أرَبٌ وليس فيكنّ بعد الشّيْب من أرَبِ(٣)

وقال أبو الحسن علىّ بن محمد السهواجى ، وسهواج بلدةٌ من أعمال مصر :

ومما زادَ فى طول اكتئابِى طلائعُ شيبتينِ ألمتَا بِى(٤)

فأما شَيْبةٌ ففزعْتُ منها إلى المقراض من حُبّ التصابى

وأمّا أختُها فكففتُ عنها لتشهدَ بالبَرَاء من الخِضَابِ

فيا عجبًا لذلك من مَشِيبٍ(٥) أقمتُ به الدَّليلَ على الشبابِ

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « أعمارُ أمتى

---

(١) البيتان فى أمالى القالى ١/١١٢ ، المحاسن والأضداد ١/٦٠٢ .

(٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٢٧ ، يتيمة الدهر ٤/٣٢٩ ، وفيهما : قوس بدل عوج ، وانظر زهر الآداب ١/٤١٥ .

(٣) لا توجد الأبيات فى ديوانه .

(٤) الأبيات فى زهر الآداب ٣/٥٣ منسوبة لكشاجم ، ونسبت فى وفيات الأعيان ٢/٥٣ لأبى عبد الله الإسكندرانى معلم الإخوة .

(٥) فى زهر الآداب : فأعجب بالدليل على مشيبى .

ما بين الستين والسبعين ، وأقلهم من تجاوز ذلك » . قال أبو هريرة : وأنا من أقلّهم ، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو .

ومن حديث جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : « من تعظيمِ خلالِ الله إكرامُ ذى الشيبةِ المُسلم » .

رأى إياس بن قتَادَةَ شعرةً بيضاء فى لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبنى ، وأرانى لا أفوتُه ، أعوذ بك يا ربّ من فجأة الموت . يا بَنِى سعد ! قد وهبتُ لكم شبابى فهبوا لى شَيْبى .

ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « خيرُ شبابكم من تشبّه بكهولكم ، وشَرُّ كهولكم من تشبّه بشبابكم » . من حديث أنس .

ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن اللهَ عزَّ وجل ليكْرِمُ أبناءَ السبعين ويستحيي من أبناء الثمانين أن يعذّبهم » .

بابٌ في خضاب الشّيب ونَتْفه

قال محمود الوراق :

إذا ما الشّيْبُ جارَ على الشّباب ... فعاجِلْه وغالطْ في الحِسابِ

وقل لا مرحبًا بِكَ من نزيلٍ ... وعَذِّبْهُ بأنواعِ العَذابِ

بنَتْفٍ أو بقصّ كلّ يومٍ ... وأحيانًا بمكروه الخِضابِ

فإن هو لم يَجُزْ وأتى لوقتِه ... فقلْ في رُحْب دار واقترابِ

ولا تَعْرِضْ له إلّا بخيرٍ ... وإن عدّى على شرخ الشبابِ

وخُذْ للشيب أُهبتَه وبادرْ ... وخلّ عنانَ رحْلك للذّهابِ

فقد جدّ الرحيلُ وأنت ممن ... يسيرُ على مقدّمة الرّكابِ[1]

وقال محمود الوراق :

وذي حيلةٍ في الشيب ظلّ يحوطُهُ ... فيَخْضِبُه طورًا وطورًا يُنتّفُ

وما لطفت للشيبِ حيلةُ عالمٍ ... عَلَى الدّهر إلّا حيلةُ الشيب ألطفُ[2]

وقال محمود أيضاً[3] :

اشتعل الشيب فأفنيتُه ... وكلّ مِقْراضي فأعتَقْتُه[4]

---

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ٢/١٥١ .

(٢) عيون الأخبار ٢/٩٦ .

(٣) وردت الأبيات منسوبة لأبي دلف في محاضرات الأدباء ٢/١٤٢ .

(٤) ا : أعفيته .

كنتُ إذَا استقصيتُ قصّ لَهُ[١] وقلتُ في نفسيَ أفنيتـــــه
عارضني من جانبٍ آخَـــــرِ كأنّني قد كنتُ زمّلتُه[٢]
الشيبُ ما لبست له حيـلةٌ أعيــــانيَ الشيبُ نخلّيتُـهُ

وله أيضاً :

يا خاضِبَ الشيبةِ نُحْ فتمدَهَا فإنما تُدْرِجُهـــــا في كَفَنْ
أمَا تراها منـــــذُ عاينتَها تَزيدُ في الرأس بنقص البَدَنْ[٣]

أنشدني بعض شيوخي لابن محاسِنَ في الخضاب :

يا مَنْ يغيّرُ شـــيبَه بخضابِهِ ليكونَ عند الغانيات وجيهاَ
هبك المشيبَ أحلته عن حاله فغضُونَ وجهك كيف تصنع فيها
هيهاتَ توهمهـــا بأنك تِربُها فإذا خلت بك كنت صِنْوَ أبيها

ولمنصور الفقيه :

هبني سترتُ مَشيبي تَسَـــتّرًا عن حَبيبي
فهـــل أرُوح وأغْدو إلّا بوجهِ مريبِ

---

(١) في المحاضرات : كلما عالجت قصا له .

(٢) في المحاضرات : طلعني من طرفي طالع كأنني بالأمس ربيته .

(٣) الـكامل ١/٣٤٣ .

وقال آخر :

صبغت الرأسَ ختلاً للغواني كما غطَّى على الرَّيْب المُريبُ
أعلَّلَ مرَّةً وأُسَاءُ أخرى ولا تخفى على الكِبَر العُيُوبُ
يقوّمُ بالثقافِ العودُ لَدْناً ولا يتقوّمُ العودُ الصَّلِيبُ[1]

وقال آخر :

فما مِنْكَ الشبابُ ولستَ منهُ إذا سألَتْكَ لحيتُك الخِضَابَا[2]

ولابن المعتز :

ماذا تريدين من جهلى وقد سَلَفَتْ سِنُو شبابى وهذا الشَّيب قد وخَطَا
أرُوح للشعرةِ البيضاء ملتقطاً فيصبحُ الشيبُ للسَّوداء مُلْتَقِطاً[3]

وقد مدح ابن المعتز الخضابَ فقال :

وقالوا : النُّصولُ[4] مشيبٌ جديدُ فقلتُ : الخضابُ شبابٌ جديدُ
إساءةُ هَـذا بإحسانِ ذا فإنْ عاد هذا فهـذا يعودُ[5]

---

(١) نسبت الأبيات فى الكامل ١/٣٤٢ ليزيد المهلبى .
(٢) البيت لمقروم بن رابضة الكلبى ، حماسة البحترى ٣١٧ .
(٣) ديوانه ١/٥٤ ، وفى ا : مخطا بدل وخطا .
(٤) النصول : خروج اللحية أو الشعر من الخضاب .
(٥) ديوانه ١/٢٦ .

ولمحمود الوراق :

أتفرحُ أن ترى حُسْن الخِضاَبِ وقد وارَيْتَ بعضَك فى التُّرابِ
ألم تعلمْ وفَرْطُ الجهـــل أوْلَى بمثلك — أنّه كفنُ الشبابِ
لقد ألزمت لِهْزِمَتَيْك[1] هونًا وذُلاًّ لم يكن لكَ فى الحِساَبِ
أحين رَمَى سوادَ الرأسِ شيبٌ فغيّره فَزِعتَ إلى الخِضاَبِ
فـكنتَ كمن أطلّ على عَذَابٍ ففرّ من العذابِ إلى العذابِ
تَهَىَّ لنقـــــلة لابدّ منها فقد أثبتّ رجلك فى الركاب

وقال آخر :

يا أيُّها الرجلُ المسوِّدُ شيْبَهُ كيماَ يُعَدَّ به من الشُّبانِ
أقْصِرْ فلو سَوَّدْتَ كلَّ حمامةٍ بيضاء ما عُدّت من الغِرْبانِ[2]

وقال ابن الرومى :

رأيتُ خضابَ المرءِ عند مَشِيبِه حِدادًا على شَرْخ الشبيبة يُلْبَسَ
وإلّا فما يُغْنِى الفتى من خِضَابه أَيطمع أن يَخْفَى شبابٌ مُدَلَّسُ

(١) اللهزمة : الناصية من الشعر خالط سوادها الشيب .
(٢) البيتان فى أمالى القالى ٢/٢٨١ ، محاضرات الأدباء ٢/١٥١ .

فـكيف بأنْ يخفَى المشيبُ لخاضب   وكل ثلاثٍ صبحُهُ يتنفسُ
وهبهُ يوارِى شيبَه أين ماؤُهُ   وأين أديمٌ للشبيبةِ أملَسُ(١)

وقال محمود الوراق :

طويتَ عُوَارَ الشيبِ من فَرْطِ قبْحِهِ   بأقبحَ منـه فافتضحتَ وما انطَوَى
وأصبحتَ مُرْتادًا لنفسك ضَـــلَّةً   وقبلَك ما أعيا الفلاســـفةُ الأُلَى

وله أيضاً ، ويروى لغيره :

يا خاضبَ الشيبِ الّذى   فى كلِّ ثالثـــةٍ يَعودْ
إنَّ النُّصُولَ إذا بَدَا   فـكأنّه شيبٌ جـديدْ
هَذِى بديهـــةُ رَوْعةٍ   مكروهها أبدًا عتيدْ
فدع المشيبَ لمـــا أرا   دَ فلن يعودَ كَما تريدْ(٢)

كان عقبةُ بن عامر(٣) صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالسواد ، ويتمثل :

---

(١) ديوانه ٣١ .

(٢) الأبيات فى التمثيل والمحاضرة ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، الـكامل ١/٣٤٣ ، عيون الأخبار ٤/٥٢ ، محاضرات الأدباء ٢/١٥٠ . وفى الـكامل : لوعة بدل روعة .

(٣) عقبة بن عامر بن قيس بن مالك الجهنى ، أمير من الصحابة ، شهد صفين مع معاوية ، وحضر فتح مصر مع عمرو ، ووليها سنة ٤٤ هـ ثم عزل عنها سـنة ٤٧ وولى غزو البحر ، وكان شجاعا فقيها شاعرا من الرماة ، وهو أحد من جمع القرآن ، مات بمصر سنة ٥٨ . انظر الاصابة الترجمة ٥٦٠٣ (الأعلام ٥/٣٧) .

نُسَوِّد أَعْلاها وتأبى أصولها فيا ليت ما يَسْوَدّ منها هو الأصلُ[1]

وقال آخر :

نصولُ الشيبِ طوّقَنى بطوْق يلوحُ علىّ من تحت السّوادِ
إذا أبصـرتُه فـكأنّ وخزًا بأطرافِ الأسِنّة فى فُؤادِى

(١) ورد البيت منسوبا لسعد بن أبى وقاص فى عيون الأخبار ٤/٥١ وفيه : أسود بدل نسود .

بابٌ جامعٌ مختصر فى الشّيب والبكاء على فقدِ الشباب

قال منصورُ النَّمِرى :

ما واجَهَ الشّيبَ من عينٍ وإن ومِقَتْ إلّا لها نبوةٌ عنـه ومُرْتَدَعُ
أبْكِى شـبابًا سُلِبْناه وكان ومَا تُوفِى بقيمته الدُّنْيـا ولا تَسَعُ
قد كدتَ تقضِى على فوت الشَّباب أسًى لولا يُعَزّيك أن العَيْش مُنْقطِعُ
ما كدْت أوفى شبابِى كُنْهَ عِزّته حتى انقضى فإذا الدّنيـا له تَبَعُ[1]

قال المبرد : هذا من الشعر البديع فى معناه ، الذى ليس لأحد من المحدثين مثله ، وقد أخذه الباهلى[2] فى قوله :

اذهبْ إليك فما الدُّنيا بأجْمعها من الشباب بيومٍ واحدٍ بَدَلُ

قال الفرزدق :

وتقُولُ كيف يميلُ مثلُك للصِّبَا وعليك من سِمَة الكبير عِذَارُ
والشيْبُ ينهضُ فى الشّبابِ كأنّه ليلٌ يَصيحُ بجانبيـه نهارُ[3]

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ ، زهر الآداب ٣/٦٧ ، ٦٨ ، التمثيل والمحاضرة ٨٣ طبقات فحول الشعراء ٢٤٥ ، المحاسن والأضداد ١/٦٠٦ .

(٢) هو محمد بن أبى حازم الباهلى ، وانظر البيت فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ ، العقد الفريد ٣/٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٨٢ ، المحاسن والأضداد ١/٦٠٦ . ويروى : لا تكذبن بدل اذهب إليك .

(٣) ديوانه ٤٦٧ وفيه : ينهض فى السواد ، وهى كذلك فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٢ .

وقال الأخطل :

هل الشبابُ الذى قد فاتَ مَردُودُ أم هل دواءٌ يردّ الشيب موجودُ
لن يَرْجعَ الشيِّبُ شباناً ولن يجدوا عِدْلَ الشبابَ له ما أورق العُودُ[(١)]

وقال أيضاً :

لقد لبستُ لهـــذا الدّهرِ أعْصُرَهُ حتى تخالّل رأسى الشَّيبُ واشْتَمَلا
وبان منى شـــــبابى بعد لذَّتِهِ كأنما كان ضــيفا نازلا رَحَلا[(٢)]

وقال منصور الفقيه :

من شابَ قد مات وهو حَيٌّ يمشى على الأرض مَشْىَ هالِكْ
لو أنّ عمـــــرَ الفتى حسابٌ كان له شــيبُه فَذَلِكْ[(٣)]

وقال محمود الوراق :

منى السَّلام على الدُّنْيا وبهجتِهاَ فقد نَعاها إلىَّ الشَّيبُ والـكِبَرُ
لم يَبْقَ لى لذةٌ إلا التعجب من صَرْفِ الزمان وما يأتى به القَدَرُ
إحدى وسبعون لو مرّت على حجر لـكان من حكمه أن يُفْلَق الحجرُ[(٤)]

---

(١) ديوانه ١/٤١ .
(٢) ديوانه ١/١٧٩ .
(٣) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٣٨٨ ، والفذالك : حسابه أنهاه وفرغ منه .
(٤) محاضرات الأدباء ٢/١٤٩ .

وقال نِفْطَوَيْهِ :

شيئان لو بكت الدِّماءَ عليهما   عيناىَ حتّى يُؤْذِنَا بذَهَابِ
لم يبلغا المعشارَ من حقَّيْهما   فقدُ الشباب وفرقةُ الأحبَابِ (١)

وقال آخر :

كان الشباب رداءً قد بَهِجْتُ به   فقد تطاول فيه للبِلى خُرَقُ
وبان منشمرًا عنى ومنقبضًا   كالليلِ ينهضُ فى أعجازِه الفَلَقُ

وقال يُوسف بن هارون :

وثلاث شيْبَاتٍ نزلن بمِفْرَقِى   فعلمتُ أنّ نُزُولَهُنَّ رَحِيلى

وقال أبو دُلف العجلى :

نظرَتْ إلى بعينِ من لم يَعْدِلِ   لما تمكَّنَ طَرْفُها من مَقْتَلِى
فجعلتُ أطلبُ وصلَها بتلطّفٍ   والشيبُ يغمزُها بألا تفعلِى (٢)

وقال محمود الوراق :

أمن بعد ستّين تبكى الطُّلولَا   وتندُب رسْمًا وانيًا محيلَا

---

(١) نسب البيتان للوراق فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ ، وهما بالنسبة التى هنا فى حماسة البحترى ٤٦٩ ، وفيها : لم يقضيا بدل يبلغا .

(٢) المحاسن والمساوىء ٢/١٤ .

وقد نجم الشَّيبُ فى عارضَيْك ... وجرَّ على مفرِقكَ الذيولَا[١]

وله أيضا :

أليس عجيبًا بأن الفتَى ... يُصَابُ ببعضِ الّذى فى يَدَيْهِ

فمن بين باكٍ له مُوجَعٍ ... وبين مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليهِ

ويسلبُهُ الشيبُ شرخَ الشبابِ ... وليس يعزّيه خلقٌ عليه[٢]

وقال سهل الوراق :

أرى الشيب مذ جاوزْتُ خمسين حِجَّةً ... يدبُّ دبيبَ الصُّبح فى غَسَقِ الظُّلَمْ

هو السُّقْم إلا أنَّه غيرُ مؤلمٍ ... ولم أرَ مثل الشيبِ سُقْمًا بلا ألَمْ[٣]

وقال آخر :

والشيبُ أعظمُ جُرْمًا عند غانيةٍ ... من ابن مُلْجَم عند الفاطميّينا[٤]

وقال على بن جَبَلة[٥] :

جَـــلَال مشيبٍ نَزَلْ ... وأنسُ شـــبابٍ رَحَلْ

---

(١) المحاسن والأضداد ٦٠٨/١ .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ٤٦/٣ ، البيان والتبيين ١٧٦/٣ ، محاضرات الأدباء ١٤٧/٢ ، الكامل ٣٤٣/١ ، أمالى القالى ١٠٩/١ ، والمغذ : المسرع فى سيره .

(٣) البيتان بالرواية التى هنا فى أمالى القالى ١١١/١ ، وفى عيون الأخبار ٣٢٥/٢ : دائبا بدل حجة ، وهو السم .. سما بلا ألم .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٨٧ ، محاضرات الأدباء ١٤٦/٢ .

(٥) نسبت الأبيات التالية لعلى بن جبلة فى أمالى القالى ١٠٩/١ ، ونسبت للوراق فى عيون الأخبار ٣٢٦/٢ ، وانظرها فى العقد الفريد ٤١/٣ ، البيان والتبيين ١٧٧/٣ بدون نسبة ، وفى الأمالى : كفاك المشيب .

طَوَى صاحبٌ صاحبًا كذاك اختلاف الدُّوَلْ
أعاذِلَتِي أقْصِــــرِى كفى بالمشيب العَـــذَلْ
جَــلالٌ ولــكنّه تحامَاه حُورُ المُقَـــلْ

وقال ابنُ مُقْبل :

قالت سُلَيمى وقد كانتْ على مِقَـةٍ لا خيرَ فى المرء بعد الشَّيْبِ والكِبَرِ (١)

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : للمَوتِ تقحُّمٌ على الشيب كتقحُّم الشيب على الشَّباب .

وقال مسلم بن الوليد :

الشيبُ كرهٌ وكرهٌ أنْ يُفارقَنِي أعجِب بشىءٍ على البَغْضاء مَوْدُودُ (٢)

وقال آخر :

جانَبَك النومُ والقَرارُ أن منعَتْ وصلَها نَوَارُ
رأت مشيبًا وفى الغوانى عمّن بَدَا شيبُه ازْوِرَارُ
حتى إذا استيقنت بأنّى قد شاب صُدْغاىَ والعَذارُ
ألوت بخدٍّ إلى اللواتى زعمن أن المشيبَ عَارُ

---

(١) ديوانه ٢٧ .

(٢) ديوانه ٤٥ ، ونسبت لبشار فى أمالى المرتضى ١/٦٠٧ ولا توجد فى ديوانه .

تمسحُ رأسي وهي تُنادِي أحَتّى على رأسِك الغُبَارُ

نظر كسرى إلى رجلين من مَرَازبتـه أحدهما قد شابَ رأسُه قبـل لحيته ، والآخر قد شابت لحيتـه قبل رأسه ، فأراد أن يعرف جوابَ كلّ واحـد منهما عن حاله تلك . فقال لأحدهما : لم شاب رأسُك قبـل لحيتك ؟ قال : لأنّ شعر رأسي خُلق قبل شعر لحيتي ، والـكبير يشيبُ قبل الصغير . وقال للآخر : لم شابت لحيتك قبل رأسك ؟ قال : لأنّها أقربُ إلى الصَّدْر موضِع الهَمّ والغم .

قال حبيب :

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيب الـ رّأسِ إلّا من فَضْل شَيْب الفُؤَادِ [١]

قيل لعبد الملك بن مروان : أسرعَ إليك المشيبُ . قال : فـكيف لا أشيب وأنا أعْرض عقلي على النَّاس في كل أسبوع – يعني الخُطبة .

روى عن ابن عبّاس رحمـه الله ، قال : شيبُ النّاصية من الـكَرَم ، وشيبُ الصُّدْغَيْن من الرّوْع ، وشيبُ الشارب من الفُحْش ، وشيبُ القفا من اللؤم .

قال مكّيُّ بن إبراهيم [٢] :

مَشِيبُ لئامِ الناسِ في ذِرْوَةِ القَفَا وشيبُ كبار النّاسِ فوق المَفَارِقِ

(١) ديوانه ٧٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٤ .

(٢) مكي بن ابراهيم بن بشير بن فرقد التميمي الحنظلي ، الحافظ ، من رجال الحديث الثقات ، توفي نحو سنة ١٢٦هـ ، وقد قارب مائة سنة . انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٩٥ .

قال قيس بن عاصم : الشيبُ خضابُ المنية [١] .

قال بعضُ الحكماء : الشيبُ موت الشَّعْر .

قال مَعْمَرُ بن سليمان : الشيبُ مراحلُ الموت .

نظر بعض الأعاجم إلى شيبٍ في رأسه أو لحيته ، فجمع نساءهُ وقال : تعالين فانْدُبْنَني إذ مات بعضي ، لأبصر كيف تندُبنني إذا مات كُلّي .

---

(١) في عيون الأخبار ٣/٤١ : خطام المنية .

باب الكِبَر والهَرَم

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ ﴾[١]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « اللَّهم إنى أعوذ بك أن أُرَدّ إلى أرْذَل عُمُر » .

وكان صلّى الله عليه وسلّم يستعيذُ بالله من الغَمّ والهَمّ والكسل والهَرَم .

وفد عمرُو بن مسعود السُّلمى[٢] على معاوية بن أبى سفيان ، وكان صديقاً لأبى سفيان ، فلما مَثَل بين يدى معاوية عَرَفه[٣] ، فقال له : كيف أنت وحالُك ؟ فقال : ما يسأل أميرُ المؤمنين عمّن سقطت ثمرتُه ، وذَبُلت[٤] بَشَرته ، وابيضّ شعره ، وانحنى ظهره ، وكثر منه ما يحبّ أن يقلّ ، وصعب منه ما كان يحب أن يذلّ ، وترك المَطْعَم وكان المَنْعَم ، وهجر النساء وكنّ الشّفاء ، وقصُر خطوُه ، وذهب لهوُه ، وكثر سهوُه ، وثقل على الأرض ، وقَرُب بعضه من بعض ، فقل إيحاشُه ، وكثر ارتعاشُه ، فنومُه سُبات ، وهَمُّه تارات[٥] ، وأنشد شعرًا حسناً فى معناه ، تركته لطوله[٦] .

---

(١) سورة يس ، الآية ٦٨ .
(٢) انظر فى خبره الإصابة ٥/١٦ .
(٣) ساقطة من ا .
(٤) ا : نقلت .
(٥) السبات : النوم الكثير ، والهم ، إرادة فعل الشيء أو السعى والعمل ، والتارة المرة والحين . والمعنى أنه ينام كثيراً ويسعى أحياناً . وفى ا : وفهمه تارات ، وفى ح : ووهمه .
(٦) فى ج كلمة غير مقروءة .

وقال أبو عبيدة : عاش أنس بن مُدْرك الخثعمى[١] مائة سنة وأربعا وخمسين سنة ، وكان سيد خثعم فى الجاهلية ، وفارسها . وأدرك الإسلام فأسلم ، وقال فى كبره :

إذا ما امرؤٌ عاش الهُنَيْدَةَ سَالمًا[٢] وخمسين عامًا بعد ذاك وأَرْبَعَا
تبدّل مُرَّ العَيْشِ من بعد عَذْبِهِ وأوْشك أن يَبْـلَى وأن يَتَسَمْسَمَا[٣]
ونادى به الأدنى وتَرْضَى به العِدَا إذا صار مثلَ الدَّالِ أحْدَبَ أَخْضَعَا[٤]
رهينة قَعْرِ البيتِ ليس يَرِيمُـه لَقًى[٥] ثاويًا لا يبرحُ البيتَ مَضْجَعَا
يُخَبِّرُ عمن مات حتّى كأنما رأى الصَّعْبَ ذا القَرْنين أو رَاءَ تُبَّعَا

قال أبو عبيدة : عُمِّر نصرُ بن دُهْمَان الأشْجَعيّ مائة وتسعين سنة ، واعتدل بعد ذلك وصار شابًّا ، واسودّ شعره ، وكان أعجوبة غَطَفان [٦] فى سائر العرب[٦] وفيه قال الشاعر[٧] :

ونَصْرُ بنُ دُهْمَانَ الهُنَيْدَةَ عَاشَها وتسعينَ حولًا ثم قُوِّمَ فانْصَاتَا[٨]

---

(١) سبقت ترجمته فى أول هذا المجلد .
(٢) الهنيدة : اسم المائة من الإبل أو من غيرها .
(٣) التسمسم : الهرم والفناء ، وفى ا ، حـ يتشمشما .
(٤) الأخضع : الراضى بالذل .
(٥) اللقى : ما يطرح على الأرض استغناء عنه .
(٦) ساقط من حـ .
(٧) البيتان التاليان لسلمة بن الخرشب أحد بنى نمار بن بغيض ، حماسة البحترى ١٣٨ .
(٨) أنصات : اعتدلت قامته بعد انحناء .

وعادَ سوادُ الرأسِ بعـــد بياضِهِ   ولـكنّه من بعـــد ذا كلِّه مآتا

روى سفيانُ بن عُيَيْنة ، عن عبد الملك بن عُمَير ، قال : دخَل عَمْرو بن حُرَيْث على أبى العُريان الهيثم بن الأسود النخعى(١) يعوده ويزوره ، فقال : كيف تجدُك يا أبا العريان ؟ قال أجدنى قد ابيضَّ منى ما كنت أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنت أحبّ أن يَبْيَض ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين . وزاد غيره فى هذا الخبر : وأجدنى يَسْبِقُنى مَنْ بين يدىّ ، ويدركُنى من خلفى ، وأنسى الحديث ، وأذكُر القديم ، وأنعَس فى الملاء ، وأسهر فى الخلاء ، وإذا قُمت قَرُبَت الأرض منى ، وإذا قعدت بعدت عنى . ثم اتفقت الرواية(٢) :

فاسْمَع أنبئك بآيات الـكِبَرْ
تقارُب الخَطْوِ وضَعْفٌ فى البَصَرْ
وقلة الطُعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ
وكثرة النسيانِ ما بِى مُدّكرْ

---

(١) خطيب شاعر ، من ذوي المروءة والشرف والمكانة فى الكوفة ، أدرك عليا ، وكان رسول زياد ابن أبيه إلى معاوية فى طلب ضمه الحجاز إلى ولاية العراق ، وعاش إلى أن غزا القسطنطينية مع مسلمة بن عبدالملك سنة ٩٨هـ . وكان ثقة فى الرواية ، من خيار التابعين ، له شرف وبلاغة وفصاحة ، توفى حوالى سنة ١٠٠هـ . انظر الأعلام ٩/١١٤ والمراجع التى فى هامشه عنه .

(٢) وردت الأبيات التالية منسوبة إليه فى البيان والتبيين ١/٣٧٥ ، الحيوان ٥/٤٩ ، ٥٠ ، وفى عيون الأخبار ٢/٣٢١ أنها للعريان بن الهيثم قالها بين يدى عبد الملك بن مروان وعمره ، أى العريان ، ثلاثمائة سنة ، ونسبها فى العقد الفريد ٣/٥٣ ، ٥٤ للمستوغر بن ربيعة .

وقلةُ النّوم إذا اللّيلُ اعْتَكَرْ [١]

أوّلُه نومٌ وثُلْثاهُ [٢] سَهَرْ

وسِعلةٌ تعتادُني مع السَّحَرْ

وتركىَ الحَسْناء [٣] فى حين الطُّهُرْ

وحَذَراً أزْدادُه إلى حَذَرْ

والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

وقال يَحْيَى بن الحَكَم الغَزال :

تَسْأَلُنى عن حالتى أمُّ عُمَرْ   وَهْىَ تَرَى ما حَلَّ بى من الغِيَرْ

وما الّذى تَسْأَلُ عنه من خَبَرْ   وقد كَفَاها الكَشْفَ عن ذاك النظرْ

وما تكون حالتى مع الكِبَرْ   اربدَّ منى الوجهُ وابْيَضَّ الشَّعَرْ

وصارَ رأسِى شُهْرَةً من الشُّهَرْ [٤]   وَيبِسَتْ نَضْرَةُ وجهى واقْشَعَرْ

ونَقَصَ السَّمعُ بنُقْصَانِ البَصَرْ   وصِرْتُ لا أَنْهَضُ إلّا بَعْدَ شَرّْ

لو ضَامَنِى من ضَامَنِى لم أنتصِرْ   فانظرْ إلىّ واعتبرْ ثم اعْتَبِرْ

فإنّ للحُلومِ فىّ مُعْتَبَرْ [٥]

---

(١) ح : إذا النوم اعتفر .

(٢) ا : وباقيه .

(٣) وترتدى الحسناء فى ا .

(٤) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة . وفى ا : بين البشر بدل من الشهر .

(٥) الحلوم : العقول ، وفى ح : الحليم ، وسقطت هذه الشطرة من ا .

قال معاوية بن أبي سفيان : من أخطأه سَهمُ المنيّة قيّده الهَرَم .

(١) مرّ شيخٌ قد انحنى بفتى شاب ، فقال له : أتبيع القوسَ يا شيخ ؟ فقال له : إن كبرت أخذتَها بلا ثَمَن (١) .

لأعرابيّ في الصّلع (٢) :

قد تركَ الدَّهر صَفاتى (٣) صَفْصَفَا
فَصارَ رَأسى (٤) جَبْهَةً إلى القَفَا
كأنّه قد كان رَبعًا فعَفَا
أمسى وأضحى (٥) للمنايا هَدَفَا

وقال تميمُ بن مُقْبل العَجْلانى (٦) :

كان الشبابُ لحاجاتٍ وكنَّ لَهُ ... فقد فرَغْتُ إلى حاجاتِيَ الأُخَرِ
ياحُرَّ أمست بَشاشاتُ (٧) الصِّبا ذَهَبَتْ ... فلستُ منها على عينٍ ولا أثرِ

---

(١) ساقط من ا .
(٢) نسب الرجز التالى فى الكامل ١/٣٤٤ إلى رؤبة بن العجاج ، ونسب فى محاضرات الأدباء ٢/١٥١ إلى أبى النجم ، وورد منسوباً لأعرابى فى زهر الآداب ١/٣٥ .
(٣) ج : حياتى .
(٤) ا : وجهى .
(٥) فى الكامل : يمسى ويضحى .
(٦) الأبيات التالية مع اختلاف يسير فى الترتيب فى ديوانه ٧٤ ــ ٧٦ .
(٧) فى الديوان : تليات

يا حُرَّ أمْسَى سوادُ الرأسِ خالَطَهُ شيبُ القَذَالِ[١] اختلاطَ الصَّفْوِ بالكَدَرِ
يا حُرَّ من يَعتَذِرْ من أن يُلِمَّ بِهِ ريبُ الزَّمانِ فإنِّي غيرُ مُعتَذِرِ
قد كنت أُهْدِي ولا أُهْدَى فعلَّمني حُسْنَ المَقَادَةِ أنِّي فاتَنِي بَصَرِي
قالتْ سليمى لأُختِها وقد صدقَت[٢] لا خيرَ في العَيْشِ بعد الشيبِ والكِبَرِ

قالت امرأة لرجل عهدته شابا ثم رأته شاخ : أين شبابُك ؟ قال : أودى به خصال من طال أمدُه ، وكثر ولدُه ، وضعف جَلَدُه ، وذهب عَدَدُه .

قال منصورُ الفقيه :

يا من دعته الغوانى عَمًّا وقد كان شَبًّا
قد كنت وردًا جنينًا فصِرْتُ وردًا مُرَبًّا

مرّ أعرابيّ وهو شيخ كبير ببعض الغلمان ، فقال له : من قيّدك أيّها الشيخ ؟ قال : الذى هو دائبٌ فى فتل قَيْدك ، وأنشده :

الدَّهرُ أبلانى وما أبلَيْتُهُ والدَّهرُ غيَّرنى وما يتغيَّرُ
والدّهرُ قيّدنى بقيدٍ مُبرَمٍ فمشيتُ فيه وكلَّ يوم يَقْصُرُ[٣]

---

(١) القذال : مؤخر الرأس .
(٢) فى ا : وما كذبت ، وفى الديوان : قالت سليمى ببطن القاع من سرح .
(٣) عيون الأخبار ٢/٣٢٣ .

وقال آخر[١] :

حَنَتْنِى حانياتُ الدَّهْرِ حَتَّى كأنّى خاتِل أدنو لصَيدِ[٢]
قريبُ الخطوِ يحسَبُ من رآنى ولستُ مقيّدًا أنّى بقيدِ

قال عبدُ الرّحمن بن أبى بكرة[٣] : من طالت أيامُه ، كانت مصيبتُه فى أحبابه ، ومن قَصُرت أيامه كانت مصيبتُه فى نفسه .

قال محمودُ الورّاق :

ألَا رُبّ ذى أملٍ كاذبٍ بعيدُ الرَّجاءِ قوىُّ الطَّمَعْ
تمنّى البَقاءَ تمادَى بهِ أجابَ القضاءَ فماذا صَنَعْ[٤]
تَجرَّد أكثرُ جُثمانِهِ وفَرّقَ ما كانَ منهُ جُمِعْ
[٥]ودلَّ المشيبُ على رأسِهِ وأعْقَبَ من بعد شيبٍ صَلَعْ][٥]
وقوّسَ مَتْنَيْهِ بعد اعتدالٍ وأثْبَتَ فى الرِّجل منه الظَّلَعْ[٦]

---

(١) نسب البيتان فى حماسة البحترى لأبى الطمحان القينى ، ووردا بدون نسبه فى أمالى القالى ١/١١٠ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٣ ، أمالى المرتضى ١/٤٦ ، محاضرات الأدباء ٢/١٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٣٦١ .

(٢) فى ا : حابل ، ويروى : آدو لصيد .

(٣) الثقفى ، من أعيان التابعين ، استخلفه زياد أمير البصرة على بعض أعمالها ، وتوفى فيها سنة ٩٦ هـ . الإصابة الترجمة ٦٦٧٢ (الأعلام ٤/٧٣) .

(٤) حـ : أحل القضاء وماذا صنع .

(٥) ساقط من ا .

(٦) حـ : فى الرأس منه الصلع .

فمن ذا يُسَرُّ بطول البَقاء إذا كان يُبْدِعُ هَذِى[١] البِدَعْ

سأل الحجاجُ رجلاً من بنى ليث، قد بلغ سنًّا كبيرة، قال: كيف طُعْمُك؟ قال: إذا أكلتُ ثقُلت، وإذا تركتُ ضَعُفْت. قال: فكيف نكاحك؟ قال: إذا بُذِل لى[٢] عَجَزْت، وإذا مُنِعت شَرِهت. قال: كيف نومُك؟ قال أنام فى المَجْمع، وأسْهر فى المضجع. قال: كيف قيامُك وقعودُك؟ قال: إذا أردتُ الأرضَ تباعَدت منّى، وإذا أردتُ القيام لزمتنى. قال: فكيف مِشيتُك؟ قال: تَعْقِلُنِى الشَّعْرة، وأعثُر بالبَعْرة.

وذكر المبرّد قال: نظر محمد بن عبد الله بن طاهر إلى حاجب له قد رفع حاجبه عن عينيه بعصابةٍ من الكِبَر، فقال له: كم أتى لك من السنين يا أبا المجد؟ فقال مجيبا له[٣]:

يا ابنَ الذى دان له المَشْرِقا نِ من بعد أنْ دَانَ لَهُ المغْرِبَانْ
إن الثمانينَ — وبُلِّغْتَهَا — قد أحوجت سَمْعِى إلى تَرْجُمَانْ
وبدّلتنى بالشَّطاطِ انْحِنَا وكنتُ كالصَّعْدة تحت السِّنَانْ[٤]

---

(١) ح: هذا.

(٢) ا: نزل بى.

(٣) فى أمالى القالى: أن عوف بن محلم الخزاعى (أبا المجد) دخل على عبد الله بن طاهر فحياه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك فزعموا أنه ارتجلها.

(٤) الشطاط: حسن القوام والاعتدال، والصعدة القناة المستوية نبتت كذلك بلا تثقيف، والسنان زج الرمح أو الحديدة التى توضع فى رأسه.

(١)وقاربتْ منّى خُطاً لم تكن ... مقارَبات وثنت لى العِنانْ
وأنشأت بينى وبين الورى ... عَيَابَةً من غير نسج العيانْ)(١)
لم تُبْقِ لى عَظْمًا ولا مَفصلا ... إلّا لِسانى وكَفانِي اللّسانْ
أدْعُـو به اللهِ وأُثْني به ... على الأَمِير الطاهرىّ الجنان(٢)
فقرّبانى بأبى أنتما ... من وطنى قبل اصْفرار البنانْ
وقبل مَنْعاى إلى نِسْوةٍ ... أوطانُها حَرّانِ والرَّقّتان

قال عبد الرحمن بن أبى بكرة : من تمنّى طول العمر ، فليوطِّن نفسَه على المصائب ، وأقلّها فقد الأحبّة والقَرَابات .

قال لبيد(٣) :

المرءُ يأمُلُ أن يَعيـ ... ش وطولُ عيشٍ قَدْ يَضُرُّهْ(٤)
تَفْنَى بشاشَتُهُ ويبقى ... بعد حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ
(٥)وتخونُه الأيامُ حتّى ... لا يَرَى شيئًا يَسُرُّهْ(٥)

---

(١) ساقط من حـ ، والعيابة : السحابة الرقيقة .

(٢) فى الأمالى : المصبى الهجان ، وانظر الأبيات كلها فى أمالى القالى ١/٥١ ، والأولين فى خاص الخاص ١٠١ .

(٣) وردت الأبيات لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٦ ، ونسبت لعبد الله بن معاوية الجعفرى فى أمالى القالى ٢/٨ ، حماسة البحترى ١٣٦ .

(٤) فى الأمالى : المرء يرغب فى الحياة ، وفي حماسة البحترى ، المرء يهوى أن يعيش .

(٥) ساقط من حـ .

قال التيمى[١] :

إذا كَانَت السَّبْعُون سِنَّك لم يَكُنْ ... لِدَائِكَ إلّا أن تَمُوتَ طَبيبُ
وإنّ امرءًا قد سار سَــبْعين حِجَّةً ... إلى مَنْهَلٍ من وِرْدِه لَقَرِيبُ
إذا ما مضى القَرْنُ الذى كُنْتَ فيهمُ ... وخُلِّفْتَ فى قَرْنٍ فأنت غَرِيبُ

قام أبو العبَّاس عبــد الله بن إبراهيم بن الأغلب[٢] ، فوجد فى ظهره ما يجد الـكبير ، فأنشأ يقول :

ولقــد كنت كالقَنَاةِ قديمًا ... ثم نادت بِىَ[٣] الحوادث طَاطِ
فتَضَوَّيْتُ للحوادثِ رَغْمًا ... بعــد تَعْدِيلِ قامةٍ وشَطَاطِ
وأديم قد كان يَبْرُقُ حُسْنًا ... فتغشَّى الأديم بعــد انبِسَاطِ

قال محمود الوراق[٤] :

ابْيَضَّ منِّى الرأسُ بعد سَوَادِهِ ... ودَعَا المَشِيبُ شَبِيبَتِى لنفادِ[٥]

---

(١) هو الحجاج بن يوسف التيمى ، أبو محمد من شعراء الدولة الأموية ، وفى حـ : التميمى وهو تحريف ، انظر أبياته فى عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، البيان والتبيين ٣/١٧٤ بالرواية التى هنا . وانظر ديوان أبى العتاهية فقد وردت منسوبة له فيه ص ١٤ ، ١٥ ، وأظن ذلك ليس صحيحا فهى واردة للتيمى فى كثير من المراجع ، انظر عدا العيون والبيان : محاضرات الأدباء ٢/١٤٩ ، حماسة البحترى ٣٣٠ ، زهر الآداب ٣/٢٢٢ .

(٢) التميمى ، أبو العباس ، أمير تونس والقيروان ، وهو الحادى عشر من أمراء الدولة الأغلبية ، كان أديبا عاقلا شجاعا ، وتوفى سنة ٢٩٠هـ انظر الأعلام ٤/١٨٦ .

(٣) فى ج : بنو .

(٤) نسب البيتان فى الحيوان ٦/٥٠٥ لحسان ، ولم أعثر عليهما فى ديوانه ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٩ لأبى عيينة .

(٥) فى ا ، والحيوان : دعا المشيب حليلتى لبعاد .

واسْتُحْصِدَ(١) القومُ الذى أنا منهم وكفى بذاك علامة لحَصادِى

كان أبو بكر بن عيَّاش قد بلغ ثمانين سنة ، فكان يتمثل :

بلغتُ ثمانينَ أو جُزْتُها فماذا أُؤَمِّل أو أنتظِرْ

ومما ينسبُ إلى بلعام بنِ راشد السَّكْسَكي(٢) :

إذا ما المنايا أخطأتْكَ وصادَفتْ حَمِيمَكَ فاعْلَم أنَّها ستعُودُ

ولما رأيتُ الشَّيْبَ أيقَنْتُ أنَّه رجوعُ غضَارَاتِ الشبابِ بَعِيدُ

وقال منصورُ النمرى :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جزَعُ إذَا ادّكَرْتُ شباباً ليس يُرْتجَعُ

ما كِدْتُ أوفى شبابى كُنْه عِزَّتِهِ حتَّى مضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

وقال محمود الوراق :

أيُّها النَّادِبُ الشَّبابَ الَّذِى قَدْ كنتَ تجفُوه مرَّةً وتعشَقُهْ

لو بكيتَ الشَّبابَ عُمْرَ اللَّيَالِي لم تكنْ باكيًا بما يَسْتَحِقُّهْ

---

(١) فى الحيوان : واستنفذ .

(٢) لم أعثر على ترجمة له ، وقد نسب البيتان في الكامل ٦١/١ ليزيد بن الصيقل العقيلي ، وانظر العقد الفريد ٤٤٥/٣ .

ال أبو العتاهية(١) :

مَضى عنِّى الشبابُ بغيرِ أمْرى ... فعنْدَ اللهِ أحْتَسِبُ الشَّبابَا
فَزِعْتُ إلى خِضَابِ الشيبِ مِنْهُ ... وإنّ نُصُولَهُ فضحَ الخِضَابَا
وما مِنْ غايةٍ إلّا المَنايَا ... لمن خَلِقَتْ شَبِيبَتُه وشَابَا

وقال محمود الوراق :

سُقْيًا لأيَّامٍ تَولَّتْ بِها ... أحْسَنَ ما كانَتْ صُرُوفُ الزَّمَنْ
إذ أنت فى شرخ الشباب الذى ... يحْسُنُ فيه منكَ غَيْرُ الحَسَنْ
ولّى وَمَا الدُّنْيَا بأقْطَارِها ... لليومِ والسَّاعَةِ منهُ ثَمَنْ

ولمحمود الورّاق أيضاً :

إذا ما دعوتَ الشَّيْخَ شيخاً هَجَوْتَهُ ... وحسبُكَ مَدْحًا للفَتَى قولُ يا فتى
أُشَبِّهُ أَيَّامَ الشبابِ الّتِى مَضَتْ ... وأيامَنَا فى الشَّيْبِ بالفقْرِ والغِنَى(٢)

وقال آخر :

إذا رأيتَ صَلَعاً فى الهَامَهْ ... وحَدَباً بعد اعْتِدَال القَامَهْ
وصارَ شَعْرُ الرَّأسِ كالثُّغامَهْ(٣) ... فايْئَسْ من الصِّحَّةِ والسَّلَامَهْ

---

(١) ديوانه ١٤ ، وفيه : بغير ودي بدل أمرى .
(٢) نسب البيتان لأبى حازم فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٦ .
(٣) الثغامة : نبات أبيض يشبه به بياض الرأس .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلب:

يحبُّ الفَتَى طولَ السَّلَامَةِ والبَقَا   فكيف تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يفعَلُ
يَرُدُّ الفَتَى بعد اعتدالٍ وصحةٍ   ينوءُ إذا رَامَ القِيَامَ ويُحْمَلُ(١)

كان النَّضْرُ بن شُمَيْل(٢) ينشد:

يُحِبُّ بقائى المُشْفِقُونَ ومُدَّتِى   إلى أَجَلٍ — لو يَعْلَمُونَ — قريبُ
وما إن أرى فى أرذَلِ العمر بعدما   لبستُ شبابى كلَّهُ ومَشِيبِى
وأصبحتُ فى قومٍ كأن لَسْتُ مِنْهُمُ   وبانت لِدَاتِى منهمُ وضُرُوبِى

وقال رجل ليزيد بن هرون(٣): يا أبا خالد! كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحتُ لا يَحْمِلُ بَعْضِى بَعْضَا
كأنَّما كانَ شَبَابِى قَرْضَا
فاسْتُؤدِىَ القَرْضُ فكان فَرْضَا
وصِرْتُ عُودًا نَخِرًا مُرْفَضَّا

---

(١) البيتان فى جمهرة أشعار العرب ٢١٩، التمثيل والمحاضرة ٥٦.

(٢) النضر بن شميل بن حرشة بن يزيد المازنى التميمى، أحد الأعلام فى معرفة أيام العرب، وراوية للحديث والفقه واللغة، ولد بمرو وتولى قضاءها، واتصل بالمأمون فأكرمه وقربه، وتوفى بمرو سنة ٢٠٣هـ. انظر الأعلام وهامشه ٣٥٨/٨.

(٣) السلمى بالولاء، الواسطى، من حفاظ الحديث الثقات كان واسع العلم ذكيا كبير الشأن، قدر من يحضر مجلسه بسبعين ألفاً، توفى سنة ٢٠٦. انظر الأعلام وهامشة ٢٤٧/٩.

وقال حُمَيْد بن ثور(١) :

أرَى بَصَرِي قد رَابَنِي بعد صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولن يَلْبثَ العَصْرَانِ يومًا وليلةً إذا طَلَبَا أن يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا

وقال لَبِيدُ بن رَبيعةَ(٢) :

كانَتْ قَنَاتِي لا تلينُ لِغَامِزٍ فألانَهَا الإصْبَاحُ والإمْسَاءُ
ودعوتُ ربِّي في السَّلامة جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فإذَا السَّلامةُ داءُ

وقال لبيدٌ أيضاً(٣) :

ألَيْسَ ورائِي(٤) إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لزومُ العَصَا تُحْنَى عليها الأصَابِعُ
أُخَبِّرُ أخبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أدِبُّ كأنِّي كلَّمَا قمتُ رَاكِعُ

وقال أبو النجم العجلي :

إنّ الفَتَى يُصبِح للأسْقَامِ(٥)
كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسِّهامِ

---

(١) ديوانه ٨ .

(٢) ديوانه ٣ ، ونسبا لعمرو بن قمئة صاحب امرىء القيس في عيون الأخبار ٢٠١/١ ، المصون ١٥٠ ؛ زهر الآداب ٢٧٠/١ ، ونسبا للجعدى في خاص الخاص ٨٠ .

(٣) ديوانه ٤٢ .

(٤) في ا عجيبا .

(٥) يروى : للسقام ، وقد سبق الرجز في المجلد الأول .

أُخطأَ رَامٍ وأصابَ رَامٍ

وأظنه أخذه من قول زهير :

رأيتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ من تُصِبْ تُمِتْهُ ومن تخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ (١)

وقال آخر :

من عاشَ أَخْلَقَت الأَيَّامُ جِدَّتَهُ وخانَه ثِقتاهُ السَّمعُ والبَصرُ (٢)

وقال أعرابيّ :

إذا الرجالُ وَلَدتْ أولادُها واضطربتْ من كِبرٍ أعْضادُها
وجَعَلتْ أَسْقامُها تعتادُها فهىَ زروعٌ قد دَنَا حصَادُها (٢)

وقال عُروةُ بن الوَرْد (٣) :

أليس ورائى أن أَدِبَّ على العَصَا فيأمَنَ أعْدَائِى ويَسْأَمَنى أَهْلِى
رهينةَ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشيَّةٍ يُطيف بِى الوِلْدَان أَهدِجُ كالرَّأْلِ

شبَّهَ هَدَجَانَ الشـيخ الضعيف فى مشيه بهدَجَان الرَّأَل ، والرَّأل : وَلَد النَّعام ، والجميع : رِئالٌ ورِئلاَن .

---

(١) شرح الديوان ٢٩ .

(٢) البيتان فى الحيوان ٦/٥٠٦ ، وفى هامش الجزء الثالث ص ٨٩ منه أنها لزر بن حبيش ، وانظر العقد الفريد ٣/٤٢٦ .

(٣) ديوانه ١٠٣ ، الحيوان ٤/٣٥٦ .

قال أبو الرجف[١] :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعاً بِرُكْبَتِي
وهَدَجَانًا لم يكُنْ بِمِشْيَتِي
كَهَدَجَانِ الرَّأْلِ خَلْفَ الهَيْقَتِ

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِي[٢] :

وقد جَعَلْتُ إذا ما قُمْتُ يُوجِعُنِي ظَهْرِي فقمتُ قِيَامَ الشَّارِبِ السَّكِرِ
وكنتُ أَمْشِي على رجليَّ مُعْتَدِلاً فصرْتُ أَمْشِي عَلَى أخرَى من الشجرِ

وقال آخر :

إنّ الأمورَ إذَا الأحْدَاثُ دَبَّرها دونَ الشيُوخِ يُرَى فى بعضها الخَلَلُ
وإن أَتَتْ للشَّبَابِ الغرِّ نَادِرَةً فإن أكثرَ ما يأتِي لَهَا الخَطَلُ

قال أبو العتاهية :

أَسرع فى نَقْصِ امْرِىءٍ تَمَامُهُ[٣]

---

(١) أو أبو الزحف كما فى الحيوان ٢٥٧/٤ ، وانظر الرجز أيضا فى أمالى القالى ١٨٩/١ ، العقد الفريد ٥٤/٣ ، والهيقة النعامة ، وصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها .

(٢) الهيثم بن الربيع بن زرارة ، أبو حية النميرى ، شاعر مجيد فصيح راجز ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان من أهل البصرة ، وتروى عنه أخبار كثيرة في بخله وكذبه وجبنه ، توفى نحو سنة ١٨٣هـ . انظر الأعلام وهامشه ١١٤/٩ ، وانظر البيتين فى حماسة البحترى ٩٣ ويروى : يثقلنى ثوبى بدل يوجعنى ظهرى .

(٣) ساقط من ا . وهذه الشطرة لا توجد فى ديوانه ولم أعثر لها على تكملة ، انظرها فى عيون الأخبار ٣٢٢/٢ ، المصون ٢٤٩ .

وقال أيضاً(١) :

من يَعِشْ يكبُرْ ومن يَكْبُرْ يَمُتْ والمنايا لا تُبالِي مَن أَتَتْ

وقال محمود الوراق(٢) :

يحبُّ الفَتَى طولَ البقاء وإنّهُ على ثِقَةٍ أنّ البَقَاءَ فَنَاءُ(٣)
زيادتُه فى الجِسْمِ نقصُ حَيَاتِهِ وليس على نقص الحياة نماءُ
إذا ما دَوى يوماً طوى اليومُ بعضَهُ ويَطْوِيه إنْ جَنَّ المَسَاءُ(٤) مَسَاءُ
(٥ جديدان لا يبقى الجميع عليهما ولا لهما بعد الجميع بقاءُ ٥)

قال محمد بن نصر : كنت بأرض الطَّفَاوة ، إذ سمعت امرأةً تكلم أخرى من طَاقٍ إلى طاق فقالت لهَا : ما تقولين فى ابن العشرين ؟ قالت رَيْحانة تَشمُّين . قالت فما تقولين فى ابن الثلاثين ؟ قالت قُرّة عين النّاظِرين . قالت فما تقولين فى ابن الأرْبَعين ؟ قالت : قويّ الظّهْر في ماءٍ مَسكِين . قالت : فما تقولين فى

(١) ديوانه ٣٩ .
(٢) الأبيات التالية فى زهر الآداب ١/٢٧١ ، ٢٧٢ .
(٣) فى زهر الآداب : ... كأنه على ثقة أن البقاء بقاء .
(٤) فى ا : الصباح .
(٥) ساقط من ج .

ابن الخمسين ؟ قالت : تَعرِفين وتُنكرين . قالت : فما تقولين في ابن الستين ؟ قالت : كثير السعال والأنين . قالت فما تقولين في ابن السبعين ؟ قالت : اكتبيه في الضّارطين .

(١) ذكر ابن الأنباريّ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كانت العَرب تقول : الرجل يزداد قوةً إلى الأربعين ، فإذا بلغَ الأربعين اصلَهَبَّ إلى السّتين ، فإذا جاوز الستين أدْبَر . وقال : اصلهبّ بقى على حال واحدة (١) . وأنشد :

وفّيتَ ستّينَ واستكملتَ عِدّتَها فما بقاؤُك إذْ وَفّيتَ ستّينَا
فاحْتَلْ لنفسك يا حسّان في مَهَلٍ فكلَّ يوم تَرَى نَاسًا يمُوتُونَا

وذكر أبو الحسن الأخفش ، قال : أنشدنى أبو العباس ثعلب لبعض حُكماء العَرب :

ابنُ عَشْرٍ من السِّنينِ غُلامٌ هَمُّهُ اللّعِبُ مُولعٌ بالغَرامِ (٢)
وابنُ عِشْرين مولعٌ بالغَوَانِى لا يُبالى مَلَامَةَ اللُّوّامِ
والّذِى يبلغُ الثلاثين عامًا فضُرُوبٌ لَدَى الوَغَى (٣) بالحُسامِ
فإذا جازها بعَشْرِ سِنِينٍ كانَ أقوى من كُلّ قرن مُسَامِ
وابنُ خمسين للنّوائِبَ يُرْجَى ولنقضِ الأمُورِ والإبْرامِ

---

(١) ساقط من ا .
(٢) ا : بالحمام .
(٣) ا : يضرب الهام في الوغى .

وابن ستّينَ حَازِمُ الرَّأى طَبٌّ ـ كاملُ العقْل ضَابِطٌ للـكَلَامِ
وابن سَـبْعِين قد تَوَلَّى وأوْدَى ـ وتَثَنَّى فمَا لَهُ من قَوَامِ
والذى يبلُغُ الثمانينَ عَامًا ـ ذاهبُ الذّهْنِ دائبُ الأسْتَامِ
وابن تسعينَ تائهٌ(١) قد تَنَاهَى ـ إنّ تسعينَ غايةُ الأعْوَامِ
فإذا جَازَهاَ بعشـــــرٍ فحيٌّ ـ مثلُ مَيْتٍ مُوَدِّعٍ بالسَّلَامِ

---

(١) ف حـ : بأنه . وف ا : إنه .

بابُ الوَصَايا المُوجَزة

قال جابرُ بن عبد الله : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بأيّام يقول : « لا يموتَنّ أحدكم إلّا وهو حَسَنُ الظّنِّ بالله » .

قال رجلٌ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم : أَوصِنِي يا رسولَ الله ، وأقْلل فى القول لعلى أحفظه . قال : « لا تَغْضب » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحْتَقِرَنّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تُفْرغ من دلوك فى إناء[(1)] المستسقى ، أو تَلْقى أخاك ووجْهُك منبسطٌ إليه » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اتقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرة ، ولو بكلمةٍ طيبة » .

أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم رجلا [(2)] فقال : « هيِّئْ جهازَك وقدّم زادَك ، وكنْ وصيَّ نفسِك ؛ فإنّه لا خَلَفَ من التقوى ، ولا عِوَضَ من الله عزّ وجل » .

قال أبُو هريرة : أوصانى خليلى أبو القاسم صلَّى الله عليه وسلم بثلاثٍ لا أدَعُهن أبدًا ؛ بالوتر قبل النّوم ، وبصيام ثلاثة أيام فى كلّ شهر ، وركعتى الضحى .

---

(1) ا : دلو .　　(2) ساقط من حـ .

وقال لى : أحبب للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مُؤمنا ، وأحسِنْ جوارَ من جاورك تكن مُسْلما .

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوْصِنى . فقال : « أُوصِيك بالدعاء ؛ فإنَّ معه الإجابة ، وعليك بالشكر ؛ فإنَّ معه الزيادة ، وأنهاك عن المكر ؛ فإنه لا يحيق المكرُ السَّيِّئُ إلَّا بأهله ، وعن البَغْى ؛ فإنَّه من بُغِى عليه نصره الله ، وإياك أن تبغض مؤمناً أو تعين عليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « من سألكم بالله فأعطوه ، ومن دعاكم بالله فأَجيبُوه ، ومن استغاثكم بالله فأغيثوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فأثنوا عليه » .

أوصى النبىّ عليه السّلام رجلا ، فقال : « عليك بذكرِ الموت ؛ فإنه يَشْغَلك عما سواه ، وعليك بكثرةِ الدعاء ؛ فإنك لا تدرى متى يُسْتجابُ لك ، وأكثرْ من الشكر ؛ فإنه زيادة » .

قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم : « إيَّاكم والفُحْش ؛ فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش ؛ وإياكم والشُّح ؛ فإنه دعا من قبلكم فقَطَعُوا أرحامهم ، وسفكوا دماءهم ، وإياكم والظُّلم ؛ فإن الظلم ظُلُمات يوم القيامة » .

قال عبدالله بن عباس : كنتُ رديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال لى :

يا غلام ، احفظ الله يَحْفَظْك ، احفظ الله تجده تجاهَكَ ، تعرّف إلى الله[١] في الرَّخاء يَعْرِفْك في الشدة ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت استعنْ فالله . . »
وذكرَ الحديث.

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « أوصاني ربي بتسع[٢] بالإخلاص في السّرّ والعلانية ، وبالعدل في الرّضا والغَضَب ، وبالقَصْد في الغني والفقر ، وأنْ أعْفُوَ عمن ظلمني ، وأُعْطي من حرمني ، وأَصِلُ من قطعني ، وأن يكون صَمْتي فكرًا ، ونطقي ذكرًا ، ونظري عِبْرة » .

قال الأعشى :

أجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وصاةَ مُحَمَّدٍ نبي الهُدَى في حين أوْصَى وأشْهَدَا[٣]
إذا أنْتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقيت بعد الموت مَنْ قَدْ تزَوَّدَا
نَدِمْتَ على ألّا تكون كمثلِهِ وتُرْصَد للموتِ الذى كان أرْصَدَا[٤]

قال موسى بن عمران للخضر عليهما السلام : إنّي قد حُرِمت صحبتك ؛ فأوصني . قال : إيَّاكَ واللّجَاجة ، والمشْيَ في غير حاجة ، والضحكَ من غير عَجَب .

(١) ح : اعرف الله .
(٢) ساقطة من ح .
(٣) قال في المحيط : أجدك : بكسر الجيم ، استحلاف له بحقيقته ، أي : بحق الحقيقة التي تعلمها . في ا : أخي ألم . ورسول الإله بدل نبي الهدى .
(٤) ديوانه : ٣٦ .

قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما فى وصيته إيَّاه : إذا جنيت جَنًى فكفَّ يدَك ، أو يَشبع من جنيتَ له . من نازَعَتْك نفسُك إلى شرِكتهم ، فكن فيهم كأحَدِهم ، ولا تستأثِرْ عليهم ، واعلم أنّ ذخيرةَ[1] الإمام تهلِكُ دينَهُ وتسفكُ دمَه .

وأوصى أبو الدَّرْداء رجلاً ، فقال له : اعتقد لنفسك ما يَدُوم ، واستدل بما كان على ما يكون[2] .

كان جُنْدب بن عبد الله الأنصارى صديقًا لعبد الله بن عباس ، فقال له حين ودعه : أوصنى يا ابن عباس ، فإنّى لا أدرى أنجتمعُ بعدها أم لا . فقال : أُوصيك يا جُندب و نفسى بتوحيد الله ، وإخلاص العمل لله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزّكاة ؛ فإن كلّ خير أتيْتَ بعد هذه الخصال مقبول ، وإلى الله مرفوع ، ومن لم يكمّلْ هذه الأعمال رُدّ عليه ما سواها . وكنْ فى الدنيا كالغَريب المسافر ، واذكر الموْت ، ولتَهُن الدّنيا عليك ، فكأنك قد فارقتها وصرتَ إلى غيرها ، واحتجتَ إلى ما قدّمت ، ولم تنتفع بشىء مما خلّفت . ثم افترقا .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى ابنه عبدالله : أوصيك بتقوى الله ، فإنّه من اتقاه كفاه ووقاه ، ومن أقْرَضه جزاه ، ومن شكرَهُ زاده ، فاجعل التقوى عِمادَ

---

(١) الذخيرة : ما ادخر من عرض الدنيا .

(٢) ا : على ما كان بما يكون .

بصرك ، ونور قلبك ، واعلم أنّه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا جديدَ لمن لا خَلَق له ، ولا إيمانَ لمن لا أمانة له ، ولا مالَ لمن لا رفْق له ، ولا أجر لمن لا حسَنة له.

كان عليُّ بن أَبى طالب إذا أراد أن يستعملَ رجلا دعاه فأوصاه ، وقال : عليك بتقوى الله الّذى لابدّ من لقائه ، ولا مُنتهى لك دُونه ، فإنه يَملِكُ الدنيا والآخرة ، وعليك فيما أمرك به بما يقرّبك من الله ، فإن ما عنده خلفٌ من الدنيا .

دخل عثمان بن عفّان على العبّاس بن عبد المطلب فى مرضه الّذى مات فيه ، فقال : أوصنى . قال : أوصيك بالصِّدق ؛ فإنه يُعرف فى ثلاث : فى حفظ اللِّسان ، وترك المصانعة(١) ، واستواء السّرّ والعَلانية .

وروى عاصم بن بَهْدلة ، عن أبى العَدَبّس الأسَدى(٢) ، قال : سمعت عمر ابن الخطاب يقول : فَرّقوا بين المنية ؛ واجعلوا الرأس رأسَين ، ولا تلبثوا بدار مَعْجَزة ، وأصلحوا مَثاوِيَكمُ(٣) ، وأخيفوا الهَوَامّ قبل أن تخيفكم ، واخشوشنوا وتمعددوا وانتعلوا .

---

(١) ا : المضايقة .

(٢) فى ا : العديس ، والصحيح ما أثبتناه ، فهو أبو العدبس منيع بن سليمان الأسدى ، عده ابن حبان من ثقات رجال الحديث ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٢/١٦٦ .

(٣) فى ا : منامتكم .

أوصى أعرابيّ ابنه فقال : يا بنيّ ! اغتنم مسالمة من لا يَدَان لك بمحاربته ، وليكن هَرَبُك من السُّلْطان إلى الوحش فى الفيافى وأطْراف البلدان ، حيث تأمنُ سماية النّاعى ، وطمع الطّامع منك ، ولا تغرّنْك بشاشةُ امرئٍ حتى تعلَم ما وراءها ؛ فإن دفائنَ الناس فى صُدورهم ، وخُدَعهم فى وجوههم ، ولتكن شكاتك الدّهرَ ، إلى ربّ الدّهر ، واعلم أنّ اللهَ إذا أراد بك خيرًا أو شرًّا أمضاه فيك على ما أحبّ العبادُ أو كرهوا ،وأرِحْ نفسَك من التّعب بقَبُول القيلِ والقال ، فإنّ كلمةَ السّوءِ حبَّةُ القلب، كما أن الحِنْطة حبة الأرض ، إذا أصابها الماء نبتت ، وكذلك الكلمةُ السوء إذا زُرعت فى صدرك نبتتْ منها الضّغائن والبغضاء والعداوة .

قال أبو العتاهية(١) :

رضيتُ ببعض الذُّلِّ خوفَ جميعِهِ ولبس لِمِثلى بالمُلُوك يدَانِ

قال شبيبُ بن شَيْبة : قال لى أبو جعفر المنصور ـ وكنت من سُمَّاره ـ عظنى وأوجز . قال : فقلتُ يا أمير المؤمنين ! إنَّ الله لم يجعل فوقك أحدًا من خَلْقِه ؛ فلا تَرْض من نفسك بأن يكونَ عبدٌ هو أشكرُ منك . قال : والله لقد أوْجزت وما قصَّرت . قلت : والله لئن كنت قَصَّرْت فما بلغتُ كنه النّعمة فيك .

قال سعدُ بن أبى وقاص لسَلْمان : أوصنى . فقال له : اذكر الله عند هَمِّك إذا

---

(١) أى كونوا أهل تقشف فى المعاش .

(١) فى ا : الشاعر . والبيت فى ديوان أبى العتاهية ٣٢٠ .

هممت ، وعند لسانك إذا تـكلّمت ، وعند حُكْمك إذا حكمت ، وعند يَدك إذا بطَشْت .

دخل محمّد بن على بن حُسَـين على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أوصنى . فقال : أُوصـيك أن تتخذَ صِغَار المسـلمين وَلَدا ، وأُوسَطَهُم أخًا ، وأكبرهم أبًا ، فارحم وَلَدَك ، وصل أخَاك ، وبرّ أبَاك.

أوصى رجل ابنه ، فقال : أوصـيك يا بنى بتقوى الله عز وجل ؛ فإنه جنَّب أولياء الله محارِمَه ، وألزم قلوبهم طاعَته ، فـكذِّب الأَمَل ، ولَاحِظْ الأَجَل .

لمـا التقى هَرِمُ بن حيَّان[١] بأوَيْس القرَنى[٢] ، كان فيما أوصاه ووعظـه به أن قال : يا هرم ! توَسَّد الموت إذا بتّ ، واجعله أمَامك إذا قُمْت ، ولا تنظر إلى صِغر ذنبك ، ولـكن انظرُ من عَصَيت ، ومن عظَّم أمر الله فقد عظَّم الله . يا هرم ! ادع اللهَ أن يُصـلحَ لك قلبك ونيّتك ، فإنك لم تعالج شـيئًا هو أشدّ عليك منهما ، بينما قلبك مقبل إذ أدبر ، فاغتنم إقبالَهُ قبل إداره .

قال وَبرَة : أوصانى عبد الله بن عباس بكلماتٍ لهى أحبّ إلى من الدُّهْم المُوقفة

(١) العبدى ، صحابى من الولاة ، أورد له ابن حجر ترجمة قصيرة ذكر فيها خبر التقائه بأويس القرنى ، انظر الإصابة ٦/٢٨٣ .

(٢) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى ، أحد النساك العباد المتقدمين ، من سادات التابعين ، وأصله من اليمن ، وكان يسكن القفار والفلوات ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره فوفد على عمر بن الخطاب ، ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع على ، ويرجح الكثيرون أنه مات فيها سنة ٣٧هـ . انظر الأعلام ١/٣٧٥ ، والمراجع التي في هامشه .

فى سبيل الله . قال : إياك (١ والكلام فيما لا يعنيك ، فإنه إثم ولا آمن عليك فيه الوِزْر ، وإيّاك ١) والكلام فيما يعنيك فى غير موضعه ، فرب مسلم تقى تكلم بما يعنيه فى غير موضعه فمَقَت . فلا تمارِ سفيهاً ولا فقيهاً . فأمّا السفيه فيؤذيك ، وأمّا الفقيه فيغلبك(٢) ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تُذكر به ، واعملْ عملَ رجلٍ يعلم أنَّه مكافأٌ بالإحسان ، مُجازًى بالإجرام .

أوصى صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس(٣) أميرَ سَريّة أتت ، فقال : تاجر الله بعباده ، فكن كالمضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحاً تجر ، وإلا احتفظ برأس المال ، لا تطلب الغنيمة حتى تُحْرِزَ السلامة ، وكن من احتيالك على عدوّك ، أشد حذرًا من احتيال عدوِّك عليك .

كان المهلب بن أبى صُفْرة يقول لبنيه : إياكم أن تُرَوْا فى الأسواق : فإن كنتم لابد فاعلين ، ففى سوق الدّواب والسلاح ، فإنها من صناعة الفرسان .

قال زياد بن ظبيان لابنه عبد الله وهو يجود بنفسه : ألا أُوصى بك الأمير ؟ قال : إذا لم تكن للحىّ إلّا وصيةُ الميت ، فالحىّ هو الميت . أخذه الشاعر فقال :

إذا ما الحىُّ عاشَ بِعَظمِ مَيْتٍ فذاكَ العَظْمُ حىٌّ وهو مَيْتُ(٤)

---

(١) ساقط من ا . (٢) حـ : فيقليك .

(٣) هو عم السفاح والمنصور ، وأول من ولى مصر من قبل الخلفاء العباسيين ، استقر بعد تنقل فى الولايات على الشام والجزيرة ، فأنشأ مدينة أذنة ، وكسر الروم فى مرج دابق وكانوا نحو مائة ألف ، واشتهر طول حياته بالشجاعة والحزم ، توفى بقنسرين سنة ١٥١ هـ . انظر الأعلام وهامشه ٣/٢٧٨ .

(٤) البيت فى أمالى القالى ٣/٢٨ ، محاضرات الأدباء ١/١٦٢ .

قال نافع بن خليفة العبدىّ : جمعنا أبونا فقال : يا بَنىّ ! اتقوا الله بتقاته ، واتقوا السُّلطان بحقِّه[١] ، واتقوا النَّاس بالمعروف . فقام وقد جمع لنا أمْرَ الدنيا والآخرة .

قال عمرُ بن عبد العزيز لمؤدّبه وهو خليفة ، كيف كانت طاعتى لك ؟ قال : ما كان أطوعك ! فقال . فقد وَجَبَتْ طاعتِى عليك ، خُذْ من شارِبك حتّى تبدُوَ شفتاك ، ومن قميصك حتى يبدو كَعْباك .

أوصى رجلٌ بَنيه فقال : يا بنىّ ! عليكم بالنُّسُك ، فإنه إذا ابتُلى أحدكُم بالبخل .. قيل : مقتصد لا يرى الإسراف ، وإن ابتُلِى بالعِىِّ ، قيل : يكرهُ الكلامَ فيما لا يعنيه ، وإن ابتُلِى بالجبن ، قيل : لا يُقْدمُ على شُبهة .

قال محمّد بن على لابنه : أدّ النوائب[٢] ولا تتعرض للحُقوق ، ولا تُجِبْ أخاك إلى ما مَضَرَّتُه عليك أكثر من مَنْفَعته .

قال معاويةُ بن أبى سفيان لسُفيان بن عوف الأزدى[٣] : كُلْ قليلا ، تعملْ طويلا ، والزم العفافَ تسلم من القول ، واجتنب الرّياء[٤] يشتدّ ظهرك عند الخصوم .

---

(١) فى ا : بطلعته .

(٢) ا : لا تأمن ، والنوائب جمع نائبة وهو ما ينزل من الأمر ويلزم فيه واجب .

(٣) الغامدى ، قائد صحابى من الشجعان الأبطال ، كان مع أبى عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت ، وولاه معاوية الصائفتين فظفر واشتهر ، ثم سيره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية ، وتوفى قريبا منها فى مكان يسمى الرنداق سنة ٥٢ . الإصابة الترجمة ٣٣١٦ (الأعلام ٣/١٥٨) .

(٤) فى ا : الرشا ، وفى ح كلمة غير مقروءة .

قال يوسفُ بن أسْبَاط[1] : أتيت سفيان الثورى رحمه الله ، فقلت : يا أبا عبدالله ! أوصنى . قال : أقللْ من مَعْرفة الناس. قلتُ : زدنى يرحمك الله ، قال : أنـكِرْ من عرفت . قلت : زدنى يرحمك الله . قال :

ابلُ الرِّجَال إذا أرَدْتَ إخَاءهُم وتوسَّمَنْ أمُورَهُم وتَفَقَّـدِ

وإذا ظفرتَ بذى الأَمَانةِ والتُّقَى فبهِ اليَدَيْنِ قريرَ عينٍ فاشْدُدِ

قال عبدُ الملك بن مروان لمؤدّب بنيه : إنّه ـــ والله ـــ ما يَخْفَى علىَّ ما تعلّمهُم وتُلقيه إليهم ، فاحفظ عنى ما أُوصيك به : علّمْهم الصِّدْق كما تعلّمهم القرآن ، واحملهم على الأخلاق الجميلة ، وعلمهم الشعر يَسْمحُوا ويَمْجُدُوا وينجدوا ، وجنّبهم شعر عُرْوة بن الوَرْد ، فإنه يحمل على البخل ، وأطْعِمْهم اللَّحْمَ يَقْوَوْا ويَشْجعوا ، وجُزَّ شُعورهم تغلُظْ رقابُهم ، وجالسْ بهم أشراف الناس وأهلَ العلم منهم ، فإنهم أحسنُ الناس أدباً وهَدْياً ، ومُرْهم فليستاكوا عَرْضاً ، وليمصُّوا الماء مَصًّا ، ولا يَعُبُّوه عَبًّا ، ووقّرْهم فى العَلانية ، وأدِّبْهم فى السِّرّ ، واضربهم على الـكَذِب كما تَضْرِبُهم على القرآن ، فإن الـكَذِبَ يدعو إلى الفُجور ، والفجور يدعو إلى النَّار ، وجنِّبْهُمْ شَتْمَ أعراضِ الرِّجال ، فإن الحرّ لا يجدُ مِنْ شتمِ عِرْضـه عِوَضًا ، وإذا ولوا أمرًا فامنعْهم من ضرب الأبْشَار ؛ فإنه على صاحبه عارٌ باق ووترٌ[2] مطلوب ، واحثُثْهم على صلة الرّحِم . واعلم أنّ الأدَب أولى بالغلام من النَّسب .

---

(١) يوسف بن أسباط بن على المزى الموصلى ، أحد رجال الحديث ، ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب ١١/٨ ، ٤٠ .

(٢) فى ا : وورث .

كان يقال: صُنْ عقلَك بالحلم، ودينَك بالعلم، ومروءتَك بالعَفاف، وجمالَك بتركِ الخُيَلاء، ووجهَك بالإجمال فى الطلب.

أوصى معروف الكَرْخِيُّ[1] رجلا فقال: توكل على الله حتى يكون أُنْسَك وموضعَ شكواك، واجعل ذكرَ الموت جليسَك، واعلم أن الفَرَج من كلِّ بلاء كتمانُه، فإن النّاس لن يعطوك ولن يمنعوك، ولن ينفعوك، ولن يضروك إلا بما شاء الله لك، وقضاه عليك.

أوصى بعض الأكاسِرة رجلًا وجّهه أميرًا، فكان فيما قال: واعلم أنّه ليس من العدو أحدٌ مكالبة ولا أصدق مخالبةً من مستنصرٍ فى مِلَّة، أو غيرانَ على حُرْمة، أو مُمْتَعِضٍ من ذلة.

ومن قضاياهم: اخلعْ سِرْبال الاتكال، وتنكّب عثراتِ الاسترسال، وتدرَّعْ جلبابَ الاجتهاد، وتحرّزْ من نكبات الانقياد.

ومما خرج من أشعار الحكماء مُخْرَج الوصايا الموجزة، ما أنشدنى أبو القاسم محمَّد بن نَصير الكاتب — رحمه الله — لنفسه:

تخيَّر سبيل الهُدَى جاهِدًا وَدعْ عنك مُشْتَبِهَاتِ السُّبُلْ

---

(١) معروف بن فيروز الكرخى، أحد أعلام الزهد والتصوف، اشتهر بالصلاح والتقوى، وأم الناس للاستماع له والتبرك به حتى كان الإمام أحمد بن حنبل فى جملة من يختلف إليه، توفى فى بغداد سنة ٢٠٠ هـ انظر الأعلام وهامشه ٨/١٨٥.

(١ وأصبحْ من الناسِ مُسْتَوْفِزًا ... فأكثرُهم راصِدٌ للزَّلَلْ ١)
وأجبَنُ(٢) من قد تَرَى منهُمُ ... لَعَمْرُكَ يُرْدِى الشَّجاعَ البَطَلْ
وتُصْمِى(٣) المَقَاتِلَ أَقْوَالُهُمْ ... بألسنةٍ وَقعُها كالأَسَلْ
ولا تحسبنْ إنْ تكن عاقلا ... مُرِيدَك بالضرِّ حينًا عَقَلْ
ومن حكَّم الناسَ فى عِرْضِهِ ... فمن جارَ أكثر ممّن عَدَلْ

وقال أبو العتاهية(٤) :

كُنْ فى أمورِك ساكِنًا ... فالمرء يُدْرِكُ فى سُكُونِهْ
وأَلِنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدْ ... فى الناس محمدةً بلينِهْ
واعْمَدْ إلى صدقِ الحَدِيـ ... ـثِ فإنّه أزْكَى فُنُونِهْ
والصَّمْتُ أَجملُ بالفتى ... من منطقٍ فى غير حينِهْ
لا خيرَ فى حَشْوِ الكَلا ... مِ إذا اهْتَدَيْتَ إلى عُيُونِهْ
رب امرئٍ مُتَيَقِّنٍ ... غلب الشقاءُ على يقينِهْ
فأزالَهُ عن رَأْيِه(٥) ... فابتاع دُنْيَاه بدينِهْ

وقال أبو العتاهية أيضًا :

خفف على إخْوَانِكَ المُؤَنا ... أَوْلَا فَلَسْتَ إذًا لَهُمْ سَكَنَا

(١) ساقط من ا .
(٢) فى ا : وأخير .
(٣) فى ح : وتضنى .
(٤) ديوانه ٢٨٢ .
(٥) فى الديوان : فأزاله عن رشده .

لا تغترِرْ بدنُوّ ذى لُطُفٍ يوماً إليك وإن دَنَا ودَنَا
واعلمْ – جزاكَ الله صالحةً – أَنّ ابن آدم لم يزل أُذُنَا
مُسْتَشْرِفًا شرس الطِّبَاع له نفسٌ تُريه قبيحَهُ حُسْنَا(١)

وقال أيضًا :

اكْرَه لغيركَ ما لِنَفْسِك تَكْرَهُ وافعلْ بنفسِكَ فعلَ من يتنزَّهُ
وكِلِ السَّفيهَ إلى السفاهة وانتَصِفْ بالحلمِ أَو بالصَّمت ممن يَسْفَهُ
ودَعِ الفُكاهَة بالمُزَاحِ فإنّها تُزْرِى وتُسْخِفُ من بها يتفكّهُ(٢)

وقال محمود الوراق :

لا تلتمس من مَساوِى الناسِ ما سَتَرُوا فيهتِكَ اللهُ سترًا عن مَساوِيكَا
وَاذكرْ محاسنَ ما فيهم إذا ذُكِرُوا ولا تَعِبْ أَحدًا منهم بما فيكا(٣)

وقال آخر :

تصاونْ عن الأنْذَالِ ما عشتَ واكْتَسِبْ
لنفسك كَسْباً من خِلاَل تَصُونُها
وما للفَتى برٌّ كمثل عَفَافِهِ إذا نَفْسُهُ اختارتْ لها ما يَزِينُها

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى الديوان . وفى ح : متصرفا بدل مستشرفا .

(٢) ديوانه ٢٨٦ ، وفيه : فإنه يردى ويسخف من به يتفكه .

(٣) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٣٥ ، وفيه : لا تهتكن بدل لا تلتمس ، عيون الأخبار ٢/١٨ وفيها : فيكشف بدل فيهتك .

إذا النفسُ لم تقنَع بِكسبِ مليكها ... على ما أَتى منه ، فما تمّ دِينُها

ولأبى العتاهية فى ابن السماك الواعظ(١) :

يا واعظَ النَّاسِ قد أصبحتَ مُتّهمًا ... إذْ عِبْتَ منهم أمُورًا أَنْتَ تأْتِيهاَ

كالمُلْبِسِ الثَّوبَ من عُرْيٍ وعَوْرَتُهُ(٢) ... للناس باديةٌ ما إنْ يُوَارِيهاَ

وأعظَمُ الإثْم بعد الشركِ(٣) نعلَمُه ... فى كلٍّ نفسٍ عَمَاها عن مَساوِيها

عِرْفانُها بعيوبِ الناسِ تبصرُها ... منهمْ ، ولا تُبْصر العيبَ الَّذِى فيها

وقال أمية بن أبى الصلت(٤) :

خصالٌ إذا لم يَحْوِهاَ المرءِ لم يَنَلْ ... منالاً من الدُّنْيا يَنالُ بِهِ حَمْدَا

يَكُونُ له جاهٌ وعزٌّ وثروةٌ ... وحسنُ فَعالٍ حيث أحْضَرَ أَوْ أَبْدَى(٥)

وتَقْوَى فإن الفَوْز يُدركُ بالتّقَى ... ويورِثُ فى الدّارين صاحبه مَجْدَا

وقال آخر :

من طَالَبَ النّاسَ طَالَبُوهُ ... واعْتَقَبَ الحُزْنَ والنَّدامَهْ

من سالم الناس سالَمُوه ... وكان فى حيّزِ السَّلَامَهْ

---

(١) ديوانه ٢٩١ ، وفيه : أنها قيلت فى منصور بن عمار .

(٢) فى الديوان : وخزيته .

(٣) فى الديوان : الكفر .

(٤) لم أعثر عليها فى ديوانه .

(٥) أحضر : أى كان فى الحضر ، وأبدى : أى كان فى البادية .

وقال منصور الفقيه :

نفسُكَ رأسُ الغِنى فصُنْها   من لم يَصُنْ نَفْسَهُ يُهِنْهَا
إن صَعُبتْ حالةٌ فدعْهَا   فاليأسُ منها غِناكَ عَنْها

وقال محمود الوراق :

كُنْ مع الله يكنْ لَكْ   وَاتَّقِ الله لَعَلَّكْ
لا تكنْ إلَّا مُعِدًّا   للمنايا فكأنك
إنَّ للموتِ لَسَهْمًا   واقعًا دُونك أو بِكْ[1]

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدّهْر إن وَفَى   وأَخَا الدَّهْر إنْ غَدَرْ
كنْ مِنَ الدهر كيف شِيـ   ـتَ على غَايةِ الحَذَرْ

قال آخر :

تَغَنَّم كلَّ ما يَاتِيك   ولا تأس لما فَاتَك
ولا تغترّ بالدّنيـــا   أما تذكرُ أمْوَاتكْ

قال آخر :

اسْعَدْ بمالِكَ فى الحياةِ فإنَّما   يَبْقَى خِلَافَكْ مُصْلحٌ أو مُفْسدُ

(١) نسبت هذه الأبيات لأبى نواس فى البيان والتبيين ٣/١٧٨ ، ولم أعثر عليها فى ديوانه .

فإذا تركتَ لمُفسِدٍ لم يُبْقِهِ   وأخو الصَّلاحِ قليلُه يَتزَيَّدُ
فإن استطعتَ فكن لنفسك وارثًا   إن المُوَرِّثَ نفسَهُ لمُسَدَّدُ(١)

وقال منصور الفقيه(٢) :

تخل(٣) عن القبيح ولا تُرِدْهُ   ومن أَوْلَيْتَهُ حَسَنًا فزِدْهُ
سَتُكْفَى من عدوِّكَ كلَّ كيدٍ   إذا كَادَ العدو ولم تَكِدْهُ

وقال آخر :

أحسن الظَّنَّ بمن قَدْ عوّدَكْ   حَسَنًا أمْس وسوّى أَوَدَكْ
إن ربًّا كان يكفيك الذى   كان بالأمس سيكفيك غدَكْ

وقال محمود الوراق :

قدّم لنفسكَ توبةً مَرْجُوّةً   قبل المماتِ وقبل حَبْسِ الأَلْسُنِ
بادرْ بها غُلَقَ(٤) النفوسِ فإنها   ذُخرٌ وغنم للمُنيب المُحْسِنِ

---

(١) الأبيات فى العقد الفريد ١/٢٦٥ ، وفى ح : سقطت الكلمتان الأخيرتان من البيت الأول ، واعتبره الناسخ بيتا مستقلا ، ثم قال : قال محمود الوراق .

(٢) ورد البيتان فى ديوان أبى العتاهية ٩٠ . ونسبا فى معجم الشعراء ٤٨٤ لهارون الواثق بالله بن جعفر ابن محمد المعتصم بن الرشيد .

(٣) فى المرجعين السابقين : تنح عن القبيح .

(٤) الغلق : المنايا والأشغال .

وقال منصور الفقيه :

لا تُلْفيَنَّ خليطاً لفاسِقٍ أو كَفُورِ
فالقُرْبُ من ذينِ عارٌ على الفَتَى المسـتورِ

وقال محمود الوراق :

لا تسألنّ المرءَ عمَّا عِنْدَه واستَمْلِ مافى قلبه من قَلْبِكَا
إن كان بغضاً كان عندك مثلُهُ أو كان حبًّا فازَ منك بِحُبِّكَا

وقال منصور الفقيه :

اسمعْ فهذا كلامٌ ما فيه والله عِلّهْ
أَقِلَّ من كلِّ شيء من لايَرَى الناسَ قِلَّهْ

وقال آخر :

اغتنمْ فى الفراغِ فضلَ ركُوعٍ فعسى أَن يكونَ موتُك بَغْتَهْ
كم صحيحٍ رأيتَ من غيرِ سُقْمٍ ذهبَت نفسُه العَزيزَةُ فَلْتَهْ

وَقال محمود الوراق :

قل لهرونَ إنْ حَلَلْـ ـت به قَوْلَ ذِى مِقَهْ

أطبق الموتُ والنفو سُ على اللّهوِ[١] مُطْبِقَهْ
كيف يلهو من لَيْس من عُشْر يوم على ثِقَهْ

وقال منصور الفقيه :

خُذْ من زمانك ما صَفَا ودَعِ الّذِى فيه الـكَدَرْ
فالعمـرُ أقصرُ من مُمَا تبـةِ الزمان على الغِيَرْ

وقال محمود الوراق :

رأيتُ صَلَاحَ المرءِ يُصْلِحُ أهلَهُ ويُعْـديهِمُ دَاءُ الفَسَادِ إذا فَسَـدْ
ويَشْرُفُ فى الدنيـا بفضل صَلاحِـهِ ويُحفظ بعد الموت فى الأهلِ والوَلَدْ[٢]

وقال منصور الفقيه :

لا تُعرِضَنّ عن النَّصِيـ ـحِ لِلؤْمِهِ[٣] يا ابْن الـكَرِيمَهْ
فالنصـحُ أَوْلى ما قَبِلْـ تَ وإنْ أتاك به بَهِيمَهْ

وقال محمود الوراق :

إن القلوبَ على القلوب شـواهدٌ فبغيضها لك بيّنٌ وحبيبُها

---

(١) فى ح : الشك .
(٢) البيتان فى البيان والتبيين ٣/١٧٧ ، محاضرات الأدباء ١/٦٢ .
(٣) فى ح : للومة .

وإذا تلاحَظتِ العُيُونُ تفاوضت ... وتحادثت عما تَجِنُّ قُلُوبُها
ينطقْنَ والأفواهُ صامتـةٌ فمَا ... يخفى عليك صحيحُهاَ ومُريبُها

وقال منصور الفقيه :

هَبْك نلتَ المُنَى وفوق الأَمَانِي ... وتجاوَزْتَ حالَةَ الإنْسانِ
هل ترى ذاك باقِيًا لك والدَّهْـ ... ـرُ سريعُ الهُجُوم بالحِدْثانِ

وَقال صالحُ بن عبد القدوس :

إذا وَتَرْتَ امْرءًا فاحذرْ عداوَتَهُ ... من يزرع الشَّوْكَ لا يحصُدْ به عِنَبَا
إن العَدُوَّ وَإن أَبْدى مسالمةً ... إذا رأى منك يوماً فرصـةً وَثَبَا

وَقال آخر :

جالس كُهولَ النّاسِ وَاحفظْ حديثَهُمْ ... وَلا تَكُ للأَحْدَاثِ خِدْنًا مُحادِثاَ

وَقال سهلُ الوراق ، وَتنسب إلى الشافعى رحمه الله وَلا تصح له :

إذا لم تـكن تاركاً زينـةً ... إذا المرءُ جاء بهـا يُسْتَرابْ
تقعْ في مواقع تَرْدَى بهـــــا ... وَتَهْوِى إليك السِّهام الصِّيابْ
تبيّن زمانَك ذا وَاقتصـــد ... فإنَّ زمانَك هذا عذابْ
(١ وَأقللْ عتاباً فما فيـه مَنْ ... يُعَاتَبُ حين يحقُّ العتابْ ١)

(١) ساقط من ا .

مَضَى الناسُ طرًّا وَبَادُوا سِوَى أراذلَ عنهم تَجِلُّ الكلابْ
يُلَاقيكَ بالبشْرِ دَهْماؤُهُمْ وَتسليمُ من رَقَّ منهم سِبَابْ
فأحْسنْ وَمَا الحرُّ مُسْتَحْسِنٌ[1] صيانٌ له عَنْهُمُ وَاجْتِنَابْ
فإن يُغْنه الله عنهم يفرّ (م) وَإلَّا فذاكَ البلاءُ العُجَابْ
إذا حار أَمْرُكَ فى معنَيَيْن وَلَم تَدْر فيما الخطا وَالصَّوابْ
فدع ما هَوِيتَ فإن الهَوَى يقودُ النفوسَ إلى ما يُعابْ

وَقال آخر :

وَإياكَ وَالأمرَ الذى إنْ توسَّعَتْ مَوَارِدُه ضاقَتْ عليك المَصادِرُ
فما حسنٌ أن يَعذِر المرءُ نفسَه وَليس له من سائرِ النَّاسِ عاذِرُ[2]

وَقال آخر :

فلا تقنطن من عظيمِ الذُّنُوبِ[3] فربُّ العِبَادِ رحيمٌ رءوفْ
وَلا تمضينّ على غيرِ زَادِ فإنّ الطريق مخوفٌ مخوفْ

وَقال عدىّ بن زيد :

إذا ما رأَيتَ الشَّرَّ يبعث أهله وَقام بُناةُ الشَّر للشرِّ فاقعُدِ

---

(١) ح : فأحسن فما الحر .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٢/١٩٢ .
(٣) ح : لا تقنطن عظيم الذنوب .

وقال يزيدُ بن الحكم[١] :

يا بدرُ وَالأمْثالُ يضْ ... رِبُهَا لذِى اللُّبِّ الحكيمْ
دمْ للخليل بوُدِّهِ ... ما خيرُ ودٍّ لا يَدُومْ
وَاعرف لجارك حَقَّهُ ... وَالحقُّ يعرفُه الكريمْ
وَاعلم بأن الضيف يو ... مًا سوف يَحْمَدُ أو يَلُومْ
والناسُ مبتنيانِ مَحْ ... مودُ البنايةِ أو ذَميمْ[٢]
واعــلمْ بُنىّ فإنّه ... بالعلم ينتفعُ العَلِيمْ
أنّ الأمور دقيقُها ... مما يهاج به العظيمْ[٣]
والتَّبْلُ مثل الدَّين تُقْ ... ضَاه وقد يُلْوَى الغَرِيمْ[٤]
والبَغْىُ يصرَعُ أهلَهُ ... والظلمُ مَرْتَعُهُ وخِيمْ
ولقد يكون لك الغري ... بُ أَخًا ويقْطعُك الحَمِيمْ[٥]
وَالمرءِ يُكرَم للغِنَى ... وَيُهانُ للعَدَمِ العَدِيمْ
قد يُقْتِرُ الحَوِلُ[٦] التَّقِـىُّ وَيُكْثِرُ الحَمِقُ الأَثِيمْ

(١) ساقط من ا . والأبيات التالية فى حماسة البحتري ٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٤٠ ــ ٤٥ .

(٢) فى ا : مثنيان محمود المقاصد .. الخ .

(٣) الدقيق : الحقير ، وفى حماسة أبى تمام : يهيج له ..

(٤) التبل : العداوة .

(٥) فى حماسة أبى تمام : البعيد ، وفى ا يعطفك الحميم .

(٦) الحول : القوى ذو الحول ، وفى ا : النهى .

يُمْلى لذاك ويُبْتَلَى هذا فأيُّهما المَضِيمْ
ما بخلُ من هو للمَنُو ن وريبِها غَرَضٌ رَجِيمْ
ويرى القُرُونَ أمَامَهُ هَمَدُوا كَما هَمَدَ الهَشِيمْ(١)
وستَخرَبُ الدُّنْيا فلا بُؤسٌ يدوم ولا نَعيمْ
كل امرىء ستئيم منْـ ـهُ العُرسُ أوْ مِنْها يَئيمْ
ما عِلْمُ ذى ولد أيثْـ ـكُلُهُ أم الولدُ اليتيمْ
والحربُ صاحِبُها الصّلِيـ ـب على تَلَاتِلِهاَ العَزُومْ(٢)
من لا يَمَلّ ضِرَاسَها ولدى الحَقيقةِ لا يَخيمْ(٣)
واعلمْ بأنّ الحرب لا يَسْطِيعُها المَرِحُ السّؤوم

وقال منصور الفقيه:

توكلْ على الله فيما اعْتَرَاكَ ولا تشرِكَنّ سِوَاه مَعَهْ
(٤ فما فى سواه تعالى اسْمُهُ لراجٍ ولا خائِفٍ مَنْفَعَهْ ٤)

---

(١) حـ : صمدوا كما صمد .
(٢) التلاتل : الشدائد المزعجة ، والعزوم : الماضى فى أمره .
(٣) الضراس : الشدة ، يخيم : يجبن .
(٤) ساقط من ا .

بابُ لُمَعٍ من الدُّعَاء

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علّمنى ما ينفعنى . فقال : « عليك بالدُّعاء فإنك لا تدرى متى يُسْتجاب لك ، وأكثِرْ من ذكرِ الموتِ يشغلْكَ عما سواه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم : « إنّ الدعاء هو العبادة ، ثم تلا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ... ﴾[1] الآية .

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ من دعاءٍ لا يُسْمع ، وعلم لا يَنْفَع ، وقلبٍ لا يَخْشع ، ونفسٍ لا تَشْبع ، أعوذُ بك من شرِّ هؤلاء الأربع » .

ومن دعائه عليه السلام : « اللَّهُم إِنِّى أعوذُ بك من الفقر والفاقة ، والقلة والذلة ، ومن موقف الخِزْى فى الدنيا والآخرة » .

ومن دعائه عليه السلام : « اللَّهم إِنِّى أسألُك الهُدى والتقى ، والعافية والغنى ، وأعوذ بك من درك الشّقاء ، ومن جهد البلاء ، ومن سوء القضاء ، ومن شماتة الأعداء » .

---

(١) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

ودعاؤه صلى الله عليه وسلم كثير قد جمعه جماعة من العلماء .

دعا أعرابيّ فقال : اللَّهم إنى أعوذُ بك من الفقر والفاقة ، والقلّة والذلّة ، ومن مواقف الخزى فى الدنيا والآخرة ، قال : بينا أنا أصلى إذ سمعت متكلّما يقول : اللّهم لك الحمد كلّه ، ولك الملك كلّه ، وبيدك الخير كلّه ، وإليك يُرجع الأمر كلّه علانيتهُ وسرُّه[1] ، أهل الحمد أنت ، لا إله إلا أنت ، إنك على كلّ شيء قدير . اللَّهم اغفر لى جميع ما سَلَف من ذُنوبى ، واعصمنى فيما بقى من عمرى ، وأعنّى على عمل ترضى به عنّى . قال : فذكرتُ ذلك للنبيّ صلَّى الله عليه وسلم ، قال : « مَلَكٌ أتاك يعلِّمُك تَحْميدَ ربِّك» .

كان رجلٌ مظلومٌ فى سجن الحجّاج مغموماً ، فأتاه آتٍ ، فقال له : ادْعُ الله . قال : وبم أدعو ؟ قال : يا من لا يعلم كيف هو إلَّا هو ، ولا يعلمُ قدرتَه إلَّا هو ، فرّج عنّى ما أنا فيه . فقالها فأطلق الله سبيله .

ومن الدعاء الحَسَن[2] المرجوّة إجابته : يا من لا يشغله شىءٌ عن سماع الدّعاء ، يا فعّال لما يشاء ، يا من لا يغالطه السائلون ، ولا يُبْرِمه الملحّون ، اغفرْ لى وارحمنى ، يا من لا يغفر الذنوب غيره .

ومثلُه : يا سامِعَ كلِّ صوت ، ويا بارئَ النفوسِ بعد الموت ، ويا من لا تغيّبه الظُّلمات ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يا عظيم الشان ، يا واضح البرهان ، يا شديد

---

(١) حـ علانية وسرا . (٢) ساقطة من ا .

السُّلطان ، يا من هو كلَّ يوم فى شان ، اغفر لى ذنوبى . وادع بهذا الدعاء فيما شئتَ: من دين أو دنيا ، يستجب لك إن شاء الله تعالى .

ومثلُه من الدعاء : يا عظيمَ العَفْو، (١ يا واسع المغفرة ١) ، يا قريب الرحمة ، ياذا الجلال والإكرام ، هب لى العافية فى الدنيا والآخرة .

ومن الدّعاء الحَسَن : اللَّهمّ فرّغنى لما خَلَقْتنى له ، ولا تشغلنى بما قد تكفّلْتَ لى به ، ولا تحرمنى وأنا أسألك ، ولا تعذّبْنى وأنا أستغفرك .

قال أعرابىّ فى دعائه : تَظَاهَرَتْ ياربّ علىّ منك النعم ، وتكاثَفَتْ منى عندك الذّنوب ، فأحمدُك على النّعم التى لا يحصيها أحدٌ غيرك ، وأستغفرُك من الذّنوب التى لا يحيط بها إلَّا عفوك[٢] .

قال سفيانُ ، قال مِسْعَر : كنا إذا لقينا طَلْقَ بن حَبيب[٣] ، لا نكاد نفترق حتّى يقول : اللَّهم أبرم للمسلمين أمرًا رَشَدًا ، يعزّ فيه وليّك ، ويذلّ فيه عدوّك ، ويُعْمل فيه بطاعتك ، ويُتناهى فيه عن سخطك .

(٤ ومن دعاء بعض الأعراب: اللهم إنى أعوذ بك من شهادة الزور ، وركوب الفجور ، وعذاب القبور ، ومنكر وَنكير ٤) .

---

(١) ساقط من ج . (٢) ا : التى لا يحصيها أحد غيرك .

(٣) العنزى البصرى ، تابعى ثقة من رجال الحديث ، كان من أعبد أهل زمانه ، قتله الحجاج مع سعيد بن جبير وغيره فى فتنة ابن الأشعث ، وقيل مات فى الطريق قبل أن يصل إليه . انظر تهذيب التهذيب ٥/٣١ ، ٣٢ .

(٤) ساقط من ا .

كان من دعاء شُرَيْح : اللهمّ إنى أسألك الجنّة بلا عملٍ عملته ، وأعوذ بك من النّار بلا ذنب ركبته .

سأل أعرابىّ رجلا فأعطاه ، فقال : جعل اللهُ المعروفَ عليك دليلا ، والخير شاهدًا ، ولا جعل حظَّ السائل منك عذرًا صادِقًا .

من دعاء مَعْرُوف الكَرْخِىّ : اللهمّ اجعلنا ممن يُؤمنُ بلقائِك ، ويَرْضى بقضائك ، ويَقْنَعُ بعطاياك ، ويخشاك حقَّ خشيتك(١) .

كان عمرُ بن هُبَيْرة (٢ أمير العراق ٢) يدعو فيقول : اللهمّ إنّى أعوذُ بك من صديق يُطْرِى ، وجليس يُغْرِى ، وعدوٍّ يَسْرِى(٣) .

دعا أعرابىّ لرجل فقال : جنّبَك الله الأمَرَّين ، وكفاك شرَّ الأَجْوفين .

الأمرّان : الجوعُ والعُرْى ، والأجوفان : الفمُ والفرج .

(٢ دعا أعرابىّ فقال : اللهمّ أمسك قلبى عن كلّ شىءٍ لا أتزوّد به إليك ، ولا أنتفع به يوم ألقاك ٢) .

دعا أعرابىّ فقال : اللهمّ إنى أعوذُ بك من الذُّلّ إلّا لك ، ومن الفقر إلّا إليك .

دعا أعرابىّ فقال : اللهمّ اجعل رزقى رَغَدا ، ولا تشمتْ بى أحدا .

دعا أعرابىّ فقال : اللهمّ إنّى أعوذ بك من السُّلْطان والشَّيْطان والإِنسانِ(٤) .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) فى ا : يطرينى ... يغرينى ... يسرينى .

(٤) فى ا : الإنس والجان .

دعا عليُّ بن أبي طالب يوماً فقال : يا خيرَ من رُفِعَتْ إليه الأيدى ، وسَمَت إليه الأبصار ، وتحا كم إليه العباد ، نشكُو إليك فَقْدَ[١] نبيِّنا ، واختلافناَ بيْننا .

وقف شيخٌ أعرابىّ عند باب الكعبة ، فقال : يا ربّ ! سائلُك عند بابك ، مضت أيّامه ، وبقيتْ آثامه ، وانقطعتْ شهوته ، وبقيت تَبعتــه ، فارض عنه يا رب ، وإن لم ترض عنه فاعف عنــه ، فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنــه غيرُ راضٍ ، اللهمّ إنك أمرتنا أن نعْفُوَ عمّن ظلَمَنا ، وقد ظَلَمْنا أنفسنا فاعف عنا . اللهمّ هَبْ لى حقّك ، وأرْضِ عنى[٢] خلقك .

وقف محمّد بن سليمان عند قبر أبيــه ، فقال : اللهمَّ إنى أرجوكَ له ، وأخافك عليه ، فحقّق رجائى له ، وآمِنْ خوفى عليه .

قال سعيدُ بن المسيّب لصِلَةَ بن أَشْيَم[٣] : ادعُ الله لى . فقال : رغّبك اللهُ فيما يَبْقى ، وزهّدكَ فيما يَفْنى ، ووهب لكَ اليقينَ الذى لا تسكن النفوسُ إلّا إليه ، ولا يعوّل فى الدِّين إلَّا عليه .

وقف أعرابىّ بالموسم فقال : اللهمَّ إن لك حقوقاً فتصدَّق بها على ، وللناس عندى تَبِعات فتحمَّلها عنى ، وقد أوجبت لكلِّ ضيفٍ قِرًى ، وأنا ضيفُك ، فاجعل قِراى فى هذه الليلة الجنَّة .

---

(١) ح : فقر .　　(٢) ا : على .

(٣) العبدى ، تابعى مشهور ، أورد ابن حجر ترجمته فى الإصابة ، وقد سبقت الإشارة إليها .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابيـةً تقول فى دعائها : يا مَنْ ليس له ربٌّ يُدْعى ، ويا من ليس فوقه خالقٌ يخشى ، ويا من ليس دُونه إِلٰه يبقى ، ويا من ليس له وزيرٌ يُؤتى ، ويا من ليس له صاحبٌ يُرشى ، ولا بوّابَ يُنادَى ، ويا من لا يزدادُ على كثرة السُّؤال إلّا كرماً وجُودا ، وعلى كثرةِ الذّنوبِ إلاّ رحمة وعفوًّا .

قال العُتْبي : سمعتُ أعرابيًّا وهو يدعو فى الصّـلاة ويقول : اللّهمّ ارزُقنى عملَ الخائفين ، وخَوْفَ العاملين ، حتى أنعم بتركِ النعيم طمعاً فيما وعدت ، وخوفاً ممـا أوْعَدت .

هنّأ رجلٌ رجلا بولاية فقال : إنّ النِّعَمَ ثلاثٌ ، فنعمةٌ هي فى حال كونها ، ونعمةٌ تُرجى مستقبلة ، ونعمةٌ تأتى غير محتسَبة ، فأبقى الله لك ما أنت فيه ، وحقّق طمعُك فيما ترجوه ، وتفضّل عليك عـا لم تحتسبه .

ويروى عن الأحنف ، أنه كتب بذلك إلى صديق له .

دعا أعرابىّ فقال : اللهمّ إنى أعوذ بك من حُلول النِّقَم ، وزوال النِّعَم ، وتحوّل العافية . اللّهم هب لى بنين أتقوى بهم على عشـيرتى ، ومالاً أرغم به حُسّادى ، واجعلنى مَليًّا من العقل والدّين ، يا أرحمَ الراحمين .

أوحى الله عزّ وجل إلى عيسى بنِ مَرْيم عليه السّلام : هبْ لى من قلبِك الخشوعَ ، ومن بدنك الخُضُوع ، ومن عينك الدُّموع ، وادْعُنى فإنّى قريبٌ مُجيب .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم : « ادعُوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابة مخلصون ، فإنّ اللهَ لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ لاهٍ » .

كان يقالُ : إنما يستجاب لمخلص أو مظلوم .

(١ ولامرئ القيس بن عانس الكِنْدى :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حَقيبَةِ الرَّحْلِ ١)

ذكر الحُمَيْدىّ ، عن سفيان ، قال : سمعتُ أعرابيًّا يقول عند مقام إبراهيم عليه السلام : اللّهم لا تحرمنى خيرَ ما عندك لشرّ ما عندى ، اللّهم إن كنتَ لا تقبل تعبي ولا نَصَبي ، فأعطنى أجر المُصاَب على مصيبته . اللّهمّ إنّ لك عندى حقوقاً فلتهبْها لى ، وللنَّاسِ علىّ تبعات ، فأسألك أن تحملَها لهم ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك ، فاجعل قراى فى هذه العشية الجنة .

قال سفيان بن عيينة : وسمعتُ أعرابيًّا يقول فى الموقف : اللّهمَّ إنّ ذنوبى لن تضرَّك ، ورحمتُك إيَّاى لن تُنقصك ، فلا تمنعنى مالا ينقصك، واغفرلى مالا يضرك .

قال : وسمعتُ أعرابيًّا فى الموقف جاثياً على ركبتيه يقول : يا ربّ ! عَجَّتْ إليك الأصوات بأنواع اللغات لطلب الحاجات ، وحاجتى أن تذكرَنى بعد طول البلاء إذ نسينى أهل الأرض .

---

(١) ساقط من ا . وقد سبق البيت وترجمة الشاعر فى المجلد الأول .

قال بعض أهـل العلم : بينا أنا أمشى بين منى وعرفات ليلا ، إذ أنا بأعرابى قد أقبل على قعود له ، رافعًا صوته ، يقول :

ياذا المعارج أنتَ اللهَ أسألُه وأنت يا ربّ مدعوٌّ ومسئولُ
أدعوكَ فى ليـلةٍ حُرُمٌ وفى حَرَمٍ وكلُّ داعٍ بِخُلْو النّوم مشغولُ
تعطى إذا شئتَ من يسألك من سَعةٍ والخيرُ منك لمن ناداكَ مبذولُ
فاجمع بعفوكَ شَمْـلًا أنت جامعُهُ إنْ شئتَ ذاكَ وما حاولتَ مفعولُ[١]

قيل لعلىّ : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوةٌ مستجابةٌ . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرةُ يوم للشمس . من قال غير هذا فقد كذب .

سألت هند بنت النُّعمان[٢] سـعيدَ بنَ العاص[٣] حاجةً فقضاها ، فدعت له فقالت : لا أزال اللهُ عنك نعمـةً ، ولا أحوجك إلى لئام الناس عند حاجة ، وإذا زالتْ عن كريمٍ نعمة يجعلُكَ اللهُ سببًا لردّها عليه[٤] .

ودعا رجلٌ لرجل فقال : لا جعلَك اللهُ آخرًا تتكلُ على أوّل .

كان يقال : أربعةٌ لا تردُّ لهم دعوة : الصائمُ حتى يفطر ، والذاكر حتى يَفْتُر ، والإمام العَدْل ، ودعوةُ المظلوم .

(١) ساقط من ج .

(٢) الصحيح أنها حرقة بنت النعمان فهى التى بقيت حتى الفتوح الإسلامية للشام وأطراف الجزيرة ، وسترد لها حكاية مع سعد بن أبى وقاص فيما يلى .

(٣) سبقت ترجمته فى المجلد الأول .

(٤) ا : عليك .

دُعاء لى : اللهمّ اجعلنى مكثرًا لذكرك ، مؤديًا لحقّك ، حافظًا لأمرك ، راجيًا لوعدك ، راضيًا فى كل حالاتى عنك ، راغبًا فى كل أمورى إليك ، مؤمِّلاً لفضلك ، شاكرًا لنعمك ، يا من تحبُّ(١) العفوَ والإحسان وتأمرُ بهما ، اعفُ عنّى وأحسنْ إلىّ ، فإنك بالذى أنت له أهل من عفوك، أحقُّ منى بالذى أنا له أهلٌ من عقوبتك ، اللهمَّ ثبِّت رجاءك فى قلبى ، واقطعه عمن سواك حتّى لا أرجو غيرَك ، ولا أستعين إلّا إيَّاك .

ودعاء لى أيضاً(٢) : اللهمَّ هَبْ لى اليقينَ والعافية ، وإخلاصَ التوكُّل عليك ، والاستغناءَ عن خلْقك ، واجعلْ خيرَ عملى ما قارب أجَلى ، ربِّ ! ظلمتُ نفسى فاغفر لى يا خير الغافرين ، ويا أرحمَ الرّاحمين .

قال بعضُ الأعراب ، فى وصف دعوة(٣) :

وساريةٍ لم تَسْرِ فى اللَّيل تَبْتَغِى ... مَحَلًّا ولم يَقْطَعْ بها البيدَ قاطعُ
سَرَتْ حيثُ لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنَخْ ... لوِرْدٍ ولم يُقْصِرْ لها القيدَ مانِعُ
تحِلّ وراءَ الليلِ والّليلُ ساقطٌ ... بأرواقِهِ فيه سميرٌ وهاجعُ
تفَتّحُ أبوابُ السماواتِ دُونَها ... إذا قرع الأبوابَ منهن قارعُ
إذا أوفِدَتْ لم يَرْدُدِ اللهُ وَفْدَهَا ... على أهْلِها واللهُ رَاءٍ وسامِعُ

---

(١) ح : تهب : (٢) ساقط من ا .

(٣) قال الحصرى فى زهر الآداب ٣/٢٥٤ : إنه وجد هذه الأبيات فى شعر محمد بن أبى حازم الباهلى ، وقد وردت فى عيون الأخبار ٢/٢٨٧ ، العقد الفريد ٣/٢٢٧ بدون نسبة ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

وإنّى لأرْجُو اللهَ حتَّى كأنّما أرى بجميلِ الظَّنِّ ما اللهُ صانِعُ

أمر المنصور أبو جعفر بإشخاص سَوَّار بن عبد الله القاضى إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن[1] ، فلما قدم عليه قال له : يا سوار ! ضربنى أهلُ البَصرة بمائة ألف سيف من غير جناية ، لأفعلنَّ بهم ولأفعلنَّ . فقال له سوار : يا أميرَ المؤمنين ! إنّ لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقُه . قال : أبسلاحهم تخوِّفنى لا أمّ لك ! قال : يا أميرَ المؤمنين : إنّه دعاء بالأسْحَار .

ووقف أعرابىٌّ على قبر النبىِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : بأبى أنت وأمّى يا رسولَ الله ، أوصيتنا فقبِلْنا منك ، وحفظنا عنك مما وعيت عن ربك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[2] ، وقد ظلمنا أنفسَنَا فاستغْفِر اللهَ لذنوبنا ، وقد أتيناك فاستغفرْ لنا . ثم بكى .

وَمما جاء من الدُّعاء منظوماً عن الحكماء ، قال محمود الوراق :

يا رب كُنْ لى وَليًّا بالحِفظِ حتَّى أطيعَكْ
فإن ذممتَ صَنِيعى فقد حمدْتُ صَنِيعَكْ

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب ، أحد الأمراء الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على أبى جعفر ، وكثرت جموعه فاستولى على البصرة ، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة ، حدثت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة ، إلى أن قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥ هـ . انظر : تاريخ الطبرى ٢٤٣/٩ (الأعلام ٤١/١) .

(٢) سورة النساء ، الآية ٦٤ .

أوكنتُ أعْصِيكَ إنِّى أحبُّ فيك مُطِيعَكْ

قال منصور الفقيه :

أصْلَحَ اللهُ كلَّ مَنْ يتـــــولّى أُمُورَنَا
وَوَقَانَا شُـــــرُورَهُمْ . وَوَقَاهُمْ شُـــــرُورَنَا

وَقال آخر[١] :

وإنّى لأدعُو اللهَ والأمرُ ضيِّقٌ علىّ فمَا ينفكُّ أنْ يَتَفرَّجَا[٢]
وربّ فتَى[٣] سُدّتْ عليه وجُوهُهُ أصابَ لها فى دعوة اللهِ مَخْرَجَا

وقال آخر :

باللهِ تتّسِــــعُ الفِجَا جُ[٤] إذا تضايَقَتِ المَذَاهِبْ

وقال آخر :

أيَا من لا يَخيبُ لَدَيْهِ راجٍ ولم يَبْرَمْهُ إلْحاحُ المُناجِى
ويا ثِقَتِى على ظُلْمِى وجُرْمِى وإيثارِى التَّمادِى فى اللَّجَاجِ
أقِلْنِى عَثْرتى وتَلَافَ أمْرِى وهبْ لِى مِنْك عفوًا واقضِ حاَجِى
فما لى غير إقرارِى بذَنْبِى لنفسِىَ دُونَ عُذْرٍ واحتجاجِ

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٢/٢٨٧ ، زهر الآداب ٢/١١٠ .
(٢) حـ : ألا يفرجا .
(٣) ا : كم من فتى ، زهر الآداب : كم فتى .
(٤) ا : ينقشع العجاج .

قال صُحَار بن عابد ، رأيتُ حَسَن البصرى بطريق مكة ، وهو يحدو :

يا فالقَ الإصْـبَاحِ أنت ربّى

وأنت مولاىَ وأنت حَسْبى[١]

فأصلحنّ باليقين قَلْبى

ونجّنى من كُرَبِ يوم الـكَرْبِ

كان يقال : عليكم بالدُّعاء فى أوقات الصلوات ، فإنها اختيرت فى أفضل[٢] الأوقات .

ولمنصور الفقيه أو الشافعى :

يا سميعَ الدُّعاء كُنْ عند ظنّى ... واكْفِنِى من كَفَيْتَه[٣] الشَّرَّ منّى

وأعنّى على رضاك وخِرْ لِى[٤] ... فى أُمُورى ، وعَافِنى واعْفُ عَنّى

---

(١) ا : حسبى ... ربى .

(٢) ح : لأفضل .

(٣) ا : وكنى .

(٤) خار له الله فى أمره : جعل له فيه الخير ، وفى ا : جز .

بابُ ذكرِ الدُّنيا

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : « الدنيا سجنُ المؤمن ، وجنّةُ الكافر » .

قال رجلٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ! دُلَّنِي على عملٍ إذا عملتُه أحبَّنى الله وأحبَّني الناس . قال : « ازْهَد فى الدنيا يحبَّك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبَّك الناس » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عُمر : « يا عبدَ الله ! كن فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل ، وعُدّ نفسَك من أهل القُبُور » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « واللهِ ما الدُّنيا فى الآخرة إلَّا كما يجعل[1] أحدكم إصبعَه فى اليَمِّ ، فلينظر بمَ يرجعُ إليه » .

وقال عليه السَّلام : « مَثَلُ الدُّنيا كركبٍ رُفعَتِ لهم شجرةٌ فى يوم صائف ، فقالُوا تحتها ساعةً من نهار ثم راحُوا » .

وقال عليه السلام : « إنّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلْوة ، وإنّ الله مُسْتخفلكم فيها ، فانظرُوا كيف تعملون ، ألَا فاتقّوا الهوى ، واتقوا النساء » .

ذكر المبرِّد أنَّ عليَّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه سُئل عن الدُّنيا والآخرة ، فقال : هما كالمَشْرق والمغرب ، بقدر ما تقرُب من أحدهما تَبعُد[2] عن الآخر .

---

(١) ا : مثل ما يجعل . (٢) ح : بعدت .

وروى عبدُ خير عن عليّ رضى الله عنه قال : ليس الخيرُ أن يكثر مالُك وولدُك[١] ، ولكن الخير أن يكثر علمُك ، ويعظم حلمُك[٢] ، وأن تُباهى الناسَ بعبادة ربّك ، وإن أحسنت حمِدْت الله عزَّ وجل ، وإن أسأت استغفَرت ، ولا خيرَ فى الدنيا إلّا لرجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلكٌ بتوبته ، ورجل يُسارع فى الخيرات ولا يقلّ عملٌ مع تقوى الله وكيف يقلُّ ما يُتَقبَّل .

وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدنيا حُلْوةٌ خَضِرَة ، فمن أخذها بحقّها بورك له فيها ، ومن أخذها بغير حقّها كان كالذى يأكل ولا يشبع ، وربّ منحوضٍ[٣] من مال الله ورسوله له النار يوم القيامة » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « حُبُّ الدنيا رأسُ كل خطيئة » . وروى أن ذلك من كلام المسيح عليه السَّلام .

قال الأصمعى : ذكر لنا أنَّ أنوشَرْوان لما ضرب عنق بُزُرْجمهر ، وجد فى منطقته كتاباً لطيفاً فيه ثلاث كلمات : إن كان القَدَرُ حقًّا فالحرصُ باطل ، وإن كان الغَدْر فى الناس طباعًا فالثقة بكل أحدٍ عجز ، وإن كان الموتُ لكلِّ أحد راصدًا ، فالطمأنينة إلى الدنيا حُمْق

ووعظ أعرابىٌّ ابنَه ، فقال : يا بُنىّ ! إن الدنيا تسعى على من يسعى لها ، فالهربَ قبل العطب .

---

(١) ا : يكثر مالك ويعظم ذلك .
(٢) ساقط من ا .
(٣) المنحوض : المكتنز اللحم .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبُّوا الدنيا ؛ فنعم مطيةُ المؤمن يبلغ عليها الخيرَ ، وبها ينجُو من الشّرّ » .

قال عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الدُّنيا دارُ صِدْقٍ لمن صَدَقها ، ودار نجاةٍ لمن فهم عنها ، ودارُ غنًى لمن تزوَّد منها ، مهبطُ وحْىِ الله ، ومصلّى ملائكته ، ومساجد أنبيائه ، ومَتَاجرُ أوليائه ، ربحُوا فيها الرَّحمة ، واكتسبُوا فيها الجنَّة ، فمن ذا يذمُّها ، وقد أذنت ببيْنها ، ونادت بفراقها ، فيا أيُّها الذَّامُّ لها ، بم خَدَعَتْك الدنيا ؟ أم بماذا استَذمَّت إليك ؟ أبمصارع أمّهاتك فى الثَّرى ؟ أم بمضاجع آبائك للبلى ، لقد تطلب عليلنا الشفاء ، واستوصف الأطباء حين[1] لا يغنى عنه دواؤه ، ولا ينفعه بكاؤه .

قيل لنوح عليه السّلام — حين حضرَتْه الوفاة — : يا نبيَّ الله ! لقد بلغت من العُمر ما بلغْتَ ، فصفْ لنا الدُّنيا . فقال : ما وجدتُ الدنيا مع طولِ عمرى فيها إلّا كبيتٍ له بابان ، دخلتُ من أحدهما ، وخرجت من الآخر .

قال المسيحُ عليه السلام : حُلْوُ الدنيا مُرُّ الآخرة ، ومرُّ الدنيا حُلْو الآخرة ، ومن حَزِن على دنياه سخط على الله .

وعن المسيح عليه السلام أنَّه قال : الدنيا لإبليس مزرعة ، وأهلها لها حُرَّاث[2].

---

(١) ح : لقد تطلب عليها الشفاء وتستوصف الأطباء حتى .

(٢) ا : حرائون .

كان يقال : مَثَلُ صاحب الدنيا كخائضِ الماء ، هل يستطيعُ ألَّا تبتلّ قدماه

قال عمرُ بن الخطاب : يا معشر القرَّاء ! لا تُلقُوا كَلَّكُمْ على إخوانكم ، ولا تدعوا دنيا كم لآخرتكم ، ولا آخرتكم لدنيا كم ، واستعينُوا بهذه على هذه .

قال عليّ بن أبي طالب : الدنيا دارُ مَمَرٍّ إلى دار قرار ، والناس فيها رجلان : رجلٌ باع نفسه فأوْبقها ، ورجل ابتاعها فأعتقها .

وعن عليٍّ رضى الله عنه ، أنه قال : إن اللهَ عز وجلّ يعطى الدنيا من يحبُّ ومن لا يحبّ ، ولا يعطى الآخرة إلَّا من يحبّ ، وقد يجمعهما الله لأقوام . وقد رُوى هذا الكلام مرفوعاً عن النبيّ عليه السَّلام .

أكثر قوم من ذمّ الدنيا عند رابعةَ القَيْسية ، فقالت : من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

وقال سفيانُ الثورى : من أحبَّ الدنيا وسَرَّته ، نزع خوف الآخرة من قلبه .

قال أبو الدَّرْداء : من هوان الدُّنيا على الله أنَّه لا يُعصى إلَّا فيها ، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها .

قال حذيفةُ بن اليَمان(١) : ليس خياركم الذين تركوا الدنيا للآخرة ، ولا الذين

(١) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسى ، أبو عبد الله ، واليمان لقب حسل ، صحابى من الولاة الشجعان الفاتحين ، ولاه عمر على المدائن بفارس ، فغزا الدينور وماه سندان وهمذان والرى وفتحها عنوة ، وكان زاهداً عابداً حكيما ، توفى بالمدائن سنة ٣٦هـ . الإصابة ١/٣١٧ (الأعلام وهامشه ٢/١٨١)

تركوا الآخرة للدنيا ، ولـكن خياركم الذين أخذوا من هذه وهذه .

قال الشاعر[١] :

إذا أبقَتْ الدُّنْيا على المرءِ دينَهُ   فمهما زَوَتْ عنه[٢] فلَيْسَ بضائر
فما تَعْدِلُ الدُّنْيَا جناح بَعُوضةٍ   لدى الله أوْ مِقدار زغبة طائرِ[٣]
فما رضى الدنيا ثوابًا لمؤمنٍ   ولا رِضَى الدُّنيا عقابًا لـكافرِ[٤]

قال أبو العتاهية[٥] :

ويا دُنْيـــاَى مالى لا أرانى   أسُومُكِ مَنْزِلاً إلَّا نبَاَ بِى
وما لِىَ لَسْتُ أحلب منك شَطْرًا   فأحمَدَ غِبَّ عاقبةِ الحِلَابِ
ومَا لى لا أُلِحُّ عليك إلَّا   نصبتِ الهَمَّ لى من كل باَبِ
أراكِ وإن طُلِبْتِ بكلِّ وجْهٍ   كحُلْمِ النَّوم أو ظلِّ السَّحاَبِ
وكالأمسِ الذى ولّى مَرِيراً   وكالحِدْثاَن أو لُمَعِ السَّرابِ
وهذا الخلقُ منك عَلَى مسيرٍ   وأرجلُهُم جميعًا فى الرِّكاَبِ
وموعدُ كلِّ ذى سَـعْيٍ وفِعْلٍ   بما يَبْدُو غدًا يومُ الحِساَبِ

---

(١) الأبيات لأبى العتاهية ، ديوانه ١٠١ ، ١٠٢ ، ووردت فى البيان والتبيين ٣/١٦٢ بدون نسبة .

(٢) فى الديوان : فما فاته منها . وفى البيان : فما فات من شىء .

(٣) الزف : الريش الصغير ، وفى الأصل : ولا وزن زف من جناح لطائر ، وقد أثبتنا رواية الديوان لأنها أصح لإفادة المعنى .

(٤) فى الديوان : فلم يرض بالدنيا . فى كلا الشطرتين .

(٥) ديوانه ١٨ ، ١٩ ، وفيه : منك بدل غب ، بعثت بدل نصبت ، أو الأمس بدل وكالأمس ، ذهابا بدل مريرا ، وليس يعود بدل وكالحدثان ، وفاة بدل مسير . بما أسدى غدا دار الثواب بدل الشطرة الأخيرة .

قال ابن مسعود : الدنيا كلها غموم ، فما كان منها سرورٌ فهو ربح .

وقال الشاعر :

ومن يَحْمَد الدُّنْيا لعيشٍ يَسُرُّهُ　　فسوف لَعَمْرِى عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا [١]
إذا أدْبَرَتْ كانت عَلَى المرءِ حَسْرَةً　　وإن أقبلتْ كانت قليلاً نَعِيمُها

وقال آخر :

إنما الدنيا وإن سَر (م) تْ قَليلٌ من قَليلْ
ليس يَخْلو أن تَراءى　　لَكَ فى زىٍّ جَميلْ
ثم تَرْميك من المَأْ　　مَنِ بالخطْب الجَليلْ

قال بعض الحكماء : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

قال الخليلُ بن أحمد : الدنيا أَمَد ، والآخرة أَبَد .

وصف الحسنُ البصرى الدنيا ، فقال : أمَّا اليوم فعمل ، وأما أمس فأجَل ، وأما غد فأمَل .

قال محمود الوراق :

تلذذتَ فى الدُّنْيا بكل طَرِيفة　　عَلَى أنّها أَيضاً حَرَامٌ مُحَرَّمُ
وتأمُلُ جنَّاتِ الخلودِ لِبِنْسَمَا　　تُقَدِّرُ ، من يقضى بهذا ويحكُمُ ؟

---

(١) فى ا : فعما قليل سوف حقا يلومها .

لئن كان حكمُ اللهِ يخرج هكذا فإنك مِنْ يَخْشَي على اللهِ أكرمُ
إذا قيل : من يقضى بهذا فقُلْ له ومُدَّ له فى الصوت : يحلُمُ يحلمُ

وقال منصور الفقيه :

دنياً تَرُوح بأهلها فى كلِّ يومٍ مرَّتينْ
فغـــدوُّها لتَجمُّعٍ ورواحها لشتات بَيْنْ

وقال آخر :

إنما الدنيا شتَاتٌ فتأهَّبْ لشَتَاتِكْ
واجعل الدنْيا كيومٍ صُمْتَهُ عن شهواتِكْ
واجعل الفطر إذا ما صُمْتَه يوم وَفَاتِكْ[(١)]

وقال آخر :

أنت فى دار شتاتٍ فاغتنِم وقت حَيَاتِكْ[(٢)]
واترك الدُّنيـــا وما فيها ودَعْها لعِدَاتِكْ
تجمعُ المالَ وتُوعِيـ ـهِ لأزواج بنَاتِكْ
أو لِـكَنَّاتٍ[(٤)] قَرِيرَا تِ عيونٍ بوفاتِكْ

(١) ا : الناس .
(٢) انظر الأبيات فى العقد ٣/٤٤٣ ، وفيه : أنت فى دار شتات .
(٣) فى ا : يوم بدل دار ، ويوم أيضا بدل وقت .
(٤) الـكنة : امرأة الابن أو الأخ .

أو لبعلِ العِرْسِ مِنْ بعدِكَ تحبُوه بذاتِكْ

إنما الدُّنيا كحُلْمٍ فانتَبِه من غفلاَتِكْ

وقال آخر(١) :

نُرَاعُ لذِكْرِ الموتِ ساعةَ ذِكْرِه وتَعترِضُ الدُّنيا فَنَلْهو ونَلْعَبُ

ونحن بنو الدنيا خُلِقْنا لغيرِها وما كنتَ فِيها فهو شيءٌ محبَّبُ(٢)

قال الخاسر : أشعر الجن والإنس أبو العتاهية(٣) فى قوله :

سَكنٌ يبقى له سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ

نحن فى دارٍ يُخَبِّرُنَا عن بَلاها ناطقٌ لَسِنُ

دارُ سُوءٍ لم يدُمْ فَرَحٌ لامرئٍ فيها ولا حَزَنُ

فى سبيلِ الله أنفُسُنا كلنا بالموتِ مُرْتَهَنُ

كلُّ نفسٍ عند مِيتَتِها حَظُّها من مالها الكَفَنُ(٤)

إنّ مالَ المرءِ ليس له منه إلا ذِكْرُهُ الحَسَنُ

كان عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — يتمثل :

ولا خيرَ فى عيشِ امرئٍ لم يكنْ له من اللهِ فى دارِ الحياة نصيب

(١) ورد البيتان فى ديوان أبى العتاهية ٢٥ ، ونسبهما ابن عبد ربه لنفسه فى العقد الفريد ٣/١٧٦ ونسبا فى محاضرات الأدباء لمحمد بن وهب ، ووردا فى عيون الأخبار ٢/٣٢٩ بدون نسبة .

(٢) فى ديوان أبى العتاهية : ونغتر بالدنيا ، وفيه : وما نلت منها .

(٣) وردت الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ووردت أيضا لأبى نواس فى ديوانه ٢٠٥ .

(٤) فى ديوان أبى العتاهية : كل حى عند ميتته حظه من ماله الكفن

فإن تُعجِبِ الدُّنيا أناسًا فإنها   متاعٌ قليــلٌ والزوال قريبُ

وقال الغَزَال :

لقد فسدت فما تَلْقى   بها من ليس ذا شَجَنْ
وصار الحي منا يغْـ   ـبطُ الملفُوفَ في الكَفَنْ

وقال سابق البربري :

لسانُك للدُّنيا عَدُوٌّ مُشاحِنٌ   وقلبُك فيها للّسان مُبايِنُ
وما ضرّها ما قُلْتَ فيها وقد صَفَا   لها منك ودٌّ في فؤادِكَ كامِنُ

قال ابن الحنفية : من كَرُمت عليه نفسُه ، هانت عليه الدنيا .

قال الشَّعبي : ما أعلم لنا وللدنيا مثلا إلا كما قال كُثيّرُ عَزّة :

أسيئي بنا أو أحسنِي لا مَلُومَةً   لدينا ولا مقليةً إن تَقَلَّتِ

وقال أبو العتاهية[1] :

أصبحت الدُّنيا لنا عِبْرَةً   والحمدُ للهِ على ذلكا
قد أجمعَ الناسُ على ذمّها   وما أرى منهم لها تارِكا

وقال سابق البربري :

جمعنا لها أكْلاً وذمًّا بألسُنٍ   أليس عجيبًا ذمُّهَا واحتلابُها

(١) ديوانه ١٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ٢٥١ بدون نسبة .

قال أبو الطّيب(١) :

تفانَى الرِّجالُ على حُبّها ولا يَحْصُلُون عَلَى طائِلِ

وقال أيضاً(٢) :

(٣ ومن لم يَعْشَقِ الدُّنْيا قديمًا ولكن لا سبيل إلى الوصال ٣)

وقال آخر :

يذمُّونَ دُنْياهُمْ وهم يَحلِبُونها ولم أَرَ كالدُّنْيا تُذَمُّ وتُحْلَب(٤)

وقال سعيد بن حميد :

ولم أر كالدُّنيا تُذَمُّ صُروفها ونُوسِعُها شَتْمًا ونحنُ عَبِيدُها

وقال منصور الفقيه :

ضحِكَتْ دُنْيَاكَ يا إِذْ سأَنُ من نَهْيك عَنْهَا
مَعْ تمنّيك على ربِّك مـــا لم تُؤْتَ مِنْهَا

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، فى خطبـة له : أيّها الناس ! إنما الدنيا

---

(١) ديوانه ٢٢٩ ، وفيه : وما يحصلون .

(٢) ديوانه ٢٢١ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) البيت فى محاضرات الأدباء ١٦٧/٢ ، وفيها : يذمون دنيا لا يريحون درها .

أجَل محتوم[١] ، وأمَل منتقَص ، وبلاغٌ إلى دارٍ غيرها ، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه[٢] تعريج ، فرحم الله من فكّر فى أمره ، ونصح لنفسه ، وراقبَ ربّه ، واستقال ذنبه . أيّها الناس ! قد علمتم أن أباكم أُخْرج من الجنة بذنبٍ واحد ، وأنّ ربكم وَعَد على التّوْبة خيرًا ، فليكن أحدُكم من ذنبِه على وَجَل ، ومن ربّه على أمل .

قال بعض الحكماء . إنما الدُّنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكلُ منها البرُّ والفاجر .

قال محمود الوراق :

ما أفْضح الموتَ للدُّنْيا وزينَتِها ‏ ‏ جدًّا ، وما أفضحَ الدُّنيا لأَهْلِيِهَ

لا ترجعنّ على الدنيا بلائمةٍ ‏ ‏ فمُذْرُها لك بادٍ فى مَساوِيها

لم تُبْق فى غيْبها شيئًا لصاحبها ‏ ‏ إلّا وقد بيّنتـه[٣] فى مَعَانِيها

تُفْنِى البنينَ وتُفْنى الأهلَ دائبةً ‏ ‏ ونَسْتَنِيمُ إليها لا نُعَادِيها

فما يزيدُكم قتلُ الذى قتلتْ ‏ ‏ ولا العَدَاوةُ إلّا رغبةً فيها

قال أبو حفص عمر بن على الفَلاّس : كتبتُ إلى صديق لى أشاوره فى شىء من أَمْرِ الدنيا ، فكتب إلىّ رقعة فيها سطران ، أحدهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، والآخر : اطلُب الدِنيا على قَدْرِ مكثك فيها ، واطلب الآخرة على قدر حاجتك إليها

---

(١) حـ : محرم .
(٢) ا : فيها .
(٣) ا : تدينه .

كان صالح المرّى يتمثل :

مُؤَمِّل دُنْيا لِتَبْقى له فمات المُؤَمِّل قبل الأَمَلْ
وَباتَ يُروّى أُصُول الفَسيلِ فعاشَ الفسيلُ ومات الرَّجُلْ (١)

وقال آخر (٢) :

نُرَقِّعُ دُنْيانَا بتمزيقِ ديننا فلا دينُنا يَبْقى ولا ما نُرَقِّعُ
(٣ فطوبى لعبدٍ آثر اللهَ ربَّهُ وجادَ بدنياهُ لما يتوقَّعُ ٣)

وقال آخر :

لقد غرَّت الدُّنْيا رجالاً فأصْبَحوا بمنزلةٍ ما بَعْـدَها مُتَحوَّلُ
فساخطُ أمرٍ لا يُبدَّلُ غيره وراضٍ بأمرٍ غَيْرَهُ سـيُبَدَّلُ
(٣ وبالغُ أمرٍ كان يأمُلُ غيرَهُ ومختَلَجٌ من دون ما كان يأمُلُ ٣)

وقال آخر :

ويْحَ دُنْيَا غُرُورُها يُضْنِيني (٤) كَمْ إلى كَمْ غَرَرْتِنِي فدَعِينِي
كم تَسُومينَنِي خداعاً عن الرُّشْـ ـدِ وكم ذا الخداع ويْلَكِ ذَرِينِي

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٢/٣٠٦ ، البيان والتبيين ١/١٣٢ ، ٣/١٦٢ ، الحيوان ٦/٥٠٨ ، والفسيل : أصل النخلة .

(٢) البيتان لإبراهيم بن أدهم العجلى ، عيون الأخبار ٢/٣٣٠ ؛ البيان والتبيين ١/٢٥٧ ، العقد الفريد ٣/١٧٦ ، ٦/٢٦٨ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ح : يفنيني .

أملى زائدٌ وعُمْـرِىَ يَفْنَى ويح نفسى عن رأيها المغْبُونِ
همّتى تعتــلى[١] السّماءَ وسَعْيي كَسَلاً سَـعْىَ عاجِزٍ مأفُونِ
ويح نفسى أماَ كفاها من العَيْـ شِ تَقَضِّى سنينَ بعدَ سنِينِ
ليت شِعْرِى وما انتظارى وقدْ لاحَ شيبٌ بعــارضِى وقُرُونِى
يا ابن ستّين ما اعتذارُكَ من بَعْـ دِ بلُوغ الأشُدِّ والسـتّينِ

قيل لراهب : كيف سَخَتْ نفسك بالخروج عن الدُّنيا ؟ قال : أيقنتُ أنّى خارج منها كارهًا ، فأحببت أن أخرج منها طائعًا .

قال بزرجمهر : من عيب الدنيا أنها لا تُعطى أحدًا ما يستحق ، إما زادته وإما نقصته .

لما قدم سعد بن أبى وقاص القادسية أميراً عليها من عند عمر بن الخطاب أتته حُرَقَةُ بنت النّعمان[٢] بن المنذر فى خدمها ووصائفها ، فلما وقفن بين يديه قال : أيّتُكن حرقة بنت النعمان ؟ قالت : هأناذِه ، فما أردت بتكرارك الاستفهام[٣] ، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال ، تنتقل بهم انتقال الظلال ، وتُعْقِبُهم[٤] حالاً بعد حال ، إنّا كنا ملوك هذا المصر قبلك ، يجبى إلينا خَراجه ، ويطيعنا أهله مُدّة من الدهر ، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام ، فصدّع شملنا ، وشتت

---

(١) ا : تعلو إلى .
(٢) انظر خبرها فى ترجمة عدى بن زيد فى الأغانى .
(٣) ا : باستفهامى . (٤) ا : وتفنيهم .

ملأنا ، (١ وكذلك الدهر ١) يا سعد ، فلا تغتر بحال الدنيا ، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك . ثم سألته حوائجها فقضاها ، فدعت : لا أزال الله عنك نعمة أتمها(٢) عليك(٣) .

كتب أبيّ بن كعب إلى أخٍ له : أمّا بعد ، فإن الدنيا دار فناء ، ومنزل قطيعة ، رغِب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدى الأشقياء ، فغناها فقر ، والعلم بها جهل .

كان يقال : الدنيا والآخرة ضَرّتان ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى .

كان يقال : مثل الذى يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة ، مثل عبدٍ له رَبّان فلا يدرى أيهما يطيع .

حج سليمان بن عبد الملك فلما أشرف فى انصرافه على قُدَيْد(٤) ، نظر من عسكره فأعجبه ما رأى من كثرته ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، فقال له : كيف ترى يا أبا حفص ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها ، أنت المبتلَى بها والمسئول عنها .

وروى عن أبى بكر الصّديق رضى الله عنه ، أو عن على بن أبى طالب رضى الله

---

(١) ساقط من حـ .

(٢) ا : أنعمها .

(٣) انظر هذا الخبر بفضل تفصيل فى هامش الحماسة لأبى تمام ٢/٤٧ ، ٤٨ .

(٤) قديد : موضع قرب مكة ، انظر معجم البلدان لياقوت ٤/٣١٣ .

عنه أنه قال : الدنيا دُوَل [١] ، ليس إلى أحد دون اللهِ إدالتها ، فما كان منها لأحد أتاه على ضعفه ، وما كان منها على أحد لم يدفعه بقوته .

قال أبُو حازم : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً لى وشيئاً لغيرى ، فما كان لى منها لم ينله غيرى ، ولو رامه بحيلة السموات والأرض، ففيم العناء والغم والتعب .

ذكرت الدنيا لأبى حازم فقال أبو حازم : الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مهارشة الكلاب .

قال أبو حازم : تكدرَت الدُّنيا وتعذّرت ، ما تمدّ يدك إلى شىء منها إلّا وجدت فاسقاً قد سبقك إليه .

كان سفيانُ الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار اسْتِواء ، ومنزل ترَح لا منزل فرح ، من عرفها لم يفرح برخائها ، ولم يحزن لشقائها .

قال وهيب بن الورد : من أراد الدنيا فليتهيأ للذُلّ .

سمع المسعودىّ رجلا يقول : أين الزاهدون فى الدنيا ، الراغبون فيما عند الله . قال : اقلب المعنى وضع يدك على من شئت .

كان سفيانُ الثورىّ يتمثل :

أرى أشقياءَ الناسِ لا يَسْأمونَها   على أنهم فيها عُرَاةٌ وجُوّع

---

(١) ساقطة من ا .

أراها وإن كانت تُحَبّ فإنها ... سحابةُ صيفٍ عن قليل تَقَشَّعُ

(٢ وقال أبو العتاهية(١):

يا ساكنَ الدُّنيا لقد أوطَنْتَها ... وأمنتها عجباً وكيفَ أمنْتَها

وشغلتَ قلبك عن معادك بالمُنى ... وشغلتَ نفسك بالهوى وفتَنْتَها

وأشعار أبى العتاهية فى ذم الدنيا كثيرة جدا ، وقد جمعتها شعرًا على حروف المعجم مما قاله فى المواعظ والحكم ٢)

وقال آخر :

ما أعجبَ الدَّهرَ فى تصرُّفه ... والدهر لا تنقضى عجائبُهُ

كم رأينا للدهرِ من أسَدٍ ... بالت على رأسِهِ ثعالبُهُ(٣)

قال محمد بن عبد الملك الزيات :

هى السبيل فمن يوم إلى يومٍ ... كأنه ما تُريكَ العينُ فى النَّوم

لا تعجلنَّ رويدا إنّها دُوَلٌ ... دُنْيا تنقّل من قوم إلى قومِ

إن المنايا وإن أصبحتَ فى شُغُلٍ ... تحوم حولك حوماً أيَّما حوْمِ(٤)

---

(١) ديوانه ٣٢ . (٢) ساقط من ج .

(٣) نسب البيتان فى التمثيل والمحاضرة ٨٨ لأبى سعيد المخزومى ، وانظرهما فى الحيوان ٦/٣٠٤ بدون نسبة .

(٤) العقد الفريد ٢/١٦٤ ، وفيات الأعيان ٤/١٨٧ . مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

وقال آخر :

تقنّعْ بالذى قاتَكْ[١] ولا تأسَ لما فاتَكْ
ولا تغترَّ بالدنيـــا أمَا تذكرُ أمواتَكْ

قال بعض الحكماء : استودقت[٢] الدنيا فأنعظ الناس .

لأيوب بن حول الشاربى[٣] :

فلم أر كالدُّنيا بها اغترّ أهلُها ولا كاليقين استوحَشَ الدهرَ صاحِبُه

وقال محمود الوراق :

أيّها الشيخ كم ترومُ وتَبْنِى ليس منك الدُّنيا ولا أنتَ منها
لا تَرُومَنّها[٤] ؛ فأنتَ وإن كُنْـ ـتَ مُقيماً بها كمن زال عَنْها

قيل لعامر بن عَبْدِ قيس : لقـد رضيتَ من الدنيا باليسير . قال : أخبرك بمن رضى بدونِ ما رضيت . قيل : مَنْ ؟ قال : من رضى بالدنيا حظًّا عن الآخرة .

قال المأمون : لو سُئلت الدنيا عن نفسها ما زادت فى وصفها عن وصف أبى نواس حيث يقول :

---

(١) ساقطة من حـ .

(٢) ا : استوكفت ، واستودقت الناقة : طلبت الفحل .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) حـ : لا ترا منها ، ا : لا ترتضيها .

إذا امتحنَ الدُّنْيا لبيبٌ تــكشّفت ... له عن عدوٍّ فى ثياب صديق[(١)]

[(٢)] قلت : وأظنه أخذه من قول أبي العتاهية :

ولم أرَ كالدُّنيا وكَشْفِى لأهلِهَا ... فما انـكشَفُوا لى عن صَفَاءٍ وعن صِدْقِ

وأول هذا :

طلبتُ أخاً فى الله فى الغَرْب والشَّرْقِ ... فأعْوَزنِى هذا على كَثْرةِ الخَلْقِ [(٢)]

وقلت أنا : ولأبى نواس فى صفة الدنيا بيت غاية أيضاً وهو قوله :

ومَنْ يأمَن الدُّنيا يكُن مثلَ قابضٍ ... على الماء خانته فروجُ الأصَابِع[(٣)]

قال عمر بن الخطاب : والله ما الدنيا فى الآخرة إلّا كنفخة أرنب ، وتمثل :

لا شىء فيما ترى إلّا بَشاشـته ... يَبْقى الإلهُ ويفنى الأهلُ والوَلَدُ[(٤)]

وقال آخر :

وإنّ امرءًا دُنياه أكثرُ هَمّهِ ... لَمُسْتَمْسِكٌ منها بحبْـلِ غُرُورِ[(٥)]

---

(١) ديوانه ١٩٤ .

(٢) ساقط من ح ، وانظر ديوانه ١١٠ .

(٣) ديوانه ٢١٥.

(٤) ا : تبق بشاشته ، ويفنى المال .

(٥) فى محاضرات الأدباء ٢/١٦٧ أن أبا عمر بن العلاء قال : كنت أدور فى ضيعة لى ، إذ سمعت هاتفا يقول البيت ، ثم تلفت فلم أر أحدا فنقشته على خاتمى ، وقد ورد البيت منسوبا الى هانىء بن توبة بن سحيم المعروف بالشويعر الحنفى فى وفيات الأعيان ٣/٧ ، وانظره فى المحاسن والأضداد ١١٨ بدون نسبة .

وقال أبو العتاهية(١) :

يا من ترفّع بالدنيا وزينتها ليس الترفُّعُ رفعَ الطّين بالطّينِ(٢)
إذا أردت شريفَ الناسِ كلِّهم فانظرْ إلى مَلِكٍ فى زىّ مسكينِ
ذاكَ الّذى شرُفتْ فى الناس همّتُهُ(٣) وذاكَ يصلُحُ للدّنيا وللدِّينِ

وقال أبو العتاهية :

كفاك عن الدّنيَا الدَّنِيَّةِ مُخْبِرًا غِنَى بَاخِلِيهَا وافتقارُ كِرَامِهَا
وأنّ رجال النَّفْعِ تحتَ مَدَاسِهاَ وأنّ رجالَ الضرِّ فوق سَنَامِهَا(٤)

وقال آخر :

الفقرُ فى زَمَنِ اللّئـــا مِ لكلِّ ذِى كَرَمٍ عَلَامَهْ(٥)

قال نفطويه : يروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال، قرضاً أو تمثُّلاً :

ولا خيرَ فى عيشٍ إذا لم يكنْ لَهُ من اللهِ فى يومِ الحِسَابِ نَصِيبُ

قال الفتح بن شُخْرُف(٦) :

كم يكونُ الشّتَاءُ ثم المَصِيفُ وربيعٌ يَمْضِى وَيَأْتِى خَرِيفُ

---

(١) ديوانه ٢٧٤ .
(٢) فى الديوان : يا من تشرف بالدنيا وطيناتها .
(٣) فى الديوان : عظمت فى الناس حرمته .
(٤) لا يوجد البيتان فى ديوانه
(٥) زهر الآداب ٤/١١٠ .
(٦) حـ : خشرف ، والصحيح ما أثبتناه ، فهو الفتح بن شخرف بن داود بن مزاحم ، أبو نصر الكسى ، كان عابداً زاهداً سواحا فى الأرض ، ثم سكن بغداد وطلب العلم والحديث ، وأخباره كثيرة ، توفى سنة ٢٧٣هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢/٣٨٥ وما بعدها .

وانتقالٌ من الحَرُورِ إلى الظـ ـلّ وسيفُ الرَّدَى عليكَ مُنيفُ
يا قليلَ البَقَاء[1] فى هذه الدا ر إلى كَمْ يغرُّكَ التَّسويفُ

قال أبو العتاهية[2] :

إن الشقىَّ لمن غرّتْه دُنْياهُ

وقال محمد بن عبد الملك الزيات :

سَلْ دِيَارَ الحىِّ من غَيَّرَها وعَفَاها وعَفَى مَنظَرَهَا
وكذا الدُّنيا إذا ما انقلبت جعلتْ مَعْرُوفَها منكَرَهَا
إنَّما الدنيا كظلٍّ زائلٍ أحمدُ الله كذَا قدَّرَهَا[3]

وقال محمود الوراق :

كفلت لطالب الدنيا بهَمٍّ طويلٍ لا يَؤُولُ إلى انْقطاعِ
وذلٍّ فى الحياةِ بغيرِ عِزٍّ وفقرٍ لا يَدُلُّ على اتِّساعِ[4]
وشغلٍ لَيْسَ يعقُبُه فراغٌ وسَعىٍ دائمٍ مع كلِّ سَاعِى
وحرْصٍ لا يزالُ عليه عَبْدًا وعبدُ الحِرْص ليس بذى ارْتفاعِ[5]

---

(١) حـ : التقى .

(٢) ديوانه ٢٩٢ ، وصدر البيت :

تغتر للجهل بالدنيا وزخرفها

(٣) الأبيات له فى وفيات الأعيان ٤/٨٨ ، وقد ورد البيت الأخير فى ديوان أبى العتاهية ١٢٥ .

(٤) ا : لا يزال إلى اتساع . (٥) ا : انتفاع .

قال الحسنُ البصرى ، لستُ أعجبُ ممّن هَلَك كيف هَلَك ، إنما أعجبُ ممّن نجا كيف نَجاَ ، شيطانٌ مريدٌ يحرُسُ منه السماء ، و نفس أمَّارةٌ بالسوء ، ودنيا مُزَيَّنة .

قال عبد الله بن الأرقم[١] لعمر بن الخطاب : قد اجتمع عندى فى بيتِ المال حَلْىٌ كثير ومناطقُ من أموال فارس أفلا تقسـمُه ؟ قال : بلى ، فأتنى به ، فنقلتُه إليه فى القِفاف ، فلما نظر إليه رأى شـيئاً عَجَباً ، فقال : اللهمّ إنّا لا نستطيع إلَّا أن نحبّ ما حَبَّبْتَ إلينا[٢] ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساَءِ ﴾[٣] . الآية . ثم قال : اللهم قِنِى شرَّه ، وارزُقْنى أن أنفقَهُ فى حقِّه .

قال يحيى بن خالد بن برمك : دخلنا فى الدنيا دخولاً أخْرَجنا عنها .

قال منصور الفقيه :

قد صُرِفَ البَوّابُ والحاجِبُ وقَهْرَمَانُ[٤] الدّارِ والكاتبُ
وأصبح الصاحبُ من بينهم بحيثُ لا جَارٌ ولا صاَحِبُ
واعتاضَتْ النَّاهِدُ من بعدِه[٥] إلْفاً سِوَاهُ وكذا الكاعبُ

---

(١) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث القرشى الزهرى ، صحابى من الكتاب ، وهو خال النبى صلى الله عليه وسلم ، أسلم يوم فتح مكة وأصبح من كتابه ، كان على بيت المال أيام عمر كلها وسنتين من خلافة عثمان ثم استقال ، فأجازه عثمان بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها ، توفى بالمدينة سنة ٤٤ هـ . انظر الأعلام وهمشه ١٩٧/٤ .

(٢) حـ : لا نستطيع ألا نحب مالا جبيت إلينا .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤ .

(٤) قهرمان الملك أو الدار : أمينهما .

(٥) حـ : واعتاضه من بعده .

وجدّ في تفريقِ[١] ما لم يَزَلْ يجمعُهُ وارِثُه اللاّعبُ
فكنْ من الدنيا على أُهْبَةٍ يا زاهدًا فيها ويا راغبُ
فإنّهـا أمٌّ لأبنائِهـا منها عدُوٌّ قاتلٌ سـالبُ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

ألا إنّما الدنيا على المرءِ فتنةٌ على كلِّ حالٍ أقبلت أو تولّتِ

قال رجل لداود الطائي : عظني . فقال له : ارض من الدنيا إذا سلم لك دينك بما رضي به أهل الدنيا من الآخرة حين سلمت لهم دنياهم ، وأنشد في ذلك شعرًا ، ذكر أن سليمان الأعمش تمثّل به :

أرى رجالًا بدون الدّين قد قَنِعُوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدُّونِ
فاستغْنِ باللهِ عن دنيا الملوك كما اسْـ تَغْنَى المُلوكُ بدنياهم عن الدّينِ[٢]

لابن أبي عيينة ، أو لمحمّد بن يسير[٣] :

ما راحَ يومٌ على حيٍّ ولا ابتكَرَا إلّا رأى عِبْرةً فيـه إن اعْتَبَرَا
ولا أتت ساعة في الدهر وانصرمت[٤] حتى تؤثّر في قوم لها أثَرَا
وأنَّ اللّيالِيَ والأيّامَ أنفسَها عن عيبِ أنفُسِها لم تـكتم الخَبَرا

---

(١) ا : تبذير .
(٢) عيون الأخبار ٢/٣٧٣ .
(٣) نسبت الأبيات لابن أبي عيينة في الكامل ١/٢٤١ ، محاضرات الأدباء ٢/١٦٧ .
(٤) ا : فانصرفت .

وقال بكرُ بن حمّاد :

الناسُ حَرْصَى على الدّنيا وقد فسَدَتْ فصَفْوها لك مَمْزوجٌ بتكديرِ
فمِنْ مُكبٍّ عليها لا تُساعِدُه وعاجزٍ نال دنياه بتقصيرِ
لم يدركُوها بعقلٍ عندما قُسِمَتْ وإنما أدركُوها بالمقاديرِ
لو كان عن قوةٍ أو عن مُغالبة طار البُزَاةُ بأرزاق العصافيرِ

ويقال : إنها مكتوبة على قائم سيف الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (١).

---

(١) ساقط من ا ، م ، وقد سبقت في المجلد الأول .

باب الزهد والقناعة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ما قلّ وكَفَى، خير مما كَثُر وألهى».

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «القناعةُ مالٌ لا ينفَد، وما عال من اقتصد».

وقال عليه السلام: «خيرُ الرزق ما يكفى، وأفضل الذكر الخَفِى»(١).

وقال عليه السّلام: «إنّ روحَ القُدُس نفث فى رُوعِى أنّه لن تموتَ نفسٌ حتى تستكمل رِزقها، فاتقوا اللهَ وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حلّ، ودَعُوا ما حَرُم».

قال أبو هريرة، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقنع بما رزقت تكن أغنى الناس».

قال على بن أبى طالب: الزاهدون فى الدنيا قوم وُعِظوا فاتعظوا، وأيقنوا فعملوا، إن نالهم يُسْرٌ شكرُوا، وإن نالهم عُسْرٌ صَبرُوا.

وفى الخبر المرفوع: «عِزُّ المؤمن استغناؤه بربّه عن النّاس».

قال سعيدُ بن المسيّب: من استغنى باللهِ افتقر الناسُ إليه.

---

(١) م: ما يخفى.

قال الحطيئة :

استغْنَ عن كلِّ ذى قُرْبى وذِى رَحِمٍ   إن الغَنِيَّ من اسْتَغْنَى عن النَّاسِ[١]

قال أوس بن حارثة لابنه : يا بنىّ ! خيرُ الغنى القناعة ، وشر الفقر الخضوع .

قال الحسن وعكرمة فى قول الله عز وجل : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً﴾[٢] ، قالا : القناعة .

أبلغُ شيءٍ جاء فى القناعة ، قولُ علىّ رضى الله عنه : لا تحمل قوت غَدِك الذى لم يأت ، على يومِك الذى قد أتى ، فإنه إن يكن من أيّام حياتك جاءك وفيه رزقُك ، واعلم أنك لم تدخر أكثر من قوت يومك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك .

قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريّين ! بحقٍّ ما أقولُ لكم : ما زَهِدَ فى الدُّنيا من جزع على المصيبة فيها .

وقيل له : يا روح اللهِ ! لو اتخذت حمارًا تركبه ؟ قال : أنا أعزّ على الله من أن يجعلَ لى شيئاً يشغلنى به[٣] .

قال أكثم بن صيفى : من لم يأسَ على ما فاته أراح نفسَه .

سُئل ابنُ شهاب عن الزُّهْد فى الدُّنيا ، فقال : الزُّهد ألّا يغلبَ الحرامُ صبرَك ، ولا الحلالُ شكرك .

---

(١) ديوانه ١٤٨ .   (٢) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٣) فى المستجاد من فعلات الأجواد ٢٥ ، أنا أعز على الله من أن يجعلنى خادم حمار .

قال مالك بن أُنَس ، وسفيان الثورى : الزُّهْد فى الدُّنيا قِصَرُ الأمل .

قال بعضُ الحكماء : إذا كان سعيُك إنما هو لطلب الراحةِ فى الدنيا ، ثم سعيتَ لأكثر مما يكفيك لم تزدَدْ من الراحة والدَّعَة إلّا بُعداً .

قال سفيان أو إبراهيم بن أدهم[1] : الزُّهْد زُهْدان ؛ فزهدُ فرضٍ ، وزهد فَضْل . فالزُّهد فى الحرام فَرْض ، والزهد فى الحلال فَضْل . والوَرَعُ وَرَعان ، فالورعُ عن المعاصى فرض ، والورع عن الشُّبُهات حذرٌ وفضل .

سئل الخليل بن أحمد عن الزهد فى الدنيا ، فقال : الزُّهْد ألّا تطلُبَ المفقودَ حتّى تفقدَ الموجُود .

قال إبراهيمُ بن أدهم : إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفُسهم ، فبِتْ على اختيارِ اللهِ لك وارْضَ به .

أصيبَ مكتوباً على صخرة : لستَ مُدْركاً أملَك ، ولا فائتاً أجَلك ، ولا آخذاً ما ليس لك .

وفى موضع آخر : القضاء غالب ، والأجل طالب ، والمقدورُ كائن ، والهمُّ فضل .

قال بعضُ الحكماء : القناعة ثوبٌ لا يَبْلى ، وهى شعار الأنبياء .

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخى ، زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الثراء ببلخ ، ولكنه سلك طريق العلم والزهد ، فتفقه ، ثم جال فى العراق والشام والحجاز ، يتعيش من عمل يده فى الحمل والطحن وحفظ البساتين ، وأخباره كثيرة مع العلماء والأمراء ، توفى سنة ١٦١ هـ . انظر الأعلام وهامشه ١/ ٢٤ .

ولابن المبارك :

لله دَرُّ القُنُوعِ من خُلُقٍ كم من وضيعٍ به قد ارْتَفَعَا
يضيقُ صدرُ الفتى بحاجتِهِ ومن تأسّى بدونه اتَّسَعَا

قال بعضُ الحكماء لبنيه : يا بَنِيّ ! أظهروا الزهد والنسك ، فإن رأى الناس أحدكم بخيلا قالوا : مقتصد لا يحب الإسراف ، وإن رأوه عيّيا قالوا : يكرهُ الكلام فيما لا يعنيه ، ويؤثر الصمتَ خيرٌ من مقال يرديه ، وإن رأوه جباناً قالوا : لا يقدم على الشبهات .

قال العُتْبي ، كان يقال : من عَدِم القناعة ، لم تزدْه الثروة إلاّ عناء .

قال أبو العتاهية(١) :

تَبْغِى من الدّنْيا الكثيرَ وإنّما يكفيكَ منها مثلُ زادِ الرَّاكِبِ
لا تعجبَنّ بما ترى فكأنّه قد زال عنك زوالَ أمسِ الذّاهبِ

قال منصور الفقيه :

كُلُّ من فى هذه الدُّنْـيا من النَّاسِ ذَليلُ
وأذلُّ النّاسِ مَنْ لَمْ يُرْضِهِ منها القليلُ

---

(٢) ديوانه ٣٠ ، وفيه لا يعجبنك ما ترى فى البيت الثانى .

وقال آخر :

كم كافرٍ بالله أموالُهُ تَزْدَادُ أَضْعَافًا على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ ليسَ له درهمٌ يزدادُ إيمانًا على فقْرِهِ
لا خيرَ فيمن لم يكن عاقِلاً يمدُّ رجليه على قَدْرِهِ

وقال منصور الفقيه :

منافسةُ الفتى فيما يزولُ على نُقْصَانِ هِمَّتِه دليلُ
ومختارُ القليل أقلُّ منه وكلُّ فوائدِ الدّنْيَا قليلُ

وله أيضاً :

إذا قال لى قائل كيف أنْ تَ أقولُ له : أنَا فى عافِيَهْ
لأشياءَ منها الرضى بالكفافِ وما كلُّ نفسٍ به راضِيَهْ

وقال أيضاً :

ألا إنّ رزق الله ليس يفوتُ فلا تُرْعَنْ[1] إنّ القليلَ يَقُوتُ
رضيتُ بقَسْمِ اللهِ حظّاً لأنّه تـكفّلَ رزقى من له الملـكوتُ
سأقنعُ بالمالِ القليلِ لأنّنى رأيتُ أخا المال الـكثير يموتُ

---

(١) ا : فلا ترغبوا .

وقال الحسين بن الضحّاك :

يا رَوْحَ من حَسَمت قناعَتُهُ ... سَبَبَ المطَامِعِ من غدٍ وغَدِ
مَنْ لم يَكُنْ للهِ مُتَّهِمًا ... لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ(١)

ويروى لأبى العتاهية أو العطوى(٢) :

عنـدِى من النّاس أنباء وتجربة ... على اختلافهمُ فى العَقْل والشِّيَمِ
حَسْبِى بظلّ جدارٍ من مِهَادِهِمُ ... ومن مياههمُ ما أسْـتَقى بِفَمِ
كم قَد أهابَتْ بِىَ الدّنيا فقلتُ لها : ... إليكِ عنّى ففى أذْنَىّ كالصَّمَمِ
إنى قنعتُ بقُوتٍ لا أُجاوِزُه ... وصونِ وجْهىَ عن لَالَا وعن نَعَمِ
ولست أذْخَرُ فضلَ القوتِ عن أحدٍ ... فى كل يوم يجىءُ الله بالطُّعُمِ(٣)

لعبد الله بن المبارك وقيل إنها لغيره :

ومن البَلاء وللبَلاء عَلَامةٌ ... ألّا يُرَى لك عن هَوَاكَ نزُوعُ
العبدُ عَبْدُ النفس فى شهواتِها ... والحرُّ يشبعُ مرّة ويَجُوعُ

وقال آخر :

إذا لم يَهُنْ عِرْضِى علىّ ولم يكنْ ... بوجْهِىَ من ذُلّ السُّؤالِ كُدُوحُ

---

(١) عيون الأخبار ١٨٦/٣ .
(٢) ساقطة من ا ، هذا ولم ترد الأبيات فى ديوان أبى العتاهية .
(٣) ا : بالنعم :

فقُوتٌ بلا ذمٍّ وبَيتٌ يُكِنُّنِى   وطِمران أغْدُو فيهما وأَرُوحُ
هو العيشُ لا ظلُّ انتظارٍ لموعدٍ   ولا مالكٌ أمْرِى عَلَىَّ شحيحُ(١)
ولى أمل فى الناس ليس شقاوةً   سوى دِينِ سـيَّاحٍ عليه مُسُوحُ

وقال آخر :

يا رُبَّ ساعٍ له فى سعيه أملٌ   أوْدَى ولم يقْضِ من لذَّاتِهِ الوَطَرَا
ما ذاقَ طَعْم الغِنَى من لا قُنُوع لَهُ   ولا تَرَى قانعاً ما عشتَ مُفْتَقِرَا

وقال منصور الفقيه :

إذا شئتَ أن تحيا بلا عائبٍ أَصْلاَ
فـكُنْ راضياً بالقوت واجتَنِب(٢) الفَضْلاَ
وكافِ ذوى الإجْرَام بالصـفح عنهمُ   وقل لَهُـــمُ إما لقيتَهُم أَهْلَا
ولا تَلْقَ خلْقًا سائلا وَزْن ذَرَّةٍ   ولو جاد بالدنيا لسـائله بَذْلَا
فما وضع المرءَ(٣) الحسيبَ ولا ارتقى   بأدْنى الورَى بيتاً إلى المنزل الأعْلَى
سوى صبرِ هذَا عن سواه وحِرْص ذَا   فَبِـعْ بالغنى فقراً وَبالعزّة الذُّلَّا

وَقال آخر :

ما سرَّنى أن نفسى غيرُ قانعةٍ   وأن أرْزَاقَ هذا الخَلْقِ تحْتَ يدى

---

(١) ساقطة من ا .   (٢) ا : واحتسب .
(٣) فما شرف الفتى .

وقف أعرابى على الحسن ، وهو يعظ جلساءه ، فقال : يا أعرابى ! ما أظنك تعلم شيئاً مما نحن فيه ، فأنشأ يقول :

مهما جَهِلْتُ فقـدْ عَلِمْـ ـتُ بأنّنى بشرٌ أموتْ
والناس فى طلب الغِنى وغناهُمُ من ذاكَ قوتْ
شـادُوا لغيرهم وبا دُوا والقبورُ هى البيوتْ[(١)]

وقال أبو العتاهية[(٢)] :

طال همِّى بغير ما يَعْنِينى واشتغالى بكلِّ ما يُلهِينِى[(٣)]
ولو أنى قَنَعْتُ[(٤)] لم أبغ رزقى كان رزقى هو الذى يَبْغِينِى
ولَعَمْرى إنَّ الطريقَ إلى الحق (م) منـــيرٌ لناظرِ المستبينِ
أحمدُ اللهَ حمدَ عبدَ شكورٍ[(٥)] ما عليها إلّا ضعيف اليقينِ

وقولُ أبى العتاهية : كان رزقى هو الذى يبغينى ، مأخوذ — والله أعلم — من قول ابن أذينة :

أسعى له فيعنّينى تَطَلُّبه ولو قعدتُ أتانى لا يُعنّينى

---

(١) ساقط من حـ . (٢) ديوانه ٢٦٢ .
(٣) هذا البيت ملفق من بيتين ، ففى الديوان :
طال شـغلى بغير ما يعنينى وطلابى فوق الذى يكفينى
واحتيالى بما على ولا لى واشتغالى بكل ما يلهينى
(٤) فى الديوان : كففت .
(٥) فى الديوان : أحمد الله ذا المعارج شـكراً .

وقد ذكرتُ هذه الأبيات فى باب الرّزق .

قال العَطَوىّ :

إن القناعةَ من يحلُلْ بساحَتِها ... لم يلقَ فى دهرِه همًّا يُؤرِّقُهُ

قال الأضبط بن قُرَيْع :

اقنَعْ من الدَّهْرِ ما أتاك به[1] ... من قرَّ عينًا بعيشِهِ نَفَعَهْ

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ من جَمَعَهْ[2]

قال سليمانُ بن داود عليه السلام : كلُّ العيشِ قد جربناه ، لينُه وشديدُه ، وبلوناه فوجدناه يكفى[3] منه أدناه .

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم : « من أصبح منكم آمنًا فى سِرْبه ، معافًى فى جِسْمه ، معه قوتُ يومه ، فكأنّما حِيزَتْ له الدُّنيا » .

قال منصورُ الفقيه :

إذا القوتُ تأتَّى لك (م) والصِّحةُ والأمْنُ

وعفَّ الفَمُ والفرجُ ... تُقَى لله والبَطنُ

---

(١) ح : من العيش ، ويروى : ارض من الدهر .

(٢) البيتان فى البيان والتبيين ٢/٢٨٠ ، العقد الفريد ٢/٣١٥ ، ٣/٢٠٨ .

(٣) ا : يكفينا .

وأصبحتَ أخا حُزْنٍ فلا فارقك الحُزْنُ(١)

وقال آخر :

إذا ما كساك الله سربالَ صِحَّةٍ ولم تَخْل من قوتٍ يحِلُّ ويعْذُبُ
فلا تحسدنَّ المكْثِرِين فإنّهم على قَدْرِ ما يكسوهُم الدّهرُ يسلبُ

وقال هلال بن خثعم فى أبيات له ، ونسبت إلى بشار بن بشر المجاشعى :

وإن قِرابَ البطنِ يكفيك مِلْؤُهُ ويكفيك سَوْءاتِ الأمورِ اجتنابُها(٢)

قال يحيى بن خالد : دخلتُ على الرَّشيد يوماً فأصبتُه مُتّكِئًا(٣) يسطِّر فى ورقةٍ فيها كتابة بالذّهب ، فلمّا رآنى تبسَّم ، فقلت : فائدة أصلح الله أميرَ المؤمنين ؟ قال : نعم ، وجدتُ هذين البيتين فى بعض(٤) خزائنِ بنى أميّة ، وقد أضفتُ إليهما ثالثًا ، وأنشدنى:

إذا سُدّ بابٌ عنك من دُون حَاجةٍ فدَعْهُ لأُخرى ينْفَتِحْ لك بابُها
فإن قرابَ البَطنِ يكفيك مِلْؤُهُ ويكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها
ولا تَكُ مِبْذَالا لعِرْضِك واجتنبْ ركوبَ المعاصى يجتنبك عِقَابُها

---

(١) وردت الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ٢٦٣ ، ونسبت للفقيه فى زهر الآداب ٣/٢٤٢ ، وورد الأول والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٣٩٨ بدون نسبة .

(٢) ورد هذا البيت ضمن الثلاثة التالية بعد منسوبة لهلال فى الحيوان ، والكامل ١/٣٨٣ ، ونسبت لبشر فى عيون الأخبار ٣/٢٢١ .

(٣) حـ : مكبا .   (٤) ساقطة من حـ .

وعن أبى محمد اليَزيدى ، قال : دخلتُ على الرشيد . . فذكر مثله حرفاً بحرف .

روى أبو خليفة الفضلُ بن حباب ، عن محمد بن سلّام ، قال : قال حمَّاد الراوية : أفضلُ بيتٍ رُوى من أشعار العَرب ، قول الحطيئة :

يقولون يستغنِى وواللهِ ما الغِنَى من المالِ إلا ما يكُفُّ وما يَكْفِى[1]

وقال محمود الوراق :

إن القناعةَ ما علمتَ غِنًى والحرصُ يورثُ ذا الغنى فَقْرَا

وقال منصور الفقيه :

إذا قنعتُ بقوتٍ ولبسِ ثوبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكن لى عيَالٌ نفسى لهم تتفجَّعْ
وَلا بنونَ صغارٌ قلبى لهم يتقطّعْ
وَلا صديقٌ مصافٍ فِراقَهُ أتوقَّعْ
وَقد عزَفْتُ عن اللّهْـ ـوِ وَالغِنَى وَالتّمتّعْ[2]
وكان لله نُسْكِى فما بِىَ الدّهرُ يصنعْ[3]

---

(١) ديوانه ٣٢٠ . (٢) ا : وقد فرغت من .
(٣) ا : فما ترى .

وقال آخر :

قَنِّع النفسَ بالكفافِ وَإِلَّا طلبَتْ منك فوق ما يَكفِيهَا

قال الأصمعى : أحكم بيتٍ قالتْهُ العرب ، بيت أبى ذُؤَيب الهُذَلى :

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ (١)

وقال محمد بن أبى حازم :

لَعَمْرُكَ لَلْقَلِيلُ أصونُ وجْهِى بِهِ فى الأوحدين وفى الجميعِ
أحبُّ إلىّ من طَلَبِى كثيرًا تمدّ إليه أعْنَاقُ الخُضُوعِ
فعِشْ بالقُوتِ يومًا بعد يَوْمٍ كمصِّ الطفل (٢) فيقات الضُّرُوعِ
ولا تَرْغَب إلى أحدٍ بحِرْصٍ رفيعٍ فى الأمور ولا وَضِيعِ

قال الخليلُ بن أحمد :

إنْ لم يكنْ لك لحمٌ كفاك خبزٌ وزَيْتُ
أو لم يكن لَكَ هَذَا فكِسرةٌ ثم بيْتُ
تَظلّ فيه وتأوِى حتّى يجيئك موتُ
هذا كفاف وأمنٌ فلا تغرّنك ليتُ

---

(١) ديوان الهذليين ١/١٤ .
(٢) الفيقات : جمع فيقة وهى ما يجتمع فى الضرع من اللبن بين الحلبتين .

وقال ابن بسّام أو غيره :

رضيتُ بالقوتِ من زَمَانِي وصنتُ عِرْضِي عن الهَوَانِ
مخافةَ أن يقولَ قومٌ فضلُ فلانٍ على فُلَانِ
من كنتُ عن مَالِهِ غنيًّا رأيتُه مثلَ ما يرانِي
أزورُه إن أراد وَصْلِي وأقطعُ الوصلَ إنْ جَفَانِي
(١ فاستغنِ باللّٰه عن فلانٍ وعن فُلانٍ وعَن فُلانِ ١)

ولعبدالله بن المبارك :

أرى رجالاً بدُون الدِّين قد قَنِعُوا ولا أراهم رَضُوا فى العَيْش بالدُّونِ
(٢ فاستغن باللّٰه عن دُنْيا الملوك كما اسْتَغْنَى الملوك بدنياهم عن الدِّينِ ٢)

لعُمر بن محمد بن عبد الملك الزيات :

شَرَهُ النّفوسِ على النفوسِ بَليّةٌ فتعوّذُوا من كل نفسٍ تَشْرَهُ
ما من فَتًى شرهت له نفسٌ وإنْ نَالَ الغنى إلّا رأى ما يكرهُ

وقال آخر :

إذا ما شِئْت أن تعرِ فَ يَوْمًا كَذِبَ الشَّهْوَهْ

---

(١) زيادة فى حـ فقط ، والبيت وارد فى ديوان أبي العتاهية ٢٧٠ .

(٢) ساقط من ا .

فكل ما شئتَ يُغنيك عن المُـــرّةِ والحُلْوَهْ
وطَا مَا شبت يُغنيك عن الحسناء والذُّرْوَهْ
فكم أسْلاكَ ما تهوا هُ فِعلُ الشيءِ لم تَهْوَهْ[١]

وقال منصور الفقيه[٢] :

من كفاهُ من مَساعِيهِ رغيفٌ يَغْتَـــذِيهْ
وله بيتٌ يُوارِيهِ وثوبٌ يكتَسِيهْ
فلماذا يبذُلُ العِرْ ضَ لنـذلٍ أو سَفِيهْ[٣]
كلُّ مالٍ منعته الْ برَّ أيدى باذلِيهْ
فهو للوارثِ والوِزْ رُ على مُكْتَسِبِيهْ

وقال محمود الوراق :

مُرُوءةُ مُعْسِرٍ عَفٍّ قنوعٍ يقدِّرُ فى مَعيشتِهِ ويُمْسكْ
تزيدُ على مروءةِ كلِّ مُثْرٍ يروحُ ويغتدِى جَمَّ[٤] التَّمَلُّكْ
وأكثرُ من سخائِكَ بالعطايا سخاءُ النفسِ عما ليس تَمْلِكْ

---

(١) فى ج : فكم أمثال ما تهوى .

(٢) وردت الأبيات له فى معجم الأدباء ١٩/٨٩ .

(٣) فى معجم الأدباء :

فعلام يبذل الوجـ ـه لذى كبر وتيه
وعلام يبذل العمـ ـر لمخلوق سفيه

(٤) فى ا : ضن .

وقال سهل الوراق :

تَرَى المَرْءَ مشغوفاً بدنياه مُتْعَبَا وراحتـه لو صَحّ فيها يَقِينُهُ
صَبَاحاً مساءً فى طِلَابِ ومالَهُ من الرِّزق إلا ما الإله ضَمِينُهُ

وقال كعبُ بن زُهير :

إن يفنِ ما عنـدنا فالله يرزقُنَا ومن سوانا ، فلَسْنا نَحنُ نَرْتَزِقُ(١)

وقد مضى فى باب الرزق أشياء من معانى هذا الباب .

وقال محمود الوراق :

غِنَى النفس يُغْنِيهَا إذا كنتَ قانعاً وليس بِمُغنيك الـكثيرُ من الحِرْصِ
وإن اعتقادَ الهمِّ للمـرء جامعٌ وقلةُ همٍّ المرءِ يَدْعو إلى النَّقْصِ

ولمحمود الوراق أيضاً :

من كان ذا مالٍ كثيرٍ ولَمْ يَقْنَعْ فَذَاكَ المُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ من كان قنوعاً وإن كان مُقلًّا فهو المـكْثِرُ
الفقرُ فى النفس وفيها الغِنى وفى غنى النفسِ الغِنَى الأكبرُ

---

(١) شرح الديوان ٣٢٨ .

وقال منصور الفقيه[١] :

ليس هذا زَمَانَ قَوْلِكِ[٢] ما الحُكْـ ـمُ عَلَى من يقولُ : أَنْتِ حَرَامُ ؟
والحقى بائنًا بأهْلِكِ أو أنْـ ـتَ عتيقٌ محـررٌ يا غلامُ
ومَتَى تُنـكَحُ المُصَانَةُ فى العِدَّ ةِ عن شُبْهَةٍ ، وكيف الكلام ؟
فى حَرَامٍ أصابَ سِنَّ غزَالٍ فتولَّى وللغـزَال بُغَامُ[٣]
إنَّما ذا زَمانُ كدٍّ إلى المَوْ تِ ، وَقُوتٍ مُبْلِغٍ وَالسَّلامُ

لأبى العتاهية رحمه الله[٤] :

أتَدْرِى أى ذُلٍّ فى السؤالِ وفى بذل الوجُوه إلى الرِّجالِ
يعِزُّ على التنزُّهِ من بَغَاهُ[٥] ويستغنِى العفيفُ بغير مالِ
إذا كان النّوالُ ببـذلِ وجهى فلا قُرِّبْتُ من ذاك النّوالِ
معاذ الله من خلق دنىٍّ يكون الفضل فيهِ علىّ لالِى
توقَّ يدًا تـكونُ عليك فضلا فصانِعُها إليك عليك غالِ
يدٌ تعلُو يدًا بجميـل فعلٍ كما علت اليمينُ على الشمالِ
وجوهُ العيشِ فى سَعةٍ وضيقٍ وحسبُك والتوسُّع فى الحلالِ

---

(١) الأبيات فى معجم الأدباء ١٩/١٨٨ .
(٢) ح : مكان قولى .
(٣) الحرام ، المحرم بحج أو عمرة ، والبغام : صوت الظبية حين تنادى ولدها .
(٤) الأبيات التالية فى ديوانه ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٥) فى ديوانه : رعاه .

أتنكرُ أن تكون أخا نعيمٍ   وأنت تَصيفُ فى الظّلِّ الظّلالِ
وأنت تصيبُ[١] قوتَكَ فى عفافٍ   ورَيًّا إن ظمئتَ من الزُّلالِ
متى تُمسى وتُصبح مستريحًا   وأنت الدهرَ لا ترضَى بحالِ
تكابدُ جمعَ شىءٍ بعد شىءٍ   وتَبغى أن تكون رَخِىَّ بالِ
وقد يجرى قليلُ المال مَجْرَى   كثيرِ المالِ فى سدّ الخَلالِ
إذا كان القليلُ يسدُّ فَقْرى   ولم أجد الكثيرَ فلا أُبالِى
هى الدنيا رأيتُ الحُبَّ فيها   عواقبُهُ التفرّقُ عن تَقالِ
[٢] تُسَرّ إذا نظَرْت إلى هلالٍ   ونقصُك إن نظَرْتَ إلى الهِلَالِ
تعالى الله يا سَلْمُ بنُ عَمْرٍو   أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ [٢]
هب الدُّنْيا تساقُ إليك عفوًا   أليس مصيرُ ذاك إلى زوالِ
فما ترجُو بشىءٍ ليس يَبْقَى   وشيكاً ما تُفَرِّقُهُ اللّيالِى

فلما اتصل بسلم الخاسر، وهو سَلْمُ بن عمرو، قول أبى العتاهية، كتب إليه :

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ   يُزَهّدُ النّاسَ ولا يزهدُ
لو كانَ فى تزهيدِه صادقاً   أضْحَى وأمْسَى بيتُه المسجدُ
إن رَفَضَ[٣] الدُّنيا فما بالُهُ   يَسْتَكْثِرُ المالَ ويَسْتَرْفِدُ
يخافُ أن تنفدَ أرزاقُه   والرِّزقُ عند الله لا ينفدُ

---

(١) فى الديوان : تروم .   (٢) ساقط من ا .
(٣) ا : إن رفض .

الرزقُ مقسومٌ على مَنْ ترى   يسعى له الأبيَضُ والأسودُ

وقد قيل : إن الأبيات التى فيها ذكر سَلْمِ بن عمرو ، ليست فى الشعر المذكور ، وإنما هى فى قول أبى العتاهية[1] :

نَعَى نفسِى إلىّ من الليالى   تصرُّفُهنّ حالاً بعد حالِ
فما لى لستُ مشغولا بنفسِى   وما لى لا أخاف الموتَ مالِي
لقد أيقنتُ أنى غيرُ باقٍ   ولكنّى أرانى لا أبالِي
تعالى الله يا سلمُ بن عمرٍو   أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

(١) هذا صحيح ، فقد وردت هذه الأبيات ضمن القصيدة التالية ، ديوانه ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

القسم الثاني

تحقيق

محمد مرسي الخولي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

باب من المواعظ الموجزة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناسُ على أموالهم وأنفسهم ، والمجاهِـدُ من جاهَدَ نفسه فى طاعة اللهِ ، والمهاجر من هجَرَ الخطايا والذُّنوب » .

قال عليه السّلام لعبد الله بن مسعود : « يا عبد الله ! لا تكْثِرْ همّك ما يُقدّرْ يكُنْ ، وما ترزقْ يأتِك » .

قال عليه السلام لعبد الله بن عمر يعظه : « يا عبـد الله ! اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرَمِك ، وصحتك قبل سَقَمك ، وغناك قبل فقْرِكْ ، وفراغك قبل شُغْلك ، وحياتك قبل موتك » . أخذه محمودُ الوراق ، والله أعلم ، فقال :

بادِرْ شبابَكَ أن تَهْرَما وصحةَ جسْمِكَ أن تَسْقَمَا
وأيامَ عيشِك قبـل المماتِ فمَا دَهْرُ من عاش أن يَسْلَمَا
ووقتَ فراغِك بادِرْ بهِ ليالِيَ شُغْلِك فى بعض ما
فقدِّرْ فـكلُّ امرىءٍ قادمٌ على عِلْمِ ما كان قد قدّماَ

سُئل على عليه السلام : من الزّاهد فى الدنيا ؟ قال : من لم يَنْس المقابر والبِلَى ، وترَكَ فضل زينة الدنيا ، وآثرَ ما يَبْقى على ما يَفْنى ، وعدّ نفسه فى الموتى .

قال عليه السلام : «ما ينتظرُ أحدكم إلّا غنى مُطْغيًا ، أو فقرًا مُنْسيًا ، أو مرضًا

مُفْسِدا ، أو هَرَمًا مُقَيِّدا ، أو موتًا مُجْهِزا ، والدّجّال شرٌ غائب ، تنتظره السَّاعةُ ، والسَّاعةُ أدهى وأمر » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لم أرَ كالنّار نام هاربُها ، ولم أرَ كالجنة نام طالبها » .

قال جعفرُ بن محمّد : الناقصُ من الناس من لا ينتفعُ من المواعظ إلا بما آلمه أو لزمه .

كان يقال : اجعلْ عمرك كنفقةٍ رُفعت إليك ، فأنت لا تحبّ أن يذهب ما ينفق منها ضَيَاعا ، فلا يذهب عمرُك ضياعًا .

قال أبو عَمْرو بن العَلَاء : أولُ شعر قيل فى ذمّ الدنيا ، قولُ يزيد بن خَذّاق العبدى[(١)] :

هل للفتى من بنَاتِ الدَّهْرِ[(٢)] من رَاقِ ... أم هل لهُ من حُسَامِ الموت من وَاقِ
قد رجّلُونى وما بالشَّعْرِ[(٣)] من شَعَثٍ ... وألبسونى ثيابًا غير أخْلَاقِ
ورفّعُونى وقالوا أيُّما رَجُـــــلٍ ... وأدْرَجُونى كأنى طىّ مِخْرَاقِ[(٤)]
وأرسلُوا فتيةً من خيرهم حَسَبًا ... ليسنُدُوا فى ضَريح القبر أطْبَاقِى

(١) شاعر جاهلى كان معاصراً لعمرو بن هند ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٣٤٥ ـ ٣٤٧ .
(٢) بنات الدهر : نوائبه .
(٣) ا : وما رجلت .
(٤) المخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

وقسَّمُوا المالَ وارفضَّت عوائدهم[١]   وقال قائلُهم مات ابن خَذَّاقِ
هوّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإشْفَاق   فإنَّما مالُنا للوارثِ الباقِي[٢]

قال ابن عباس : ما انتفعتُ بشيء بعدَ وَعْظِ رسول الله صلى الله عليه وسلم منفعتى بشيء كتبَ به إلىَّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أمَّا بعد ، فإن المرء يسرُّه دَرْكُ ما لم يُدْرِكْه ، فليكن سرورُك بما نلتَ من أمر آخرتك ، وليكن أسَفُك على ما فات منها ، وليكن همُّك لما بَعْدَ الموت .

قال أبو سليمان الدّارانى : رأيتُ على باب دمشق :

وكم من فتًى يُمسِى ويُصبحُ لاهيًا   وقد نُسِجَتْ أكفانه وهو لا يَدْرِى

قال أعرابىٌّ لابنه : يا بنىّ ! من خاف الموت بادَرَ الفوْت ، ومن لم يصبرْ على الشهوات ، أسرعَتْ به إلى الهَلَكات .

ووعظ أعرابىٌّ أخاه فقال : يا أخى ! أنت طالبٌ ومطلوب ، يطلبك من لا تَفُوته ، وتطلبُ ما قد كُفِيته ، فكأنّ ما قد غاب عنك قد كُشِف لك ، وما أنت فيه قد نُقِلْتَ عنه ، يا أخى ! كأنك لم تر حريصًا محرومًا ، ولا زاهدًا مرزوقًا .

كتب علىُّ بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان : أمَّا بعد ، فإنك أعز ما تكون

---

(١) عوائدهم : عاداتهم التى تجرى بهذه المناسبة .
(٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ٣٤٦ ، عيون الأخبار ٣٠٨/٢ ، العقد الفريد ٤٤/٣ .

بالله ، أحوج ما تكون إليه ، فإذا عَزَزْتَ به فاعفُ له[١] ، فإنك به تقدر ، وإليه ترجع والسلام .

وفى الحديث المرفوع : « عِشْ ما شئت فإنك ميّت ، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه » .

كتب سلمان الفارسىّ إلى أبى الدرداء : أما بعدُ ، فإنك لا تنال ما تريد إلّا بترك ما تشتهى ، ولن تبلغ ما تأمُل ، إلّا بالصبر على ما تكره ، فليكن قولك ذكرًا ، وصمتك فكراً ، ونظرك عبرة ، واعلم أن أعجزَ الناس من أتْبع نفسَه هواها وتمنى على الله ، وأن أكْيَسهم من أتعب نفسه وعمل لما بَعْد الموت .

قال الحسنُ البصرى : يا معشرَ الشيوخ ! الزرعُ إذا بلغ ما يُصْنَع به ؟ قالوا : يُحْصد . قال : يا معشر الشَّباب ! كم زرع لم يبلغْ قد أدركتْهُ آفة .

قال مسلم بن الوليد[٢] :

كم رأينَا من أُناسٍ هَلَكُوا ... فبكى أحبابُهم ثم بَكَوا
تركُوا الدنيا لمن بَعْدَهُمُ ... وُدُّهُمُ لو قدّموا ما تَرَكُوا
كم رأيْنَا من ملوكٍ سُوقَةٍ ... وَرأيْنَا سوقةً قد مَلَكُوا

(١) ا : فاغض له .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : قد بكوا بدل فبكى فى البيت الأول .

وقال آخر :

رُبَّ قومٍ غبروا من عَيْشِهِم | في نعيمٍ وسُرُورٍ وَغَدَقْ
سكتَ الدهرُ زمانا عنهمُ | ثم أبكاهمُ دَمًا حِينَ نطق[١]

وَقال آخر :

باتُوا على قُلَلِ الأَجْبَال تَحْرُسُهُمْ | غُلْبُ الرِّجال فلم تَمْنَعْهُم القُلَلُ[٢]

وَقال محمود الوراق :

أبقيتَ مالَكَ ميراثًا لوارثِهِ | فليتَ شِعْرِىَ ما أبقى لك المالُ ؟
القومُ بعدك فى حال تَسُرُّهُمُ | فكيفَ بعدهم دارتْ بك الحَالُ
ملّوا البكاء فما يُبكِيكَ من أحدٍ | وَاستحكم القيل فى الميراث وَالقالُ
مَالَتْ بهم عنك دُنيا أقبلت لهمُ | وَأدبرت عنك وَالأيام أحْوالُ

وَقال تميم بن مقبل[٣] :

ما أنعم العيشَ لو أن الفتى حَجَرٌ | تنبُو الحوادثُ عنه وَهو مَلْمُومُ[٤]

---

(١) عيون الأخبار ٢ /٣٠٣ .

(٢) القلة : أعلى الجبل ، وغلب الرجال : أشداؤهم ، والبيت من قصيدة طويلة لأبى الحسن العسكرى (على الهادى بن محمد الجواد) وردت فى وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٥ ، وانظر عيون الأخبار ٢/ ٣٠٣ ، وفيها : فما أغنتهم بدل فلم تمنعهم .

(٣) البيت الأول فقط له ، وهو فى ديوانه ٢٧٣ ، والبيتان بعده لعلقمة الفحل ، ديوانه ٦٤ .

(٤) الملموم : الحجر الصلب المستدير ، ووصفه به لأن الحجارة عندهم مما يوصف بالبقاء والخلود (من شرح الديوان) .

وكلُّ حصنٍ وإنْ طالَتْ سلامتُه ... على دعائمِه لابدَّ مهدومُ

(١) ومن تعرّض للغِرْبان يزجرُها ... على سلامَتِهِ لابدّ مشئومُ (١)

وقال كعب بن زهير :

كلُّ ابنِ أُنْثَى وإن طالت سَلَامَتُهُ ... يومًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ(٢)

كان عمرُ بن عبد العزيز يتمثل(٣) :

من كان حين تصيب(٤) الشَّمسُ جبهتَهُ ... أو الغبارُ يخاف الشَّيْنَ والشَّعَثَا

ويألفُ الظلَّ كى تبقَى بشاشتُه ... فسوف يسكنُ يومًا راغمًا جَدَثَا

فى قعرِ مظلمةٍ غبراءَ مُوحشةٍ ... يطيلُ فيها — وَلا يختارها — اللّبثَا(٥)

تجهزِى بجهازٍ تبلُغين به ... يا نفسُ وَاقتصدى لم تُخلقى عبثاَ

وكان يتمثل أيضاً — رحمه الله — :

أيقظانُ أنت اليومَ أم أنت نائمُ ... وكيف يُطيق النومَ حَيْرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغَداةَ لحرَّقتْ ... مدامعَ عينيك الدموعُ السَّواجمُ

---

(١) ساقط من ا .

(٢) شرح الديوان ١٩ .

(٣) نسبت الأبيات التالية فى أمالى القالى ٢/٢١٩ لعبد الله بن عبد الأعلى القرشى ، ووردت فى الكامل ١/٣٧٥ بدون نسبة .

(٤) فى ا : تمس .

(٥) فى ا : بطن بدل قعر ، وفى الأمالى : موحشة بدل مظلمة ، وفى الكامل : كما يطيل بها فى بطنها اللبثا .

نهارُكَ يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ ونومُك ليلٌ والرَّدَى لك لازمُ
يغرُّكَ ما يَفْنَى وتُشْغَلُ بالمُنى كما غُرَّ باللذاتِ فى النّومِ حالِمُ
وتُشْغَلُ فيما سوف تكره غِبَّهُ كذلك فى الدّنيا تعيشُ البهائمُ

وقال محمود الوراق :

أيُّها الشَّيخُ المُعَلّلُ[(١)] نفسه والشيبُ شامِلْ
وَالليلُ يَطْوِى لا يفتّرُ والنهارُ بك المنازلْ
اعلم بأنك نائمٌ فوق الفراش وأنت راحِلْ
يتعاقبان بك الرَّدَى لا يَغْفُلَان وأنت غافِلْ

وقال ابن الكلبىّ ، عن أبيه : خرج النُّعْمان بن المنذر إلى الصَّيد ، ومعه عدىُّ ابن زيد ، فمرَّ بشجرة ، فقال له : أتدرى ما تقولُ هذه الشجرة ؟ قال : لا . قال : تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا عندنَا يَشْرَبُون الخمرَ بالماءِ الزُّلَالْ
عصفَ الدهْرُ بهم فانقَرَضُوا وكذاكَ الدَّهْرُ حالًا بعدَ حالْ

قال : ثم مرَّ بِمَقْبَرَة ، فقال له عدىّ : أتدرى أيّها الملك ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا . قال : تقول :

---

(١) ا : المفلفل .

أيُّها الركب المُخِبُّونَ ... على الأرْضِ المجدُّونَ
كما أنتمُ كُنّا ... كما نحنُ تكونُونَ

فقال النُّعمان : قد علمتُ أن الشجرة والمقبرة لم يتكلما ، وإنما أردت مَوْعظتى ، فما السبيلُ الذى تُدركُ به النّجاة ؟ قال : تدعُ عبادة الأوثان ، وتعبدُ اللهَ ، وتدين بدين المَسيح . قال : فتنصَّر يومئذ[1] .

ولعدىّ بن زيد :

كفى واعظًا للمرءِ أيّامُ دَهْرِهِ ... تروحُ له بالواعظاتِ وتَغْتَدِى[2]

قال سليمانُ بن عبدالملك لأبى حازم المدنى : عِظنى . فقال عظِّمْ ربَّك أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدَكَ حيثُ أمرك .

ومن مواعظِ بعض العَرب : كلُّ من ازداد نَقَص ، وكلُّ من أقام ظَعَن وشَخَص ، ولو كان يُميت الناسَ الدّاء أعاشَهم الدّواء .

وأنشد أبو العباس المبرّد :

تصرّفتُ طورا كى أرى كلَّ عِبْرَةٍ ... وكان الصِّبَا منى جديدًا فأَخْلَقَا
فما ازدادَ شىءٌ قطُّ إلّا لنَقْصِهِ ... وما اجتمعَ الإلْفَانِ إلا تفرَّقَا

---

(١) انظر هذا الخبر والأبيات التى معه فى الأغانى (ترجمة عدى بن زيد) ، عيون الأخبار ٢/٣٠٤ ، زهر الآداب ٢/٤٢ ، العقد الفريد ٢/٢٦٩ ، المحاسن والأضداد ٤٦ .
(٢) الشعر والشعراء ١٢٥ ، شعراء النصرانية ١٦٧ .

وقال محمود الوراق :

أرانِي فى انتقاصٍ كلَّ يومٍ　　ولا يَبْقى مع النُّقْصَان شَىْءُ
طوى العَصْرانِ ما نَشَرَاهُ مِنِّى　　فأَخْلَقَ جِدَّتِى نشرٌ وطىُّ
فإنْ أكُ قد فنيتُ ومات بَعْضى　　فإِنّ الحرصَ باقٍ فىّ حىُّ
عصيت الرُّشْدَ إذْ أُدْعى إليه　　ومُلّكَ طاعتى ضَعْفٌ وَعىُّ

وقال عمرو بن هند[1] :

نُعَلّل وَالأيامُ تَنْقُصُ عُمْرَنَا　　كما تَنْقُصُ النيرانُ من طَرَفِ الوَقْدِ[2]

وقال محمود الوراق :

إنّ عيشًا إلى الممات مَصِيرُهْ　　لحقيقٌ ألّا يدومَ سُرُورُهْ
وَسُرُور يكونُ آخره الموْ　　تُ سواء قليلُهُ وَكثيرُهْ

ويروى : طويله وقصيره .

كان يزيد الرَّقاشى يتمثّل كثيرًا بهذا البيت :

إنا لنفرحُ بالأيّام نقطعُهَا　　وكلُّ يوم مَضَى يُدْنِى من الأَجَلِ[3]

---

(١) النهدى ، شاعر إسلامى كان فى عهد ابن الزبير وله فيه شعر (عن هامش البيان والتبيين) ، وفى ا : عمرو بن عبيد ، وسماه فى الحيوان : عبد هند .

(٢) فى ا : يعلل والأيام تنقص عمره ، وهو موافق للرواية فى البيان والتبيين ٣/٣١ ، الحيوان ٣/٤٧٩ ، ٦/٥٠٢ .

(٣) البيت فى زهر الآداب ٢/١٠٣ ، وفيه الشطرة الأولى : والمرء يفرح بالأيام يقطعها .

روى من حديث مالك ، عن أبى الزّناد ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أَبيه ، قال : ما من أهلِ بيتٍ إلّا ومَلَكُ الموت يأتيهم ، فمن وجَده قد انقضى أجلُه قبض رُوحَه ، فإذا بكى أهله قال : لِمَ تبكون ، ولِمَ تجزعون ؟ واللهِ ما نقصتُ لكم عُمرا ، ولا حبستُ عنكم رزقًا ، ومالى ذنب ، وإن لى فيكم لعودة ثم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد .

قال أبو الدَّرداء فى خطبة خطبها بدمشق : مالى أراكم تجمعون مالا تأكُلون ، وتبنُون مالا تسكنون ، وتأمُلون مالا تدركون ، إنّ من كان قبلكم جَمعوا كثيرا وبنوا شديدًا وأمّلوا بعيدا ، فأصبح جمعُهم بُورًا ومنازلهم قبُورًا ، وأملهم غرورًا . هذه منازل عاد وثمود بين قُطْرَى الأرض ما يسرّنى أنها لى بدرهمين .

وجد مكتوبًا فى حَجَر : ابنَ آدم ! لو رأيتَ يسيرَ ما بَقى من أجَلك ؛ لزهدت فى طول ما تَرْجوه من أملك ، وإنّما يلقاك ندمُك ، لو قد زَلّت بك قدمُك ، وأسلمك أهلُك وحَشَمُك ، وانصرف عنك القريبُ وَوَدّعَك الحبيب [١] ، ثم صرت تُدعى فلا تجيب ، فلا أنت فى عملك [٢] بزائد ، ولا إلى أهلك بعائد ؛ فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحَسْرة وَالندامة .

قال محمودُ الوراق [٣] :

يا ناظرًا يرنُو بعينىْ راقِدِ ومشاهدًا للأمْرِ غيرَ مُشاهِدِ

---

(١) ساقطة من ح . (٢) فى ح : أملك .

(٣) الأبيات التالية فى عيون الأخبار ٢/ ٣٧٤ ، محاضرات الأدباء ٢/ ١٧٧ ، والأخير فى العقد الفريد ٣/ ١٧٩ .

مَنَّتْكَ نفسُكَ ضَلّةً فأجبتَها ... طُرق السّفاهة فعلَ غيرِ الرّاشِدِ
تصل الذُّنوبَ إلى الذنوبِ وَتَرْتجِى ... فوزَ الجنانِ ونَيْلَ أجْرِ العابدِ[1]
ونسيتَ أن الله أخرجَ آدمًا ... منها إلى الدّنيا بذنبٍ واحدِ

وُجد حَجَرٌ فى بئر باليمامة، وهى بئر طَسْم وَجَدِيس، فى قرية يقال لها معتق مكتوب فيه:

يا أيّها الناسُ سيرُوا إنّ قَصْرَكُمُ ... أن تُصبِحُوا ذاتَ يومٍ لا تسيرُونَا
حُثّوا المَطِىَّ وَأرْخُوا فى أزمّتها ... قبلَ الممات وَقضُوا ما تُقَضّونا
كنا أناسًا كما كُنْتُمْ فغيّرَنا ... دهرٌ، فأنتم كما كنّا تكونُونا[2]

قال عبد الله بن ثَعْلبة: أمْسُكَ مَذْمُوم منك، ويومُك غيرُ[3] محمودٍ لك، وَغدك غير مأمون عليك.

وَمما أنشدَه ابنُ أبى الدنيا[4] — رحمه الله —:

قل للمؤمّل إنّ الموت فى أثَرِكْ ... وليس يَخْفَى عليك الموتُ فى نَظَرِكْ
فيمَنْ مضى لك إن فكّرتَ مُعْتَبَرٌ ... وَمن يَمُتْ كلَّ يوم فهْوَ من نُذُرِكْ
دارٌ تسافر منها في غدٍ سفرًا ... ولا تَؤُوب إذا سافَرْتَ من سَفَرِكْ
تضحى غدا سَمَرًا للذاكرين كَمَا ... كان الّذين مضوا بالأمس من سَمَرِكْ

---

(١) فى ح: فوز الجنان بها ونيل العابد، وفى العيون: درك الجنان بها وفوز العابد.
(٢) الأبيات لعمرو بن الحارث الجرهمى، كما فى معجم الشعراء ٢٠٥، وفيه: تصيرونا.
(٣) ساقطة من ا. (٤) ساقط من ح، وقد سبقت ترجمته فى المجلد الأول.

قال على بن أبى طالب : يا ابنَ آدم ! لا تحمل همّ يومك الذى لم يأت على يومك الذى قد أتى ، فإنه إن يكن من أجلك أتى الله فيه برزقك ، وَاعلم أنّك إن تكسب شيئاً فوق قوتك إلّا كنت خازناً لغيرك .

قال بعضُ الحكماء : الأيّام ثلاثة ، فأمس صديقٌ مؤدِّب ، أبْقى لك عظةً وترك فيك عبرة ، واليومُ صديقٌ مودِّع ، أتاك ولم تأته ، كان عنك طويل الغيبة ، وهو عنك سريع الظَّعْن ، فخذ لنفسك فيه ، وغدٌ لا تدرى ما يُحْدِثُ اللهُ فيه ، أمِنْ أهلِه أنت أم لا .

لأسقف نجران ، وَيروَى لتُبّع الحِمْيَرى[1] :

مَنَعَ البقاءَ تصرّفُ الشّمْسِ   وطلوعُها من حيث لا تُمْسِى
وطلوعُها بيضاءَ صافيـةً   وَغروبُها صفراءَ كالوَرْسِ[2]
اليومَ تَعْلَمُ ما يجىءُ به   وَمَضَى بفصْلِ قضائِهِ أمسِ[3]

وقال أبو العتاهية :

الشّمْسُ تَنْعِى ساكنَ الْـــدُّنْيا   وَيُسْعِدُها القمَرْ
أيْنَ الّذين عَهِدْتَهُمْ   لهم المهابَةُ وَالأَثَرْ

---

(١) أسقف نجران هو قس بن ساعدة الإيادي كما فى البيان والتبيين ، أما تبع الحميرى فقد قال عنه فى معجم الشعراء : إنه القمقام بن العباهل بن ذى سحيم بن العزير ، وهو تبع الثانى أو الثالث ملك حضرموت واليمن .

(٢) الورس : نبات كالسمسم أصفر اللون لا يزرع إلا باليمن ، وانظر الأبيات فى البيان والتبيين ٣/٢٨١ ، معجم الشعراء ٣٣٩ ، زهر الآداب ٣/١٨٣ .

(٣) لا توجد الأبيات فى ديوانه المطبوع ، وقد وردت بدون نسبة فى الحيوان ٣/٤٧٣ ، ٤٧٤ .

أوْدَوْا وَصار عليهمُ رَكَمُ الجَنادِلِ وَالمَدَرْ
أفنَاهُمُ غَلَسُ العشا ء وهَزُّ أجنحـةِ السَّحَرْ(١)
ما للقلوب رقيقـــــــةً وَكأنّ قلبَكَ من حَجَرْ
وَلقلّمـا تبقى وُعُو دُكَ كلَّ يومٍ يُعْتَصَرْ

وَقال أبو العتاهية(٢) :

سـبحانَ ذى الملـكوت أيةُ ليـلةٍ مَخَضَتْ صَبِيحتُهَا بيومِ المَوْقِفِ
لو أن عينًا أوْهَمَتْها نفسُها يومَ الحسابِ تمثّلاً لم تَطْرِفِ

وَقال أبو العتاهية أيضاً(٣) :

أيا عجبًا كيف يَعْصِى الإلـــهَ أم كيف يجحدُه الجاحِدُ
وَللهِ فى كلِّ تحريكةٍ وفى كل تسكينةٍ شاهدُ
وَفى كلِّ شىءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه الوَاحِدُ

وقال آخر :

وَمنتظرٍ للموتِ فى كلِّ ساعةٍ يشيدُ وَيَبْنى دائبًا وَيُحَصِّنُ
له حينَ تَبْلُوه حقيقةُ مُوقِنٍ وَأفعالُه أفعالُ من ليس يُوقِنُ

---

(١) فى الحيوان : يهز أجنحة .

(٢) البيتان فى ديوانه ١٦٥ وفيه : لله در أبيك بدل سـبحان ذي الملـكوت ، وفيه : شاهدت من نفسها بدل أوهمتها نفسها .

(٣) ديوانه ٦٩ ، ٧٠ .

عيانٌ كإنكارٍ وكالجهلِ علمُهُ   لمذهبِهِ فى كلِّ ما يتيقَّنُ

وَقال المطوى :

نحنُ أهل اليقين بالموتِ وَالبَعْـ   ـثِ وعَرْضِ الأقوالِ والأعمالِ
ثم لا نَرْعَوِى وَقد أمْهل اللّـ   ـهُ بطولِ الإيقاظِ والإمْهالِ
أىّ شىءٍ تركتَ يا عارفًا بالْـ   ـلّهِ للمُمْترِينَ والجهّـالِ

مكتوب فى التوراة : البرُّ لا يَبْلى ، وَالذنبُ لا يُنسى ، وَالمالُ يَفْنى ، وَالخيرُ يبقى ، وَالديّان حىٌّ لا يموت ، فكن كما شئت ، كما تَدِينُ تُدان .

وُجد حَجَرٌ مكتوب فيه : ما أكلْنا نلنا ، وَما قدَّمْنا وَجَدْنا ، وَما تركنا ندِمْنا .

وخيرٌ من هذا قول رسولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلّم : « ليس للإنسان من ماله إلّا ما أكل فأفنى ، أو لَبِسَ فأبْلى ، أو تصدّق فأمضى ، وَغير ذلك فإلى وَارثه » .

وَلأعرابىّ من بنى أسد[(١)] :

يقولُون ثمِّرْ ما استطعتَ وَإنّما   لوارثِهِ ما ثَمَّرَ المالَ كاسِبُهْ
فكُلْهُ وَأطْعِمْه وَجنّبْهُ وَارثًا   شحيحاً وَدهرًا تَعْترِيكَ نوائبُهْ

(١) نسب البيتان لمحمد بن عبيد بن عوف الأزدى فى معجم الشعراء ٤١٧ ؛ الحيوان ٣/٨٦ .

وَقال آخر :

وللمنايا تُرَبِّى كُلُّ مُرْضِعَةٍ وللخراب يجُدُّ الناسُ عُمْرَانا

وَقال آخر :

فإن يكن الموتُ أفْنَاهُمُ فلِلْموتِ ما تلدُ الوَالِدهْ

وَقال أبو العتاهية[1] :

لِدُوا للموتِ وَابنُوا للخرابِ فكلّكُمُ يصيرُ إلى تَبَابِ[2]
لمن نَبْنِى وَنحنُ إلى ترابٍ نصيرُ كما خُلقنا للتُّرابِ
ألا يا موتُ لم تقبل فداءً[3] أتيتَ فما تَحِيفُ وَلا تُحَابِى
كأنّك قد هجمتَ على مَشِيبِى كما هجم المشيبُ على شَبَابِى

وَقال آخر :

كم من مصيخٍ إلى أَوْتَارِ مُسْمِعَةٍ ناحتْ عليه وقد كانت تُغَنّيه

وَقال منصور الفقيه :

تراوحُ ما ليس يُرْضِى الإلهَ وَتغْدُو عليه وَتَخْشَى البَلاءَ[4]

---

(١) ديوانه ٢٣ ، ووردت أيضاً فى ديوان أبى نواس ٢٠٠ .
(٢) فى حـ : إلى تراب .
(٣) فى الديوان : لم أر منك بدا .
(٤) حـ : الألاء .

كفعلِ النّساء إذا ما أسأْنَ   فعاتَبْتَهُنَّ أُطَلْنَ البكاء
ولو كنتَ داويتَ قَرْحَ الذُّنوبِ   بتَرْكِ الذنوبِ جَمَعْتَ الدَّوَاء

وقال عروة بن أُذَيْنة(١) :

نُراع إذا الجنائزُ قابلَتْنَا   ويَحْزُنُنَا بكاءُ الباكياتِ(٢)
كروعة ثَلَّةٍ لمُغَار سَبُعٍ   فلما غابَ عادَتْ راتعاتِ(٣)

وقال أبو العتاهية :

إذا ما رأيتُمْ ميّتِينَ جَزعتُمُ   وإن لم تَرَوْا مِلْتُمْ إلَى صَبَواتِهَا(٤)

قال عليّ بن أبي طالب : لا وَجَع إلّا وَجَعُ القلوب من الذنوب ، ولا شيءَ أشدُّ من الموت ، وكفى بما سلف تفكُّرا ، وكفى بالموت واعظاً .

قال عبدُ الله بن المبارك :

رأيتُ الذّنوبَ تميتُ القُلُوبَ   وقد يُورثُ الذّلَّ إدْمانُهَا
وتركُ الذنوبِ حياةُ القُلُوبِ   وخيرٌ لنفسِكَ عصيانُهَا
وهلْ بدَّلَ الدّينَ(٥) غيرُ المُلُوكِ   وأحبارُ سُوءٍ ورهبانُهَا

(١) البيتان بهذه النسبة فى الحيوان ٦/٥٠٧ ، وبدون نسبة فى عيون الأخبار ٣/٦٢ ، البيان ٣/١٨٠ ، ونسبا لجرير فى العقد الفريد ٣/١٨٧ ولا يوجدان فى ديوانه .

(٢) فى العيون : ونلهو حين تخفى ذاهبات . وفى العقد : تروعنا الجنائز مقبلات .

(٣) الثلة : جماعة الغنم . وفى العقد : ظلت بدل عاد .

(٤) لا يوجد فى ديوانه .   (٥) فى ا : قرل الدين .

قال أبو العتاهية[١] :

مَالِي أُرَاكَ بغَيْرِ نَفْسِكَ — لا أَبَا لَكَ — تَشْتَغِلْ
خذ للوفَاةِ من الحياةِ بحظّها قبلَ الأَجَلْ
واعلمْ بأنّ الموتَ ليس بغافلٍ عمّنْ غَفَلْ
أيْنَ المرازِبَةُ الجَحَاجِحَةُ البطارقةُ الأُوَلْ
وذَوُو التفاضُلِ فى المَجَالِسِ والترفُّلِ فى الحُلَلْ

قال عمرو بن عُبَيد للمنصور : إنّ الله قد وهب لك الدنيا بأسْرِها ، فاشتر نفسَك منه ببعضها .

كتب الحسَنُ البَصْرى إلى عمر بن عبد العزيز : خف ما خوّفَكَ اللهُ يكفك ما خوّفك الناس ، وخُذْ مما فى يديك لما بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين .

قال الحسنُ بن أبى الحسن ، وقد نظر إلى النّاس يلعبون ويضحكون فى يوم العيد : إنّ الله قد جعل شهر رمضان مضمار الخَلْق ، يسْتَبِقُون فيه لطاعته إلى مرضاته ، فالعجبُ من الضّاحك واللّاعب فى اليوم الّذى يفوزُ فيه المحسنُون ، ويخسرُ فيه المبطلون ، أمَا والله لو كُشِفَ الغطاء لشُغِلَ محسنٌ بإحسانه ، ومسىءٌ بإساءته عن تجديد ثوب أو تَرْجِيل شعر .

---

(١) ٢٢٠ ديوانه ، وفيه البيت الرابع :

يا ليت أنك قلت لى أين الجحاجحة الأول

وقال منصور الفقيه :

أَتَلْهُو وقـــد ذهبَ الأَطْيَبَان ... وأَنْذَرَكَ الشَّيْبُ قُرْبَ الأَجَلْ

كَأَنَّك لم تَرَ حَيًّا يَمُوت ... ولم تر مَيْتًا على مُغْتَسَلْ

كان بعضُ الحكماء يقول : لئن كانت الحظوظُ بالجُدُودِ فما الحرص ، وإن كانت الأيّام ليست بدائمةٍ فما السُّرور ، وإن كانت الدُّنيا غرّارة فما الطُّمَأنينة[1] .

قال أحمدُ بن زُهَير[2] : سمعتُ مُصْعب بن عبد الله الزُّبيرى يقول : أبوالعتاهية أشعرُ الناس ، فقلت : بأى شىءٍ استحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

تعلّقْتَ بآمـــالٍ طِوَالٍ أىِّ آمَال

وأقبلت على الدُّنْيا مُلِحًّا أىَّ إقبالِ

أيَا هذا تجهّزْ لِ فِراقِ الأهْلِ والمالِ

فلابد من الموت على حالٍ من الحالِ[3]

ثم قال مُصعب : هذا كلامٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقْصان ، يعرفه العاقل ، ويقرّ به الجاهل[2] .

قال عمرُ بن عبد العزيز : خُلقنا لأمر إن كنّا نؤمن به إنّا لحمقى ، وإن كنا نكفر به إنّا لهلكى .

---

(١) وردت العبارة منسوبة لبزرجمهر فى أمالى الزجاجى ١٨٦ ، وعبارته : كان فى عضد بزرجمهر .. وانظر حواشيه .

(٢) أحمد بن زهير (أبو حيثمة) بن حرب بن شداد النسائى ، مؤرخ من حفاظ الحديث ، كان ثقة ، راوية للأدب ، عارفا بأيام الناس ، وهو صاحب تاريخ النسائى الكبير ، مولده ووفاته ببغداد ، توفى سنة ٢٧٩هـ . الأعلام وهامشه ١/١٢٣ .

(٣) الخبر والأبيات فى ديوانه ٢١٣ .

قال أبو العتاهية[١] :

أتطمعُ أن تُخَــلَّدَ لا أبَا لَكْ أمِنْتَ قُوَى المنيةِ أن تنَالَكْ

أما واللهِ إنّ لهَا رسُــــولا وأقسمُ لو أتَاكَ لما أقَالَكْ

توقّعْ حيث كنت نزولَ يومٍ[٢] يُشَتّتُ بعــــد جَمْعِهِمُ عِيَالَكْ

كأنّى بالتُّرابِ عليك يُحْثَى وبالباكين يقتسمُون مَالَكْ

ولست بحاملٍ منـــه نقيرًا[٣] ولا متزوِّدًا إلّا فِعَــالَكْ

قال داود الطائى : من خاف الوعيدَ قَصُر عليه البعيد ، ومن طال أمله قَصُر عمله .

وقال سابق البَرْبَرى :

أينَ الملوكُ الّتى عن خطبها غفِلَتْ حتّى سقاها بكاسِ الموتِ سَاقِيها

نرجُو ونأمُلُ أيّامًا تُعَــدّ لنا سريعةَ المرِّ تطوينَا ونَطْويها

أموالُنا لذوى الميراثِ نجمَعُها ودارُنا لخرابِ الدهر نَبْنِيها

قال ميمونُ بن مِهْران : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا ، وعنده سابقُ البَرْبرى ينشده شعرًا ، فكان مما حفظتُ منه :

(١) الأبيات فى الديوان ١٨٩ ، ١٩٠ ، وفيه : أنه كتبها على سقف بيته لتزويقه .

(٢) فى الديوان : تنظر حيث كنت قدوم موت .

(٣) فى الديوان : فلست مخلفا فى الناس شيئا .

فكم من صحيحٍ بات للموتِ آمِنًا   أَتَتْه المنايا بغتةً بعد ما هَجَعْ
فلم يستطعْ إذ جاءه الموتُ بغتةً   فرارًا ولا منهُ بحيلةٍ امْتَنَعْ
ولا يترُكُ الموتُ الغنيَّ لمالِهِ   ولا مُعْدِمًا فى المالِ ذا حاجةٍ يَدعْ

وقال مصبح الأسديّ :

كفى خيبةً بالمرء يا أمَّ مالكٍ   ركوبُ المعاصى عامِدًا واحتقارُهَا

وقال محمود الوراق :

دَبَّ فِيَّ السِّقَامُ سُفْلا وعُلْوَا   وأرانى أَمُوت عُضْوًا فَعُضْوَا
لهفَ نَفْسِي على ليالٍ وأيا   مٍ تَمَلَّيْتُهُنَّ لِعبًا ولَهْوَا
بليت جدّتى بطاعةِ نفسِى   وتذكرتُ طاعةَ اللهِ نِضْوَا[1]

ويروى لمنصور الفقيه[2] :

إذا لم يكنْ لك فى المحكماتِ   وفى الموتِ ناهٍ عن المنكَرَاتِ
فلا تَغْدُوَنّ إلى واعظٍ   فلستَ بمنْتَفِعٍ بالعظاتِ

وقال أيضا :

من لم تَعِظْهُ المنايا   ولم يَعِظْهُ الكتابُ

---

(١) وردت الأبيات مع اختلاف يسير فى الرواية فى ديوان أبى نواس ١٣٠ ، ونسبت له أيضا فى محاضرات الأدباء ١/١٢٥ .   (٢) حـ : الحسن بن هانىء ، ولم أعثر عليهما فى ديوانه .

فليس ينجعُ فيه ـ فلا تُعَنَّ[١] ـ عِتابُ

الحسن بن هانىء ، ويروى لأبى العتاهية :

وَعَظَتْكَ أجْدَاثٌ صُمُتْ ونَعَتْكَ أزمنةٌ خُفُتْ

وأَرَتْك قبرَكَ فى القُبُو رِ وأنت حىٌّ لم تَمُتْ

وتكلمتْ عن أوجهٍ تَبْلى وعن صُوَرٍ شُتُتْ[٢]

وقال محمود الوراق :

حياتك أنفاسٌ تُعَدّ وكلّما مضى نَفَسٌ منها انتقَصْتَ به جُزْءا

فتصْبِحُ فى نقصٍ وتُمْسِى بمثلِهِ وما لَكَ معقولٌ تُحِسّ به رُزْءا

يُميتُكَ ما يُحْيِيكَ[٣] فى كلِّ ساعةٍ ويحدُوكَ حادٍ ما يريدُ بك الهُزْءا

وقال منصور الفقيه :

يا رُسُومَ الجدثِ المَهْ جُورِ قولى لابنِ سَعْدِ

لو رَأتْ عيناكَ عينى كيف سالَتْ فوق خدِّى

بعد دفنى بثلاثٍ ما هَنَاكَ العيشُ بَعْدِى

وقال آخر :

من كان لا يَطَأُ الترابَ بنَعْلِهِ وطِئَ التُّرابَ بصَفْحَةِ الخدِّ

(١) ا : ولو تعنى .

(٢) الأبيات فى ديوان الحسن بن هانىء (أبى نواس) ١٩٩ ، وفيه : سبت بدل شتت ، ووردت فى ديوان أبى العتاهية ٥٣ ، ونسبت له أيضا فى عيون الأخبار ٢/٣٠٩ .

(٣) فى ا : من يحييك .

من كان بينكَ فى التُّرابِ وبينَهُ شبرانِ فهْوَ بغاية البُعْدِ
لو كُشِّفت للناس أغطيـة الثرى لم يُعْـرَف المولى من العَبْـدِ

خرج النّعمان بن المنذر يتنزّه بظاهر الحِيرة ومعه عدىّ بن زيد العِبَادى ، فمرّا على المقابر فقال له عدى : أبيتَ اللَّعن ! أتدرى ما تقولُ هـذه المقابر ؟ قال : لا . قال : فإنها تقول(١) :

من رآنا فليحدِّثْ نَفْسَـهُ أنّه مُوفٍ على قَرْن الزَّوَالْ(٢)
وصُرُوفُ الدهر لا تَبْقَى لها ولما تأتِى به صُمُّ الجِبالْ
رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنا يشربُون الخَمْرَ بالماء الزُّلَالْ
والأباريقُ عليهـــا فُدُمٌ وجِيَادُ الخيل تَرْدِى فى الجِلَالْ(٣)
عمروا الدّهر بعيشٍ حَسَنٍ آمِنِى دهرهم غير عِجالْ
ثم أضْحُوا عَصَفَ الدهرُ بهمْ وكذاك الدّهْرُ حالاً بعدَ حالْ

كان عمرُ بن الخطّاب يتمثّل :

لا شىءَ مما تَرَى تَبْقَى بشاشَتُه يبقى الإلهُ(٤) ويُودَى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمزٍ يوماً خزائنُهُ والخُلْدَ قد حاوَلَتْ عادٌ فما خَلَدُوا

(١) الخبر والأبيات فى الأغانى ٢/٢٦٣ .

(٢) فى ا : قرن زوال .

(٣) الإبريق الفدم : الذى عليه مصفاة ، والجلال ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٤) ا : تبقى البلاد .

ولا سليمانَ إذْ تجرى الرياحُ له　　والإنسُ والجنّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التى كانت لعزّتها　　من كل أوْبٍ إليها وافدٌ يَفِد
حَوْضٌ هنالك مَوْرُودٌ بلا كذبٍ　　لا بدّ من وردِه يومًا كما وَرَدُوا

وقال آخر:

وإذا مَضَتْ للمرء من أعْوامِهِ　　خَمْسُون وهو إلى التُّقَى لم يَجْنَحِ
عقدت عليه النابِحَاتُ[1] وقُلْن قد　　أرْضَيْتَنَا فأقِم كَذَا لا تبرحِ
وإذا رأى الشّيطانُ غُرّةَ وجْهِهِ　　حيًّا، وقال: فُدِيتَ من لم يَفْلَحِ

نظر ملك من ملوك الفُرس يومًا إلى مُلكه فأعجبه، فقال: إنّ هذا لهو المُلْك لو لم يكن بعده هُلْك، وإنه لسُرور لولا أنه غُرور، وإنّه ليوم، لو كان يُوثق له بغد.

قال مالك بن أنس: سَكَنَ القبورَ رجلٌ مجاورًا لها ملازمًا، فعوتب فى ذلك، فقال: إنهم جيرانُ صِدْق لا يؤذوننى، ولى[2] فيهم عبرة.

قال ابن المعتز:

وجيرانِ صِدْقٍ لا تَزَاوُرَ بينهمْ　　على قربِ بَعْضٍ فى التَّجَاوُرِ من بَعْضِ
كأن خواتيمًا من الطّينِ فوقهُم　　فليس لهَا حتّى القيامةِ من فَضِّ[4]

---

(١) النابحات: جمع نابحة والمقصود بها الآمرة بالمعصية.
(٢) ساقط من ا.
(٣) ا: وإن.
(٤) ديوانه ١٣٩/٢، وفيه، بينهم بدل فوقهم.

وقال الخليل بن أحمد(١) :

كنْ كيفَ شئتَ فقَصْرُكَ الموتُ　　لا مَزْحَلٌ عنـــــه ولا فَوْتُ
بينا غِنَى بيتٍ وبَهْجَتُـــــهُ　　زال الغِنَى وتَقوَّضَ البيتُ(٢)

وقال آخر(٣) :

اسمعْ فقد أَسْمعك(٤) الصَّوتُ　　إن لم تُبادرْ فهـــــو الفَوْتُ
كُلْ كُلَّ ماشئتَ وعش ناعِمًا(٥)　　آخرُ هـــــذا كلِّه الموتُ

وقال آخر :

إذا ما وَعَظْتَ الجاهلين بحكمةٍ　　فلم يَعْرفُوها أنْزَلُوها على هُجْرِ(٦)
فعِظْ كلَّ ذى عقلٍ على قَدْر عقله　　ولا تعظ الحَمْقى على ذلك القَدْرِ

---

(١) البيتان فى البيان والتبيين ٣/١٦٦ ، عيون الأخبار ٣/٣٠٤ .

(٢) فى البيان : عش ما بدا لك ، ولا مهرب بدل لا مزحل ، والقصر : الغاية والنهاية ، وفى البيان آل بدل زال .

(٣) هو أبو العتاهية فقد ورد البيتان فى ديوانه ٥٤ ، ونسبا له أيضاً فى البيان ٣/١٦٦ ، العيون ٢/٣٠٦ .

(٤) فى الديوان : أذنك .

(٥) فى الديوان : خذ كل ... ... آمنا ، وفى العيون : كل إذا ما شئت ... سالما ، وفى البيان : بل كل ما شئت .

(٦) الهجر : فاسد الكلام وخطله .

بابُ العَمل

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اعملوا ، وخير أعمالكم الصَّلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن » .

وقال عليه السلام : « لا تعمل شيئاً رياءً ولا تتركه حياء » .

قال أبو ذرّ : قلتُ يا رسول الله ! الرجل يعمل العمل لنفسه ويحبه الناس عليه ؟ قال : « ذلك عاجلُ بشرى المؤمن » .

قال أبو الدّرداء : اعملُوا ما شئتم أن تعملوا ، فإنه لن يأجركم الله حتى تعملوا .

قال القاسمُ بن محمد : أدركتُ الناس وما يعجبهم القول ، إنّما يعجبهم العمل .

قيل لمحمّد بن المنكدر : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن .

قال بعضُ العلماء : أفضلُ الأعمال ما أُكْرِهَتْ عليه النفوس، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يمحُو الله به الخطايا ، ويرفعُ به الدرجات : إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرّباط[1] » .

---

(١) في ح : ثلاثا .

لما قدم عبد العزيز بن أبى سَلَمة الماجشون(١) من العراق ، وسئل عن أهلها ، قال :

بها ما شئتَ من رَجُلٍ نبيلٍ ولكن الوفاء بها قليلُ
يقولُ فلا ترَى إلّا جميلا ولكن ليس يَفْعَلُ ما يقولُ

وقال دِعْبل :

ولى صاحبٌ أسترزقُ الله قُوتَه خفيفٌ عليه قولُ ما ليس يَفْعلُ(٢)

قيل لسفيان الثورى : ما العملُ الصالح ؟ قال: مالا تحبّ أن يحمدك عليه أحد(٣) .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل إذا عملتُه أحبّنى الله وأحبنى الناس . قال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

قال المأمونُ : نحن إلى أن نُوعظ بالأعمال ، أحوج منا إلى أن نوعظ بالأقوال .

كان أبُو معاوية الأسود يقول : الله أكرم من أن ينعم بنعمةٍ إلا يُتمّها ، ويستَعْمِلَ بعمل إلّا يقبله(٤) .

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون ، نزيل بغداد ، وأحد أعلام رجال الحديث الثقات ، كان فقيها ورعا ، صاحب سنة كثير الحديث ، توفى فى بغداد سنة ١٤٨ هـ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٤٤ .

(٢) لم يرد البيت فى ديوانه .

(٣) فى ا : أحد إلا الله .

(٤) ا : قبله .

قال بعضُ الحكماء : لو ثَقُلَ الكلام على الواعظين كما ثَقُل على العاملين ، قلّ كلامهم .

قال ابنُ السّماك : قليل من توفيق ، أحبُّ إلى من كثير من عمل .

كان يقال : العملُ قرين(١) لا يستطاعُ فراقُه ، فمن استطاع أن يكون قرينُه صالحا فليعمل ، فإنه لا يصحبه فى آخرته غير عمله .

قال الشاعر :

الموتُ داءٌ لا دواءَ له ... إلّا التُّقَى والعملُ الصَّالِحُ

رأى أعرابىٌّ جنازةَ حمزة الزيّات وقد حشد لها الناس ، فقال : ما رأيت أرفع لخساسة من عمل صالح .

قال عمرُو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا ، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً .

كان يقال : اعملْ وأنت مشفقٌ ، ودع العمل وأنت تحبه .

قيل لرابعة القيسية : هل عملتِ عملاً تَرَيْن أنه يُقبل منك ؟ قالت : إن كان فمخافة أن يُرد علىّ .

---

(١) ا : فريق .

قال أبو بكر المزنى : رحم الله من كان قويا فأعمل قوّته فى طاعة ، أو كان ضعيفاً فكفّ عن معصية الله .

كان أبو حنيفة رحمه الله يتمثل :

كفى حَزَنًا ألّا حياةَ هَنِيّةً ولا عملٌ يرضى به الله صَالحُ

وقال آخر :

يا أيّها الناس كان لى أملٌ أعجلنى من بُلُوغه الأَجَلُ
فليتقِ اللّهَ ربَّه رجلٌ أمكنَهُ فى حياتِه العَملُ

وقال محمود الوراق :

لقد رأيتُ الصَّغيرَ من عمل الخَيْـ ـرِ ثواباً عجبت من كِبَرِهْ حَذَ
وقد رأيت الحقيرَ من عمل الشَّرِّ جزاءً أشفقت من خدره

وقال أيضاً :

قَطَّعَ الدّهرَ بأسبابِ العِلَلْ وأعَار السَّهْوَ أيَّامَ الأجَلْ
أَلِفَ اللذّةَ حتى اعتَادَهَا واشتهى الرَّاحة واستوطَا الكَسَلْ

فهو الدهـــرَ يقضِّى أمَلاً ولعل الموتَ فى طىِّ الأمَلْ
يحسنُ القولَ إذ قال ولَا يتحرَّى حَسَـــنًا فيما فَعَلْ
صيّر القول بجهـــل عَملاً ثم أجْرَاه عَلَى مُجْرَى العَمَلْ
ليته كانَ كما قَالَ ولَا يقطعُ الأيَّام إلّا بالجَـــدَلْ.[1]

(١) حـ : الأجل .

باب مختصر من [1] التمازي في المصائب ، والصبر على النوائب

روى عن النبيّ عليه السلام ، من حديث ابن عمر ، أنه قال : « من كُنُوز البرّ كتمانُ المصائب » .

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : « ليعزّ المسلمين في مصائبهم المصيبةُ بي » .

وفي حديث آخر : « من عظمت مصيبتُه فليذكر مصيبتي ، فإنها ستهوّن عليه مصيبته » .

كان أبو بكر الصّديق رضي الله عنه إذا عزّى قوماً ، قال : ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزَع فائدة ، والموتُ أشدُّ مما قبله ، وأهونُ مما بعده ، اذكرُوا فَقْدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْهُلْ عليكم مصيبتكم .

قال أبو العتاهية[2] :

اصبرْ لكل مصيبةٍ وتجلّدِ ... واعلَم بأن المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ
أوْ مَا تَرى أن المصائب[3] جَمَّةٌ ... وترى المنيّة للعبادِ بِمَرْصَدِ

---

(1) ساقطة من ح.

(2) ديوانه ٧٤ ، ٧٥ ، ووردت في العيون ٣/٥٨ بدون نسبة .

(3) في العيون : الحوادث .

من لم يُصَبْ مِمَّنْ ترى بمصيبةٍ ؟ هذا قبيل لستَ فيه بأوْحَدِ(١)
وإذا أتتك مصيبةٌ تَشْجَى بهاَ فاذكُرْ مُصَابَكَ بالنبيّ محمّدِ(٢)

وقال منصور الفقيه :

ألا أيّها النّفْسُ السَّئُومُ تَنَبَّهِى وألقِى إلىَّ السَّمْعِ إلقاء حَازِمَهْ(٣)
ضلالٌ لأذْهانٍ وظنٌّ مكذَّبٌ رجاؤُكِ أن تَبْقَىْ على الدّهر سَالِمَهْ
وقد غُصّ بالكأس الكريهةِ أحمدُ ومات فماتَ الحقُّ إلّا مَعَالِمَهْ
عليه سلام الله ما فصل الندى وصَدّق ذُو الشّح المُطاعُ لوائِمَهْ(٤)

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « تنزلُ المعونةُ على قدر المئونة ، وينزل الصبر على قدر المصيبة » .

وقال عليه السلام : « إنّما الصبرُ عند الصدمة الأولى » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ من رُزِقَهنّ فقد رُزق خيرَ الدنيا والآخرة ؛ الدعاء فى الرخاء ، والرضا بالقضاء ، والصبر عند البلاء »

قال علىّ رضى الله عنه : الصبرُ من الإيمان بمنزلةِ الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

---

(١) فى الديوان : هذا سبيل لست فيه بمفرد .
(٢) ح : وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاجعل .
(٣) ورد هذا البيت فى ا هكذا :
ألا أيها النفس التى صرت هائمه تريدين تخليدا بدنياك دائمه
(٤) فى ا : وصدح ذو الشح .

قال محمّد بن على بن الحسين : الصبرُ صبران ؛ فصبر عند المصيبة حَسَن جميل ، والصبر عما حرم الله أفضل .

مات ابن لداود عليه السلام ، فجزع عليه جزعاً شديدًا ، فأوحى الله إليه : أتفرح إذ جعلته فتنة ، وتجزع إذ جعلته صلاة ورحمة .

مات ابن لخالد بن عبد الله القَسْرى ، فقامت الخطباء تعزيه فأطنبت ، فقام دهقان فقال : أيّها الأمير ! إن رأيت أن تقدّم ما أخرت من الصبر ، وتؤخرَ ما قدّمتَ من الجزع فافعل . فلم يحفظ إلّا كلامَه .

مات ابنٌ لعمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه بعض إخوانه يعزّيه عنه ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإن هذا أمرٌ كنا نعرفه ، فلما وقع لم ننكره . والسلام .

عزى ابن عباس عمرَ عن ابن له ، فقال له : عوّضك الله منه ما عوضه منك .

عزَّى عبدُ الله بن عباس عبدَ الله بن جعفر ، فقال : لا أعدمك الله الأجر على الرزّية ، ولا الخلف من الفقيد ، وثقّل به ميزانك .

قال العُتْبِيّ(١) :

كُلّ حُزْن يبلى على قِدَم الدَّهْـ ـرِ وحُزْنى يُجِدُّه الأَبد
فُجِعتُ باثنين ليس بينهما إلَّا ليالٍ ليست لها عِدَد

(١) سبقت ترجمته ، وانظر الأبيات فى الكامل ٢/٢٦٥ ، عيون الأخبار ٣/٦٠ ، وورد البيت الأخير فيهما أولا ، ووردت كما هى هنا فى معجم الشعراء ٤٢٠ .

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الأحْـ   شَـــاء من لم يَمُتْ له ولدُ

قال سهمُ بن عبد الحميد : شهدتُ يونُسَ بن عُبيد وقد عزَّاه عمرُو بن عُبَيد على ابنٍ له هَلَك ، فقال : إن أباك كان أصلَك ، وإنّ ابنَك كان فرعَك ، وإن امرءًا ذهب أصلُه وفرعُه لحرىٌّ أن يقلّ بقاؤُه .

قال عمرُ بن عبد العزيز : ما أحسن تعزية أهل اليمن ، فكانت تعزيتهم : لا يَحْزُنكم الله ولا يَفتنكم ، وأثابكم ما أثاب المتقين ، وأوجب لكم الصلاةَ والرحمة .

عزّت امرأةٌ المنصور عن أخيه أبى العباس ، فقالت : أعظم الله أجرَك ، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ، وبارك اللهُ لك فيما أتاك ، فلا عوضَ أحسنُ من خلافتك .

كتب بعضُ العلماء إلى المنصور يعزّيه : أمَّا بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر اللهِ من كان إماماً بعد الله ، ولم يكن له إمامٌ إلا الله .

عزَّى الزبيرُ عبدَ الرحمن بن عوف عن بعض نسائه فقام على قبرها ، فقال : لا أصفر[1] اللهُ ربعك ، ولا أوحش بيتَك ، ولا أضاع أجرَك ، رحم الله متوفاك ، وأحسن الخلافة عليك .

---

(١) صفر المكان : خلا من أهله .

مات لرجل بنون فترك كلامَ الناس حيناً ثم انبسط وضحك ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان قُرْحًا فبرأ .

قال حذيفةُ : إنّ الله لم يخلق شيئًا قطّ إلّا صغيرًا ثم يكبر ، إلّا المصيبة فإنه خلقها كبيرةً ثم تصغُر .

قال الطائى :

ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم(١)

وقال آخر :

وكما تَبْلَى وجوهٌ فى الثَّرى فكذا يَبْلى عليهنّ الحَزَنْ(٢)

خرجت امرأةٌ من العرب تريد المقابر حتى جلست على قبر ابنها ، فقالت بصوتٍ لها ضعيف : هذا واللهِ المنزلُ الحق ، والوعد الصِّدْق ، والوعيد الشديد ، والمسكنُ الذى ليس لأهل الدنيا عنه مَحيد ، هذا واللهِ المفرِّق بين الأحباب ، والمقرِّب من الحساب ، وبه يَعْرف الفريقان منازلهم ، أهلُ السعادة وأهلُ الشقاء ، لا أقول هُجْرًا ، ولكنّى أحتسب على الله مُصابى بك يا بنى ، ففسح الله لك فى ضريحك ، وجمع بَيْنك وبين نبيّك ، أمَا إنّى أقولُ علمى بك ، كنت - والله

---

(١) صدره : أمالك إن الحزن أحلام نائم ديوانه ٤٢٠ .
(٢) نسب البيت فى البيان والتبيين ٣/١٧٦ ، عيون الأخبار ٣/٥٧ لأبى العتاهية ، ولم أعثر عليه فى ديوانه ، وورد بدون نسبة فى محاضرات الأدباء ٢/٢٢٩ .

عليمٌ بباطنك — جوادًا ، إن أتيت أتيت رشادًا ، وإن اعتُمدت وُجِدت عمادًا[١] .

ثم أنشأت تقول :

يا ليتَ شِعْرىَ كيفَ غيَّرك الرَّدَى[٢] أم كيف صارَ جمالُ وجهكَ فى الثَّرَى

للهِ دَرُّك أىّ كهلٍ غَيَّبُوا تحتَ الجنادلِ لا يُحَسُّ ولا يُرَى

لبًّا وحلْمًا بعد حزمٍ زانَهُ بأسٌ وجودٌ حين يُطْرَق[٣] للقِرَى

لما نُقِلْتَ إلى المقابر والبِلَى دنت الهمومُ فغابَ عن عينى الكَرَى

قال : ثم لم تزل تبكى وتشهق وتضرب على قرنيها حتى ماتت .

كان خالدُ بن برمك يقول : التعْزيةُ بعد ثلاث تجديدٌ للمصيبة ، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة .

دخل عبد الله بن عمر بن عتبة على المهدىّ يعزيه بالمنصور ، فقال : آجر الله أمير المؤمنين [٤] على أمير المؤمنين [٤] ، وبارك له فيما خلفه فيه ، فلا مصيبةَ أعظمُ من المصيبة بإمام ، ولا عُقبى أفضلُ من خلافة الله[٥] على أمّة نبيّه عليه السلام ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضلَ العطية ، واحتسب عنده أفضل الرزّية .

---

(١) وردت هذه العبارة مضطربة فى الأصول ، فأصلحناها بما ترى .

(٢) ح : البكا . (٣) ا : يقصد . (٤) ساقط من ح .

(٥) ح : إمام .

قال عبدُ الصمد بن المعذّل ، أو صالح بن عبد القدوس :

إن يكنْ ما به أُصِبْتَ جليلا فذهابُ العَزاءِ فيهِ أجلُّ[1]

وقال محمود الوراق :

تعزّ بحُسْنِ[2] الصَّبْرِ عن كلِّ هالكٍ ففي الصَّبْرِ مَسْلاةُ الهُمومِ اللّوازِمِ
إذا أنت لم تَسْلُ اصطبارًا وحسبةً سَلَوْتَ على الأيّامِ مثلَ البهائِمِ
وليس يذودُ النفسَ عن شهَوَاتِها من الناسِ إلّا كلُّ ماضِي العزائِمِ

وقال أيضاً[3] :

يمثّل ذُو العقل[4] فى نفسِهِ مصائبَهُ قبل أنْ تنزِلاَ
فإن نزلَتْ لم تكن بغتة[5] لما كان فى نفسه مثَّلاَ
رأى الهمَّ يُفْضِى إلى آخرٍ فصيَّر آخره أوَّلاَ
وذُو الجهل يأمن أيامَه وينسَى مصارِع من قد خلاَ
[6] فإنْ بَدَهَتْهُ صُرُوفُ الزَّمانِ ببعضِ مَصَائِبِهِ أعْوَلاَ [6]
ولو قدّم الحزمَ فى رأيِهِ لعلّمه الصَّبْرَ عند البَلاَ

(١) نسب البيت لصالح فى الكامل ٢٣٦/١ ، الحيوان ٥٠٥/٦ ، وورد بدون نسبة فى عيون الأخبار ٥٣/٣ ، مع اختلاف يسير فى الرواية . (٢) فى حـ : بكل .
(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٥٣/٣ ، ٥٤ ، العقد الفريد ٢٥٣/٢ .
(٤) العيون : ذو اللب . (٥) فى العيون : فإن نزلت بغتة لم ترعه .
(٦) ساقط من حـ .

وقال أبو تمام الطائى :

أتصبرُ فى البَلْوى عزَاءً وحِسْبةَ ... فتُؤْجَرَ أمْ تَسْلُو سُلُوَّ البَهَائِمِ [١]

كتب رجلٌ إلى صديق : أمَّا بعد ، فإن الصبرَ سجيةُ المؤمن ، وعزيمةُ المتوكل ، وسبب درك النجح فى الحوائج ، وإنما يُوَفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب :

أصيب الأحنفُ بمصيبةٍ فلم يجزع لها ، فقيل له : إنك لصبور ! فقال : الجزع شرُّ الحالين ، يباعدُ المطلوب ، ويورث الحسرة ، ويوقع على صاحبه العار .

وقيل لامرأة أصيبت بولدها : كيف أنتِ والجزع ؟ فقالت : لو رأيتُ فيه دركاً ما اخترت عليه ، ولو دام لى لدمت عليه :

جزع أعرابىٌّ على موت ابنه ؟ فلِيم على ذلك ، فقال : أعلى قَدَر الله أتجلد ؟. واللهِ للجزَع من قدر اللهِ أحبُّ إلى ، لأن الجزع استكانة ، والصبرُ قساوة .

سُئل محمدُ بن عبد الله بن عبد الحكم[٢] ، عن الرجل المسلم تموتُ له أمٌّ نصرانية كيف يعزى فيها ؟ فقال : تقول : الحمد لله على ما قضى ، قد كنا نحبُّ أن تموتَ على الإسلام ويسرَّكَ الله بذلك .

وسئل أيضاً عن الجار النصرانىّ يموتُ وله ولىٌّ من النصارى[٣] ، كيف نعزيه ؟

---

(١) ديوانه ٣٠١ .

(٢) المصرى ، فقيه عصره ، انتهت إليه الرياسة فى العلم بمصر ، وكان مالكى المذهب ، ولازم الإمام الشافعى ثم رجع إلى مذهب مالك ، له مؤلفات مشهورة فى الفقه ، توفى بمصر سنة ٢٦٨هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٤٦٥ (الأعلام ٧/٩٥) .

(٣) ا : نصرانى .

قال : تقول : إن الله كتب الموت على خلقه ، والموتُ حتمٌ على الخلق كلهم

عزّى أعرابيٌّ عمرَ بن عبد العزيز فى ابنه ، فقال :

تعزّ أميرَ المؤمنين فإنّه   لما قد ترى يُغْذَى الصَّغيرُ ويُولَدُ[1]

لما قُطعت رجل عُروة بن الزبير[2] تمثّل بأبيات معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ ما أهديت كفّى لريبة   ولا حملتنى فوق فاحشةٍ رِجْلِى
ولا قادَنى سَمْعِى ولا بَصَرى لها   ولا دَلّنِى رأيى عَلَيها ولا عَقْلِى
وأعلمُ أنّى لم تصبْنى مصيبةٌ   من الدّهر إلّا قد أصابَتْ فتًى قَبْلِى[3]

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك حين دَوِيتْ[4] رجله ، فقيل له : اقطعها . فقال : إنى لأكره أن أقطع منى طائفة ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل : إن وقعت فى ركبتك قتلتك فقطعها ، فلم يُقْبض وجهه ولا تأوّه . ويقال : إنه لم يترُك حزبَه في تلك الليلة . وقيل له قبل أن يقطعها : نَسقيك دواءً لا تجد لها ألما ؟ قال : ما يسرُّنى أن هذا الحائط[5] وقانى أذاها . فلما كان بعد أيام قام ابنُه محمد بن عروة ليلا فسقط من أحد الأسطح[6] فى اصطبل دواب الوليد ، فضربته بقوائمها حتى

---

(١) عيون الأخبار ٣/٥٣ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى ، أبو عبد الله ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، كان عالما بالدين صالحا كريما ، لم يدخل فى شىء من الفتن ، انتقل من المدينة إلى البصرة فعاش فيها مدة ، ثم ذهب إلى مصر فأقام بها سبع سنين وتزوج منها ، ثم عاد إلى المدينة فتوفى بها ، وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه . انظر الأعلام والمراجع التى فى هامشه عنه ٥/١٧ .

(٣) ديوانه ٧٦ ، وفيه : مثلى بدل قبلى .   (٤) دوت : أصابها الداء .

(٥) ا : الحافظ .   (٦) ا : من أعلى سطح .

قتلته . فأتى رجل عروة يعزّيه(٦) ، فقال له عروة : إن كنت جئت تعزى برجلى فقد احتسبتُها . فقال : بل أعزّيك فى محمّد ابنك . قال : وماله ؟ فخبّره بشأنه ، فقال :

وكنتُ إذَا الأيّام أحدَثْن نكبةً أقول شُوًى ، ما لم يصبن صَمِيمِى(٢)

اللهم أخذت عضوًا وتركت أعضاء ، وأخذت ابنًا وتركتَ أبناء ، ولئن كنتَ أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابْتَلَيْتَ لقد عافيت

ولما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق ، فأتاه محمّدُ بن المنكَدِر ، فقال له : كيف كنت ؟ قال : لقد لَقِينا من سَفَرنا هذا نصبًا . وجاءهُ عيسى بن طلحة(٣) ، فقال لبعض بنيه : اكشف لعمّك عن(٤) رجلى ينظر إليها ، ففعل . فقال عيسى ابن طلحة : أمَا واللهِ يا أبا عبد الله ما أعددْناك للصراع ولا(٥) للسّباق ، ولقد أبقى اللهُ لنا ما كنا نحتاج إليه منك ، رأيَك وعِلْمَك ، فقال عروة : ما عزّانى أحدٌ عن رجلى مثلك .

قال سهلُ بن هارون(٦) : التهنئةُ على آجل الثواب أولى من التّعزية على عاجل المصيبة .

---

(١) ا : يعرفه .

(٢) شوى : أى هين حقير ، وانظر البيت فى الحيوان ٣/٨٣ ، وفى ا : أقول بتقوى لم يصبن صميمها .

(٣) عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى ، أبو محمد المدنى ، من أفاضل أهل المدينة وعقلائهم ، ثقة كثير الحديث ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من أهل المدينة ، مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٢١٥ . (٤) ساقطة من حـ . (٥) ساقط من جـ .

(٦) كاتب بليغ مترسل ، من واضعى القصص ، ومن الخطباء الشعراء ، كان الجاحظ كثير الإعجاب به ونقل كثيرا من كلامه وأخباره فى كتبه ، توفى سنة ٢١٥ . انظر الأعلام وهامشه ٣/٢١١ .

قال عُيينة بن حصين الفزارى ، وقد قدم من سفر ، وقد أصابته مصيبة ، فأتاه قومه فقال لهم : اجعلوا لقاءكم سلاماً ، ولا يأتى أحدكم معزّياً ، فإن التعزية تهيج التذكرة ، ومن أراد أن يدعوَ بخير فى الرزيّة فليظهر العتب .

أصيب محمود الورّاق بجارية يقال لها نَشْوَى ، كان علّمها وخرّجها وأعطى فيها مالا كثيرًا فأبى ، فأتى بعضُ إخوانه يعزيه عنها ، وهو عنده أنه شامت ، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله ، ويطنب فى وصفها ، فأنشأ محمود يقول[1] :

ومُنْتَصِح يكرّر ذكرَ نَشْوَى ... على عمدٍ ليبعثَ لى اكتئابَا
فقلت ـ وعَدَّ ما كانت تُساوى ـ ... سيَحْسِبُ ذاك من خلق الحِسَابَا
عطيَّتُه إذا أعطى سُرُورٌ ... وإنْ أخذ الذى أعطى أثَابَا
فأىّ النعمتين أعمّ فضلا ... وأحْمَدُ فى عواقبها إيابَا
أنعمتُه التى أهْدَتْ سُرورًا ... أم الأخرى التى أهْدت ثوابَا
بل الأخرَى وإنْ نزلت بكرهٍ ... أحقّ بشكرٍ من صبر احْتِسَابَا

وقال محمود أيضاً فى جاريته نشوى :

لَعَمْرِى لئن غَالَ صَرْفُ الزَّمانِ ... نَشْوَى لقد غَالَ نفسًا حَبِيبهْ

(١) الأبيات فى العقد الفريد ٣/٢٨١ ، ٢٨٢ .

ولكنّ علمى بِـــا فى الثواب عنـد المصيبةِ يُنْسِى المُصِيبهْ[١]

[٢] روى يحيي القطّان ، عن خالد بن أَبى عثمان ، قال : أتانى سعيد بن جُبَير يعزّينى عن أبى ، فرآنى مستكينًا ، فقال لى : أما علمت أنّ الاستكانةَ من الجَزَع [٢] .

كان علىّ رحمه الله إذا عَزَّى قومًا قال : عليكم بالصّبر ؛ فبه يأخذ الحازم ، وإليه مُنصرَف[٣] الجازع

ولما دفن علىٌّ فاطمة رضى الله عنهما تمثّل على قبرها بهذين البيتين :

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فُرْقَةٌ وكلُّ الذى دُون المماتِ قليلُ
وإن افتقادِى واحدًا بعد واحدٍ دليلٌ على أَلّا يدومَ خليلُ[٤]

يقال : إنّها له ، وقال ابن الأعرابى : هى أبيات لسقران السَّلامانى .

كان يقال : جزعُك على مصيبةِ أخيك أَحْمَد من صَبْرِك ، وصبرُك على مصيبتك أحمد من جزعك .

ومن أبيات لضابىء بن الحارث البُرْجُمِىّ[٥] :

ولا خيرَ فيمن لا يُوَطِّنُ نفسَه على نائباتِ الدّهر حين تَنُوبُ

---

(١) البيتان فى معجم الأدباء ٦/١٣٥ ، وفيه : فساه بدل نشوى فى البيت الأول .
(٢) ساقط من ا . (٣) ا : يرجع .
(٤) البيتان فى البيان والتبيين ٣/١٦٤ ، حماسة البحترى ٢٣٣ ، العقد الفريد ٣/٢٤١ ، زهر الآداب ١/٨١ ، وفيه : وإن افتقادى فاطما بعد أحمد .
(٥) نسب البيت له فى الكامل ١/١٨٨ ، زهر الآداب ٢/١٦٨ ، ونسب فى التمثيل والمحاضرة ٦٨ لشبيب بن البرصاء .

عزّى رجل رجلا فقال : لا أراكَ اللهُ بعد مصيبتك ما ينسيكها .

قال بعضُ تميم :

لقد عَزَّى ربيعةَ أنّ يَوْمًا　　عليها مثلَ يومِك لا يَعُودُ
ومن عجبٍ قَصَدْنَ له المنايا　　على عمدٍ ، وهنَّ له جنُودُ[1]

أخذه يعقوبُ بن الربيع[2] فى رثائه جاريته ، فقال :

لئن كان قُرْبُكِ لى نافعًا　　لَبُعْدُكِ أصبح لى أنفعَا
لأنّى أمِنْت رزايا الدُّهُورِ　　وإن جلَّ خطبٌ فلن أجْزعَا[3]

وقال محمود الوراق :

لا تُطِلِ الحُزْنَ على فائتٍ　　فقلّماَ يُجْدِى عليك الحَزَنْ
سيّان محزونٌ لما قد مضى　　ومظهرُ حزنٍ لما لم يَكُنْ

وقال أخو ذى الرُّمّة[4] :

تعزّيتُ عن أوْفى بغيـــلانَ بَعْدَه　　عزاءً وجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ

---

(١) البيتان فى الحيوان ٦/٥٠٥ .

(٢) يعقوب بن الربيع بن يونس ، شاعر ظريف بغدادى ، استنفد شعره فى رثاء جارية له اسمها « مالك » وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة ، وهو أخو الفضل بن الربيع صاحب المنصور . انظر معجم الأدباء ٧/٢٠٢ (الأعلام ٩/٢٥٩) .

(٣) معجم الأدباء ٢٠/٥٥ ، الحيوان ٦/٥٠٥ .

(٤) هو هشام بن عقبة أخو ذى الرمة كما فى حماسة أبى تمام ١/٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وأمالى القالى ١/٢٦٣ ، الكامل ١/١٥٣ ، عيون الأخبار ٣/٦٧ ، وقيل إنه مسعود كما فى الشعر والشعراء ١٢٧ ، الأغانى ١٦/١٠٧ ، حماسة البحترى ٤٠٧ ، وفيات الأعيان ٣/١٧٨ ، وقيل إنها أخت ذى الرمة ، الحيوان ٧/١٦٤ ، وقد حقق الأستاذ عبد السلام هرون فى هامش الجزء السادس من الحيوان ص ٥٠٦ نسبة هذه الأبيات بما يشفى ويكفى .

ولم تُنسنى أوْفى المصائبُ بعده ولكنَّ نكْءَ القَرْحِ بالقرْحِ أوْجعُ

وقال آخر :

أترْجو البقاءَ وهذا مُحَالٌ وللهِ عزَّ وجلَّ البَقَاءُ
فلو كان للفضل يبقى كريمٌ لما مات من خلقه[1] الأنبياءُ
تموتُ النفوسُ وتبقى الشُّخُوصُ وعند الحسابِ يكون الجزاءُ

دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزّيه بابنه العباس ، فقال : الحمد لله الذى جعلنا نعزيك عنه . ولم يجعلنا نعزّيه عنك . فدعا الفضل بالطّعام فأكل ، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل .

ومن أحسن ما قيل فى رثاء البنين قول العُتْبى[2] :

ألَا يزجرُ الدَّهْر عنا المَنُونا يُبقِّى البناتِ ويُفْنِى البنِينا
وأخنى عَلَىَّ بلا رحمةٍ فلم يُبق لى فوق جَفْنٍ جُفُونا
وكنت أبا صبية كالبُدورِ أفقّى بهم أعْيُنَ الكاشِحينا
فمرُّوا على حادثاتِ الزَّمانِ كمرِّ الدراهم بالنّاقدينا
وما زال ذلك دأب الزَّمانِ حتّى أمَاتَهمُ أجمعينا

(١) فى ا : قبلك .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ٦١/٣ ، معجم الشعراء ٤٢٠ ، مع اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية .

وحتّى تَبكى لِىَ حُسَّادُهُمْ   وقد أقرحوا بالدُّموع العُيونا
وحَسْبُكَ من حادثٍ بامرئٍ   تَرَى حاسِدِيه له رَاحِمِيناَ
رأيتُ بنىّ على ظهرِهَا   فصارُوا إلى بطنِها يُنقَلُونَاَ
فمن كان يسليه مَرّ الزمانِ   فحُزْنى تجدِّدْه لِى السُّنُونا
ومما يسكِّنُ وجْدِى بهم   بأنّ المنونَ ستَلْقَى المنوناَ

وقال آخر :

فإن تصبِرَا فالصَّبْرُ خيرُ مغبّةٍ   وإن تجزعا فالأمْرُ ما تَريَانِ(١)

قال يُونس بن حبيب : أشعر بيت قالته العرب ، قول دريد بن الصمة(٢) :

قليلُ التَّشكِّى للمصيباتِ ذاكرٌ   من اليوم أعقاب الأحاديثِ من غدِ

وقال آخر :

وما كثرةُ الشكْوَى بأمرٍ حَزَامَةٌ   ولابدّ من شكوى إذا لم يكنْ حَزْمُ(٣)

وقال منصور الفقيه :

ماذا جَنَتْه اللّيالى   فيما جَلَبْنَ إلَيْنَا

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٢٦ .

(٢) انظر البيت فى حماسة أبى تمام ٢/٣٣٠ ، وذكر أنه قاله فى رثاء أخيه عبد الله ، الذى قتل يوم اللوى ، وذكر القصة ، وانظر العقد الفريد ٥/١٧٠ وما قبلها .

(٣) البيت لمالك بن حذيفة النخعى كما فى حماسة البحترى ١٩٧ وفيها : لم يك صبر ، وكذلك فى البيان ٣/٣٥٣ .

فى كلِّ يوم نُعَزَّى فيمن يَعِزُّ عَلَيْنَا

وقال آخر :

غُرَّ امرؤٌ منته نَفْ سٌ أن تَدوم له السَّلامَهْ
هيهاتَ أعيا الأوليـ نَ دواءُ دائك يا دِعَامَهْ[(١)]

عزّى رجل رجلاً ماتت امرأتُه من نِفَاسها ، فقال : أعظمَ اللهُ أجركَ فيما أباد ، وباركَ لكَ فيما أفاد .

قال جرير[(٢)] :

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ غالَهُ على المرءِ مِنْ أحبَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شملت كرِيمًا كنعمةِ عَوْرَةٍ سُتِرتْ بقَبْرِ[(٣)]

وقد مضى من هذا المعنى ذكر فى باب الولد .

ومن شعر جرير فى رثاء امرأته[(٤)] :

لن يَلْبث القُرناءُ أنْ يتفرّقُوا ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ

(١) الدعامة : السيد ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٦٥ .
(٢) ديوانه ١٥٤ ، وفيه : ناله بدل غاله ، وأصحابه بدل أحبابه ، ونسبه للفرزدق فى الكامل ٢/٢٦٧ .
(٣) عيون الأخبار ٣/٥٣ ، محاضرات الأدباء ١/١٥٧ .
(٤) ديوانه ٩٦ .

صلّى الملائـكةُ الذين تُخيِّرُوا   والطيِّبُون عليك والأبرارُ

قال عمر بن الخطاب : أفضل الصبر التّصَبُّر .

قال يونس بن عبيد : لو أمِرْنا بالجزع لصبرنا .

قال عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر : اصبر إذا عضّك الزمان ، ومن أصبر عند الزمان .

وقال محمود الوراق :

أئِنْ فاتَ ما كنتَ أمّلْتَهُ   جَزِعْتَ وماذا يَرُدّ الجَزَعْ

ففوّضْ إلى اللهِ كلَّ الأمُورِ   فليس يكون سوَى ما صَنَعْ

ولا يخدعنّك صرفُ الزّمانِ   فإنّ الزمانَ كثير الخُدَعْ

وقال آخر :

إذا ضَيَّقْتَ أمرًا زادَ ضِيقًا   وإن هوَّنْتَ ما قد عَزّ هَانَا

فلا تَهْلك لشيءٍ فات حزْنًا   فكم أمرٍ تصَعَّبَ ثم لَانَا(١)

وقال آخر :

فإذا أتتكَ مصيبةٌ فاصبر لها   عَظُمتْ مصيبةُ مُبتَلًى لا يَصْبِرُ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٥ ، وفيها : ضاق جدا بدل زاد ضيقا ، ويأسا بدل حزنا .

وأنشد ابن عائشة :

يعزى المعزى ساعةً ثم ينقضى   ونفسُ المعزّى فى أحرٍّ من الجَمْرِ
لأنّ المعزِّى إلفهُ فى مكانه   وإلفُ المعزّى فى ضريحٍ من القَبْرِ

وأنشد ابنُ عائشة أيضًا :

خليلىّ إنّى للثريّا لحاسِدٌ   وإنّى على صَرْفِ الزمان لَواجِد
أيُجْمعُ منها شملُها وهى سَبْعةٌ   وأفقدُ من أحبتَهُ وهو واحدُ[1]

وقال ربيعةُ الرَّقِّى :

أليسَ الزَّمانُ كما قد عَلِمْتَ   فمالَكَ تَجْزَعُ من صَرْفِهِ
وعندك عِـــلْمٌ به ثَاقبٌ   وعينٌ تدُلّ على وَصْفِهِ
وأيامُـــــه دُوَلٌ والنفوسُ   رُهونُ الحوادثِ من حَتْفِهِ
فأين المُعَـــــافَى من النائبَاتِ   ومن صاحَبَ الدَّهْرَ لم يُعْفِهِ
[2]ومن صاحب الدهر لاقى الّذى   يخافُ على الرَّغم من أنْفِهِ[2]
فكنْ حازمَ الرأى واصبرْ لَهُ   فلِلْحُرِّ صَـــــبْرٌ على ضَعْفِهِ

---

(١) سبق البيتان فى المجلد الأول .

(٢) ساقط من ا .

وقال أبو العتاهية :

ليس لمنْ ليستْ له حيلةٌ مَوْجُودَة خيرٌ من الصَّبْرِ (١)

وقال آخر :

رمن لم يسلِّمْ للنّوائبِ أصبَحَتْ خلائقُه طرًّا عليه نَوَائبَا

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما يدرى الفَتَى كيف يَتّقى نوائبَ هذا الدهرِ أم كيف يَحْذَرُ
يرى الشىْء مما يُتّقَى فيخافُه وما لا يرى مما يقى اللهُ أكثرُ

وقال أبو العتاهية :

حيلةُ من ليست له حيلةٌ حُسْنُ عزاء النفسِ بالصَّبْرِ (٢)

لضابئ بن الحارث البُرْجُمِىّ :

وما عاجلاتُ الطير تُدْنى من الفَتَى رشادًا ولا عن رَيْثِهنَّ يخيبُ
وربّ أمور لا تَضِيرُكَ ضَيْرةً ولِلْقَلْبِ من مَخْشاتِهنّ وجيبُ
ولا خيرَ فيمن لا يوطّن نفسَه على نائباتِ الدّهر حين تنوبُ
وفى الشكّ تفريطٌ وفى الحزم قُوّةٌ ويُخطئُ فى الظنِّ الفتى ويصيبُ (٣)

---

(١) ديوانه ٩٨ .

(٢) لم أعثر على البيت فى الديوان ، وقد نسب لبشر بن المعتمر فى البيان والتبيين ٣/٣٢١ ، وفيه : والصبر بدل بالصبر .

(٣) الأبيات فى الكامل ١/١٨٨ ، زهر الآداب ٢/١٦١ ، وفى ح : ورب أمور لا يضيرك ضيرها .

وقال آخر :

كم نعمـةٍ مطويةٍ ... لك بين أثواب النَّوائِبْ
ومسرةٍ قد أقبلتْ ... من حيث تنْتَظِرُ المَصاَئِبْ

وقال آخر :

كم نعمةٍ لا يُسْتَقَلُّ بشُـكْرِهَا ... للهِ في طَيِّ المَـكارِهِ كاَمِنَهْ[1]

(١) عيون الأخبار ٣/٥٢ ، التمثيل والمحاضرة ١١ .

باب من كلام المحتضرين

روى وكيعٌ عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبـد اللهِ البَهىّ مولى الزُّبير[1] ، عن عائشة رحمها الله ، قالت : لمـا احتضر أبو بكر قلت :

لَعَمْرُكَ ما يُغنِى الثَّرَاءُ عن الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقَ بها الصّدْرُ[2]

فقال : يا بنيّة ! لا تقولى هكذا ، ولـكن قولى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقِّ بالموتِ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ . وكذلك كان يقرأها فيما زعموا[3] . ثم قال : انظروا إلى ثوبىّ هذين ، فاغسلوهما وكفنونِى فيهما ، فإن الحىَّ أحوجُ إلى الجديد من الميّت . وقد رُوى من وجوه فى هذا الخبر أن أبا بكر — رحمه الله — قال لها : قولى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموْتِ بِالحقِّ ﴾[4] على مافى مصحف عثمان .

قيل لبعض الصالحين — وهو يجودُ بنفسِه — : كيف تجدك ؟ وكيف حالك ؟ فقال : كيف حال من يريد سفرًا بعيدًا بلا زاد ، ويدخل قبرًا مُوحشاً بلا مُؤْنس ، وينطلقُ إلى ربٍّ مَلك[5] بلا حجة .

---

(١) فى الأصل الفهمى ، والصحيح ما أثبتناه فهو أبو محمد عبد الله البهى ، كما ورد فى تهذيب التهذيب ، وقد ذكر أنه مولى مصعب بن الزبير لا الزبير ، عده ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن سعد كان ثقة معروفا بالحديث ، وقال غيره : إنه مضطرب الحديث ، انظر تهذيب التهذيب ٦/٦٠ .

(٢) سبق البيت فى المجلد الأول .

(٣) ذكر الزمخشرى فى الكشاف ٣/١٦١ هذه القراءة ، وقال إنها قراءة أبى بكر وابن مسعود .

(٤) سورة ق ، الآية ١٩ .

(٥) ا : ملك عادل .

لما احتضر عمر بن الخطاب بكي ، فكلّمه ابنُ عباس أو غيرُه بكلام فيه ثناء عليه ، فقال : المغرور من غَرَرْتموه ، ليت أمّى لم تلدنى . ثم أوصى بوصايا حِسَان .

لما احتضر معاوية ، قيل له : قُل : لا إله إلّا الله ، فضعُف عنها حتى كُرِّرَتْ عليه ثلاثًا ، كلُّ ذلك لا يقدر يقولها ، ثم قال فى آخر ذلك : أوَلَسْت من أهلها ؟!

وفى خبر آخر : أن معاوية لما احتضر ، قال لابنه : يا بُنىّ ! كنتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإنّى أخذتُ من شَعْرِه بِمِشْقَص ، وهو عندى فى موضع كذا ، فإذا أنا مِتُّ فخذوا ذلك الشّعْر واحْشُوا فِى ومنخرى ، ثم قال :

إن تناقِشْ يكنْ نقاشُك يارَبِّ عِذَابًا لا طَاقَ لى بالعَذَابِ
أو تُجَاوِزْ وأنت ربٌّ رحيمٌ عن مسىءٍ ذنوبُه كالتّرابِ

ثم أغمى عليه ، ثم أفاق فقال :

فهل من خالدٍ إمّا هلكْنَا وهل بالموت يا لَلنّاسِ عَارُ

ثم قال لأهله الّذين حضروا : اتّقُوا اللّهَ ؛ فإن الله يَقى من اتّقاه . ثم قَضَى .

وفى خبر آخر : أن معاويةَ لما حضرته الوفاةُ احتوشَهُ أهلُه ، فجعلوا يقبلونه ، فقال : إنكم لتقبّلون حُوَّلًا قُلّبا إن نجا من النار . ثم قال : لا يدفعُ رَيْبَ المنية الحِيَلُ .

وفى خبر آخر : أنّه لما احتضر معاوية ، رفع يديْه ، وهو يجود بنفسه ، وقال متمثلا :

هو الموتُ لا مَنْجَى من الموتِ والّذِى أحَاذِرُ بعد الموتِ أدْهَى وأفْظَعُ[1]

ثم قال : اللّهمّ أَقِل العَثْرة ، واعفُ عن الزَّلّة ، وجُدْ بحلمك على من لا يرجو غيرَك ، ولا يثق إلّا بك ، فإنَّك واسعُ الرحمة ، نعفُو بقدرة ، وما وراءك مَذْهب لذى خطيئة موبقة ، يا أرحمَ الراحمين .

وفي خبرٍ آخر عن سعيد بن المسيّب ، قال : لما احتضر معاوية قال : أقعدونى. فأقعد . فجعل يذكر اللهَ ، وقال : يا ربّ ! ارحم الشَّيْخَ العاصى ذا القلبِ القَاسى ، وعزّتِكَ إن لم تغفر لى فقد هلكتُ ، ثم غُشِى عليه فبكى أهلُه ، ثم أفاق ، فأنشأ يقولُ متمثلا :

لَعَمْرى لقد عمرتُ فى الملك برهةً ودنَتْ لى الدُّنْيَا بوقعِ البواترِ
وأضْحَى الّذِى قد كانَ مِنّى يسرُّنِى كلمحٍ مَضَى فى السّالِفَات الغوابرِ
فاليتنى لم أَغْنَ فى الملك ساعةً ولم أَغْنَ فى لذّاتِ عيشٍ نَوَاضِرِ
وكنتُ كذِى طِمْرَينِ عاشَ ببُلْغَةٍ من الدّهر حتّى زار ضيقَ المقابرِ[2]

ثم مات رحمه الله .

---

(١) العقد الفريد ٣/١٨٠ ، وفيه : أنكى بدل أدهى .

(٢) الأبيات الثانى والثالث فى العقد الفريد ٢/٢٣٢ ، وفيه : ولم أره فى اللذات أعشى النواظر بدل ولم أغن فى لذات الخ ، وفيه : ليالى بدل من الدهر .

لما احتضر عمرو بن العاص قال : اللهمّ أمَرْتنى فلم ائتمر ، وَزَجَرْتنى فلم أزدجر ، ووضع يده فى موضع الغُلّ ، فقال : اللهم لا قوىّ فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلّا أنت . فلم يزل يردّدُها حتى مات . رحمه الله .

وفى خبر آخر ، قيل لعمرو بن العاص فى مرضه الّذى مات فيه : كيف تجدُك ؟ قال : أجدنى أذُوب ولا أثُوب . فلما قربت نفسه من أن تَفيض قال له ابنه : قد كنتَ تحبُّ أن ترى عاقلا فطنًا قد احتضر ؛ فتسأله عما يجدُ المحتضر وقد احتضرت ، وأنا أحبُّ أن تصف لى الموت . فقال : أجدُ كأنّ السماء منطبقةٌ على الأرض ، وكأنّى أتنفس من خُرْم إبرة .

(١)لما نزل بهشام بن عبد الملك الموت ، نظر إلى ولده يبكون حوله ، فقال لهم : جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما اكتسب ، ما أعظم منقلبه إن لم يغفر الله له(١) .

وقال مَعْمَرُ المتكلم صاحبُ المعانى : حضرت الوفاة رجلاً كان معى فى الحبس ، وكان داؤُه البطن ، فقلت له : كيف تجدُك ؟ قال : أجد تحرُّرِى أكثر من تبرُّدى ، وأجد روحى قد خرج من نصفى الأسفل ، وكأن السّماء قد دنت منى فلو شئت أن ألمسها بيدى لفعلت ، ومهما شككت فى شىء فلا تشك أن الموت بردٌ ويُبْس ، وأنّ الحياة رطوبة وحرارة .

---

(١) ساقط من ح .

ليعقوب بن الربيع يرثى جاريته :

حتى إذا فَتَرَ اللّسانُ وأصبحَتْ للموتِ قد ذَبُلَتْ ذبولَ النَّرْجِسِ
وتسهّلت منها محاسنُ وجهِهَا وغدا الأنينُ تحثُّــه بِتَنَفُّسِ
رجعَ اليقينُ مطامعى يأسًا كما رجع اليقينُ مطامعَ المتلمّسِ[١]

لما احتضر سعيدُ بن المسيّب ، وُجِّه إلى القبلة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : وجَّهْنَاكَ إلى القبلة . فقال : أوَلستُ على القبلة ؛ أليس وجهى إلى اللهِ حيث كان .

قال عطاء بن يَسار[٢] : تبدّى إبليسُ لرجل عند موته ، [٣]فقال : نَجَوْتَ[٣] . قال ما أمنتُك بعد .

لما احتضر عمرُو بن عبيد ، قال : جاءنى[٣] الموتُ ولم أتأهّب له ، اللهمّ إنّك تعلمُ أنه لم يسنح لى أمران لك فى أحَدهما رضًى ، ولى فى الآخرة هوًى ، إلّا اخترتُ رضاكَ على هوَاى ، اللهمَّ فاغفرْ لى .

قيـــل لبعضهم ، وقد احتضر : أىُّ شىءٍ تَشتـكى ؟ قال : تمامُ العِدة ، وانقضاء المُدّة .

(١) فى ا : المتأيس ، ورجع أى رد ، والأبيات فى الحيوان ٦/٥٠٤ .

(٢) فى ح : بشار ، والصحيح ما ذكر ، وعطاء هو أبو محمد المدنى القاص ، كان ذا عبادة وفضل محدث ثقة ، عاش مدة بالشام ، ثم تركها إلى مصر فظل فيها حتى توفى بالإسكندرية سنة ١٠٣هـ ، تهذيب التهذيب ٧/٢١٨ .

(٣) ساقط من ا .

قيل لأعرابىّ فى مرضه : ما الذى تَجِدُ ؟ قال : أجدُ مالا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد .

قال : لما احتضر الحجّاج قال : والله لئن كنتُ على سبيلِ هُدًى فليس حينَ جَزَع ، وإن كنتُ على سبيل ضلالة فليس حينَ فَزَع .

قال عبدُ الأعلى بن حمَّاد البرقى(١) : دخلتُ على بشْر بن منصور(٢) ، وهو فى الموت : فرأيتُه مستبشرًا ، فقلتُ له : ما هذا السُّرور ؟ قال : أخرجُ من بين الحاسدين والباغين والمغتابين ، وأقدَم على ربّ العالمين ، ولا أفرح .

لما مرض أميّةُ بن أبى الصَّلت(٣) — واسمُ أبى الصّلت عبد الله بن أبى ربيعةَ ابن عوف من ثقيف — مرضه الذى مات فيه ، جعل يقول : قد دنا أجلى ، وهذه المَرْضَة منيّتي ، وأنا أعلم أن الحنيفيّة حقّ ، ولـكن الشكّ يداخلُنى فى محمّد ، فلما دَنَتْ وفاتُه أغمى عليه قليلاً ، ثم أفاق وهو يقول : لبّيـكما لبيـكُما ، هأنذا لديكما . لا مال فيَفدِينى ولا عشيرة فتُنْجينى . ثم أغمى عليـه أيضًا بعد

(١) فى ا : التونسى وهى تحريف النرسى ، إذ هو عبد الأعلى بن حماد البرقى النرسى ، أحد رجال الحديث الثقات ترجم له فى تهذيب التهذيب ٦/ ٩٤ .

(٢) بشر بن منصور السلمى ، أبو محمد البصرى ، أحد رجال الحديث الثقات ، من خيار أهل البصرة وعبادهم ، مات سنة ١٨٠ هـ . تهذيب التهذيب ١/ ٤٥٩ .

(٣) الخبر التالى بما فيه من أبيات فى الأغانى ٢/ ٧٥ ، ونسب إلى المأمون فى محاضرات الأدباء ٢/ ٢٢١ ، ووردت بعض الأبيات فى عيون الأخبار ٢/ ٣١٠ .

ساعة حتى ظَنَّ من حضر من أهله أنه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول : لبّيكما لبّيكما ، هأنذا لديكما ، لا برىء فأعْتذِر ، ولا قوىّ فأنتصر . ثم إنّه بَقِيَ يحدّث من حضره ساعة ، ثم أغمى عليه مثل المرتين الأوليين ، حتّى يئسوا من حياته ، وأفاق وهو يقول : لبّيكما لبّيكما ، هأنذا لديكما محفوفٌ بالنعم ، محفوظ من الريَب :

إن تَغْفر الله تغفرْ جَمًّا ... وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لا ألَمَّا

ثم أقبل على القوم ، فقال : قد جاء وَقْتى ، فكونوا فى أُهبتى ، وحدثَهم قليلا ، ثم يئس القوم من موته ، وأنشأ يقول :

كلُّ عَيْشٍ وإنْ تطَاوَل دهرًا ... قَصْرُهُ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولَا
ليتنى كنتُ قبل ما إنْ بَدَا لِى ... فى رُءوسِ الجبال أرْعَى الوُعُولَا
اجعلِ الموتَ نُصْبَ عَيْنيك واحذَرْ ... غَوْلَةَ الدهر إن للدَّهْر غُولَا

ثم قضى نحبه ، ولم يؤمن بالنبىّ عليه السلام .

لما احتُضِر سيبويه ، جعل رأسَه فى حجر أخيه ، فقطَرتْ قطرةٌ من دموع أخيه على وجهه ، فأفاق من غشيته ، وقال :

أُخَيَّيْن كنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بيننا ... إلى المنزلِ الأقْصَى ومن يأمنُ الدَّهْرَا[1]

(١) عيون الأخبار ٢/٣١٢ .

قال محمّد بن إبراهيم الكاتب [1] ، دخلنا على أبي نواس نعودُه في مرضه الذي مات فيه ، ومعنا صالح بن عليّ الهاشمي ، فقال له صالح : تب إلى اللهِ يا أبا عليّ ؛ فإنك في أوّل يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيّام الدنيا ، وبينك وبين الله هِنَات . فقال : أسندوني . فأسندوه ، فقال : إيّاي تخوّف بالله ؟ قد حدثني حمّادُ ابن سلمة ، عن يزيد الرّقاشي ، عن أنس بن مالك : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال : « شفاعتي لأهل الكبائِر من أمّتي » ، أتُراني لا أكون منهم ؟ وقد حدثني حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتَن أحدُكم إلّا وهو يحسن الظنّ بالله ، فإن حُسْن الظّنّ بالله ثمنُ الجنة » . ورآه بعضُ إخوانه بعد موته بأيّام في المنام فقال له : ما فعل اللهُ بك ؟ قال : غفر لي بأبياتٍ قلتها ، وهي الآن تحتَ وسادتي . فنظروا وإذا برقعة تحت وسادته في بيته [2] فيها مكتوب [3] :

يا ربِّ إنْ عَظمَتْ ذُنوبِيَ كَثْرَةً ... فلقد علمتُ بأنّ عفوَك أعظَمُ

إن كان لا يرجُوكَ إلَّا مُحسنٌ ... فمن الذي يدعُو إليه المجرِمُ [4]

أدعُوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرُّعًا ... فإذا رَدَدْتَ يدى فمن ذا يَرْحَمُ

---

(١) الخبر والأبيات في الأغاني ٦/١٩٢ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) انظر الأبيات التالية في ديوانه ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٤) في ا : فمن الذي يرجو الشقي ، وفي الديوان : فبمن يلوذ ويستجير المجرم .

مالى إليكَ وسيلةٌ إلّا الرَّجا   وجميــلُ ظَنِّىَ ثم أنّى مُسْلِمُ

حدث محمّــد بن يعقوب البزّاز : كنت جارا لأبى نواس ، فعدته فى مرضه الذى مات فيه ، ودخل عليه طبيبٌ نصرانى اسمه سعيد ، فنظر إليه ووصف له دواء يعلِّله به ، ثم خرج وخرجت بخروجه ، فغَمَزنى وقال : مُرْهم لا يعذبوه بالدَّواء ؛ فإنه الساعة يموت ، فرجعت إليــه فقال : سألتُك بالله ما قال لك النصرانىّ ، فإنى رأيته قد غمزك ؟ فقلت : ما عسى أن يقول ؟ ! فقال : أقسمت عليك لما أخبرتنى . فأخبرته ، فرفع عينيه إلى السماء ، وسالت دموعه على خدّيه ، وقال :

يا ربّ إنِّى لم أزَلْ   فى مثل حال السَّحَرَهْ
حين استلاذُوا بعُرَى الــدّينِ وكانُوا كَفَرَهْ
فآمنـــوا يومًا فَفَــازُوا بثوابِ البَرَرَهْ
ولم أزَلْ مُسْتَشْعِرَ الْـ   إيمانِ ياذَا المَقْدِرَهْ
فاغفرْ فإنِّى منك أوْ   لَى مِنْهُمُ بالمغفــره[1]

ويروى أنّ آخر بيت[2] قاله محمود الوراق [3] فى مرضه [3] الذى مات فيــه :

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى الديوان .

(٢) فى ا : ما .   (٣) ساقط من ا .

إنّ (٤) ظنّى بحسن عفوك يا ربّ (م) جميلٌ وأنت مالكُ أمْرِى
صُنْت سِرّى عن القرابة والأهْـــل جميعًا وأنْتَ موضعُ سِرِّى
ثقةً بالذى (٥) لَدَيْك من السِّرِّ فلا تُخْزِنى بِهِ يَوْمَ نَشْرِى
يوم هَتْكِ السُّتُورِ عن حُجُب الغَيْبِ فلا تهتكنّ للنَّاسِ سِتْرِى

لمحمد بن مُنَاذِر من شعره المطول :

نحْنُ للآفاتِ أغْرَاضٌ فإن أخطأتنا فلنا الموتُ رَصَدْ
إنّما أنفُسُـــنا عاريةٌ والعَوَارِى قَصْرُهَا (٣) أن تُسْتَرَدْ

---

(١) فى حـ : حسن .
(٢) فى ا : ثقة لى بما .
(٣) القصر : الغاية .

قد أتينا بعون الله ربنا فى أبواب هذا الكتاب على ما حضرنا حفظه ، ويُسِّر لنا ذكره ، رجاء أن ينفع الله به الناظرين فيه والمستريح إليه ، وما لَحِقَنا فيه من التقصير عن بلوغ غاية المتطلع ، ورضا الطّاعن المتسرع ، فتلك عادة الله فى عباده ، نَفَى الكمال عنهم ، وانفرد به دونهم ، واعتذارى عن ذلك أنى ألفت هذا الكتاب وبعض كتبى غائب عنى ، ثم طالعت منه بعد ما استحلقته فى طرره ، واقتصرت منه على غرره ، مع علمى باقتصار هِمَم أهل هذا الزمان عن المطالعة ، وكلل أذهانهم عن الوعاية ، وإنما صنفته لأنى متهيأ له ، منشط إلى غيره ، كفاية وغنى لذوى العقول الأذكياء ، والحكمة يكفي منها — لمن وفق - قليلها ، جعلنا الله ممّن يريد بقوله وعمله وجهَه ، ويبتغى بسعيه مرضاته . آمين رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم كثيرًا إلى يوم الدين ، ورضى الله عن الصحابة أجمعين ، والحمد لله رب العالمين[١] .

---

(١) وردت هذه الخاتمة بتمامها فى ا ، وورد السطران الأولان منها مع بعض كلمات غير مقروءة فى ح .

فهرس أبواب

القسم الثانى من كتاب بهجة المجالس

الباب	رقم الصفحة

الفهارس العامة

١ — فهرس الآيات القرآنية

(١) قراءة أبى بكر وابن مسعود .

٢ — الأحاديث النبوية

أ — الأحاديث القولية

الحديث	« الألف »	الجزء / الصفحة

« الفاء »

« القاف »

« النون »

« الهاء »

الحديث	الجزء والصفحة

(ب) الأحاديث غير القولية

« الألف »

« الباء »

« الجيم »

« الدال »

« الراء »

الحديث	الجزء والصفحة
« الميم »	
ما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه ولا قدميه بين يدى جليس له قط، ولا تناول أحد يده فتركها حتى يكون هو الذى يدعها ...	٤١/١
من الدليل على صحة الغيلان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته اللامية التى يقول فيها : كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيده إلا الأباطيل فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون فى أثوابه الغول فلم ينكره ...	٩٧٨/١
« النون »	
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأكل بالشمال وعن الاستنجاء باليمين ...	٧٤/٢
« الواو »	
ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فى سيره إلى العمرة ...	٢٤٦/١
« الياء »	
يا رسول الله ! أرأيت إن قتلت فى سبيل الله مقبلا غير مدبر ، أيكفر الله عنى خطاياى؟ قال : نعم ، إلا الدين بذلك أخبرنى جبريل ...	٢١٤/١
يا رسول الله ! ما أزال أرى كأنى أطأ فى عذرات الناس قال : لتلين أمور الناس ...	١٤١/٢

٣ — الأمثال وما يجرى مجراها

« الألف »

٤ — فهرس القوافى

قافية الهمزة

« الهمزة الساكنة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
سواء	أبو عيينة	٤	١/٥٢٧
سواء	(بشار بن برد)[1]	٢	١/٥٢٩

« الهمزة المفتوحة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
أبرآ	أبو عثمان الشريشى	١	١/٤٤٨
هجاء	—	٢	١/١٠٢
جزءا	محمود الوراق	٣	٢/٣٣٩
شعراء	(نصيب الأصغر)	٣	١/٢١٣
البلاء	منصور الفقيه	٣	٢/٣٣٣

« الهمزة المضمومة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
رجاؤها	(عبد الله بن محمد بن أبى عيينة)	٢	١/٧٢٢
فداء	الربيع بن ضبع	٢	١/٧٩٧
والصفراء	بشار بن برد	١	٢/٦
والإمساء	لبيد بن ربيعة أو غيره	١	٢/٣٧٣
تشاء	أبو تمام	٣	١/٢٥٠
يشاء	—	٢	١/٥٩١
القضاء	—	١	١/١٥٠

(١) ما بين القوسين من أسماء الشعراء مما لم ينسبه المصنف وهدى التحقيق إلى نسبته .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
القضاء	محمود الوراق	٣	٦٣٣/١
الوفاء	—	٣	٦٦٦/١
الوفاء	—	٣	١١٤/٢
بقاء	—	١	٦١٩/١
البقاء	—	٣	٣٦١/٢
بلاء	قيس بن الخطيم	١	٢٣٩/١
الجهلاء	—	١	١٢٧/١
الماء	أبو العتاهية	١	٢٧٤/١
الماء	الحارث بن حلزة	٢	٤٧٤/١
وسماؤه	—	٤	١٩٨/١
صماء	—	١	٦٢٠/١
ماؤه	صالح بن جناح	١	٥٩١/١
أبناء	سابق البربرى[1]	١	٤٠٩/١
عناء	(أبو زبيد الطائى)	١	١٢٧/١
الغناء	أبو حفص الفلاس	٣	٨٠٠/١
الثناء	—	٢	٧٦٧/١
قرناؤه	صالح بن جناح	١	٧٠٤/١
فناء	محمود الوراق	٤	٢٤١/٣
وفناء	—	١	١٤٥/٢
دواء	قيس بن الخطيم	١	٥٤٢/١
سواء	—	٢	٧١٧/١
سواء	أبو تمام	٢	٦١٨/١

(١) وتنسب الى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب إلى هبة الله البغدادى ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب إلى مسعود بن بشر المازنى ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو جرير ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) الصحيح أنه لأبى فراس الحمدانى ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
عقب	أبو الشغب العبسى	٤	٧٧٣/١
الكتب	محمد بن بشير	١٠	٥٢/١
حاجبه	(التوت العمانى)	١	٢٧١/١
واجب	—	٢	٤٩٦/١
واجب	(هرم بن غنام السلولى)	٢	٣٢٩/١
تجب	(أبو حنيفة النعمان بن حيون المغربى)	٢	٤٥/١
والحجب	أبو مسهر	٢	٢٧٣/١
صاحبه	—	١	١٤٣/١
صاحبه	لقيط بن زرارة[1]	٣	٥٠٣/١
صاحبه	أبو يعقوب الخريمى	١	٦١٨/١
صاحبه	أيوب بن حول الشاربى	١	٢٩٤/٢
ولا أدب	—	٧	١٢٩/١
أدب	محمد عبد كان	٢	٢٧٣/١
الأدب	سابق البربرى[1]	٢	١١٣/١
جندب	(عامر بن جوين الطائى)[1]	١	٧١٥/١
كاذب	—	١	٣٥٩/١
يعذب	—	٢	٣١٠/٢
يعذب	العباس بن الأحنف	٤	٨١٧/١
أرب	محمود بن داود القياسى	٢	٤٨٥/١
لا يقاربه	أبو العتاهية	٦	٣٨١/١
يجرب	حارثة بن بدر الغدانى	٢	١٧٣/٢

(١) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لرجل من بنى أسد .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الجوالب	—	١	١٣٨/١
وتحلب	—	١	١٨٦/٢
ثعلب	—	١	١٨٦/٢
القلب	—	١	٥٤٥/٢
جانبه	الحسن بن عرفطة	١	٦٢٠/١
جانبه	—	١	٦٢٠/١
ذنب	—	٢	٧٢٩/١
ذنب	—	١	٧٩/١
الشهب	أبو تمام	٢	١١٦/٢
هبوبها	الصمة بن عبد الله القشيرى	٢	٨٢٠/١
غروب	العباس بن الأحنف	٤	٨٢١/١
الخطوب	أبو العتاهية	٣	٢٨٨/١
خطوبها	—	٢	٦٦٢/١
القلوب	—	٢	٢٦٠/١
تنوب	ضابئ بن الحارث البرجمى [1]	١	٣٥٩/٢
لا يؤوب	عبيد بن الأبرص	١	٢٣٧/١
جيوب	—	٢	٨٢٠/١
عجائبه	أبو سعيد المخزومى	٢	٢٩٣/٢
معايبه	يزيد بن محمد المهلبى	١	٦٥١/١
وحبيبها	محمود الوراق	٣	٢٦١/٢
طبيب	منصور الفقيه	٢	٦٨٠/١

(١) أو شبيب بن البرصاء انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الأشيب	حمزة بن بيض [١]	٢	٥١٥/١
يشيب	امرؤ القيس	١	٥٠/٢
رقيب	—	١	٤١٩/١
رقيب	أبو العتاهية [٢]	٤	٢٠٥/٢
تغيب	—	٢	٨٢٠/١
سليب	منصور النمرى	١	٨٦٤/١
يريب	—	٢	٧٥٣/١

« الباء المكسورة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
باب	—	٥	٧٣٥/١
تباب	أبو العتاهية	٤	٣٣٣/٢
الذباب	—	٦	٧٤١/١
الأسباب	يحيى بن زياد	٢	٧٨٠/١
والكتاب	عمر بن أبى ربيعة	٤	٢٧٨/١
بمنتابه	عبد الصمد بن المعذل	٢	٧٠٨/١
بالحجاب	عبد الله بن طاهر	١	٢٦٨/١
حجابه	محمود الوراق	٥	٢٧٠/١
الصحاب	ابن الرومى	٦	٦٩٣/١
بالعذاب	منصور الفقيه	٢	٢٧٩/١
بالعذاب	—	٢	٣٦٩/٢
التراب	محمود الوراق	٦	٢١٥/٢
اغتراب	—	١	٢٢٤/١

(١) أو غيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) أو أبو نواس ، أو صالح بن عبد القدوس ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
بالشراب	ابن وكيع	٣	٦٩٠/١
الحساب	—	١	٤٣٤/١
الحساب	—	١	٦٥٧/١
الحساب	محمود الوراق	٧	٢١٢/٢
وألقاب	(حريث بن عناب)	١	٢٩٣/١
بذهاب	نفطويه(١)	٢	٢٥٤/١ ، ٢٣٠/٢
الأبواب	—	٢	٢٦٦/١
الجواب	—	٣	٦٠٥/١
الجواب	أحمد بن يوسف الكاتب	٢	٧٢٨/١
الصواب	—	٢	١٨٧/١
بالإياب	امرؤ القيس	١	٢٢٧/١
بالإياب	(أبو عيينة المهلبي أو ابن المولى)	٣	٢٢٨/١
الحب	—	٣	٤٢١/١
المشتبه	محمود الوراق	٣	٤٠١/١
بالكتب	أعشى همدان	٢	٤٧٧/١
أجب	—	٣	١٥١/١
الحباحب	القطامي	١	٥٢٢/١
الأدب	دعبل	٢	٣٢٧/١
الأدب	—	١	٥٧٧/١
ولا أدب	محمد بن نصير الكاتب	٥	١٩٢/١

(١) وتنسب لمحمود الوراق ولأبي العيناء ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الحدب	—	١	١/٢٨٢
كاذب	العباس بن الأحنف	١	١/٤٩٧
فكذب	(الكميت بن زيد الأسدى)	٢	١/١٢٥
المهذب	النابغة الذبيانى	١	١/٦٥٣
الأقارب	(النعمان بن حنظلة)[1]	١	١/٧٨٢
موارب	—	١	١/٨٠٠
بيترب	الأشجعى	١	١/٤٩٤
الأجرب	لبيد بن ربيعة	٢	١/٧٩٥
الجرب	—	٣	١/٤٣٣
مجرب	—	١	٢/١٢٩
وتغرب	البحترى	١	١/٢٢٢
أقرب	البعيث بن حريث	٣	١/٤٧
ربه	البحترى	١	١/٣١٦
ربى	أبو العتاهية	٧	٢/٢٨٢
المكاسب	حاتم الطائى	١	١/٢٣٤
المناسب	--	٣	١/٧٧٥
حسب	—	١	١/٥٣٠
والحسب	—	٢	١/٨٠٠
النشب	—	١	١/٦٢٦
يشب	دعبل الخزاعى	٣	٢/٥ ، ٢/٣١٠

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو عبد العزى بن امرىء القيس .

(١) أو النابغة الذبيانى .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
	قافية التاء		
	« التاء الساكنة »		
ثبت	—	١	٤٧٠/١
صعبت	أبو العتاهية	٣	٣٣٦/١
أتت	أبو العتاهية	١	٢٤١/٢
خفت	أبوا نواس أو أبو العتاهية	٣	٣٢٩/٢
لايلتفت	—	١	٣٦٨/١
زالت	—	٢	٧١٨/١
فتمت	منصور الفقيه	٢	٢٧٩/١
أموت	—	٣	٣٨٠/٢
	« التاء المفتوحة »		
فانصاتا	سلمة بن الخرشب	٢	٢٢٦/٢
تحتها	منصور الفقيه	٢	١١٧/٢
بغته	—	٢	٢٦٠/٢
وقته	محمد بن عبد الملك الزيات(١)	٢	٢٠٩/٢
بنتا	أبو العتاهية	٢	٢٠٢/٢
أمنتها	أبو العتاهية	٢	٢٩٣/٢
سكوتا	—	٣	٢٠٦/١
الموتى	على بن عبد الجهم	٤	١٠٧/٢
خشيت	الزبير بن عبد المطلب	١	٨١٠/١
غشيتا	منصور الفقيه	٢	٧٥/٢

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) وتنسب لأبي نواس ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لأبي العتاهية أيضاً .
(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٤) وتنسب لأبي نواس .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

قافية الحاء

« الحاء الساكنة »

« الحاء المضمومة »

(١) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وقيل إنه تمثل بها .
(٢) أو رجل من بنى الحارث ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
غدا	أبو العتاهية	٢	١/٣٢٨
رغدا	العرزمى [(١)]	٢	١/١٢١
والده	أبو يزيد البسطامى	٣	١/٢٥٠
الوالده	—	١	١/٦٢٥
حمدا	محمود الوراق	٤	١/٦٥٥
حمدا	المقنع الكندى	١٢	١/٧٨٢
حمدا	أمية بن أبى الصلت	٣	٢/٢٢٧
وأحمدا	أوس بن حجر [(٢)]	١	١/٣١٣
سرمدا	منصور الفقيه	٢	١/١٨٥
وأشهدا	الأعشى	٣	٢/٢٤٦
ومشهدا	ابن الأعرابى	٤	١/٥١
عهده	محمود الوراق	٢	١/٤١٦
يجودا	—	١	١/٦٣٢
جدودا	أبو تمام	١	٢/٥٢
المائده	منصور الفقيه	٢	١/٦٣٠
سيدا	—	٤	١/٦٠٢

« الدال المضمومة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
معتاد	—	١	١/١٨
أعضادها	زر بن حبيش	٤	٢/٢٣٩
سادوا	الأفوه الأودى	٣	١/٣٥٢
معاد	—	١	١/٢٤٢

---

(١) أو رجل من بنى الحارث ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب للغريمى ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
معاد	—	٢	١/٧٩٦
حماد	حماد بن الزبرقان	٣	١/٥٢٦
سوادها	العمانى	١	١/٤٢٣
بد	أبو الفتح البستى	١	١/٢٤٤
الأبد	المتنبى	٣	٢/٣٥٠
عبد	(ابن أبى حازم)	٣	١/١٥٦
لواجد	ابن عائشة[1]	٢	١/٢١، ٤١/٢، ١٦٥
نجد	—	٢	١/٤٩٧
الجاحد	أبو العتاهية	٣	٢/٣٣١
برد	—	٣	١/٣٠٠
الورد	عمر بن سليمان البجلى	٢	١/٣٠٠
والأسد	المتلمس	٣	١/٢٣٨
حاسد	ثمامة بن الأشرس	٢	١/٤١٠
حاسده	(أبى بن حمام العبسى)	١	١/٤١٥
الحسد	نصر بن أحمد	١	١/٤١٥
حسدوا	(زهير بن أبى سلمى)	١	١/٤١٦
حسدوا	لبيد بن عطارد التميمى[2]	١	١/٤١٣
فسدوا	يزيد المهلبى	١	١/٧٩٠
مفسد	—	٣	٢/٢٥٨
يفسد	الخوارزمى	٢	١/٧٠٣
شدوا	الحطيئة	٢	١/٥١٦

---

(١) أو المهلبى الوزير انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب للكميت بن معروف الأسدى أو أبو بكر العرزمى .

(١) أو الأجرد الثقفي ، أنظر هامش التحقيق .

(٢) الصحيح أنه المستهل بن الكميت انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
أشهده	—	٤	١/٨٠٣
موجود	الأخطل	٢	٢/٢١٩
وجدود	—	٢	١/١٩٣
والجدود	البحترى	٢	١/١٩١
مردود	مسلم بن الوليد	١	٢/٢٢٢
ودود	—	٢	١/٦٨٦
وحسود	—	٢	١/٧٧٩
يسود	المملوط[1]	١	١/١٩٩
يسود	أنس بن مدرك	١	١/٦٠٩
العود	على بن الجهم	١	١/٣٨٨
فأعود	عبد الله بن مصعب الزبيرى	١	١/٢٦٢
ستعود	(بلعاء بن راشد السكسكى)[1]	٢	٢/٢٣٥
العقود	—	١	١/٥٢٤
لا يعود	بعض تميم	٢	٢/٣٦٠
وخلود	رجل من غنى	١	١/٧٩٣
المولود	أبو الحسن الموسوى	٢	١/٦٠٩
ونمود	موى بن ريد	٥	١/٣٨٨
محمود	المرار الفقسى	٣	١/٤١٣
همودها	أبو النجم الهذلى	٢	١/٢٩٥
مجهود	حماد عجرد أو العتابى[2]	٥	١/٦٣٥
شهود	قيس بن سعد	٤	٢/١٧٠

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب أيضا لبشار .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
زاد	المتلمس	٢	١/١٩٨
زادي	عبيد بن الأبرص	٢	١/٧١٥
نزاد	(أبو مهوش الفقعسي)(١)	٣	١/١٠٨
الحساد*	عبد الله بن أبي عيينة	١	١/٧٤٦
بإفساد	أعرابي من بني جفنة	٢	٢/١٠٣
الفساد	المتلمس	١	١/٢١٨
الصادي	القطامي	١	٢/٧
ببعاد	مالك بن الريب(٢)	٢	١/٢٣٨، ٤٤٦
لنفاد	محمود الوراق	٢	٢/٢٣٤
الأحقاد	—	٢	١/٦٨٩
وتلادي	خالد عينين	١	١/٢٩٦
المنادي	دريد بن الصمة(٣)	٢	١/٤٧٤
واد	سويد بن منجوف	٢	١/٦٧٨، ٧٢١
السواد	—	٢	٢/٢١٧
الفؤاد	(أبو فراس الحمداني)	١	١/٣٢٩
الفؤاد	أبو تمام	١	٢/٢٢٣
الجياد	—	٢	١/١٢٠
ازدياد	—	١	١/٣١٥
مزبد	الحارث بن هشام المخزومي	٣	١/٤٩٠
متعبد	مسكين الدارمي	٣	١/٥٥٨
تفتدي	عدي بن زيد	١	٢/٣٢٦

(١) أو أبو الهوس الأسدي .
(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٣) أو عمرو بن معدي كرب .

(١) أو طرفة بن العبد ، انظر هامش التحقيق .
(٢) أو رجل من خثعم ، انظر هامش التحقيق .
(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
كالقاعد	—	٢	١/٣٢٢، ٦٣٦
بعد	المديل العجلى	٢	١/٤٧٢
جعد	الحارثى (أو ابن أبى الحارثى)	٢	١/٣٢٤
سعد	(الفرزدق)	٢	١/١٧٣
سعد	النمر بن تولب	٢	١/٢٢٥
سعد	منصور الفقيه	٣	٢/٣٣٩
فاقعد	عدى بن زيد	١	٢/٢٦٣
عند	دريد بن الصمة	١	٢/٢٦٢
وغد	الحسين بن الضحاك	٢	٢/٣٠٦
الفراقد	—	٢	١/٤٩٧
حقدى	أبو الأسود الدؤلى	١	١/٧٨١
وتفقد	عبدالله بن معاوية الجعفرى[١]	٣	١/٥٦٠
وتفقد	—	٢	٢/٢٥٣
الوقد	عمرو بن هند المهدى	١	٢/٣٢٧
وتالد	العتابى	٦	١/٣٤٨
خالد	—	٢	١/٥٠١
بلد	الحسين بن الضحاك[٢]	١	١/٢٤٠
مخلد	أبو العتاهية	٤	٢/٣٤٨
ولد	أبو الشيص الخزاعى[٣]	٦	١/٣١٢
معتمد	أبو على البصير	٢	١/٤٨٥
محمد	(زياد الأعجم)	٢	١/٢١٥

---

(١) وتنسب للمقنع الكندى .

(٢) وتنسب لأبى العتاهية .

(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو طرفة بن العبد .

(٢) وقيل غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو محمد بن يسير .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
لجرا	البحترى	٢	٤٨٥/١
حرا	أبو العتاهية	١	١٥٩/١
حرا	عبد الله بن أبى الشيص	٨	٢٣٠/١
حرا	منصور الفقيه	٥	٣٨٠/١
حرا	(ابن أبى حازم)	٣	٦٨٠/١
وبحرا	أبو العباس الناشىء	٤	١١٦/٢
سحرا	بشار بن برد	٢	٩/٢
صدرا	العتابى	٢	٦٠٥/١
القدرا	—	١	٤٨٩/١
القدرا	(يحيى بن زياد)	١	٤٥٦/١
كدره	أبو العتاهية	٦	٢٧/٢١
يكدرا	النابغة الجعدى	٢	٦٠٦/١
فتعذرا	(عروة بن الورد)	١	٢٢٦/١
الأزرا	(رجل من بنى أسد)	٣	٣١٨/١
حاسره	—	٢	١٣٤/٢
يسرا	محمود الوراق	٢	٢٠٧/١
بقيصرا	امرؤ القيس	٢	٢٢٠/٢
الوطرا	—	٢	٣٠٧/٢
منظرها	محمد بن الملك الزيات	٣	٢٩٧/٢
والشمره	أبو قردودة الطائى	٢	٣٤/٢٠
فقرا	محمود الوراق	٢	٣٢٢ ٢
ذكرا	أبو العتاهية	٢	٢٢٥/٢
عامره	نصيب	٥	٥٢٣/٢

(١) أو عفرس بن جبهة الكلابى .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
صدر	محمود الوراق	٢	٢/٢٥٧
الصدر	حاتم الطائى	٢	٢/٢٩٧
الصدر	حاتم الطائى[1]	٢	٢/٣٦٨
القدر	مسكين الدارمى	٣	٢/٢٩٠
القدر	—	٢	٢/٣٧٣
عاذر	—	١	١/٤٨٩
اعتذر	البحترى	٢	٢ ٤٨٥
فنعتذر	(المؤمل بن أميل)	٢	٢ ٢٦٣
يحذر	—	٢	٢/٣٦٦
يحذر	—	٢	٢/٣٦٦
ويعذر	—	١	٢/٤٨٨
يذر	النجاشى (قيس بن عمرو الحارثى)	٢	٢/٥٢٧
المعسر	محمود الوراق	٣	٢/٣٢٥
كسر	(خالد بن علقمة بن الطيفان)	٢	٢/٤٢٧
والبشر	بعض أهل العصر	٣	٢/٢٦٢
معشر	عبيد بن أيوب العنبرى	٤	٢/٢٧٩
البصر	عبد الله بن سليمان النحوى	٣	٢/٢٦
والبصر	—	٢	٢/٢٣٩
يضره	لبيد بن ربيعة[2]	٣	٢/٢٣٣
مطر	روح بن زنباع	٢	٢/٣٩
المطر	—	٢	٢/٥٢٤
الناظر	العتابى	٢	٢/٣٢٥

(١) انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب إلى أبى يعقوب الخريمى ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لشبيب بن البرصاء ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(٣) وتنسب إلى أبى تمام .

---

(١) أو أبو نواس ، انظر هامش التحقيق .
(٢) أو الأحيمر الأسدي .

(١) أو عبيد بن العرندس ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو بشر بن المعتمر ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو الحسن بن عبد الله الأصبهانى انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لحاتم الطائى ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
ثمره	أبو نواس	١	١٨٤/٢
الجمر	نهشل بن جمرة بن ضمرة	٢	٤٦٩/١
الجمر	ابن عائشة	٢	٢٦٥/٢
زمر	—	٢	٣٠٨/١
الدهر	العتابى	٣	٣٧٦/١
الدهر	دعبل الخزاعى	٢	٦٣٦/١
دهر	—	٢	٨٤/٢
يسهر	الفرزدق(١)	١	٦٠/٢
مطهر	—	٤	٩٧/٢
بمعذور	—	٣	٢٣٠/١
غرور	الشويعر الحنفى	١	٢٩٥/٢
مغفور	—	٢	٦٩١/١
كفور	منصور الفقيه	١	٢٦٠/٢
السرائر	—	٣	٦٥٩/١
الزائر	—	١	٢٦٠/١
الزائر	محمد بن يزيد	١	٧١/٢
بضائر	أبو العتاهية	٣	٢٨٢/٢
والسدير	مهلهل	٢	٧٤٥/١
بالحرير	ابن الرومى	٢	١٢/٢
التقصير	مروان بن أبى حفصة	١	١١٤/١
العصافير	حسان بن ثابت	١	٥٢٢/١
التبكير	بشار بن برد	١	٣٢٤/١

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق ·

(١) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الناس	(العباس بن الأحنف)		٧٢٦/١
الناس	الحطيئة		٣٠٢/٢
والناس	الحطيئة	١	٣٠٠/١
والناس	—	١	٥٧٠/١
بالناس	قدامة بن إبراهيم الجمحى	٢	٦٧٣/١
واللبس	محمد بن الحسن الزبيدى	٨	٦٦/٢
اليبس	أوس بن حجر[1]	٢	٤٩١/١
النرجس	يعقوب بن الربيع	٣	٣٧٢/٢
نفس	ابن السلمانى	٣	٤٤٠/١
أمس	عباس بن الأحنف	١	٦٥٤/١
أمسه	—	٢	٦٣٧/١
تمسى	ابن سعدان	٢	٢١١/١
لاتمسى	أسقف نجران[2]	٣	٣٢٠/٢
رمسه	محمود الوراق	٤	٣٨٩/١
أنسى	منصور الفقيه	٤	٦٨٠/١
لنفوس	محمد بن زياد الحارثى	٢	٤٣١/١
القراطيس	أبو الشيص	١	٤٦٤/١
المفاليس	(أبو بكر الخالدى)	١	١٢٥/١
الجليس	أحمد بن يحيى ثعلب	٣	٥١/١
الجليس	الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى	١	٦٧١/١
رسيس	—	٢	٥٦/٢

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لتبع الحميرى .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لابنه سعيد ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
طامعا	الراعى النميرى	١	٨/٢
مدمعا	الصمة القشيرى[(١)]	٧	٨٢٤/١
سمعا	أبو العتاهية	١	٤٤٨/١
سمعا	أوس بن حجر	١	٤١٩/١
طمعا	إسحاق الموصلى	١	١٦٠/١
معا	ابن عبد البر	٢	٢٨٤/١
معا	إسحاق الموصلى	٣	٣٩٥/١
معا	الصمة القشيرى[(١)]	٥	٨٢٤/١
معه	الأضبط بن قريع	١	١٧٧/١
معه	منصور الفقيه	٢	٢٦٥/٢
تقنعا	جرير[(٢)]	١	٣٦٣/٢
صنعا	على بن الجهم	٣	٢٢٦/١
أضيعا	منصور الفقيه	٤	١٤٥/١

« العين المضمومة »

خداعها	مسكين الدارمى	٣	٤٦٣/١
الجياع	أبو همهمة	٤	٦٧٧/١
الأصابع	أعرابى	٣	١٦٦/١
الأصابع	لبيد	٢	٢٣٨/٣
المربع	نصيب الأصغر	٢	٦٥٥/١
يامربع	جرير	١	١٩٧/٢
توابع	الصلتان العبدى	٢	٥٨٤/١

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب أيضا للفرزدق ، انظر هامش التحقيق .

الجزء والصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
٢٢٦/١	٢	لبيد بن ربيعة	راجع
١ ٢٣١	٢	(الكميت بن زيد الأسدى)	راجع
٣٥/٢	٢	منصور النمرى	يرتجع
٤٦/٢	٧	—	موجع
٧٨٨/١	١	أبو الفتح بن العميد	رادع
٦٩/١	١٣	عمار الكلبى	ابتدعوا
٢١٨/٢	٤	منصور النمرى	مرتدع
٥١/١	١	منصور النمرى	ومرتدع
١٦٢/١	٤	—	خدعه
٦٠٤/١	٣	—	يصدع
٢٣٢/١	١٤	حاجب الفيل اليشكرى	فودع
٦٣٦/١	٢	على بن الجهم	يسارع
٣٦٠/٢	٢	أخوذى الزمة	مترع
٤٦٤/١	٢	(بشار بن برد)	أجرع
٢٥٠/١	٢	—	فيسرع
٧٢١/١	٣	عبدة بن الطبيب	تصرعوا
٦٦٥/١	٢	(هدبة بن خشرم)	نازع
١٦١/١	٣	—	تقسع
٧٤٤/١	١	أبو ذؤيب الهذلى	لاأتضعضع
٣٦/٢	٣	عبدالله بن رواحة	ساطع
٢٧٤/٢	٦	محمد بن أبى حازم الباهلى	قاطع
٦٢٧/١	١	—	وأقطع

(١) وتنسب للبعيث ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عددالأبيات	الجزء والصفحة
وأفظع	—	١	٢/٣٧٠
نافع	ابن الرومى	١١	١/٧٣٩
نافع	—	١	٢/٢٢
يندفع	محمد بن حازم الباهلى	٣	١/١٨٢
تنفع	الصاحب بن عباد	٢	١/٦٩١
نرفع	إبراهيم بن أدهم العجلى	٢	٢/٢٨٩
تتسكع	الخريمى	٢	١/٥٠٣
الطوالع	الفرزدق	١	١/٩٣
الطوالع	ابن المعتز	٢	١/٢٤١
الأصلع	—	٢	١/١٠٧
المطامع	مجنون بنى عامر	٢	١/١٢٥
مستجمع	(أشجع بن عمرو السلمى)	٢	١/٤٦٥
مستجمع	—	٢	١/٥١٦
ما يجمع	أبو عبد الله الصورى	٣	١/١٥٨
يجمع	أمية بن أبى الصلت	٤	١/٢٠٢
مطمع	زيبا النصرانى	٢	١/٧٥٥
يطمع	أبو العتاهية	١	١/١٦٠
صانع	البعيث (١)	١	١/٣٨٠
صانع	لبيد (١)	١	١/٤٢٥
مقنع	مسكين الدرامى	٢	١/٢٩٦
تقنع	أبو ذؤيب الهذلى	١	٢/٣١٢
وجوع	—	٢	٢/٢٩٢

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو أبو خالد القنائى .

قافية القاف

« القاف الساكنة »

« القاف المفتوحة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
صدقا	زهير بن أبي سلمى	١	١/٥٨٥
محترقه	منصور الفقيه	٥	١/٣٩٠
فتزرقا	ابن شهاب الزهري	١	١/١٢٩
فأخلقا	—	٢	٢/٣٢٦
خلقا	زهير بن أبي سلمى	٢	١/٥٠٥
متعلقا	—	٢	١/٦٥٢
مقه	محمود الوراق	٣	٢/٢٦٠
حمقا	زهير بن أبي سلمى	٣	٢/٦٣
وأضيقا	الفرزدق	٣	١/٣٨٢
رفيقا	منصور الفقيه	٢	١/٢٧٣

« القاف المضمومة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الأخلاق	—	٣	١/٢٥٤
أحذق	الصابي	٣	١/١٩٤
خرق	—	٢	٢/٢٢٠
وتسرق	أنس بن إياس الدئلي	٥	٢/١٧٣
ويطرق	—	٣	١/١٢٣
غرق	—	٢	١/٢٤٨
يؤرقه	المطوى	١	٢/٣٠٩
نرتزق	كعب بن زهير	١	٢/٣١٥
يرزق	—	٣	١/١٩١
تمزق	سابق البربري	٢	١/٥٣٨

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
يرشق	سابق البربرى[1]	١	٢٢٣/١
وتعقه	محمود الوراق	٢	١٣٥/٢
أوفق	سابق البربرى[1]	٢	٢٢٠/١
الموفق	ابن شهاب الزهرى	١	٥٨٠/١
يأتلق	أبو العتاهية	١	٥٨٠/١
الخلق	سالم بن وابصة الأسدى[2]	٢	٦٥٥/١
الخلق	—	١	١١٣/٢
يخلق	المريمى	٩	٧٥٤/١
توامقه	كثير عزة	٢	٢٠٣/١
أموق	بشار بن برد	١	٥٤٠/١
صدوقها	أبو العتاهية	١	٥٧/١
سروق	عمرو بن الأهتم المنقرى	٦	٣٠٠/١
صديق	—	٢	٦٨٩/١
صديق	أبو نواس	١	٢٩٥/٢
وصديق	أبو الطمحان القينى	٢	٧٥٠/١
لصديق	الصمة القشيرى	٢	٨١٧/١
أضيق	—	١	٤٦٠/١
تضيق	بشار بن برد	٣	٢٤٢/١
حقيق	إبراهيم بن العباس الصولى	٢	٦٧٨/١
لخليق	بشار بن برد	٣	١٧٨/١

---

(١) وتنسب إلى صالح بن عبد القدوس ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) أو كعب بن مالك الأنصارى .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
العنق	أبو محجن الثقفي	١	١/٤٦٢
غبوق	—	٢	١/٦٤٧
مرزوق	—	٢	١/١٤٧
السوق	(محمد بن مهدى)	١	١/٦٩١
الفسوق	—	٢	١/٦٩٥
المسوق	—	٢	١/١٨٢
بالعقوق	أبو العباس الناشىء	٢	١/٧٢٩
الأموق	منصور الفقيه	٣	١/٥٤١
الأنوق	—	١	٢/١٨٥
عتيق	(يزيد بن الحكم الثقفي)	١	١/٧٠٥
صديق	—	١	١/٦٦٧
صديق	—	١	١/٦٩٤
الصديق	ابن الرومي	٢	١/٥٩٥
بريق	—	٢	١/٦٦٧
مضيق	—	٢	١/٦٥٢
مضيق	—	٣	١/٢٨٨
مضيق	العطوى	٣	١/٦٩١
الطريق	جواس الكلبي	٢	١/٢٤٢
الطريق	—	٢	١/٢٥٩
شفيق	مسعر بن كدام	٤	١/٤٢٨
بعقيق	—	٢	١/٦٦٧
بعقيق	—	٢	١/٦٦٨
رقيق	—	١	١/٢٩١

---

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) أو إسحاق الوصلى .

(٢) أو ابن حوش القيسى المنقرى .

(٣) أو أبو العتاهية .

---

(١) وتنسب لغيره انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
تشتغل	أبو العتاهية	٥	٢/٣٣٥
كالحلل	مدرج الريح (عامر المجنون)	٢	٢/١٧٨
الزلل	هذيل الأشجعى	١٠	٢/٢٥
الأمل	—	١	١/١٥٧
الأمل	—	٢	٢/٢٨٩
بالأمل	لبيد بن أبى ربيعة	١	١/١٢٤
شامل	محمود الوراق	٤	٢/٣٢٥
كل	—	١	١/٦٤٤
ماتقول	زياد الأعجم	٢	١/٤٩٤
لايحيل	منصور الفقيه	٦	١/٥٨٤
ثقيل	—	٢	١/٧٣٧
الذليل	ابن المعتز	٢	١/١٧٥
قليل	—	٣	٢/٢٨٣

« اللام المفتوحة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الوصالا	(ابن قم الزبيدى)[١]	٢	١/٢٨٢
واستطالا	ذو الرمة	١	١/٥١٥
قالا	أبو الأسود الدؤلى	١	١/٧٢٣
والجمالا	ابن عباس	٣	٢/٦٩
قبله	منصور الفقيه	٢	١/٧٤٦
مثلها	—	٢	١/٣٢٣
بالعجله	منصور الفقيه	٢	١/٤٤٢
خله	(أبو العتاهيه)	٢	١/٧٢٨

(١) وتنسب لأبى العتاهية ، انظر هامش التحقيق .

(١) تنسب أيضا لأبى العتاهية ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لمنصور الفقيه ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لغيرة ، انظر هامش التحقيق .
(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو صالح بن عبد القدوس .

(١) أو سعد بن أبى وقاص .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
فاعله	الخريمى	١	١/٦١٧
فعله	أبو العتاهية	١	١/٨٢
يفعل	النمر بن تولب	٢	٢/٢٣٧
يفعل	دعبل	١	٢/٣٤٤
شغل	أبو العتاهية	١	١/٤٨٧
الشغل	(أبو على البصير)	٢	١/٤٨٨
وأسفله	—	١	١/٤٠٦
العقل	محمود الوراق	٥	١/٢٠٣
تعقل	المتبنى	١	٢/١١٦
يعقل	معن بن أوس	١	١/٤٤٦
يعقل	« « «	٢	١/٧١٠
آكله	(بكر بن عبد الله المزنى)	١	١/٧٩
لا أشاكله	(المعيطى)	١	١/٢٣٤
أشاكله	—	٢	١/٥٤٠
يشاكله	أبو الأسود الدؤلى	٦	١/٧٠٨
نتشكل	(عبد الله بن معاوية)[1]	٢	١/٥٣٠
الخلل	—	٢	٢/٢٤٠
مذلل	—	٢	١/٤٤
مذلل	ابن المسيب البغدادى	٢	١/٢٧٥
الزلل	القطامى	١	١/٣٢٦
القلل	أبو الحسن العسكرى	١	٢/٣٢٣
آمله	(الجراح بن عمرو الهمدانى)	١	١/١٦١

(١) أو المتوكل الليثى .

(١) أو يحيى بن المبارك اليزيدى .

(٢) أو ثروان العكلى .

(٣) أو كعب بن زهير .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
مبذول	—	٢	٦٥/٢
موصول	عدى بن الرقاع	١	٩١/٢
فصوله	أبو العتاهية	٢	٨١/١
فتطول	السموءل بن عادياء	١	٤٧٨/١
عقول	(مالك بن حمار)[١]	١	٥٣٤/١
مأكول	طفيل الغنوى	٢	٤٧/٢
مأكول	—	١	٥٢/٢
مملول	—	١	٣٢٧/١
محول	كعب بن زهير	١	٣٢٤/٢
ومسئول	—	٤	٢٧٣/٢
حائل	أبو تمام	١	١٩/١
قائل	حميد الأرقط	٢	٧٧/٢
الشمائل	أبو تمام	١	٧١٤/١
نائله	زهير بن أبى سلمى	٢	٥٠٥/١
سبيل	—	١	٢٣٤/١
وجليل	بلال بن رباح	٢	٨٠٢/١
الحيل	محمد اليزيدى	٤	٨١٨/١
رحيل	محمد بن مقسم	٥	٢٤٧/١
بديل	—	٢	٦٦٥/١
الأباطيل	كعب بن زهير	١	٤٩٤/١
»	» » »	٢	١٧٨/٢
التطفيل	—	٢	٧٤٠/١

---

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو محمد بن حمزة الأسلمى .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الابيات	الجزء والصفحة
المقبل	حسان بن ثابت	٢	٥٠٢/١
بالمقبل	الحارث بن الوليد	٢	٧٩٨/١
النبل	معقر بن حمار البارقي[١]	١	٨٥/١
نبلى	امرؤ القيس بن عانس	٢	٧١٥/١
القتل	هبيرة بن وهب المخزومي	٣	٤٩٠/١
مقتلى	أبو دلف العجلى	٢	٢٢٠/٢
مثلى	—	٢	٧٠٨/١
الأجل	—	١	٣٢٧/٢
رجل	أبو نواس[٢]	١	٣٢٦/١
الرجل	(جعفر بن محمد)	٢	٨٨/١
مرحلى	إبراهيم بن المهدى	٢	٢٧٠/١
رجلى	المغيرة بن حبناء	٣	٢٩٣/١
رجلى	معن بن أوس	٣	٣٥٦/٢
عجل	—	٢	٥٤٨/١
بخلاخل	شريك الجعدى	٧	١٤/٢
الرحل	امرؤ القيس بن عانس	١	٥٨٥/١، ٢٧٢/٢
محل	أبو المندى[٣]	٢	٢٩٤/١
وبخله	منصور الفقيه	٢	٢٧٠/١
بالبخل	—	١	٦٢٨/١
فاعدل	—	٤	٨٧/١
البذل	أشجع بن عمرو السلمى	٢	٢٦٧/١

---

(١) وتنسب للمتوكل الليثى .

(٢) وتنسب لأبى عطاء السندى .

(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لعمر بن أبى ربيعة .
(٣) وتنسب لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(١) وينسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لمحمود الوراق ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لدعبل الخزاعي ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٣)وتنسب إلى الشافعي ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لأبي مهيم الأعرابي .

القافيه	الشاعر	عدد الابيات	الجزء والصفحة
لكرام	أبو العتاهية	٥	٧٩٦/١
لحرام	نصر بن حجاج	٧	٨١١/١
البشام	(جرير)	١	٢٥٤/١
الطعام	أبو نواس	٢	٦٣٤/١
أعلام	—	٣	١٢٤/١
الكلام	—	١	٦٨٧/١
حمام	أبو تمام	١	٥٦٤/١
الأنام	سعيد بن العاص المرواني	١٩	١٢٠/٢
يكتم	(الحسين بن على النقيبي)	١	٤٦٥/١
آثم	ابن أبي الدنيا	٥	١٣٨/١
يا قثم	(داود بن سلم)(١)	١	٥١١/١
المدم	—	٢	٥٢١/١
المخارم	(مالك بن حريم)(٢)	٣	١٣٢/١
المكارم	أبو العتاهية	٢	٣٢٨/١
والحرم	الفرزدق(٣)	١٧	٥٠٨/١
محرم	محمود الوراق	٤	٢٨٣/٢
يتصرم	الفرزدق	٢	٤٠٣/١
ينصرم	—	١	٦٥٧/١
والكرم	—	٢	٥٩٠/١
وتكرم	هلال بن العلاء الرقى	٤	٥٩/٢

---

(١) وتنسب لخالد بن يزيد .

(٢) وتنسب لعمرو بن براقة الهمدانى .

(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الابيات	الجزء والصفحة
مغرم	بكر بن النطام	٢	١/١٩٣
حزم	(مالك بن حذيفة النخعى)	١	٢/٣٦٢
يتبسم	الحزين بن عبد الله الليثى[١]	١	١/٥٩١
والقسم	أمية بن أبى الصلت	٨	٢/١٧٩
مقسم	—	٢	٢/٥٢
يصم	(المتنبى)	١	١/٦٩٣
أعظم	أبو نواس	٤	٢/٣٧٥
عالم	حبيب الطائى	١	١/١٩١
ليظلم	—	٢	١/٣٦٢
لا يظلم	المتنبى	١	١/٣٦٦
تعلم	منصور الفقيه	١	١/٤٣٩
يعلمه	—	٢	١/٤٩١
آثامه	—	٢	٢/٨٠
السهم	(محمد بن أوس)	١	١/٧٩
تفهم	البحترى	١	١/٧٢٦
مشتوم	أبو الأسود الدؤلى[٢]	٢	١/٤١٣
نجوم	الفرزدق	١	٢/٢٠٨
مقسوم	أبو الأسود الدؤلى[٣]	٣	١/١٤٦
شوم	(إسماعيل الحمدونى)	٢	١/١٩٣
تلوم	رجل من بنى سعد	٥	١/٤٦١
الظلوم	أبو العتاهية	٣	١/٣٦٨

(١) وتنسب إلى الفرزدق .
(٢) وتنسب إلى العرزمى .
(٣) وتنسب إلى العرزمى .

(١) وينسب لعلقمة بن عبدة .

(٢) وينسب لسليمان بن المهاجر .

(٣) وينسب لأبى الأسود الدؤلى .

(١) وينسب للزبرقان بن بدر .

(٢) وينسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وينسب لزهير السامى .
(٢) وينسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٣) وينسب لأبى عن الرحمن العطوى .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) أو ابن عرارة السلمى .
(٣) وتنسب لغيره انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لنافع بن خليفة الغنوى .

(١) وتنسب لغيرها ، انظر هامش التحقيق .
(٢) أو عبد الرحمن العطوى .
(٣) وتنسب للبحترى .
(٤) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب إلى سلم بن الحجاج .

(٢) وتنسب إلى كعب بن زهير .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
مقرون	صالح بن جناح[(١)]	٤	٨٦/١
تصونها	—	٣	٢٥٦/٢
وعونه	سهل الوراق	١	٢٩٨/١
تعنون	على بن محمد العلوى	٣	٦٤/١
يهونوا	كعب بن زهير	١	٢٢٣/١
خئون	—	١	٥٧٥/١
شؤونه	سهل الوراق	١٢	١٥٠/١
مباين	سابق البربرى	٢	٢٨٦/٢
يستبينها	العتابى	١	٥٨٣/١
حين	شبيب بن البرصاء	٢	٤٦٥/١
يدينها	العتابى	٤	٥٩٧/١
قرينه	سهل الوراق	٢	٧٠٤/١
حزين	صالح بن عبد القدوس[(٢)]	٢	١٠٧/٢
يشينه	أحيحة بن الجلاح	٢	٨١/١
بطين	—	٣	٤٨/٢
دفين	يحيى بن حكم الغزال	٣	٤٢/٢
دفينها	أبو الطمحان القينى	١	٧٨٤/١
يقينه	سهل الوراق	٢	٣١٥/٢
مسكين	بكر بن أذينة	١	٢١١/١
أمين	—	٢	٣٨/٢
ضنين	—	١	٣٣٠/١
لضنين	قيس بن الخطيم	٤	٤٥٨/١

(١) وتنسب لعبد الله بن طاهر .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٣) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) وتنسب إلى الصولى .

(٢) وتنسب لابن بسأم .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لأبى حاطب .
(٣) وتنسب لأبى تمام .
(٤) وتنسب للشافعى .
(٥) وتنسب إلى غيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) أو بكر بن أذينة .

---

(١) وتنسب لذي الرمة .

(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب للهذيل الاشجعى .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
يديه	محمود الوراق	٣	٢/٢٢١
إليه	—	٤	١/١٩٨
عليه	—	٢	١/١٨٩
عليه	محمود الوراق	٤	١/٦٥٦
عليه	—	٤	١/٦٩٨

« الياء المفتوحة »

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
دايه	أبو نواس	٤	١/٥٢٨
حيا	أبو العتاهية	١	٢/٢٠٢
باديا	ذو الرمة	٢	٢/٢٨
تقاضيا	—	٢	١/٣٢٣
التقاضيا	(الشميذر الحارثى)	١	١/٣٦٧
عافيه	منصور الفقيه	٢	٢/٣٠٥
العافيه	منور الفقيه	٢	٢/٣٨٤
والعافيه	منصور الفقيه	٢	٢/٣١
والعافيه	منصور الفقيه	٢	٢/١٣٣
القوافيا	سويد الحارثى [1]	٤	١/٧٧٧
كافيا	حارثة بن بدر	٢	٢/١٧٤
ليا	—	٢	١/٢٤٦
ليا	(أبى بن حمام العبسى) [2]	٢	١/٧١٠
ليا	عبدالله بن معاوية بن جعفر	٦	١/٧٠٩
ليا	جرير	٥	١/٧٠٩

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .
(٢) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) الصحيح أنها للفرزدق ، انظر هامش التحقيق .

---

(١) وتنسب لغيره ، انظر هامش التحقيق .

(٢) وتنسب لابى حازم .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
علا	ابن دريد	١	١٩١/١
واحتمى	ابن دريد	١	٣٦٥/١
تعمى	روح أبو همام	١	٨١٤،٧١٠/١
نما	الغريض بن السموءل	٤	٣١٠/١
دانا	ابن المبارك	٣	٣٣٢/١
الغنى	—	٢	١٢٣/١
بالمنى	—	٢	١٦٨/١
انطوى	محمود الوراق	٢	٢١٦/٢

٥ — أنصاف الأبيات(١)

---

(١) معظم هذه الأنصاف قد أكملت بالتحقيق وذكرت تكملتها بهوامش الصفحات الموجورة فيها ، وقد أوردناها هنا ولم نذكرها فى فهرس الأبيات حرصا على الابقاء على عمل المؤلف فى الاستشهاد بها .

٦ — فهرس الرجز

(١) وينسب إلى الصاحب بن عباد ، انظر هامش التحقيق .

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحه

« الميم المكسورة »

للأسقام	(أبو النجم العجلى)	٥ ، ٣	٢٣٨/٢،١٢٦/١
الميسم	أبو أسامة الكاتب	٣	٢٨٧/١

قافية النون

« النون الساكنة »

حسن	—	١	١٣٥/١

النون المفتوحة »

يأتينا	أبو حمزة الضبى	٧	٧٦٢/١

« النون المضمومة »

سكينها	—	٢	١٠٢/٢

قافيـــة الهاء

« الهاء الساكنة »

حصاده	—	٢	٣٠٧/١
عاده	—	٢	١١٣/٢
المقدمه	(يحيى بن نوفل)	٤	٥١٣/١
الحره	ابن مطيع	٤	٤٩١/١

قافية الألف المقصورة

الفتى	الشماخ	٥	٢٩٨/١
نما	—	٢	٧٩/١

٧ — فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الألف

حرف الألف

حرف الألف

حرف الالف

حرف الألف

حرف الألف

حرف الألف – حرف الباء

حـــرف الباء

حرف البـاء

حرف الباء

حرف الباء — التاء

حرف التاء

حرف الثاء — الجيم

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الجيم

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الحاء

حرف الحاء

حرف الحاء

حرف الحاء

حرف الحاء

حرف الحاء ـ الخاء

حرف الخاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الدال — الذال

حرف الذال

حرف الذال — الراء

حرف الراء

حرف الراء — الزاى

حرف الزاى

حرف الزاى

حرف الزاى — السين

حرف السين

حرف السين

حرف السين

حرف السين

حرف السين

حرف السين — الشين

حرف الشين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الطاء — العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين

حرف العين — الغين

حرف الغين

حرف الغين — الفـاء

حرف الفاء

حرف القاف

حرف القاف

حرف القاف

حرف القاف ـ حرف الكاف

حرف الكاف

حرف الكاف — حرف اللام

حرف اللام

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم

حرف الميم — النون

حرف النون

حرف النون

حرف النون — حرف الهاء

حرف الهاء

حرف الهاء

حرف الهاء — حرف الواو

حرف الواو

حرف الواو — الياء

حرف الياء

حرف الياء

حرف الياء

حرف الياء

٨ – فهرس الأمم والقبائل والعشائر والأرهاط

حرف الألف

حرف البـاء

حرف التـــاء

حرف الثـاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

٩ – فهرس الأمكنة والبلدان والأيام والحروب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

١٠ — فهرس الكتب الواردة فى النص

الإنجيل : ١/٦٦٩ .

بيان العلم وفضله : ١/٥٢، ٢٠٥، ٣٧٨، ٤٢٨، ٤٢٩ .

التمهيد : ١/٥٧، ١١٨، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٦، ٢٩٥، ٣٨٧، ٢/٦٨، ٠ ؛ ١٨٦٨،

الحيوان : ١/٣٦٣ .

الخلفاء : ١/٣٥٨ .

كتاب الصحابة : ١/٥٨ .

كتاب المعانى : ٢/٣٧١ .

١١ — فهرس المراجع

١ — الأجوبة المسكتة ، لابن أبي عون . مخطوطة برقم ٨ أدب — معهد المخطوطات .

٢ — الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، مطبعة السعادة ١٤٣٨ .

٣ — أشعار أولاد الخلفاء = الأوراق ، للصولي . طبع مصر ١٩٣٤ م .

٤ — الإصابة في معرفة الصحابة ، لابن حجر العسقلاني . مطبعة السعادة ١٣٢٢ هـ .

٥ — إعتاب الكتاب ، لابن الأبار تحقيق الأستاذ عبد الكريم الأشتر . نشر المجمع العلمي في دمشق ١٩٦١ .

٦ — الأعلام[1] ، للأستاذ خير الدين الزركلي . مطبعة كوستاتسوماس القاهرة سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٩ .

٧ — الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني — طبعة الساسي ، وطبعة دار الكتب .

٨ — الأمالي ، لأبي علي القالي — مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

٩ — أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، للشريف المرتضى ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم — مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ .

١٠ — أنساب الأشراف ، للبلاذري — تحقيق محمد حميد الله — الجزء الأول — مطبعة دار المعارف ١٩٥٩ .

١١ — البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير — مطبعة السعادة ١٣٥٠ هـ .

١٢ — بغية الملتمس ، للضبي — مدريد ١٨٨٤ م .

١٣ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، مصر ١٣٢٦ هـ .

---

(١) اعتمدت في كثير من تراجم العلماء والأدباء الواردة في الكتاب — كما ذكرت في المقدمة — على كتاب « الأعلام » للأستاذ خير الدين الزركلي ، وما ذكر من مراجع عقب كل ترجمة منها هي من مراجع الأعلام المثبتة في هامشه ، وعلى من يود الرجوع الى شيء منها أن يرجع أولا إلى طبعات هذه المراجع .

١٤ — البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشى ، ليدن ١٩٤٨ ، ١٩٥١ م .

١٥ — البيان والتبين ، للجاحظ — المطبعة التجارية سنة ١٩٥٦ م .

١٦ — تاج العروس فى شرح جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الحسينى الزبيدى ، طبع المطبعة الخيرية ١٣١٦ هـ .

١٧ — تاريخ آداب اللغة العربية ، لجورجى زيدان دار الهلال ١٩٥٧ .

١٨ — تاريخ الأدب العربى — لكارل بروكلمان — ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار — دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦١ .

١٩ — تاريخ الأدب العربى (عصر سيادة قرطبة) ، للدكتور إحسان عباس .

٢٠ — تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، لأغناطيوس كراتشكوفسكى — ترجمة صلاح عثمان هاشم — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٣ .

٢١ — تاريخ الإسلام ، للحافظ الذهبى — مكتبة حسام القدسى سنة ١٣٦٧ .

٢٢ — تاريخ بغداد — للخطيب البغدادى — مطبعة السعادة ١٩٣١ .

٢٣ — تاريخ الطبرى — لمحمد بن جرير الطبرى المطبعة الحسينية .

٢٤ — تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على — مطبوعات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٣ .

٢٥ — تذكرة الحفاظ ؛ للحافظ الذهبى حيدر أباد ١٩٥٥ .

٢٦ — التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم الخ ، للخطيب البغدادى — مطبعة التوفيق — دمشق سنة ١٣٤٦ .

٢٧ — تفسير الطبرى ، لمحمد بن جرير الطبرى — مطبعة بولاق ١٣٣٠ هـ .

٢٨ — التمثيل والمحاضرة ، للثعالبى — تحقيق عبد الفتاح الحلو — مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٦١ .

٢٩ — التنبيه على أمالى القالى — لأبى عبيد البكرى — مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦ .

٣٠ — تهذيب تاريخ ابن عساكر — لعبد القادر بدران — دمشق ١٣٥١ هـ .

٣١ — تهذيب التهذيب — لابن حجر العسقلانى — مطبعة دار المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٢٥ هـ .

٣٢ — جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر النمرى القرطبى — مصر ١٣٢٠ هـ .

٣٣ — جذوة المقتبس ، للحميدى — طبع مصر سنة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م .

٣٤ — جمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى — القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ .

٣٥ — جمهرة الأنساب ، لابن حزم — تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون — دار المعارف سنة ١٩٦٢ .

٣٦ — جوامع السيرة ، لابن حزم ، تحقيق الدكتورين ناصر الأسد وإحسان عباس ، دار المعارف سنة ١٩٥٦ .

٣٧ — الحب عند العرب — لأحمد تيمور — لجنة نشر المؤلفات التيمورية سنة ١٩٦٤ .

٣٨ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى — مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .

٣٩ — حلبة الكميت ، للنواجى — مطبعة إدارة الوطن ١٢٩٩ هـ .

٤٠ — حماسة البحترى — المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ م .

٤١ — حماسة أبى تمام — مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ .

٤٢ — الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون — مصر ١٩٤٥ .

٤٣ — خاص الخاص ، للثعالبى — مصر ١٩٠٨ م .

٤٤ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب — للبغدادى — بولاق ١٢٩٩ هـ .

٤٥ — الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ، لابن فرحون القاهرة ١٣٥١ .

٤٦ — ديوان ابن الأحنف — مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٨ هـ .

٤٧ — ديوان الأخطل — مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٧ م .

٤٨ — ديوان أبى الأسود الدؤلى — تحقيق عبد الكريم الدجيلى — بغداد سنة ١٩٦٤ .

٤٩ — ديوان الأعشى — المطبعة النموذجية بالقاهرة سنة ١٩٥٠ .

٥٠ — ديوان امرىء القيس — تحقيق الأستاذ أبو الفضل ابراهيم — مطبعة دار المعارف سنة ١٩٥٨ .

٥١ — ديوان أوس بن حجر — فينا سنة ١٨٦٢ م .

٥٢ — ديوان البحترى — مطبعة هندية بالقاهره سنة ١٩١١ .

٥٣ — ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزه حسن — دمشق ١٩٦٠ .

٥٤ — ديوان أبى تمام — بيروت

٥٥ — ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ، تحقيق عبده عزام ، مطبعة دار المعارف ١٩٥١ .

٥٦ — ديوان جرير ، مطبعة الصاوى سنة ١٣٥٣ هـ .

٥٧ — ديوان حاتم الطائى — ضمن مجموعة خمسة دواوين — المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ .

٥٨ — ديوان حسان بن ثابت — المطبعة الرحمانية ١٣٤٧ هـ .

٥٩ — ديوان الخنساء — المطبعة الوطنية ، بيروت ١٨٨٨ م .

٦٠ — ديوان ابن الرومى — المطبعة التجارية ١٩٢٤ م .

٦١ — ديوان الشماخ — مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

٦٢ — ديوان طرفة — قازان ١٩٠٩ م .

٦٣ — ديوان أبى العتاهية — بيروت ١٨٨٧ م .

٦٤ — ديوان عروة بن الورد — من مجموع خمسة دواوين — المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ .

٦٥ — ديوان علقمة الفحل — مطبعة جول بول ، الجزائر ١٩٢٥ م .

٦٦ — ديوان على بن الجهم — دمشق ١٩٤٩ م .

٦٧ — ديوان عمر بن أبى ربيعة — ليبسك ١٣١٧ هـ .

٦٨ — ديوان عنترة — الرحمانية بالقاهرة .

٦٩ — ديوان أبي فراس الحمداني — تحقيق الدكتور سامي الدهان — بيروت ١٩٤٤ م .

٧٠ — ديوان القطامي — ليدن ١٩٠٢ م .

٧١ — ديوان قيس بن الخطيم . بغداد

٧٢ — ديوان ابن قيس الرقيات ، تحقيق الدكتور يوسف نجم ، بيروت سنة ١٣٧٨ هـ .

٧٣ — ديوان كثير عزة ، الجزائر ١٩٢٨ م .

٧٤ — ديوان لبيد ، فينا ١٨٨٠ م .

٧٥ — ديوان المتنبي ، تعليق وشرح المعلم بطرس البستاني ، بيروت ١٨١٧ م.

٧٦ — ديوان ابن المعتز ، مطبعة المحروسة سنة ١٨٩١ ، واستانبول سنة ١٩٥٠ .

٧٧ — ديوان الهذليين ، مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ .

٧٨ — الذخيرة لابن بسام ، تحقيق الدكتور الإهواني والدكتور القط وغيرهما ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ — ١٩٤٥ .

٧٩ — زهر الآداب ؛ للحصري ، تحقيق زكي مبارك — المطبعة الرحمانية ١٩٢٥ م .

٨٠ — سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري — القاهرة ١٩٣٦ .

٨١ — سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — مطبعه دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ .

٨٢ — سنن النسائي = المجتبى — الهند .

٨٣ — سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي — دار المعارف بدون تاريخ .

٨٤ — شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ .

٨٥ — شرح ديوان كعب بن زهير — دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .

٨٦ — شرح ديوان الفرزدق — مطبعة الصاوي ١٣٥٤ هـ .

٨٧ — شرح ديوان زهير — مطبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ ، ١٩٤٤ .
٨٨ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد — مطبعة عيسى الحلبى — ١٩٦٠
٨٩ — شعراء النصرانية — تأليف لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٨٩٠ .
٩٠ — شعر دعبل بن على الخزاعى — نسقه عبد الكريم الأشتر — مطبوعات المجمع العلمى فى دمشق سنة ١٩٦٤ .
٩١ — الشعر والشعراء لابن قتيبة — تحقيق أحمد شاكر — عيسى الحلبى ١٣٧٠ هـ .
٩٢ — صحيح البخارى — مطبعة بولاق ١٣١٣ هـ .
٩٣ — صحيح مسلم — مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ .
٩٤ — الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى — المطبعة الشرفية ١٣٢٣ هـ .
٩٥ — صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ، تحقيق ليفى برفنسال — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .
٩٦ — الصلة لابن بشكوال — مدريد ١٨٨٢ .
٩٧ — طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى — دار المعارف ١٩٥٢ .
٩٨ — العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م .
٩٩ — علم الفلك تاريخه عند العرب ، نلينلنو ، طبع فى روما ١٩١١ م .
١٠٠ — عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٣٠ م .
١٠١ — الفاخر فى الأمثال ، للمفضل بن سلمة ، مطبعة عيسى الحلبى سنه ١٩٦٠ .
١٠٢ — فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى — طبع بولاق ١٣٠٠ هـ .
١٠٣ — فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ، لأبى عبيد البكرى — تحقيق الدكتورين عبد المجيد عابدين وإحسان عباس ، الخرطوم ١٩٥٨ م .
١٠٤ — فهرست ابن النديم — القاهرة ١٣٤٨ هـ .

١٠٥ — فوات الوفيات ،لابن شاكر الكتبى ، المطبعه السعاده سنه١٩٥١

١٠٦ — القاموس المحيط ، للفيروزابادى — القاهرة سنه ١٣٣٠ هـ .

١٠٧ — الكامل ، للمبرد — المطبعة التجارية بالقاهرة

١٠٨ — الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، القاهرة ١٠ هـ .

١٠٩ — كشاف اصطلاحات الفنون ، لمحمد الفاروقى
التهانوى ، طبع كلكتا سنه ١٨٦١ م .

١١٠ — كشف الظنون ، لحاجى خليفة — استانبول سنه١٩٤٣

١١١ — لباب الآداب ، لأسامه بن منقذ — الرحمانية ١٣٥٤ هـ .

١١٢ — اللباب فى تهذيب الأنساب ، لابن الأثير — مكتبه القدسى ١٣٥٧هـ .

١١٣ — لسان العرب ، لابن منظور الافريقى — بولاق ١٣٠٨ هـ .

١١٤ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن
سليمان الهيثمى — طبع حسام القدسى سنة

١١٥ — مجموعه المعانى — طبع الجوائب ١٣٠١ هـ .

١١٦ — المحاسن والأضداد ، المنسوب للجاحظ ، مطبعه السعادة ١٣٢٤ هـ .

١١٧ — المحاسن والمساوىء ، للبيهقى ، مطبعه السعادة ١٣١٢ هـ .

١١٨ — محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى — المطبعه الشرفيه سنة
١٣٢٦ هـ

١١٩ — المحبر ، لابن حبيب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٢ م .

١٢٠ — المحكم لابن سيده ، تحقيق الدكتورين السقا ونصار ، الحلبى ١٩٥٨

١٢١ — المختار من شعر بشار ، للخالديين — القاهرة ١٩٣٤ م .

١٢٢ — مختارات ابن الشجرى — القاهرة سنه ١٩٥٢ .

١٢٣ — المستجاد من فعلات الأجواد ، للمحسن التنوخى — دمشق سنة
١٩٤٦ م .

١٥٤ — المستطرف من كل فن مستظرف ، للأبشيهى — مطبعة المعاهد سنة ١٣٥٤ هـ .

١٢٥ — مشتبه النسبة ، للذهبى — دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٢ م .

١٢٦ — المصون فى الأدب ـ لأبى أحمد العسكرى ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون — الكويت سنة ١٩٦٠ .

١٢٧ — المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن دحية الكلبى — المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤ .

١٢٨ — مطمح الأنفس لابن خاقان ، مطبعه الجوائب ١٣٠٣ .

١٢٩ — المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، لعبد الواحد المراكشى .

١٣٠ — معجم الأدباء لياقوت الحموى — دار المأمون سنة ١٩٣٨ م .

١٣٢ — معجم البلدان ، لياقوت الحموى — طبعة بيروت سنة ١٩٥٥ م .

١٣٢ — معجم الشعراء ـ للمرزبانى ـ مكتب حسام القدسى ـ مصر سنة ١٩٥٤ .

١٣٣ — المعلقات السبع — مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ .

١٣٤ — المغرب فى حلى المغرب ، لأبن سعيد دار المعارف ١٩٦٤ م .

١٣٥ — المفضليات ، للضبى — دار المعارف ١٣٦١ .

١٣٦ — المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لأبى عبدالله محمد بن الرحمن السخاوى — مخطوط رقم ١١٣٤ حديث دار الكتب .

١٣٧ — المنتحل ، للثعالبى — طبع الاسكندرية ١٨٩١ م .

١٣٨ — المنجد قاموس فى اللغة للويس معلوف ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٥١ م .

١٣٩ — المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء ، للآمدى ـ مصر سنة ١٣٥٤ هـ .

١٤٠ — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، للمرزبانى — المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ .

١٤١ — نفح الطيب — للمقرى — تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد

المطبعة التجارية سنة ١٩٤٩ م
١٤٢ — النقائض — ليدن ١٩٠٥ م
١٤٣ — نهايه الأرب — للنويرى — دار الكتب سنه ١٣٤٢ هـ .
١٤٤ — النهاية فى غريب الحديث والأثر — لمجد الدين بن الأثير — تحقيق محمود الطناحى وطاهر الراوى — مطبعه عيسى الحلبى سنه ١٩٦١ م .
١٤٥ — نوادر القالى — دار الكتب المصرية سنه ١٩٢٣ م .
١٤٦ — الوافى بالوفيات ، للصفدى — نشر جمعية المستشرقين الألمان .
١٤٧ — الوزراء والكتاب للجهشيارى — مصطفى البابى الحلبى سنه ١٩٣٨م.
١٤٨ — وفيات الأعيان ، لابن خلكان — المطبعة التجارية سنه ١٩٤٨ م .
١٤٩ — يتيمة الدهر ، للثعالبى مطبعه الصاوى بالقاهرة سنه ١٣٥٢ هـ

١٢ — فهرس الفهارس